سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(٨٠٦)

الارتجال في الشعر

من قال الشعر ارتجالا

من كتب الأدب والتراجم

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"وسأله عن صفة فرس ينفذه إليه، فقال **ارتجالا**.موقع الخيل من نداك طفيف ... ولو أن الجياد منها ألوفومن اللفظ لفظة تجمع ... الوصف وذاك المطهم المعروفما لنا في الندى عليك اختيار ... كل ما يمنح الشريف شريفالطفيف: الحقير، والمطهم من الخيل: التام الخلق. فيقول: موقع الخيل حقير في جودك، والألوف منها يسير في بذلك، ثم قال: ومن اللفظ قليل يجمع الكثير من النعت، ولفظة تشتمل على جملة الوصف، في الخيل، المطهم التام خلقه، المعروف المشهور عتقه، ثم قال: وما لنا في نداك اختيار عليك، أنت الشريف، وشريف ما تهبه، والرفيع، ورفيع ما تبذله.." (١)

"وحضر مجلس سيف الدولة في شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وبين يديه نارنج وطلع، وهو يمتحن الفرسان، فقال سيف الدولة لابن جش، رئيس المصيصة الكاتب: لا تتوهم هذا للشرب، فقال أبو الطيب **ارتجالا**:شديد البعد من شرب الشمول ... ترنج الهند أو طلع النخيلالشمول: الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل القوم بريحها، وترنج الهند: النارنج، وطلع النخيل: أول ما ينعقد فيه من ثمرته، وتنشق عنه أغشيته، فيسمى ذلك العقد حينئذ طلعا، وتسمى الأغشية المنشقة كافورا.فيقول لسيف الدولة: ترنج الهند، وهو النارنج، أو طلع النخيل، شديد بعدهما في مجلسك عن شرب الشمول، وإن كان غيرك يتخذهما لذلك؛ لأن هذه الحال غير مظنونة بك، وإنما استحضارك لهما ولما يشاكلهما من الرياحين استمتاعا بحسن ذلك، لا مخالفة فيه إلى ما يكره، واستجازة لما لا يحسن.." (٢)

"ودخل عليه، وقد رفع سلاح كان بين يديه، قد عرض عليه، وهو في ذكره ووصفه، فقال له **ارتجالا**:وصفت لنا ولم نره سلاحا ... كأنك واصف وقت النزاليقول لسيف الدولة: وصفت لنا سلاحا غائبا لم نره، ومحجوبا لم نشهده، فكأنك وصفت النزال بوصفه، وأخبرت عنه بذكره؛ لأن مثل ذلك الموصوف لا يعد إلا للنزال، ولا يختبر إلا في القتال.وأن البيض صف على درع ... فشوق من رآه إلى القتالثم قال: وذكرت أن البيض صف على الدروع، فشوق ذلك من سمعه إلى الحرب، وهيجه على الطعن والضرب.فلو أطفأت نارك تا لديه ... قرأت الخط في سود اللياليقوله: (نارك تا لديه) تا: كلمة يشار بها إلى المؤنث الحاضر كما يشار بذا إلى المذكر، فيقول لسيف الدولة: فلو أطفأت سرجك التي تستضيء بها في ليلك بحضرة هذا السلاح؛ لأغناك عنها لمعانة، ولأضاء لك بريقه، حتى." (٣)

---

(١) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الأول، ابن الإفلِيلي ٢٤٧/١

(٢) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الأول، ابن الإفلِيلي2/8 ٩

(٣) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الأول، ابن الإفلِيلي/2 ١١١

"وعرضت عليه سيوف فوجد فيها واحدا غير مذهب، فأمر بلإذهابه، فقال له أبو الطيب **ارتجالا**:أحسن ما يخضب الحديد به ... وخاضبيه النجيع والغضبالنجيع: الدم.فيقول: أحسن ما يخضب به الحديد، وأحسن خاضبيه النجيع والغضب؛ يريد: أحسن ما يخضب به الحديد النجيع، وأحسن خاضبيه الغضب، فجمع بين الخبرين والمخبر عنهما، ثقة بفهم السامع. والعرب تفعل ذلك، قال الله عز وجل: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) يريد: لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في." (١)

"وجلس سيف الدولة لرسول ملك الروم والروذس، في صفر من سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، وحضر أبو الطيب، فوجد دونه زحمة شديدة، فثقل عليه الدخول، واستبطأه سيف الدولة، فقال **ارتجالا**:ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته ... لا يصدق الوصف حتى يصدق النظريقول: وصفي لهذا اليوم قبل رؤيته، وإخباري عنه قبل مشاهدته، ظلم له، وتقصير به؛ لأن الوصف إنما يصدق بالمشاهدة، ويتصحح بصحة المعاينة.تزاحم الجيش حتى لم يجد سببا ... إلى بساطك لي سمع ولا بصرثم قال، مخاطبا لسيف الدولة: تزاحم الجيش وتكاثر، وتبادر وتضاغط، حتى لم أجد إلى بساطك سببا موصلا بسمع ولا بصر، ولا إخبار ولا نظر.فكنت أشهد مختص وأغيبه ... معاينا، وعياني كله خبريقول: فكنت لشدة اهتبالي بالحال، أقرب المختصين منك، وبما." (٢)

"وفزع الناس لخيل لقيت سرية لسيف الدولة ببلد الروم، فركب وركب أبو الطيب معه، فوجد السرية قد قتلت بعض الخيل، وأراه بعض العرب سيفه، فنظر إلى الدم عليه، وإلى فلول أصابته في ذلك الوقت، فتمثل سيف الدولة بيتي النابغة:ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائبتورثن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جربن كل التجاربفأنشد **ارتجالا**:رأيتك توسع الشعراء نيلا ... حديثهم المولد والقديمافتعطي من بقى مالا جسيما ... وتعطي من مضى شرفا عظيماالمولد: المتأخر من الشعراء، وبقى: بمعنى بقي، وهي لغة لطيء، يبدلون الكسرة فتحة، إذا كانت بعدها ياء مفتوحة، ويقلبون الياء ألفا، فيقولون في رضي: رضى، وفي ناصية ناصاة.فيقول لسيف الدولة (. . . . . . .) وتعمهم بنيلك؛ حديثهم المولد في عصرك، وسالفهم المتقدم من قبلك.ثم بين ذلك فقال: فتعطي (. . . . .) يقنعهم، وتعطي ماضيهم شرفا عظيما يدفعهم.سمعتك منشدا بيتي زياد ... نشيدا مثل منشده كريمافما أنكرت موضعه

---

(١) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الأول، ابن الإفلِيلي ١١٤/٢

(٢) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الأول، ابن الإفليلي ٢٠٩/٢

ولكن ... غبطت بذاك أعظمه الرميمازياد: نابغة بني ذبيان، وغبطت الرجل بحاله: إذا أيدت بصيرته (. . . . .)، والرميم: العظم إذا بلي وتقطع.فيقول لسيف الدولة: سمعتك تنشد بيتي النابغة نشيدا يشبه كرمه كرمك، [ويماثل صوابك شعره]، فما أنكرت موضع النابغة من (. . . . . .) لما رفعت من قدره، ولكنني غبطت عظامه البالية بتشريفك (. . . . .).كمل السفر والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خاتم النبيين، وعلى آله." (١)

"وشكى إليه إبراهيم بن عباس طول قيامه في مجلس كافور، فقال له **ارتجالا**:يقل له القيام على الرؤوس ... وبذل المكرمات من النفوسإذا خانتك في يوم ضحوك ... فكيف تكون في يوم عبوس؟النفوس المكرمات: المعتمدات بالكرامة، والواحدة مكرمة، يقال: أكرمت النفس، فهي مكرمة، واليوم العبوس: الذي يكثر فيه لشدة أهواله.فيقول لمخاطبه [يقل] أن يقام له على الرؤوس إعظاما لقدره، وأن توضع مواضع الأقدام اعترافا لشكره، وأن يبذل في طاعته من النفوس ما أكرم، ويمتهن له منها ما شرف وعظم.ثم قال للذي خاطبه: إذا خانتك نفسك في قضاء حقه، ومعارضة فضله، فلم تسعدك على القيام له في يوم سرور وغبطة، وضحك وبهجة، فكيف تظنها في يوم حرب عبوس، يستكره مثله، شديدا لا يؤمن بأسه؟!." (٢)

"قال: والله أن لو فعلت ما أفلت بها قيس أبن أبيك، فغضب عمرو بن هند – وكان يؤثر بني تغلب على بكر – فقال: يا حارثة، أعطه لحينا بلسان أنثى، يقول الحيه، قال له النعمان: أيها الملك، أعط ذلك أحب أهلك إليك، فقال له عمرو بن هند: أيسرك أني أبوك؟ قال: لا، ولكني وددت أنك أمي، فغضب عمرو بن هند غضبا شديدا حتى هم بالنعمان.وقام الحارث بن حلزة – وهو أحد بني كنانة بن يشكر – فارتجل قصيدته**ارتجالا**، وتوكأ على قوسه، فزعموا إنه انتظم بها كفه وهو لا يشعر من الغضب.وكان عمرو بن هند شريرا لا ينظر إلى أحد به سوء، وكان الحارث بن حلزة إنما بنشد من وراء حجاب، فلما أنشد هذه القصيدة أدناه حتى خلص إليه.وقال قطرب: حكى لنا أن الحلزة ضربٌ من البنات، قال: ولم نسمع فيه غير ذلك.قال أبو عبيدة: أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر: عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة بن عبد.وزعم الأصمعي أن الحارث قال قصيدته وهو يومئذ قد أتت عليه من السنين خمس

---

(١) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الثاني، ابن الإفلِيلي ١/ ١٠

(٢) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الثاني، ابن الإفلِيلي ١/ ٩٧

وثلاثون ومائة سنة، وقال حين ارتجلتا مقبلا على عمرو بن هند:(آذَنَتْنَا بِبَينِهَا أَسْمَاءُ ... رُبّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثّوَاءُ)آذنتنا: أي أعلمتنا، والبين: الفراق، والثاوي: المقيم، ويُمل: من الملال.." (١)

"خلّ اعتذارك عنها فليس تعذر ... وأترك وقارك فالكأس لا يوقرلا أرى عندي ... لتارك الصبوحفي روض ورد ... مع شادن مليحكبدر سعد ... في حضن مروحفأخلع عدارك كما إشتهيت وأجهر ... أن إبتدارك أولى بها فبكرأغصن تبدي ... يتيه لين عطفهيرمي فيبري ... بلحظه وطرفهقصّر شعري ... عن كنهه ووصفهقل من أعارك لحظ الغزال الأحور ... هلا أزارك من بات فيك يسهريا من أهيم ... به ولا يلينكم ذا أحوم ... عليك يا ضنينصل يا ظلوم ... من قلبه رهينقد استجارك ومن أسا فيغفر ... وبات جارك والجار ليس يهجرجرى عذاره ... في خده فسالاوجلّناره ... زها به جمالالولا ازوراره ... غنيته **ارتجالا**ما أملح عذارك حبيبي يا الأسمر ... ترى أين دارك قلها ولا تفكر." (٢)

"الدين وتعليق بها وأنشد **ارتجالاً** ويده فيها لا تفارقها:قد صفعنا في ذا المحل الشريف ... وهو إن كنتَ ترتضي تشريفيفارث للعبد من مضيف صِفاعٍ ... بأوسع الندا وإلا خريفِفأنظر إلى بديع هذا لاكتفاء وحسن هذا التقسيم ولطف شمائل هذه التورية وسرعة هذا الارتجال والله أعلم.." (٣)

"أبداً أحنُّ إلى عذيبِ رِضَابِهِ ... وأهيمُ وجداً كلما ذُكِرَ النقانقيوقلت في مليح مهامزي:مهامزي وجَهه روضةُ ... وخده المعشوقُ لي مشتهيا طرفة الساهي والحاظهُ ... لله ما أحلا عيون المَهَاوكتب إليّ الشيخ شمس الدين وقد مررت على مجلسه فلم أسلم عليه لأمر اقتضى ذلك:لقد مر من أهوى وعني قد انزوى ... وأحرف قلبي بالقطيعة والجوىودام نوى من غير ذنبٍ أصبتُه ... ولا عجب في أول اسم له التوىفأجبته **ارتجالاً** موالياً:يا هيثمي رعاك الله إن خفيتْ ... تنقل خطاك وتأتينا غداً للبيتوإن قلت أجيء وانتظرناك للقاء ما جئت ... فأنتَ لاشك تعرفُ عندما بالهيتوقلت وقد أرسل إليّ بعض الرؤساء هدية:قضى عجباً بها العبدُ عبدُ ... بما أسديت من نعمٍ إليههلالاً سد عين الشمس وافى ... به الطبقُ الكبير وحز عليه." (٤)

---

(١) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/٢٥١

(٢) جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب ص/٩٣

(٣) الشفاء في بديع الاكتفاء، النواجي، شمس الدين ص/٨٣

(٤) الشفاء في بديع الاكتفاء، النواجي، شمس الدين ص/٨٩

"وهو غزالُ نافرُ ... قلتُ لهم نَعم غَزَالاالقاضي مجد الدين بن مكانس **ارتجالاً**:رعى الله محسوباً كفاني بحسنهِ ... وإحسانه حتى سقيت الغد سُمَّاوقلت وقد عانيت نعماه حدَّه ... وإنعمامه للخلق يا حبذا النُعمانأبو بكر بن حجة:وشجعان صبري حاصرت حسنً هجرها ... زماناً ومات الكل في حبِّها صَبَراوكم أسرتنا بالجفا وتَجَاهلت ... فبحنا بشكوانا إلى عالم الأسراربن حجر:دعْ يا عذولي رميَ الملام فمذ سرى ... عني الحبيب قتلت دام له البَقَاوالطرف مذ فقد بَكَى بِمَا ... يحكي الغَمَام فليس يهدي بالرقادلا أعلم قائله:بروحي حمى أقماره مذ تَطَلَعت ... إلى وما أصغيت للعاذل الغَواوأمطرت دمعي إذا فقلت على الحمى ... بأنواع أنوار فيا حبذا الأنواعوملانا قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر:أُطيل الملا لمن لامني ... وأملأ في الروضَ كأسَ الطَلاوأهوى الملاهي وطيب المَلا ... فها أنا منهمك في الملاهيسيدي أبو الفضل بن أبي الوفا:نواعير نعت لي ... رشأ القلب راعيفهام القلب مني ... على حسن النواعيالقاضي صدر الدين الآدمي." (١)

"ولم يدر ما العمل ولا يحرم به فكتب إلى صورة فتيا وهي:يا معادن العلم ومن لم يزلْ ... يهدي إلينا الدرّ والجَواهراقد ضاق وقتُ العَبدِ عن حجةٍ ... وعمرة مفردة ما تَبرَنفأذعن أهل مكة لبلاغة هذين البيتين وحسن تركيبهما واشتمالهما على تمام. فلما وقفت عليهما كتبت **ارتجالاً** مع حسن التنغيم وبديع الاكتفاء والجناس والتورية.يا ضيفَ بيت الله نلتَ المُنى ... منذُ تَحَصْنْتَ بأُمِ القُرَالبَّ بحجٍ واعتمار وقُلْ ... لله ما أحسنَ هذا القِرَاورأيت مقطوعة للشهاب الحجازي قريباً من ذلك وهو:رمت قراءة فَجَلا طلعةً ... في طرّةٍ ترقى بِأُم القُرَاأَبصرتُ ليلاً ونهاراً مَعَا ... يا قومُ ما أَحسنَ هذا القِرَا." (٢)

"فلما وصلته الأبيات، استغرب ذلك، لأنه لم يتكلم بما يمس كرامة صاحبها، فأمر رجلا كان معه أن يكتب، فأملى عليه **ارتجالا** أربعين بيتا في ذلك البحر والروي. وكان يملي بيتاً فيكتبه بسرعة، فيأتي بغيره قبل تمام نسخه. ولما بلغت بابالمتقدم الذكر، محا بعضها وأقسم عليه أن لا يتفوه به، حفظا لكرامة ابن الشيخ المذكور. والقصيدة هذه:منى إلى ابن كمال الدين من خَلَفا ... بين الورَى أحمدَ المختارَ والخُلفَاأزكى سَلاَمٍ يُحاكي حُسْنَ سيرتِه ... وطيبَ شيمته لا روْضة أنفاسِيديَّ قطبِ رحا أهل المعارف مَنْ ... أمسى يُجَدّدُ رسْم الدين حين عَفاما زال مُذْ عقدت منه الإزارَ يدٌ ... صبًّا مشوقا بأبكار العُلى كِلفافنال منزلةً تعلو السعود إلى ... أن صارَ للناس من داءِ القلوب شِفااعْلَمْ أيا خِلُّ أني لستُ حاسِدَكم ... وأنَّ مني لكم

---

(١) الشفاء في بديع الاكتفاء، النواجي، شمس الدين ص/٩٢

(٢) الشفاء في بديع الاكتفاء، النواجي، شمس الدين ص/٩٩

محضُ الوِدَادِ صَفالا تَسْمَعَنْ ما وَشَى بعض الوُش اةِ به ... وَاسْمَعْ مقالي فليْسَ الأمر ما وُصِفاإذ قد حكى البيتَ راويهِ على حِرَفٍ ... فقلت مستفهما لا منكراً حِرَفاوهل سمعتم بحرف جمعةُ حِرَفٌ ... قد كان ذاعنْ قياسِ الجمع منحرفاما كان من شيمتي نكرٌ على أحدٍ ... يأبى لِيَ النُّكرَ طبْعٌ منهُ قد أنِفاولا مُجَاناةُ أرْبابِ الجفا شُغُلي ... مثلي إذا ما جفا حِلْفُ الجفا صدَفاوإن أتى صائلا ذو الضعف يوعدني ... فاللهُ يعصمني من صولة الضُّعَفاقد سرَّهُ جريه في الفقر منفرداً ... فظن سرعتَهُ فيه وقد دَلفاأقصر بطرفك لا تطمحْ إلى به ... فشأن من ليس يدرى الجريَ أن يقفاومن يخض لجة القاموس ليس له ... فُلكٌ تقيهُ من الألحانِ قد تلفاأهدى إلى من الأشعارِ مضحكة ... للخلق أودعها من لحنه كِسَفاإذ صَيَّر الهمز همز القطع متّصلاً ... وقال جلوي وجلوا ثمَّ ما ألِفا." (١)

"إذن: يجيء بالإيضاح بعد اللبس، لماذا؟ لشوق، هذا علة للإيضاح بعد اللبس، يعني: ما الفائدة منه؟ تأتي أولا بالإبهام، ثم تأتي بالتوضيح والتفسير والبيان، نقول: فيه فائدة، وهذه الفائدة متلازمة، عبر عنها بقوله: لشوق او تمكن في النفس، اللام هنا للتعليل، يعني: لأجل حصول فائدة التشويق، كما سيأتي.
وفائدته: لشوق او تمكن في النفس كما عبر الناظم كما سيأتي تفصيله في حل العبارة، فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام فحينئذ عرف من وجه ما، فإذا حصل ذلك تشوقت النفس للعلم به من باقي الوجوه وتأملت، يعني: تدبرت .. تفكرت .. حصل به علم من وجه ما، وهذا ما يعنون له بالإدراك المطلق، أو مطلق الإدراك، ثم يأتي التفسير أو يقع في النفس التشوق والتشوف إلى معرفة هذا المبهم، فإذا ألقي إليها حينئذ حصل بعد شوق، فإذا حصل العلم من بقية الوجوه، كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة، لو ألقي له الأمر هكذا ابتداء ما حصلت له لذة الشوق، لأنه لم يتألم، لكن لو حصل شيء من الألم في معرفة المعنى حينئذ لو ألقي إليه حصل لذة بعد ألم، ففرق بين أن يذكر الشيء دفعة واحدة .. مرة واحدة فيحصل به العلم من جميع وجوهه، أين التشوق؟ ليس عندنا تشوق، أين الفرح بهذه المعلومة، أو بهذا العلم؟ ليس عندنا فرح.
بخلاف ما إذا ألقي إليه مع إبهام وإجمال، ثم بعد ذلك تشوقت النفس وتشوفت إلى معرفة هذا اللفظ من جميع الوجوه، فإذا ألقي إليها حينئذ حصل لها فرح، وهذا مثله مثل العلم، العلم إذا جاءت المسائل هكذا على الطريق طالب العلم يزهد، وإذا تعب وحصل وبحث وجاهد حينئذ يكون العلم له وزنه.
إذن: إذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة، حينئذ تكمل

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشّنْقِيطي ص/٦١

اللذة بالعلم به، فإن الشيء إذا حصل كمال العلم دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوفت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة، وهذا أمر جليل، وبسبب حرمانها عن الباقي ألم، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم، وهذا معلوم بالضرورة لأن اللذة عقب الألم أكمل وأقوى، فكأنهما لذتان: لذة الوجدان، ولذة الخلاص من الألم، وهذا المراد بقوله: لشوق، بمعنى: أن علة أو مجيء الإيضاح بعد اللبس .. بعد الإبهام لشوق بمعنى: أنه يحصل لذة وهي حاصلة بعد ألم، بخلاف ما إذا ألقي الكلام هكذا **ارتجالا** موضحا من جميع الوجوه فلا تفرح به النفس.." (١)

"قصيداً أبرز به من عُرى الإحسان ما لم يَنفَصِم واستمرّ فيها، يستكمل بدائِعهَا وقوافيها، فإذا هو قد أغار على قصيد ابن الحدّاد الذي أوله:

عُجْ بالحِمَى حيثُ الخِمَاصُ العينُ

فقال ابن الحدّاد **مُرتَجِلاً**:

حاشا لعدلك يا ابن مَعْنٍ أن يُرى ... في سِلْكِ غيري دُرّيَ المَكْنُونِ

وإلَيْكَهَا تشكو استلابَ مطيّها ... عُجْ بالحِمَى حيثُ الخِمَاصُ العينُ

فاحْكُمْ لها واقطعْ لِسَاناً لا يَدَاً ... فلسانُ من سَرَق القريضَ يَمِينُ

وله أيضاً:

يا غَائِباً خَطَراتُ القَلْبِ مَحْضَرُهُ ... الصَّبْرُ بَعْدَكَ شيءٌ لستُ أقْدِرُهُ

تركتَ قَلْبي وأشواقي تُفَطِّرُهُ ... ودَمْعُ عيني وأحداقي تُحَدِّرُهُ

لو كُنْتَ تُبْصِر في تُدْمير حالَتِنا ... إذَنْ لأشْفَقْتَ مِمَّا كُنْتَ تُبْصِرُهُ

فالعينُ دونكَ لا تَحْلى بلذَّتِهَا ... والدَّهْر بَعْدَك لا يَصْفو تَكَدُّرُهُ." (٢)

"وقال في قوله (الطويل)

ضروب بأطراف السيوف بنانه ... لعوب بأطراف الكلام المشقق

الكلام المشقق: يجوز أن يريد به الذي اشتق بعضه من بعض، فيكون ذلك مدحا للكلام، وصفة للممدوح

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٦/٣٠

(٢) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، الفتح بن خاقان، أبو نصر ص/٣٣٨

بأن ما صعب لديه هين، فهو كالذي يلعب به. ويحتمل أن

يكون المشقق: الذي كأنه مكسر، من قولك: شققت العود وغيره. ويكون هذا الكلام لما ينظمه الشعراء في مدحه، لأن ذمه لهم قد تكرر مثل قوله: (الطويل)

. . . . والشعر تهذي طماطمه

وأقول: هذا الذي ذكره ليس بشيء!

وإنما يريد بالمشقق المنصف: الذي تساوى شقاه، أي: نصفاه، وشق الشيء: نصفه، يعني بذلك الشعر، ويريد بأطرافه قوافيه. يريد أن الشعر سهل عليه، فهو يتلعب به بغير كلفة مرتجلا، وكأنه لما قال:

ضروب بأطراف السيوف بنانه. . . . .

أراد: لعوب بأطراف الكلام المشقق لسانه، لدلالة بنانه عليه.." (١)

"بالله جُدْ لي بوعدِ صِدْقٍ ... وخلِّ هذا الدَّلالَ عَنْكَا

ولا تَدعْنِي أظلُّ أشكوُ ... مثلُ مُحيَّاكَ لَيْسَ يَشْكَا

فقال: سمعاً وطاعة لإشارتك، وحظي أوفى وأوفر في إتيانك وزيارتك، وشرع في القيام، فسقطت مغشيا، فضمني ضمة عدت بها قويا سويا.

فقال: تثبت أيها الشهم الشجاع، وتجلد أيها البطل المطاع فما أنت من أراذل الناس، ولا ممن يردعه الباس، بل أنت من جملة السراة وأساطينهم، والمعروف عند ملوك الإسلام وسلاطينهم، فقف عند مقدار نفسك العزيزة، ولا تعد عن ألفاظك الوجيزة، ثم أنشدني في الحال مرتجلاً:

فأنت إمامي في العلا والودادا ... فما زلتَ تدَّعي فيهم سيْداً سيَّدا

فيا لكَ من حَبْرٍ وبَحْرٍ مَواهِبٍ ... تجدُ الفتاوَى والفُتُوَّةَ سَرْمَدَا

على هذه الأيَّام ما تستحقُّه ... فكم قد أضاعتْ منكَ حقَّاً مُؤَكَّدا

فلم أنصفتَ ساورتْ محلَّك بالسُّهَا ... عُلُوَّاً وصاغت نعلَ رِجْلِكَ عَسْجَداً

فقلتُ له: لقد أهديتني بفصاحة لسانكَ، وأسكرتني بخمرة رضابك وبنانك، فمتعني بك سويعة يسيرة، وعللني بالنظر إليك مدة قصيرة، وأسكرني من رضاب ثغرك ولفظه، وسر في أمان الله وحفظه:

مَتِّعْ لواحظَنَا بحسنكَ ساعةً ... ودَعِ النُّفُوسَ تروحُ وهي توالفُ

فاجعلْ وعُوْدَكَ لي صُدُوداً خالصاً ... فلقد أراك إذا وعدتَ تخالفُ

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٢/٨٦

واشقوتي في حُبِّ أهيفَ فاتني ... فمالي عليه سوى البُكاء مُساعفُ
سَلْ خصرَهُ عن طُل ليلة شعره ... إنَّ السَّقيم بطُول ليلٍ عارِفُ
فقال: دعني من التسويف والتعليل، فلا بد من التفرق والرحيل، وميعادنا يوم السبت المذكور، والله سبحانه وتعالى ميسر الأمور.

ثم ودعني، فودعت عقلي وقلبي، ولاقيت أحزاني وكربي، فقبلت فاه العاطر، وعانقت قوامه المياد، وضاعف الوجد حزني فتقطع القلب أو كاد، فما رويت بمراشفه وإن كان لها برد في الفؤاد، ولا سررت بمعانقته لأنه عناق بعاد:

قبَّلْتُهُ ولثمتُ باسِم ثَغْرِهِ ... مع خَدِّه وضَمَمْتُ عادلَ قَدِّهِ
ثُمَّ انثنيتُ ومُقلَتي تبكي دماً ... يا ربِّ لا تجعله آخِرَ عَهْدِهِ

ثم امتطى ظهر جواده الأشقر، وصبح جبينه قد أشرق وأسفر، وطرفه قد سكر وعربد، وخده قد توهج وتوقد، وصدغه قد تعقرب وتجعد، وعطفه قد تثنى وتفرد، وخصره قد تناحف." (١)

"حكاية: قيل إن الوزير نظام الملك أبا الحسن علياً خرج يوماً إلى الصلاة فجلس قليلاً ثم التفت إلى الحاضرين وقال لهم هذا بيت شعر أريد له أوّلاً وهو هذا:

فكأنني وكأنه وكأنهم ... أمل ونيل حال دونهما القضا

وكان في الجماعة أبو القاسم مسعود الخجندي الشافعي، فقال **مرتجلاً**:

ببابي حبيب زارني متنكراً ... فبدا الوشاة له فولى معرضا

حكاية: قيل إن المهدي دخل يوماً وقت الظهر إلى مقصورة جاريته الخيزران على حين غفلة فوجدها تغتسل، فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم يبن من جسدها شيء فأعجبه ذلك واستحسنه ثم عاد إلى مجلسه، وقال من بالباب من الشعراء؟ فقيل له أبو نواس وبشار بن برد قال فليحضرا جميعاً فأحضرا وجلسا قال فليقل كل منكما شعراً يوافق ما في نفسي، فأنشأ بشار بن برد يقول:

تتجنبتكم والقلب صاب إليكم ... بنفسي ذاك المنزل المتجنب
إذا ذكروا أعرضت لا عن ملالة ... وذكراكم شيء إلي محبب
وقالوا تجنبنا ولا تقربننا ... فكيف وأنتم حاجتي أتجنب
على أنهم أحلى من المنّ عندنا ... وأطيب من ماء الحياة وأعذب

---

(١) لوعة الشاكي ودمعة الباكي، الصفدي ص/٣١

فقال أحسنت ولكن والله ما أصبت، فقال أبو نواس:

نضت عنها القميص لصب ماء ... فورّد خدها فرط الحياء

وقابلت الهواء وقد تعرت ... بمعتدل أرق من الهواء

ومدت راحة كالماء منها ... إلى ماء معدّ في الإناء

فلما أن قضت وطراً وهمت ... على عجل لتأخذ بالرداء

وقامت تشرئب على حذار ... كشبه الظبي أفرد من ظباء

رأت شخص الرقيب على التداني ... فأسبلت الظلام على الضياء

فغاب الصبح منها تحت ليل ... وظل الماء يجري فوق ماء

فسبحان الإله وقد براها ... كأحسن ما تكون من النساء

قال المهدي: سيفاً ونطعاً. قال ولم يا أمير المؤمنين؟ قال كنت معنا. قال لا والله يا أمير المؤمنين قد قلت شيئاً خطر ببالي فأمر له بأربعة آلاف درهم وصرفه.

حكاية: حدث الربيع قال ما رأيت قط أثبت قلباً ولا أحضر حجة من رجل من أهل." (١)

"فامتثل هذا أمره، وانقطعت أحكام السلطنة عن هذه الديار نحو سنتين، وكان ابن سيفا بعد أن غلبه ابن جانبولاذ على دمشق ونهب ولايته التجأ إلى أحمد بن طرباي الحارثي أمير لواء اللجون. قال القرماني: إن ابن جانبولاذ لما ولي حلب جمع كل شقي من القبائل والعشائر، ليأخذ ثأره من جماعة الإنكشارية فالتقوه في مدينة حماة ومعهم محمد باشا الطواشي نائب دمشق وعامة الجيوش من الكماة، فانهزم عسكر الدولة واستمر ابن جانبولاذ في أثرهم إلى حدود دمشق فاستقبله الأمير فخر الدين بن معن بمن معه من الدروز وطائفة السكمانية، ثم التقى ابن جانبولاذ مع العساكر الشامية فاستولى على أموالهم.

ولما حدث ما حدث من الفتن والغوائل عهد السلطان إلى مراد باشا أن يعيد الشام إلى حكم الدولة لأنه ثبت أنه خرج عن حكمه، فجاء في عشرين ألف فارس وعشرين ألف راجل وقيل في أكثر من ذلك، فبرز إليه ابن جانبولاذ في أربعين ألفا فغلب ابن جانبولاذ وهرب إلى الآستانة وأقنع السلطان بحسن حاله، وجاء مراد باشا بعد أن كسر ابن جانبولاذ في سهل الروج قرب المعرة وقتل من جماعته أحد وعشرين ألفا وتسلم قلعتها بالأمان، وبالغ في قطع شأفة الأشقياء والسكبانية. وكان علي باشا جانبولاذ لما انكسر مع مراد باشا حصن قلعة حلب ورفع إليها عياله وأسبابه وولى عليها أطلي طوماش باشا وأمره بحفظها لمدة

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/٥٥

ثلاثة أشهر ريثما يرجع إليه بالنجدة من سلطان العجم، ثم تجهز للسفر وحال خروجه من أراضي حلب وصل مراد باشا الوزير ومعه أحمد باشا حافظ الشام ويوسف باشا سيفا وشددوا الحصار على حلب وافتتحوها، ووعد أطلي طوماش بالنيابة على حلب فاطمأن وسلم القلعة ثم قبض عليه وقتله وضبط القلعة، وباع عيال علي باشا جانبولاذ بيد الدلال فبيعت والدته بثلاثين قرشا، ثم وقعت المناداة على المحافظين فقتلوهم في أماكن مختلفة وأتوا برؤوسهم إلى الوزير ولم ينج منهم إلا القليل، وكان الرجل يقتل العشرة منهم، ومهد الوزير أمور حلب وخدمته أمراء العرب. وقالوا: إن الأمير فخر الدين فر إلى البادية في جماعة الدروز والعربان بعد تلك الوقائع لأنه أعان الخوارج على السلطنة. وللقيم محفوظ الدمشقي **مرتجلا**." (١)

"حسن الظن بالله

عاد الشاعر صديقه الحميم الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي في مرض وفاته ولما أراد الانصراف من عنده ودعه **مرتجلا** للبيت الأول من هذه الأبيات الثلاثة ثم أضاف إليه البيتين التاليين:

عليك بحسن الظن بالله انه ...*... يخص بحسن الاجر من أحسن الظنا

وكم محسن للظن بالله جاءه ...*... ففاز بما اضفى عليه وما منا

اذا كان حسن الظن بالخلق نافعا ...*... فكيف برحمان رحيم له دنا

هدى وشفاء

كتاب الله كنز ليس يفنى ...*... وشمس لا يغيب لها ضياء

هدى للمتقين فكن تقيا ...*... وسله من الهداية ما تشاء

تداو به من الأسقام تبرأ ...*... ففيه لكل ذي سقم شفاء." (٢)

"الصليبية الأولى مخالفا بذلك نصيحة مانويل. وتخبط الألمان في سيرهم على الرغم من مرشديهم، أو لعل ذلك كان بفعل مرشديهم، فاجتازوا بطاحا بعد بطاح خالية من موارد الطعام، ووقعوا في كمين بعد كمين نصبه لهم المسلمون، ودب في قلوبهم اليأس لكثرة من هلك منهم. والتقى جيش كنراد عند دورليوم، حيث هزمت الحملة الأولى جيش قلج أرسلان، بقوة المسلمين الرئيسية، ومني فيها بهزيمة ساحقة، لم ينج

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢٤١/٢

(٢) ديوان محمد العيد آل خليفة، محمد العيد آل خليفة ص/٤٨٧

فيها من جيش المسيحيين أكثر من واحد من كل عشرة. وخدع الجيش الفرنسي الذي كان متأخرا وراء الألمان بمسافة طويلة بما جاءه من أخبار عن انتصار الألمان، فتقدم في غير حذر، وقضي على الكثيرين من رجاله الجوع وهجمات المسلمين. ولما وصل إلى أضاليا أخذ لويس يساوم رؤساء بحارة السفن اليونانية على نقل جيشه بطريق البحر إلى طرسوس أو إنطاكية المسيحيتين، وطالب أولئك الرؤساء بأجور باهظة عن كل شخص تحمله السفن، فقبل لويس وطائفة من النبلاء، وإليانور، وسرب من السيدات الانتقال، وتركوا بقية الجيش الفرنسي في أضاليا، وانقضت جيوش المسلمين على المدينة وقتلوا كل من فيها تقريبا من الجنود الفرنسيين (١١٤٨).

ووصل لويس إلى بيت المقدس ومعه النساء وليس معه جيش، كما وصل إليها كنراد بفلول الجيش الذي غادر به راتسبون. وحشد الملكان من هذه الفلول وممن كان في العاصمة من الجنود جيشا مرتجلا، وزحفا به على دمشق؛ وكانت قيادته موزعة بين كنراد، ولويس، وبولدوين الثالث (١١٤٣ – ١١٦٢). وشجر النزاع في أثناء الحصار بين النبلاء على الطائفة التي تحكم المدينة بعد سقوطها، وتسرب عمال المسلمين إلى الجيش المسيحي، ورشوا بعض الزعماء بالمال فجعلوهم يقعدون بلا عمل أو ينسحبون من الميدان (٢٧). ولما أن ترامت الأنباء بأن أميري حلب والموصل يزحفان بجيش كبير لفك الحصار عن دمشق تغلب دعاة الانسحاب، فانقسم الجيش المسيحي إلى جماعات قليلة فرت إلى إنطاكية أو عكا، أو بيت." (١)

"ووضعوا منذ عام ١١٠٠ – أي قبل إنجلترا بمائتي عام– نظاما عاما للمقاييس والموازين يعمل به في جميع المدن.

لكن حرب الطبقات قضت في آخر الأمر على حرية المدن وحرية حكامها الأشراف. والسبب في ذلك أن صعاليك المدن زاد عديدهم، واشتد غضبهم وسلطانهم، وأن الحكام الأشراف انضموا إليهم ليناهضوا بهم الطبقة الوسطى الغنية المغترة بنفسها؛ فلجأ التجار إلى فليب أغسطس يطلبون إليه المعونة، فوعدهم بها يرجو بذلك أن يخضع فلاندرز إلى التاج الفرنسي خضوعا أتم من ذي قبل. وكانت إنجلترا تحرص على أن تبقى أهم سوق تصرف فيها صوفها بعيدة عن سيطرة ملك فرنسا، فعقدت حلفا مع حكام فلاندرز، مع هينولت Hainault دوق برابانت Brabant وأتو الرابع Otto IV إمبراطور ألمانيا. وهزم فليب جيوش هذا الحلف عند بوفين (١٢١٤)، وأخضع حكام فلاندرز، وحمى النظام الألجركي للتجار. ولم ينقطع نزاع السلطات والطبقات بعد هذه الهزيمة؛ حتى إذا كان عام ١٢٩٧ تحالف الكونت جي ده دمبيير Guy

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٢/١٥

de Dampierre مرة أخرى مع فلاندرز وإنجلترا؛ فما كان من فليب الجميل إلا أن غزا فلاندرز، وزج جي في السجن، وأرغمه على تسليم البلاد إلى فرنسا. فلما أن زحف الجيش الفرنسي لاحتلال بروج، ثار العامة عليه، وهزموا الجنود، وذبحوا أغنياء التجار، واستولوا على المدينة. وبعث فليب بجيش قوي ليغسل هذه الإهانة التي لحقته؛ وألف عمال المدن من أنفسهم جيشا مرتجلا عاجلا هزموا به الفرسان والجنود المرتزقة التي بعثت بها فرنسا في معركة كورتريه (١٣٠٢)؛ واخرج جي ده دمبيير الشيخ من سجنه وأعيد إلى منصبه، واستمتع الحلف العجيب بين الحكام الأشراف والصعاليك الثوار بالنصر عشر سنين.

وظلت البلاد المعروفة لنا الآن باسم هولندة جزءا من مملكة الفرنجة من القرن الثالث حتى التاسع؛ ثم أصبحت في عام ٨٤٣ هي الطرف الشمالي." (١)

"قبعة صفراء، للنسوة خمار أو شارة صفراء – وأقيمت أحياء منعزلة مثل هذا في فلورنسا وسيينا؛ وبمرسوم من البابا في أنكونا وبولونيا، وكانت تسمى هناك Enferno (٦٥) (الجحيم). واصدر بول الرابع أمرا سريا بوضع كل المرتدين في انكونا في سجون محكمة التفتيش وبمصادرة بضائعهم. وأحرق هناك أربعة وعشرون رجلا وامرأة واحدة أحياء بتهمة أنهم هراطقة مرتدون (١٥٥٦) (٦٦) وأرسل سبعة وعشرون يهوديا للتجديف على السفن الشراعية إلى الأبد (٦٧). وكان هذا بالنسبة ليهود إيطاليا انتقالا من عصر ذهبي إلى شفق شاحب.

وتسللت حفنة من اللاجئين اليهود إلى فرنسا وإنجلترا على الرغم من القوانين التي تنص على إبعادهم. وكانت ألمانيا كلها تقريبا مغلقة في وجوههم. وقصد كثيرون إلى أنتورب، ولكن سمح لنفر قليل منهم فقط بالإقامة لمدة تزيد على شهر. وأسس ديوجومنديس – وهو برتغالي مرتد – في أنتورب فرعا للبنك الذي كانت أسرته قد أسسته في لشبونة. وفي ١٥٣٢ لاقى من النجاح ما حدا مجلس أنتورب على القبض عليه مع خمسة عشر آخرين بتهمة ممارسة اليهودية. وتدخل هنري الثامن الذي استخدم منديس وكيلا ماليا، وأطلق سراح ثلاثة عشر، بعد دفع غرامة فادحة، وهذا هو "الغرض الأسمى" من كل حالات القبض. وانتقل اليهود الآخرون إلى أمستردام حيث كان من الممكن أن تنتعش أحوالهم بعد تحرر هولندة من نير أسبانيا سنة ١٥٨٩.

أما هؤلاء اللاجئون الذين التمسوا مأوى في الأراضي الإسلامية التي لا تخضع مباشرة لسيطرة سلطان تركيا، فقد صاروا إلى حالة أحسن بقليل منها في العالم المسيحي. وأطلق المغاربة النار على اليهود الذين حاولوا

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢١٨/٥١

أن يحطوا رحالهم في أوران والجزائر وبوجيا، ولقي عدد وفير منهم حتفهم. ولما منعوا من الدخول إلى المدن أقاموا معزلا **مرتجلا** من الأكواخ من خشب الأشجار، وشبت النيران في أحد الأكواخ، فالتهمت المستوطنة عن آخرها." (١)

"وتنوع الحياة فيها، فقد كشف في أرضها عن ملعب رياضي، وحصن، ومضمار للركض، ودار للتمثيل. وكانت طرقاتها واسعة جيدة الرصف تزينها الهياكل والقصور، وكان شارعها الرئيسي، المعروف بالذهبي، مشهورا ذائع الصيت في بلاد اليونان بأجمعها.

وكانت أبعد المدن اليونانية شمالا مدينة فوقية Phocaea، ولا تزال قائمة إلى اليوم يطلق عليها اسم فوقية Fokia؛ وكان نهر هرمس يكاد يصلها بسرديس نفسها فأكسبها هذا الاتصال مزية عظيمة في تجارة اليونان مع ليديا، وكان التجار الفوقيون يسافرون أسفارا بعيدة بحثا عن الأسواق، وهم الذين حملوا الثقافة اليونانية إلى قورسقة Corsica وأسسوا مرسيليا.

تلك هي مدائن أيونيا الاثنتا عشرة ألقينا عليها نظرة عاجلة كأنا نطوف بها في رحلة جوية خلال الزمان والفضاء. لقد كان ما بين هذه المدائن من تنافس وتحاسد مانعا لها من أن تكون فيما بينها وحدة تعينها على الدفاع المشترك، ولكن أهلها مع ذلك كانوا يعترفون بما بينهم من تضامن واتفاق في المصالح، وكانوا يجتمعون في مراسم معينة في ميكالي Mycale، الأكمة الممتدة في البحر عند برين Prien، في عيد جميع الأيونيين Paniomium العظيم. وقد طلب إليهم طاليس أن يؤلفوا منهم جامعة يكون فيها كل ذكر رشيد مواطنا في مدينته وفي الاتحاد الأيوني، ولكن التنافس التجاري كان أقوى من أن يسمح بقيام هذه الجامعة، بل إنه بدل أن يؤدي إلى الوحدة السياسية أدى إلى التقاتل والتطاحن، ولما أن أقبل الفرس غازين فاتحين (٥٤٦ – ٥٤٥)، واتحدت تلك المدائن اتحادا **مرتجلا** للدفاع عن نفسها، كان هذا الاتحاد ضعيفا واهي الأساس، فلم تلبث المدن الأيونية أن دانت لسلطان الملك العظيم. على أن ما كانت تنطوي عليه قلوب." (٢)

"يكون **مرتجلا**. وتراه في بعض الأحيان يستنفد موضوع المسرحية الرئيسي قبل أن يبلغ منتصفها، ويتعارج ما بقي منها على عكازتي المجون والهزل حتى يصل إلى نهايتها. والفكاهة في العادة من النوع الدنيء؛ مثقلة بالجناس السهل الساذج، وتطول حتى لا يطيق الإنسان طولها، وكثيرا ما تستعار عباراتها من

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٦/١٥٨

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٦/٢٧٤

عمليات الهضم، والتكاثر، والتبرز. ففي مسرحية الأركانيين تسمع عن شخص لا ينقطع ساعة عن التبرز طيلة ثمانية أشهر (١٣١). وفي السحب نرى فضلات الإنسان الكبيرة تمتزج بالفلسفة العليا (١٣٢)، ولا تمر صفحة إلا نجد في التي تليها أردافا، وصدرا، وغددا تناسلية، وسفادا، ولواطا، واستنماء، كل ذلك يعرض علينا (١٣٣)؛ ثم نراه يتهم منافسه الشيخ أقراطينوس Cratinus بسيأ البول ليلا (١٣٤). وهو بهذا كله أكثر الشعراء القدامى شبها بأهل هذه الأيام لأن الإسفاف والبذاءة لا يختص بهما عصر من العصور. وإذا ما تحدثنا عنه بعد حديثنا عن مؤلف يوناني سواه - وبخاصة بعد حديثنا عن يوربديز - بدا لنا مسفا إلى حد تشمئز منه النفس وتنقبض، حتى ليصعب علينا أن نتصور أن النظارة الذين يستمعون إلى أحدهما هم بعينهم الذين يستمعون إلى الآخر.

وإذا كنا محافظين صادقين أطقنا هذا كله، وحجتنا في ذلك أن أرسطوفان يهاجم التطرف بكافة أشكاله، ويستمسك مخلصا بالفضائل والرذائل القديمة أيا كان نوعها. وهو على ما نعلم أحط الكتاب اليونان جميعهم خلقا، ولكنه يأمل أن يعوض هذا النقص بمهاجمة الفساد الخلقي، ونراه دائما إلى جانب الأغنياء، ولكنه يشتهر بالجبن؛ ويكذب كذبا يؤسف على يوربديز حيا وميتا، ولكنه يهاجم الغدر والخيانة؛ ويصف نساء أثينة بالفظاظة إلى حد غير معقول، ولكنه يشهر بيوربديز لأنه يفتري ويسخر بالآلهة سخرية جريئة (١). وإذا وازنا بينه وبين سقراط التقي لم نجد بدا من أن نصوره

---

(١) وقد ورد في أقواله: إن بعض الآلهة تقيم المواخير في السماء.." (١)

"١(هيَ عُذْرَةُ اللّذاّتِ واللّ ** ذّاتُ أطيبُهَا العذُرْ)(فاشْرَبْ نَعِمْتَ وأَسْقِهَا ** صِرفاً نَداهكَ الغُرَرْ)(وإذا أَدِيرَتْ نُخبةٌ ** وَمَضَى السّرورُ بِمَنْ يَسُرْ)٤ (فأمْلِ الكُؤُوسَ ونادِهِمْ ** هَلْ فِكُمُ مِنَ مُدّكَرْ)٥ (وتَغَنَّ مُرْتَجِلاً تُجِبْ ** كَ بِدَلّها ذاتُ الخَفَرْ)٦ (خُذْ منْ زَمانِكَ ما صفا ** وَدَعِ الذي فيهِ الكَدَرْ)٧ (فالدَّهْرُ أَقصرُ من مُعَا ** تبةِ الزّمانِ على الغِيَرْ)

". (٢)

" الجملة الأولى في أصل التسمية والمقصود منها وتنويع الأسماء وما يستحسن منها وما يستقبح

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٢٥/٧

(٢) ديوان كشاجم، ص/١٩٠

أما أصل التسمية فهي لا تخرج عن أمرين

أحدهما أن يكون الاسم **مرتجلا** بأن يضعه الواضع على المسمى ابتداء كأدد اسم رجل وسعاد اسم امرأة فإنهما ليسا بمسبوقين بالوضع على غيرهما والرجوع في معرفة ذلك إلى النقل والاستقراء

والثاني أن يكون الاسم منقولا عن معنى اخر كاسد إذا سمي به الرجل نقلا عن الحيوان المفترس وزيد إذا سمي به نقلا عن معنى الزيادة وما أشبه ذلك

وهذا هو أكثر الأسماء الأعلام وقوعا والرجوع في معرفته إلى النقل والاستقراء أيضا كما تقدم في المرتجل

وأما المقصود من التسمية فتمييز المسمى عن غيره بالاسم الموضوع عليه ليتعرف

وأما تنويع الأسماء فيختلف باختلاف المسمين وما يدور في خزائن خيالهم مما يألفونه ويجاورونه ويخالطونه

فالعرب أكثر أسمائهم منقولة عما لديهم مما يدور في خزائن خيالهم إما من أسماء الحيوان كبكر وهو ولد الناقة وأسد وهو الحيوان المفترس المعروف وإما من أسماء النبات كحنظلة وهو اسم الواحدة الحنظل الذي هو النبات المعروف من نبات البادية وطلحة وهو اسم لشجرة من شجر الغضى وعوسجة وهو اسم لشجرة من شجر البادية

وإما من أجزاء الأرض كحزن وهو الغليظ من الأرض وصخر وهو الصلد من الحجارة وإما من أسماء الزمان ." (١)

" المسالك في نعمه متسرع إليه تسرع مواهبه إلى وفود حرمه

وتوضح للعلم الكريم

الثالث ولا زالت العفاة تلتحف بنعمائه وتنتجع مساقط أنوائه وتستضيء منه بأشرق شمس طلعت من الملك سمائه أصدرناها وثناؤها يسابق عجلا ومدائحها تجيد مترويا **ومرتجلا** وشكرها لو رصع مع الجواهر لأقام عذر الياقوت إذا اكتسى خده الحمرة خجلا وتوضح للعلم الكريم

قلت وعلى نمط هذه الصدور يجري الكاتب فيما يكتبه إلى صاحبها مناسبا لحاله ولقبه بحسب ما يقتضيه الحال من المناسبات

---

(١) صبح الأعشى، ٥/٤٠٠

وهذه نسخة كتاب كتب به إلى الملك الصالح شرف الدين محمود بن الصالح صالح جوابا عما ورد به كتابه من وفاة والده المنصور أحمد

نقلتها من مجموع بخط القاضي تقي الدين ابن ناظر الجيش وهو أعز الله تعالى نصرة المقر الكريم إلى آخر ألقابه ولا زال الملك باقيا في بيته الكريم والفلك جاريا بإظهار شرفه العميم وأعظم له الأجر في أكرم ملك انتقل إلى جنات النعيم وهنأه بما أورثه من ذلك المحل الأسنى الذي هو الأولى فيه بالتقديم وضاعف لسلطانه الصالح علو جده بما منحه من ملكه الموروث عن المنصور أبيه والصالح جده وبما خصه من إقبالنا الشريف وإحساننا المستديم

أصدرناها معربة عن الود الثابت الصميم مهنئة له بقيامه بأمور مملكته التي تجملت بمحمود صفاته ومن سلف من أسلافه في الحديث والقديم مبدية لعلمه الكريم أن مكاتبته الكريمه ومخاطبته التي فضحت من الدر نظيمه وردت على أبوابنا الشريفة على يد فلان فأقبلنا عليها وألفتنا وجه الكرامة إليها وعلمنا ما ضمنته من استمساك المقر الكريم بأسباب الوداد وإقتفائه في ذلك سبيل الآباء والأجداد وما شرحه في معنى ما قدره الله تعالى من وفاة والده طاب ثراه مستمرا ." (١)

" فعند ذلك ذهب روعي وقوي روعي وقلت فهل له أتباع من الكتاب فأتعلق بحبالهم وأتأسى بهم في أقوالهم وأفعالهم لكي أتسم بسمة الكتاب وأثبت في جملة غلمان الباب قال أجل رأس الدست الشريف صنوه الكريم وقسيمه في حسبه الصميم به شد عضده وقوي كتده فاجتمع الفضل له ولأخيه وورثا سر أبيهما والولد سر أبيه ثم كتاب ديوان الإنشاء جنده وأتباعه وأولياؤه وأشياعه وكتاب الدست منهم أرفع في المقام وكتاب الدرج أجدر بالكتابة وصنعة الكلام

قلت القسم الثاني أليق بمقداري وأقرب إلى أوطاري ثم ودعت صاحبي شاكرا له على صنيعه وحامدا له على أدبه وتركته ومضيت وكان ذلك آخر العهد به ثم عدت إليه هو فرفعت إليه قصتي وسألته الإسعاف بإجابة دعوتي فقابلها بالقبول وأنعم بالمسؤول وقررني في كتابة الدرج الشريف واكتفى بالعرف عن التعريف وطابق الخبر واستغنيت بالعيان عن الأثر ثم قمت عجلا وأنشدت مرتجلا

(إذا ما بنو الفاروق في المجد أعرقوا ... ونالوا بفضل الله ما لا كمثله)

(وجلت دجى الظلماء أنوار بدرهم ... وعمت بقاع الأرض أنواء فضله)

(تعالت ذرى العلياء فيهم وأنشدت ... أبى الفضل إلا أن يكون لمثله)

---

(١) صبح الأعشى، ٧/٢٩٠

ثم تشرفت بتقبيل يده ومضيت إلى ما أنا بصدده قد منعتني هيبتي من اللياذ به والقرب إليه وصيرت عاطر مدحي وخالص أدعيتي وقفا عليه ." (١)

" وغبر وشاع ذكره واشتهر من ذوي المراتب العلية والمناصب السنية من يساوي هذا السيد الجليل فضلا أو يدانيه في المعروف قولا وفعلا قد لبس شرفا لا تطمع الأيام في خلعه ولا يتطلع الزمان إلى نزعه وانتهى إليه المجد فوقف وعرف الكرم مكانه فانحاز إليه وعطف وحلت الرأسة بفنائه فاستغنت به عن السوى وأناخت السادة بأفنائه فألقت عصاها واستقر به النوى فقصرت عنه خطا من يجاريه وضاق عنه باع من يناويه واجتمعت الألسن على تقريضه فمدح بكل لسان وتوافقت القلوب على حبه فكان له بكل قلب مكان

(ولم يخل من إحسانه لفظ مخبر ... ولم يخل من تقريظه بطن دفتر)

فهو الحري بأن يكتب بأقلام الذهب جميل مناقبه وأن يرقم على صفحات الأيام حميد مطالبه فلا يذهب على ممر الزمان ذكرها ولا يزول على توالي الدهور فخرها

ولما تم للعلوم هذا الاجتماع الذي قارن السعد جلاله وتفجرت ينابيع الفضل خلاله أقبلوا بوجوههم على الشعر معاتبين وبما يلزمه من تقريض هذا الحبر ومدحه مطالبين وقالوا قد أتى النثر من مدحه بقدر طاقته وإن لم يوف بجليل قدره ورفيع مكانته فلا بد من أن تختم هذه الرسالة بأبيات بالمقام لائقة ولما نحن فيه من القضية الواقعة مطابقة قائمة من مدحه بالواجب سالكة من ذلك أحسن المسالك وأجمل المذاهب لتكمل هذه الرسالة نظما ونثرا وتفتن في صناعة الأدب خطابة وشعرا فقال سمعا وطاعة واستكانة وضراعة ثم لم يلبث أن قام عجلا وأنشد **مرتجلا**

(بشراكم معاشر العلوم أن ... جمعتم بصدر حبر كامل)

(فنونه لم تجتمع لعالم ... وفضله لم يكتمل لفاضل)

(يشفي الصدور إن غدا مناظرا ... وبحثه فزينة المحافل)

(كم عمرت دروسه من دارس ... وزينت بحليها من عاطل) ." (٢)

"أن كليهما يحسن الإجابة الحادة المسكتة ويستطيع أن يفاجئ السائل غير ما قد يتوقعه من جواب، فإذا سأل: من أين أنت؟ (مثلا) قال: من أبي وأمي (١) .

---

(١) صبح الأعشى، ١٤/١٤٤

(٢) صبح الأعشى، ١٤/٢٦٢

ويتصور إن البطلان الشاعر أوميرس نموذجا للطريقة اليونانية لدى الشعراء، فهو إذا هاتره أحدهم لم يهجه مباشرة وإنما رد نازعا بمثل خرافي، فقد جاءه مرة أبانو الماجن فقال: اهجني بهجائك إذا لم أكن أهلا لمديحك، فقال اوميرس: لست فاعلا ذلك أبدا، فقال له: إني أمضي إلى رؤساء اليونانيين وأشعرهم بنكولك، فقال له **مرتجلا**: بلغنا أن كلبا حاول قتال أسد بجزيرة قبرص، فامتنع الأسد أنفة منه، فقال له الكلب: إني لأشعر السباع بضعفك، فقال السبع: لأن تعيرني الأسد بالنكول عن مبارزتك أحب إلي من أن ألوث شاربي بدمك (٢) (وهي القصة التي تروى عن الحمار والخنزير البري عند فايدرس ١: ٢٩) (٣) .

ومرة أخرى لجأ أوميرس إلى هذه الطريقة نفسها حين افتخر عليه إبرخس (Hppi archus) الشاعر بكثرة الشعر وسرعة العمل وعيره ببطء عمله وقلة شعره، فقال أوميرس: بلغنا أن خنزيرة بإنطاكية عيرت لبوة بطول زمان حملها وقلة الولد فافتخرت عليها بضد ذلك، فقالت اللبوة: لقد صدقت، إني ألد الولد بعد الولد، ولكن أسد (٤) (وتروى عن اللبوة والثعلب في قصص إيسوب (٥) وهي كذلك في الكلم الروحانية: ١٣١ وابن العبري: ٥٠).

ويمكننا أن نرد هذا التوافق بين الشخصيتين وأقوالهما وطريقتهما إلى الأسباب العامة التي ذكرناها عند الحديث عن الاضطراب في نسبة القول الواحد إلى غير واحد من الناس، ولكن لا بد من أن نضيف هنا شيئا آخر، وهو أن المجموعة التي تعرف باسم

---

(١) منسوبة لاوميرس في مختار الحكم: ٣٠ ولايسوب عند دالي: ٤٢.

(٢) خمس رسائل، مخطوطة الموصل الورقة: ١٦٢ وتاريخ الحكماء: ٦٧ (ويبدو أنه نقلها عن ابن بطلان).

(٣) Phaedrus، Book 1، P. 225.

(٤) خمس رسائل، مخطوطة الموصل: ١٦٢ وتاريخ الحكماء: ٧٠.

(٥) دالي رقم: ٢٥٧ ص: ٢٠٠ وتحريج المصادر الأخرى في : Babrius، Appendix No. 257.." (١)

"٣٥ – أبو القاسم غانم بن محمد بن أبي العلا الاصبهاني، له صاحبيات مدحا ورثاء قال الثعالبي في تتميم يتيمته: كان يساير الصاحب يوما فرسم له وصف فرس كان تحته فقال **مرتجلا:**

طرف تحاول شأوه ريح الصبا سفها فتعجز أن تشق غباره

---

(١) ملامح يونانية في الأدب العربي، ص/٦٠

بارى بشمس قميصه شمس الضحى صبغا ورض حجاره بحجاره

٣٦ – أبو بكر محمد بن أحمد اليوسفي الزوزني له صاحبية أولها:

أطلع الله للمعالي سعودا وأعاد الزمان غضا جديدا

ومنها:

بعث الدهر جنده وبعثنا نحوه دعوة الإله جنودا

يا عميد الزمان إن الليالي كدن يتركن كل قلب عميدا

حادثات أردن إحداث هدم لعلاه فأحدثت تشييدا

وله من أخرى قوله:

سلام عليها إن عيني عندما أشارت بلحظ الطرف تخضب عندما

٣٧ – أبو بكر يوسف بن محمد بن أحمد الجلودي الرازي له قصيدة صاحبية منها قوله:

رياض كأن الصاحب القرم جادها بأنوائه أو صاغها من طباعه

يجلي غيابات الخطوب برأيه كما صدع الصبح الدجى بشعائه

ومن٥ا:

سحاب كيمناه وليل كبأسه وبرق كماضية وخرق كباعه

٣٨ – أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني، قال فريد وجدي في (دائرة المعارف) (١) : مدح الصاحب بقصايد فأعجبه نظمه توفي سنة ٣٨٣هـ .

٣٩ – أبو منصور الجرجاني، كتب إلى الصاحب قوله:

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة الملتجى

إني رزقت ولدا كالصبح إذ تبلجا

لا زال في ظلك ظل المكرمات والحجى

فسمه وكنه مشرفا متوجا

فوقع الصاحب تحتها بقوله:

هنئته هنئته شمس الضحى بدر الدجا

فسمه محسنا وكنه أبا الرجا

٤٠ – الأوسي مدح الصاحب ببائية أنشدها بين يديه فلما بلغ إلى قوله :

لما ركبت إليك مهري أنعلت بدر السماء وسمرت بكواكب

قال له الصاحب. لم أنثت المهر؟ ولم شبهت النعل بالبدر ولا يشبهه؟ ولو شبهته بالهلال لكان أحسن فإنه علي هيئته فقال: الأوسي: أما تأنيث المهر فلأني عنيت المهرة؟ وأما تشبيهي النعل ببدر السماء فلأني أردت النعل المطبقة.

_ـ_ـــــ_ـــــ

(١) دائرة المعارف ٦/٢٠." (١)

"٤(لما تقلدها وكانت ناشزاً ** ألقتْ عصاها للمقام وقرتِ) ٤(موسومة بكمُ فمن تعلقْ بها ** دعواهُ يفضحهُ علاطُ الوسمةِ) ٤(نيطتْ عراها منه بابنِ نجيبةٍ ** سهلِ الخطا تحتَ الخطوبِ الصعبةِ) ٤٤ (يقظانَ يلتقطُ الكرى من جفنهِ ** نظرُ العواقبِ واتقاءُ العذرةِ) ٤٥ (لا يطمئنُّ على التواكلِ قلبهُ ** فيما رعى إن نامَ راعي الثلةِ) ٤٦ (تدجو الأمور وعنده من رأيه ** شمس إذا ما جنَّ خطبٌ جلتِ) ٤٧ (و يصيبُ مرتجلاً بأول خطرةٍ ** أغراضَ كلَّ مخمر ومبيتِ) ٤٨ (تدمى بنانُ النادمين وسنهُ ** ملساءُ إثرَ ندامةٍ لم تنكتِ) ٤٩ (ما ضمَّ شملَ الملكِ إلا رأيهُ ** بعد انشار شعاعهِ المتشتتِ) ٥٠ (حسرَ القذى عن حوضهِ وسقى على ** طولِ الصدى فشفى بأولِ شربةِ)

---

(٢) ".

"مصادر الشعر الجاهلي

الفصل الأول: كتابة الشعر الجاهلي

من نعمته. وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا". وقال ابن جني١:

"ليس جميع الشعر القديم مرتجلا، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه، والملاطفة له، والتلوم على رياضته، وإحكام صنعته نحو مما يعرض لكثير من المولدين، ألا ترى إلى ما يروى عن زهير، من أنه عمل سبع قصائد في سبع سنين، فكانت تسمى حوليات زهير؛ لأنه كان يحوك القصيدة في سنة؟..".

---

(١) رسالة ابن عباد في أمثال المتنبي، ص/١٤

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/٢٧٨

وهذا شاعر جاهلي هو امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن حارث الكندي، ويقال له الذائد، يصف "عملية الانتخاب الفني" للألفاظ فيقول٢:

أذود القوافي عني ذيادا ذياد غلام غوي جرادا

فلما كثرن وأعيينني تنقيت منهن عشرا جيادا

فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من درها المستجادا

ويقول كعب بن زهير٣:

فمن للقوافي -شأنها من يحوكها- إذا ما ثوى كعب وفوز جرول

يقول فلا يعيا بشيء يقوله ومن قائليها من يسيء ويعمل

نقومها حتى تقوم متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل

كفيتك، لا نلقى من الناس واحدا تنخل منها مثل ما نتنخل

---

١ الخصائص ١: ٣٣٠.

٢ الآمدي: المؤتلف والمختلف: ١٠

٣ ديوانه: ٥٩-٦٠.

١١٩ ٧١٧." (١)

"""""""" صفحة رقم ٦٢ """""""

ثم شقت جيوبهن القواري . . . ر عليه ونحن نوح اللهيف

يا كساد الخيار شنبر والأق . . . راص طرا ويا كساد السفوف

كنت تمشي مع القوي فإن جا . . . ء ضعيف لم تكترث بالضعيف لهف نفسي على صنوف رقاعا . . .

ت تولت منه وعقل سخيف

وقال أبو الشبل : كان خالد بن يزبد بن هبيرة يشرب النبيذ ، وكان يغشانا ، وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها لهب ، كانت تغشانا معه ، وكنت أعبث بها كثيرا . فقام مولاها يوما إلى الخابية يستقي نبيذا ، فإذا قميصه قد انشق ، فقلت فيه :

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، /

قالت له لهب يوما وجاد لها . . . بالشعر في باب فعلان ومفعول

أما القميص فقد أزرى الزمان به . . . فليت شعري ما حال السراويل

قال أبو الشنبل : وكانت أم خالد هذا ضراطة تضرط على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع . فقلت فيه :

في الحي من لا عدمت خلته . . . فتى إذا ما قطعته وصلا

له عجوز بالحبق أبصر من . . . بصرته ضاربا ومرتجلا

نادمته مرة وكنت فتى . . . ما زلت أهوى وأشتهي الغزلا

حتى إذا ما أمالها سكر . . . يبعث في قلبها لها مثلا

اتكأت يسرة وقد خرفت . . . أشراجها ك تقوم الرملا

فلم تزل إستها تطارحني . . . اسمع من يسومني العللا

وقال محمد بن المرزبان : كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبي ، وكان إذا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٨ """""""

ذكر أخبار سائب خاثر

هو أبو جعفل سائب بن يسار ، مولى لبني ليث . وأصله من فيء كسرى ، وأشتراه عبد الله بن جعفر فأعتقه . وقيل : بل كان على ولائه لبني ليث ، ولكنه أنقطع إلى عبد الله بن جعفر ولزمه وعرف به . وهو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به . قال : وكان عبد الله بن عامر بن كريز سبي إماء صناجات فأتى بهن المدينة . فكن يلعبن في يوم الجمعة ويسمع الناس منهن ، فأخذ عنهن . وقدم رجل فارسي يعرف بنشيط ، فغنى ، فعجب عبد الله بن جعفر منه . فقال له سائب خاثر : أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية . ثم غدا علي عبد الله بن جعفر وقد عمل في :

لمن الديار رسومها قفر . . . لعبت بها الأرواح والقطر

وخلالها من بعد ساكنها . . . حجج مضين ثمان أو عشر

والزعفران على ترائبها . . . شرق به اللبات والنحر

قال أبن الكلبي : وهو أول صوت غنى به ف الإسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة . قال : ثم أشترى عبد الله بن جعفر نشيطا بعد ذلك ؛ فأخذ عنه سائب خاثر الغناء العربي ، وأخذ عنه أبن سريج وجميلة ومعبد وعزة الميلاء وغيرهم . وقيل : إنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب ويغني مرتجلا .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٦٢/٤

قال أبن الكلبي : وكان سائب تاجرا موسرا يبيع الطعام بالمدينة ، وكان تحته أربع نسوة . وكان أنقطاعه إلى عبد الله بن جعفر ، وهو مع ذلك يخالط سروات الناس وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلى على نفسه ألا يغني أ ؛ دا سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٣٣ """"""""

والله مع جلائل نساء قومي أمسك بذيولهن يوم زفت أمك المباركة إلى أبيك الطيب . فاستحيا أبان ورمى بطرفه إلى الأرض .

ذكر أخبار عبد الله بن سريج

هو أبو يحيى عبد الله بن سريج ، مولى بني نوفل بن عبد مناف . وقال أبن الكلبي : إنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب . وقيل : إنه مولى لبني ليث ، ومنزله بمكة . وقال الحسن بن عتبة اللهبي : إنه مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . وحكى أبو الفرج الأصبهاني أنه كان آدم أحمر ظاهر الدم سناطا ، في عينيه قبل ، وبلغ خمسا وثمانين سنة ، وكان منقطعا إلى عبد الله بن جعفر .

ونقل أيضا عن أبن الكلبي أنه كان مخنثا أحول أعمش ، يلقب وجه البا . وكان لا يغني إلا متنقبا ، مسبل القناع على وجهه . قال : وكان أحسن الناس غناء ، وكان يغني مرتجلا ويوقع بقضيب ، وقيل : كان يضرب بالعود . وغنى في زمن عثمان بن عفان ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك . وقيل : كان أسمه عبيد بن سريج من أهل مكة . وقال أبن جريج : كان عبيد بن سريج مولى آل خالد بن أسيد ، وقيل : كان أبوه تركيا . وقيل : كان عوده على صنعة عيدان الفرس ، وهو أول من ضرب به على الغناء العربي بمكة ؛ وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم أبن الزبير لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم . فقال أبن سريج : أنا أضرب به على غنائي ، فضرب به فكان أحذق الناس . وأخذ الغناء عن سعيد بن مسجح ، وقد تقدم ذكر ذلك . وأول ما أشتهر بالغناء في ختان أبن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين . قال أبن سريج لأم الغلام : خفضي عليك بعض المغرم والكلفة ، فوالله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به . وكان معبد إذا أعجبه غناء نفسه قال : أنا اليوم سريجي . ومن أخباره أيضا أن عطاء بن أبي رباح لقيه بذي طوى وعليه ثياب مصبغة وفي يده جرادة مشدودة الرجل بخيط يطيرها ويجنبها كلما تخلفت ؛ فقال له عطاء : يا فتان ، ألا تكف عما أنت فيه كفى الله الناس مئونتك . فقال له أبن سريج : وما على." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب. ، ٢٢٨/٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب. ، ٢٣٣/٤

"""""""" صفحة رقم ٢٤١ """"""""

شدة السلطان في الغناء وندائه فيه . فقلت له : أتردهم ؟ قال : لا والله فكيف لي بالعود ؛ فقلت : أنا أخبؤه لك فشأنك . فركب وسترت العود فأردفني . فلما كنا ببعض الطريق إذا بنافع بن علقمة قد أقبل ؛ فقال لي : يا أبن بركة ، هذا الأمير . فقلت له : لا بأس عليك أرسل عنان البغلة وأمض ولا تخف ، ففعل . فلما حاذيناه عرفني ولم يعرف أبن سريج ، فقال لي . يا أبن بركة ، من هذا أمامك ؟ قلت : من ينبغي أن يكون هذا أبن سريج ؛ فتبسم ثم تمثل :

فإن تنج منها يا أبان مسلما . . . فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

ثم مضى ومضينا . فلما كنا قريبا من القوم نزل إلى شجرة يستريح . فقلت له : غنني مرتجلا ؛ فرفع صوته فخيل إلي أن الشجرة تنطق معه ، فغنى وقال :

كيف الثواء ببطن مكة بعدما . . . هم الذين تحب بالإنجاد

أم كيف قلبك إذ ثويت مخمرا . . . سقما خلافهم وكربك بادي

هل أنت إن ظعن الأحبة غادى . . . أم قبل ذلك مدلج بسواد

قال : فقلت : أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ولو أن كنانة كلها سمعتك لأستحسنتك ، فكيف بنافع بن علقمة المغرور من غره نافع . ثم قلت : زدني وإن كان القوم متعلقة قلوبهم بك ؛ فغنى وتناول عودا من الشجرة فوقع به على الشجرة ؛ فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون الضأن على العيدان إذا أخذتها عيدان الدملى ، وغنى :

لا تجمعي هجرا علي وغربة . . . فالهجر في تلف المحب سريع

من ذا فديتك يستطيع لحبه . . . دفعا إذا أشتملت عليه ضلوع." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٧٨ """"""""

جيد الصنعة حسن الزي والمروءة فقيها قارئا للقرآن . وقيل : إنه كان معدل الشهادة بالمدينة . وأدرك دولة بني أمية وبقي إلى أول أيام الرشيد . وكان يغني مرتجلا .

وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه قال : لما أستخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة فأمره بإشخاص عطرد المغنى إليه ، ففعل . قال عطرد : فدخلت على الوليد وهو جالس في قصره على شفير بركة مرصصة مملوءة خمرا ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سباحة . قال : فوالله ما تركني أسلم

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٤١/٤

حتى قال : أعطرد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ما زلت إليك مشتاقا يا أبا هارون ، غنني :

حي الحمول بجانب العزل . . . إذ لا يشاكل شكلها شكلي

الله أنجح ما طلبت به . . . والبر خير حقيبة الرحل إني بحبلك واصل حبلي . . . وبريش نبلك رائش نبلي

وشمائلي ما قد علمت وما . . . نبحت كلابك طارقا مثلي

قال : فغنيته إياه ، فوالله ما أتممته حتى شق حلة وشي كانت عليه لا أدري كم قيمتها ، فتجرد منها كما ولدته أمه ، وألقى نفسه في البركة فنهل منها حتى تبينت أنها قد نقصت نقصانا بينا ، وأخرج منها وهو كالميت سكرا ، فأضجع وغطى ؛ فأخذت الحلة وقمت وأنصرفت إلى منزلي متعجبا من فعله . فلما كان في غد ، جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني . فلما دخلت عليه قال : يا عطرد ؟ قلت : لبيك يا أمير المؤمنين قال : غنني :

أيذهب عمري هكذا لم أنل به . . . مجالس تشفى قرح قلبي من الوجد." (١)

""""""""" صفحة رقم ٦٩ """""""

فلولا هي لم يكن كلاما ؛ وإن كانت النكرة موصوفة جاز حذفها ولكن دخولها أصلح ، كقول حسان :

إن دهرا يلف شملي بجمل . . . لزمان يهم بالإحسان

الرابعة : أنها قد تغني عن الخبر ، كما إذا قيل لك : الناس إلب عليكم فهل لكم أحد ؟ فقلت : إن زيدا وإن عمرا أي لنا ، قال الأعشى :

إن محلا وإن مرتجلا . . . وإن السفر إذ مضوا مهلا

الخامسة : قال المبرد : إذا قلت عبد الله قائم ، فهو إخبار عن قيامه فإذا قلت : إن عبد الله قائم ، فهو جواب عن إنكار منكر لقيامه ، سواء كان المنكر هو السائل أو الحاضرين ، والدليل على أن إن إنما تذكر الجواب السائل أنهم ألزموها الجملة من المبتدأ والخبر ، والله إن زيدا لمنطلق ، فالحاجة إنما تدعوا إلى " إن " إذا كان للسامع ظن يخالف ذلك ، ولذلك تراها تزداد حسنا إذا كان الخبر بأمر يبعد ، كقول أبي نواس :

عليك باليأس من الناس . . . إن غنى نفسك في الياس

ومن لطيف مواقعها أن يدعى على المخاطب ظن لم يظنه ولكن " صدر " منه فعل يقتضي ذلك الظن ،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٤/٢٧٨

فيقال له : حالك تقتضي أن تكون قد ظننت ذلك ، كقول الشاعر :

جاء شقيق عارضا رمحه . . . إن بني عمك فيهم رماح." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٣٥ """""""

وأنا وفدهم في كل يوم . . . فإن عميوا فسل بهم عريفا

وليلة قادس لم يشعروا بي . . . ولم أشعر بمخرجي الزحرفا

فإن أحبس فذلكم بلائي . . . وإن أترك اذيقهم الحتوفا

فقالت له سلمى : في أي شيء حبسك ؟ فقال : أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ؛ ولكني صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني ، فقلت **مرتجلا** في ذلك أبياتا :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة . . . تروي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفههي بالفلاة فإنني . . . أخاف إذا مامت ألا أذوقها

فلذلك حبسني ، فلما اصبحت أتت سعدا فصالحته واخبرته بخبر أبي محجن ، فأطلقه ، وقال : اذهب ، فما أنا بمؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال : لاجرم والله لا اجيب لساني إلا قبيح أبدا .

وقد قيل : إن سعدا لما أخبر بأمره دعاه وحل قيوده ، وقال : لاتجلدن على الخمر ابدا : فقال أبو محجن : وأنا ولله لا أشربها أبدا ، فقد كنت آنف أن أدعها من اجل جلدكم .

وقيل : بل قال : قد كنت أشربها إذ يقام على الحد وأطهر منها ، فأما إذا بهرجتني فوالله لا أشربها أبدا .

ذكر يوم عماس وهو اليوم الثالث

قال : وأصبح الناس في هذا اليوم وبين الصفين من صرعي المسلمين ألفان من جريح وقتيل ، ومن المشركين عشرة آلاف ، فنقل المسلمون قتلاهم إلى المقابر ، وجرحاهم إلى النساء ، وكان النساء والصبيان يحفرون القبور ويداوون الجرحى ، وأما قتلى المشركين فبين الصفين لم ينقلوا ، وبات القعقاع تلك الليلة بسرب أصحابه إلى المكان الذي كان فارقهم فيه ، وقال : إذا طلعت الشمس فاقتلوا مائة مائة ، فإن جاء هاشم فذاك ، وإلا جددتم للناس رجاء جديدا . ولم يشعر به أحد ، وأصبح الناس على مواقفهم .." (٢)

"فقد تمرست بمن شعره ... كالبحر لا ينزفه الماتح

كم جامح قبلك ألجمته ... بالذل حتى سكن الجامح

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٦٩/٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ١٣٥/١٩

وقوله:

يا ذا الذي عن رشده قد عمي ... لو كنت جلدا حدت عن أسهمي

لو كنت شهما حازما ضابطا ... لما تقلبت على الشيهم

ما أنت في فعلك إلا كمن ... تطعم الريق من الأرقم

كيف يخوض البحر من مثله ... يغرق في دائرة الدرهم

فاثبت أو أجزع كل ذا واحد ... لا عاصم اليوم لمستعصم

استقدر الله على كا ما ... ألصق منك الأنف بالمرغم

تجاسر الجوع على صالح ... تجاسر الكلب على الضيغم

وفاه باسمي مفصحا بعدما ... تركته أسكت من أبكم

وقال قوم قد غدا شاعرا ... والشعر لا يعرف للمفحم

فقلت لا لوم على مثله ... من أخذ الصفع قفاه حمي

أنا الذي ألبسته حسرة ... بما جرى من ذكره في فمي

والله لا يجهل من بعدها ... وفي قفاه للردى ميسمي

أبين به من ميسم واضح ... يضيء كالغرة في الأدهم

فليت شعري كيف رام العلا ... وهم أن يرقى بلا سلم؟!

ومنها:

ثم أتت بالصعو مستبشرا ... يروم أن يلحق بالقشعم

في الثمر المر دليل على ... رداءة الأصل لمستطعم

وله فيه:

لا تعجبي لسكوتي بعد أشجاني ... فالعذر عن كل ما أهواه أسلاني

قد أرقأ الله دمعي بعد جريته ... وأنفذ القلب من هم وأحزان

فما أرى أحدا يصفي الهوى أحدا ... وجود هذا رعاك الله أعياني

لم يبق بين الورى إلا مكاشرة ... تبدو لنا عن صدور ذات أضغان

أقول لابن أبي الجوع المنافق إذ ... لم ينهه الحلم عني وهو ينهاني

أراك تقرعني سرا وتعجمني ... فهل وجدت صفاتي غير صوان

ترد في جبهة النقار معوله ... إذا تضعضع عنها كل كدان

العز داري وظهر العزم راحلتي ... والوحش أنسي وجن الأرض إخواني

وله في العناق، وأحسن ما شاء:

لي سيد ما مثله سيد ... تصدت الحمى له فاشتكى

عانقته عند موافاتها ... والأفق بالليل قد احلولكا

فجاءت الحمى كعاداتها ... فلم تجد ما بيننا مسلكا

وقوله يصف برادة على حامل نحاس:

أم الحياة على سرير نحاس ... عريانة أبدا بغير لباس

هي في الموات لدى الورى معدودة ... لكنها ضمنت حياة الناس

وقوله:

بعين الله أنت فإن عيني ... إذا ما غبت دامية الجفون

كأنك مهجتي فإذا تدانى ... فراقك حم لي ريب المنون

وقال يصف البنفسج والورد:

بنفسج جاء في حداد ... ووردنا في معصفرات

فاشرب على مأتم وعرس ... جلا جميعا عن الصفات

وسأله ابن رشدين المسير معه إلى القاش فقال **مرتجلا:**

يا آمري بالمسير في لجج ال ... نيل كأن سخرت لي الريح

ما جمد الماء لي فأركبه ... كلا، ولا صامت التماسيح

محمد بن الحسن اليمني

أنشدت له في صالح:

يا قاطعي بعد وصل ... تسوم ما لا أسومك

يا ليت أني يوما ... من الزمان نديمك

فالشوق عندي غريم ... كما السلو غريمك

وقوله:

فاضح الغن النضير ... كاسف البدر المنير

أنت عذري في حياتي ... ومماتي ونشوري

ما سرور غاب عنه ... صالح لي بسرور

محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوه:

يا وزيرا إلى المكا ... ييل والبيع ينسب

من يرم حبك يتعب ... وأمانيه تكذب

وإذا ما رجوته ... قلت ما مات أشعب

يا وضيعا ترجل ال ... مجد مذ صار يركب." (١)

"يحكي محياه خلال عذاره ... علم السلامة في طراز العافيه

وقال:

إذا رمت من سيد حاجة ... فراع لديه الرضا والغضب

فإن التهجم ليل المنى ... وإن الطلاقة صبح الأدب

وقال:

لا تحسبن هشاشتي لك عن رضى ... فوحق فضلك إنني أتملق

ولقد نطقت بشكر برك مفصحا ... ولسان حالي بالشكاية أنطق.

وقال:

شكرتك طول الدهر غير مقابل ... ندى لك، بل جريا على طول منتي

ومن لك بالطرف الجواد بمسكه ... بلا سنبل يرعاه في أرض تبت

وقال:

أدل على ثقة بالهوى ... وقلب تضمن صفو المقه

فلا تنكرن دلالا له ... فإن الدلال دليل الثقه

وقال:

أدى الخلاف لك الخلاف تشابها ... وكلاهما في الاختيار ذميم

لو كان خيرا في الخلاف لزانه ... ثمر، ولكن الخلاف عقيم

---

(١) يتيمة الدهر، ١٣٥/١

وقال:

الله يعلم أني لست ذا بخل ... ولست مطلبا في البخل لي عللا

لكن طاقة مثلي غير خافية ... والنمل يعذر في القدر الذي حملا

وقال:

ما أنت في الأخذ من دون العطاء سوى ... ص ا بون غاسلة معنى ومرتسما

فما ترى دسما يوما بظاهره ... ودأبه أن يغسل الدسما

وقال:

لما سئلت عن المشيب أجبتهم ... قول امرىء في أمره لم يمذق

طحن الزمان بريبه وصروفه ... عمري فثار طحينه في مفرقي

وقال:

شيبي عزيز غير أن شبيبتي ... علق كريم لا يجاوزه الأمل

من ذا الذي ساوى سواد لحاظه ... ببياض عينيه وحسبك ذا المثل

وقال:

تعلم من الأفعى أمالي طبعها ... وآنس إذا أوحشت تعف عن الذم

لئن كان سم ناقع تحت نابها ... ففي لحمها ترياق غائلة السم

وقال:

يا من يقابل ديناري بدرهمه ... أقصر فدعواك طاووس بلا ريش

وأي عيب لعين الشمس إن عميت ... أو قصرت عنه أبصار الخفافيش

وقال:

عليك بإغباب الوصال فضده يعيد حبال الود منك رثاثا

ولو كلف الإنسان رؤية وجهه ... لطلقه بعد الثلاث ثلاثا

وقال:

أظن زمان سوء قارف أبنة ... فإني أراه يتبع العلج والغمرا

زففت إلى دهري عروس كفايتي ... فطلقها قبل الدخول بها عشرا

وقال يعزي الشيخ أبا الطيب سهل بن أحمد بن سليمان عن ابنه:

من مبلغ شيخ أهل العلم قاطبة ... عني رسالة محزون وأواه

أولى البرايا بحسن الصبر ممتحنا ... من كل فتياه توقيع عن الله

وقال:

عليك عند اعتراض الهم بالقدح ... فإنه أبدا قداحه الفرح

وقال من الرجز:

عبس لما أن مسست نقله ... كأنني نزعت منه مقله

وقال له يوما أبو الفتح البستي: يا شيخ، ما تقول في الكرنب؟ فقال **مرتجلا**: أطعمه إن لم يكن كري بي

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

من أعاجيب الدنيا، وذلك أنه من الفارابإحدى بلاد الترك، وهو إمام في علم لغة العرب، وخطه يضرب به المثل في الحسن ويذكر في الخطوط لمنسوبة لخط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي، ثم هو من فرسان الكلام، وممن آتاه الله قوة وبصيرة، وحسن سريرة وسيرة، وكان يؤثر السفر على الوطن،والغربة على السكن والمسكن، ويخترق البدو والحضر، ويدخل دريار ربيعة ومضر، في طلب الأدب، و إتقان لغة العرب. وحين قضى وطره من قطع الآفاق، والاقتباس من علماء الشام والعراق، عاود خراسان، وتطرق الدامغان، فأنزله أبو علي الحسن ابن علي – وهو من أعيان الكتاب وأفراد الفضلاء – عنده وبذل في إكرام مثواه وإحسان قراه جهده. وأخذ من أدبه وخطه حظه، ثم سرحه بإحسان إلى نيسابور فلم يزل مقيما بها على التدريس والتأليف وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف، والدفاتر اللطائف، حتى مضى لسبيله، عن آثار جميلة،وأخبار حميدة.." (١)

"إذا الماء مثل لي ظلها ... توهمتها مخوضا في قدح

وقوله في السفرة:

ورافعة إليك بلا جفون ... عيونا لا تطيق لها انطباقا

تبسم في المنازل عن وجوه ... رماها الحسن تأتلق أئتلاقا

مزخرفة كأن الروض فيها ... إذا استجليت لحظا وانتشاقا

جصصناها بزنار ظريف ... ففاقت كل مجتص وفاق

إذا وضعت يكون لها نطاقا ... وإن رفعت يكون لها خناقا

فلم نر مثلها بدرا منيرا ... ولم نر مثل ايدينا محاقا

---

(١) يتيمة الدهر، ١١٧/٢

وقوله في البيضة:

وصفراء في بيضاء رقت غلالة ... لها وجفا ما فوقها من ثيابها

جماد ولكن بعد عشرين ليلة ... ترى نفسها معمورة من خرابها

وقوله في باقي البقل:

وغضة رطبة يضمنها ... نخاسها حين تجتلي ملحا

إذا اشتروها تنصرت فإذا ... ادخلت البيت اسلمت مرحا

وقوله في الزبور:

واعجمي لابس لبس العرب ... لا يستفيق من غناء إن ركب

مبرقع ببرقع من الذهب ... يضحي ويمسي بحقائب محتقب

وخنجر يسله عند الغضب ... كأنه شعلة نار تلتهب

وقوله في المقراض:

وذي جسمين لايفر ... ق ما بينهما ناظر

إذا ما بخصوا عيني ... ه امسي فمه فاغر

وقوله في السيف:

ومستعرض صاحبا لا يزا ... ل يحمي من الذل اطواقه

فطورا يطول من وجهه ... وطورا يعرض اشداقه

وقوله في الميزاب:

ومخطف قد ابرزوه باديا ... تلقاه في الصيف فقيرا عاريا

وفي الشتاء باللجين حاليا ... إذا يداه التقطت لأليا

صاغت لنا منه حساما ماضيا.

وقوله في الكتب:

ومستودع سرا تضمن صونه ... فاصبح منه في الضمير مكتما

إذا ما طوى كشحا على سر صاحب ... تمنطق حزما فوقه وتختما

وقوله في صورته التي يراها في المرآة:

وزائر لست في عشقي ولا شغفي ... بوجهه حين ألقاه بمحجوج

يظل يلحظني عجبا والحظه ... وبيننا سد يأجوج ومأجوج

وقوله في الحمام:

ومنزلة اقوام إذا ما التفوا به ... تشابه فيه وغده ورئيسه

يخالط فيه المرء غير خليطه ... ويضحي عدو المرء وهو جليسه

ينفس كربي أن تزيد كروبه ... ويونس قلب أن يقل أنيسه

إذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت ... علك به أقماره وشموسه

أبو المكارم المطهر بن محمد البصري: أحد من طوف في الآفاق ولا راحلة له إلا الرجلة ولا حرفة الا شحذ المدية في الجدية، وهو شاعر سريع الخاطر كثير النوادر في الجد والهزل وهو القائل:

رأيت الشعر للسادات عزا ... ومنقبة وصيتا وارتفاعا

وللشعراء هونا وانخفاضا ... ومجلبه لذل واتضاعا

وذكر بعض الرؤساء فقال: حضرته عوذة من الفقر وطلعته أمان من الزمان، وشكى بعضهم فقال: توقعت إيجابا فلم ار إلا حجابا واعجابا، وذكر آخر فقال: ما هو الا ثقل الدين على وجع العين، وحدثني الدهقان أبو علي القومسي قال حضر عندي بالدامغان وقد إلينا المشمش فقال في الوقت **مرتجلا:**

ومشمش سوء قد أكلنا غدية ... بمجلس حر وهو خير صديق

إذ ما منحنا العيون حسبته ... رؤس ايور ضمخت بخلوق

فتنغصت باليوم والمشمش وفرضت على نفسي ترك تناوله، وقال لي في كلام له: لم افدك بنفسي لأنها قيمة لك وزنة بك ولكنها طاقة المجتهد.

أبو القاسم علي بن محمد البهدلي الايلي: ذكر صديقا له فقال: ان اتيته حجب وان قعدت عنه عتب وان عاتبته غضب، ولمؤلف الكتاب في هذا المنى:

ان غبت عنك شكوتني ... وإذا وصلت هجرتني

وتظل لي مستبطئا ... وإذا حضرت حجبتني

ووجدت في تعليقاتي بعد فراغي من كتاب اليتيمة للبهدلي وقد نسيت اسم من أنشدنيه:

للناس بيت يديمون الطواف به ... ولي بمكة دون الناس بيتان." (١)

---

(١) يتيمة الدهر، ٢/١٣٩

"كفاني من الأيام أنك سالم ... وإن لم تجبني من جنابك سول

وقوله من سلطانية وهي آخر شعره:

لقد اقبل النيروز جذلان فاسعد ... وإن كنت مسعودا كما أنت فازدد

وزف كؤوس الراح خمرا تسليا ... عن الدم في حد الحسام المهند

فهذي الصبا غناجة دون نومة ... مرنقة في مقلة النرجس الندي

تقبل ثغر الأقحوان وتنتهي ... إلى لطم خد الوردة المتورد

ومنها:

غدا الملك يرجو آل محمود الرضى ... كما يترجى الدين آل محمد

أناصر دين الله حافظ خلقه ... ظهير أمير المؤمنين اسع واسعد

خذ السيف واملك لا تدع متغلبا ... على الأرض إلا في وثاق مقيد

فليس صلاح الأمر إلا بواحد ... فإن ينتصب للأمر اثنان يفسد

وأعظم غبن أن يرى الملك مغصيا ... على شر أرض من بلادك مفرد

أبوالقاسم غانم بن محمد بن أبي العلاء الإصبهاني: تضمن كتاب اليتيمة قليلا من شعره وكررت ذكره في التتمة لما سبق من العذر فيه وكتبت غررا من شعره مقفية على أثر شعر بلدية ابن حريش، واخبرني الشيخ أبوالفتح مسعود بن محمد بن الليث أيده الله أنه حي يرزق وأنشدني أبوبكر المرجى له:

إشرب أبا قاسم على الوادي ... وانبذ إلى الأنس حبل مقتاد

لا تخل من قهوة ومن رشاء ... وزامر مطرب وعواد

وثق بكافي الكفاة وارج ندى ... يديه من رائح ومن غاد

والله ما في الأنام محتشم ... سوى أبي القاسم بن عباد

وأنشدني له في غلام بيده باشق:

واهيف كالقمر المجتلى ... يهيم به العاشق المبتلى

بدا وعلى يده باشق ... إذا طلبا قنصا حصلا

فذاك يصيد قلوب الرجال ... وهذا يصيد طيور الفلا

وقد سرقه من أبي الفتح كشاجم خيث قال:

مر بنا في كفه باشق ... فيه وفي الباشق شيء عجيب

هذا يصيد الطير من حالق ... وذا بعينيه يصيد القلوب

قال وكان يساير الصاحب يوما فرسم له وصف فرس كان تحته فقال **مرتجلا**:

طرف تحاول شأوه ريح الصبا ... سفها فتعجز أن تشق غباره

باری بشمس قميصه شمس الضحى ... صبغا ورض حجارة بحجارة

ومن مراثيه في الصاحب قوله:

مضى نجل عباد المرتجى ... فمات جميع بني آدم

أوازي بقبرك اهل الزمان ... فيرجح قبرك بالعالم

وله من قصيدة:

هي نفس فرقتها زفراتي ... ودماء أرقتها عبراتي

لشباب عذب المشارع ماض ... ومشيب جدب المراتع آت

زمن أذرت الجفون عليه ... من شؤوني ما كان ذوب حياتي

تتلاقى من ذكره في ضلوعي ... ودموعي مصايف ومشاتي

جاد تلك العهود كل أجش ال ... ودق ثر الأخلاف جون السرات

بل ندى الصاحب الجليل أبا القا ... سم نجل الأمير كافي الكفاة

تتبارى كلتا يديه عطايا ... ومنايا حتما لعاف وعات

ضامنا سيبه لغنم مفاد ... موذنا سيفه بروج مفات

وارتياح يريك في كل عطف ... ألف ألف كطلحة الطلحات

ويد لا تزال تحت شكور ... لاثم ظهرها وفوق دواة

أراد أن يقول مثل قول أبي الفياض الطبري فلم يشق غباره:

يد تراها ابدا ... تحت يد وتحت فم

ما خلقت بنانها ... إلا لسيف وقلم." (١)

""""""""" صفحة رقم ٩٤ """""""

قرع رجل باب بعضهم ، فقال لجاريته : أبصري من القارع ، فقالت : من ذا ؟ قال : أنا صديق لمولاك ، قال الرجل : قولي : والله إنك لصديق ؟ فقلت له ، فقال : والله إني لصديق ، فنهض الرجل ، وبيده سيف

---

(١) يتيمة الدهر، ١٧٣/٢

وكيس ، يسوق جاريته وفتح الباب و قال : ما شأنك ؟ قال : راعني أمر ، قال : لا بك ما ساءك ، فإني قد قسمت أمرك بين نائبة فهذا المال ، وبين عدو فهذا السيف ، أو أيمة فهذه الجارية . أولم عدي بن حاتم وليمة فقال لابن له حدث : كن بالباب فأذن لمن تعرف ، وامنع من لا تعرف ، فقال له مرتجلا : أنا في الطاعة أمضي . . . لك من سيف حسام لا يكن أول ما ول . . . ليتني منع الطعام فضمه إليه و قال : نزعك عرق جدك . مر يزيد بن المهلب بأعرابية في خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقرته عنزا فقبلها ، ثم قال لابنه معاوية : ما معك من النفقة ؟ قال : ثمان مائة دينار ، قال : فادفعها إليها ، فقال له ابنه : إنك تريد الرجال ، ولا تكون الرجال إلا بالمال ، وهذه يرضيها اليسير ، وهي بعد لا تعرفك . قال : إن كانت ترضى باليسير فإني لا أرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفني فإني أعرف نفسي ، ادفعها إليها . قال الأحنف : كثرت علي الديات بالبصرة لما قتل مسعود ، فلم أجدها في حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين فسألت عن المقصود هناك ، فأرشدت إلى قبة ، فإذا شيخ جالس بفنائها مؤزر بشملة محتب بحبل فسلمت عليه ، وانتسبت له . فقال : ما فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ قلت : توفي ، قال : فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها ؟ قلت : مات . قال : فأي خير في حاضرتكم بعدهما ؟ قال : فذكرت الديات التي لزمتنا للأزد وربيعة ، فقال : أقم ، فإذا راع قد أراح عليه ألف بعير فقال : خذها ، ثم أراح عليه آخر مثلها ، فقال : خذها ، قلت : لا أحتاج إليها ، فانصرفت بالألف ، ووالله ما أدري من هو إلى الساعة .." (١)

"والطير بالعيدان أب؟ دت في الغنا أحلى الطرائق

ولآلئ الأزهار حل؟ ت جيد غصن فهو رائق

ومراود الأمطار قد كحلت بها حدق الحدائق

لا زال مغناها مصو نا آمنا كل البوائق

وكما قلت مرتجلا أيضا مضمنا الرابع والخامس:

دمشق راقت رواء وبهجة وغضاره

فيها نسيم عليل صح فوافقت بشاره

وغوطة كعروس تزهى بأعجب شاره

يا حسنها من رياض مثل النضار نضاره

---

(١) نثر الدر ، ٧/٩٤

كالزهر زهرا وعنها عرف العبير عباره

والجامع الفرد منها أعلى الإله مناره

وحاصل القول فيها لمن أراد اختصاره

تذكيرها من رآها عدنا وحسبي إشاره

دامت تفوق سواها إنالة وإناره

وكما ارتجلت فيها أيضا:

قال لي ما تقول في الشام حبر كلما لاح بارق الحسن شامه

قلت ماذا أقول في وصف قطر هو في وجنة المحاسن شامه

وقلت أيضا:

قال لي صف دمشق مولى رئيس جمل الله خلقه واحتشامه

قلت كل اللسان في وصف قطر هو في وجنة البسيطة شامه." (١)

"كبيرهم أبو محمد مستعجلا، وأنشد مرتجلا يا شقيقي ... إلخ فانتبه أخوه أبو بكر لصوته، وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته، وأنبه أخاهما أبا الحسن وهو يرتجل يا أخي قم تر النسيم ... إلخ فانتبه أخوه لكلامه، دافعا لذة منامه للذة قيامه، وارتجل يا صاحبي ذرا ... إلخ انتهى.

قال الفتح (١) : ولما أمر المعتمد بن عباد أبا بكر بن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير أبي الحسين ابن سراج بلقاء ذي الوزارتين أبي الحسن ابن اليسع القائد (٢) والمشي إليه، والنزول عليه، تنويها لمقدمه (٣) ، وتنبيها على حظوته لديه وتقدمه، قصارا إلى بابه، فوجداه مقفرا من حجابه، فاستغربا خلوه من خول، وظن كل واحد منهما وتأول، ثم أجمعا على قرع الباب، ورفع ذلك الارتياب، فخرج وهو دهش، وأشار إليهما بالتحية ويده ترتعش، وأنزلهما خجلا، ومشى بين أيديهما عجلا، وأشار إلى شخص فتوارى بالحجاب، وبارى الريح سرعة في الاحتجاب، فقعدا ومقلة الخشف، ترمق من خلال السجف، فانصرفا عنه، وعزما أن يكتبا إليه بما فهما منه، فكتبا إليه:

سمعنا خشفة الخشف ... وشمنا طرفة الطرف

وصدقنا ولم نقطع ... وكذبنا ولم ننف

وأغضينا لإجلال ... ك عن أكرومة الظرف

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٦٠/١

ولم تنصف وقد جئنا ... ك ما ننهض من ضعف

وكان الحكم (٤) أن تحم ... ل أو تردف في الردف

---

(١) انظر القلائد: ١٦٨.

(٢) أهله بنو اليسع كانوا أعيان حصن قولية من عمل بسطة، وكان الأمير أبو الحسن يتوى مرسية للمعتمد بن عباد فثار عليه أهلها وخلعوه، ووصفه الفتح بأنه كان صاحب بطالة وراحة (انظر ترجمته في القلائد: ١٦٧ والمغرب ٢: ٨٧ والحلة السيراء ٢: ١٧٢).

(٣) ك: بمقدمه.

(٤) دوزي: الحق.." [1]

"عنه وصرفوه، وأجروه على إرادتهم وصرفوه، وذهبوا سقفه وفضضوها، ورخموا أرضه وروضوها، فبات به السعد يلحظه بطرفه، والروض يحييه بعرفه، فلما استنفد كافور الصباح به مسك الغسق، ورصع آبنوس الظلام نضار الشفق، قال **مرتجلا**: كل قصر بعد الدمشق يذم ... إلخ، انتهى.

[١٦ - من ترجمة ابن لبون]

وقال في ترجمة ذي الوزارتين أبي عيسى ابن لبون (١) : أخبرني الوزير أبو عامر ابن الطويل أنه كان بقصر مربيطر بالمجلس المشرف منها (٢) ، والبطحاء قد لبست زخرفها، ودبج الغمام مطرفها، وفيها حدائق ترنو عن مقل نرجسها، وتبث طيب تنفسها، والجلنار قد لبس أردية الدماء، وراع أفئدة الندماء، فقال:

قم يا نديم علي القرقفا ... أوما ترى زهر الرياض مفوفا

فتخال محبوبا مدلا وردها ... وتظن نرجسها محبا مدنفا

والجلنار دماء قتلى معرك ... والياسمين حباب ماء قد طفا إلى أن قال (٣) : وشرب مع الوزراء ببطحاء لورقة [عند أخيه، وابن اليسع غائب عنها] (٤) في عشية تجود بدمائها، ويصوب عليها دمع سمائها، والبطحاء قد خلع عليها سندسها، ودنرها (٥) نرجسها، والشمس تنفض على الربى زعفرانها، والأنوار تغمض أجفانها، فكتب إلى ابن اليسع:

---

(١) القلائد: ٩٩ وانظر المغرب ٢: ٣٧٦.

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٦٣٩

(٢) ج ق ط: المشرق منها.

(٣) القلائد: ١٠٠ والمغرب ٢: ٣٧٧.

(٤) زيادة من القلائد.

(٥) في الأصول: ودرها.." (١)

"حسين ابن الإمام العلامة جمال الدين أبي الحسن علي، ابن الإمام مفتي الأنام كمال الدين أبي منصور ظافر الأزدي الأنصاري رضي الله تعالى عنه، في رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره، بعد كلام، ما صورته: ورأيت بدمشق الشيخ الإمام العارف الوحيد محيي الدين بن عربي، وكان من أكبر علماء الطريق، جمع بين سائر العلوم الكسبية، وما وفر (١) له من العلوم الوهبية، ومنزلته شهيرة، وتصانيفه كثيرة، وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا، لا يكترث بالوجود، مقبلا كان أو معرضا، وله علماء أتباع أرباب مواجيد، وتصانيف، وكان بينه وبين سيدي الأستاذ الحرار إخاء ورفقة في السياحات، رضي الله تعالى عنهما، في الآصال والبكرات، ومن نظم سيدي الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه قوله:

يا من يراني ولا أراه ... كم ذا أراه ولا يراني قال رحمه الله تعالى: قال لي بعض إخواني لما سمع هذا البيت: كيف تقول: إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك فقلت له **مرتجلا:**

يا من يراني مجرما ... ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما ... ولا يراني لائذا قلت: من هذا وشبهه تعلم أن كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول، وأنه لا يقصد ظاهره، وإنما له محامل تليق به، وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة، فأحسن الظن به ولا تنتقد، بل اعتقد، وللناس في هذا المعنى كلام كثير، والتسليم أسلم، والله سبحانه بكلام أوليائه أعلم.

ومن النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدي محيي الدين رضي الله تعالى عنه في ضابط ليلة القدر:

---

(١) ق ط ج: وقر.." (٢)

"آلاف دينار (١) .

ومن أعجب (٢) ما جرى له أنه كان بين يدي المنصور، فأحضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتح

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٦٧٢/١

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٦٨/٢

ورقها، فقال فيها صاعد مرتجلا:

أتتك أبا عامر وردة ... يذكرك المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها راسها فسر بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضرا، فحسده، وجرى إلى مناقضته، وقال لابن أبي عامر: هذان البيتان لغيره، وقد أنشد فيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف، وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر (٣) ، وكان أحسن أهل زمانه بديهة، فوصف له ما جرى، فقال هذه الأبيات ودس فيها بيتي صاعد:

عشوت إلى قصر عباسة ... وقد جدل النوم حراسها

فألفيتها وهي في خدرها ... وقد صرع السكر أناسها

فقالت: أسار على هجعة ... فقلت: بلى، فرمت كاسها

ومدت يديها إلى وردة ... يحاكي لك الطيب أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها راسها

وقالت:خف الله لا تفضح ... ن في ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على غفلة ... وما خنت ناسي ولا ناسها فطار ابن العريف بها، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر،

---

(١) زاد في ق: دراهم.

(٢) عاد إلى النقل عن الذخيرة.

(٣) جعلها دوزي " ابن برد " ونقل المقدمة صاحب بدائع البدائه ٢: ٢٨.." (١)

"علقته متعلقا ... بالخط معتكفا عليه

حمل الدواة ولا دوا ... ء لعاشق يرجى لديه

فدماء حبات القلو ... ب تلوح صبغا في يديه

لم أدر ما أشكو إلي ... ه أهجره أ مقلتيه

والحب يخرسني على ... أني ألكع سيبويه

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٧٩/٣

ما لي إذا أبصرته (١) ... شغل سوى نظري إليه وقد آن وقت الرجعة إلى كلام الأندلسيين الذين حلا، وأبعدنا عنه بما مر النجعة، فنقول:

٣٣ - ذكر الفتح في قلائد العقيان، كما قال ابن ظافر، ما معناه (٢) : أخبرني الوزير أبو عامر ابن بشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى ابن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات، ونامت عنه أعين المضرات، وأظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا، وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا، وشموس الكاسات تطلع في أكفها كالورد في السوسان، وتغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الجفان، وعنده الوزير أبو الحسن ابن الحاج اللورقي، وهو يومئذ قد بذل الجهد، في التحلي بالزهد، فأمر القائد بعض السقاة أن يعرض عليه ذهب كاسه، ويحييه بزبرجد آسه، ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه، ففعل ذلك عجلا، فأنشد أبو الحسن **مرتجلا:**

ومهفهف مزج الفتور بشدة ... وأقام بين تبذل وتمنع

يثنيه من فعل المدامة والصبا ... سكران سكر طبيعة وتطبع

أوما إلي بكأسه فكففتها ... ورنا فشفعها بلحظ مطمع

---

(١) البدائع: قابلته.

(٢) بدائع البدائه ٢ : ٨٧؛ والقلائد: ١٣٩.." (١)

"من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام:

توريد خدك للأحداق لذات ... عليه من عنبر الأصداغ لامات

نيران هجرك للعشاق نار لظى ... لكن وصالك إن واصلت جنات

كأنما الراح والراحات تحملها ... بدور تم وأيدي الشرب هالات

حشاشة ما تركنا الماء يقتلها ... إلا لتحيا بها منا حشاشات

قد كان من قبلها في كأسها ثقل ... فخف إذ ملئت منها الزجاجات وقد تبارى المشارقة والمغاربة من المتقدمين والمتأخرين في هذا الوزن والقافية، ولولا خوف السآمة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية . (١)

٦٨ - ومن سرعة جواب أهل الأندلس (٢) أن ابن عبد ربه كان صديقا لأبي محمد يحيى القلفاط الشاعر،

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢٥٩/٣

ففسد ما بينهما بسبب أن ابن عبد ربه صاحب العقد (٣) مر به يوما وكان في مشيه اضطراب، فقال: أبا عمر ما علمت أنك آدر إلا اليوم لما رأيت مشيك، فقال له ابن عبد ربه: كذبتك عرسك أبا محمد، فعز على القلفاظ كلامه، وقال له : أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء، ثم صنع فيه قصيدة أولها:

يا عرس أحمد إني مزمع سفرا ... فود عيني سرا من أبي عمرا ثم تهاجيا بعد ذلك، وكان القلفاظ يلقبه بطلاس لأنه كان أطلس اللحية، ويسمس كتاب العقد حبل الثوم، فاتفق اجتماعها يوما عند بعض الوزراء، فقال الوزير للقلفاظ: كيف حالك اليوم مع أبي عمر فقال **مرتجلا:**

---

(١) م: جملة كافية شافية.

(٢) بدائع البدائه ١: ٥١.

(٣) صاحب العقد: سقطت من ب.." (١)

"أنس الوحيد وصبح عين المجتلي ... ولباس من أمسى بغير لباس

حمراء ترفل في السواد كأنما ... ضربت بعرق في بني العباس وقال فيها أيضا (١) :

لابنة الزند في الكوانين جمر ... كالدراري في الليلة (٢) الظلماء

خبروني عنها ولا تكذبوني ... ألديها صناعة الكيمياء

سبكت فحمها سبائك (٣) تبر ... رصعته بالفضة البيضاء

كلما ولول النسيم عليها ... رقصت في غلالة حمراء

سفرت عن جبينها (٤) فأرتنا ... حاجب الليل طالعا بالعشاء

لو تراها من حولنا قلت يوم ... يتعاطون أكؤس الصهباء ٢٥٧ - وقال فيها الفقيه الأديب (٥) ابن لبال:

فحم ذكا في حشاه جمر ... فقلت مسك وجلنار

أو خد من قد هويت لما ... أطل من فوقه العذار ٢٥٨ - وكان أبو المطرف الزهري جالسا في باب داره مع زائر له، فخرجت عليهما من زقاق ثان جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على غفلة منها نفرت خجلة، فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفها، فقال **مرتجلا:**

---

(١) القلائد: ٢٦٦.

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣/٢٩٤

(٢) القلائد: كالدراري في دجى.

(٣) القلائد: صفائح.

(٤) القلائد: سفرت في عشائها.

(٥) م: الأديب الفقيه؛ ولعله أبو الحسن علي بن أحمد بن البال الشريشي (- ٥٨٣) وله ترجمة في التحفة: ٧٤ والذيل والتكملة ٥: ١٦٩.." (١)

"الساقي مدودة إليه، واتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجة، فظهر من السلطان التطير من ذلك، فأنشد الفقيه **مرتجلا:**

ومجلس بالسرور مشتمل ... لم يخل فيه الزجاج من أدب

سرى بأعطافه يرنحه ... فشق أثوابه من الطرب فسر السلطان وسري عنه، واستحسن من الفقيه ما بدا منه، وأمر له بجائزة سنية، وخلعة رائقة [بهية].

٣٦٧ - وماأحسن قول ابن البراق (١) :

يا سرحة الحي يا مطول ... شرح الذي بيننا يطول

ولي ديون عليك حلت ... لو أنه ينفع الحلول وقوله:

انظر إلى الوادي إذا ماغردت (٢) ... أطياره شق النسيم ثيابه

أتراه أطربه الهديل وزاده ... طربا وحقك أن حللت جنابه وله في الغلام على فمه أثر المداد:

يا عجبا للمداد أضحى ... على فم ضمن الزلالا

كالفار أضحى على الحميا ... والليل قد لامس الهلالا ٣٦٨ - وكتب أبو محمد عبد الله بن عذرة (٣) إلى بعض أصحابه من الأسر في طليطلة:

---

(١) المغرب: ١٤٩، ١٥٠.

(٢) المغرب: الذي مذ غردت.

(٣) في الأصول ودوزي: في معذرة؛ وفي م: بن مغدرة والتصويب عن المغرب ٢: ١٤٨ وفيه الأبيات.." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٤٢/٣

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٥٠٦/٣

"يكفيك أنك قد نسي ... ت ولست أنسى ذكركا

ومن العجائب أنني ... أفنى وأكتم سركا

كن كيفما تختاره ... فالحب يبسط عذركا وله:

هل عندكم علم بما فعلت بنا ... تلك الجفون الفاتكات بضعفها

نصحا لكم أن تأمنوها إنها ... سحر النهى ما تبصرون بطرفها ٣٧٣ - ولابنه أبي محمد عبد المولى، وكان ماجنا، لما نعي إليه وهو على الشراب أحد أصحابه **مرتجلا:**

إنما دنياك أكل ... وشراب وقحاب

ثم من بعد صراخ ... ووداع وتراب وله:

يا نديم اشرب على أف ... ق صقيل وحديقه

واسقني ثم اسقني ث ... م اسقني خمرا وريقه

من غزال تطلع الشم ... س بخديه أنيقه

لا تفوت ساعة من ... كأس خمر وعشيقه

واجتنب ما سخرت جه ... لا له هذي الخليقه

رغبوا في باطل زو ... ر بزهد في الحقيقه

ليس إلا ما تراه ... أنا أدرى بالطريقه قال أبو عمران موسى بن سعيد: قلنا له: ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا ينبغي لأحد أن يصحبك به فقال: هذا قول لا فعل، وقد قال الله تعالى:." (١)

"فالعين دونك لاتحلى بلذتها ... والدهر بعدك لايصفو تكدره

أخفي أشتياقي وما أطويه من أسف ... عن البرية والأنفاس تظهره قال في المطمح:هو شاعر مادح وعلأيك الندى صارح ولم ينطفه إلا معن (١) أوصمادح .فلم يرم ينتجع سواهما واقتصر على المرية.واختصر قطع المهامة وخوض البرية فعكف فيها ينثر دره في ذللك المنتدى شف أبدا ثغور ذلك الندى، مع تميزه بالعلم، وتحيزه إلى فئة الوقار والحلم، وانتمائه إلى آية سلف، ومذهبه مذاهب أهل الشرف، وكان له لسن ورواء يشهدان له بالنباهة، ويقلدان كاهله ما شاء من الوجاهة، وقد أثبت له بعض ما قذفه من درره، وفاه به من محاسن غرره؛ فمن ذلك قوله:

إلى الموت رجعى بعد حين فإن أمت ... فقد خلدت خلد الزمان مناقبي

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٥٠٩/٣

وذكري في الآفاق طار كأنه ... بكل لسان طيب عذراء كاعب

ففي أي علم لم تبرز سوابقي ... وفي أي فن لم تبرز كتائبي وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فأنشد فيه قصيدا أبرز به من عرى الإحسان ما لم ينفصم واستمر فيها يستكمل بدائعها وقوافيها، فإذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذي أوله:

عج بالحمى حيث الظباء (٢) العين ... فقال ابن الحداد **مرتجلا:**

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى ... في سلك غيري دري المكنون

---

(١) المطمح: جود معن.

(٢) المطمح: الخماص.." (١)

"وخير ما أتلفته مال أفاد موعظه

٥٨٨ - وقال أبو البركات القميحي: أنشدنا ابن العباس ابن مكنون، وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها، **مرتجلا:**

حارت عقول الناس في إبداعها ألسكرها أم لشكرها تتأود

فيقول أرباب البطالة: تنثني ويقول أرباب الحقيقة: تسجد

قال الشيخ أبو البركات القميحي: قلت لابن مكنون: ما الذي يدل على أنهما في وصف الثمار فقال: وطئ أنت لهما، فقلت:

يا من أتى متنزها في روضة أزهارها من حسنها تتوقد

انظر إلى الأشجار في دوحاتها والريح تنسف والريح تغرد

فترى الغصون تمايلت أطرافها وترى الطيور على الغصون تعربد

قال ابن رشيد: غلط المذكور في نسبته البيتين لابن مكنون، وإنما هما لأبي زيد الفازازي من قصيدة أولها:

نعم الإله بشكره تتقيد فالله يشكر في النوال ويحمد

مدت إليه أكفاننا محتاجة فأنالها من جوده ما تعهد

والبيتان في أثنائها، غير أن أولهما في ديوانه هكذا:

تاهت غقول الناس في حركاتها

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٩/٤

انتهى.

ورأيت في روضة التعريف للسلن الدين بعدهما بيتا ثالثا، وهو:

وإذا أردت الجمع بينهما فقل في شكر خالقها تقوم وتقعد." (١)

"وولي ابنه يحيى، وكان أحسد من طلعت عليه الشمس، فمال على أرقم بالأذية ففر عن مملكته، وقال مرتجلا (١) :

لئن طبتم نفسا بتركي دياركم فنفسي عنكم بالتفرق أطيب

إذا لم يكن لي جانب في دياركم فما العذر لي أن لا يكون تجنب

زعمتم بأني لست فرعا لأصلكم فهلا علمتم أنني عنه أرغب

وحسبي إذا ما البيض لم ترع نسبة بأنني إلى سيفي ورمحي أنسب

وإن مدت الأيام عمري للعلا يشرق ذطري في الورى ويغرب

٦١٤ – وكتب الوزير الكاتب أبو محمد ابن سفيان إلى أبي أمية ابن عصام (٢) قاضي قضاة شرق الأندلس عين زمانه، فوقعت نقطة إلى العين، فتوهمها، وظن أنه أبهمها واعتقدها، وعددها وانتقدها، فقال:

لا تلزمني ما جنته يراعة طمست بريقتها عيون ثناء

حقدت علي لزامها فتحولت أفعى تمج سمامها بسحاء

غدر الزمان وأهله عرف ولم أسمع بغدر يراعة وإباء

٦١٥ – وشرب المأمون بن ذي النون مع أبي بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلي وحفل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن مثنى، فجرت مذاكرة في ملوك الطوائف في ذلك العصر، فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه، فقال ابن أرفع رأسه ارتجالا (٣) :

دعوا الملوك وأبناء الملوك فمن أضحى على البحر لم يشتق إلى نهر

ما في البسيطة كالمأمون ذو كرم فانظر لتصديق ما أسمعت من خبر

---

(١) المغرب ٢: ١٤.

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٢٢/٤

(٢) القلائد: ١٣٩.

(٣) المغرب ٢: ١٨ والصلة رقم: ٨٧٤.." [١]

"لله منزلنا بقرية بيش كاد الهوى فيها ادكارا بي يشي

رحنا إليها والبطاح كأنها صحف مذهبة بإبريز العشي

فأجازه الوزير ابن جزي بقوله:

في فتية هزت حميا الأنس من أعطافهم فالكل منها منتشي

يأتي علاهم بالصحيح، ولفظهم بالمنتقى، وجمالهم بالمدهش

٦٨٥ - وقال السلطان أبو الحجاج النصري **مرتجلا** أيام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨١٥:

ولم يتركوا أوطانهم بمرادهم ولكن لأحوال أشابت مفارقي

أقام بها ليل التهاني تقلبا وقد سكنت جهلا نفوس الخلائق

فعوضتها ليل الصبابة بالسرى وأنس التلاقي بالحبيب المفارق

ولم يثنني طرف من النور ناعس ولا معطف للبان وسط الحدائق

ولا منهض الأشبال في عقر غيرهم ولا ملعب الغزلان فوق النمارق

وعاطيتها صبح الدياجي مدامة تميل بها الركبان فوق الأيانق

إذا ما قطعنا بالمطي تنوفة دلجنا لأخرى بالجياد السوابق

بحيث التقى موسى مع الخضر آية عسى ترجع العقبى كموسى وطارق

وله:

من عاذري من غزال زانه حور قد هام لما بدا في حسنه البشر

ألحاظه كسيوف الهند ماضية لها بقلبي وإن سالمتها أثر

٦٨٦ - وقال القاضي أبو القاسم ابن حاتم:

شكوت بما دهاك وكان سرا لمن ليست مودته صحيحه

فتلك مصيبة عادت ثلاثا لصحبتها الشماتة والفضيحه." [٢]

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٣٤/٤

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٠٣/٤

"قدمت فالخلق في نعمى وفي جذل ... أبدى بك البشر باديه وحاضره

والارض قد لبست أثواب سندسها ... والروض قد بسمت منه أزاهره

حاكت يد الغيث في ساحاته حللا ... لما سقاها دراكا منه باكره

فلاح فيها من الأنوار باهرها ... وفاح فيها من النوار عاطره

وقام فيها خطيب الطير **مرتجلا** ... والزهر قد رصعت منه منابره

موشي ثوب طواه الدهر آونة ... فها هو اليوم للأبصار ناشره

فالغصن من نشوة يثني معاطفه ... والطير من طرب تشدو مزاهره

وللكمام انشقاق عن أزاهرها ... كما بدت لك من خل ضمائره

لله يومك ما أزكى فضائله ... قامت لدين الهدى فيه شعائره

فكم سريرة فضل فيك قد خبئت ... وكم جمال بدا للناس ظاهره

فافخر بحق على الأيام قاطبة ... فما لفضلك من ند يظاهره

فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا ... قيست بفخر أولي العليا مفاخره

يلتاح منه بأفق الملك نور هدى ... تضاءل الشمس مهما لاح زاهره

مجد صميم على عرش السماك سما ... طالت مبانيه واستعلت مظاهره

وزارة الدين والعلم التي رفعت ... أعلامه والندى الفياض زاخره

وليس هذا ببدع من مكارمه ... ساوت أوائله فيه أواخره

يلقى الأمور بصدر منه منشرح ... بحر وآراؤه العظمى جواهره

راعى أمور الرعايا معملا نظرا ... كمثل علياه معدوما نظائره

والملك سير في تدبيره حكما ... تنال ما عجزت عنه عساكره

سياسة الحلم لا بطش يكدرها ... فهو المهيب وما تخشى بوادره

لا يصدر الملك إلا عن إشارته ... فالرشد لا تتعداه مصايره

تجري الأمور على أقصى إرادته ... كأنما دهره فيه يشاوره

وكم مقام له في كل مكرمة ... أنست موارده فيها مصادره." (١)

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٥/٥٠٠

"ابن الملعون فهوالمغالط المعاند المشارك لربه المنعم عليه في كبريائه وسلطانه، وأما القط فهوالفقير مثلي المستغني عنه لكونه لا تختص به رتبة، فتارة في حجر الملك، وتارة في السنداس (١) ، وتارة في أعلى الرتب، وتارة محسن، وتارة مسيء، تغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة، إذ هومن الطواقين، متطير بقتله وإهانته، تياه في بعض الأحايين بعزة يجدها من حرمة أبقاها له الشارع، وكل ذلك لا يخفى. وأما الفراش المحرق فهوعند الدول نوعان: تارة يكون ظاهرا وحصته مسح المصباح وتصفية زيته وإصلاح فتيله وستر دخانه ومسايسة ما يكون من المطلوب منه، ووجود هذا شديد الملازمة ظاهرا، وأما المحرق الباطن فهوالمشار إليه في دولته بالصلاح والزهد والورع فيعظمه الخلق ويترك لما هوبسبيله، فيكون وسيلة بينهم وبين ربهم وخليفته الذي هومصباحهم، فإذا أراد الله تعالى إهلاك المروءة وإطفاء مصباحها تولى ذلك أهل البطالة والـجهالة، وكان الأمر كما رأيتم، والكل فراش متهافت، وكل يعمل على شاكلته " .

١١ - قال الوزير لسان الدين: وطلب مني الكتب عليه بمثل ذلك، فكتبت ببعض أوراقه إثارة لضجره، واستدعاء لفكاهة انزعاجه، ما نصه:

وقفت ن الكتاب المنسوب لصاحبنا أبي زكريا البرغواطي على برسام محموم، واختلاط مذموم، وانتساب زنج في روم، وكان حقه أن يتهيب طريقا لم يسلكها، ويتجنب عقيلة لم يملكها، إذ المذكور لم يتلق شيئا من علم الأصول، ولا نظر في الإعراب في فصل من الفصول، إنما هي قحة وخلاف، وتهاون بالمعارف واستخفاف، وغير أنه يحفظ في طريق القوم كل نادرة، وفيه رجولية ظاهرة، وعنده طلاقة لسان، وكفاية قلما تتأتى لإنسان، فإلى الله تضرع أن يعرفنا مقادير الأشياء، ويجعلنا بمعزل عن الأغبياء، وقد قلت **مرتجلا** من أول نظرة، واجتزاء بقليل من كثرة:

---

(١) السنداس: بيت الراحة.." (١)

"فهذه وجوهُ السّرِقاتِ قد حدَرْتُ لك لِثامَها، وألقيتُ إليك زمامَها، فقلّ أن تجِد من يعرفُ أقسامَها، أو يستمطر غمامَها، ولا تجدُ إلا مَنْ إذا ظفِرَ ببيتٍ مسروقٍ لم يدْرِ أمِنَ المحمودِ هو أمْ من المذموم، وهلْ شاعرُهُ بالمعذورِ فيه أم بالمَلوم، فاعرِفْهُ.

وأما التوارد فهو اتفاقُ الخواطرِ في البيتِ والبيتين، وإنّما سمّوهُ توارداً أنفَةً من ذكرِ السّرقَةِ وتكبراً عن السّمة بها. قال عَلقمةُ بن عَبَدَة:

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٤/٦

أمْ هلْ كبيرٌ بَكى، لم يقْضِ عَبْرَتَهُ ... إثْرَ الأحبةِ، يومَ البيْنِ مَشكومُ

وقال أوس بن حَجَر:

أمْ هل كبيرٌ بكى لم يقْضِ عَبْرَتهُ ... إثرَ الأحبةِ يومَ البينِ معذورُ

وقال طرفة:

فلولا ثلاثٌ هُنّ من حاجةِ الفتى ... وجدِّكَ لم أحفِلْ متى قامَ عُوَّدي

وقال نُهَيك:

ولولا ثلاثٌ هُنّ من حاجةِ الفَتى ... وجَدِّكَ لمْ أحفِلْ متى قامَ رامسي

وقال مُزاحم العُقيلي:

تكادُ مغانيها تقولُ من البِلى ... لسائِلها عن أهلِها لا تَعمَّلِ

وقال ضابئ:

تكادُ مغانيها تقولُ من البِلى ... لسائِلها عن أهلِها ولا تَعَمّلا

وقال عَديّ بن زَيْد:

وعاذلةٍ هبّتْ بليْلٍ تلومُني ... فلما غلَتْ في اللوْمِ قُلتُ لها اقصِدي

وقال عمرو بن شأس:

وعاذِلةٍ هبّتْ بليْلٍ تلومُني ... فلما غَلَتْ في اللّومِ قُلتُ لها مَها

وقال أوس بن حَجر:

حرْفٌ أخوها أبوها من مُهجّنَةٍ ... وعمُّها خالُها قوداءُ مِئشيرُ

وقال كعب بن زهير:

حرْفٌ أخوها أبوها من مُهجَّنةٍ ... وعمُّها خالُها قوداءُ شِمْليلُ

وقال كعب الأشقري:

لم يركبوا الخيلَ إلا بعدَما هَرِموا ... فهُمُ ثِقالٌ على أكتافِها مِيلُ

وقال جرير:

لم يركبوا الخيلَ إلا بعدَما هرِموا ... فهم ثِقالٌ على أكتافِها عُزُفُ

ومثلُ هذه الأبيات في أشعار العرب أكثرُ من أن تُحصى وأعظمُ من أن تُسْتَقصى، وأنا لا أعدُّ ذلك توارداً اتفقَتْ عليه الخواطرُ، وتشابَهَتْ فيه الضمائر، بل أعُدُّه سرِقَةً مَحْضَة وإغارةً على الأشعارِ مُرفَضّة. وقد

أوردَ ابنُ السِّكيت قولَ امرئ القيس: وقوفاً بها صحبي البيت، وقولَ طرفة في باب السَرِقات، والذي ذهب إليه هو الصحيح، وإنّما يتّفق للشاعرين معنىً ويلزمان أن يَنْظماهُ على قافيةٍ واحدة فربما تَواردا في بعض الكلام. من ذلك ما حكاه أبو القاسم الأندلسي وغيرُه في أشعار المَغارِبَة، قال: كان بين يدي محمد بن عبّاد صاحب الغَرب جاريةٌ في يدها كأسٌ وهي تَسقيه، فلمع البرق فارتاعتْ له فسقط الكأس من يدها فقال **مُرتَجِلاً:**

روّعها البرقُ وفي كفِّها ... برْقٌ من القهوةِ لمّاعُ

يا ليْتَ شِعري وهي شمسُ الضُحى ... كيفَ من الأنوارِ ترْتاعُ

ثم قال لبعض خدمه: مَنْ على باب القصر من الشعراء؟ فقال: عبد الجليل بن وهبون، فأمَه بإحضاره. فلمّا مثُلَ بين يديه قصّ عليه القصّة وأنشدَه البيتَ الأول وقال له: أجِزْه فأنشأ:

ولنْ ترى أعجبَ من آنِسٍ ... من مثلِها ما يُمْسِكُ يرتاعُ

ومثل هذا يمكن أن يقع ولا يُنكَر ولا يُدفَع.

وحكى الأندلسي قال: حدّثَني محمد بن شرف القيرواني قال: أمَرَني المُعِز بن باديس وأمرَ حسنَ بنَ رشيق في وقت واحد أن نصِفَ الموزَ في شعرٍ على حرف الغَيْن، فجلس كل واحد منا بنَجْوَةٍ عن صاحبِهِ بحيثُ لا يقفُ أحدُنا على ما يصنَعُهُ الآخر، فلمّا فرَغنا من الشعرِ عرَضْناه عليه، فكان الذي صنعتُه أنا:

يا حبّذا الموزُ وإسعادُه ... من قبل أن يَمْضغه الماضِغُ

لانَ فما نُدرِكُ جَسّاً لهُ ... فالفَمُ ملآنُ بهِ فارغُ

سِيّانَ قُلنا مأكَلٌ طيّبٌ ... فيهِ وإلاّ مشْرَبٌ سائِغُ

وكان الذي صنعه ابنُ رشيق:

موزٌ سريعٌ سوْغُهُ ... من قَبلِ مضْغِ الماضِغِ

مأكَلَةٌ لآكلِ ... ومشرَبٌ لسائِغِ

فالفمُ من لينٍ به ... ملآنُ مثلُ فارِغ." (١)

"فتىً لا يعُدُّ الزّادَ إلا من التُقى ... ولا المالَ إلا من قَنا وسيوفِ

ولا الخيلَ إلا كلَّ جرداءَ شَطْبَةٍ ... وكلَّ حِصانٍ باليدينِ عَسوفِ

ثم رجعَتْ الى خِبائها تنوحُ وتندبُ أخاها مع نسائِها.

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٣٨

وأقول: لله دَرُّ ثلاثة أبيات حملَتِ الرجلَ على قتلِ ابن عمه، وقطع رحمِه، ولو كان الكلامُ الذي في الشعرِ منثوراً لما هزّه، ولا حملَ من أجلِه بزَّهُ، ولا قتلَ ابنَ عمِه ولا ابتزّه، والله يعفو عن المذنبين.

وقال يحيى بنُ خالد: سألني رجلٌ من بني أمية أنْ أوصلَهُ الى الرشيد، فقلتُ له: إنّ أميرض المؤمنين منحرِفٌ عن كل منتسِبٍ الى أميّة، وحنَقُه عليهم وسوءُ اعتقادِه فيهم مشهور، فإنْ كانت لك حاجةٌ غيرُ هذه فأنا أقضيها لك، فأبى إلا إيصالَه إليه. فعرّفتُ الرشيدَ ما كان من التماسه وجوابي له، فأمر بإحضاره، فلمْ أرْتَبْ أن يُمْسي مقْتولاً، فلما مثُل بين يديه أنشده:

يا أمينَ اللهِ إني قائِلٌ ... قولَ ذي عقْلٍ ودينٍ وأدَبْ

لكُمُ الفضلُ علَيْنا ولنا ... بكُمُ الفضلُ علي كلِّ العرَبْ

عبدُ شمسٍ كان يتلو هاشِمً ... وهم بعْدُ لأمٍ ولأبْ

فصِلوا الأرحامَ منّا إنّما ... عبدُ شمسٍ عمُّ عبدِ المطّلِبْ

فقال له الرشيد: صدَقْتَ، متأثراً بقوله، وقد عمِلَ الشعرُ في نفسه، وأمرَ له بأربعين ألف درهَم. قال يحيى: ولولا الأبياتُ لأمرَ بأخذ رأسه.

وحكى مروان بن أبي حَفْصة قال: خرجتُ أريدُ معنَ بنَ زائدة، فضمّني الطريقُ وأعرابياً فقلت له: أين تريد؟ قال: هذا الملك الشَيباني، قلت: فما أهدَيْتَ إليه؟ قال: بيتين، قلت: فقط! قال: إني قد جمَعْتُ فيهما ما يسرُّه، فقلت: هاتهما، فأنشدني:

معْنُ بنُ زائدةَ الذي زيدَتْ به ... شرَفاً على شرَفٍ بنو شَيْبانِ

إنْ عُدّ أيامُ الفَعالِ فإنّما ... يوْماهُ يومُ ندىً ويومُ طِعانِ

قال: ولي قصيدةٌ قد حُكْتُها بهذا الوزن، فقلتُ: يا هذا، تأتي رجلاً قد كثُرَتْ غاشيتُه وكثُرَ الشُعراءُ ببابِه، فمتى تصِلُ إليه؟ قال: فقُلْ، قلت: تأخذُ مني بعضَ ما أمّلت بهذين البيتين وتنصرفُ الى رحلِك، قال: فكم تبذل؟ قلت: خمسينَ دِرهَماً، قال ما كنتُ فاعِلاً ولا بالضِّعْفِ، قال: فلم أزَلْ أرْفُقُ بهِ حتى بذلتُ له مائةً وعشرين دِرهماً فأخذَها وانصرف. فقلت: إني أصْدُقُكَ، قال: والصّدقُ بك أحسنُ، قلتُ إني حكتُ قافيةً توازنُ هذا الشعر وإني أريد أن أضمّ هذين البيتين إليها، قال: سبحان الله، قد علِمُت ولقد خِفْتَ أمراً لا يبلغُكَ أبداً. فأتيتُ معنَ بنَ زائدة وجعلتُ البيتين في وسطِ الشعر وأنشدتُهُ فأصغى نحوي، فوالله ما هو إلا أن بلغْتُ البيتين فسمِعَهما فما تمالكَ أن خرّ عن فُرُشِهِ حتى لصِقَ بالأرض ثم قال: أعِدِ البيتين، فأعدتُهما، فنادى: يا غُلامُ، ائتِني بكيسٍ فيه ألفُ دينار، فما كان إلا لفظُهُ وكيسُه، فقال: صُبَّها على رأسه، ثم قال:

هاتِ عشرينَ ثوباً من خاصِّ كُسْوَتي، ودابّتي الكذا وبغلي الكذا، فانصرفتُ بحباءِ الأعرابي لا حِباء معن.

ولمّا مدح أبو تمام الطائيُّ أحمدَ ولدَ المُعتصمِ بكلمتهِ التي أولها:

ما في وقوفِكَ ساعةً من باسِ ... تقضي ذِمامَ الأربُعِ الأدْراسِ

فلما وصل الى قوله:

إقدامُ عَمرٍو في سَماحة حاتِمٍ ... في حِلْمِ أحْنَفَ في ذَكاءِ إياسِ

قال له بعضُ الحاضرين، وهو يعقوبُ الكِنديّ: كيفَ تُشبِّهُ ولد أمير المؤمنين بأعرابٍ أجلافٍ وهو أشرفُ منزلةً وأعظمُ محلّةً؟ فانقطع وأطرقَ ثم رفع رأسَهُ وأنشدَ مُرتَجِلاً:

لا تُنكِروا ضَرْبي لهُ مَنْ دونَه ... مثَلاً شَروداً في النّدى والباسِ

فاللهُ قد ضربَ الأقلَّ لنورِه ... مثَلاً من المِشكاةِ والنِّبْراسِ

فاهتز لذلك طرَباً وبُهِتَ له متعجِّباً ووقَّعَ له بالموصِلِ إجازةً.." (١)

"قال: اسكت يا ويلك لقد أطفأت الأنوار بكلمتك المجنونة. كان في رأسي مرقص عظيم تسطع الأنوار فيه بين الأحمر والأخضر والأبيض؛ وترقص فيه الجميلات من الطويلة والقصيرة والممشوقة والبادنة، فجئت بالداء والجنون -قبحك الله- فأخرجتني عنهن إليك. أحسب أنك لو انتحرت لصلح العالم أو صلحت أنا على الأقل... فإذا أردت أن تشنق نفسك فأنا آتيك بالحبل الذي كنت مقيدا فيه أي الحبل الذي عندي في الدار... على أن رأسك الفارغ مشنوق فيك وأنت لا تدري.

قال الآخر: ما أنت منذ اليوم إلا في شنقي وتعذيبي أو في شنق عقلي "على الأصح" . "ومما حفظناه" قول الأحنف بن قيس: إني لأجالس الأحمق ساعة فأتبين ذلك في "عقلي".

فلم يرعنا إلا قيام المجنون مسلحا بحذائه في يده... وهو حذاء عتيق غليظ يقتل بضربة واحدة؛ فحلنا بينهما وأثبتناه في مكانه. وقلنا: هذا رجل قد غلب على عقله فلا يدري ما يقول؛ فإذا هو دل على أنه مجنون، أفلا تدل أنت على أنك عاقل؟ ما سألناك في انتحاره وجنونه، بل سألناك رأيك في الحب؛ وما نشك أنك قد أطلت التفكير ليكون الجواب دقيقا، فإنك "نابغة القرن العشرين"، فانظر أن يكون الجواب كذلك.

قال: نعم إن العاقل إذا ورد عليه السؤال أطال الفكر في الجواب، فاكتب يا فلان "س.ع":

"جلس نابغة القرن العشرين مجلس الإملاء مرتجلا فقال١: قصة الحب هي قصة آدم، خلق الله المرأة من

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٦٠

ضلعه. فأول علامات الحب أن يشعر الرجل بالألم كأن المرأة التي أحبها كسرت له ضلعا... وكل قديم في الحب هو قديم بمعنى غير معقول، وكل جديد فيه هو جديد بمعنى غير مفهوم؛ فغير المعقول وغير المفهوم هو الحب.

والجمرة الحمراء إذا قيل إنها انطفأت وبقيت جمرة فذلك أقرب إلى الصدق من بقاء الحب حيا بمعناه الأول إذا انطفأ أو برد.." (١)

"ورأيها في "المشكلة" أن ليس من أحد يستطيع حلها إلا صاحبها، ثم هو لا يستطيع ذلك إلا بطريقة من طريقتين: فإما أن تكون ضحية أبيها وأبيه –تعني زوجته– ضحيته هو أيضًا، ويستهدف لما يناله من أهله وأهلها، فيكون البلاء عن يمينه وشماله، ويكابد من نفسه ومنهم ما إن أقله ليذهب براحته وينغّص عليه الحب والعيش، "قالت": وإما أن يضحي بقلبه وعقله وبي.

وهذا كلام كأنها تقول فيه: إن أحدًا لا يستطيع حل المشكلة إلا صاحبها، غير مستطيع حلها إلا بجناية يذهب فيها نعيمه، أو بجنون يذهب فيه عقله. فإن حَلَّها بعد ذلك فهو أحد اثنين: إما أحمق أو مجنون ما منهما بد.

ولسان الغيب ناطق في كلامها بأن أحسن حل للمشكلة هو أن تبقى بلا حلّ، فإن بعض الشر أهون من بعض.

والعجيبة الثالثة أن "نابغة القرن العشرين"١ جاء زائرًا بعد أن قرأ مقالات "المجنون"، فرأى بين يدي هذه الكتب التي تلقيتُها وأنا أعرضها وأنظر فيها لأتخير منها، فسأل فخبَّرتُه الخبر؛ فقال: إن صاحب هذه المشكلة مجنون، لو امتحنوه في الجغرافيا وقالوا له: ما هي أشهر صناعة في باريس؟ لأجابهم: أشهر ما تعرف به باريس أنها تصنع "البودرة" لوجه حبيبتي.

قلت: كيف يرتد هذا المجنون عاقلًا؟ وما علاجه عندك؟

قال: وَجِّهْ في طلب "ا. ش"* ليجيء، فلما جاء قال له: اكتب: جلس "نابغة القرن العشرين" مجلسه للإفتاء في حل المشكلة فأفتى **مرتجلًا**:

"إن منطق الأشياء وعقلية الأشياء صريحان في أن مشكلة الحب التي يعسر حلها ويتعذر مجاز العقل فيها، ليست هي مشكلة هذا العاشق أكرهوه على الزواج بامرأة يحملها القلب أو لا يحملها، وإنما هي مشكلة

---

(١) وحي القلم، ص/٣٢٩

إمبراطور الحبشة يريدون إرغامه أن يتزوج إيطاليا، ويذهبون يزفونها إليه بالدبابات والرشاشات والغازات السامة"..." (١)

"قال "النابغة": أما أنا فقد فهمت ولكن هذا المجنون لم يفهم. أكتب يا س. ع: جلس نابغة القرن العشرين مجلسه للفلسفة على غير إعداد ولا تمكن، وبدون كتبه ألبتة... وكان هذا أجمع لرأيه وأذهن له وأدعى لأن يتوفر على الإملاء بكل "مواهبه العقلية"؛ ولما أن فكر النابغة أعطي النظر حقه وجمع في عقله الفذ جزالة الرأي إلى قوة التفنن والابتكار، قال **مرتجلا**: إن فلسفة الذئب والشاة حين لم يأكلها ولم تنطحه، هي بالنص والحرف كما قال أستاذ نابغة القرن العشرين.

----

١ روت الصحف في هذه الأيام قصة حاكم إنجليزي كان قد اقتنص ذئبا هنغاريا وشده في سلسلة وجعله في حديقة داره إلى أن يرى فيه رأيا؛ وكان للحاكم طفل صغير أعجبه الذئب ومنظره الوحشي فتربص إلى الليل، فلما استثقل أهله نوما انسل من حجرته وهبط الحديقة وجاء إلى الذئب فوثب هذا يتحفز لافتراسه؛ ولكن الطفل لم يدرك شيئا من معنى هذه الوحشية، ولم يكن في نفسه إلا أن الذئب كالكلب فلم يضطرب ولم يخف ولم يداخله الشك؛ ومضى إلى الوحش مسرورا مطمئنا فتناوله من شعره وجعل يمسحه بيده الصغيرتين ويعبث به، والذئب مدهوش ذاهل، ثم سكن واستأنس إليه كأنه مع جرو من أجرائه لا مع طفل آدمي؛ وجذبه الطفل من رقبته حتى أضجعه ثم اتخذه وسادة ووضع رأسه على ظهره ونام... وافتقدت الطفل مربيته فلم تجده في فراشه، فنبهت أهله وذهبوا يبحثون عنه في غرف الدار، ثم نزلوا إلى الحديقة فبصروا به نائما ورأسه على الذئب، وخافوا إزعاج الوحش فرموه بالرصاص فقتلوه وقام الطفل يبكي على صديقه الوفي... هذا هو أثر الروح المطمئنة الماضية على يقينها، ولكن أين مثل هذا اليقين في مثل هذه الحالة؟ وكل مروضي الوحوش يعلمون أنه أول وآخر ما يخيفونها به هو نزع الخوف من أنفسهم، وأن هذا هو وحده سلاح النفس في النفس.

"حاشية" وإن مجنون المتن لم يفهم هذه الفلسفة.." (٢)

"لكنها قسم وليس بمدرك ... ما لم يقدّره إله الناس

حدث ابن حبيب في كتابه عقلاء المجانين قال حدث سعيد بن علي بن عطاف قال كان عندنا رجل عاقل

---

(١) وحي القلم، ص/٣٣٧

(٢) وحي القلم، ص/٣٣٨

ظريف أديب يسمى عامراً وكان مع كثرة أدبه محروماً فقيل لي إنه قد تحامق فجعلت أتطلبه حتى ظفرت به في بعض الطرق والصبيان حوله يضحكون منه فقلت يا عامر ما هذه الحالة فانشد عجلاً **ومرتجلاً**

يا عاذلي لا تلم أخا حمق ... يضحك منه فالحمق ألوان

جقت نفسي لكي أنال غنى ... فالعقل في ذا الزمان حرمان

وكان الحمدوني الشاعر يتحامق فعذله بعض أصحابه على ذلك فقال جماقة تعولني خير من عقل أعوله ثم أنشد

عذلوني على الحماقة جهلا ... وهي من عقلهم ألذ وأحلى

حمقى اليوم قائم بعيالي ... ويموتون أن تعاقلت دلا

ومن المنظوم في أنّ من أفعال الزمان ... الباس العقلاء أسمال الحرمان

أبو يعلى بن الهبارية

الجهل أروح للفتى من عقله ... يمسي ويصبح آمناً مسرورا

ترك العواقب جانباً عن فكره ... وسعى رواحاً في الهوى وبكورا

والعقل يعقله على حسراته ... ويصدّه فيردّه محسورا

وتراه مهتماً كثيراً غمه ... يحيا أسيراً أو يموت فقيرا

لما علا الجهال في أيامنا ... ورقوا ونالوا منزلاً وسريرا

أخفيت علمي وأطرحت فضائلي ... على أكون إذا جهلت أميرا

آخر

دع عنك عقلي فالعقول مخارق ... لا ينفع الانسان إلا جهله

كم عاقل أمسى عقالاً عقله ... دون المنى وغدا فضولاً فضله

آخر

ولما رأيت الدهر أحمق جاهلاً ... يصيب ولا يدري ويخطي ولا يدري

ينيل ويعطي الأحمق الغمر سؤله ... ويقصد أبناء الفضائل بالعسر

فيمنعهم منّ القرى ويذودهم ... إذا ورد النوكي تحامقت للدهر

عبد القاهر الجرجاني

كبر على العقل يا خليلي ... ومل إلى الجهل ميل هائم

وكن حماراً تعش بخير ... فالسعد في طالع البهائم
آخر
طاب عيش الرفيع في ذا الزمان ... والجهول الغفول والسفعان
فاغتنم حقك الذي أنت فيه ... تحظ ب المكرمات والاحسان
آخر
إذا كان الزمان زمان حمق ... فإنّ العقل حرمان وشوم
فكن حمقاً مع الحمقى فإني ... أرى الدنيا بدولتهم تدوم
آخر
إنّ عاماً فيه تسربلت خزاً ... وترديت في الرجال البرودا
لزمان أبدى النحوس إلى النا ... س وأخفى عن العيون السعودا
آخر
قد كسد العقل وأصحابه ... وفتحت للجهل أبوابه
فاستعمل الحمق تكن ذا غنى ... فقد مضى العقل وأربابه
آخر
تحامق مع النوكي إذا ما لقيتهم ... ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
وخلط إذا لاقيت يوماً مخلطاً ... يخلط في قول صحيح وفي فعل
فإني رأيت المرء يشقى بعقله ... كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل
آخر
أرى زمناً نوكاه أسعد أهله ... ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته ... فكب الأعالي بارتفاع الأسافل
وقال بعض ظرفاء الأدباء وهو أبو الحسن المائق
طلبت الرزق بالحذق ... من الغرب إلى الشرق
فلم يكسبني العقل ... سوى البعد من الخلق
فأدبرت عن العقل ... وأقبلت على الحمق
فخاف الناس اشعاري ... وقالوا أحمق الخلق

وجاؤ الأبي الجحش ... بما شاء من الرزق

فمن لام على الحمق ... فقد حاد عن الحق

مما ذكر إنّ الحظ أجدى لصاحب الحجا

وأهدى في طرق مآربه من نجوم الدجى

ما حكى أهل التجارب فإنهم قالوا العقل وسوء الحظ كالعله والمعلول لا مفصل لأحدهما عن الآخر وقالوا افراط العقل مضر بالجد وقيل استأذن العقل على الجد فحجبه فقال إذهب أنت بي لا أنا بك قال شاعر." (١)

"أتاه المثيب على شربها ... وكان كريما فلم ينزع

" ٤٨ ألف " ومن رفع روى: فما ينتزع.

وقوله " ٣،١٤٣٨٧ " وخلف الذي ذكر.

ش: هو خلف بن وهب حذافة بن جمع، والد أمية وأبي.

وقوله " ٣،١٤٤٨٩ "كما يقال لطلحة بن عبيد الله " طلحة " الطلحات، وطلحة الخير، وطلحة الجود.

ش: ليس طلحة الطلحات، طلحة بن عبيد الله، إنما طلحة الطلحات، طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وهو مولى طاهر بن الحسين، و " طلحة " آل صديق: طلحة بن عبيد الله. تيمى، قرشى، من آل أبي بكر الصديق رضى الله عنه، وهو احد العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة. وإنما سمى طلحة الخزاعي المذكور طلحة الطلحات لأن أمه صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة فلهذه الولادة سمى طلحة الطلحات.

وقوله " ٣،١٤٤٨٩ " فقسمها في الأطباق.

ط: " قال " الخليل: الطبق: جماعة من الناس، تعدل مثلها.

وقوله " ٣،١٤٤٩٠ " وللمدى موضع آخر يكون فيه القوى.

ط: المودى الذي جعله من الأضداد ليس كذلك. لأن المودى الهالك من أودى والآخر من أدى. قال الأصمعى: آدى الرجل فهو مود: إذا كان شاك السلاح، وأنشد أبو عبيدة قول حنظله بن ثعلبة:

" ما عتلى وأنا مؤد جلد "

ثم ترك الهمز، تخفيفا، فيقال مود، ومعناه كامل الأداة، واشتقاقهما مختلف.

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٧١

وقوله " ٣,١٤٤٩١ " وقال رجل من العرب...عوةجا.

ط: هذا الشعر أنشده الإصبهاني. لهفان بن همام بن نضمة، يرثى أباه، وأنشد " الطويل " :

على قبر من يرجى نداه ويبتغي ... جداه، إذا لم يحمد الأرض رائد

كريم الثنا حلو الشمائل بينه وبين المزجي نفنف متباعد إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن عيبا، ولا عيا على من يقاعد " ٤٨ ب " صبور على العلات يصبح بطنه خميصا، وآتيه على الزاد حامد

وضعنا الفتى كل الفتى في حفية ... بحرين، قد راحت عليه العوائد

سريعا كنصل السيف تضرب حوله ... برأسهن المعولات الفواقد

وانشد أبو تمام في " الحماسة " الثلاثة الأبيات، التي أنشدها أبو العباس لامرأة بني أسد. ثم أنشد، بعد ذلك، في باب المراثي، لابن أهبان يرثي أخاه " الطويل " :

على مثل همام تشق جيوبها ... وتعلن بالنوح النساء الفواقد

فتى الحي إن تلقاه في الحي أو يرى ... سوى الحي، أوضم الرجال المشاهد

إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن ... عبيا، ولا عبئا على من يقاعد

طويل نجاد السيف يصبح بطنه ... خميصا، وجاديه على الزاد حامد

وقوله " ٣,١٤٤٩١ " على قبر أهبان.

ط: يجوز أن يكون أهبان جمع إهاب، أو يكون من تأهب، فيكون على القول الأول منقولا، وعلى القول الثاني، مرتجلا، والهمزة في كلا القولين أصل لا بدل، والذي ذكره أبو العباس، فيه جائز، ولكنه ليس كلا القولين المذكوريب، لأنه لو كان بدلا لنطق يوهبان الأصل.

وقوله " ٣,١٤٤٩١ " وبين المزجى.

ط: يقال المزجى، والمزجى الضعيف قال ابن الرقيات " الخفيف " :

" ملك، يبرم الأمور " ولا يشرك ... في حكمه الضعيف المزجى

ويقال: المزجى. الذي لا ينتفع به، ولا ينفع، وقيل المزجى الذي يساق إلى الشيء كرها، وقيل هو ابن عم، كان للميت المرثي بهذا الشعر، ومعنى البيت: أنه كان يأتي الجميل خلقا، وطبعا، ولم يكن يساق إليه كرها.

وقوله نفنف متباعد: أنه يصل إلى ذروة المجد، وأعلاه، والمتكلف لمباراته في الحضيض.

وعلى قول ذي الرمة " ٣,١٤٥٩٣ " في نفنف يتطوح.

ط: ويروى: " بين حجح " " ٤٩ ب " وأول البيت " الطويل " :
ترى قرطها في واضح الليت مشرفا ... على هلك " في نفنف يتطوح "
وعلى قوله " ٣,١٤٦٩٥ " على وزن قراسية.
ط: القراسية: الجمل الضخم.
وقوله " ٣,١٤٦٩٦ " أبا المنازل عبر الفوارس.
ط: عند ابن جابر: المنازل بضم الميم، ويروى هذا الشعر لواسع، أخى هدبة بن حشرم، رثى به هدبة، وأوله " البسيط " :
يا هدب يا خير فتيان العشيرة ... من يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
وعلى قول الحطيئة قبل هذا " ٣,١٤٢٨١ " قد ناضلوك فأبدو من كنائنهم.
ط: يهجو الحطيئة بهذا الشعر، الزبرقان بن بدر، ويمدح بني لأي بن شماس، وقبله " البسيط " :." (١)
"وقيل إن معنى قوله: " أخصيى حمار " أن الحمار إذا مد عنقه ليرعى النجمة فربما تقاغس فدنت خصيتاه من الأرض، وقال ابن النحاس يقول: إن الحمير تبعث بالنجم، فسر أبو العباس المبرد هذا البيت في كتاب " الأزمة " بالتفسير الأول، وقال: هذا كقول العامة هو كبير الخصية.
وقوله " ٣٨١،٥٢٥٥ " تفاقد قومي.
ط: هو لبن ميادة وكان يشبب بأم جحدر امرأة بن زحل فبلغ أباها مصير ابن ميادة إليها، فحلف ليزوجها رجلا من غير أهل ذلك البلد فزوجها رجلا من أهل الشام فتبعها ابن ميادة حتى أدركه أهل بيته، فردوه، وهو ر يتكلم من الوجد بها، فقال هذا الشعر وأوله " الطويل " :
ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر ... سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا
وقوله " ٣٨٢،٥٢٦٤ " فقالت: أتحقيقا لما قال كاشح.
ط: تقديره على مذهب أبي العباس: أتريد تحقيقا؟ أتحاول تحقيقا؟
وقوله " ٣٨٣،٥٢٦٦ " قمير بدا ابن خمس وعشرين.
ط: قبلهز " المتقارب " :
ومقاما قمنا به فاستقينا ... ولهونا به وذقنا نعيما
" ١٢١:ب " من لدن فحمة العشاء إلى أن لاح ورد يسوق جونا بهيما

---

(١) القرط على الكامل، ص/١٠٣

وقوله " ٣٨٣،١٤٣،٥٢٦٦ " يقول احترست منها وأمنتها.

ش: ليس أمنتها هنا بشيء إنما معناه كشفت عن الرصد مكانه وتطلعت عليها وتطلعت احتراسا منهم وتوقيابهم.

وقوله " ٣٨٣،١٥٣،٥٢٦٨ " فهو عندهم جميعا برد في الأسنان.

قال ط: قوله عندهم جميعا،غلط، لأن اللغويين يختلفون في الشنب، فقال قوم: هو برد الأسنان وعذوبتها، وقال قوم: هو حدة أطرافها، حكى ذلك ابن جنى.

****

الباب الحادي والأربعون

وقوله " ٣٨٥،٦٢ " وحدثت أن عمر الوادي.

ش: هو عمر بن داود بن زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان، مغن. ومن أهل وادي القرى، وهو من المدينة على خمسة أيام مما يلي الشام، ولم يكن يضرب بالعود، وكان مع الوليد بن يزيد، فشاهد عنده معبدا ومالك بن أبي السمح، وكان الوليد يسميه " جامع لذتي " وكان يغنى في أشعار الوليد وبقى إلى خلافة بني العباس، قاله ابن خرداذبه.

وقوله " ٣٨٥،٦٤ " وتحدث الزبيريون عن خالد بن صامة.

ش: هو خالد بن الصامة مغنى مدني بارد، غنى في مجلس فيه محموم فقال له المحموم: ويحك دعنا نعرق، وبعث رجل غلامه ليشتري له خمسة أرطال ثلجا، ولقى ابن الصامة فأدخله على مولاه وقال: طلبت خمسة أرطال وهذا حمل، وأمه فرعة وكانت هي وأبوه الصامة مغنيين، فكان أهل المدينة يسمونه: " بين دفتي المصحف " !

وقوله " ٣٨٦،٦٤ " ومالك بن أبي السمح وابن عائشة.

ش: مالك هذا عربي طائي، كان لا يضرب بالعود " ١٢٢:الف " وأمه مخزومية. وكان منقطعا إلى عبد الله بن جعفر، تعلم الغناء من معبد وجميلة أم عمرو المدينة، مولاة بني سليم، وبقى إلى خلافة بني العباس.

وابن عائشة محمد أبو جعفر مغت مدني، وكان لا يجيد الضرب بالعود، فكان يغني **مرتجلا**، وكان لا يعرف أبوه، فقيل له ابن عاهة الدار وهي مولاة لآل كثير بن الصلت الكندي، وكان منقطعا إلى حسن بن حسين بن علي " رضي الله عنه " . وأبوه كامل مولى الوليد بن يزيد، كان الوليد به متعجبا.

وقوله " ٣٨٦،٦٦ " فخلوا في طيب عيش فتناولت حبابة.

ش " قال ابن خرداذبه: في موضع من الأردن يدعى بيت راس.
وقوله " ٣٨٦،٦٦ " فعد بينهما خمسة عشر يوما.
ش: قال ابن خرداذبه: أنه كات بعدها جرعا عليها بعد بضعة عشر ليلة.
وقوله " ٣٨٧،٦٧ " إلى طعام عتيد وشراب قد التقى طرفاه.
ط: يجوز أن يريد بقوله: قد التقى طرفاه أي تساوى منظره ومخبره، ويجوز أن يريد: استوى أسفله وأعلاه في الصفاء، فلا كدر فيه.
وقوله " ٣٨٧،٦٨ " وشواء رشراش.
ط: الرشراش الذي يترشرش عليه ماؤه ويقطر.
وقوله " ٣٨٧،٦١٠ " يقول: أبو زيد عجبت أن يبكيا.
ش: في هذا الكلام نقص أفضح ما ذهب إليه معه، والصحيح: يقول أبو زيد عجبي من إعجاب عبد الرحمن أن يبكيا أباه، وهذا الكلام من قوله: " يقول " إلى قوله: ثانيا " إياه " ساقط من بعض النسخ وبسقوطه قيام الكرم ويصح معناه.
وقال ط: عجبت من أن اعجبه أن يبكيا أباه، ولكن هذا وقع.
وقوله " ٣٨٨،٦١٠ " ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها.." (١)

"أي غير يسير ومنه امعن بحقه أي اذهبه والماعون منه لقلته ومنه معن الماء يمعن أي سال قليلاً قليلا كأنه من مقلوب المنع وذلك لان قلة الشيء قريبة من امتناعه ولذلك اجروا القلة مجرى النفي حتى قالوا قلما سرت حتى ادخلها فنصبوا كما ينصبون مع ما في قولكم ما سرت حتى ادخلها وعلى ذلك ما حكاه سيبويه عن يونس من قولهم كثرن ما تقولن ذاك فأدخل النون حملاً لكثر على نقيضه الذي هو قل وكقولهم ربما تقومن والنون بالنفي أعني اولى بها من كثر.

عبيد بن ماوية الطائي

الماوية المرآة وكأن المرأة سميت بذلك لنقائها وماء جسمها الا تراها منسوبة إلى الماء ولذلك سموها عندي المذية فكأنها فعيلة من مذى يمذي لما هناك من جريان الماء ورقته وألزموها في الاضافة بدل الواو كما فعلوا ذلك في الشاوي قال:

ماويّ بل ربتما غارةٍ ... شعواء كاللذعة بالميسم

(١) القرط على الكامل، ص/١٥٧

وقال آخر لا ينفع الشاوي فيها شاته.

قبيصة بن النصراني الجرمي

يجوز ان يكون قبيصة اسماً **مرتجلاً** للعلم ويجوز ان يكون فعيلاً في معنى مفعول من قولهم قبضت إذا اخذت الشيء بأطراف اصابعك كالتراب وغيره فكأنه في الاصل هذه تربة مقبوضة ثم صرفت إلى فعيلة فصارت اسماً منه غير صفة كالذبيحة والفريسة فلحقتها الهاء على ذلك ويجوز ان يكون عندنا نحن صفة وان لحقتها الهاء وذلك ان القياس عندنا ان يقال هذه امرأة قتيلة وكف خصيبة وملحفة جديدة غير ان الهاء حذفت من نحو هذا فقالوا ملحفة جديد وامرأة قتيل وعين كحيل تشبيهاً لفعيل بفعول في نحو قولك هذه امرأة صبور وكفور وشكور فجديد وبابها مما اطرد في الاستعمال وشذ في القياس فاعرف ذلك مذهباً لاصحابنا والجرم القطع.

أدهم بن أبي الزعراء

هذه صفة منقولة كقولك فرس ادهم ودهماء واما الادهم القيد فصفة أيضاً غير انها غلبت والزعراء القليلة الشعر.

خفاف بن ندبة

خفاف اخو خفيف في الوصف يقال شيء حفيف وخفاف وسريع وسراع وطويل وطوال وعريض وعراض وله نظائر والندبة المرة الواحدة من قولك ندبت الميت اندبه ندبة والندبة المرأة الماضية وجمع ندب ندباء.

معبد بن علقمة

هو مفعل من قولك عبدت الله كقولك ضربت زيداً مضرباً ودخلت الدار مدخلاً وقد ذكرنا العلقمة.

أم ثواب الهزانية

هزان علم مرتجل ومثاله فعلان من هززت الشيء ولا يحسن ان تحمله على فعال من لفظ هوازن لقلة فعال وكثرة فعلان ولانه أيضاً غير مصروف.

قتادة بن مسلمة الحنفي

قتادة ضرب من العضاء ومسلمة مفعلة من سلمت كأنه مصدر بمنزلة المشأمة والمشتمة وحنيفة منقول من قولك هذا رجل حنيف وامرأة حنيفة والحنيف العادل من دين إلى دين آخر وأصله من الحنف في الرجل ومنه الحنيفية للاسلام لانه مال عن دين اليهودي والنصارى.

الأخنس بن شهاب

هو من الخنس وهو ارتفاع ارنبة الانف.

عاتكة بنت عبد المطلب

العاتكة القوس إذا عتكت واحمرت لقدمها عتقها يقال قوس عاتكة وعاتك بغير هاء ويشبه ان تكون الهاء انما حذفت من عاتك من حيث كان الوصف مضارعاً للتحقير الا ترى ان قولك هذا رجيل في المعنى كقولك هذا رجل صغير وقد قالوا في تحقير قوس قويس بغير هاء فعلى هذا قالوا عاتك ومن قال قويسة فكأنه هو الذي يقول عاتكة.

جريبه بن الأشيم الفقعسي

يجوز أن يكون تحقير جربة من قولك هذا رجل جرب وامرأة جربة ويجوز أن يكون تحقير جربة وهو القراح من الأرض. والاشيم الذي به شام والانثى شيماء والجمع شيم والمصدر الشيم والشيمة الخلق وحكاهما أيضاً أبو زيد شئمة بالهمز.

أبو خراش الهذلي

يقال تخارشت الكلاب والسنانير تخارشاً وخراشاً مثل تهارشت والخراش أيضاً سمة مستطيلة كاللذعة الخفيفة وثلاثة أخرشة.

هشام أخو ذي الرمة

قد ذكرنا هشاماً وسمي ذا الرمة لقوله في صفة الوتد أشعث باقي رمة التقليد والرمة القطعة من الحبل.

رجل من خثعم

خثعم اسم قبيلة غير مصروف وهو في الأصل اسم بعير والخثعمة تلطخ الجسد بالدم ويقال انما سميت بذلك لأنهم نحروا بعيراً فتلطخوا بدمه وتحالفوا فخثعم على هذا في الأصل ماض كدحرج نقل فسميت القبيلة به ويجوز أن يكون مصدراً حذفت منه الهاء عند النقل وأصله خثعمة ومن أبيات الكتاب:

وما هي إلا في إزار وعلقة ... مغار ابن همامٍ على حيّ خثعما." (١)

"هو اسم المفعول من شنئته اشنرأه شنأ وشنأ وشناء وشنآناً ومشنأة ومشنوءة أي أبغضته وهو مشنوء ومن قرأ ولا يجر منكم شنآن قوم احتمل أمرين أحدهما أن يكون معناه بغيض قوم والآخر أن يكون بغض قوم وأنشد أبو زيد:

ثم استمر بها شيخان مبتجح ... بالبين عنك بما يراك شنآنا

(١) المبهج، ص/١٧

وقال الأحوص:

وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي ... وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

ومثله الليان مصدر لويت الغريم أي مطلته ومن أبيات الكتاب:

قد كنت داينت بها حسانا ... مخافة الافلاس والليانا

معدان بن عبيد

هو اسم علم مرتجل وهو فعلان من لفظ م ع د.

يزيد بن قنافة

القنف صغر الاذنين وغلظهما رجل أقنف وامرأة قنفاء قيل وبه سمي الرجل قنافة ورجل قناف إذا كان ضخم الأنف ويقال هو الطويل الجسم فقد يجوز أن تكون الهاء في قنافة قد لحقت للمبالغة ويجوز أيضاً أن يكون لحاقها ضرباً من ضروب تغيير الأعلام كما إن الهاء في رواحة قد يجوز أن تكون كذلك وقد يجوز أن يكون قنافة علماً **مرتجلاً** من غير طريق الصنعة التي ذكرنا.

شعيث

تحقير شعث وإن شئت كان تحقير أشعث على الترخيم.

وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال

كلال علم مرتجل وليس منقولاً من جنس.

جواس بن القعطل الكلبي

جواس فعال من جاس البلد يجوسه إذا وطئه ودوخه ورجل جواس للبلاد فهو منقول من الوصف وأما القعطل فمرتجل علماً وليس منقولاً.

مالك بن أسماء

ذكر سيبويه أسماء في جملة الأسماء التي آخرها زايدتان زيدا معا فحذفا في الترخيم معاً نحو سكران وبصرى ومسلمات وأشباه ذلك وتتبع أبو العباس هذا الموضع على سيبويه فقال لم يكن يجب أن يذكر هذا الاسم في جملة هذه الأسماء من حيث كان وزنه افعالا لأنه جميع اسم وذهب أبو العباس إلى انه انما منع الصرف في العلم المذكور من حيث غلبت عليه تسمية المؤنث به فلحق عنده بباب سعاد وزينب وقال أبو بكر تقوية لقول سيبويه انه في الأصل وسماء ثم قلبت واوه ا همزة وان كانت مفتوحة وذهب في ذلك إلى باب أحد وأحم واناة وابلة الطعام وأج وج اسم موضع وكأن أبا بكر انما شجع على ارتكاب هذا القول

لأن سيبويه شرعه له وذلك انه لما رآه قد جعله فعلاً ولم يجد في الكلام تركيب ء س م تطلب لذلك وجهاً فذهب إلى البدل وقياس قول أبي العباس ان تنصر أسماء نكرة وأما على مذهب صاحب الكتاب فانها لا تنصرف نكرة ومعنى قول سيبويه وأبي بكر فيهما أشبه معنى أسماء النساء وذلك انها عندهما من الوسامة وهو الحسن فهذا أشبه في تسمية النساء من معنى كونها جمع اسم وينبغي أن يكون سيبويه يعتقد فيها اعتقاد أبي بكر إذ ليس معنى هذا التركيب الظاهر على ان سيبويه قد تناول عين سيد على ظاهرها فحكم بكونها ياءً وان لم يجد تركيب س ي د وهذا موضع نظر ونحن باذن الله نذكره في كتابه أصول العربية على مذهب المتكلمين والفقهاء لا على ما أورده أبو بكر في اصوله.

ريعان

ويقال ربعان أما ربعان فاسم مرتجل علماً وهو فعلان من ر ب ع وأما ريعان فمنقول من ريعان السراب وهو تردده يقال تريع السراب وتريه فهو فعلان منه ويجوز أن يكون ريعان فيعالاً من رعن الجبل وهو الأنف البارز يتقدم منه والتقاؤهما ان السراب يلتقيك بأوله ومقدمته ويشهد لهذا القول الثاني قول الشاعر:

كأن رعن الآل منه في الآل ... بين الضحى وبين قيل القيال

إذا بدا دهامج ذو اعدال

أبو العتاهية

العتاهية من التعته وهو التحسن والتزين قال رؤبة:

بعد لجاج ما يكاد ينتهي ... عن التصابي وعن التعته

وقال أيضاً في عتهي اللبس والتقين وكأن العتاهية مصدر كالكراهية وأجازوا فيه العتاهة كالكراهة.

بنت وقدان

وقدان علم مرتجل وهو فعلان من و ق د.

عتيبة بن بجير المازني

يجوز أن تكون تحقير عتبة الباب وهي أسكفته السفلى وقال قوم بل عتبته العليا وأسكفته السفلى وان كان عتيبة تحقير عتبة فغير هذا وعتبة علم مرتجل غير منقول.

مرة بن محكان التميمي

محكان علم مرتجل وهو فعلان من م ح ك.

سالم بن قحفان

قحفان علم مرتجل وتركيبه من ق ح ف.

رجل من بهراء." (١)

" ويعتد بها ولا تعد فإنها مال لا ينفده الإنفاق وجوهر تتحلى به الأخلاق لا الأعناق

وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام في كتابه إلى بلقيس وهي مذكورة في سورة النمل وفي هذا من شرف الصنعة أنه خولف بين معانيه ومعاني ما أتى به القرآن الكريم

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن ذكر معركة حرب بين المسلمين والكفار وهو إذا خطب القلم عن الرمح الذي هو نديده قام محتفلا وأسهب مترويا **ومرتجلا** حتى يأتي في خطابته بالمعاني الأخائر وأصدق القول ما صدر عن شهادة الضرائر للضرائر وكتابنا هذا يصف معركة احمرت ضبابتها وضاقت بالأسود غابتها فالطعن بها محتضر والموت محتقر والنصر من كلا الفريقين مقتسر وكان الإسلام هناك زجر السنيح وفوز القدح المنيح وليس الذي يرقب المعونة من الله الذي هو رب الميح كمن يرقبها من المسيح ولقد نفذت الرماح في أعداء الله تعالى حتى اعتدلت من جانبي الصدور والظهور وتركت الناجي منهم وهو لا ينظر إلى الصليب إلا نظر الخائف المذعور فليس لهم من بعدها جيش يجمع ولا لواء يرفع وقد كانت بلادهم من قبل مانعة وهي الآن لا تذب عنها ولا تمنع وهذه معركة قلت بها الرقاب المأسورة وكثرت النفوس المقتولة وقربت بها القرابين التي تأكلها النار لا لأنها مقبولة

ومعنى الآية في هذا الفصل مأخوذ من سورة آل عمران إلا أنها تخالفه وذاك أن القربان كان يقبل فتنزل النار تأكله وأجساد هؤلاء الكفار قربان تأكله النار لكنها لا تأكله لأنه مقبول وباقي الفصل يتضمن معنى حسنا رقيقا

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن الشكوى من خلق بعض الإخوان وهو ولقد صبرت على أخلاقه العائثة وعاملته بالخليقة الرائثة وعالجته بضروب المعالجات فلم تنفع فيه رقى الراقية ولا نفث النافثة ولما أعيا علي إصلاحه أخذت بمقالة الخضر لموسى في المرة الثالثة

وهذا مأخوذ من قصة موسى عليه السلام وقصة الخضر في سورة الكهف ." (٢)

" فتأمل ما أشرت إليه وتدبره حتى تعلم أني ذكرت ما لم يذكره أحد غيري على هذا الوجه

---

(١) المبهج، ص/٢٦

(٢) المثل السائر، ١/١٣٥

وإنما سمي هذا القسم من الكلام استعارة لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا إذ لا يعرفه حتى يستعير منه وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر

واعلم أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة وعلى التشبيه المضمر الأداة معا باختلاف القرينة وذاك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من تقدم ذكره فينتقل عن ذلك إلى غيره ويرتجل **ارتجالا**

فمما جاء منه قول البحتري

(إذا سفرت أضاءت شمس دجن ... ومالت في التعطف غصن بان)

فلما قال أضاءت شمس دجن بنصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير في قوله أضاءت كأنه قال أضاءت هي وهذا تشبيه لأن المشبه مذكور وهو الضمير في أضاءت الذي نابت عنه التاء ويجوز حمله على الاستعارة بأن يقال أضاءت شمس دجن برفع الشمس ولا يعود الضمير حينئذ إلى من تقدم ذكره وإنما يكون الكلام **مرتجلا** ويكون البيت

(إذا سفرت أضاءت شمس دجن ... ومال في التعطف غصن بان) ." (١)

" ومن هذا القسم قول مسلم بن الوليد

(تلقى المنية في أمثال عدتها ... كالسيل يقذف جلمودا بجلمود)

وعلى هذا الأسلوب ورد قول العباس بن الأحنف

(لا جزى الله دمع عيني خيرا ... وجزى الله كل خير لساني)

(نم دمعي فليس يكتم شيئا ... ووجدت اللسان ذا كتمان)

(كنت مثل الكتاب أخفاه طي ... فاستدلوا عليه بالعنوان)

وهذا من اللطيف البديع

ويروى أن أبا نواس لما دخل مصر مادحا للخصيب جلس يوما في رهط من الأدباء وتذكروا منازه بغداد فأنشد **مرتجلا**

---

(١) المثل السائر، ١/٣٤٧

(ذكر الكرخ نازح الأوطان ... فصبا صبوة ولات أوان) ." (١)

"ونمّ عليك الكاشحون وقبلهم ... عليك الهوى قد نم لو ينفع النم

وزادك إغراء بها طول بخلها ... عليك وأبلى لحم أعظمك الهم

وأصبحت كالنهدي إذ مات حسرة ... على أثر هند أو كمن سقي السم

وكأنه أراد: من سقيه السم فحذف الضمير.

ووردت امرأة جميلة مع ابن " لها " صغير " المدينة " فخطبت وكان ممن خطبها عبيد الله فقال فيها معرضاً ببراعة الفقهاء السبعة:

أحبك حباً لا يحبك مثله ... قريب ولا في العالمين بعيد

أحبك حباً لو علمت ببعضه ... لجُدْتِ ولم يصعب عليك شديد

أحبك يا أم الوليد متيمي ... شهيدي أبو بكر وذاك شهيد

ويعلم وجدي قاسم بن محمد ... وعروة ما ألقى بكم وسعيد

ويعلم ما أخفي سليمان كله ... وخارجه يبدي بنا ويعيد

متى تسألي عما أقول تخبري ... فللحب عندي طارف وتليد

ويحكى أنه لقيه بعد هذا سعيد بن المسيب يوماً فقال له: أما إنك قد أمنت أن تسألنا، ولو سألتنا ما شهدْنا لك بزور، وهذا من فكاهة أهل الحجاز ولطافتهم رضي الله عنهم.

وكان الإمام الشافعي – رضي الله عنه – وهو القائل مخبراً عن غزارة عنصره في ذلك:

ولولا الشعر بالفقهاء يزري ... لكنت اليوم أشعرَ من لبيد

فمن قوله:

ماذا يخبر ضيف بيتك أهله؟ ... إن سيل: كيف مَراده ومعاجه؟

أيقول جاورت الفرات ولم أنل ... رِفداً إليه وقد طغت أمواجه

ورقيت في درج العلى فتضاءلت ... عما أريد شعاره وفجاجه

ولتخبرنَّ خصاصتي بتملقي ... والماء يخبر عن قذاه

عندي يواقيت القريض ودُرُّه ... وعليّ إكليل الكلام وتاجه

تُرْبي على روض الرّبى أزهاره ... ويرِق في نادي الندى ديباجه

---

(١) المثل السائر، ٣٩٢/١

والشاعر المِنطيق أسود سالخ ... والشعر منه لعابه ومُجاجه

وعداوة الشعراء داء مُعضِل ... ولقد يهون على الكريم علاجه

والظاهر أنه قال هذا قبل اشتغاله بالفقه، فأنه لم يشتغل به حتى الآن في البادية وتوسع في العربية والشعر.

ويحكى عن أبي القاسم بن الأزرق الشاعر أنه قال: جئت الشافعي يوما فقلت: يا أبا عبد الله لك الفقه تفوز بفوائده، ولنا الشعر، فأردت مداخلتنا فيه، فأما أفردتنا الشعر، وإما أشركتنا في الفقه، وقد أتيت بأبيات إن أتيت بمثلها تبت عن الشعر، وإن عجزت تبت عنه، فقال: هات، فأنشدته:

ما همّتي إلاّ مقارعة العدا ... خَلِقَ الزمان وهمتي لم تخلَق

والناس أعينهم إلى سلب الفتى ... لا يسألون عن الحِجا والأَوْلَقِ

لكن من رُزِق الحجا حُرِم الغنى ... هذان مفترقان أي تفرق

لو كان بالحِيَل الغنى لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقي

فقال الشافعي: أنا أقول خيراً منه وأنشد **مرتجلاً**:

إن الذي رُزِقَ اليسارَ ولم ينلْ ... حمداً ولا أجراً لغيرُ موفَّق

فالجَدَ يدني كل شيء شاسع ... والجَدّ يفتح كل باب مغلق

فإذا سمعت بأن مجدوداً حوى ... عوداً فأثمر في يديه فحقق

وإذا سمعت بأن محروماً أتى ... ماء ليشربه فغاص فصدّق

وأحقّ خلق اللهِ بالهمِّ امرؤ ... ذو همة يبلى برزق ضيق

ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وقال أبو سعيد المكي: سمعت الشافعي رضي الله عنه ينشد:

رأيت نفسي تتوق إلى مصر ... ومن دونها عرض المهامه والفقر

ووالله ما أدري أللفقر والغنى ... أقاد إليها أم أقاد إلى قبري

وكان ينشد رضي الله عنه:

يا لهف نفسي على مال أفرقه ... على الفريقين من أهل المروآت

إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

وقال يونس بن عبد الأعلى: كان الشافعي يتمثل:

إذا أصبحت عندك قوت يوم ... فخلِّ الهم عني يا سعيد

ولم تخطر هموم غد ببالي ... لأن غداً له رزق جديد

أسلم إن أراد الله أمراً ... وأترك ما أريد لما يريد

توفي رضي الله عنه بمصر آخر يوم من رجب سنة سبع ومائتين، قال الربيع: لما دفناه رأينا هلال شعبان، وعاش أربعاً وخمسين سنة.." (١)

"٣٥ - أبو القاسم غانم بن محمد بن أبي العلا الاصبهاني، له صاحبيات مدحا ورثاء قال الثعالبي في تتميم يتيمته: كان يساير الصاحب يوما فرسم له وصف فرس كان تحته فقال مرتجلا:

طرف تحاول شأوه ريح الصبا سفها فتعجز أن تشق غباره

بارى بشمس قميصه شمس الضحى صبغا ورض حجاره بحجاره

٣٦ - أبو بكر محمد بن أحمد اليوسفي الزوزني له صاحبية أولها:

أطلع الله للمعالي سعودا وأعاد الزمان غضا جديدا

ومنها:

بعث الدهر جنده وبعثنا نحوه دعوة الإله جنودا

يا عميد الزمان إن الليالي كدن يتركن كل قلب عميدا

حادثات أردن إحداث هدم لعلاه فأحدثت تشييدا

وله من أخرى قوله:

سلام عليها إن عيني عندما أشارت بلحظ الطرف تخضب عندما

٣٧ - أبو بكر يوسف بن محمد بن أحمد الجلودي الرازي له قصيدة صاحبية منها قوله:

رياض كأن الصاحب القرم جادها بأنوائه أو صاغها من طباعه

يجلي غيابات الخطوب برأيه كما صدع الصبح الدجى بشعاعه

ومن٥ا:

سحاب كيمناه وليل كبأسه وبرق كماضية وخرق كباعه

٣٨ - أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني، قال فريد وجدي في (دائرة المعارف) (١) : مدح الصاحب بقصايد فأعجبه نظمه توفي سنة ٣٨٣هـ .

٣٩ - أبو منصور الجرجاني، كتب إلى الصاحب قوله:

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب، ص/١٠٠

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة الملتجى

إني رزقت ولدا كالصبح إذ تبلجا

لا زال في ظلك ظل المكرمات والحجى

فسمه وكنه مشرفا متوجا

فوقع الصاحب تحتها بقوله:

هنئته هنئته شمس الضحى بدر الدجا

فسمه محسنا وكنه أبا الرجا

٤٠ – الأوسي مدح الصاحب ببائية أنشدها بين يديه فلما بلغ إلى قوله :

لما ركبت إليك مهري أنعلت بدر السماء وسمرت بكواكب

قال له الصاحب. لم أنثت المهر؟ ولم شبهت النعل بالبدر ولا يشبهه؟ ولو شبهته بالهلال لكان أحسن فإنه علي هيئته فقال: الأوسي: أما تأنيث المهر فلأني عنيت المهرة؟ وأما تشبيهي النعل ببدر السماء فلأني أردت النعل المطبقة.

---

(١) دائرة المعارف ٦/٢٠." (١)

"تفسير: الكشية: شحمة تستطيل في بطن الضب. والوبد: من قولهم عام وبد أي شديد العيش. ويهتبد: يلتقط الهبيد وهو حب الحنظل. والتسبيد: ابتداء نبات الريش. يقال سبد ريش الفرخ إذا بدأ ينبت. والعبد: الآنف من الشئ. والمتربد: الذي قد تغير لونه للشر.

رجع : مجدي ربك ودعي أبيك، ولدك من دمى عقبيك وحملته بين جنبيك؛ درس قبر بالشبيك، لا يرجع صاحبه إليك، فاتركي بكاءه في البكرات. غاية.

تفسير: أبيك: مثل أبويك. والولد: يقع على الواحد والجمع والشبيك: موضع.

رجع: أخذ ربنا بفضله، وفرح الوارث لجهله، نعيم كلبٍ في بؤسى أهله، حبذا التراث لولا فرط ذله؛ من لك بأخيك كله، نسخ يومك بمثله، وكفاك السرح بظله، من بيتك فلا تعله، احتك فصيل بجذله، وقنع راعٍ بإدله، فاستغن عن حرام النشب بحله، ولتكن بنات صدرك بالذكرى مشتكراتٍ. غاية.

تفسير: نعيم كلب في بؤسى أهله: مثل، وهو أنه إذا هلكت ما شية الرجل نعم كلبه. وذل التراث: أي

---

(١) الكشف عن مساوئ شعر المتني، ص/١٤

لموت القرابة وهو مثل أيضا. والجذل: عود يجعل في مراح الإبل تحتك به الجربي. والأدل: اللبن الحامض. ومشتكرات: ممتلئات من اشتكرت الضرة(وهي أصل الضرع) باللبن إذا امتلأت.

رجع: عز خالق الآهل والجنب، أولع بدويا بطنبٍ، ورب هجمةٍ برطبٍ، وأدار الفلك على قطبٍ، ما أشبه أراكاً بأراكٍ لو ان بريراً في القضب، ووادياً بوادٍ لو سمعت قسيب الماء في الكثب، قمر ناتقٍ كقمر مؤتمرٍ خلا السحب؛ شهب عبدة نسرٍ كهذه الشهب، بهجت الولدة بالسخب، فابتهج بتعبدك في الليالي المعتكرات. غاية.

تفسير: الرطب: كل نبت رطبٍ. والبرير: ثمر الأراك. قسيب الماء: صوته. ناتق: اسم رمضان في الجاهلية. ومؤتمر: اسم المحرم في العربية الأولى. واسم صفر: ناجر، وشهر ربيع الأول: خوان، والثاني: وبصان، وجمادى الأولى: حنين. والآخرة: ربى، وقال قوم رنى (بالنون) ورجبٍ: الأصم، ومنصل الأل، وشعبان: عاذل، ورمضان: ناتق وشوالٍ: وعل، وذي القعدة: برك، وذي الحجة: رنة وأنشد:

يا آل زيدٍ إحذروا هذي السنة ... من رنةٍ حتى توافيها رنه

السخب: جمع سخابٍ وهو قلادة من قرنفل. والمعتكرات: المظلمات؛ وأصله من عكر إذا عطف، والمعنى أن الليل عطف بعضه على بعض.

رجع: طال الخالق وعلا، وقعت من البازل في سلى، ما أدركت في الهيجاء حملاً، وحمى فأما الحمل فخلا؛ لقد عرف حميق جملاً، أوردها سعد مشتملاً، آبك لم تورد إبلاً، صادف الحابل محتبلاً، وجاهر من لم يلف مختتلاً، فأصاب قاتل مقتلاً، والله رب الملإ والملا، وسرح فلو بفلا، وذكرت الوحشية طلاً، ونبحك الحاسد قبلاً، لقد وجد يسار خلى، وأبو سلعامة رخلاً، وربطة جفالاً مغفلا، واشتاق الحادي رملاً، فأنشأ به **مرتجلاً**، إن سمعت أن الرقيع أمطر جندلاً، وأنبت البقيع مندلا، فقل أما في المعقول فلا، وأما في القدرة فبلى، العادات بإذن الله متغيرات. غاية.

تفسير: تقول العرب: وقعوا في سلى جملٍ، إذا وقعوا في أمرٍ منكرٍ لا يهتدى له؛ لأن الجمل لا سلى له، إنما السلى للناقة. وحمل: هو ابن بدر وهو مثل، يقال: لبث قليلا يلحق الهيجا حمل. والوحمى: المشتهية على الحمل وهو مثل، تقول العرب: وحمى فأما حبل فلا حبل. وحميق: رجل يضرب به المثل، يقال: عرف حميق جمله، وبعضهم يجعل الفعل للجمل، فيقول: عرف حميقا جمله. وزعم الأصمعي أن هذا المثل يضرب للرجل إذا عرف صاحبه فاجترأ عليه. وسعد: ابن زيد مناة بن تميم؛ ويقال: إن المثل لمالكٍ أخي سعدٍ هذا؛ وذلك أن مالكا كان ترعيةً وكان يكفي أخاه سعداً أمر الإبل، فأعرس مالك بامرأته واعتمد

على أخيه سعد في سقى الأبل أيام عرسه، فنظر إليه وهو قاعد مع امرأته وقد أوردها مشتملا أي قد اشتمل بثوبه، فقال:

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا تورد يا سعد الإبل

آبك: كلمة تقال عند الزجر؛ وأنشد أبو زيد:

فآبك هلا والليالي بغرةٍ ... تزور وفي الواشين عنك غفول." (١)

"رجع: أيتها النفس المجهشة مهلاً، قرب مماتك فلا تقولى كلا، بليت وحسرتك لا تبلى، مبتدعك مقتدر على أن يجعل زحل كراباً يتبع خائرةً عجلى، والمريخ ماهناً يطعم الإرة حطباً جزلاً. والمشتري سائماً يقول ما أرخص وأغلى، والشمس في قلادة كعابٍ تجلى، والزهرة زهرة تعلو بقلاً، وعطارداً كاتب تاجرٍ ينظر ما قال وأملى، والقمر بياضاً يستبطن يداً أو رجلاً، والشرطين رونى حمل يرتعى خلىً، والبطين محتوياً على كبدٍ وكلى، والثريا منيرةً في بعض الحنادس منزلاً، وحادى النجم راعياً يتبع قلاصاً عجلاً، والهقعة دائرةً في طرفٍ عاطلاً أو محجلاً، والهنعة تركب عنقاً مدللاً، والذراع يطبخ فيسمى منتشلاً، والطرف عينى أسدٍ تزران إذا رأى سفراً مليلاً، والنثرة والجةً في أنفٍ يقدم وجهاً مسهلاً، والزبرة تعلو كتداً لليثٍ يسكن دغلاً، والجبهة خيلاً كراماً أوجبهة ضرغام لا يحذر محتلباً، يقتنص في غابه ظليماً أو وعلاً، والصرفة خرزة تغدو بها المرأة طالبة أملاً، والعواء ضروة تتبع فرقاً مهملاً، والسماك الأعزل راجلاً يشتكى عزلاً، والرامح فارساً يخضب قناته قتلاً، والغفر نمطاً تودعه الظعنية حللاً، والزباني على شوشب سلاحاً لا يرهب فلا، والإكليل للفرضخ مجللاً، والشولة معها نصلاً، والقلب بين جوانح يوجد مشتملاً، أو بين سعفٍ نفي عنه المشذب هملاً، والنعائم على قليبٍ يوجد مظلاً، والبلدة في نحر ظل مقبلاً، وسعداً الذا بح مقتر ايذ بح حملاً، وسعد بلع طاعماً يلتهم أكلاً، وثالثهما سعد بن ضبيعة قائلاً **مرتجلاً**، وسعد الأخبية سعد بن زيدٍ نازلاً مرتحلاً، والفرغين يكتفيان غرباً سحبلاً، والرشاء مرساً في يد مهيفٍ ينضح بالماء غللاً من حول ولقاح. غاية.

تفسير: المجهشة: من قولهم: أجهشت النفس إذا تهيأت للبكاء؛ يقال: جهشت وأجهشت؛ وفي الحديث فجهشنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فقد الماء. والكراب الذي يحرث. والخائرة: البقرة؛ لأنها تخور، والماهن: الخادم. والإرة: حفرة توقد فيها النار؛ وربما سميت النار إرة. و السائم: من سام البضاعة عند الشراء. والشمس. ضرب من الحلى. والمعنى: أن الله تعالى لوشاء جعل هذه الشمس الطالعة شمساً في القلادة؛ يقال: جيد شامس إذا كانت فيه شمس الحلى؛ وقال قوم: شمس الحلى تذكر؛ والصواب

---

(١) الفصول والغايات، ص/٣٣

تأنيثها، لأنها مشبهة بهذه الشمس؛ وأنشد يعقوب في كتاب المعاني – وبعض الناس ينسبه إلى ذي الرمة وليس في ديوانه – :

رمتني مي بالهوى رمي ممضغٍ ... من الصيد لوطٍ لم تخنه الأوالس

وعينان بحلاوان لم يجر فيهما ... ضمان وجيد قلد الشذر شامس

أي فيه شمس الحلي. وممضغ من الصيد أي يرزقه الله تعالى لحم الصيد فيمضغه، كما يقال: فلان مطعم من الصيد. ولوطٍ أي ذي لوطٍ، نعته بالمصدر كأنه يلصق بالأرض ليخفي نفسه من الوحش؛ ومنه: مالاط بصفرى من شئ. والأوالس: من قولهم في عقله ألس أي خفه. ورفع عينين على معنى ورمتنى عينان. والضمان ها هنا: المرض، وأكثر ما يستعمل في الزمانة؛ وأنشد لبعض العور من العرب، وهو ينسب إلى يزيد بن الطثرية:

بكيت بعينٍ لم يصبها ضمانة ... وأخرى رماها صائب الحدثان

عذرتك يا عيني الصحيحة في البكى ... فما لك ياعوراء والهملان

وهذا البيت الثاني يروى لطهمان بن عمرو الكلابي. والمنجمون يزعمون أن الشرط قرن الحمل. والمعنى: أن الله تعالى يقدر أن يجعل ثريا الكواكب مثل الثريا من القناديل. وحادي النجم: الدبران. والنجم الثريا؛ قال الشاعر:

وأية ليلةٍ لا كنت فيها ... كحادي النجم يحرق ما يلاقى

والعرب تتشاءم بحادي النجم وقلب العقرب؛ قال الأسود بن يعفر:

ولدت بحادي النجم يحرق ما رأى ... وبالقلب قلب العقرب المتوقد

والهقعة: من دوائر الفرس يتشاءم بها، ويقال: إنها بياض في الجانب الأيمن مما يقع عليه أحد جانبي السرج، وكانت العرب تتيمن به، حتى قال القائل:

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت ... حليلته وانحل عنها إزارها." (١)

"قبحكم الله يا بني نمير! ما قبلتم قول الله عز وجل: " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " ولا قول الشاعر "

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة، وقيل: سماها جرير الدماغة، تركت بني نمير ينتسبون بالبصرة إلى

---

(١) الفصول والغايات، ص/١٢٢

عامر بن صعصعة، ويتجاوزون أباهم نميراً إلى أبيه، هرباً من ذكر نمير، وفراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة.

والربيع بن زياد، كان من ندماء النعمان بن المنذر، وكان فحاشاً عياباً بذياً سباباً لا يسلم منه أحد ممن يفد على النعمان، فرمي بلبيد وهو غلام مراهق فنافسه وقد وضع الطعام بين يدي النعمان، وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته، فقام لبيد فقال **مرتجلاً**:

يا رب هيجا هي خير من دعة ... نحن بني أم البنين الأربعه

ونحن خير عامر بن صعصعه ... المطعمون الجفنة المدعدعه

والضاربون الهام تحت الخيضعه ... مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه

فقال النعمان: ولمه؟ فقال:

إن استه من برص ملمعه

فقال النعمان: وما علينا من ذلك؟ فقال:

إنه يولج فيها إصبعه

يولجها حتى يواري أشجعه ... كأنما يطلب شيئاً أودعه

ويروي أطمعه فرفع النعمان يده عن الطعام، وقال: ما تقول يا ربيع؟ فقال: أبيت اللعن كذب الغلام، فقال لبيد: مره فليجب، فقال النعمان: أجبه يا ربيع، فقال: والله لما تسومني أنت من الخسف أشد علي مما عضهني به الغلام، فحجبه بعد ذلك، وسقطت منزلته، وأراد الاعتذار، فقال النعمان:

قد قيل ما قيل إن حقاً وإن كذبا ... فما اعتذارك من قول إذا قيلا؟؟

وبنو العجلان، كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه في تعجيل قرى الأضياف، إلى أن هجاهم به النجاشي فضجروا منه، وسبوا به، واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالوا: يا أمير المؤمنين هجانا، فقال: وما قال؟ فأنشدوه:

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة ... فعادى بني عجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر بن الخطاب: إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب، فقالوا: إنه قال:

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر رضي الله عنه: ليتني من هؤلاء، أو قال: ليت آل الخطاب كذلك، أو كلاماً يشبه هذا، قالوا: فإنه قال:

ولا يردون الماء إلا عشية ... إذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر: ذلك أقل للسكاك، يعني الزحام، قالوا: فإنه قال:

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ... وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر: كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه، قالوا: فإنه قال:

وما سمي العجلان إلا لقولهم ... خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر: كلنا عبد، وخير القوم خادمهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين هجانا، فقال: ما أسمع ذلك، فقالوا: فاسأل حسان بن ثابت، فسأله فقال: ما هجاهم ولكن سلح عليهم، وكان عمر رضي الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي، ولكن أراد أن يدرأ الحد بالشبهات، فلما قال حسان ما قال سجن النجاشي، وقيل: إنه حده.

وهذه جملة كافية، ونبذة مقنعة، فيما قصدت إليه من هذا الباب.

باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه

أنشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة يقول فيها:

علونا السماء عفة وتكرماً ... وإنا لنبغي فوق ذلك مظهراً

فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أين المظهر يا أبا ليلى؟ فقال: الجنة بك يا رسول الله، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أجل إن شاء الله، فقضت له دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وسبب ذلك شعره.

وأنشده حسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

فقال له: جزاؤك عند الله الجنة يا حسان، فلما قال:

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

قال له: وقاك الله حر النار، فقضى له بالجنة مرتين في ساعة واحدة، وسبب ذلك شعره.." (١)

"وكان عبد الكريم بهذه الصفة، لا يكاد يصنع مقطوعاً، ولا أظن في جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها.

وكان أبو تمام على جلالته وتقدمه مقصراً في القطع عن رتبة القصائد..

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ص/١٢

والمشهورون بجودة القطع من المولدين: بشار بن برد، وعباس بن الأحنف، والحسن بن الضحاك، وأبو نواس، وأبو علي البصير، وعلي بن الجهم، وابن المعذل، والجماز، وابن المعتز.

وكانوا يقولون في زمان منصور الفقيه وهو قريب من عصرنا هذا : إياكم ومنصوراً إذا رمح بالزوج، وكان ربما هجا بالبيت الواحد.

ووصف عبد الكريم أبا الطيب؛ فزعم أنه أحسن الناس مقاطيع، ولو قال مقاطع بلا ياء قلنا صدقت ولم نخالفه.

وقيل: إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة، ولهذا كان الإيطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس... ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد.. ويستحسنون أن تكون القصيدة وتراً، وأن يتجاوز بها العقد، أو توقف دونه؛ كل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة، وإلقاء البال بالشعر.

وزعم الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزاً وقطعاً، وأنه إنما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف، وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس، وبينهما وبين مجيء الإسلام مائة ونيف وخمسون سنة. وذكر ذلك الجمحي وغيره.

وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلي شيئاً يسيراً، وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أتى العجاج بعد فافتن فيه؛ فالأغلب العجلي والعجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في القصيد. والشاعر إذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل؛ وقد جمع ذلك كله الفرزدق، ومن المحدثين أبو نواس، وكان ابن الرومي يقصد فيجيد، ويطيل فيأتي بكل إحسان، وربما تجاوز حتى يسرف، وخير الأمور أوساطها.. وهو القائل:

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله ... فأطال فيه فقد أراد هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقى ... عند الورود لما أطال رشاءه

؟ ٢٦ باب في البديهة و الارتجال البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا أو من أهل عصرنا هي الارتجال، وليست به؛ لأن البديهة فيها الفكرة والتأيد، والارتجال ما كان انهماراً وتدفقاً لا يتوقف فيه قائله: كالذي صنع الفرزدق وقد دفع إليه سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم ليقتله، فدس إليه بعض بني عبس سيفاً كهاماً فنبا حين ضرب به، فضحك سليمان، فقال الفرزدق **ارتجالاً** في مقامه ذلك يعتذر لنفسه، ويعير بني عبس بنبو سيف ورقاء بن زهير عن رأس خالد بن جعفر:

فإن يك سيف خان أو قدر أبى ... لتأخير نفس حينها غير شاهد

فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... ويقطعن أحياناً مناط القلائد

ولو شئت قط السيف ما بين أنفه ... إلى علقٍ دون الشراسيف جاسد

ثم جلس وهو يقول:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم ... إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وكالذي يروى عن أبي الخطاب عمرو بن عامر السعدي المعروف بأبي الأسد، وقد أنشد موسى الهادي شعراً مدحه به يقول فيه:

يا خير من عقدت كفاه حجزته ... وخير من قلدته أمرها مضر

فقال له موسى: إلا من يا بائس؟ فقال واصلاً كلامه ولم يقطعه:

إلا النبي رسول الله؛ إن له ... فخراً، وأنت بذاك الفخر تفتخر

ففطن موسى ومن بحضرته أن البيت مستدرك، ونظروا في الصحيفة فلم يجدوه؛ فضاعف صلته.

وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حلزة بين يدي عمر بن هند؛ فإنه يقال: أتى بها كالخطبة، وكذلك قصيدة عبيد بن الأبرص، وقيل: أفضل البديهة بديهة أمن، وردت في موضع خوف، فما ظنك بالارتجال وهو أسرع من البديهة؟.

وكان أبو نواس قوي البديهة والارتجال، لا يكاد ينقطع ولا يروي إلا فلتة، روى أن الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في الشعر، ولكنك لا تخطب! فقام من فوره يقول **مرتجلاً**:

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكولٍ لحيات البلاد شروب

فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت إليه وقال:." (١)

"الأوحد الندب الفريد الأمجد السند س المجيد الألمعي الأنورا

إلى أن ختمها بقوله:

واسلم ودم بمهابة وكرامة يا موردا لم أرض عنه مصدرا

ما سارت الركبان تقطع فدفدا من عاشق ولهان تهدي الأسطرا

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/٦١

وله أيضا من قصيدة أخرى في مدحه وذكر بعض رسائله:

شرفتنا بكتاب منك قد بزغت أنواره فهدينا واقتبسناها

رسالة أرسلت للقلب تحفظه فما له ضاع مني عند مسراها

فيا لها دررا من يمكم قذفت سفن العلوم فبلسم الله مجراها

وصرت ألثمها شوقا وأنشدها توقا لمن ببديع النظم وشآها

إن أسعد الله عيني ساعة ورأت محياكم وجلت بالنور مرآها

غفرت الدهر ما أبداه من نكد ونلت من واردات العمر أهناها

وكتب له أيضا:

لقد حكم الزمان علي حتى أراني في هواك كما تراني

وإن بعدت ديارك عن دياري فشخصك ليس يبرح عن عيناي

لقد أمكنت حبك من فؤادي مكانا ليس يعرفه جناني

كانت قد ختمت على ضميري فغيرك لا يمر على لساني

ونلحق هنا بذكر نصر الطرابلسي صديقه بطرس كرامة الذي لعب في ترقي الآداب العربية دورا مهما قبل أواسط القرن التاسع عشر. وهو بطرس بن إبراهيم كرامة الحمصي من أعيان حمص وكان أهله من الروم الملكيين يدينون بالدين الكاثوليكي وهو متحمسون فيه.

وكان عمه ارميا كرامة من الرهبان الشويريين ثم انتقل إلى الرهبنة المخلصية. وفي سنة ١٧٦٣ سقف على قلاية دمشق فعرف بمطران دمشق وقاسى محنا عديدة من قبل المنفصلين إلى أن توفى سنة ١٧٩٥ في دير المخلص. وكان عالما غيورا على إيمانه وله مصنفات دينية. أما بطرس كرامة ابن أخيه فولد في حمص سنة ١٧٧٤ وفيها نشأ وتأدب وله في مديح أعيانها أقوال حسنة كقوله في الشيخ عبد الرحمن الكزبري:

يا حبذا حمص التي ضاءت بأعظم نير

قد أشرق البدر بها وبشمس فضل الكزبري

وقال **مرتجلا** في الشيخ أمين الجندي الذي مر لنا ذكره:

لله نعم مهذب باهت به حمص ونور الفضل عنه يبين." (١)

---

(١) تاريخ الآداب العربية، ٦٧/١

"ودقة حكمه حين أورد أمثلة من بدائه المشارقة وشفعها **بمرتجلات** للأندلسيين ثم أكد " أن البديه والارتجال في هذه الأشعار الأندلسية لم يلحق بالأشعار المشرقية، ولا فيها كبير طائل " (١) .

ولسنا نستطيع أن نحدد عند غير ابن بسام ؟ على قصور في آرائه جملة – " موقفا " نقديا ذا شمول إلا أن ابن خفاجة كان أوضح الشعراء مذهبا قي النقد حين وقف يدافع عن مذهبه الشعري؛ فهو يقرر أن الشعر، وأن جوده صاحبه، منقسم في طرفين ووسط، وأن كلال الشاعر يظهر في الطرف الثاني أي خاتمة القصيدة. ويقول: " والشعر يأتلف من معنى ولفظ وعروض وحرف روي، فقد يتعاصى في بعض الأمكنة جزء من هذه الأجزاء أو أكثر، فطورا ينظم البيت وآونة ينثر " (٢) . ويرى ابن خفاجة أن الشعر، جيدا كان أم رديئا، يجد من يطعن عليه، سواء أكان الطاعن منصفا أو متحيفا. ويذكر أن في بلده ناسا ليس لديهم مقياس نقدي سوى مقياس " الجزالة " ، وأنهم يستعملون هذا المقياس وحده في كل موضوع مدحا كان أو غزلا أو مجونا، ويدافع ابن خفاجة عن الرقة التي استمدها من محاكاة عبد المحسن الصوري والشريف الرضي ومهيار الديلمي، كما يقر بأنه حاكى أبا الطيب في بعض شعره، إلا أن له أشعاراً أخرى أصيلة ساقها على غير مثال.

ويحاول في بعض المواقف أن يشير إلى المصدر الذي استقى منه هذا المعنى أو ذاك فيقول ان قوله: " ونزلت اعتنق الأراك مسلما " ينظر إلى قول أبي الطيب:

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) ديوان ابن خفاجة: ٩.." (١)

"تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٣٠٦

فلو أدرت القول في هذا سنة ما عرفت وجه تأويله، ولكن بعض إخوان الشيخ سأله: كيف تقول إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك؟ فقال **مرتجلا**: [مجزوء الرجز] يا من يراه مجرما ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما ولا يراني لائذا!

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص/١٠٥

(ص٤٠١ ج؟١: نفح الطيب).

". (١)

"قد يكون لفظ الارتجال مأخوذا من الانصباب والسهولة، ومنه قيل: شعر رجل إذا كان سبطا مسترسلا غير جعد، أو من ارتجال البئر، وذلك أن ينزلها الرجل برجليه من غير حبل، لأن الشعر لا يسمى **مرتجلا** إلا إذا كان انهمارا واندفاقا لا تعمل فيه ولا تروئة، وكانت هذه سنة العرب في جاهليتهم، إذ هم لم يحتذوا الشعر على مثال، بل كان ذلك نوعا من كلامهم متى بعث أحدهم عليه انبعث، ولما كانت أسبابه الطبيعية فيهم ترجع إلى حمله النفس، كان هذا الكلام كامنا فيها، ولا يهيجه إلا اضطرابا فكان من أسباب ذلك ما تجد النفس في لذة المغالبة والمدافعة، كالمماتنة والمقارضة ونحوها، وما يرفه عليها ويحسم عنها كالحداء وما في حكمه مما ينشدونه على أفواه القلب وعند الانكفاء من الغارات وأمثال ذلك، ومما يغمر النفس فتكون فيه طافية راسبة؛ ومن هذا النوع شعر العواطف، كالغزل والرثاء، والاستغاثة والتحريض وما إليها، ومن أجل ذلك ابتدأ الشعر عند العرب بالبيتين والأبيات يقولها الرجل في حاجته، حتى وجد فيهم من جعل تلك الأسباب همه وهو الشار، فتركوا ذلك له وصار من عدا الشعراء منهم كما كان العرب في أوليتهم: لا يكاد الرجل يجد سبب الأبيات حتى ينتزعها من نفسه وينبعث بها طبعه، ثم فعلت الوراثة في ذلك فعلها فعظم الشعر وصار في الارتجال شيء من الصنعة يكفي له تقليب العين وخطرة الوهم، فيجيء الشاعر بالقصيدة فيها من بديع التشبيه وبارع الاستعارة وكرم الديباجة وحسن الرونق، ولا يتعاون عليها إلا طبعه ومادته من الأسباب التي قدمناها، فإذا اعترض النفس ما يصرفها عن تلك الأسباب، تبلد الطبع ونضبت المادة، فربما استحالت البديهة بعد الارتجال، وربما استحالت الروية بعد البديهة، كما وقع لعبيد بن الأبرص، وهو من أقدم شعراء الجاهلية وأقواهم غريزة، إذ يقول له النعمان في يوم بؤسه: أنشدني، فقال: حال الجريض دون القريض! قال: أنشدني قولك: أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات." (٢)

"وذكر الصولي في كتاب الوزراء

قال: حدثنا محمد بن موسى اليزيدي قال: دخل الحسن بن وهب على محمد بن عبد الملك وهو في بستان، وأقبل غلام لمحمد بن عبد الملك، حسن الوجه، فقال للحسن: أجز:

كيف ترى هذا الغلام الذي ... أقبل يحكي البدر في المطلع

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

(٢) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

فقال الحسن:

لا تسألني يا أبا جعفرٍ ... عن مثله في مثل ذا الموضع

فقال أبو الجهم أحمد بن سيف وكان حاضراً:

أتيت والله بها جملةًوخيمة المربع والمرتع

فقال الحسن يعرض بأبي الجهم:

إذا ما حامت العقبان يوماً ... تسترت الجوارح بالغياض

فقال أبو الجهم يجيبه:

ألم يخفق فؤادك يا بن وهبٍ ... لذكري دون رميك في عراضي

وهل ثبتت عقاب في مكان ... إذا نسر تحامل في انقضاض!

فأقسم عليها محمد بأن يمسكا، وأقبل يردد بيت الحسن الذي أوله: لا تسألني فقال: الحسن:

نعم وإن أحببت يا سيدي ... فسرت ما أجملته فاسمع

فقال محمد:

إن كنت تهواه فخذه فقد ... جدت لك الآن به ف اقطع

فقال الحسن:

إن كنت تهوى الصدق فأذن لهيخرج إذا حان خروجي معي

قال: اخرج معه يا غلام، فأنت له.

وروى علي بن الجهم

قال: كنت يوماً عند فضل الشاعرة فلحظتها لحظة رابتها، فقالت:

يا رب رامٍ حسنٍ تعرضه ... يرمي ولا أشعر أني غرضه

فقلت:

أي فتى لحظك ليس يمرضه ... وأي عهدٍ محكمٍ لا ينقضه!

فضحكت وقالت: خذ في غير هذا الحديث.

وكان أبو الفضل بن المضاء أحد أمراء بني الأغلب يخضب

فأنشده يوماً أبو شراحيل شريح بن عبد الله بن غانم بن العاص يعرض به:

لعمرك ما الخضاب إذا تولى ... شباب المرء إلا كالسراب

فقال يعقوب يجيبه بديهاً:

فلا تعجل رويدك عن قريبٍ ... كأنك بالمشيب وبالخضاب

وذكر الصولي في كتاب الوزراء حدثني محمد بن العلاء السجزي

قال: دخل أبو ناضرة إلى عبيد الله بن سليمان، فقال:

أيظعن في جملة الظاعنين ... غداً أم يقيم أبو ناضرة؟

فقال الوزير:

يقيم يقيم على رغمه ... وتحلق لحيته الوافرة

فقال عبيد الله بن الفرج، كاتب سر عبد الله سراً:

ويصفع من غير ما حشمةٍ ... وتؤتى حليلته الفاجرة

وذكر أبو عبد الله التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة

قال: حدثني محمد بن الحسن البصري، قال: حدثني الهمداني الشاعر، قال: قصدت ابن الشملغاني في ما درايا، فأنشدته قصيدةً قد مدحته بها، وتأنقت فيها، وجودتها؛ فلم يحفل بها. فسكنت أغاديه كل يوم، وأحضر مجلسه إلى يتقوض الناس؛ فلا أرى للثواب طريقاً. فحضرته يوماً، وقد احتشد مجلسه، فقام شاعر؛ فأنشد نونية، إلى أن بلغ فيها إلى بيت هو:

فليت الأرض كانت مادرايا ... وليت الناس آل الشلمغاني

فعن لي في هذا الوقت هذا البيت، فقمت إليه مسرعاً:

إذا كانت بطون الأرض كنفاً ... وكل الناس أولاد الزواني

فضحك، وأمرني بالجلوس، وقال: نحن أحوجناك لهذا، وأمر لي بجائزة سنية، فأخذتها وانصرفت.

وكان أبو عمر أحمد بن عبد ربه صديقاً لمحمد بن يحيى بن القلفاظ الشاعر

ثم فسد ما بينهما وتهاجيا؛ وكان سبب الفساد بينهما أن ابن عبد ربه مر يوماً، وكان في مشيته اضطراب؛ فقال: يا أبا عمر؛ ما علمت أنك آدر إلا اليوم لما رأيت مشيتك، فقال له ابن عبد ربه: كذبتك عرسك أبا محمد! فعز على القلفاظ كلامه، وقال له: أتتعرض للحرم! والله لأرينك كيف الهجاء! ثم صنع قصيدة أولها:

يا عرس أحمد إني مزمع سفرا ... فودعيني سراً من أبي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك. وكان القلفاظ يلقبه بطلاس، لأنه كان أطلس لا لحية له؛ ويسمى كتابع العقد حبل

القوم؛ فاتفق اجتماعهما مرة عند بعض الوزراء، فقال الوزير للقلفاظ: كيف حالك اليوم مع أبي عمر؟ فقال مرتجلاً:

حال لي طلاس عن رائه ... وكنت في قعدد أبنائه

فبادره ابن عبد ربه، فقال:

إن كنت في قعدد أبنائه ... فقد سقى أمك من مائه

فانقطع القلفاظ خجلاً.." (١)

"أن المعتمد بن عباد جلس يوماً في بعض دور الحرم، فمر عليه بعض حظاياه في غلالة لايكاد يفرق بينها وبين جسمها، وذوائب تبدي إياة الشمس في مدلهما، فسكب عليها إناء ماء ورد كان بين يديه، فامتزج الكل ليناً واسترسالاً، وطيباً وجمالاً، وأدركت المعتمد أريحية الطرب، ومادت بعطفيه راح الأدب، فقال:

وهويت سالبة النفوس عزيزةً ... تختال بيت أسنةٍ وبواتر

وتعذر عليه المقال، فال لبعض الخدم القائمين على رأسه: سر أبي الوليد النحلي، وخذه بإجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ، فأضاف إليه لأول وقوع الرقعة بين يديه:

راقت محاسنها ورق أديمها ... فتكاد تبصر باطناً من ظاهر

وتمايلت كالغصن بلله الندى ... يختال في ورق الشباب الناضر

تبدى بماء الورد مسبل شعرها ... كالطل يسقط من جناح الطائر

تزهي برونقها وحسن جمالها ... زهو المؤيد بالثناء العاطر

ملك تضاءلت الملوك لقدره ... وعنا له صرف الزمان الجائر

وإذا لمحت جبينه ويمينه ... أبصرت بدراً فوق بحرٍ زاخرٍ

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له: أحسنت، أو كنت معنا؟ فأجابه النحلي بكلام معناه: ياقاتل المحل، أو ماتلوت: " وأوحى ربك إلى النحل " !

ومن ذلك،بالإسناد المتقدم أيضاً لكتاب الذخيرة ما روى ابن بسام

أن المعتمد أيضاً أمر بصنع غزال وهلال من ذهب، فصيغا، فجاء وزنهما سبعمائة مثقال، فأهدى الغزال للسيدة ابنة مجاهد، والهلال لابنه الرشيد، فوقع له أن قال:

---

(١) بدائع البدائه، ص/١٢

بعثنا بالغزال إلى الغزال ... وللشمس المنيرة بالهلال

واصطبح، وحضر الرشيد فدخل عليه، وجاء الندمان والجلساء، وفيهم أبو القاسم بن مرزقان، فحكى لهم المعتمد البيت، وأمر بإجازته، فبدر ابن مرزقان فقال:

فذا سكني أسكنه فؤادي ... وذا نحلي أقلده المعالي

شغلت بذا وذا خلدي ونفسي ... ولكني بذاك رخى بال

زففت إلى يديه زمام ملكي محلى بالصوارم والعوالي

فقام يقر عيني في مضاءٍ ... ويسلك مسلكي في كل حال

فدمنا للعلاء ودام فينا ... فإنا للسماح وللنزال

وذكر أبو الفتح بن خاقان في كتاب القلائد

قال: خرجت من إشبيلية لوداع كبير من المرابطين، فوجدت معه الوزير أبا محمد ابن مالك، فلما انصرفنا عدنا متسايرين، فمررنا بمرجٍ حسن النبات، بديع النوار، فبادر مملوك من مماليكه وضيء الوجه إلى زهرةٍ بديعة، فقطفها، وأتاه بها لتعجبه من حسنها، فاقترح على أن أصفه: فقلت:

وبدرٍ بدا والطرف مطلع حسنه ... وفي كفه من رائق النور كوكب

فقال مجيزاً له:

يروح لتعذيب النفوس ويغتدي ... ويطلع في أفق الجمال ويغرب

ويحسد منه الغصن أي مهفهفٍ ... يحئ على مثل الكثيب ويذهب

قال علي بن ظافر

ومن هذا القسم ما تكون الإجازة لبيت بأبيات تجعل قبله أو بعده وقبله كما أنبأني العماد أبو حامد قال: قال عمارة اليمني الشاعر في كتابه في شعراء اليمن: إن الفقيه أبا العباس أحمد بن محمد الآبي حدثه، قال: أذكر ليلة وأنا أمشي مع الأديب أبي بكر العدني على ساحل عدن، وقد تشاغلت عن الحديث معه، فقال لي: في أي شيء أنت تفكر؟ فقلت: في بيت عملته، وهو:

وأنظر البدر مرتاحاً لرؤيته ... لعل طرف الذي أهواه ينظره

فقال: لمن هذا البيت؟ فقلت: لي، فأنشد **مرتجلاً**:

يا راقد الليل بالإسكندرية لي ... من يسهر الليل وجداً حين أسهره

ألاحظ النوم تذكاراً لطلعته ... وإن جرى دمع أجفاني تذكره

قال علي بن ظافر

اتفق أن خرجنا للقاء القاضي الفاضل، فرأيت في الموكب رجلا أسود اللون، وعليه جبة حمراء، فأنكرته ولم أعرفه، ولقيت القاضي الأسعد أبا المكارم أسعد بن الخطير أطال الله بقاءه، فقلت له: من هذا الأسود الذي كأنه فحمة من دم حجامة؟ فقال لي:

كأنه ناظر طرفٍ أرمد

فقلت: يصلح أن يكون قبله:

وأسود في ثوبه المورد

وبعده:

أو مثل خالٍ فوق خد أمرد." (١)

"في كتاب درك الغرر ودرج الدرر في محاسن نظم الأمير أبي الفضل الميكالي، قال: سمعت الأمير أبا الفضل يقول: سمعت أبا القاسم الكرخي يقول: كنت ليلة عند الصاحب بن عباد، ومعنا أبو العباس الضبي، وقد وقف على رءوسنا غلام كأنه فلقة قمر، فقال الصاحب **مرتجلاً**:

أين ذاك الظبي أينه

فقال أبو العباس الضبي:

شادن في زي قينة

فقال الصاحب:

بلسان الدمع تشكو ... أبداً عيناي عينيه

فقال أبو القاسم:

لي دين في هواه ... ليته أنجز دينه

فزاد الأمير أبو الفضل عند إنشاد أبي القاسم فقال:

لا قضى الله ببينٍ ... أبداً بيني وبينه

وأخبرت أن الأمير أبا الفتح بن أبي حصينة السلمي وأبا محمد عبد الله بن محمد بن سعد الخفاجي الحلبي

اجتمعنا عند الأمير سديد الملك أبي الحسين علي بن المقلد بن نصر بن منقذ الكناني، فتفاوضوا في فنون

---

(١) بدائع البدائه، ص/٢٩

الأدب، فقال ابن أبي حصينة:

قمر إن غاب عن بصري

فقال الخفاجي:

ففؤادي حد مطلعه

فقال ابن أبي حصينة:

لست أنسى أدمعي ولهاً

فقال الخفاجي:

خلطت في فيض أدمعه

فقال سديد الملك:

قلت زرني قال مبتسماً ... طمع في غير موضعه

قال علي بن ظافر

أخبرني من أثق به بما معناه، قال: خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون، ومعهما الوزير ابن خلدون من إشبيلية إلى منظرةٍ لبني عباد بموضع يقال له الغيث، تحف به مروج مشرقة الأنوار، منتسمة النجود والأغوار، مبتسمة عن ثغور النوار، في زمن ربيع سقت السحب الأرض فيه بوسميها ووليها، وجلتها في زاهر ملبسها وباهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالأزر الخضر من نباتها، وأجياد الجداول قد نظم النور قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسيم عند هباتها، وهناك من البهار ما يزري بمداهن النضار ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الأجفان، وقد نووا الانفراد باللهو والطرب، والتنزه في روضتي النبات والأدب، وبعثوا صاحباً لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم، ونظام مسرتهم ليأتيهم بشراب يذهبون الهم بذهبه في لجين زجاجه، ويرمونه منه بما يقضي بتحريكه للهرب عن القلوب وإزعاجه، وجلسوا لانتظاره، وترقب عوده على آثاره. فلما بصروا به مقبلاً من الفج بادروا إلى لقائه، وسارعوا إلى نحوه وتلقائه. واتفق أن فارساً من الجند ركض فرسه فصدمه، ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه، وكسر قمعل الشراب الذي كان معه، وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه، ومضى على غلوائه راكضاً، حتى خفى عن العين خائضاً، وحين وصل الوزراء إليه، تأسفوا عليه، وأقاضوا في ذكر الزمن وعدوانه، والخطب وألوانه، ودخوله بطوام المضرات على توام المسرات، وتكديره الأوقات المنعمات، بالآفات المؤلمات، فقال ابن زيدون:

أنلهو والحتوف بنا مطيفة ... ونأمن والمنون لنا مخيفة

وقال ابن خلدون:

وفي يومٍ وما أدراك يوم ... مضى قمعا لنا ومضى خليفه

وقال ابن عمار:

هما فخارتا راحٍ وروحٍ ... تكسرتا فشققفات وجيفه

وأخبرني الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله المقدم ذكره قال: أخبرني الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي، قال: أخبرني بن الدهان القرطبي، قال: مضيت أنا وأبو الفضل البغدادي وابن صلاح إلى دار أمين الدولة أبي الحسن هبة الله بن صاعد، ابن التلميذ، فأساء لنا حاجبه قنبر، وأفرط في منعنا من الدخول إليه، فقال أبو الفضل:

قد بلينا في دار أس ... عد خلقٍ بمدبر

فقلت:

بقصيرٍ مطولٍ ... مستطيلٍ مقصر

فقال ابن الصلاح:

كم تقولون قنبر! ... قطعوا رأس قنبر

ثم أذن لنا، فدخلنا نضحك، فسألنا عن سبب ضحكنا فأخبرناه بالسبب، فقال: أنشدوني الأبيات جملة أميز لكم قول كل واحد منكم، فأنشدناه الأول، فقال: هذا لأبي الفضل لأنه شاعركم، ثم أنشدناه الثاني، فقال: هذا لك لأن فيه شيئاً من ألفاظ المهندسين، وأنت رجل مهندس، ثم قال: والثالث لابن الصلاح لأنه مخضرم.

قال علي بن ظافر." (١)

"فقلت لما بدا سحر الجفون لها ... جاءت له حية في خدها تسعى

وتلك عقرب خديها فلا برحت ... لا أنها العقرب المؤذي بها طبعا

فانظر إلى حيةٍ مع عقربٍ ظهرت ... بروض وجنها لم يقتلا شرعا

وزادتا حسنها نفعاً فواعجباً ... من أهل ضر لها قد أظهروا النفعا

لو يكن ريقها الترياق ما سلمت ... وكان لأئمها لا يأمن اللسعا

فقل لمن سامني ترك الغرام بها ... لم أسلها والذي قد أخرج المرعى

---

(١) بدائع البدائه، ص/٦٠

قال علي بن ظافر: وصنعت:

قضيب قدك هذا الرطب من هصره ... وخمر ريقك هذا العذب من عصره!

وأطلس الخد من بالمسك صور في ... محمره حبةً بالمسك مقتدره

يا حسنه أفعواناً لا يعض وإن ... أضحى على عضه لعاشقين شره

فلا تظننه رقشاء لاسعةً ... تنساب من وجهها في روضةٍ نضره

بل نفث ألحاظها بالسحر خيل ثعبانا على خدها يلهى الذي نظره

يا ليت شعري مع أني الكليم هوىً ... لم أظهرت آيتي ألحاظها السحرة!

قال: وقلت أيضاً:

وغادةٍ رقمت في خدها صوراً ... لتسلب الناس ألبابا وأذهانا

هل عقرب الصدغ خافت فيك أعيننا ... فاستنجدت عقرباً أخرى وثعبانا!

أم العقارب والحيات قد ألفت ... من وجنتيها بحكم الطبع بستانا

الباب الخامس

في بقية بدائع البدائه

وفيه فصلان

أحدهما ما كان من البدائه باقتراح مقترح كما تقدم في أول الباب الراب

وثانيهما ما ليس باقتراح مقترح

الفصل الأول

فيما كان باقتراح مقترح

فمن ذلك ما روى

أن جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة؛ وهو مرثد بن عمرو بن عامر بن ماء السماء، وهو آخر ملوك جفنة بالشام قال لحسان: حب هذا المدامة، قد استحوذ على فبغضها إلى، فصنع حسان **ارتجالا**:

ولولا ثلاث هن في الكأس لم يكن ... لها ثمن من شاربٍ حين يشرب

لما نزق مثل الجنون ومصرع ... دنى وأن العقل ينأى ويذهب

فقال: حرمتني لذتها، فحببها إلي، فارتجل وقال:

ولولا ثلاث هن في الكأس أصبحت ... من أكسد شي يستفاد ويجلب

أمانيها والكأس يظهر طيبها ... على حزنها، والهم ينأى ويذهب

فأمر له جبلة بجائزة وحلةٍ من حلله.

ومن ذلك ما روى

أن الفرزدق دخل على عبد الملك في بعض وفاداته عليه، فامتدحه فحباه وأكرمه وأحسن جائزته، فلما خرج من عنده ركب راحلته، وأنشد:

ما حملت ناقة من معشرٍ رجلا ... مثلي إذا الريح ألقتني على الكور

فأنهى ذلك إلى عبد الملك، فأرسل وراءه من رده، فلما دخل عليه قال: إيه يا فرزدق! أنت الذي تقول: ما حملت ناقة... البيت.؟ قال: نعم ا أمير المؤمنين، قال: لتخرجن منها يا بن اللخناء أو لآتين عليك! فقال مرتجلا:

إلا قريشاً فإن الله فضلها ... مع النبوة بالإسلام والخير

ترى وجوه بني مروان مشرقةً ... يوم الندى كشرفات الدنانير

فقال عبد الملك: أولى لك! ورضي عنه.

ومن ذلك ما روى أن أبا الخطاب عمر بن عامر السعدي المعروف بابن الأشد موسى الهادي

يا خير من عقلت كفاه حجزته ... وخير من قلدته أمرها مضر

فقال له الهادي: إلا من؟ فقال واصلا كلامه:

إلا النبي رسول الله إن له ... فخراً وأنت بذاك الفخر تفتخر

فظن الهادي والحاضرون أن البيت مستدرك، ونظر في صحيفته فلم يجده. فأضعف صلته.

وروى أن علي بن جبلة الأعمى العكوك لقي طاهر بن الحسين وهو في حراقة له

فقال له طاهر: إنك قد قلت في أبي دلف:

إنما الدتيا أبو دلفٍ ... بين مبداه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلفٍ ... ولت الدنيا على أثره

فاصنع لي مثلهما ولك بكل بيت ألف، فصنع بديهاً:

عجبت لحراقة ابن الحسي ... ن كيف تعوم ولا تغرق

وبحران، من تحتها واحد ... ومن فوقها آخر مطبق." (١)

"تريك به الكثوس جمود ماء ... فتحسب راحها ذوب الضرام

يميل به غصوناً من قدودٍ ... غناء مثل أصوات الحمام

فكم من موصلي فيه يشدو ... فينسى النفس عادية الحمام

وكم من زلزلٍ للضرب فيه ... وكم للزمر فيه من زنام

لدى موسى بن أيوب المرجي ... إذا ماضن غيث بانسجام

ومن كمظفر الدين المليك ال ... أجل الأشرف الندب الهمام

فما شمس تقاس إلى نجوم ... تحاكي قدره بين الكرام

فدام مخلداً في الملك يبقى ... إذا ما ضن دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام، فوضع فرجية من خاص ملابسه كنت عليه على كتفي، ووضع شربوسة بيده على رأس مملوك صغير كان لي.

؟؟؟؟؟قال: ومررت أيضاً عليه وقد أنفذني السلطان خلد الله تعالى ملكه في رسالة إلى الموصل في سنة سبع وستمائة

فلما عدت أمسكني عنده نحو شهر بالرها، وجرت لي عنده بدائه كثيرة، من جملتها أنه غنى بين يديه بشعر أعجمي ليس على أوزان العروض، فأعجبه واقترح على أن أصنع له على وزنه ليغني له به ما يفهمه، وأرسل إلي بذلك، فعملت في الوقت بالمعنى الذي اقترحه:

مالذة المعنى ... إلا مدامته

ووصل من عليه ... قامت قيامته

ظبي صريعه ... ما ترجى سلامته

والٍ على غرامي ... دامت ولا يته

في السلم لينه ... وفي الهيجا صرامته

كالسيف مقلتاه ... كالرمح قامته

كالبدر وجهه ... والأصداغ هالته

---

(١) بدائع البدائه، ص/٧٨

كالغصن حين تز ... هو به غلالته

كالليث حين تب ... دو عليه لامته

وليس مثل قلبي تخشى سآمته

إن الوفاء منه ... والصبر عادته

وولائمي عليه ... بانت لآمته

كالريح لم تؤثر ... عندي ملامته

فقم أدر شراباً ... لذت مرارته

قد جلت الدياجي ... عنا إنارته

فما السرور عندي ... إلا إدارته

وأنفذته إليه وهو في مجلس أنه مع مملوك لي للوقت، فعاد مخلوعاً عليه خلعة خاصة

الفصل الثاني

فيما وقع من بدائع البدائه من غير اقتراح

روى مرة أن بن محكان السعدي تميم

قدم بين يدي مصعب بن الزبير أيام ولايته العراق لأخيه عبد الله بن الزبير - وأظن ذلك بعد وقعة الحرة، ودخول مصعب البصرة - فأمر رجلا من بني أسد بقتله، فقال مرة بن محكان بديهاً:

بني أسدٍ إن تقتلوني تحاربوا ... تميماً إذا الحرب العوان اشمعلت

ولست وإن كانت إلي حبيبةً ... بباكٍ على الدنيا إذا ما تولت

وذكر الطبري

أن الوليد بن عبد الملك - أو سليمان - مضى إلى الحج، فلما وصل إلى المدينة أتى له بجماعة من أسرى الروم ففرقهم على أشرافها ليقتلوهم، فأعطى عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أسيراً منهم ليقتله، فقام وحسر عن ساعديه، وطلب سيفاً فلم يجسر أحد أن يعطيه سيفاً، فناوله بعض الحرس سيفاً كليلا، فضرب به الأسير ضربةً أطارت رأسه وبعض كتفه، فعجب الناس وقالوا: ما قطعها إلا حسبه. ثم أعطى أسيراً لجرير، فقام إليه بعض بني عبس سيفاً صارماً فضرب به الأسير فأطار رأسه، ثم أعطى أسيراً للفرزدق. فدس اليه بعض بني عبس سيفاً كهاماً ضرب به الأسير نباً فضحكوا وخجل الفرزدق ثم قال: يا أمير المؤمنين، هبه لي ففعل. فأعتقه، ثم قال **مرتجلا** يعتذر، ويعير بني عبس:

فإن يك خان أو قدر نبا ... لتأخير نفسٍ حينها غير شاهد

فسيف بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... وتقطع أحياناً مناط القلائد

– عيرهم بنبو سيف ورقاء بن زهير بن جذيمة عن رأس خالد بن جعفر الكلابي قاتل أبيه زهير، وقد كان ضربه عدة ضربات، وهو ملقٍ نفسه على زهير، فلم يصنع شيئاً، وفي ذلك يقول جرير يهجو الفرزدق:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشعٍ ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم." (١)

"فأجابه الفرزدق بقوله:

ولا تقتل الأسرى ولكن نفكهم ... إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وروى أنه سكر يوماً فتكشف فمرت به امرأة فسخرت منه

فأنشأ يقول:

وأنت لو باكرت مشمولةً ... صهباء مثل الفرس الأشقر

عدت وفي رجليك ما فيهما ... وقد بدا هنك من المئزر

وروى أبو الغراف

قال: إن الحجاج قال لجرير والفرزدق، وهو في قصره بجزيز البصرة: ائتياني في لباس آبائكما في الجاهلية؛ فلبس الفرزدق الديباج والخز، وقعد في قبة وشاور جرير دهاة بني يربوع وشيوخهم، فقالوا: مالباس آبائنا إلا الحديد. فلبس درعاً، وتقلد سيفا، وتابط رمحاً، وركب فرساً لعباد بن الحصين الحبطى، وأقبل في أربعين فارساً، من بني يربوع، وجاء الفرزدق في هيئته، فقال جرير:

لبست سلاحي والفرزدق لعبة ... عليه وشاح كرجٍ وخلاخله

أعدوا مع الخز الملاب فإنما ... جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا، فوقف جرير في مقبرة بني حصن، ووقف الفرزدق في المربد.

وروى أن الحجاج لما أتى بالحكم بن المنذر الجارود

قال: أنت الذي قال فيك الشاعر:

ياحكم بن المنذر الجارود ... سرادق العز عليكً ممدود

قال: نعم، قال: والله لأجعلن سرادقك السجن، فقال الحكم **مرتجلا:**

---

(١) بدائع البدائه، ص/٩٢

متى ماأكن في السجن في حبس ماجدٍ ... فإني على ريب الزمان صبور
فلو كنت النكث والغدر لم أجب ... دعاك؛ ولو منك الأمان غرور
لقد كنت دهراً لا أخوف بالتي ... أخاف، ولايسطو على أمير
فقال الحجاج: لله أبوك! إن زعارة العرب لبنية فيك؛ خلوا سبيله.
وروى عن عبد الأعلى الشيباني أن حماد عجرد ومطيع ابن إياس اجتمعا في مجلس محمد بن خالد، وهو أمير الكوفة للسفاح، فتمازحا

فقال حماد:

يا مطيع يا مطيع ... أنت إنسان رقيع

وعن الخير بطئ ... وإلى الشر سريع

فقال مطيع:

إن حماداً لئيم ... سفلة الأصل عديم

لا تراه الدهر إلا ... بهن العير يهيم

فقال له حماد: ويحك! أترميني بدائك! والله لولا كراهتي لتمادى الشر ولجاج الهجاء، لقلت لك قولا يبقى، ولكن لا أفسد مودتك، ولا أكافئك إلا بالمدح، ثم قال:

كل شيء لي فداء ... لمطيع بن إياسٍ

رجل مستملح في ... كل لينٍ وشماس

عدل روحي بين جنبي ... وعيني وراسي

غدس الله له ... كبدي أوفي غراس

ذاك إنسان له فضل على كل أناس

وروى إسحاق الموصلي أن يحيى بن زياد الحارثي قال لمطيع بن إياس
امض بنا إلى فلانة صديقتي، فإن بيني وبينها مغاضبة، لتصلح بيننا، ولكن - بئس المصلح أنت! فدخلا إليهما، وجعلا ملياً يتعاتبان ومطيع ساكت، حتى إذا أكثرا قال له يحيى: ما يسكتك أسكت الله نأمتك!

فقال مطيع:

أنت معتلة عليه وما زا ... ل مهيناً لنفسه في رضاك

فأعجب يحيى ما سمع وهش، فقال مطيع:

فدعيه وواصلي ابن إياسٍ ... جعلت روحه الغداة فداك

فقام يحيى بوسادة في البيت، فما زال يصدع بها رأسه ويقول: ألهذا جئت بك يابن الزانية! ومطيع يغوث، والجارية تضحك منهما.

وروى أن أبا دلامة تاب وعزم على الحج

فلما صار بطبرتاباذ لقيه علج من الخمارين الذين كان يألفهم، اسمه أبو بشر، فدعاه إلى منزله وأضافه وأحضر له نبيذاً، فامتنع أبو دلامة منه وأخبره بتوبته، وما عزم عليه، فقال العلج: إنه مطبوخ، فشرب منه، فلم يلبث أن دبت فيه سورته، فرفع عقيرته وأنشد:

سقاني أبو بشرٍ من الراح شربةً ... لها سورة ما ذقها لشراب

وما طبخوها غير أن غلامهم ... مشى في نواحي كرمها بشهاب

وروى انه كان منحرفاً عن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله ابن العباس

فاتفق أن خرج المهدي إلى الصيد، ومعه علي وأبو دلامة، فرمى المهدي ظبيا عن له فأنفذ مقاتله، ورمى علي بن سليمان فأصاب كلباً من كلاب الصيد، فارتجل أبو دلامة:

قد رمى المهدي ظبياً ... شك بالسهم فؤاده

وعلى بن سليما ... ن رمى كلباً فصاده." (١)

"فهنيئاً لهام ك ... ل فتىً يأكل زاده

فخجل علي بن سليمان، وضحك المهدي، وأمر له بجائزة.

وذكر دعبل بن علي

قال: كان لأبي الشمقمق على بشار مائتا درهم في كل سنة، فأتاه أبو الشمقمق في بعض السنين فقال: هلم الجزية يا أبا معاذ، فقال: ويحك! أوجزية هي؟ قال: نعم هو ما تسمع، فقال له بشار يمازحه: أنت أفصح أو أحكم مني؟ قال: لا، قال: فلم أعطيك؟ قال: لئلا أهجوك، قال: لئن هجوتني لأهجونك، قال أبو الشمقمق: أو هكذا هو؟ قال: نعم ما بدالك. فقال أبو الشمقمق:

إني إذا ما شاعر هاجانيه ... ولج في القول له لسانيه

أدخلته في است أمه علانيه ... بشار يا بشار...

أراد أن يقول: يا بن الزانية. فوثب إليه بشار وأمسك فاه، ثم قال: أراد والله أن يشتمني، ثم دفع إليه مائتي

---

(١) بدائع البدائه، ص/٩٣

درهم وقال: لا يسمع هذا منك الصبيان.

وروى أن أبا نواس لما وفد على الخصيب

قال له مرة يمازحه وهو بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في قول الشعر، ولكنك لا تخطب، فقام من فوره وصعد المنبر وأنشد مرتجلا:

محضتكم يا أهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحيةٍ ... أكولٍ لحيات البلاد شروب

فإن يك باق سحر فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت إليه وقال: لا يأتي بها والله خطيب مصقع. فاعتذر إليه، وحلف أنه إنما كان يمازحه.

وروى أنه كان تنزه مرة مع عيسى بن الرشيد بالقفص في أواخر شعبان

فلما كان في اليوم الموفى ثلاثين قيل لأبي نواس: هذا يوم شك، وبعض الناس يصومه احتياطاً. فقال: ليس الشك حجة على اليقين، حدثنا أبو جعفر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته " ، ثم التفت إلى عيسى وارتجل:

لو شئت لم نبرح من القفص ... نشربها حمراء كالفص

نسرق هذا اليوم من شهرنا ... فالله قد يعفو عن اللص

وذكر يزيد بن أبي اليسر الرياضي في أمثاله

قال: حدثنا أبو سهل الحاسب، ونحن معه في بعض حوانيت الفسطاط، قال: كان أكثر قعود الحسن بن هانئ في هذا الحانوت، فمر به في بعض الأيام ابن عبد الحكم، وكان في يده سوط، فسلم علينا به، فقال الحسن:

سلم السوط إذ مررت علينا ... فعلى السوط لا عليك السلام

فقال ابن عبد الحكم لمن معه: من هذا؟ فقيل: هذا الحسن بن هانئ. فرجع إليه ونزل واعتذر، فقبل الحسن بن هانئ عذره وألطفه.

وذكر أبو الفرج في كتاب القيان والمغنين

أنه كان بالكرخ مغن يقال له أبو عمير، وكان له قيان حسان، وكان عبد الله بن محمد. أظنه التيمي – قد عشق جارية منهن، يقال لها عبادة فكان يغشى منزله وينفق فيه. ثم أضاق إضافة شديدة حملته على انقطاع عنهم، وكره أن يقصر عما كان عليه من برهم، ثم نازعته نفسه إلى لقائها وزيارتها، فأتاها فأصاب عندها

جماعة ممن كان يألف منزل مولاها، فرحبت به الجارية وسيدها، واستبطئو زيارته وعاتبوه على تأخره عنهم، فجعل يجمجم في عذره، ولا يصرح، فلما سكر رفع عقيرته منشداً:

لو تشكى أبو عمير قليلاً ... لأتيناه من طريق العياده

وقضينا من الزيارة حقا ... ونظرنا لمقلتي عباده

فقال له أبو عمير: مالي ولك يا بن أخي! انظر إلى مقلتي عبادة كيف شئت غير ممنوع...، ولا تتمن لي المرض.

وذكر أيضاً فيه برواية تتصل بعلي بن هشام

قال: قدمت على جدتي شاهك من خراسان، فقالت لي: اعرض على جواريك، فعرضتهن عليها، ثم جلسنا على الشراب، ومتيم تغني، فأطالت جدتي الجلوس عندنا، فلم أنبسط للجواري إجلالاً لها، فأخذت الدواة وصنعت في الحال، وكتبت به رقعة ورمت بها إلى متيم:

أنبقى على هذا وأنت قريبة ... وقد منع الزوار بعض التكلم!

سلام عليكم لا سلام مودعٍ ... ولكن سلام من محب متيم

فأخذته ثم نهضت إلى الصلاة، وعادت وقد صنعت لحناً فغنته، ففطنت جدتي، وقالت: أظن أننا ثقلنا عليكم، وأمرت الخدم فحملوا محفتها، وأمرت للجواري بصلاتٍ، وأمرت لمتيم بثلاثين ألف درهم.

أنبأني الفقيه النبيه." (١)

"قال: كنت بين يدي المتوكل، وقد أتاه رسول برأس إسحاق بن إسماعيل، فقال علي بن الجهم يخطر بين يدي الرسول، وهو يرتجز:

أهلاً وسهلا بك من رسول ... جئت بما يشفى من الغليل

برأس إسحاق بن إسماعيل

فقال المتوكل: التقطوا هذا الجوهر لا يضيع.

قال علي بن ظافر: إسحاق بن إسماعيل هذا مولى لبني أمية، خرج بتفليس في سنة سبع وثلاثين ومائتين، حين وثب أهل أرمينية بعاملهم من جهة المتوكل يوسف بن محمد بن يوسف. وتولى قتل إسحاق هذا بغا الكبير في سنة سبع وثلاثين؛ ولم يكن بين اغتباط المتوكل بعلى هذا الاغتباط وبين نفيه إلا نحو سنة، لأنه نفاه إلى خرسان في سنة ثمان وثلاثين.

---

(١) بدائع البدائه، ص/٩٤

وذكر ابن أبي طاهر في أخبار بغداد

عن محمد بن عبدوس الفارسي أنه قال: سرت يوماً إلى علي بن الجهم، فأنشدني لنفسه في العناق:

ولم أنسى ليلاً ضمنا بعد فرقةٍ ... وأدنى فؤاداً من فؤادٍ معذب

وبتنا جميعاً لو تراق زجاجة ... من الراح فيما بيننا لم تسرب

فانقدح زني لإيراد مثله، فأطرقت وقلت بديهاً:

لا والمنازل من نجدٍ وليلتنا ... بفيد إذ جسدانا في الهوى جسد

كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه ... سيراً فما أنفك لاخد ولا عضد

ما أنصفوني، دعوني فاستجبت لهم ... حتى إذا قربوني منهم بعدوا

أنبأني المقدسي

عن القيروان عن السرقسطي عن الحميدي، قال: حكوا أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة كان أديباً شاعراً سريع البديهة، كثير النوادر من جلساء الأمير عبد الرحمن - ذكره غير واحد - وحكوا أنه دخل عليه في يوم غيم، وبين يديه غلام حسن المحاسن، جميل الزي، لين الأخلاق. فقال له: ما يصلح ليومنا هذا؟ فقال: عقار تنفر الذبان وتؤنس الغزلان، وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخي علي عنان التبسط، يديرها هذا الأغيد المليح. فضحك ثم أمر بالغناء وآلات الصهباء، فلما دارت الكئوس واستمطر الأمير نوادره واستطرد بوادره. وأشار إلى الغلام أن يلح عليه، فلما أكثر رفع رأسه إليه وقال على البديهة:

يا حسن الوجه لا تكن صلفاً ... ما لحسان الوجوه والصلف

تحسن أن تحسن القبيح ولا ... ترثي لصبٍ متيمٍ دنف

فاستبدع الأمير بديهته، وأمر له ببدرة. ويقال إنه خيرة بينها وبين الوصيف فاختارها نفياً للظنة عنه.

وذكر أن الخليع حضر مجلس المتوكل في جملة الندماء

وقد كبر سنه، وضعف جسمه، وبين يديه شفيع خادمه ينضد ورداً، وعليه قراطق موردة، ولم يكن في عصره خادم أحسن منه، فأمره المتوكل أن يحييه بوردة، ويغمز يده ليحرك خاطره، ففعل فارتجل:

وكالوردة البيضاء حيا بوردةٍ ... من الحمر يمشي في قراطق كالورد

سقاني بعينيه وكفيه شربةً ... فأذكرني ما قد نسيت من العهد

له عبثات عند كل تحيةٍ ... بكفيه تستدعي الخلي إلى الوجد

سقى الله دهراً لم أبت فيه ليلةً ... من الدهر إلا من حبيب على وعد

قال علي بن ظافر

وهذه الحكاية تشبه حكاية ذكرها الفتح ابن خاقان في قلائد العقيان أوردتها ها هنا قاطعاً ترتيب الحكايات طلباً للمجانسة حتى إذا نجزت عدنا لترتيب الأخبار على ترتيب الأعصار، قال الفتح بن خاقان: أخبرني الوزير أبو عامر بن يشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات، ونامت عنه أعين المضرات، وأظهر سقاته غصونا تحمل بدوراً، وتطوف من المدام بنار مازحت من الماء نوراً، وشموس الكاسات تشرق في أكف سقاتها كالورد في السوسان، وتغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الأجفان. وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي، وهو يومئذٍ قد بذل الجهد، في التحلي بالزهد، فأمر القائد ساقيه أن يعرض عليه ذهب كاسه، ويحييه بزبرجد آسه، ويغازله بطرفه، ويميل عليه بعطفه، ففعل ذلك عجلا، فأنشد أبو الحسن **مرتجلا:**

ومهفهفٍ مزج الفتور بشدة ... وأقام بين تبذلٍ وتمنع

يثنيه من فعل المدامة والصبا ... سكران: سكر طبيعةٍ وتصنع

والله لو لا أن يقال هوى الهوى ... منه بفضل عزيمةٍ وتمنع." (١)

"فأجابني وأملي على الرسول في الحال **ارتجالا:**

جوابان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مضلل

فمن ظنه كرماً فليس بكاذب ... ومن ظنه بخلاً فليس يجهل

لحومهما الأعناب والرطب الذي ... هو الحل والدار الرحيق المسلسل

ولكن ثمار النخل وهي غضيضة ... تعاف وغصن الكرم يجنى ويؤكل

يكلفنا القاضي الجليل مسائلاً ... هي النجم قدراً بل أعز وأطول

ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ... جديراً ولكن من يجيبك يقبل

فأجبته ثانياً بقولي:

أثار ضميري من يعز نظيره ... من الناس طراً بل أعز وأفضل

تساوي له سر المعاني وجهرها ... وسائرها بادٍ لديه مفصل

ومن قلبه كل العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار تشعل

---

(١) بدائع البدائه، ص/٩٧

ولما أثار الحب قاد صنيعه ... أسيراً بأنواع البيان يكبل

وقربة من كل فهمٍ بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل

وأعجب منه نظمه الدر مسرعاً ... **ومرتجلاً** من غير ما يتمهل

فيخرج من بحرٍ ويسمو مكانه ... جِلالاً إلى حيث الكواكب تنزل

فهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنه والعمر منها مطول

فأجابني **مرتجلا** وأملاه في الحال:

ألا أيها القاضي الذي بدهائه ... سيوف على أهل الضلال تسلل

فؤادك معمور من العلم آهل ... وجدك في كل المسائل مقبل

فإن كنت بين الناس غير مموِلٍ ... فأنت من الفهم المصون ممول

إذا أنت خاصمت الخصوم مجادلاً ... فأنت وهم مثل الحمائم أجدل

كأنك علم الشافعي مخاطباً ... ومن قلبه تملي فما تتمهل

وكيف يرى علم ابن إدريس دارساً ... وأنت بإيضاح الهدى متكفل

تفضلت حتى ضاق ذرعي تكرماً ... فقلت وكفى عن جوابك أجمل

لأنك في كنه الثرياً فصاحةً ... وأعلى، ومن يبغى مكانك أسفل

فعذري في أني أحببتك واثقاً ... بفضلك فالإنسان يسهو ويذهل

وأخطأت في إنقاذ رقعتك التي ... هي المجد لي منها أخير وأول

ولكن عداني أن أروم احتفاظها ... رسولك، وهو الفاضل المتفضل

ومن حقها أن يصبح المسك غامراً ... لها وهي في أعلى المنازل تجعل

فمن كان في أشعاره متمثلاً ... فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل

تجملت الدنيا بأنك فوقها ... ومثلك حقاً من به يتجمل

وبالإسناد المتقدم عن ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة

قال: ذكر أبو عبد الله الصفار الصقلي، قال: كان بالقيروان غلام وضيء، كان يختلف إلى أبي علي حسن بن رشيق، فكان يحذره من المخالطة، فخرج يوماً يتنزه مع جماعته، فأشيع عنه ما ينكر، وبلغ أبا علي، فقال بديهاً:

يا سوء ما جاءت به الحال ... إن كان ما قالوا كما قالوا

ما أحذق الناس يصوغ الخنا ... صيغ من الخاتم خلخال

وقد كان أبو الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمي يهوى فتىً ببغداد

وينكر حبه، والغلام يعرف شدة وجده به وكلفه؛ فدمعت عينا أبي الفضل يوماً، فقال الغلام: دمعك شاهد عليك، فارتجل أبو الفضل:

وهبني قد أنكرت حبك جملةً ... وهونت من نفسي العزيزة سخطها

فمن أين لي في الحب جرح شهادةٍ ... سقامي أملاها، ودمعي خطها

قال: وكان أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدرامي ليلة مع بعض أصحابه وبين أيديهم شمعة، فأفضى حديثهم إلى وصفها فأطرق بعضهم ليصنع فيها، فبدره أبو الفضل فقال:

ذهبنا فأذهبنا الهموم بشمعةٍ ... غنينا بها عن طلعة الشمس والبدر

أقول وجسمي ذائب مثل جسمها ... ودمعتها تجري كما دمعتي تجري

كلانا لعمري ذوب نارٍ من الهوى ... فنارك من حمرٍ وناري من هجر." (١)

"وذكر صاحب قلائد العقبان ما معناه أن ابن عمار تنزه بالدمشق بقرطبة، وهو قصر شيده خلفاء بني أمية وزخرفوه، ودفعوا صرف الدهر عنه وصرفوه، وأجروه على إرادتهم وصرفوه، وذهبوا سقفه وفضضوها، ورخموا أرضه وروضوها، فبات به والسعد يلحظه بطرفه، والروض يحييه بعرفه، فلما استنفد كافور الصبح مسك الغسق، ورصع أبنوس الظلام نضار الشفق، قال **مرتجلا:**

كل قصرٍ غير الدمشق يذم ... فيه طاب الحيا وفاح المشم

منظر رائق وماء نمير ... وثرى عاطر وقصر أشم

بت فيه والفجر والليل عندي ... عنبر أشهب ومسك أحم

وقال علي بن ظافر

وأخبرني الفقيه أبو العرب إسماعيل ابن معوشة الكناني السبتي، قال: أخبرني شيخ من أهل إشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد، وكان عليه من آثار كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق، وينطق بأن قوله الحق. قال: كنت في صباي حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحني عين أحد إلا ملكت قلبه، وخلست خلبه، وسلبت لبه، وأطلت كربه، فبينا أنا واقف على باب دارنا، إذا الوزير أبي بكر بن عمار قد أقبل في موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قدت من قنة الجبل، فحين حاذاني ورآني، أشرأب إلي ينظرني،

---

(١) بدائع البدائه، ص/١٠٤

وبهت يتأملني، ثم دفع بمخصرة كانت في يده في صدري، وأنشد:

كف هذا النهد عني ... فبقلبي منه جرح

هو في صدرك نهد ... وهو في صدري رمح

قال علي بن ظافر

وذكر الفتح بن خاقان في كتاب القلائد ما معناه قال: أخبرني ذو الوزارتين أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر عند المؤتمن بن هود في يوم أجرى فبه الجو أشقر برقة، ورمى ببندق ودقة، وحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها، وتميلت قامات الغصون في الحلل الخضر من أوراقها، والأزهار قد تفتحت عيونها، والكمائم قد ظهر مكنونها، والأشجار قد انصقلت بمداوس القطر، ونشرت ما يفوق ألوان البز وبثت ما يعلو أرواح العطر، والراح قد أشرقت نجومها في بروج الراح، وحاكت شمس٥١ شمس الأفق فتلفعت بغيوم الأقداح، ومديرها قد ذاب ظرفاً فكاد يسيل من إهابه، وأخجل خده حسناً فتكلل يعرق حبابه؛ إذا بفتىً رومي من فتيان المؤتمن أقبل متدرعاً، كالبدر اجتاب سحاباً، والخمر اكتست حباباً، والطاووس انقلب حبابا، فهو ملك حسناً إلا أنه جسد، وغزال ليناً إلا أنه في هيئة أسد، وقد جاء يريد استشارة المؤتمن في الخروج إلى موضع كان عول فيه عليه، وأمره أن يتوجه إليه، فحين وصل إلى حضرته لمحه ابن عمار، والسكر قد استحوذ على لبه، وانبثت سراياه في نواحي قلبه. فأشار إليه وقربه، واستبدع ذلك اللباس واستغربه، وجد في أن يستخرج الدرة من ماء ذلك الدلاص، وأن يجلي عنه سهكه كما يجلي عنه الخبث عن الخلاص، وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه، ويكون هو الساقي على عادته القديمة ورسمه، فأمره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله، واحتذاء مثاله، فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورميت شياطين النفوس من كمت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار يقول:

وهويته يسقي المدام كأنه ... قمر يدور بكوكبٍ في مجلس

متناوح الحركات يبدي عطفه ... كالغصن هزته الصبا يتنفس

يسقي بكأسٍ في أنامل سوسنٍ ... ويدير أخرى من محاجر نرجس

أيا حامل السيف الطويل نجاده ... ومصرف الفرس القصير المحبس

إياك بادرة الوغى من فارسٍ ... خشن القناع على عذارٍ أملس

جهمٍ وإن كشف القناع فإنما ... كشف الظلام عن النهار المشمس

يطغى ويلعب في دلال عذاره ... كالمهر يلعب في اللجام المخرس

سلم فقد قصف القنا غصن النقا ... وسطا بليث الغاب ظبي المكنس

عنا بكأسك قد كفتنا مقلة ... حوراء قائمة بسكر المجلس

وصنع فيه أيضاً:

وأحور من ظباء الروم عاطٍ ... بسالفتيه من دمعي فريد

قسا قلباً وشن عليه درعاً ... فباطنه وظاهره حديد

بكيت وقد دنا ونأى رضاه ... وقد يبكي من الطرب الجليد

وإن فتى تملكه برقٍ ... وأحرز حسنه لفتى سعيد

وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسام." (١)

"أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد يوماً وقد حمل إليه حمول وافرة من قراريط الفضة، فأمر له بكيسين منها، وكان بين يديه تماثيل عنبر، من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلي، فقال له أبو العرب معرضًا: ما يحمل هذين الكيسين إلا جمل، فتبسم المعتمد وأمر له به، فقال أبو العرب بديهاً:

أجديتني جملا جوناً شفعت به ... حملاً من الفضة البيضاء لو حملا

يناخ جودك في أعطان مكرمةٍ ... لا قد تعرف من منعٍ ولا عقلا

فاعجب بشأني فشأني كله عجب ... رفهتني فحملت الحمل والجملا

فسارت بهذا الركائب، وتهادته المشارق والمغارب.

قال ابن بسام

وكان في قصر المعتمد فيل من فضة على شاطئ بركة يقذف الماء، وهو الذي يقول فيه عبد الجليل بن وهبون المرسي من بعض قصيدة:

ويفرغ فيه مثل النصل بدع ... من الأفيال لا يشكو ملالا

رعى رطب اللجين فجاء صلدا ... تراه قلما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوماً على تلك البركة، والماء يجري من ذلك الفيل، وقد أوقدت شمعتان من جانبيه، والوزير أبو بكر بن الملح عنده، فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديهاً منها:

ومشعلين من الأضواء قد قرنا ... بالماء والماء بالدولاب منزوف

لاحا لعيني كالنجمين، بينهما ... خط المجرة ممدود ومعطوف

---

(١) بدائع البدائه، ص/١٠٧

وقال أيضاً:

كأنما النار فوق الشمعتين سناً ... والماء من نافذ الأنبوب منسكب

غمامة تحت جنح الليل هامعة ... في جانبيها حفاف البرق يضطرب

وقال أيضاً:

وأنبوب ماءٍ بين نارين ضمنا ... هوى لكئوس الراح تحت الغياهب

كأن اندفاع الماء بالماء حية ... يحركها في الماء لمع الحباحب

وقال أيضاً:

كأن سراجي شربهم في التظائها ... وأنبوب ماء الفيل في سيلانه

كريم تولى كبره من كليهما ... لئيمان في إنفاقه يعذلانه

قال علي بن ظافر

خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوماً إلى بعض منزهاته فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج، وتنفست من مسكها الأريج، وماست معاطف أغصانها، وتكللت بلآلئ الطل أجياد قضبانها، فتشوق إلى الوزير أبي طالب بن غانم أحد وزراء دولته، وسيوف صولته، يكتب إليه بديهاً في وريقة كرنب بعود من شجرة:

أقبل أبا طالبٍ إلينا ... واسقط سقوط الندى علينا

فنحن عقد بغير وسطى ... ما لم تكن حاضراً لدينا

وجلس يوماً وبين يديه ساقية

قد أخمدت ببردها حر الأوار، والتوى ماؤها التواء السوار، فقال ارتجالا:

انظر إلى الماء كيف انحط في صببه ... كأنه أرقش قد جد في هربه

وقال علي بن ظافر

وذكر الفتح ما معناه، قال: خرج الوزراء بنو القبطرنة إلى المنية المسماة بالبديع، وهو روض قد اخضرت مسارح نباته، واخضلت مساري هباته، ودمعت بماء الطل عيون أزهاره، وذاب على زبرجده بلور أنهاره، وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة، وأضحت مقل الحوادث عنه مطرقة، فخيول النسيم تركض في ميادينه فلا تكبو، ونصول السواقي تصول لحسم أدواء الشجر فلا تنبو، والزروع قد نقبت وجه الثرى، وحجبت الأرض عن العيون فلا تبصر ولا ترى. وكان المتوكل ابن الأفطس يعده غاية الأدب، ويعده منبهة للطرب ومدفعة

للكرب، فباتوا ليلتهم يديرون لمع لهب، يمنون فيه الخلود ويحتسون ذوب ذهب، لا يصهر به ما في بطونهم والجلود، حتى تركتهم ابنة الخابية، كأنهم أعجاز نخل خاوية. فلما هزم رومى الصباح زنجي الظلام، ونادى الديك: حي على المدام، انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلاً، وأنشد **مرتجلا:**

يا شقيقي واف الصباح بوجهٍ ... ستر الليل نوره وبهاؤه

فانتبه واغتنم مسرة يومٍ ... ليس يدري بما يجيء مساؤه

فانتبه أخوه أبو بكر لصوته، وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته، وانتبه أخوهما أبو الحسن وهو يرتجل:

يا أخي قم تر النسيم عليلا ... باكر الراح والمدام شمولا

لاتنم واغتنم مسرة يومٍ ... إن تحت التراب نوماً طويلا

فانتبه أخوه لكلامه، رافضاً لذة منامه للذة قيامه، وقال **مرتجلا:**." (١)

"أتانا الفقيه ببطخةٍ ... وسكينة قد أجيدت صقالا

فقطع بالبرق بدر الدجى ... وناول كل هلالٍ هلالا

وأخبرني القاضي الأعز بن المؤيد، عن أبيه

قال: كنت عند الأمير شمس الملك نبهان بن عين الزمان، وعنده الأعز بن قلاقس وجماعة ممن يجالسه، وعنده مغن يقال له الحسام؛ وهو ابن صاحب ربع المشهور، فجعل يغني ببليقة لحسام الدين الإسكندراني في هجاء ابن قلاقس أولها:

اسألوا عني فتوح بن قلاقس

كيف رأى ضرب الشلوح بالدرافس

فعز على ابن قلاقس ما فعله، وأوهم أنه يمضي إلى بيت الخلاء، فقام ثم عاد سريعاً، فوقف على باب المجلس، وقال:

ليس الحسام حساماً ... وإنما هو غمد

يشدو فكم من فؤادٍ ... تحت السياط يشد

وقد قلت إذ تاه فينا ... تبظرماً لا يحد

خرا عليك ولو أن معبداً لك عبد

فكأنما ألقم حجراً.

---

(١) بدائع البدائه، ص/١٠٨

وأخبرني الأنجب السخاوي الساكن بالإسكندرية

قال: لما وصل الأديب الأعز بن قلاقس من صقليه، وكان قد انتجع أبا القاسم بن الحجر، فانبجس بعيون العطاء وانفجر، خرج للسلام عليه جميع معارفه وخرجت في جملتهم، فلما نزل من المركب، وأخذنا في السلام عليه، إذ بأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي الصلاح قد خرج، فحين وقعت عينه عليه – أي على الأعز – أنشد **مرتجلاً**:

أظل هلال العاشقين فلا أهلا ... ولا مرحباً بالقادمين ولا سهلا

ثم انصرف؛ وتركنا متعجبين لسرعة بديهته وقلة وفائه.

أنبأني العماد أبو حامد رحمه الله

قال: جرى بين يدي القاضي الفاضل رحمه الله يوماً ذكر حب الصغير، فارتجل هذه الأبيات:

طفل كفاه القلب داراً له ... كأنما القلب له قالب

كيوسف الحسن وقلبي له ... سجن وما ثم له صاحب

أصبح والقلب لباس له ... لا قاصر عنه ولا ساحب

وهو بعيني، وهو إنسانها ... وهي له من خارجٍ حاجب

ضاق به ضيق عناقي له ... فلم يسع ما قاله العائب

قال: وجرى بين يديه ذكر سيوف السلطان الملك الناصررحمه الله

فارتجل قطعة، علق بحفظي منها:

ماضيات على الدوام دوامي ... هي في النصر نجدة الإسلام

في يمين السلطان إذا جردتها ... أشبهتها صواعق في غمام

تنثر الهام في الحروب فما أشبه هذي السيوف بالأقلام

في محاريب حربه البيض حلت ... وركوع الظبا سجود الهمام

وأخبرني السعيد أبو القاسم بن سناء الملك رحمه الله

قال: خرجنا للقاء القاضي الفاضل رحمه الله تعالى في بعض قدماته من الشام، فلقيناه وعدنا، فلما كنا في سطح الخشى عن ظبي للموكب، فركض خلفه المسكين بن حيون، طامعاً أن يلحقه، وكان مثل هذا الفعل لا يليق به، لأنه ليس من أهله، ولأن الصدر المتلقى لا ينبغي أن يغلط بين يديه مثله. فعجب الفاضل منه، واتفق أن فاته الصيد الذي طلبه، وسقطت مقرعته من يده، ورجع إلى الموكب، وعليه انكسار الفوات وحجل

الغلط، فارتجل الأجل الفاضل:

يا عادياً عدو السفي ... ه وعائداً عود الحليم

ضيعت مقرعةً وعد ... ت سميها من غير ميم

قال: وأخبرني الفقيه أبو العباس أحمد الآبي

وكان كثير الصحبة للأجل الفاضل في صدر عمره أيام كونه بالإسكندرية – قال: كان يصحبه رجل يعرف بابن بليمة، ولا يكاد يفارقه، وكان يحضر عنده رجل مغن من أهل الثغر، يعرف بشهاب؛ وكان يغني الموشحات، فغنى ليلةً، واتفق أن نعس ابن بليمة فأنبه، فضرط، فضحك الأجل الفاضل، وارتجل:

تغنى شهاب لنا ليلةً ... غناء له هجع السمر

فأعجب هذا ابن بليمةٍ ... فأقبل من دبره ينعر

وأخبرني الفقيه شجاع الغزالي المتقدم ذكره

قال: مضيت أنا ونشو الملك على بن مفرج بن المنجم المقدم ذكره إلى دار الكامل شجاع بن أمير الجيوش بن شاور آخر وزراء الدولة المصرية، ومن كان انقضاؤها بموته، ومعنا قصيدتان قد امتدحناه بهما في بعض الأعياد، فرأينا رماحاً قد عملت برسم الموكب، وجعل عليها مكان اللهازم أهلةً من ذهب، فقال نشو الملك: قد مقع لي في هذه الرماح معنى، فصنع في الحال:." (١)

"ثَبتّ به ثَباتَ القُطْب لمّا ... أدَار رَحاه خَطْبٌ لا يُرام

ومنها:

مضَوْا في أمرِهم سَحَراً ودارتْ ... بما عَقدُوا من الحَلفِ المُدامُ

فردّوها عَلَى الشَّفرات بيضاً ... وجدَّدَ في تعاطيها النِّدام

وما أخذتهمُ الأسياف لكن ... صواعقُ لا يبوخُ لها ضِرام

باخ الحر، إذا سكن، يبوخ بالخاء المعجمة. وباخت النار والحرب، إذا سكنتا.

إذا ما برقةٌ برقَت عليهم ... فإنّ القَطْر أعضادٌ وهاُم

ومنها يصف انهزام أذفونش تحت الظلام بجيشه منهم، وإلقاء الدروع عنه وعنهم:

ستسألك النّساءُ ولا رجالٌ ... فحدّث ما وراءَكَ يا عصامُ

وراقبها بأرِضك طالعاتٍ ... كما تُهدِي صَواعقَها الغمامُ

---

(١) بدائع البدائه، ص/١١٦

ومنها:

فإن شئتَ اللُّجينَ فَّثم " سأُم " ... وإن شئت النظار فثَّم " حاُم "

ومنها:

نضَا أدراعَه واجْتَابَ ليلاً ... يودّ لو انه في الطُّول عاُم

وله يتشوق إلى ابن عباد، وقد حضر بالمرية في بعض الأعياد، والشعراء ينشدون المعتصم بالله أبا يحيى محمد بن معن بن صمادح سلطان تلك البلاد:

دنا العيد لو تَدْنو به كعبةُ المُنى ... ورُكْنُ المَعالي من ذُؤابة يَعُرب

فيا ويلتَا للشعر تُرمي جماره ... ويا بُعد ما بيني وبين المُحصَّبِ

وكان عبد الجليل منطقاً بما يقول، يجري على لسانه المقول. حدثنا غير واحد من شيوخنا رحمهم الله، منهم سلطان بلنسية أبو عبد الملك بن عبد العزيز، والوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عميرة، والفقيه القاضي بجزيرة شقر أبو يوسف يعقوب بن طلحة، قالوا: حدثنا الوزير أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة قال: لقيت الشاعر أبا محمد عبد الجليل بين لورقة والمرية، فبتنا نتناشد الأشعار، ونتذاكر الآداب والأخبار؛ فلما انفجر عمود الصباح، وحيعل داعي الفلاح؛ وكان العدو على مقربة من البلاد، والناس في ضروب من الخوف والأنكاد؛ سرنا وفؤاد عبد الجليل يطير فرقاً، وفرائصه ترعد قرقاً؛ فأخذت أسكن روعه بأناشيد من القريض، وهو لما داخله من الوجل كالمدنف المريض؛ لا يبدي ولا يعيد، إلى أن اطلعت لنا اليد؛ مشهدين وعليهما رأسان يخاطبان، من الحال بأفصح لسان؛ فقلت **مرتجلا**، والركب يجد السير من الفزع عجلا:

ألا رُبَّ رأسٍ لا تَزاورَ بينه ... وبين أخيه والمَزارُ قَريبُ

أنافَ به صَلْدُ الصَّفا فهو مِنْبُر ... وقام على أعلاه وهو خَطيبُ

فثاب لعبد الجليل عقله، وآب إليه ذكاؤه ونبله، فقال:

يقول حِذاراً لا اغتراراً فطالما ... أناخَ قتيلٌ بي ومرَّ سَليبُ

ويُنشدنا: إنَّا غريبان هَاهنا ... وكلُّ غَريبٍ للغريب نسيبُ

فإنْ لم يَزْره صاحبٌ أو خَليلُه ... فقد زاره نَسْرٌ هناك وذِيب

فها هو: أمَّا منظرا فهو ضاحك ... إليك وأما نَصْبَةً فكَئِيب

يريد بقوله " أما منظرا فهو ضاحك " أن ذلك الرأس قد ذهبت عنه جلدته بطول بلاه، فهو بحسب مرآه

كأنه ضاحك، وبحسب معناه كأنه كئيب. ولم يذكر " الفتح " منها في " قلائده " لعبد الجليل سوى بيت، هو قوله:

يقول حِذَاراً لا اغتراراً فطالَما ... أناخ قتيلُ بي ومَرّ سَلِيبُ

وانه قتل من ساعته كما ذكرناه، والله الموفق لا رب سواه؛ فما أتم قوله إلا وعجاجة قد ارتفعت، وكتيبة قد طلعت؛ فما انجلت إلا وعبد الجليل قتيل وأنا سليب، وهذا فأل عجيب، وافقه قدر مصيب.

قال ذو النسبين، رضى الله عنه: ومن شعراء الأندلس الذين أنجدت بأقوالهم الحداة واتهمت، واعرقت بها الرواة وأشأمت، الأديب:

أبو جعفر أحمد بن محمد البتي." (١)

"قال: نزلت بفندق بمدينة دانية ليلاً، فرأتني امرأة كانت تعرفني في أيام السلطان أبي الطاهر تميم، وهي الحرة الفاضلة مريم بنت إبراهيم؛ والدنيا قد سحبت على من جاهها ووزارتها ذيلا، فقلت **مرتجلا**:

عَاذِلَتي لا تُفنّدِينِي ... أن صِرْتُ في مَنزلٍ هَجينِ

فليسَ قُبْح المَكان ممّا ... يَقْدَحُ في مَنْصِبي ودِيني

الشمسُ عُلْوِيّةٌ ولكنْ ... تَغْرُبُ في حَمْأَةٍ وطِين

وكان شيخا هذا رحمه الله يلقب باللص لدياثته وسكونه، وتردده خفية في جميع شؤونه؛ وكان لا ينكر هذا اللقب مع جاهه عند سلطان زمانه، وقد أنشدني بيتين قالهما في الوزير أبي الحسين بن فنده في إبان شبابه وعنفوانه:

خَلَسْتَ قَلْبي بطَرْفٍ ... أبَا الحُسين خَلُوبِ

فكيفَ أُدعى بلّصٍ ... وانت لصُّ القلوبِ

ولما وصلت المحلات العظيمة، والعساكر العميمة، بجبل الفتح والنصر والهدى، قام منشدا:

غَمّضْ عن الشَّمسِ واستقصِرْ مَدى زُحَلِ ... وانظُرْ إلى الجَبلِ الرَّاسي على جَبلِ

أنَّي استقلَّ به أنَّي استقرّ به ... أنَّي رأى شخصه العالِي فلم يَزُلِ

توفي شيخنا رضي الله عنه ببلدة إشبيلية سنة ست وسبعين وخمسمائة. وأخبرني أن مولده سنة سبع وخمسمائة. سمعت منه كثيرا، وأجاز لي جميع رواياته ولأخي، نفعنا الله.

الوزير الكبير وزير إشبيلية وعظيمها، وشاعرها المشهور وكريمها:

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب، ص/٣٣

أبو بكر محمد

ابن الوزير الكبير، الطبيب النحير، أبي مروان عبد الملك؛ ابن وزير ذلك الدهر وعظيمه، فيلسوف ذلك العصر وحكيمه؛ أبي العلاء زهر، ابن الوزير الكبير أبي مروان عبد الملك، الراحل إلى المشرق، وبه تطبب زماناً طويلا وتولى رياسة الطب ببغداد، ثم بمصر ثم بالقيروان، ثم استوطن مدينة دانية، وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس والمغرب، واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى بذ أهل زمانه. ومات بدانية. وأبوه الوزير الفقيه العالم أبو بكر محمد بن مروان بن زهر الإيادي النسب العالم بالرأي والحافظ للأدب. وكان حاذقاً في الفتوى، مقدما في الشورى، متفننا في العلوم، وسيماً فاضلا، جمع الرواية والدراية. توفي بطليرة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وهو ابن ست وثمانين سنة. حدث عنه جماعة من علماء الأندلس، ووصفوه بالدين والفضل، والجود والبذل.

حدثني شيخنا المبدأ بذكره، وهو الوزير أبو بكر، عن جده الوزير أبي العلاء بجميع تواليفه وشعره. وتوفي الوزير أبو العلاء بمدينة قرطبة، ممتحناً من نغلة. بين كتفيه سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

والذي انفرد شيخنا به وانقادت لتخيله طباعه، وأصارت النبهاء خوله وأتباعه: الموشحات، وهي زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته. وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق. وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق، فمن ذلك قوله:

سَدلْنَ ظَلامَ الشُّعورْ ... على أَوْجهٍ كالبُدورْ

سَفَرَن فلاح الصباحْ

هَزَزن قُدودُ الرِّماحْ

ضِحِكن ابِتَسامَ الأقاحْ

كأنَّ الذي في النُّحور ... تخَّيرنَ منه الثُّغورْ

سَلُوا مُقلَتَيْ ساحرْ

عن السّحر والسّاحِر

وعن نَظرٍ حائر

يَريشُ سهامَ الفُتورْ ... ويَرمي خَبايَا الصُّدورْ

لقد هِمْتَ ويَحِي بِهَا

وذُلّل قَلْبي لها

أمَا والهوىَ إنَّها

لَظَبْيُ كِناسٍ نَفُورْ ... تَغارُ عليه الخُدورْ

حُرِمتُ لذيذَ الكَرَى

سَهِرْتُ ونام الوَرى

تُرَى ليت شِعْري تُرَى

أ ساعدتُ لَيْلي شُهورْ ... أمِ اللّيلُ حولي يَدُورْ

ظَفرتْ بصَبٍّ كَئِيب

فنكّد وعذِّبْ وجُورْ ... أسرفْ غُلامك صَبُورْ

وقوله:

أيّها السّاقي إليك المُشتكَى ... قد دعونَاك وإن لم تَسْمَع

ونَديمٍ هِمتُ في غُرَّتِهِ

وسَقَاني الرّاح من راحتِه

كلما استيقَظَ من سَكْرته

جذب الزّقّ إليه واتّكَا ... وسقَاني أربعاً في أربعِ

ليس لي صبرٌ ولا لي جَلَدُ

ما لِقومي عذَلُوا واجتهدوا

أنكُروا شَكْواي مِمّا أجد." (١)

"فامنُنْ بعفْوٍ وجُد برُحْمَي ... إليكَ يا ربّيَ المَصِير

وكان مقامه بالحضرة نحواً من ثلاثة أعوام، كلها أضغاث أحلام، سألته عن مولده، فأخبرني انه ولد سنة ثمان وخمسمائة، وتوفي رحمه الله بحضرة مراكش يوم الخميس، ودفن ظهره، وهو اليوم السادس والعشرون من شعبان عام أحد وثمانين وخمسمائة. قرأت عليه وسمعت كثيرا من أماليه التي أملاها في معاني الكتاب العزيز وأنواره، ودقائق النحو وأسراره، وغوامض علم الأصول وأغواره. وأنشدني رحمه الله، وذكر لي انه ما سأل الله بها حاجة إلا أعطاه إياها، وكذلك من استعمل إنشادها:

يا من يَرى ما في الضمير ويسمَعُ ... أنت المُعّدُّ لكل ما يتُوقَّعُ

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب، ص/٥٨

يا من يُرجَّى للشدائِد كلَّها ... يا مَن إليه المُشتكَى والمَفزَعُ

يا من خزائنُ رِزْقه في قولِ كُن ... امنُنْ فإن الخيرَ عندك اجمع

ما لي سِوَى فقرِي إليك وسيلةٌ ... فبالافتقارِ إليك فَقْرِي أدفع

ما لي سِوى قَرْعِي لبابِك حِيلةٌ ... فلئنْ رَدَدْتَ فأيَّ بابٍ أقرع

ومَن الذي أدعُو وأهْتِف باسمه ... إن كان فَضْلُكَ عن فقيرٍ يُمنع

حاشا لمجِدك أن تُقنِّط عاصياً ... الفَضْلُ أجزلُ والمَواهبُ أوسع

أما رفع " أجمع " في هذا البيت، فيجوز أن يكون توكيدا لمكان " إنّ " الابتدائية، إذ موضعها الابتداء، وهي مؤكدة للجملة، لم تغير معناها وإن غيرت لفظها. ألا تراهم قد عطفو على اسمها بالرفع، وهو إذا استوفت خبراها، نحو: إن زيداً قائم وعمرو، وإذا لم تستوف خبرها فلا يجيز البصريون ذلك. وذلك انك إذا قلت: إنك وزيد قائمان، وجب أن يكون " زيد " مرفوعا بالابتداء، ويكون عاملا في خبر زيد، وإنّ عاملة في خبر الكاف. ولا يجوز اجتماع عاملين على معمول واحد. وأما الكوفيون فاختلفوا، فذهب الكسائي إلى جواز ذلك مطلقا، سواء تبين عمل " إنَّ " أو لم يتبين، نحو: إن زيداً وعمرو قائمان، وإنه وبكر منطلقان. و استدل بقوله جل وعلا: (إنَّ الَّذين آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئُون) فعطف ورفع. وذهب الفراء إلى انه لا يجوز العطف إلا على ما لا يبين فيه العمل، نحو: إنك وزيد ذاهبان، لأنه بعدم التأثير ضعفت، فجاز العطف كما لو كان على المبتدأ. وإذا كان كذلك جاز أيضا توكيد الموضع بالرفع، والله اعلم.

وأنشدني أيضا يخاطب شيخنا المحدث الفقيه اللغوي النحوي الأصولي أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف، يعرف بابن قرقول، أيام كونه بمدينة سبتة، فلما رحل منها إلى سلا، قال **مرتجلا**:

ألاَ فسَلاَ عَّمن عَهِدْتُ تَحفِّياً ... وهل نافِعِي إن قُلت من لوَعة سَلاَ

سَلا عن سَلا إن المَعارف والنُّهي ... بها فَدعا أمَّ الرَّباب ومَأسَلاَ

بَكَيتُ أسًى أزمانَ كان بسَبتةٍ ... فكيف التَأسِّي حين منزلُه سَلا

وقال أناسٌ إنّ في البُعد سَلْوةً ... وقد طال هذا البُعدُ والقَلبُ ماسلا

فليتَ أبا إسحاق إذ شَّطتِ النَّوى ... تَحيّتَه الحُسْنى مع الريح أرسلا

فعادت دَبُور الرِّيح عنديَ كالصَّبا ... لَدَى عُمَرٍ إذ أمرُ زَيْدٍ تَبَسَّلا

هذا البيت حكاية لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أخيه الشهيد المهاجر، وكان أسن من أخيه وأسلم قبله، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قتل يوم اليمامة شهيدا.

فقد كان يُهديني الحديثَ مُوصَّلا ... فأصبح مَوْصولُ الأحاديثُ مُرْسَلا

وقد كان يَحْيَا العِلْم إذ كان عندنا ... أوانَ دنَا فالآن بالنأي كَسَّلا

فلله أمٌ بالمريَّة أنجبَتْ ... به وأبٌ ماذا من الخَير أنْسلا

وإني إلى تلك المَوارِدِ عاطِشٌ ... وإن ألبنَ القلبُ المشَوقُ وأعْسَلا

أقمتُ بَشْرقٍ والأمانِي بمَغْرِبٍ ... فأصبحتُ في كف الصَّبابة مُنْسِلا

فلو كنتُ من قَيْد الحوادِثِ مُطْلَقا ... شَدَدْتُ له كُوراً وأنْضيتُ عَنْسلا." (١)

"وذوات الخمر: النساء. والكمكمة: من زي الحرائر ومن لا يمتهن من النساء. ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَمة مكمكة فضربها بالدرة. وقال: لا تَشبَّهينَ بالحرائر.

وقد وجب أن أجعل لهذا الكتاب نهاية ينتهي إليها، وغاية يقف عندها ولا يزيد عليها؛ فإن شعر من عاصرته من شعراء ذلك العصر، يكاد يخرج عن حد الحصر؛ كالفقيه الأديب الشاعر المصيب، أبي محمد عبد الله ابن الفقيه الأستاذ الأديب؛ أبي عبد الله محمد بن الفقيه الأستاذ اللغوي النحوي، أبي محمد قاسم بن شقريق الرعيني؛ أنشدني كثيرا من شعره، واقتصر آخرا على تقريظ سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام ووصف مآثره، ونظم جواهر مفاخره؛ راغبا في شفاعة جده، سيد ولد آدم صلى الله وعلى آله من بعده، سمعت الشيخ الفقيه، رأس العدول بسبته، أبا عبد الله، محمد بن الحسن ابن عان، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: بشر عبد الله ابن شقريق بالجنة، وأشار بإصبعه المقدسة، إلى وجهه الكريم، فبعد أيام قلائل ظهرت بوجهه بثرة صغيرة جدا، فلم تزل تعظم حتى أتت على جميع وجهه. وتوفي رحمه الله منها سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وهو في عشر الثمانين سنة، وشهدت جنازته.

ولقيت الوزير الأعلى أحمد بن هردوس، موشى حلل الموشحات، وموشع حبر القصائد المستملحات، وهو القائل في السيد أبي سعيد:

يا ليلَة الوَصْل والسُّعود ... بالله عُودِي

وكأبي عبد الله الرصافي، الصافية من الأكدار في نظم الأشعار موارده، وكابن السكن البديعة في الفنون الشعرية مقاصده، وكأبي الوليد يونس القسطلي الفائقة بقلائد الولائد أراجيوه وقصائده. ومن جرى مجراهم من المجيدين في الجد والهزل، ورقيق النظم الجزل؛ كصاحبنا الوزير أبي القاسم بن البراق، المعدود في الشعراء السباق؛ مررت على بلده ومقره، فخرج إلى متلقياً مع أهل مصره؛ وقد داسته حوادث الأيام دوسا،

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب، ص/٦٧

وغادرت صعدة قوامه قوسا وهو يسلك مسالك أهل الصبا، ويميل به الأدب طوراً إلى الجنوب وآونة مع الصبا؛ فعاتبته على بذل نفسه في طاعة الهوى جهد الاستطاعة، مع ما أعطاه الله من المعرفة والآداب ونفائس البضاعة؛ فقال لي: إنه كان وبرد شبابه قشيب، وغضن اعتداله رطيب؛ بقميص النُّسك متقمص، وبعلم الحديث متخصص؛ واجتاز يوماً وبيده مجلد من " صحيح مسلم، بقصر بعض الملوك الأكابر، وهو من بعض مناظره ناظر، لكل من هو بمدرجة القصر خاطر؛ وحسن المثاني والمثالث لديه عال، ومجلس انسه بخواص ندمائه حال؛ فقال: اطلعوا لنا بهذا الفقيه فلعلنا نضحك منه ونمازحه، ونجاريه في ميدان الأدب إن كان من أهله ونطارحه؛ فلما مثل بين يديه وحيا، أمر الساقي بمناولته كأس الحُميّا؛ فتقبض متأففا، وأبدى تمعراً وتقشفاً؛ والسلطان يستغرب ضحكاً من مستغرب حركاته لما هجم الرجل عليه، ويد الساقي ممدودة إليه؛ واتفق في خلال ذلك أن انشقت من ذاتها صراحية من صافي الزجاج، فسال منها كالسائل من نجيع الذبيح من الأوداج؛ فأظهر السلطان التطير بذلك وجلا، فصرف ذلك عن خاطره بإنشاده على البديهية **مرتجلا**:

ومجَلْس بالسّرور مُشتملٍ ... لم يَخْلُ فيه الزّجَاجُ عن أرَبِ

سَرَى بأعْطافه تَرنُّحنا ... فشقَّ أثوابهُ من الطَّرب

فسر السلطان وسرى عنه، واستحسن سماحة خاطره بهذين البيتين البديعين منه؛ وأمر له بجائزة سنية، وخلعة رائعة بهية.

وقد انتهى ما أملته من كلام مرتجل، وبديه على عجل؛ ولولا الاستنامة إلى الإغضاء، وأن المبادرة إلى امتثال أمر السلطان أقرب إلى الإرضاء؛ لما أرعفت لليراع أنفا، ولا حملت الروية على الكاتب عنفا؛ لبعد المملوك عن بلاده، وكلب العدو في البحر على كتبه وطارفه وتلاده.

فإن وافق اجتهادي أمله، ووقفت على الغرض الذي سأله، فذلك نكتة من فضله عرضت عليه، وبضاعته ردت إليه؛ ضاعف الله له وعنده مواد الإسعاد، وأخدمه النصر في كل مبدأ، وختم له بالظفر في كل معاد، واهلك أعاديه وأبعدهم إبعاد ثمود وعاد. وصلى الله على سيد ولد آدم وأمينه على وحيه الذي بعثه في أشرف زمان، وجعله من عصمته في ذمة وأمان؛ فجد في علو كلمة الله غير مقصر ولا وان، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الزيغ والعدوان:

فهاكَ ما شئتَ من نَظْم له نَسقٌ." (١)

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب، ص/٦٩

"كم منْ أخٍ مسخوطةٍ أخلاقهُ ... أصفيتُهُ الودَّ بخلقٍ مرتضى
إذا بلوتَ السَّيفَ محموداً فلا ... تذممْهُ يوماً أنْ تراهُ قد نبَا
والطِّرفُ يجتازُ المدى وربَّما ... عنَّ لمعداهُ عثارٌ فكبَا
من لكَ بالمهذَّبِ النَّدبِ الذي ... لا يجدُ العيبَ إليه مختطى
إذا تصفَّحتَ أمورَ النَّاسِ لم ... تلفِ امرءاً حازَ الكمالَ فاكتفى
إنَّ نجومَ المجدِ أمستْ أُفَّلاً ... وظلُّهُ القالصُ أضحى قدْ أزى
إلاَّ بقايا من أُناسٍ بهمُ ... إلى سبيلِ المكرماتِ يُقتدى
إذا الأحاديثُ انتضتْ أنباءهمْ ... كانتْ كنشرِ الرَّوضِ غاداهُ السَّدى
ما أنعمَ العيشةَ لو أنَّ الفتى ... يقبلُ منه الموتُ أسناءَ الرُّشَا
أو لوْ تحلَّى بالشَّبابِ دهرهُ ... لم يستلِبهُ الشَّيبُ هاتيكَ الحلى
هيهاتَ مهما يُستمرْ مسترجعٌ ... وفي خطوبِ الدَّهرِ للنَّاسِ أُسى
وفتيةٍ ساراهمُ طيفُ الكرى ... فسامروا النَّومَ وهمْ غيدُ الطُّلى
واللَّيلُ ملقٍ بالموامِي بركهُ ... والعيسُ ينبثنَ أفاحيصَ القطَا
بحيثُ لا يهدي لسمعٍ نبأةٌ ... إلاَّ نئيمَ البومِ أو صوتَ الصَّدى
شايعتُهمْ على السُّرى حتَّى إذا ... مالتْ أداةُ الرَّحلِ بالجبسِ الدَّوى
قلتُ لهمْ إنَّ الهُوينا غبُّها ... وهنٌ فجدُّوا تحمَدوا غبَّ السُّرى
وموحشُ الأرجاءِ طامٍ ماؤهُ ... مدعثرِ الأعضادِ مهدومِ الجبَا
كأنَّما الرِّيشُ على أرجائهِ ... زرقُ نصالٍ أُرهفتْ لتُمتهى
وردْتهُ والذِّئبُ يعوي حولهُ ... مستكَّ سمِّ السَّمعِ من طولِ الطَّوى
ومنتجٍ أمُّ أبيهِ أمُّهُ ... لم يتخوَّنْ جسمهُ مسُّ الضَّوى
أفرشتهُ بنتَ أخيهِ فانثنتْ ... عن ولدٍ يورى بهِ ويُشتوى
ومرقبٍ مخلولقٍ أرجاؤهُ ... مستصعبِ الأقذافِ وعرِ المُرتقى
أوفيتُ والشَّمسُ تمجُّ ريقَها ... والظِّلُّ من تحتِ الحذاءِ مُحتذى
وطارقٍ يؤنسهُ الذِّئبُ إذا ... تضوَّرَ الذِّئبُ عشاءً وعوى
آوى إلى نارِي وهيَ مألفٌ ... يدعو العفاةَ ضوؤها إلى القِرى

للهِ ما طيفُ خيالٍ زائرٍ ... تزفُّهُ للقلبِ أحلامُ الرؤى

يجوبُ أجوازَ الفلا محتقراً ... هولَ دُجى اللَّيلِ إذا اللَّيلُ انبرى

سائلهُ إنْ أفصحَ عنْ أنبائهِ ... أنَّى تسدَّى اللَّيلَ أمْ أنَّى اهتدى

لو كانَ يدري قبلَها ما فارسٌ ... وما مواميها القفارُ والقُرى

وسائلٍ بمُزعجي عن وطني ... ما ضاقَ بي جنابهُ ولا نبَا

قلتُ القضاءُ مالكٌ أمرَ الفتى ... من حيثُ لا يدري ومنْ حيثُ درى

لا تسألنِّي واسألِ المقدارَ هلْ ... يعصمُ منهُ وزرٌ ومذَّرى

لا بدَّ أنْ يلقى امرؤٌ ما خطَّهُ ... ذو العرشِ ممَّا هو لاقٍ ووحى

لا غروَ أنْ لجَّ زمانٌ جائرٌ ... فاعترقَ العظمَ الممخّ وانتقى

فقدْ ترى القاحلَ مخضرّاً وقدْ ... تلقى أخا الإقتارِ يوماً قد نمَى

يا هؤلَيَّا هل نشدتنَّ لنا ... ثاقبةَ البرقعِ عن عينيْ طلا

ما أنصفتْ أمُّ الصَّبيَّينِ التي ... أصبتْ أخا الحلمِ ولمَّا تُصطبى

إستحِ بِيضا بينَ أفوادكَ أنْ ... تقتادكَ البيضُ اقتيادَ المُهتدى

هيهاتَ ما أشنعَ هاتَا زلَّةٍ ... أطرَباً بعدَ المشيبِ والجلا

بلْ ربَّ ليلٍ جمعتْ قطريهِ لي ... بنتُ ثمانينَ عروساً تُجتلى

لمْ يملكُ الماءُ عليها أمرَها ... ولمْ يدنِّسها الضَّرامُ المُختضى

كأنَّ قرنَ الشَّمسِ في ذرورِها ... بفعلِها في الصَّحنِ والكأسِ اقْتدى

نازعتُها أروعَ لا تسطُوا على ... نديمةِ شرَّتهِ إذا انْتشى

كأنَّ نورَ الرَّوضِ نظمُ لفظهِ ... مُرتجلاً أو مُنشداً أو إنْ شدَا

من كلِّ ما نالَ الفتى قدْ نلتهُ ... والمرءُ يبقَى بعدهُ حسنُ الثَّنا

فإنْ أمتْ فقد تناهتْ لذَّتي ... وكلّ شيءٍ بلغَ الحدَّ انتهى

وإنْ أعشْ صاحبتُ دهرِي عالماً ... بما انْطوى من صرفهِ وما انْسرى." (١)

" أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيوب المديني قال ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص

---

(١) أمالي المرزوقي، ص/٥٩

بعض من أوصافه

أن ابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدم سناطا في عينيه قبل بلغ خمسا وثمانين سنة وصلع فكان يلبس جمة مركبة وكان أكثر ما يرى مقنعا وكان منقطعا إلى عبد الله بن جعفر

وقال ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن سريج مخنثا أحول أعمش يلقب وجه الباب وصلع فكان يلبس جمة وكان لا يغني إلا مقنعا يسبل القناع على وجهه

وقال ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين كان ابن سريج أحسن الناس غناء وكان يغني مرتجلا ويوقع بقضيب وغنى في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ومات في خلافة هشام بن عبد الملك

قال إسحاق وكان الحسن بن عتبة اللهبي يروي مثل ذلك فيه وذكر أن قبره بنخلة قريبا من بستان ابن عامر

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال كان عبيد بن ." (١)

" غلاما فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا ارفعوا هذا لابن عائشة فغلبت على نسبي

المغني الذي يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك

قال إسحاق وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه وكان فتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته

وقد أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما

وقد قيل إنه كان ضاربا ولم يكن بالجيد الضرب وقيل بل كان مرتجلا لم يضرب قط

و ابتداؤه بالغناء كان يضرب به المثل فيقال للإبتداء الحسن كائنا ما كان من قراءة قرآن أو إنشاد شعر أو غناء يبدأ به فيستحسن كأنه ابتداء ابن عائشة

قال إسحاق وسمعت علماءنا قديما وحديثا يقولون ابن عائشة أحسن الناس ابتداء وأنا أقول إنه أحسن الناس ابتداء وتوسطا وقطعا بعد أبي عباد معبد وقد سمعت من يقول إن ابن عائشة مثله وأما أنا فلا أجسر على أن أقول ذلك

وكان ابن عائشة غير جيد اليدين فكان أكثر ما يغني مرتجلا

وكان أطيب الناس صوتا

---

(١) الأغاني، ١/٢٤٤

قال إسحاق وحدثني محمد بن سلام قال قال لي جرير لا تخدعن عن أبي جعفر محمد بن عائشة فلولا صلف كان فيه لما كان بعد أبي عباد مثله

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه عن جده قال ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حلوقا ابن عائشة وابن تيزن وابن أبي الكنات

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثنا أحمد بن زهير ." (١)

" وكان ابن عائشة تائها لا يغني إلا لخليفة أو لذي قدر جليل من إخوانه فتعجب ابن عائشة منه ورحمه ودعا بالدواة وكان يغني مرتجلا فغناه الصوت فطرب له طربا شديدا وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عنقه سينقصف ثم خرج من عنده ولم يرزأه شيئا وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنه فجعل يغيب عن الحديث

ثم جد الوليد به فصدقه عنه وأمر بطلب الرجل فطلب حتى أحضر ووصله صلة سنية وجعله في ندمائه ووكله بالسقي فلم يزل معه حتى مات

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني عمر بن أبي خليفة قال

كان الشعبي مع أبي في أعلى الدار فسمعنا تحتنا غناء حسنا فقال له أبي هل ترى شيئا قال لا فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السن يتغنى

(قالت عبيد تجرما ... في القول فعل المازح)

فما سمعت غناء كان أحسن منه فإذا هو ابن عائشة فجعل الشعبي يتعجب من غنائه ويقول يؤتي الحكمة من يشاء

نسبة هذا الصوت

صوت

(قالت عبيد تجرما ... في القول فعل المازح)

(أنجز بعمرك وعدنا ... فأظن حبك فاضحي)

(فأجبتها لو تعلمين ... بما تجن جوانحي) ." (٢)

---

(١) الأغاني، ٢/١٩٦

(٢) الأغاني، ٢/٢٢١

" أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال

كان ابن سيحان حليف حرب بن أمية ينادم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ويشرب معه الخمر وهو القائل

(إصبح نديمك من صهباء صافية ... حتى يروح كريما ناعم البال)

(واشرب هديت أبا وهب مجاهرة ... واختل فإنك من قوم أولي خال)

(أنت الجواد أبا وهب إذا جمدت ... أيدي الرجال بما تحويه من مال)

(لولا رجاؤك قد شمرت **مرتجلا** ... عنسا تعاقب تخويدا بإرقال)

(لما تواصوا بقتلي قمت معتزما ... حتى حميت من الأعداء أوصالي)

(عم الوليد بمعروف عشيرته ... والأبعدون حظوا منه بإفضال)

قال وكان ابن سيحان قد ضرب رجلا من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بينة فتآمر به القوم ومنع منه ابن خال له منهم وخاف الوليد بن عقبة أن يرجع إلى المدينة هاربا منهم وخوفا من جنايته عليهم فيفارقه وينقطع عنه فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم دية صاحبهم فلم يزل عند الوليد حتى عزل وهو نديمه ." (١)

" على البديهة وهي أطول من خطبتي خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة فقال

(تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا ... وحبروا خطبا ناهيك من خطب)

(فقام **مرتجلا** تغلي بداهته ... كمرجل القين لما حف باللهب)

(وجانب الراء لم يشعر به أحد ... قبل التصفح والإغراق في الطلب)

قال فلما دان بالرجعة زعم أن الناس كلهم كفروا بعد رسول الله فقيل له وعلي بن أبي طالب فقال

(وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصبحينا)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال لي محمد بن الحجاج

قال بشار ما كان الكميت شاعرا فقيل له وكيف وهو الذي يقول

(أنصف امرىء من نصف حي يسبني ... لعمري لقد لاقيت خطبا من الخطب)

(هنيئا لكلب أن كلبا يسبني ... وأني لم أردد جوابا على كلب)

---

(١) الأغاني، ٢/٢٥٢

فقال بشار لا بل شانئك أترى رجلا لو ضرط ثلاثين سنة لم يستحل من ضرطه ." (١)

" أخبار عطرد ونسبه

عطرد مولى الأنصار ثم مولى بني عمرو بن عوف وقيل إنه مولى مزينة مدني يكنى أبا هارون وكان ينزل قباء

وزعم إسحاق أنه كان جميل الوجه حسن الغناء طيب الصوت جيد الصنعة حسن الرأي والمروءة فقيها قارئا للقرآن وكان يغني **مرتجلا** وأدرك دولة بني أمية وبقي إلى أيام الرشيد وذكر ابن خرداذبه فيما حدثني به علي بن عبد العزيز عنه أنه كان معدل الشهادة بالمدينة أخبره بذلك يحيى بن علي المنجم عن أبي أيوب المديني عن إسحاق

وأخبرنا محمد بن خلف وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه

أن سلمة بن عباد ولي القضاء بالبصرة فقصد ابنه عباد بن سلمة عطردا وهو بها مقيم قد قصد آل سليمان بن علي وأقام معهم فأتى بابه ليلا فدق عليه ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس فخرج عطرد إليه فلما رآه ومن معه فزع فقال لا ترع

(إني قصدت إليك من أهلي ... في حاجة يأتي لها مثلي)

فقال وما هي أصلحك الله قال

(لا طالبا شيئا إليك سوى ... حي الحمول بجانب العزل) ." (٢)

" (قولوا يقول أبو عمرو لصحبته ... ياليت دحمان قبل الموت غنانا)

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي ويقال إن ابنه حمدان بن أبان قالها والأشبه عندي أنها لأبان وما أظن ابنه أدرك يحيي

(يا من يفضل دحمانا ويمدحه ... على المغنين طرا قلت بهتانا)

(لو كنت جالست يحيي أو سمعت به ... لم تمتدح أبدا ما عشت إنسانا)

(ولم تقل سفها في منية عرضت ... ياليت دحمان قبل الموت غنانا)

(لقد عجبت لدحمان ومادحه ... لا كان مادح دحمان ولا كانا)

(ما كان كابن صغير العين إذ جريا ... بل قام في غاية المجرى وما دانى)

---

(١) الأغاني، ٢٢٢/٣

(٢) الأغاني، ٣٠٠/٣

(بذ الجياد أبو بكر وصيرها ... من بعد ما قرحت جذعا وثنيانا)

يعني بأبي بكر ابن صغير العين وهو من مغني مكة وله أخبار تذكر في موضعها إن شاء الله تعالى منزلته في الغناء

وعمر يحيى المكي مائة وعشرين سنة وأصاب بالغناء ما لم يصبه أحد من نظرائه ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل

وكان قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته فخرج أكثرهم وبقي يحيى بالعراق هو وولده يخدمون الخلفاء إلى أن انقرضوا

وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكي وكان يغني **مرتجلا** ويحضر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقع بقضيب على دواة

ولقيه جماعة من أصحابنا وأخذ عنه جماعة ممن أدركنا من عجائز المغنيات منهم قمرية العمرية وكانت أم ولد عمرو بن بانة

ومن أدركه من أصحابنا جحظة ." (١)

" ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه

هو الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك وكان أبوه حلاقا يحلق رأس الوليد فاشتراه فأعتقه

وكان حكم طويلا أحول يكري الجمال ينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة ويكنى أبا يحيى

وقال مصعب بن عبد الله بن الزبير هو حكم بن يحيى بن ميمون وكان أصله من الفرس وكان جمالا ينقل الزيت من وادي القرى إلى المدينة

وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخا طويلا أحول أجنأ يخضب بالحناء وكان جمالا يحمل الزيت من جدة إلى المدينة وكان واحد دهره في الحذق وكان ينقر بالدف ويغني **مرتجلا** وعمر عمرا طويلا وغني الوليد بن عبد الملك وغنى الرشيد ومات في الشطر من خلافته وذكر أنه أخذ الغناء من عمر الوادي

قال وكان بوادي القرى جماعة من المغنين فيهم عمر بن زاذان وقال ابن داود بن زاذان وهو الذي كان يسميه الوليد جامع لذتي وحكم بن يحيى وسليمان وخليد بن عتيك وقيل ابن عبيد ويعقوب ." (٢)

---

(١) الأغاني، ٦/١٨٤

(٢) الأغاني، ٦/٢٩٤

" أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنين عند الوليد ابن يزيد فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والإختصاص له وبلغني أنه كان لا يضرب وإنما كان مرتجلا وكان الوليد يسميه جامع لذاتي قال وبلغني أن حكما الوادي وغيره من مغني وادي القرى أخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثر أغانيه

قال إسحاق وحدثني عبد السلام الربيع إن الوليد بن يزيد كان يوما جالسا وعنده عمر الوادي وأبو رقية وكان ضعيف العقل وكان يمسك المصحف على أم الوليد فقال الوليد لعمر الوادي وقد غناه صوتا أحسنت والله أنت جامع لذاتي وأبو رقية مضطجع وهم يحسبونه نائما فرفع رأسه إلى الوليد فقال له وأنا جامع لذات أمك فغضب الوليد وهم به فقال له عمر الوادي جعلني الله فداك ما يعقل أبو رقية وهو صاح فكيف يعقل وهو سكران فأمسك عنه

عمر يأخذ الغناء عن راع ويمدحه

قال إسحاق وحدثت عن عمر الوادي قال بينا أنا أسير ليلة بين العرج والسقيا سمعت إنسانا يغني غناء لم أسمع قط أحسن منه وهو

صوت

(وكنت إذا ما جئت سعدى بأرضها ... أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها)

(من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها) ." (١)

"كان سائب خاثر يكنى أبا جعفر ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يقرع بقضيب ويغني مرتجلا ولم يزل يغني وقتل يوم الحرة ومر به بعض القرشيين وهو قتيل فضربه برجله وقال إن ها هنا لحنجرة حسنة وكان سائب من ساكني المدينة

قال ابن الكلبي وكان سائب تاجرا موسرا يبيع الطعام وكان تحته أربع نسوة وكان انقطاعه إلى عبد الله بن جعفر وكان مع ذلك يخالط سروات الناس وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته وكان قد آلى ألا يغني أحدا سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو ابن خليفة فكان على ذلك إلى أن قتل قال وأخذ معبد عنه غناء كثيرا فنحل الناس بعضه إليه وأهل العلم بالغناء يعرفون ذلك وزعم ابن خرداذبه أن أم محمد بن عمرو الواقدي القاضي المحدث بنت عيسى بن جعفر بن سائب خاثر

هو أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل

---

(١) الأغاني، ٧/٩٩

وقال ابن الكلبي سائب خاثر أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل وأول لحن صنعه منه

(لمن الديار رسومها قفر ...)

قال فألفت هذا الصوت الفروح

قال وحدثني محمد بن يزيد أن أول صوت صنعه في شعر امرىء القيس

(أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ...) ." (١)

" أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر

هو محمد بن الحارث بن بسخنر ويكنى أبا جعفر وهم فيما يزعمون موالي المنصور وأحسبه ولاء خدمة لا ولاء عتق وأصلهم من الري وكان محمد يزعم أنه من ولد بهرام جوبين وولد محمد بالحيرة وكان يغني مرتجلا إلا أن أصل ما غنى عليه المعزفة وكانت تحمل معه إلى دار الخليفة فمر غلامه بها يوما فقال قوم كانوا جلوسا على الطريق مع هذا الغلام مصيدة الفأر وقال بعضهم لا بل هي معزفة محمد بن الحارث فحلف يومئذ بالطلاق والعتاق ألا يغني بمعزفة أبدا أنفة من أن تشتبه آلة يغني بها بمصيدة الفأر وكان محمد أحسن خلق الله تعالى أداء وأسرعه أخذا للغناء وكان لأبيه الحارث بن بسخنر جوار محسنات وكان إسحاق يرضاهن ويأمرهن أن يطرحن على جواريه وقال يوما للمأمون وقد غنى ." (٢)

" بذاك مع شدة السلطان في الغناء ونداله فيه فقلت له أفتردهم قال لا والله فكيف لي بالعود فقلت له أنا أخبؤه لك فشأنك فركب وسترت العود وأردفني فلما كنا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن علقمة قد أقبل فقال لي يابن بركة هذا الأمير فقلت لا بأس عليك أرسل عنان البغلة وامض ولا تخف ففعل فلما حاذيناه عرفني ولم يعرف ابن سريج فقال لي يابن بركة من هذا أمامك فقلت ومن ينبغي أن يكون هذا ابن سريج فتبسم ابن علقمة ثم تمثل

(فإن تنج منها يا أبان مسلما ... فقد أفلت الحجاج خيل شبيب)

ثم مضى ومضينا فلما كنا قريبا من القوم نزلنا إلى شجرة نستريح فقلت له غن مرتجلا فرفع صوته فخيل إلي أن الشجرة تنطق معه فغنى

صوت

(كيف الثواء ببطن مكة بعدما ... هم الذين تحب بالإنجاد)

---

(١) الأغاني، ٣٣٤/٨

(٢) الأغاني، ٦١/١٢

(أم كيف قلبك إذ ثويت مخمرا ... سقما خلافهم وكربك بادي)

(هل أنت إن ظعن الأحبة غادي ... أم قبل ذلك مدلج بسواد)

الشعر للعرجي وذكر إسحاق في مجرده أن الغناء فيه لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى وحكى حماد ابنه عن أن اللحن لابن سريج قال سهل فقلت أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ولو أن كنانة كلها سمعتك لاستحسنتك فكيف بنافع بن علقمة المغرور من غره نافع ثم قلت زدني وإن كان القوم متعلقة قلوبهم بك فغنى وتناول عودا من الشجرة فأوقع به على الشجرة فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون الضأن ." (١)

" (في الحي من لا عدمت خلته ... فتى إذا ما قطعته وصلا)

(له عجوز بالحبق أبصر من ... أبصرته ضاربا ومرتجلا)

(نادمتها مرة وكنت فتى ... ما زلت أهوى وأشتهي الغزلا)

(حتى إذا ما أمالها سكر ... يبعث في قلبها لها مثلا)

(إتكأت يسرة وقد حرقت ... أشراجها كي تقوم الرملا)

(فلم تزل باستها تطارحني ... إسمع إلى من يسومني العللا)

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو الشبل قال لما عرض لي الشعر أتيت جارا لي نحويا وأنا يومئذ حديث السن أظنه قال إنه المازني فقلت له إن رجلا لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاش صدره بشيء من الشعر فكره أن يظهره حتى تسمعه قال هاته وكنت قد قلت شعرا ليس بجيد إنما هو قول مبتدئ فأنشدته إياه فقال من العاض بظر أمه القائل لهذا فقمت خجلا فقلت لأبي الشبل فأي شيء قلت له أنت قال قلت في نفسي أعضك الله بظر أمك وبهضك

ذكر بعض نوادره

أخبرني عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان قال كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبي وكان إذا حضر أضحك الثكلى بنوادره فقال له أبي يوما حدثنا ببعض نوادرك وطرائفك قال نعم من طرائف أموري أن ابني زنى بجارية سندية لبعض جيراني فحبلت وولدت وكانت قيمة الجارية ." (٢)

" ١٨ – ذكر عمرو بن بانة

---

(١) الأغاني، ١٤١/١٢

(٢) الأغاني، ١٩٥/١٤

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد مولى ثقيف

وكان أبوه صاحب ديوان ووجها من وجوه الكتاب وينسب إلى أمه بانة بنت روح القحطبية

وكان مغنيا محسنا وشاعرا صالح الشعر وصنعته صنعة متوسطة النادر منها ليس بالكثير وكان يقعده عن اللحاق بالمتقدم في الصنعة أنه كان **مرتجلا** والمرتجل من المحدثين لا يلحق الضراب

وعلى ذلك فما فيه مطعن ولا يقصر جيد صنعته عن صنعة غيره من طبقته وإن كانت قليلة وروايته أحسن رواية

وكتابه في الأغاني أصل من الأصول وكان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدي في الغناء وتجنيسه ويخالف إسحاق ويتعصب عليه تعصبا شديدا ويواجهه بذلك وينصر إبراهيم بن المهدي عليه

وكان تياها معجبا شديد الذهاب بنفسه وهو معدود في ندماء الخلفاء ومغنيهم على ما كان به من الوضح

وفيه يقول الشاعر - متقارب -

(أقول لعمرو وقد مر بي ... فسلم تسليمة جافيه)

(لئن فضلوك بفضل الغناء ... لقد فضل الله بالعافيه) ." (١)

" شتى فسألني عبد الوهاب بن علي أن أرد عليه هذا الصوت وجعل لي ممطره فغنيته إياه فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلماني فسلموه إليهم

أخبرني عبد الله بن الربيع عن أبيه قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال

سألني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما من بقي من المغنين قلت وجه القرعة محمد بن عيسى مولى عيسى بن جعفر فقال صالح كيس ومن أيضا قلت أحمد بن يحيى المكي قال بخ بخ ذاك المحسن المجمل الضارب المغني القائم بمجلسه لا يحوج أهل المجلس إلى غيره ومن بأبي أنت قلت ابن مقامرة قال لا والله ما سمعت بهذا قط فمن مقامرة هذه زامرة أم نائحة أم مغنية قلت لا ولكنها من الناس وليست من أهل صناعته قال ومن أيضا بأبي أنت قلت يحيى بن القاسم ابن أخي سلمة قال الذي كان له أخ يغني **مرتجلا** قلت نعم قال لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئا قط ولا أشك أن هذا كذلك لأنهما مؤدباه

وذكر ابن المكي عن أبيه قال

---

(١) الأغاني، ٢٦٠/١٥

قال المعتصم يوما لجلسائه ونحن عنده خلعت اليوم على فتى شريف ظريف نظيف حسن الوجه شجاع القلب ووليته المصيصة ونواحيها ." (١)

" وأمرت بالحضور فسألت عن السبب الذي دعيت له فعرفته فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون ودخلت إليه فأنشدته إياها فأمر له بثلاثين ألف درهم وصرت في جملة من يدخل إليه بنوبة وأمر أن يدون شعري

التيمي وإسحاق الموصلي

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني عمي طياب بن إبراهيم الموصلي قال حدثني أبو محمد التيمي الشاعر قال

اجتزت يوما بأخيك إسحاق فقال ادخل حتى أطعمك طعاما صرفاوأسقيك شرابا صرفا وأغنيك غناء صرفا فدخلت إليه فأطعمني لحما مكببا وشواء حارا وباردا مبزرا وأسقاني شرابا عتيقا صدفا وغناني وحده مرتجلا

(ولو أن أنفاسي أصابت بحرها ... حديدا إذا كاد الحديد يذوب)

(ولو أن عيني أطلقت من وكائها ... لما كان في عام الجدوب جدوب)

(ولو أن سلمى تطلع الشمس دونها ... وأمسي وراء الشمس حين تغيب)

(لحدثت نفسي أن تريع بها النوى ... وقلت لقلبي إنها لقريب)

فلم تزل تلك حالي حتى حملت من بيته سكران

أخبرني جحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال

دخلت يوما على عمرو بن مسعدة فإذا أبو محمد التيمي واقف بين يديه ." (٢)

"فنذر ابن بلقين دمي ، فخرجت هارباً إلى بلادك فوضع عليَّ من أشاع ما بلغك عني لتقتلني أنت فيدرك ثأره بك ، ويكون الإثم عليك فقال : وما قلت فيه خاصة مضافاً إلى ما قلته في عامة قومه ؟ فقال : لما رأيته مشغوفاً بتشييد قلعته التي يتحصّن فيها بغرناطة قلت :

يبني على نفسه سفاهاً كأنه دودةُ الحرير (١١) .

وهذا المعنى تداوله عدد من شعراء العربية ، وهذا دليل على شعورٍ واحدٍ تجاه من يهتم بنفسه ويهمل شعبه

---

(١) الأغاني، ١٦/٣٤٠

(٢) الأغاني، ٢٠/٦٦

، فقد قال أبو تمام : (١٢) .

وإن يبنِ حيطاناً عليه فإنّما أولئك عقالاتُه لامعاقِلُهْ

وقال ابن الرومي : (١٣) .

انظر إلى الدّهر هل فاتته بُغيتُهُ ... في مطمح النَّسر أو في مسبح النّونِ

ومن تحصّنَ مسجوناً على وَجَلٍ ... فإنما حصنُه سجنٌ لمسجَونِ

ويتابع المقري الخبر بأنّ (المعتصم استحسن ذلك منه وعفا عنه ، وخبره بين أن يحسن إليه ويخليّ سبيله أو يجيره من عبدالله بن بلقين فأجاب السُّمَيْسِر **مرتجلاً** .

خيّرني المعتصمُ وهو بقصدي أعلمُ

وهو إذ يجمع لي أمناً ومنّاً أكرمُ

فأعجب المعتصم بذكائه وسرعة بديهته ، وكان له منه المنّ والأمان وأقام السُّمَيْسِر بإحسانه بأوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه) (١٤) .

والملاحظ أن في هاتين الروايتين قاسماً مشتركاً يجمع بينهما وهو هجاء السُّمَيْسِر لحكام غرناطة ، ونقده لأحوالهم السياسية ثم فراره إلى المريّة . وأنهما تختلفان في زمن الفرار ، وما جاء فيهما من أشعار ، وقد اختلف الدارسون المحدثون تبعاً لذلك في تاريخ زمن هجرة السُّمَيْسِر إلى المرية فمنهم من اعتمد على رواية السلفي فجعل تلك الهجرة في عهد باديس ابن حبوس (٤٦٦ ـ ٤٨٣ هـ) ومنهم من اعتمد على رواية المقري فجعلها في عهد الأمير عبدالله (١٥) . وأرجح أن يكون السُّمَيْسِر قد هاجر بسبب هجائه لباديس بن حبوس لأنه كان قد اعتمد في سياسته على اليهود اعتماداً كليّاً فكان نقد السُّمَيْسِر له من هذه الناحية .." (١)

"وقوله: تعدو به خوصاء أي تجري به فرس في عينها عور، والخوص عور في العينين.

وقوله: يفصم: أي يكسر، يقال: بالفاء، والقاف، وقيل: الفصم بالفاء: أن ينصدع الشيء، ولا يبين بعضه عن البعض، فإذا بان بعضه من بعض، فهو قصم بالقاف.

والرحالة: القنب، والرخو السهلة الجري، وتمرى تسرع، والكماة: الشجعان، والروغ: التحفظ والحذر.

---

(١) أثر الساسة في شعر السميسر الأندلسي، ص/٤

ومعنى أتيح: قدر، والجري: ذو الجرأة والإقدام، والسلفع نحوه، ذكره على جهة التأكيد.
ووقع في بعض نسخ الجمل تعانقه – بألف – ، وهو خطأ، والصواب: تعنقه، وكذا وقع في شعر أبي ذؤيب؛ لن تعانق لا يتعدى إلى مفعول، إنما يقال: تعانق الرجلان، والمعانقة والاعتناق، والتعنق هي المتعدية.
والاعتناق آخر مراتب الحرب؛ لأن أول الحرب الترامي بالسهام، ثم المطاعنة بالرماح، ثم المجالدة بالسيوف، ثم الاعتناق، وهو: أن يتخاطف الفارسان، فيسقطان إلى الأرض معاً، وقد ذكر ذلك زهير في شعره، حيث يقول:
يَطْعَنُهُم ما ارْتَمَوا حَتَّى إذَا اطعَنُواضَارَبَ، حَتَّى إذا حَارَبُوا اعْتَنَقَا
يريد أنه يزيد على ما يفعلون!.
وأراد أبو ذؤيب: أن الشجاع لا يعصمه من الهلاك جرأته وشجاعته، وأن كل مخلوق فالفناء قضاؤه وغايته!
وأنشد أبو القاسم في باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره:
.... ضَرْباً هَذَا ذَيْك وَطعْناً وَخْضاً
هذا البيت: للعجاج، واسمه: عبد الله بن رؤبة وسمي العجاج لقوله:
حتى يعُجَّ عِندَهَا مَنْ عَجْعَجَا
وقبله:
حَتَّى يُقضِّي ٱلأَجَلَ المُقَضَّى
والهذ: سرعة القطع، ومعنى ضرباً هذا ذيك: أي ضرباً يهذ هذا بعد هذ.
والوخض أن يدخل الرمح في الجوف، ولا ينفذ.
وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:
إِذَا شُقَّ برْدٌ، شُقَّ بالبردِ مثْلهُ ... دَوَالَيْكَ حَتَّى كُلُّنَا غَيْرُ لاَبِسِ!
هذا البيت: لسحيم، عبد بني الحسحاس في ابنة مولاه.
وسحيم: اسم منقول، وهو تصغير أسحم، وهو الأسود، فعلى هذا هو: مصغر مرخم، ويجوز أن يكون: تصغير سحم، وهو ضرب من النبات، قال النابغة:
إنّ العريمة مانع أرْماحَنَا ... ما كان من سَحمٍ بِها وصُفَار.
فيكون تصغيرا غير مرخم.
والوجه الأول أجود؛ لأنه كان عبداً أسود.

وأما الحسحاس: فالأشبه أن يكون **مرتجلاً**، مشتقا من قولهم: حسحست الشواء، إذا أزلت عنه الجمر والرماد، وقد يمكن أن يكون منقولا؛ لأنهم قد قالوا: ذو الحسحاس: لموضع بعينه، قال الشاعر:

أَلاَ ليتَ شِعْرِي: هلْ تَغيَّرَ بعدنا ... ظِبَاءٌ بِذِي الحَسَحَاسِ نُجْلٌ عيُونُها

يروى: بالسين والصاد.

والبرد: الثوب، من أي شيء كان، وكان أبو حاتم يقول: لا يقال: برد، إلا لما كان فيه وشيء، فإن كان فيه من صوف فهو بردة، كما قال بعض الأعراب:

لعمْري لعرابية ذات بُردَة ... تَحُلَّ دِمَاثاً مِن سُويْقَةً أو فَرَدَا

ومعنى دواليك: مداولة بعد مداولة، وهو تثنية دوال وأنشد أبو زيد:

لَعَمرِي لَقَد بَّر الضَّبَابَ بَنُوهُ ... وبَعضُ البنين حَمَّةٌ وسَعَالِ

جَزَوني بما رَبَّيتُهُم وحَمَلْتُهم ... كَذلِكَ مَا إنَّ الخُطْوبَ دَوَالِ

ولما رأوا أنَّ العظام تحَبَّبَت ... أقاموا العظامَ، فالعظامُ طِوالَ

ويروى: دوال – بالكسر، وهو مصدر دوالت، والدوال بالفتح اسم المصدر.

وأما ما ذكره من شق البرد، فمعناه: أن العرب قد كانوا يقولون: إن المتحابين إذا شق كل واحد منهما برد صاحبه، دامت مودتها، ولذلك قال قبل هذا:

كأنّ الصُّبيرياتِ وَسطَ بُيُوتِنَا ... ظباءٌ تَبدَّت مِن خِلاَلِ المكَانِس

فكم بُردَةٍ قَد شُقَّ عَنَّا وبرُقع ... على طِفَلة مَمْكُورَةٍ غَيرِ عَانِسِ

أراد بالصبيريات: نساء من بني صبيرة بن يربوع، والممكورة المطوية الخلق، والعانس التي بقيت في بيت أبيها ولم تنكح. وأنشد أبو القاسم في باب الوقف:

.... أَنَا ابنُ مَاوِيَّة إذَا جَدَّ النَّقُر

هذا البيت لا أعلم قائله، وأظنه لعبيد بن ماوية الطائي، لقوله: أنا ابن ماوية: وبعده:

وجاءت الخيلُ أَثَابِي زُمَرُ." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٧٧ """"""""

قال ، وقال بعضهم : يجتمع في الفرش الطبري فضيلتان في الصيف : برد جسمه ، ومجانسة لونه لون الحبة الخضراء ، فالنفس تسكن إليه من جهتين . قال ، وقال الصوفي : في النبيذ الدوشاب في الشمس

(١) الحلل في شرح أبيات الجمل، ص/٦٦

بستندود . قال ، وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي لسعيد بن وهب : انزل حتى أطعمك طعاما صرفا ، وأسقيك نبيذا صرفا ، وأغنيك غناء صرفا ، فأطعمه الكباب ، وسقاه نبيذا صرفا بغير مزاج ، وغناه مرتجلا . وقال بعضهم : باب السلامة الاقتصاد . وقال بعض الموسومين بالبخل : فرحة السكر قلة الاحتشام ، وفرحة الخمار قلة الإنفاق . وقال آخر : من كثرت نفقته كثر ندمه ، ومن كثر ندمه قلت دعواته . قال ، وقال الصوفي : من جلس على المائدة فأكثر كلامه غش بطنه . قال علي بن محمد بن نصر : الخفيف اطرد الهم بالمدامة واعلم . . . أن في الراح راحة للنفوس." (١)

" (مالي أشايع غزالا له عنق ... كنقيق الدو إن ولى وإن مثلا)

ومن ذلك قول معدان السميطى

(يوم تشفى النفوس من يعصر اللؤم ... م ويثنى بسامة الرحال)

(وعدي وتيمها وثقيف ... وأمي وتغلب وهلال)

(لا حرور ولا النوائب تنجو ... لا ولا صحب واصل الغزال)

وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل ان يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة وكان قد قال في تفضيله على خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة والفضل ابن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق

(أبا حذيفة قد أوتيت معجبة ... من خطبة بدهت من غير تقدير)

(وإن قولا يروق الخالدين معا ... لمسكت مخرس عن كل تجبير)

لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم وقال بشار

(تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا ... وحبروا خطبا ناهيك من خطب)

(فقام مرتجلا تغلي بداهته ... كمرجل القين لما حف باللهب)

(وجانب الراء لم يشعر به أحد ... قبل التصفح والإغراق في الطلب)

وقال في كلمة له يعني تلك الخطبة

(فهذا بديه لا كتحبير قائل ... اذا ما أراد القول زوره شهرا)

فلما انقلب عليهم بشار ومقاتله لهم بادية هجوه ونفوه فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عبيد وقال صفوان الانصاري

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٧٧/٦

(متى كان غزال له يا ابن حوشب ... غلام كعمرو او كعيسى بن حاضر)

(أما كان عثمان الطويل بن خالد ... أو القرم حفص نهية للمخاطر)

(له خلف شعب الصين في كل ثغرة ... الى سوسها الاقصى وخلف البرابر)

(رجال دعاة لا يفل عزيمهم ... تهكم جبار ولا كيد ماكر)

(إذا قال مروا في الشتاء تطاوعوا ... وإن كان صيفا لم يخف شهر ناجر)

(بهجرة أوطان وبذل وكلفة ... وشدة أخطار وكد المسافر)

(فأنجح مسعاهم وأثقب زندهم ... وأورى بفلج للمخاصم قاهر)

(وأوتاد أرض الله في كل بلدة ... وموضع فتياها وعلم التشاجر) ." (١)

"وروي أن مدنيا كان يصلي منذ طلعت الشمس إلى أن قارب النهار ينتصف، ومن ورائه رجل يتغنى، وهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا رجل من الشرط قد قبض على الرجل فقال: أترفع عقيرتك بالغناء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأخذه، فانفتل المديني من صلاته فلم يزل يطلبه حتى استنقذه، ثم أقبل عليه فقال: أتدري لم شعفت فيك؟ فقال: لا، ولكني إخالك رحمتني.

قال: إذن فلا رحمني الله، قال: فأحسبك عرفت قرابة بيننا. قال: إذن قطعها الله. قال: فليد تقدمت مني إليك، قال: لا والله ولا عرفتك قبلها. قال: فخبرني، قال: لأني سمعتك غنيت آنفا فأقمت واوات معبد، أما والله لو أسأت التأدية لكنت أحد الأعوان عليك.

رأى ابن أبي عتيق حلق ابن عائشة مخدشا فقال: من فعل هذا بك؟ قال: فلان. فمضى فنزع ثيابه وجلس للرجل على بابه، فلما خرج أخذ بتلبيبه وجعل يضربه ضربا شديدا والرجل يقول: ما لك تضربني! أي شيء صنعت! وهو لا يجيبه حتى بلغ منه ثم خلاه، وأقبل على من حضر فقال: هذا أراد أن يكسر مزامير آل داود؛ شد على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه.

خرج: ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد غناه في شعر النابغة: من الوافر:

أبعدك معقلا أبغي وحصنا ... قد أعيتني المعاقل والحصون

فأطربه فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار ثيابا. فبينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء ويشرب النبيذ، فدنا من غلامه وقال: من هذا الراكب؟ قال: ابن عائشة المغني، فدنا منه فقال: جعلت فداءك، أنت ابن عائشة أم المؤمنين؟ قال: لا أنا مولى لقريش وعائشة أمي،

---

(١) البيان والتبيين، ص/٢٨

وحسبك هذا ولا عليك أن تكثر. قال: وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكسوة؟ قال: غنيت أمير المؤمنين صوتا فأطربته فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وبهذه الكسوة. فقال: جعلت فداك! فهل تمن علي بأن تسمعني ما أسمعته إياه؟ فقال: ويلك! أمثلي يكلم بهذا في الطريق! قال: فما أصنع؟ قال: الحقني بالباب. وحرك ابن عائشة ببغلة سفواء كانت تحته لينقطع عنه، فعدا معه حتى وافيا الباب كفرسي رهان، ودخل ابن عائشة فمكث طويلا طمعا في أن يضجر فينصرف، فلم يفعل حتى أعياه، فقال لغلامه: أدخله، فقال له: ويحك! من أين صبك الله علي! قال: أنا رجل من أهل وادي القرى أشتهي هذا الغناء. فقال له: هل لك فيما هو أنفع لك منه؟ قال: وما ذلك؟ قال: مائتا دينار، وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلك. فقال له: جعلت فداك! والله إن لي لبنية ما في أذنيها – علم الله – حلقة من الورق فضلا عن الذهب، وإن لي زوجة ما عليها – شهد الله – قميص، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخلة والفقر اللذين عرفتكهما وأضعفت لي ذلك لكان الصوت أحب إلي. وكان ابن عائشة من تيهه لا يغني إلا لخليفة أو ذي قدر جليل، فتعجب ابن عائشة منه ورحمه، ودعا بالدواة وجعل يغني **مرتجلا**، فغناه الصوت فطرب له طربا شديدا وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عنقه سينقصف، ثم خرج من عنده ولم يرزأه شيئا. وبلغ الخبر الوليد بن يزيد، فسأل ابن عائشة عنه فجعل يغيب عن الحديث، ثم جد به الوليد فصدقه عنه. فأمر بطلب الرجب، فطلب حتى أحضر ووصله صلة سنية وجعله في ندمائه ووكله بالسقي فلم يزل معه حتى قتل.

غنى علويه يوما بحضرة إبراهيم الموصلي: من البسيط

عميت أمري على أهلي فنم به

فقال: هذا الصوت معرق في العمى؛ الشعر لبشار الأعمى، والغناء لأبي زكار الأعمى، وأول الصوت: عميت أمري.

قال معبد: أرسل إلي الوليد فأشخصت إليه، فبينا أنا ذات يوم في بعض حمامات الشام إذ دخل علي رجل له هيبة ومعه غلمان، فاطلى واشتغل به صاحب الحمام عن سائر الناس، فقلت: والله لئن لم أطلع هذا على بعض ما عندي لأكونن بمزجر الكلب. فاستدبرته بحيث يراني ويسمع مني ثم ترنمت، فالتفت إلي وقال للغلمان: قدموا إليه جميع ما ههنا. فصار جميع ما كان بين يديه عندي، ثم سألني أن أصير معه إلى منزله، فلم يدع شيئا من البر والإكرام إلا فعله. ثم وضع النبيذ، فجعلت لا آتي بحسن إلا خرجت إلى أحسن منه

ولا يرتاح ولا يحفل لما يرى. فلما طال عليه أمري قال: يا غلام، شيخنا شيخنا، فأتي بشيخ فلما رآه هش إليه، فأخذ الشيخ العود ثم اندفع يغني:." (١)

"لأميرنا وأمير شرطتنا معا ... لكليهما يا قومنا رجلان

فإذا يكون أميرنا ووزيرنا ... وأنا فإن الرابع الشيطان

وأنشد الأعور: من الوافر:

ألم ترني وعمرا حين نغدو ... إلى الحانات ليس لنا نظير

أسايره على يمنى يديه ... وفيما بيننا رجل ضرير

دخل آخر إلى بعض الرؤساء فساره بشيء فتأذى ببخره. فلما فرغ من حديثه فسا وزاد البلاء على الرجل، فقال له: قم بالله فإنك عارم الطرفين.

قال بعضهم: خرجت في الليل لحاجة فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى نهرا فملأ الجرة ورجع. فقلت له: أنت أعمى والليل والنهار عليك سواء، فما معنى هذا السراج؟ قال: يا فضولي، حملته معي لأعمى القلب مثلك يستضيء به ولا يعثر بي في الظلمة فيقع علي ويكسر جرتي.

جلس كسرى للمظالم فتقدم إليه رجل قصير، فأقبل يصيح أنا مظلوم، وهو لا يلتفت إليه؛ فقال له الموبذان: أنصفه قال: إن القصير لا يظلمه أحد. فقال: الذي ظلمني أقصر مني، فضحك وأشكاه.

سار سعيد بن حميد رجل به بخر فقال: مثلك لا يسار وإنما يكاتب. وأنشد: من الخفيف:

كلمتني فقلت خرا وخير

ورأى فيلسوف قملة تدب على رأس أصلع فقال: هذا لص يروم القطع في خربة.

اتفق في ملك محمود بن ملكشاه توجيه القضاة الثلاثة، الهروي والشهرزوري والهيتي، رسلا إلى الأطراف، وكانوا أعيان عصرهم إلا أنهم عور، فقال فيهم محمد بن الحسين الآمدي: من البسيط:

أرى العراق بمحمود على خطر ... ظمآن أنا رويت فيه السيوف روي

ولست أرجو له صلحا يهذبه ... بالشهوزوري والهيتي والهروي

عور وأخلق بملك رسله طير ... أن لا يروم وهذا قد بري ودوي

كتب بعضهم إلى محمد بن عبد الملك الزيات: نعمتني بوطء المطهمات حتى أصابني الفالج، وأتخمتني بأكل الطيبات حتى أصابني النقرس، ولولاك لكنت أبعد من النقرس من فيج، وأسلم من الفالج من مكار؛

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٨٦/٣

وأين شرف أدوائي من جرب الحسن بن وهب ودود أحمد بن أبي خالد؟ وأين أدواء الملوك والأنبياء من أدواء السفلة والأغبياء؟ فمن كان داؤه أفضل من صحة غيره، وعيبه أحمد مما تراه ضده، فما ظنك بغير ذلك من أمره؟! أبو حكيمة: من الطويل:

أيحسدني إبليس داءين أصبحا ... برأسي ورجلي دملا وزكاما

فليتهما كانا به وأزيده ... زمانة شيء لا يري قياما

رجل من بني عجل: من الطويل:

وشى بي واش عند ليلى سفاهة ... فقالت له ليلى مقالة ذي عقل

وما بي من عيب الفتى غير أنني ... جعلت العصا رجلا أقيم بها رجلي

وخبر أني قد عرجت فلم تكن ... كورهاء تجري بالملامة للبعل

آخر: من الرجز:

ليس يضر الطرف توليع البلق ... إذا جرى في حلبة الخيل سبق

لما شاع في بلعاء بن قيس الوضح قيل له: ما هذا يا بلعاء؟ فقال: سيف الله جلاه.

نوادر البلغاء.

وصفوا غلاما عند بعضهم فقالوا: هو فاسد، قال: في فساده صلاحي.

وقال ابن وهب في مرد التحوا: من المنسرح.

ما بالكم يا ظباء وجرة أم ... ما غالكم يا جآذر البقر

ماتوا فلم يدفنوا فيحتسبوا ... ففيهم عبرة لمعتبر

كأنهم بعد بهجة درست ... ركب عليهم عمائم السفر

وقال ابن بسام في مثله: من البسيط:

يا من نعته إلى الإخوان لحيته ... أدبرت والناس إقبال وإدبار

حانت منيته واسود عارضه ... كما تسود بعد الميت الدار

وقال آخر: من الوافر:

وعلق لو تنسك يوم حج ... لواحر بين زمزم والحطيم

ولو يوم المعاد رأى لواطا ... لنام على الصراط المستقيم

قيل لأعرابي: أغلمة الرجل أشد أم غلمة المرأة؟ فقال **مرتجلا**: من الطويل:

فو الله ما أدري وإني لخابر ... أالأير أدنى للفجور أم الحر." (١)

"ومن المختصرات في تراثنا إن صحت الرواية، لقب(كشاجم) للشاعر محمود بن حسين الرملي)(٣٦٠هـ) الذي قيل أنه لقب به لعلوم كان يجيدها منحوتة من(كاتب وشاعر، إنشائي، جدلي، منطقي) وقيل في هذا اللقب أيضاً أنه منحوت من(كاتب، شاعر، أديب، جميل، مغن) غير أن ضعف الرواية وعدم تكرارها ومثلها تدل على أنه منحوت مصنوع، وأن الغرب لم يستسغ مثل هذه الطريقة، وقد يكون لفظاً **مرتجلاً** برّبه هذا الشاعر قبل نبوغه بالشعر، حيث كان يعمل طباخاً لدى سيف الدولة على ما روي.(١)

ولكن من ربطها بظاهرة النحت عند العرب مشبهاً إياها بالحوقلة(٢) والبسملة فهي أقرب إلى الصواب. من جهة أن المنحوت يكتب ويلفظ ككلمة مستقلة وتامة.

ومع ذلك لجأ بعض المعربين إلى ترجمة هذه المختصرات بمعانيها فقالوا في(Dc): التيار المتواصل، وفي(Ac) التيار المتناول(٣) ولكن الأغلبية نزعت إلى تعريبها لفظياً فقالوا: نظام(بال) ونظام(سيكام) وأشعة(ليزر)(٤).

---

(١) الزركلي- الأعلام ج-٧- ٦٧ وابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب ج٣-: ٣٧/

(٢) محمد كامل حسين- اللغة والعلوم- مجلة مجمع القاهرة- ج١٢- ٢٥/

(٣) وجيه السمان-..؟.- مجمع دمشق- ج- ٣/٥٧- ٣٥٧/ راجع ممدوح خسارة التعريب ص ١٢٤- ١٢٥- ١٢٦

... - راجع ممدوح خساره التعريب ص ١٢٤-١٢٥-١٢٦.

(٤) نظام(بال) يعني خط تغيير الطول- وليزر تعني تضخيم الضوء بإصدار الإشعاعات ..؟.. وجيه السمان- النحت- مجلة مجمع دمشق ج٣/٥٧ ٣٥٧/ راجع ممدوح خسارة التعريب

ص ١٢٤- ١٢٥- ١٢٦." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢٢٠/٣

(٢) الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية – دراسة –، ص/٢٤٤

"٢(كأنَّما ينظرُ في برقغ ** من تحتِ رَوقٍ سَلِبِ المِذوَدِ)٥ (ضمَّ صماخيهِ لنكرَّبةٍ ** من خَشيَةِ القانِصِ والموسَدِ)٦ (وانتصبَ القلبُ لتقسيمهِ ** أمراً فَريقَينِ وَلم يَبلُدِ)٧ (يتبعهُ في إثرهِ واصلٌ ** مثلُ رشاءِ الخلبِ الأجردِ)٨ (تَنحَسِرُ الغَمرَةُ عَنْه كما **)٩ (في بلدةٍ تعزف جنَّانها ** فيها خَناطيلُ من الرُّوَّدِ)٠ (قاظَ إلى العليا إلى المنتهى ** مُستَعرِضَ المَغربِ لم يَعضُدِ)(فذاكمُ شبهَّتهُ ناقتي ** مُرتَجِلاً فيها ولم أعتَدِ)(بالمربأ المرهوبِ أعلامهُ ** بالمُفرِعِ الكاثِبَةِ الأكبَدِ)(لمَّا رأى فاليهِ ما عندهُ ** أعجبَ ذا الرَّوحةِ والمغتدى)

---

(١) ".

"البحر : بسيط تام (تكلّفوا القولَ والأقوامُ قد حفَلُوا ** وحبّرُوا خُطباً ناهيكَ بالخُطبِ) (فقام مرتجلاً تغلي بداهته **كمرجلِ القينِ لمّا حَفّ باللهبِ) (وجانبَ الراءَ لم يشعرْ بهِ أحدٌ ** قبلَ التصفُّح والإِغراقِ في الطلبِ)

---

(٢) ".

"٦(خضت الغمار فجاز جمتها ** دوني وطبق ثوبي البلل) ٦(وَمُذَكّرِي رَحِماً مُعَنَّسَةً **كالشمس أخلق ضوؤها الطفل) ٦(رحم تعلق بالعبيد كما ** عَلِقَ الحِبَاءَ النّازحُ الطُّوَلُ) ٦٤ (إثنان يقتطعان من فرصي ** وأنا الذي أرخى واهتبل) ٦٥ (غَرَضِي بِمَدْحكَ أنْ يُطَاوِعني ** عوج بأيامي ويعتدل) ٦٦ (وأقوم بين يديك مرتجلاً ** لا ألعي يقطعني ولا الخطل) ٦٧ (ولئن نما كل المديح إلى ** فلتات قولي وانتمى الغزل) ٦٨ (فالأرْضُ أُمُّ التُّرْبِ أجمَعِهِ ** وَأبُو البَرِيّةِ كُلِّهَا رَجُلُ)

---

(٣) ".

"٤(أوبخفى عن عيونٍ أبصرتْ ** بوجود بن ذكاء ابنَ جلا) ٤(أَنا مِنْ آلائه في نِعمةٍ ** بالغٌ في كلِّ يوم أملا) ٤(ونوالٍ من يدٍ مبسوطة ** للعطايا أرسلتها مثلا) ٤٤ (إنّما أيديه أيدي ديمةٍ ** روَّضَتْ

---

(١) ديوان المثقب العبدي، ص/٣

(٢) ديوان بشار بن برد، ص/٢٧٠

(٣) ديوان الشريف الرضي، ص/١٢١٨

روضي إذا ما أمحلا) ٤٥ (وصلاتٍ من نداه اتَّصلتْ ** والنَّدى أَعْذَبُه ما اتّصلا) ٤٦ (منهلٌ مستعذبٌ مورده ** لا عَدِمْنا منه ذاك المنهلا) ٤٧ (لا أبالي إنْ يكن لي مورداً ** مرَّ يا سَعْدُ زماني أم حلا) ٤٨ (فجزاه الله عنّا خير ما ** جُوزيَ المنعمُ فيما نوّلا) ٤٩ (إنْ يرمْ فيه مقالاً شاعرٌ ** قال فيه شعره مرتجلا) ٥٠ (دامت الأيامُ أعياداً له ** وعليه السَّند وافى مقبلا)

(١) ".

"١(لأقطَعَنّ القِفارَ مُمتَطِياً ** جوادَ عزمٍ للنجمِ منتعلا)(لَئِن هَمَمتُ كانَ لي هِمَمٌ ** تفتحُ لي باهتمامها سبلا)(لا خِفتُ بُؤساً ، ونائلُ الملكِ المن ** صورِ للعالمينَ قد كفلا)٤ (لابِسُ ثَوبِ العَفافِ مدّرعٌ ** من سُندسِ المَجدِ والتّقى حُلَلَا)٥ (لاحَ فقومٌ تعدّ طلعتهُ ** رزقاً ، وقومٌ تعدهُ أجلا)٦ (لأخصمنّ الزمانَ مرتجلا ، ** وأنظمنّ القريضَ مرتجلا)٧ (لاقَ بأمثالهِ ، ومحكمهُ ** لمن غدا ذكرُ حلمهِ مثلا)٨ (لأغزرِ المنعمينَ طولَ ندىً ، ** وأرفَعِ العالمينَ طُورَ عُلى)٩ (لأروَعٍ لا تَزالُ راحتُهُ ** تَجُودُ للنّاسِ قَبلَما تُسَلا)٠ (لاحقُ شأوِ الكرامِ سابقهم ، ** في جريهِ للعلى ، إذا قفلا)

(٢) ".

"يوم تجدده السنون، وقد

درجت عليه الأعصر الأول

فالناس فيه معلل طرب

يرجو الأوار وشارب ثمل

ما استجمعت فرق الهموم به

إلا وبدد جمعها الجذل

هو خطة نزل الشتاء بها

والصيف منطلق ومرتحل

وأنا الذي أهوى هواك، ولو

---

(١) ديوان عبد الغفار الأخرس، ص/٩٨٩

(٢) ديوان صفي الدين الحلي، ص/١٣٣٠

ضربت علي البيض والأسل

وطئت قبائل غالب عقبي

وتشرفت بمقامي الحلل

ومراغم يغدو على قنصي

فيحوزه ويداي محتبل

خضت الغمار فجاز جمتها

دوني وطبق ثوبي البلل

ومذكري رحما معنسة

كالشمس أخلق ضؤها الطفل

رحم تعلق بالعبيد كما

علق الحباء النازح الطول

إثنان يقتطعان من فرصي

وأنا الذي أرخى واهتبل

غرضي بمدحك أن يطاوعني

عوج بأيامي ويعتدل

وأقوم بين يديك **مرتجلا**

لا ألعي يقطعني ولا الخطل

ولئن نما كل المديح إلى

فلتات قولي وانتمى الغزل

فالأرض أم الترب أجمعه

وأبو البرية كلها رجل

العصر العباسي >> الشريف الرضي >> مسيري إلى ليل الشباب ضلال

مسيري إلى ليل الشباب ضلال

رقم القصيدة : ١٠٢٣٤

————————————————————

مسيري إلى ليل الشباب ضلال

وشيبي ضياء في الورى وجمال

سواد، ولكن البياض سيادة

وليل ولكن النهار جلال

وما المرء قبل الشيب إلا مهند

صدي، وشيب العارضين صقال

وليس خضاب المرء إلا تعلة

لمن شاب منه عارض وقذال

وللنفس في عجز الفتى وزماعه

زمام إلى ما يشتهي وعقال

بلوت وجربت الأخلاء مدة

فأكثر شيء في الصديق ملال

وما راقني ممن أود تملق

ولا غرني ممن أحب وصال

وما صحبك الأدنون إلا أباعد

إذا قل مال أو نبت بك حال

ومن لي بخل أرتضيه، وليت لي

يمينا يعاطيها الوفاء شمال

تميل بي الدنيا إلى كل شهوة ." (١)

"العصر الأندلسي >> ابن سهل الأندلسي >> خذها فصبغ الظلام قد نصلا

خذها فصبغ الظلام قد نصلا

رقم القصيدة : ١١٠٨١

خذها فصبغ الظلام قد نصلا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٣٦/١

وذيله بالسنا قد اشتعلا

وأقحوان الربى بدا سحرا

وأقحوان النجوم قد ذبلا

و الورد مثل الخدود قد دميت

من نرجس حدقت لها المقلا

يسقيك من كاسه وناظره

درا بكاسي صبابة وطلا

تختدع السكر مقلتاه فإن

نبت به الكاس كان مستحلا

إن وعد الوصل سين طرته

قرأت في عارضيه لفظة لا

أيد حبي كتاب عارضه

كذلك الكتب تعضد المللا

لا تعذلوني على محبته

فسيف عينيه يسبق العذلا

مسلط لا أذم قدرته

وظالم أشكر الذي فعلا

وباخل بالنوال عادته

قد علمتني بحبه البخلا

فهاتها واسقني براحته

و طاوع اللهو واعص من عذلا

راح يزين الحباب حمرتها

كما يزين التبسم الخجلا

يقلد الماء جيدها دررا

ينهبها الشرب بينهم نقلا

إن جددت بالمزاج حليتها

جددت شربا يس،ومها العطلا

حاكمها يظلم العقول ولا

تصلح حال النفوس إن عدلا

نجم لليل الهموم أكثر ما

يكشف تلك الدجى إذا أفلا

قلوبهم في جنى النعيم بها

و إن بدت في وجوههم شعلا

قد ينتج الضد ضده وإذا

شئت فجود الوزير خذ مثلا

رفيعني حظه الحمام كما

قد صان وجهي بكل ما بذلا

يأتي بلا موعد نداه فلو

كان كلاما لكان مرتجلا

لو اكتفى ساطيا بهيبته

كفته بيض السيوف والأسلا

أو لم ينل غير بشره صلة

أرضى بها كل سائل سألا

يقترع البحر والغمامة من

أدناهما من سماحه سبلا

تالله ما شرف السحاب سوى

أن ضربوها لجوده مثلا

ولا بلج البحار من كرم

إلا جوار بداره اتصلا

كأن جدوى يديه مأدبة

دعا إليها ببشره الجفلى

للنفع والضر عنده شيم." (١)

"كلفتها تهجير داوية

من بعد شأوى ليلها الأبعد

في لاحب تعزف جنانه

تكاد إذ حرك مجدافها

لا يرفع السوط لها راكب

إذا المهارى خودت في البد

تسمع تعزافا له رنة

في باطن الوادي وفي القردد

كأنها أسفع ذو جدة

يمسده الوبل وليل سد

ملمع الخدين قد أردفت

أكرعه بالزمع الأسود

كأنما ينظر في برقغ

من تحت روق سلب المذود

ضم صماخيه لنكربة

من خشية القانص والموسد

وانتصب القلب لتقسيمه

أمرا فريقين ولم يبلد

يتبعه في إثره واصل

مثل رشاء الخلب الأجرد

تنحسر الغمرة عنه كما

في بلدة تعزف جنانها

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٥/٤

فيها خناطيل من الرود

قاظ إلى العليا إلى المنتهى

مستعرض المغرب لم يعضد

فذاكم شبهته ناقتي

مرتجلا فيها ولم أعتد

بالمربأ المرهوب أعلامه

بالمفرع الكاثبة الأكبد

لما رأى فاليه ما عنده

أعجب ذا الروحة والمغتدى

كالأجدل الطالب رهو القطا

مستنشطا في العنق الأصيد

يجمع في الوكر وزيما كما

يجمع ذو الوفضة في المزود

العصر الجاهلي >> المثقب العبدي >> هل لهذا القلب سمع أو بصر

هل لهذا القلب سمع أو بصر

رقم القصيدة : ١٦١١٦

هل لهذا القلب سمع أو بصر

أو تناه عن حبينب يذكر

أو لدمع عن سفاه نهية

تمنرى منه أسابي الدرر

مرمعلات كسمطي لؤلؤ

خذلت أخراته، فيه مغر

إن رأى ظعنا لليلى غدوة

قد علا الحزماء منهن أسر

قد علت من فوقها أنماطها
وعلى الأحداج رقم كالشقر
وإلى عمرو . وإن لم آته .
تجلب المدحة أو يمضى السفر
واضح الوجه، كريم نجره
ملك السيف إلى بطن العشر
حجري عائدي نسبا
ثم للمنذر إذ حلى الخمر." (١)
"لاعج شوقي إلى لقائهم،
ينبه قلبي بهم إذا غفلا
لامع برق الغرام يذكرني
ربعا لقوم من الأنيس خلا
لازمت من دونه القفار، وقد
تركت فيه الرفاق والخولا
لاكت به خيلنا مراودها،
ثم استحبت من بعدنا العطلا
لأظهر الصافنات خيالة
منا، وأما قلوبهن، فلا
لأقطعن القفار ممتطيا
جواد عزم للنجم منتعلا
لئن هممت كان لي همم
تفتح لي باهتمامها سبلا
لا خفت بؤسا، ونائل الملك المنـ
ـصور للعالمين قد كفلا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٥/١٣

لابس ثوب العفاف مدرع

من سندس المجد والتقى حللا

لاح فقوم تعد طلعته

رزقا، وقوم تعده أجلا

لأخصمن الزمان مرتجلا،

وأنظمن القريض مرتجلا

لاق بأمثاله، ومحكمه

لمن غدا ذكر حلمه مثلا

لأغزر المنعمين طول ندى ،

وأرفع العالمين طور على

لأروع لا تزال راحته

تجود للناس قبلما تسلا

لاحق شأو الكرام سابقهم،

في جريه للعلى ، إذا قفلا

لاذ به الوافدون، فامتلأت

منه يداهم، وصدقوا الأملا

لاجية من ندى يديه إلى

ركن مشيد لعيهم حملا

لا تخش يا ابن الكرام من زمن

أمرته بالصلاح، فامتثلا

لا واك قوم، فكان حظهم

طل دم في الوغى وضرب طلى

لاقيتهم، والعجاج لو خضبت

به فروع الدجى لما نصلا

لأنت من معشر بعدلهم

قوم زيغ الزمان، فاعتدلا

لان لك الدهر بعد شدته،

فجاد للناس بعدما بخلا

لأجل ذا أنجم العلى طلعت

به، ونجم الضلال قد أفلا

لأربع المجد منك آنسة ،

فلا خلا ربعها، ولا عطلا

العصر الأندلسي >> صفي الدين الحلي >> يا هلالا من سلطة العي حيي،

يا هلالا من سلطة العي حيي،

رقم القصيدة : ٢٠٥٠٥

يا هلالا من سلطة العي حيي،

أشرق الصبح تحت ليل دجي

يوسفي الجمال، كم تاه صب." (١)

"تسبق الأقوال أفعال له

وإذا قال بشيء فعلا

سيد لو أمر الدهر بما

شاء من أمر المعالي امتثلا

وجد الدهر مزياه حلى

فتحلى منه في تلك الحلى

قرأ المجد على أخلاقه

سورة الحمد قديما وتلا

وصعاب المعالي لم تقد

قادها من غير كره ذللا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٢/٢٠

طيب الذات رفيع قدره

ما يريك النجم إلا أسفلا

سيد أشرف من في هاشم

شب في حجر العلى واكتهلا

من أناس بلغوا غاياتهم

من نوال ونزال وعلى

سادة قد أوضح الله بهم

لجميع العالمين السبلا

أنزل الله على جدهم

سيد الرسل الكتاب المنزلا

سادة لولا هداهم بقيت

هذه الناس جميعا هملا

ما رأينا أحدا من قبله

لاح كالبدر هزيزا رجلا

لاح للأبصار يبدو واضحا

وتجلى وبه الكرب انجلى

وضح الصبح إذا الصبح أضا

أو حسام مشرفي صقلا

أوبخفى عن عيون أبصرت

بوجود كبن ذكاء ابن جلا

أنا من آلائه في نعمة

بالغ في كل يوم أملا

ونوال من يد مبسوطة

للعطايا أرسلتها مثلا

إنما أيديه أيدي ديمة

روضت روضي إذا ما أمحلا

وصلات من نداه اتصلت

والندى أعذبه ما اتصلا

منهل مستعذب مورده

لا عدمنا منه ذاك المنهلا

لا أبالي إن يكن لي موردا

مر يا سعد زماني أم حلا

فجزاه الله عنا خير ما

جوزي المنعم فيما نولا

إن يرم فيه مقالا شاعر

قال فيه شعره **مرتجلا**

دامت الأيام أعيادا له

وعليه السند وافى مقبلا

العصر العباسي >> البحتري >> يا أخا الأزد ما حفظت الإخاء

يا أخا الأزد ما حفظت الإخاء

رقم القصيدة : ٢٢٤٦

يا أخا الأزد ما حفظت الإخاء

لمحب، ولا رعيت الوفاء

عذلا يترك الحنين أنينا،

في هوى يترك الدموع دماء

لا تلمني على البكاء، فإني

نضو شجو، ما لمت فيه البكاء

كيف أغدو من الصبابة خلوا،

بعد ما راحت الديار خلاء." (١)

"حسن الفعال ويدنو كلما قربوا

إذا وجوههم بالعثير أنتقبت

بدا المضاء الذي ما دونه نقب

طبتم فطاب حديث توصفون به

مكررا ذكره ما كرت الحقب

والمادحون على أبوابكم حزقا

لقول حسادكم للمادح السلب

تسمو الإمارة إذ تعزى إليك كما

تسمو تميم بن مر حين تنتسب

وبعد بيت رسول الله ما فخرت

بمثل بيتك لاعجم ولا عرب

بيت له العز أرض والإباء سما

والباترات عماد والندى طنب

حماه من دارم في كل معترك

غلب على المجد والعلياء قد غلبوا

لما أبوا در أخلاف اللقاح قرى

باتت لديهم من الأوداج تحتلب

وإن غنيت بما أثلت من شرف

عن ذكر ما أثلت آباؤك النجب

فالمرء إن لم تقدمه مآثره

لم يعله نسب زاك ولا نشب

أما دمشق فقد أسلفت نصرتها

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢٦٧/٢٣

في سالف الدهر إذ أنصارها غيب

غابوا بأسر وقتل وانتجاع عدى

وأنت وحدك فيها جحفل لجب

حاميت عنها محاماة المليك لها

فهل زمانك هذا كنت ترتقب

فكنت أبعد خلق الله من فرق

إذا تفارقت الأسياف والقرب

كم خضت من دونها نارا مضرمة

ما خاضها من له في نفسه أرب

وكم نطقت بفصل القول **مرتجلا**

والبيض في قمم الأبطال تصطحب

فمن بيانك ماء الفضل منهمر

ومن بنانك ماء الجود منسكب

والمجد إن كان في الأقوام مكتسبا

فإنه فيك مولود ومكتسب

سطوت فاستصغر الأنجاد ما قهروا

وجدت فاستزر الأجواد ما وهبوا

مكارم بزت الركبان رأفتها

باليعملات فما تثنى لها ركب." (١)

"يوما، نواصينا من النذر

من حج حافية وصائمة

سنتين، أم أفيرخ زعر

لم يبق منهم غير ألسنة،

وأعيظم وحواصل حمر

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣/٣٥

ويجمرون بغير أعطية،

في البر من بعثوا وفي البحر

ويكلفون أباعرا ذهبت

جيفا بلين، تقادم العصر

حتى غبطنا كل محتمل

يمشي بأعظمه إلى القبر

وتمنت الأحياء أنهم

تحت التراب وجيء بالحشر

والراقصات بكل مبتهل،

من فج كل عمايق غبر

ما قلت إلا الحق تعرفه

في القول **مرتجلا** وفي الشعر

ما أصبحت أرض العراق بها

ورق لمختبط ولا قشر

إن نحن لم نمنع بطاعتنا

والحب للمهدي والشكر

فغدت علينا في منازلنا

رسل العذاب برغوة البكر

أشقى ثمود حين ولهه

عن أمه المشؤوم بالعقر

لما رغا همدوا، كأنهم

هابي رماد مؤثف القدر

أنت الذي نعت الكتاب لنا

في ناطق التوراة والزبر

كم كان من قس يخبرنا

بخلافة المهدي، أو حبر

جعل الإله لنا خلافته

برء القروح وعصمة الجبر

كم حل عنا عدل سنته

من مغرم ثقل، ومن إصر

كنا كزرع مات، ك١ن له

ساق، له حدب من النهر

عدلوه عنه في مغولة

للماء، بعد جنانه الخضر

أحييته بعباب منثلم،

وعلاه منك مغرق الدبر

أحييت أنفسنا، وقد بلغت

منا الفناء، ونحن في دبر

فلقد عززنا بعد ذلتنا

بك، بعدما نأبى عن القسر

أصبحت قد بخعت نصيحتنا." (١)

"أنا الهلال وأنت البدر مكتملا

يضيء دنياي لكن لست المسه

وكلما رمت أن أحظى به أفلا

يا من رسمت بفكري كلما نسجت

دنيا الجمال وقلبي من سواك خلا

يا مرتع المجتنى الضافي بغيمته

وكلما رعدت أشواقه هطلا

وجدت في غيمة الأحزان متكئا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٧٥/٣٨

لمهجة وجدت في صدك العللا

لا .. لن أذوب ولن أمضي بقافلة

من الضياع ولن أنسى هواك ولا

يظن حاسدنا ما سولته له

أحلامه أو يقول العاذلون سلا

سأكتب الشعر في عينيك ما فتأت

روحي بجنبي بل اشدوه **مرتجلا**

أعتق الوجد في قلبي وأكتمه

وكلما زادت الأعوام زاد غلا

يا أجمل امرأة قد سافرت بدمي

شوقي بساحرتي ما عاد محتملا

أين الطريق لنجم تسكنين به

فإن راصده قد ضيع السبلا

شعراء الجزيرة العربية >> حسين احمد النجمي >> رنة الخلخال

رنة الخلخال

رقم القصيدة : ٦٤٩٢١

ها أنت أشعلت الحنين بخافقي

وسفحت من دمع العيون الغالي

وأعدتني للأمس والعمر الذي

ذابت على أهدابه آمالي

ما زلت اذكر ليلة قمرية

شهدت بكاء الناي في الموال

وتعطرت في فلها تلك الربا

بل أطربتها رنة الخلخال

أرنو فيمنحني الشذى أنفاسه

فأحار بين حقيقتي وخيالي

سافرت فيها بين أمواج السنا

ومشاعري تنساب كالشلال

وبزورق العطر الذي تمضي به

تهويمة الأشجان للأطلال

أبحرت أستاف العبير مرددا

لحني وأشرعة الرؤى تطوي لي

حتى بلغت جزائر الشعر التي

سطرت في شطآنها أقوالي

لملت من الق الحروف توهجي

ووجدت في نبض القلوب مجالي

يا روضة قد كنت في أحضانها

انساب بين خميلة وظلال

تهمي الورود على مشارف فرحتي

وعلى ضفاف الجدول السلسال

كم قد قضيت نهار عمري ساهما

وسهرت وحدي في الظلام ليالي

وكم امتطيت خيال فكري عازفا

ترنيمة الأشواق في الآصال

يا من أثرت اللحن في قيثارتي

وتركتني في اصعب الأحوال

أنا ما نسيت الذكريات فلم تزل

غم السنين الخاليات ببالي

شعراء الجزيرة العربية >> حسين احمد النجمي >> ليل المراويد

ليل المراويد." (١)

"إنا إلى الله مرجوعون ما تركت

لنا المصيبة عظما غير مكسور

وإن فينا لبقيا بعدما سلمت

نفس الإمام لنا من كل محذور

أرسل قصيدة | أخبر صديقك | راسلنا

العصر العباسي >> ابن الرومي >> ألا اسلمي يا دار من دار

ألا اسلمي يا دار من دار

رقم القصيدة : ٦١٢٠٦

ألا اسلمي يا دار من دار

تهيج أطرابي وأذكاري

وقد أراها فأقول اسلمي

لجمع آرابي وأوطاري

حيتك عنا شمأل سهوة

تسري إذا ما عرس الساري

تنسمت تسحب أذيالها

خلال جنات وأنهار

كأنما نشرة أنفاسها

تصدر عن حانوت عطار

العصر العباسي >> ابن الرومي >> إن خيرا من أن ترى في أن قد

إن خيرا من أن ترى في أن قد

رقم القصيدة : ٦١٢٠٧

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٩٤/٦٧

إن خيرا من أن ترى في أن قد

فسدت نيتي فحقي البوار

أن ترى أنني متى انجاب هذا ال

ليل عني أضاء ذاك النهار

أنا ذاك الذي عهدت وإن

نفرت جأشي فكان مني نفار

ومتى شئت أن تألف نفسي

ألفت وهي إن ظلمت نوار

إن لي حرمة يغار عليها

إن تأملت والكريم يغار

لا تكونن من أطاع هواه

وطغى إذ أطاعه المقدار

العصر العباسي >> ابن الرومي >> لو كنت أنت حنينا في حذاقته

لو كنت أنت حنينا في حذاقته

رقم القصيدة : ٦١٢٠٨

لو كنت أنت حنينا في حذاقته

أو معبدا رأس من غنى من البشر

أو كنت كابن سريج في تقادمه

أو الغريض ففيهم منتهى العبر

هل كنت تطرب إلا من تشاكله

ولو أعانك صوت الدف والوتر

إن الكلاب مغنيها ومطربها

في صوته عمر فاسلح على عمر

والقحطبي إذا غناك مرتجلا

فقل خريت وقم عن مطل بخر

لو كان في سعر في سقر

لمات سامعه من شدة الخصر

إن جاء يفخر بالعباس والده

فقل فخرت بشيخ أرمل ذكر

العصر العباسي >> ابن الرومي >> فتى يبسط الآمال حسن لقائه

فتى يبسط الآمال حسن لقائه

رقم القصيدة : ٦١٢٠٩." (١)

"بالصاحب انفتقت لنا ريح الصبا

خصبا وغنى الساق فوق الأيكة

كفلت بأولى مجده أيامه ال

أخرى فأحيا كل فضل ميت

شرفا بنى عبد الرحيم فإنما

تجنى الثمار بقدر طيب المنبت

لكم قدامى المجد لكن زادكم

هذا الجناح تحلقا في الذروة

غدت الرياسة منكم في واحد

كثرت به الأعداد لما قلت

عطفت لكم يده وزمت آنفا

شما لغير خشاشه ما ذلت

لما تقلدها وكانت ناشزا

ألقت عصاها للمقام وقرت

موسومة بكم فمن تعلق بها

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٩٠/٧٧

دعواه يفضحه علاط الوسمة

نيطت عراها منه بابن نجيبة

سهل الخطا تحت الخطوب الصعبة

يقظان يلتقط الكرى من جفنه

نظر العواقب واتقاء العذرة

لا يطمئن على التواكل قلبه

فيما رعى إن نام راعي الثلة

تدجو الأمور وعنده من رأيه

شمس إذا ما جن خطب جلت

و يصيب **مرتجلا** بأول خطرة

أغراض كل مخمر ومبيت

تدمى بنان النادمين وسنه

ملساء إثر ندامة لم تنكت

ما ضم شمل الملك إلا رأيه

بعد انشار شعاعه المتشتت

حسر القذى عن حوضه وسقى على

طول الصدى فشفى بأول شربة

من بعد ما غمز العدا في عوده

و استضعفوا قدما له لم تثبت

و لرب بادئة وكانت جذوة

كملت ضراما بالحسين وتمت

حاميت عنه بصولة المتخمط ال

عادي وهدي المستكين المخبت

و إذا عرى الحزم التقت علق الفتى

بمدى السريع على خطا المتثبت

إن الذين على مكانك أجلبوا

ضربوا الطلى بصوارم ما سلت

طلبوا السماء فلا هم ارتفعوا لها

شل الأكف ولا السماء انحطت

و بود ذي القدم القطيعة ماشيا

لو أنها سلمت عليه وزلت

خان السرى ركب القلاص وسلمت

بسط الفلاة إلى القروم الجلة

يفديك مرتاب بغلطة حظه

سرق السيادة من خلال الفلتة

ما رد يوما عازب من عقله

إلا رأى الدنيا به قد جنت

قبضت يداه وما يبالي سائل

بخلت عليه يد امرئ أو شلت

و أرى الوزارة لا يعاصل نابها." (١)

"وتلبس الصبر في يوم الوغى حلقا

قامت بنصرك لما قام **مرتجلا**

خطيب جودك فيها ينثر الورقا

سريت تقدم جيش النصر متخذا

سبل المجرة في إثر العلا طرقا

في ظل ليل من الماذي معتكر

يجلو إلى الخيل منه وجهك الفلقا

وصفح قرن غداة الروع يكتبه

من الظبا قلم لا يعرف المشقا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٨٤/٧٩

أجريت للزنج فوق النهر نهر دم

حتى استحال سماء جللت شفقا

وساعد الفلك الأعلى بقتلهم

حتى غدا الفلك بالناجي به غرقا

من كل أسود لم يدلف على ثلج

بأن جدك يجلو صفحه يققا

كأن هامته والرمح يحمله

غراب بين على بان النقا نعقا

إذا ونى ثغر الخطي ثغرته

أو عاذ بالنهر مسلوب القوى غرقا

وأي نهر يرجي العبر عابره

وسفنه طافيات غودرت فلقا

العصر الأندلسي >> ابن شهيد >> أبكيت إذ ظعن الفريق فراقها إني امرؤ لعب الزمان بهمتي

أبكيت إذ ظعن الفريق فراقها إني امرؤ لعب الزمان بهمتي

رقم القصيدة : ٥٧٣٣٥

أبكيت إذ ظعن الفريق فراقها إني امرؤ لعب الزمان بهمتي

وسقيت من كأس الخطوب دهاقها

وكبوت طرفا في العلا فاستضحكت

حمر الأنام فما تريم نهاقها

وإذا أبو يحيى تأخر نفسه

فمتى أؤمل في الزمان لحاقها

الملبسي ذهبية من فضله

ثنت العيون فلم تطق رقراقها

والمانعي من صرف دهري بعدما

قلبت إلي الحادثات حداقها

حتام لا تزوي جيادك للوغى

وتشيم من بيض السيوف رقابها

وتسد طرق الأرض منك بجحفل

يذر الملوك مديمة إطراقها

بحر إذا خفقت عقاب لوائه

بتخوم أرض لم تخف إخفاقها

الله في أرض غذيت هواءها

وعصابة لم تتهم إشفاقها

نكزتهم أفعى الخطوب وعوجلوا

بمثمل منها فكن درياقها

وافتح مغالقها بعزمة فيصل

لو حاولت سوق الثريا ساقها

ولو أنها منه إذا ما استلها

تتعرض الجوزاء حل نطاقها

بطل إذا خطب النفوس إلى الوغى

جعل الظبا تحت العجاج صداقها

لو عارضت هوج الرياح بنانه

يوما لسد ببعضها آفاقها

وإذا الملوك جرت جيادا في الوغى

وا‌ںجود قطع جفوة أعناقها

ولو أن أفواه الضراغم منهل." (١)

"وما قادني في الدهر إلا غلبته

وكيف يلام المرء والحب غالبه

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤١٣/٨٣

وأحور محسود على حسن وجهه

يزين السموط نحره وترائبه

العصر العباسي >> بشار بن برد >> أخوك الذي لا ينقض الدهر عهده

أخوك الذي لا ينقض الدهر عهده

رقم القصيدة : ٨٤٥٤

أخوك الذي لا ينقض الدهر عهده

ولا عند صرف الدهر يزور جانبه

فخذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه

ولا تك في كل الأمور تجانبه

العصر العباسي >> بشار بن برد >> يزهدني في حب عبدة معشر

يزهدني في حب عبدة معشر

رقم القصيدة : ٨٤٥٥

يزهدني في حب عبدة معشر

قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي بما اختار وارتضى

فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وما تبصر العينان في موضع الهوى

ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا

وألف بين العشق والعاشق الصب

العصر العباسي >> بشار بن برد >> لعمري لقد غالبت نفسي على الهوى

لعمري لقد غالبت نفسي على الهوى

رقم القصيدة : ٨٤٥٦

لعمري لقد غالبت نفسي على الهوى

لتسلى فكانت شهوة النفس أغلبا

العصر العباسي >> بشار بن برد >> تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا

رقم القصيدة : ٨٤٥٧

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا

وحبروا خطبا ناهيك بالخطب

فقام مرتجلا تغلي بداهته

كمرجل القين لما حف باللهب

وجانب الراء لم يشعر به أحد

قبل التصفح والإغراق في الطلب

العصر العباسي >> بشار بن برد >> وإذا عريت فلا تكن جشعا

وإذا عريت فلا تكن جشعا

رقم القصيدة : ٨٤٥٨

وإذا عريت فلا تكن جشعا

تسمو لغث الكسب تكسبه

العصر العباسي >> بشار بن برد >> قل للأمير جزاك الله صالحة

قل للأمير جزاك الله صالحة ." (١)

"يا من يكاثر بالدفاتر

تحشو بها حشو المساور

لو كنت أجمع غير ما

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٤٩/٩٣

يختار من غرر النوادر

عينا من الأخبار أو

علما من الأمثال سائر

أو مودعا صحفي لما

أنا منتقيه من الجواهر

لجمعت ما لا يستـ

قل بحمله كوم الأباعر

فافخر وكاثر بالقر

يحة إنها فخر المفاخر

واعلم بأن العلم ما

أوعيت في صحف الضمائر

العصر العباسي >> كشاجم >> هذا الصباح فما الذي

هذا الصباح فما الذي

رقم القصيدة : ٩٢٨٣

هذا الصباح فما الذي

بصبوح لو بك تنتظر

نبه أبا بكر ونا

د أخا السماع أبا عمر

وادع المليحة تأتنا

قمرا لها يحكي القمر

في حجرها من عودها

سكيت ينطقه الوتر

كالطفل إلا أنه

من عرعر لا من بشر

في فتية لهم الصبا

حة والفصاحة والخطر

ما بين شعر أو غنا

ء أو حديث أو سمر

متفيئين من التذا

كر والتقاسم في زهر

وكأن من ناجاهم

في دفتر الحسن نظر

وأحب أوقات النعيـ

ـم إلي أوقات السحر

ه ي عذرة اللذات واللـ

ـذات أطيبها العذر

فاشرب نعمت وأسقها

صرفا نداهك الغرر

وإذا أديرت نخبة

ومضى السرور بمن يسر

فأمل الكؤوس ونادهم

هل فكم من مدكر

وتغن مرتجلا تجبـ

ـك بدلها ذات الخفر

خذ من زمانك ما صفا

ودع الذي فيه الكدر

فالدهر أقصر من معا

تبة الزمان على الغير

عند الرغبة في نشر اي نصوص أو معلومات من صفحات الموقع.

العصر العباسي >>كشاجم >> عندي أخ لك ماجد

عندي أخ لك ماجد

رقم القصيدة : ٩٢٨٤

عندي أخ لك ماجد." (١)

"قلت القضاء مالك أمر الفتى

من حيث لا يدري ومن حيث درى

لا تسألني واسأل المقدار هل

يعصم منه وزر ومزدرى

لا بد أن يلقى امرؤ ما خطه

ذو العرش مما هو لاق ووحي

لا غرو إن لح زمان جائر

فاعترق العظم الممخ وانتقى

فقد ترى القاحل مخصرا وقد

تلقى أخا الأقتار يوما قد نما

يا هؤليا هل نشدتن لنا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٨٤/٩٣

ناقية البرقع عن عيني طلا

ما أنصفت أم الصبيين التي

أصبت أخا الحلم ولما يصطبى

استحي بيضا بين أفوادك أن

يقتادك البيض اقتياد المهتدى

هيهات ما أسفع هاتا زلة

أطربا بعد المشيب والجلا

يارب ليل جمعت قطريه لي

بنت ثمانين عروسا تجتلى

لم يملك الماء عليها أمرها

ولم يدنسها الضرام المحتضى

حينا هي الداء وأحيانا بها

من دائها إذا يهيج يشتفى

قد صانها الخمار لما اختارها

ضنا بها على سواها واختبى

فهي ترى من طول عهد أن بدت

في كاسها الأعين الناس كلا

كأن قرن الشمس في ذرورها

بفعلها في الصحن والكاس اقتدى

نازعتها أروع لا تسطو على

نديمه شرته إذا انتشى

كأن نور الروض نظم لفظه

مرتجلا أو منشدا أو إن شدا

من كل ما نال الفتى قد نلته

والمرء يبقى بعده حسن الثنا

فإن أمت فقد تناهت لذتي

وكل شيء بلغ الحد انتهى

وغن اعش صاحبت دهري عالما

بما انطوى من صرفه وما انتشى

حاشا لما أساره في الحجا

والحلم أن أتبع رواد الخنا

أو أن أرى لنكبة مختضعا

أو لابتهاج فرحا ومزدهى

وقال المثقب العبدي الجاهلي المتوفى سنة ٥٨٧ م من قصيدة

لا تقولن إذا ما ترد

أن تتم الوعد في شيء (نعم)." (١)

"حيا الحيا قبره وأنبت ما ... عليه من روضه الأنيق حلى

تالله ما حلت عن ولائكم ... يوما ولا اعتضت عنكم بدلا

لكن رأيت الخمول أروح لي ... فما أعاني الخصام والجدلا

في دار مولى تقيم لي أبدا ... جموعه في خصومتي رسلا

يشير إلى قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري، فإن الجماعة كانوا يداعبونه بحضرته، ويغضبونه بكلمته.

من كنت ليث الشرى فغادرني ... بحمل أثقال جوره جملا

أرى نهيق الحمار يطربهم ... وينكرون الجواد إن صهلا

يجحد فضلي وكل ذي أدب ... يمتار مما أصوغ **مرتجلا**

من لي بخل تدوم خلته ... ولا أرى في خلاله خللا

ترى مياها عيني وبي ظمأ ... وما أروي بوردها الغللا

وهذه قصتي محررة ... نظمت تفصيلها له جملا

ثم هاجر إلى مصر ووصل إليها في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وأنا بها، وأنعم عليه الملك الناصر وشرفه وأكرمه، وزاد إدراره، وأجاد إيثاره.

وأنشدني له في غلام صيقل يكنى أبا الفتوح:

---

(١) جواهر الأدب، ٢/٢٣

أذاب الجسم حب أبي الفتوح ... وملكه الهوى مالي وروحي

أعار السيف من عينيه حدا ... يصال به على البطل المشيح

وصقلا من سنا خديه يزري ... بضوء البرق للطرف الطموح

التاج البلطي النحوي

أبو الفتح عثمان بن عيسى بن منصور

ذكر أن أصل من بلدة يقال لها بلط، ومولده في بني مايدة بالموصل لثلاث بقين من شهر رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمائة. وانتقل إلى الشام وأقام بدمشق برهة من عمره يتردد إلى الزبداني للتعليم، وكان مقيما بها في صون مقيم، ولما فتحت مصر انتقل إليها وحظي، وأعتبه دهره ورضي، ورتب الملك الناصر صلاح الدين له على جامع مصر كل شهر جاريا، ليكون للنحو بها مقريا، وللعلم قاريا، وكنت لقيته بدمشق فلما وصلت إلى مصر اجتمعت به واستنشدته من شعره فأنشدني من قصيدة له وذلك في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين:

حكمته ظالما في مهجتي فسطا ... وكان ذلك جهلا شبته بخطا

هلا تجنبته، والظلم شيمته ... ولا أسام به خسفا ولا شططا

ومن أضل هدى ممن رأى لهبا ... فخاض فيه وألقى نفسه وسطا

ويلاه من تائه أفعاله صلف ... ملون كلما أرضيته سخطا

أبثه ولهي صدقا، ويكذبنيوعدا وأقسط عدلا كلما قسطا

وأنشدني له من قصيدة:

أبثكما ما ضقت عن حمله فحصا ... فقد عم بالجسم السقام وقد خصا

ومن دون كتمان الصبابة مهجة ... تذوب على من ليس يرحمني حرصا

رشا فاق بدر الأفق حسنا وأشبه ال ... قضيب قواما مذ حكى ردفه الدعصا

وذكر أن للقاضي الفاضل عنده يدا، وقد أسدى إليه عارفة وندى، وبلغ به في الكرامة إلى غاية ليس لها مدى، قال: فعملت فيه عند عوده من الشام وقومه قطعة أولها: قدمت خير قدوم ومنها:

أفديك من قادم لم ... يزل علي كريم

به تباعد بؤسي ... عني ووافى نعيمي

لله عبد رحيم ... يدعى بعبد الرحيم

على صراط سوي ... من الهدى مستقيم

ينمى إلى شرف في ... ذرى المعالي صميم

مهذب حاز ما شئ ... ت من تقى وعلوم

مسهد الطرف يتلو ... آي القرآن العظيم

ومن أهاجيه قوله في أمراء الزبداني بني سرايا:

من أحب الهوان لا يتعدى الد ... هر سكناه بين آل سرايا

ما أعدوا لنازل بهم شي ... ئا سوى اجبه بالخنا والرزايا." (١)

"ثم أهدى الرشيد ابن الزبير ديوان أبي الصلت إلى الداعي محمد بن سبأ فوجد القصيدة فيه، فكتب إلى الأديب أبي بكر بعدن كتابا يأمره فيه بتسيير القصيدة إليه إلى الجبال فنسخها الأديب بخطه وزاد في آخرها اعتذارا عن ابن الطرائقي، وكان قد مات، قوله:

هذي صفاتك يا مكين وإن غدا ... فيمن سواك مديحها مغصوبا

فاغفر لمهديها إليك فإنه ... قد زادها بشريف ذكرك طيبا

وذكر أنه حدثه الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن الأبي قال: أذكر ليلة أنا أمشي مع الأديب على ساحل عدن وقد تشاغلت عن الحديث معه فسألني في أي شيء أنت مفكر؟ فأنشدته:

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته ... لعل طرف الذي أهواه بنظره

فقال لمن هذا البيت؟ قلت: لي، فأنشد **مرتجلا**:

يا راقد الليل بالإسكندرية لي ... من يسهر الليل وجدا بي وأسهره

ألاحظ النجم تذكارا لرؤيته ... وإن مرى دمع أجفاني تذكره

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته ... لعل طرف الذي أهواه ينظره

قال: ثم سمعت أن بصره قد كف، فعلمت أن الأيام طمست بذلك منهاج جمالها، وأطفأت سراج كمالها، فأجناه الله ثمر الخير الذي كان يغرسه، وحرسه ناظر الإحسان الذي كان يرعاه ويحسره، فتزايدت وجاهته، وتضاعفت رفعته ونباهته، وأراد الزمان أن يخفضه فرفعه، وأن يضره فنفعه.

وذكر أن الداعي عمران بن محمد بن سبأ بن أبي السعود بن زريع ليامي لما وقف الأديب ينشده قصيدة عملها فيه، بعد انعكاس نور البصر من ناظره، إلى بصيرة خاطره، حمل إليه ألف دينار واعتذر ولطف له في

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٤٤

القول لطفا يسلي الحزين، ويستخف الرزين، ثم لم يرض بذلك حتى أمر مناديا فنادى في الناس من دخل دار الشيخ الأديب فهو آمن. قال: والشعر الجيد الرائق الفائق أقل خصاله، وأكل نصاله. وأورد من شعره قوله يمدح الداعي عمران بن محمد بن سبأ:

عاد الهوى في فؤادي مثل ما بدأ ... لما تعرفت من أهل الحمى نبأ

أملى على القلب ساري البرق مبتسما ... عنهم أحاديث شوق تطرب الملأ

فبت أروي ربي خدي من ديم ... تزداد غلة أحشائي بها ظمأ

رقى العواذل مهراق النجيع بها ... لما ترقرق منهلا فما رقأ

لعل لامع ذاك البرق كان لهم ... طليعة طالع الأسرار فارتبأ

لئن براني هوى أهل الحمى فلكم ... داويت من حبهم دائي فما برأ

يدنيهم الشوق مني والحنين وإن ... شط المزار بهم عن ناظري ونأى

وما تقتصني منهم سوى رشإ ... أفدي بمهجة نفسي ذلك الرشأ

أغن يغنى عن البدر المنير به ... من جالس الشمس من أزراره ورأى

ملء النواظر حسنا حين تلحظه ... وأملك الحسن للألحاظ ما ملأ

ما اهتز غصن الصبا من عطف قامته ... إلا وأزرى بغصن البان أو هزأ

نشوان تحسب صرف الراح رنحه ... أو مدح داعي الهدى عاطاه فانتشأ

عمران أكرم من جاء الزمان به ... فردا وأشرف من في حجره نشأ

كأن قحطان قدما كان أودع في ... ضمائر الفضل سرا منه أو خبأ

من أوطأته على كيوان همته ... لو كان يرضى على كيوان أن يطأ

وأزداد فخرا على ما شاد والده ... محمد، وسبا في مجده سبأ

تناول الغرض الأقصى فأدركه ... واختاز غايات أملاك الورى وشأي." (١)

"نعم الأحاديث إن حلوا وإن رحلوا ... كالماء والروض مورود ومودود

أبناء زهرة لم يفهم مواضعها ... إلا العلاء وإلا السرو والجود

كالأنجم الزهر لا مرقاتها لمدى ... ولا تلألؤها في الدهر مفقود

وددتهم للعلى والقوم ودهم ... رغبى ورهبى ومأمول ومقصود

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١٢١/٢

لولا القضاء وإن المرء تغلبه ... أحكامه الغر أو أحكامه السود

لقد رجعت على نفسي بلائمة ... ولومها عذل مني وتفنيد

أشكوك يا دهر قد مل السرى فرسي ... وغال مهري تحديد وتصعيد

عاودني الخفض ليس المرء في خلد ... ولا فؤاد الفتى في الصدر جلمود

أفي ذمام العلى إني لها وبها ... وإن حظي مطلوب ومنشود

لا بأس جد الفتى من جد منجده ... إن الذي يعلق المجدود مجدود

أبو محمد عبد الله ابن سارة الإشبيلي

توفي بعد سنة خمسمائة رحمه الله ذكره بالعراق الفقيه أبو علي الحسن بن صالح المالقي وقد قدم وأنشدني لابن سارة في الوراقة:

أما الوراقة فهي أنكد حرفة ... أغصانها وثمارها الحرمان

شبهت صاحبها بإبرة خائط ... تكسو العراة وجسمها عريان

ثم طالعت بالشام حديقة أبي الصلت فوجدته قد أورد من شعره البيتين وأورد أيضا قوله:

أسنى ليالي الدهر عندي ليلة ... لم أخل فيه الكأس من أعمال

فرقت فيها بين جفني والكرى ... وجمعت بين القرط والخلخال

وقوله:

ومهفهف رقت حواشي حسنه ... فقلوبنا شفقا عليه رقاق

لم يكس عارضه السواد وإنما ... نفضت عليه صبغها الأحداق

وقوله:

أبدى سوالف رئم زانها العطل ... واستل صارم لحظ هابه البطل

وافتر عن رتل ألمى فعلمني ... ترتيل وصفي فيه ذلك الرتل

وما جريت قصار السبق **مرتجلا** ... في الشعر حتى بدا لي شعره الرجل

وقوله وقد جلس الى جنبه غلام حسن الصورة، ثم قام وأعقبه رجل أسود:

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم ... فأصبحت أشقى بعدما كنت أنعم

وما هي إلا الشمس حان غروبها ... فأعقبها جنح من الليل مظلم

وقوله في فروة خليعة:

أودى بذات يدي ذماء قربة ... كفؤاد عروة في الضنا والرقة
يتجشم الفراء في ترقيعها ... طول المشقة في قريب الشقة
لو أن ما أنفقت في ترقيعها ... يحصى لزاد على رمال الرقة
إن قلت باسم الله عند لباسها ... قرأت علي إذا السماء انشقت
وذكره الفتح صاحب قلائد العقيان وقال:
نادره الدهر، وزهرة الأيام، المثبت في الأعناق من ذمه أو مدحه مياسم كأطواق الحمام، وتراه دميث الهيئة وقورها، طيب النفس صبورها، حتى إذا حرشت ضبابه، ونوزع السبق فانبرى غلابه، طبع من سانح طبعه منصلا، وطبق من ضريبته مفصلا، وأورد من شعره قوله في وصف روض:
أما الرياض فإنهن: عرائس ... لم يحتجبن حذار عين الكالي
جاد الربيع لها بنقد مهورها ... دفعا ولم يبخل بوزن الكالي
تثني الصبا منها أكف زبرجد ... منظومة أطرافها بلآلي
وقوله في وصف نار:
لابنة الزند في الكوانين جمر ... كالدراري في دجى الظلماء
خبروني عنها ولا تكذبوني ... ألديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها صفائح تبر ... رصعتها بالفضة البيضاء
كلما رفرف النسيم عليها ... رقصت في غلالة حمراء
ولابن سنان الخفاجي:
وكأنها والريح عابثة بها ... تزهى فترقص في قميص أحمر
وأصله قول أبي تمام:
كأن نيراننا في رأس قلعتهم ... مصبغات على أرسان قصار
عاد الى شعر ابن سارة:
لو ترانا من حولها قلت شرب ... يتعاطون أكؤس الصهباء
وهذا البيت مقلوب قول أبي نواس:
لو ترى الشرب حولها من بعيد ... قلت قوم من قرة يصطلونا." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٦٣/٣

" شانئك هو الأبتر) أقول قولي هذا وأستغفر الله من الشرف وخيلائه والفخار وكبريائه وأتوكل على الله فيما حكم وأسأله التدبير فيما جرى به من القلم ثم أكتفي بما ذكره من أدواته وجلس على كرسي دواته متمثلا بقول القائل

(قلم يفل الجيش وهو عرمرم ... والبيض ما سلت من الأغماد)

(وهبت له الآجام حين نشابها ... كرم السيول وصولة الآساد)

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا وتلمظ لسانه للقول مرتجلا وقال (بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز) الحمد لله الذي جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها في ذوي العصيان فأغصتهم بماء الحتوف وشيد مراتب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف وأجناهم من ورق حديدها الأخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف و هازم الألوف وعلى آله وصحبه الذين طالما محوا بريق بريق الصوارم سطور الصفوف صلاة عاطرة في الأنوف حالية بها الأسماع كالشنوف وسلم

أما بعد فإن السيف زند الحق الوري وزنده القوي وحده الفارق بين الرشيد والغوي والنجم الهادي إلى العز وسبيله والثغر الباسم عن تباشير فلوله به أظهر الله الإسلام وقد جنح خفاء وجلى شخص الدين الحنيفي وقد جمح جفاء وأجرى سيوفه بالأباطح فأما الحق فمكث والباطل فذهب جفاء وحملته اليد الشريفة النبوية وخصته على الأقلام بهذه المزية وأوضحت به للحق منهاجا وأطلعته في ليالي النقع والشك سراجا وهاجا وفتحت باب الدين بمصباحه حتى دخل فيه الناس أفواجا فهو ذو ." (١)

" (تلقاه مثلي رقة ونحافة ... ولأجل قلبك لا أقول عليلا)

(فهو الرسول إليك مني ليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا)

خطاب مثل هذا الولد لمثل هذا الوالد بقوله ولأجل قلبك لا أقول عليلا فيه ما يفتت الأكباد ويحرك الجماد

سبحان المانح إن من البيان لسحرا

ومن غراميات والده القاضي محيي الدين في باب الانسجام

(لا آخذ الله بندك ... فكم وشى بي عندك)

(وقال عني بأني ... شبهت بالغصن قدك)

(١) خزانة الأدب، ٢٣٢/١

(وأنت تعظم عندي ... أن يمسي البدر عبدك)

(ولست والله أرضى ... أن يحكي الورد خدك)

(فقاتل الله طرفي ... فكم به نلت قصدك)

(ولا رعى الله قلبي ... فكم رعى لك عهدك)

(فمن ترى أنا حتى ... جعلت صدري وكدك)

(وما عشقتك وحدك ... بلى عشقتك وحدك)

(وكم أطعتك جهدي ... وكم تجنيت جهدك)

(وبعد هذا وهذا ... وذاك لا ذقت فقدك)

ويعجبني في هذا الباب رشاقة ناصر الدين بن النقيب بقوله

(سلك الشوق بقلبي ... بعدكم صعب المسالك)

(ورمى قلبي بنيران ... ولا نيران مالك)

(هذه بعض صفاتي ... طالع العبد بذلك)

وأظرف ما رأيت في باب الانسجام الغرامي المترجل ما أورده صاحب روضة الجليس ونزهة الأنيس ذكر أنه كان بأفريقية رجل نبيه شاعر مفلق وكان يهوى غلاما من غلمانها جميلا فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فانفرد بنفسه ليلة جمع فيها بين سلاف الراح وسلاف الذكر فتزايد به الوجد وقام على الفور وقد غلب عليه السكر ومشى إلى أن انتهى إلى باب محبوبه ومعه قبس نار فوضعه عند باب الغلام فلما دارت النار بالباب بادر الناس بإطفائها واعتقلوه

فلما أصبحوا نهضوا به إلى القاضي فأعلموه بفعله

فقال له القاضي لأي شيء أحرقت باب هذا الغلام فقال **مرتجلا** ." (١)

" وقولي

(سجدت جفوني هيبة لما بدا ... محراب حاجبه بغير حجاب)

(الله أكبر وهو يغزو مهجتي ... حربا ولم أخرج عن المحراب) وقولي

(طلبت منه قبلة فقال لي ... وقد بدا يشرع في الإعراض)

(نسيت فعل سيف لحظي قلت لا ... يا قاتلي وكيف أنسى الماضي) وقولي

---

(١) خزانة الأدب، ٤٤٥/١

(قيل لي لما عرتني شدة ... وتناءى فرج عني مده)

(يا أخا الأشواق ماذا تبتغي ... قلت أبغي فرجا من بعد شده) وقولي

(مذ جفاني ممرض القلب ولم ... ألق في الضعف وفي الكسر انجبارا)

(قلت للعارض يا اسي إذا ... درت داري ممرض القلب فدارا) وقولي

(طلبت تقبيل من أحب وقد ... أنكرت في الخد نقطة حسنه)

(فرق لي قلبه وقال إذا ... قبلت خدي لا تنكر الحسنه) وقولي موريا ومضمنا

(حثثت عزمي شوقا إليكم ... فلم أطق مكثه بأرض)

(وحيث لم أحظ بالتلاقي ... فغايتي أن ألوم حظي) وقولي

(جاء بصبح ثغره مبتسما ... يمشي بليل الشعر في دلال)

(قلت له دمت لقلبي هكذا ... ما دامت الأيام والليالي) وقولي **مرتجلا** في جبهة دمشق من دو

بيت

(لما ملأ الجبهة بالأنوار ... لمناه على ذلك خوف العار)

(قال انصرفوا سئمت من بلدتكم ... والجبهة من منازل الأقمار) وقولي

(مذ أظهر ورده لنا ريحانه ... ناديت لتلك المقلة الكسلانه)

(قد دب عذاره على وجنته ... قومي انتبهي قالت أنا نعسانه) وقولي

(أحببته متأدبا ونظمت في ... حسن ابتدائي فيه نظم المرقص)

(وأشار في حسن الختام أجبته ... حسن الختام يكون بعد تخلصي) ." (١)

" رسالة القوس وهو صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما

اختلط بعظم

ومن ذلك ما أورده الشيخ جمال الدين بن نباتة من الاقتباسات البديعية في رسالة السيف والقلم فرقى الأنامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه في خلعة سواده والتفت إلى السيف فقال (بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون) الحمد لله الذي علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ما قدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد القائل جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوي المجد

---

(١) خزانة الأدب، ٢/٢٣٣

البين وكل مجد بائن صلاة واضحة السطور فاتحة أدراج الصدور ما نقلت عن صحائف البحار غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق الرياض حكمه باريها

أما بعد فإن القلم منار الدين والدنيا وقصبة سباق ذوي الدرجة العليا ومفتاح باب اليمن المجرب إذا أعيي وسفير الملك المحجب وعذيق الملك المرجب وزمام أموره السائره وقادمة أجنحته الطائرة وأنملة الهدى المشيرة إلى ذخائر الدنيا والاخرة به رقم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل وسنة نبيه التي تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة وحسبه ما جرى على يده الشريفة من منه إن نظمت فرائد العلوم فالقلم سلكها وإن علت أسرة الكتب فإنما هو ملكها هذا وهو الجاري بما أمر الله به من العدل والإحسان والمسود الناظر فكأنما هو لعين الرأي إنسان طالما قاتل على البعد والصوارم في القرب وأوتي من المعجزات نوعا من النصر والرعب لا يعاديه إلا من سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وفل الجدال من غربه وكيف يعادى من إذا كرع من نفسه فقل (إنا أعطيناك الكوثر) وإذا ذكر شانئه فقل (إن شانئك هو ا لأبتر) فعند ذلك نهض السيف عجلا وتلمظ لسانه للقول مرتجلا وقال (بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز) (١) ".

"٥(فالمرءُ إنْ لمْ تقدمهُ مآثرهُ ** لَمْ يُعْلِهِ نَسَبٌ زَاكٍ وَلا نَشَبُ) ٥(أَمّا دِمَشْقُ فَقَدْ أَسْلَفْتَ نُصْرَتَها ** في سالفِ الدهرِ إذْ أنصارها غيبُ) ٥(غَابُوا بِأَسْرٍ وَقَتْلٍ وَانْتِجاعِ عِدىً ** وَأنتَ وحدكَ فيها جحفلٌ لجبُ) ٥٤ (حَامَيْتَ عَنْها مُحَامَاةَ الْمَليكِ لَها ** فَهَلْ زَمَانَكَ هذا كُنْتَ تَرْتَقِبُ) ٥٥ (فكنتَ أبعدَ خلقِ اللهِ منْ فرقٍ ** إذا تَفارَقَتِ الأَسْيافُ وَالقُرُبُ) ٥٦ (كَمْ خُضْتَ مِنْ دُونِها ناراً مُضَرَّمَةً ** مَا خَاضَها مِنْ لَهُ في نَفْسِهِ أَرَبُ) ٥٧ (وَكَمْ نطقتَ بفصلِ القولِ مرتجلاً ** وَالبيضُ في قممِ الأبطالِ تصطحبُ) ٥٨ (فمنْ بيانكَ ماءُ الفضلِ منهمرٌ ** وَمنْ بنانكَ ماءُ الجودِ منسكبُ) ٥٩ (والْمَجْدُ إنْ كانَ في الأَقْوامِ مُكْتَسَباً ** فإنهُ فيكَ مولودٌ وَمكتسبُ) ٦٠ (سطوتَ فاستصغرَ الأنءادُ ما قهروا ** وجدتَ فاستزرَ الأجوادُ ما وهبوا)

---

(٢) ".

---

(١) خزانة الأدب، ٢/٤٦٤

(٢) ديوان ابن حيوس، ص/٧٢

"البحر : – (لو كنت أنت حُنيناً في حذاقته ** أو مَعْبداً رأسَ من غنى من البشرِ) (أو كنت كابن سُريجٍ في تقادُمه ** أو الغريض ففيهم منتهى العبر) (هل كنت تُطرب إلا من تشاكلهُ ** ولو أعانك صوت الدف والوتر) ٤ (إن الكلاب مغنيها ومطربها ** في صوته عمر فاسلح على عمر) ٥ (والقحطبي إذا غناك **مرتجلاً** ** فقل خريت وقم عن مُطَّلٍ بخر) ٦ (لو كان في سُعُرٍ في سَقرٍ ** لمات سامعه من شدة الخصر) ٧ (إن جاء يفخر بالعباس والدهُ ** فقل فخرت بشيخٍ أرملٍ ذكر)

---

(١) ".

"١(فهاتها واسقني براحتهِ ** و طاوعِ اللهوَ واعصِ من عذلا)(راحٌ يزين الحبابُ حمرتها **كما يزينُ التبسمُ الخجلا)(يقلّدُ الماءُ جِيدَها دُرراً ** ينهبها الشربُ بينهم نقلا)٤ (إن جَدَّدَتْ بالمزاجِ حِلْيتها ** جددتَ شُرباً يسومُها العَطَلا)٥ (حاكمُها يظلِمُ العقولَ ولا ** تصلحُ حالُ النفوس إنْ عدلا)٦ (نجمٌ لليلِ الهمومِ أكثرُ ما ** يكشِفُ تلك الدُّجى إذا أفلا)٧ (قلوبهمْ في جنى النعيمِ بها ** و إن بدتْ في وجوههم شعلا)٨ (قد ينتجُ الضدُّ ضدهُ وإذا ** شِئتَ فجُودَ الوزيرِ خُذْ مثلا)٩ (رفيعني حظّه الحِمام كما ** قد صانَ وجهي بكلِّ ما بذلا)٠ (يأتي بلا موعدٍ نداهُ فلو **كان كلاماً لكانَ **مرتجلا**)

---

(٢) ".

"١(أدرت رحى الحرب الزبون بساحة ** وغالبته والجو بالبيض يعبق)(فلما حوت كفاك رمة أمره ** وشد بكف الحصر منه المخنق)(واسقيته من جمة الأمن صافيا ** إذا ذاقه من ذاقه يتمطق)٤ (وكم لك مثلي مسترق مكارم بعفوك من رق المنية يعتق ** . . .)٥ (كشفت سماء المجد عنك فلم أجد ** سوى كرم عن طيب خيمك ينطق)٦ (فإن أنا لم أشكرك أبيض معرقا ** فلا هزني للمجد أبيض معرق)٧ (فيا أيها الباغي الفرار أمامه ** هو الموت فاعلم أنه سوف يلحق)٨ (غناك سعدك في ظل الظبا وسقى ** فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا)٩ (سقيا لأسد تساقى الموت أنفسها ** وتلبس الصبر في يوم الوغى حلقا)٠ (قامت بنصرك لما قام **مرتجلا** ** خطيب جودك فيها ينثر الورقا)

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٢٠٧٧

(٢) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص/٢٢٨

." (١)

"اللغوي، البغدادي، الموصلي، أخذ عن السيرافي٤ والفارسي٥، وحظي عند المنصور بن محمد بن عامر٦ المتغلب على دولة هشام بن المؤيد بن الحكم المستنصر٧، وألف له كتاب "الفصوص" على نحو كتاب "النوادر" لأبي على القالي٨.

ولما أوصله إليه أعطاه غلاما له، فلما أراد العبور في النهر زلق الغلام، فوقع

---

١ ترجمته في طبقات الزبيدي ص٢٩٩ وبغية الوعاة ٢/ ١١، وهو صالح بن معافي بن حماد الغساني القرطبي.

واسمه في "أ": "صاعد" تصحيف.

٢ هم بنو فطيس بن سليمان بن عبد الملك بن زياد، الذي دخل الأندلس أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية، فضمه إلى ابنه هشام، ثم ولاه هشام الوزارة، وأقره الحكم بن هشام بعد وفاة أبيه إلى أن توفي سنة ٢٠٥ الأعلام ٥/ ٣٦١.

٣ ترجمته في طبقات ابن قاضي شهبة ص٣٠٧ ونفح الطيب ٤/ ٧٥ و٩٣ ومعجم الأدباء ١١/ ٢٨١ والفلاكة والمفلوكون ص١٠٢ وفيات الأعيان "إحسان عباس" ٢/ ٤٨٨ و٤٨٩، وبغية الوعاة ٢/ ٧ وإنباه الرواة ١/ ٨٥ وشذرات الذهب ٣/ ٢٠٦ وبغية الملتمس ص٣١٩ وروضات الجنات ص٣٣٣ والأعلام ٣/ ٢٧١ ومعجم المؤلفين ٤/ ٣١٨.

٤ أبو سعيد. وقد ترجم له المصنف برقم ٩٩.

٥ ترجم له المصنف برقم ٩٢.

٦ المعافري القحطاني، أبو عامر، المعروف بالمنصور بن أبي عامر. أمير الأندلس. أصله من الجزيرة الخضراء. دامت له الإمرة ٢٦ سنة. مات في إحدى غزواته سنة ٣٩٢ الأعلام ٧/ ٩٩.

٧ أبو الوليد: ولد بقرطبة وبويع بعد وفاة أبيه سنة ٣٦٦. كان ضعيفا مهملا، فيه انقباض عن الناس، وميل إلى العبادة قتل سرا في قرطبة سنة ٤٠٣. الأعلام ٩/ ٨٢.

٨ ترجم له المصنف برقم ٦٧.

---

(١) ديوان ابن شهيد، ص/١١٦

الكتاب في النهر١، فأنشد أبو القاسم بن العريف٢ في ذلك:
قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص
فضحك الحاضرون. فقال صاعد **مرتجلا:**
(١) ".

"اللغوي، البغدادي، الموصلي، أخذ عن السيرافي٤ والفارسي٥، وحظي عند المنصور بن محمد بن عامر٦ المتغلب على دولة هشام بن المؤيد بن الحكم المستنصر٧، وألف له كتاب "الفصوص" على نحو كتاب "النوادر" لأبي علي القالي٨.
ولما أوصله إليه أعطاه غلاما له، فلما أراد العبور في النهر زلق الغلام، فوقع

---

١ ترجمته في طبقات الزبيدي ص٢٩٩ وبغية الوعاة ٢/ ١١، وهو صالح بن معافي بن حماد الغساني القرطبي.
واسمه في "أ": "صاعد" تصحيف.
٢ هم بنو فطيس بن سليمان بن عبد الملك بن زياد، الذي دخل الأندلس أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية، فضمه إلى ابنه هشام، ثم ولاه هشام الوزارة، وأقره الحكم بن هشام بعد وفاة أبيه إلى أن توفي سنة ٢٠٥ الأعلام ٥/ ٣٦١.
٣ ترجمته في طبقات ابن قاضي شهبة ص٣٠٧ ونفح الطيب ٤/ ٧٥ و٩٣ ومعجم الأدباء ١١/ ٢٨١

---

(١) البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة- سوريا، /

والفلاكة والمفلوكون ص١٠٢ وفيات الأعيان "إحسان عباس" ٢/ ٤٨٨ و٤٨٩، وبغية الوعاة ٢/ ٧ وإنباه الرواة ١/ ٨٥ وشذرات الذهب ٣/ ٢٠٦ وبغية الملتمس ص٣١٩ وروضات الجنات ص٣٣٣ والأعلام ٣/ ٢٧١ ومعجم المؤلفين ٤/ ٣١٨.

٤ أبو سعيد. وقد ترجم له المصنف برقم ٩٩.

٥ ترجم له المصنف برقم ٩٢.

٦ المعافري القحطاني، أبو عامر، المعروف بالمنصور بن أبي عامر. أمير الأندلس. أصله من الجزيرة الخضراء. دامت له الإمرة ٢٦ سنة. مات في إحدى غزواته سنة ٣٩٢ الأعلام ٧/ ٩٩.

٧ أبو الوليد: ولد بقرطبة وبويع بعد وفاة أبيه سنة ٣٦٦. كان ضعيفا مهملا، فيه انقباض عن الناس، وميل إلى العبادة قتل سرا في قرطبة سنة ٤٠٣. الأعلام ٩/ ٨٢.

٨ ترجم له المصنف برقم ٦٧.

٣٦٤ ١٥٦

Results ١٫٦٣

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة

حرف الصاد

الكتاب في النهر١، فأنشد أبو القاسم بن العريف٢ في ذلك:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك الحاضرون. فقال صاعد **مرتجلا**:

(١) ".

"شديد الغيرة على العترة النبوية وله فضائل كثيرة ومن شعره قصيدة كبيرة عارض بها الهمزية وقصيدة عارض بها البردة وأشعاره كثيرة واتفق أنه خرج من الحمام فلقيه بعض أصدقائه وسأله عن سبب دخوله الحمام فأنشده قول الشاعر (ولم أدخل الحمام من أجل لذة *** وكيف ونار الشوق بين جوانجى) (

---

(١) البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة- سوريا، /

ولكنه لم يكفنى فيض أدمعى *** دخلت لابكى من جميع جوارحى) وكان قد تناول الحناء واثره على يده فقال له فما هذا يشير إلى الحناء فقال مرتجلا (وليس خصابا ما بكفى وإنما *** مسحت به أثر الدموع السوافح) ثم صدر صاحب الترجمة البيتين وعجزهما ونقل معناهما إلى الوعظ وضم إليهما البيت الثالث فقال (ولم أدخل الحمام من أجل لذة *** وكيف التذادى بالنيار اللواقح) (ولا جئته ابغى اصطلاء بناره *** وكيف ونار الشوق بين جوانحي) (ولكنه لم يكفنى فيض أدمعى *** على ماضيات من ذنوب فواضح) (ولما رأيت العين لم يكف وبلها *** دخلت لابكى من جميع جوارحى) (وليس خضابا ما بكفى وانما *** مسحت به أثر الدموع السوافح) وتوفى حاكما ببندر عدن في شهر محرم سنة ١١١٦ ست وقيل سبع عشرة ومائة وألف وأرخ وفاته زيد بن على الخيوانى بقوله (قد قضى قاضى العلا في عدن *** فعلوم الآل بالشجو تباكا) (وباقلام الرثا ارخته *** ياابن عبد الحق قد طاب ثراكما) سنة ١١١٧ رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين آمين." (١)

"السيد صلاح بن أحمد الوزير

السيد العلامة المحدث البارع صلاح بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادى بن إبراهيم بن علي بن المرتضي الوزير الحسنى مولده ليلة الجمعة ٢٧ شعبان سنة ٩٤٥ خمس وأربعين وتسعمائة وأخذ عن والده وعن محمد بن يحيى حنش وغيرهما وكان خاتمة النجباء وكعبة العلماء والادباء أفضل أهل زمانه وأروعهم وأفصحهم في الكلام وأبرعهم محققا في جميع العلوم سكن حصن كوكبان ثم انتقل الى صنعاء وبقى بها عن أمر الامام القاسم بن محمد أبام ولاية الاتراك عليها وكان صادعا بالحق لا تأخذه في الله لومة لامم ومن أجل تلامذته الامام القاسم وولده الامام محمد بن القاسم والسيد محمد بن عز الدين المفتى وغيرهم من الاكابر وكان يتصل بالباشا جعفر نائب الاتراك بها فقال له في بعض الايام موجها بذكر المذاهب (خدك ذا الاشعرى حنفنى *** وصار من أحمد المذاهب لى) (حبك ما زال شافعي أبدا *** يا مالكي كيف صرت معتزلى) ثم قال الباشا جعفر مداعبا أين ذكر الزيدية فقال صاحب الترجمة مرتجلا (زاد غرامى به فزدنى *** بعدا عن المكثرين في عدلى) فتعجب الباشا من سرعة بادرته وقال له من أفضل الصحابة يا سيد صلاح قال أبو بكر فقال أتفضله على على بن أبي طالب قال أنت سألتني عن الصحابة وأما القرابة فأمرهم آخر على يعد من القرابة فسكت الباشا وبلغه أن الامام القاسم عزر من لعب الشطرنج تعزيرا مخصوصا وأوقفه في الشمس معقولة رجله فاستغرب الباشا ذلك وظن أنه لا

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٤٠٩/٢

سلف للامام فيما يفعله وأن ذلك هفوة منه فلما دخل عليه السيد صلاح سأله فقال أصاب الامام قال الباشا من أين لك ذلك فقال هذا فعله جده أمير المؤمنين." (١)

"٢/٤٥

وكان موالي أبي سفيان، وموالي كل هاشمي بالعراق ضووا إلى عبد الله بن الحرث، لمكانه من الهاشمية والسفيانية، لأن أمه هند بنت أبي سفيان، ومها صفية بنت عمرو بن أمية، فكان آل هرمز قد أعطوا بالبصرة شرفا ومالا، وكانوا يعدون في موالي عبد الله بن الحارث، فخطبها ابن عم لها، وخطبها معروف بن سويد مولى سليمان بن علي، فادعى كل واحد منهما أنها زوجته نفسها، واختصما إلى عباد بن منصور، وكان محمودا في القضاء، وكان ابنه سلمة بن عباد يغني وكان حسن الغناء، مرتجلا من غير أن يكتسب بالغناء، أو ينسب إليه.

وكان اتخذ غلاما أسود يسمى مسجحا، فعلمه الغناء، فقلب أشعار فارس وصيرها في أشعار العرب، فكان يقال: له مسجح الصغير، لأن سعيد بن مسجح القديم كان مغنيا، فاختصما إلى عباد يوجه القضاء لابن عمها على معروف بن سويد، وكان القضاء إلى محمد بن سليمان، وكان هو الذي ولى عبادا، فأرسل إليه محمد بن سليمان: إن كنت عازما على أن تقضي على معروف، فاعتزل القضاء. فاعتزل، فمكث أياما ثم أرسل إليه إن أعدتك على القضاء أقاض أنت لمعروف ؟ قال: نعم، فرده على القضاء، فاختصما إليه، قال: محمد بن سليمان الهاشمي: فلم يبق أحد من أشراف أهل البصرة إلا حضر مجلس عباد ذلك اليوم، لشرف حمادة، وكانت من أجمل النساء، فلما تنازعا فيها قال: لها عباد: ما تقولين ؟ وهي كاشفة وجهها لتعرف، فخاطبته فيما تقول يا عبد الله، فضحك الناس بها حتى أخجلوها، فحكم بها عباد لابن عمها، فأبطل دعوى معروف، فغضب من ذلك محمد بن سليمان وكره أن يعزله علانية فقال: ابنه سهل بن عباد:

ألا يأيها القاضي ال ... ذي الجور له عادة

أعدناك لكي تقضي ... لمعروف بحمادة

فبلغ ذلك أباه فقال:

بدر داود شهر وبسر جيناكر.." (٢)

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٢/٤٦٧

(٢) أخبار القضاة، ٢/٤٥

"(١) أراه إن قام ذو فضل بمنصبه قال البيان له قم غير مطرود أما ترسله السهل البديع فقد أقام في شاهق بالنجم معقود أنسى الأنام به عبد الرحيم كما راح العماد بقلب غير معمود تراه إن أعمل الأيام **مرتجلا** قال البيان لها يا سحبنا جودي يملي ويكتب من رأس اليراع بلا فكر فيأتي بسحر غير معهود إذا سمعنا قوافيه وقد نجزت تقول من طرب ألبابنا عيدي شاعت فضائله في الناس واشتهرت وبات ينشدها الركبان في البيد يا من رجعت به في الناس معرفة من بعد ما زال تنكيري وتنكيدي ساعدت فيك حمام الأيك نائحة فقصرت فيك عن تعداد تعديدي لهفي عليك وهل يجدي التلهف أو يفك أسر فؤاد فيك مصفود وحرقتي فيك لا يطفي تلهبها دمعي ولو سال في خدي بأخدود فلا جفت قبرك الأنواء وانسجمت عليه يا خير ذي صمت وقد نودي وكنت قد قرأت عليه المقامات الحريرية وانتهيت منها الى آخر المقامة الخامسة والعشرين في سنة ثلاثة وعشرين وسبع مئة فكتب هو عليها قرأ علي المولى الصدر فلان الدين نفعه الله بالعلم ونفع به من أول كتاب المقامات الى آخر الخامسة والعشرين قراءة تطرب السامع وتأخذ من أهواء القلوب بالمجامع وسأل منها عن غوامض تدل على ذكاء خاطره المتقد وصفاء ذهنه العارف منه بما ينتقي وينتقد ورويتها له عن الشيخ الإمام مجد الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الظهير ؒ." (٢)

"أبو العباس هذا (١) شاعر مفلق، وأديب محقق، وكان كثير الحفظ لشعر شعراء الأندلس المتأخرين خاصة ولشعر غيرهم من المتقدمين من كل إقليم، ومال بعده إلى الآخرة، وباع كتبه عازماً على الجهاد، راغباً في الشهادة، فخرج بنية الغزو وانقطع عنا خبره، فسبحان العالم بحاله، وقد علقت عنه مقطعات كثيرة من شعره وشعر غيره، وقلت له: أنشدني من مخترعاتك، وهات من مخبآتك، فقال **مرتجلاً**:

من سيئاتي مخبآتي ... فخل عني وقول هات

فكلها إن بحثت عنها ... مشبهات بترهات وأنشد يوماً آخر، وقد علقت عنه من شعره وشعر غيره ما يستحسن جداً:

فوائد قد أتتك على آرتجال ... سلبت بهن ألباب الرجال

فإن أنشدتها يوماً بحفلٍ ... ملأت بها السجال إلى السجال

---

(١) ٣٧٦

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٣٧٦/٥

(١) ياقوت: " بياسة " وسماه أحمد بن يوسف بن تمام ونقل ما أورده السلفي في وصفقه.." (١)

"أعيذك بالله من فاضل ... أريب تداهي على صحبه

فأعرض محتقراً برهم ... وكل تنافس في جلبه

فلما أذاع لدينا سرا ... ئر ما كان أودع في قلبه

جلا كل معجزةٍ من نظيم ... لآلئه وحلى عصبه

فهل جاز سمعاً ولم يلهه ... ومر بقلبٍ ولم يصبه فأجبته **مرتجلاً**:

بدأت بفضل أتاه الكريم ... ولا غرو منك ابتداء به

لأنك مغرىً بفعل الجميل ... مهين لما عز في كسبه." (٢)

"مبرأة مما يعيب لزومها ... إذا عاب إكفاء سواها وإيطاء

أذعت بها السر الذي كان قبلها ... عليه لأحناء الجوانح إضناء

وإنَّ لم يكن الذي كنت آملا ... وأعوز إكلاء فما عاز إكماء

ومن يتكف مفخما شكر منةٍ ... فما لي إلى ذاك التكلف إلجاء

إذا منشد لم عنك ومنشي ... فلا كان إنشاد ولا كان إنشاء

و أبن الحكيم المذكور: هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمّد بن عبد الرحمن أبن إبراهيم بن يحيى بن محمّد بن سعد بن محمّد بن فتوح بن محمّد بن أيوب بن محمّد اللخمي، من أهل رندة، الكاتب الأديب البليغ الشهير الذكر بالأندلس، ويعرف بابن الحكيم أصل سلفه من أشبيلية، من أعيانها، ثم انتقلوا إلى رندة؛ وأوّل من انتقل منهم إليها جده محمّد بن فتوح، في دولة بني عباد، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه، وكانوا قديما يعرفون ببني فتوح.

قدم ذو الوزارتين أبو عبد الله على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن نصر، إثر قفوله من الحج، فألحقه بكتابه، وأقام يكتب له في ديوان الإنشاء، إلى أنَّ توفي هذا السلطان في ثامن شعبان سنة إحدى وسبع مائة، وتقلد الملك بعده ولي عهده أمير المسلمين، أبو عبد الله محمّد المخلوع،فقلده الوزارة والكتابة، وكان مشتركاً معه في الوزارة الوزير الجليل التقي، أبا سلطان عبد العزيز

---

(١) أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، ص/١٨

(٢) أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، ص/١٣٠

سلطان الداني، فلما توفي أبو سلطان الداني، أفرده سلطانه بالوزارة، ولقبه بذي الوزارتين، وصار صاحب أمره ونهيه، إلى أنَّ توفي بحضرة غرناطة قتيلا، غدوة يوم الفطر، مستهل شوال سنة ثمان وسبع مئة، وذلك لتاريخ خلع سلطانه، وخلافة أخيه أمير المسلمين أبي الجيوش مكانه؛ ومولده ببلده رندة في شهر ربيع الأول سنة ستين وست مائة. وكان رحمه الله علماً في الفضيلة والسراوة ومكارم الأخلاق؛ كريم النفس، واسع الإيثار، متين الحرمة، عالي الهمة، كاتبا بليغا شاعراً، حسن الخط، يكتب خطوطا على أنواع، كليما جليل الانطباع، خطيبا فصيح القلم، زاكي الشيم، مؤثر لأهل العلم والأدب، برا بأهل الفضل والحسب، نفقت في مدته للفضائل أسواق، وأشرقت بإمداده للأفاضل آفاق. وراحل إلى المشرق، وكانت إجازته البحر من المرية، فتقضى فريضة الحج، وأخذ عمن لقي هنالك من الشيوخ، فمشيخته متوافرة. وكان رفيقه في هذه الوجهة الخطيب أبو عبد الله بن رشيد، فتعاونا على هذا الغرض، وقضيا منه كل نفل ومفترض، واشتركا فيمن أخذا عنه من الأعلام، في كل مقام. وكانت له عناية بالرواية، وولوع بالأدب، وصبابة باقتناء الكتب، جمع من امهاتها العتيقة، وأصولها الرائقة الأنيقة، ما لم يجمعه في تلك الأعصر أحد سواه، ولا ظفرت به يداه.

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبي العاصي التنوخي، والخطيب أبو عبد الله بن رشيد تدبج معه، وابنه الوزير الكاتب الأديب الفاضل أبو بكر محمّد بن محمّد بن الحكيم، وغيرهم. ومدحه الكاتب العلامة أبو الحسن بن الجياب، ومن بديع ما مدحه به قصيدة رائية رائقة، يهنئه فيها بعيد الفطر، وهي قوله:

يا قادما عنت الدنيا بشائره ... أهلا بمقدمك الميمون طائره

ومرحبا بك من عيد تحف به ... من السعادة أجناد تظافره

قدمت فالخلق في نعمي وفي جذل ... أبدى بك البشر باديه وحاضره

والأرض قد لبست أثواب سندسها ... والروض قد بسمت منه أزاهره

حاكت يد الغيث في ساحاته حللا ... لمّا سقا دراكا منه باكره

فلاح فيها من الأنوار باهرها ... وفاح من النوار عاطره

وأم فيها خطيب الطير مرتجلا ... والزهر قد رصعت منه منابره

موشي ثوب طواه الدهر آونة ... فها هو اليوم للأبصار ناشره

فالغصن من نشوة يثني معاطفه ... والطير من طرب تشدو مزاهره

وللكمام انشقاق عن أزاهرها ... كما بدت لك من خل ضمائره

لله يومك ما أزكى فضائله ... قامت لدين الهدى فيه شعائره!

فكم سريرة فضل فيك قد خبئت ... وكم جمال بدا للناس ظاهره

فأفخر بحق على الأيام قاطبة ... فما لفضلك من ندٍ يناظره

فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا ... قيست بفخر أولى العلياء مفاخره

يلتاح منه بأفق الملك نور هدى ... تضائل منه الشمس مهما لاح زاهره." (١)

"نوارة عندما راقتبدوحتها ... أهوت إلى الترب من بين النواوير

جار الذبول عليها بعدما ملأت ... معاطس الدهر من طيب وتعطير

وسيف بأس الخطب أغمده ... صرف الحوادث فيها بعد تكسير

ثضى فوافق شهر الصيام **مرتجلا** ... ووافق الشهر في فضل وتطهير

واختاره خاطب الخطب الملم به ... للصهر كفئأ فأمضى العقد للحور

فسار للحين مسرورا وخلفا ... للحزن فاعجب لمجزون بمسرور

نادته أنجشة الأحزان يوم حدا ... أظعان فلبي رفقا بالقوارير

فالوجد والدمع من الحزن قد اقتسما ... قلبي وجفني بمنظوم ومنثور

فالقلب بالغيظ في تصعيد مستعر ... والجفن بالفيض في تصويب ممطور

وساق الخطاب يشدو الحاملين به ... يسوقهم سوق حادي العير للعير

وللملائك في آفاقها زجل ... قد شيعته بتهليل وتكبير

أثنى المصاب على شيخ الجزيرة في ... عقد وحل وتقديم وتأخير

ز خي طويلة جدا منها:

مقدمات الليالي طالما فضحت ... نتائج الغدر منها كل مغرور

جمع السلامة معدوم الوجود بها ... وكم بها للردى من جمع تكسير

وعامل الموت فيد أحصى مهنديه ... منازل العمر عدا دون تكسير

والأرض طرس وهذا الخلق أحرفه ... والحرف ما بين ننحو ومبتور

والدهر بالأفعال يظهراها ... طورا ويعجم منها كل مسطور

وإنما الخلق أسماء تعاورها ... إعرابه بين مرفوع ومجرور

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/٢١٨

وكلهم في مدى الأعمار تحسبهم ... كحالها بين ممدود ومقصور
والموت مثل عروضي يقطع من ... أبياتهم كل موزون ومكسور
يا من يؤمل أن يبقى وقد نفضت ... أيدي المقادير من إبرام تقدير
هذي الحقيقة لا ما حدثتك به ... آمال نفسك عن دنياك من زور
لا تخدعنك الليالي إن فتنتها ... كادت فكادت ترينا كل محذور
كم بادرت بعبوس الخطب من ملك ... قد بات بالبشر وضاح الأسارير
سائل كسرى مليك الفرس هل تركت ... له المنايا جناحا غير مكسور
وانزلا بصنعاء في قصر ذي يزن ... تلمم بقصر على الأغيار مقصور
اعبر على حيرة النعمان معتبر ... تعبر بأطلال نعمى ذات تغيير
وأين من كان سجن الجن في يده ... والإس والجن في قهر وتسخير
وأين مخترق الدنيا بعزمته ... يطوى البلاد بها طي الطوامير
بادروا فليس باب الرجل باد يحس به ... منهم وأفناهم ريب الدهارير
هو القضاء أبا بكر أصبت به ... فاصبر وسلم تسليم مأجور
والله يحرس دنياكم ويدفع عن ... سامي معاليك أنواع المحاذير
و حكي أنَّ المتصم يحيى بن الناصر بن المنصور الموحدي ضرب بظاهر مراكش قبة حمراء فبادر إليها العرب والنصارى من عسكر عمه المأمون فقطعوا أطنابها فسقطت فقال في ذلك أبو عمرو هذا من قصيدة:
انظر إلى القبة الحمراء ساقطة ... لمّا رأت مضر الحمراء عن كثب
من كان أولى بها إن كنت ذا بصر ... لعجم أو معدن العليا من العرب
ونما سجدت لمّا سمت وغدت ... فوق الضلال وكانت أعجب العجب
و من رائق نظم أبي عمرو قوله:
هب النسيم ضحى ففاح المندل ... وتأرجت منه الصبا والشمال
أسرى عليلا فاستحث إلى الصبا ... صبا بأنفاس الصبا بتعلل
يهوى العذير وساكنيه ومن له ... لو كان يدنو منه ذاك المبزل
ما شام برقا بالفضا إلاّ انبرى ... شوقا على جمر الغضى بتمليل
والبرق في نقع السحائب سيفه ... سيف الكمى إذا يكر ويحمل

فكأن ذاك البرق واش قد مشى ... بنميمة والرعد لاح يعذل
وأنا الفداء لجيرة نزلوا الحمى ... وحمى القلوب هو الحمى والمنزل
وتحلوا يوم الفراق وإنما ... بقلوبنا يوم الفراق تحملوا
قبسوا ومن قلب المعذب موقد ... وردوا ومن جفن المعنى منهل
ما ضرهم إذ أعرضوا لو عرضوا ... للوصل أو ذكروا العهود فأقبلوا
حملوا الجمال على الجمال كأنما ... أفلاكها منها الأهلة تكمل
أبدت لنا حلي الطلى وتبسمت ... زهرا فراق مقلد ومقبل
ومن العجائب أن أهيم بجنة ... حلت بقلبي هو نار تشعل." (١)

"وقولهم: بِضع عشر سنة. البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر. وقيل: بل هو ما دون نصف العقد. وقد انزوى القول الأول إلى النبي صلى الله عليه وسلم، في تفسير قوله تعالى: (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* في بِضْعِ سِنِينَ)، وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يميلون إلى أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان، فلما بشر الله تعالى المسلمين بأن الروم سيغلبون في بضع سنين، سُر المسلمون بذلك، ثم إن أبا بكر رضي الله تعالى عنه بادر إلى مشركي قريش، فأخبرهم بما له مُدة الثلاث سنين، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله كم البضع، فقال، ما بين الثلاث إلى العشر. فأخبره بما خاطر به أبي بن خلف. فقال: " ما حملك على تقريب المدة؟ " ، فقال: الثقة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " عُدْ إليهِمْ فَزِدْهُمْ في الخَطْرِ وَازْدَدْ في الأَجَلِ " . فزادهم قلوصين، وازداد منهم في الأجل سنتين، فأظفر الله تعالى الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني، تصديقاً لتقدير أبي بكر رضي الله عنه.
وكان أُبَيٌّ قد مات من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أُبي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " تَصدَّق بِهِ " وكانت المُخاطرة بينهما قبل تحريم القِمار.
وقيل: الذي خاطر أبا بكر رضي الله عنه إنما هو أبو سفيان، والأول أصح.
كذا في " الوافي بالوفيات " للصلاح الصفدي، رحمه الله تعالى.
باب
في بيان العلم، والكُنية، واللقب، وكيفية ترتيب

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/٢٣٢

ذلك مع النسبة على اختلافها المتنوع

اعلم أن الدال على مُعين مطلقا إما أن ييكون مُصدراً باب أو أم كأبي بكر، وأم كلثوم، وأم سلمة، وإما أن يشعر برفعة المسمى، كمُلاعب الأسنة، وعروة الصعاليك، وزيد الخيل، والرشيد، والمأمون، والواثق، والمكتفي، والظاهر، والنصر، وسيف الدولة، وعضد الدولة، وجمال الدين، وعز الدين، وإمام الحرمين، وصدر الشريعة، وتاج الشريعة، وفخر الإسلام، وملك النحاة، وإما أن يشعر بضعة المسمى كجُحى، وشيطان الطاق، وأبي العبر، وجحظة، وقد لا يشعر بواحد منهما، بل أجرى عليه ذلك بواقعة جرت، مثل: غسيل الملائكة، وحمى الدَّبر، ومُطين، وصالح جزرة، والمُبرد، وثابت قُطنة، وذي الرمة، والصعق، وصردر، وحيص بيص.

فهذه الأقسام الثلاثة تسمى الألقاب.

وإلا فهو الاسم الخاص، كزيد وعمرو، وهذا هو العلم، وقد يكون مفرداً كما تقدم، وقد يكون مركباً، إما من فعل وفاعل كتأبط شراً، وبرق نحره، وإما من مُضاف ومضاف إليه كعبد الله، أو من اسمين قد رُكبا وجُعلا بمنزلة اسم واحد كسيبويه، والمفرد قد يكون **مُرتجلاً**، وهو الذي ما استعمل في غير العلمية، كمذحج وأدد، وقد يكون منقولاً، إما من مصدرٍ؛ كسعد، وفضل، أو من اسم فاعل؛ كعامر. وصالح، أو من اسم مفعول؛ كمحمد، ومسعود، أو من أفعل تفضيل؛ كأحمد، وأسعد، أو من صفة؛ كثقيف وهو الدرب بالأمور الظافر بالمطلوب، وسلول، وهو الكثير السل، وقد يكون منقولاً من اسم عين؛ كأسد، وصقر، وقد يكون منقولاً من فعل ماض؛ كأبان وشمَّر، أو من فعل مضارع؛ كيزيد، ويشكر.

وإذ قد عرفت العلم، والكنية، واللقب، فسردها يكون على الترتيب: تُقدم اللقب على الكنية، والكنية على العلم، ثم النسبة إلى البلد، ثم الأصل، ثم إلى المذهب في الفروع، ثم إلى المذهب في الاعتقاد، ثم إلى العلم، أو الصناعة، أو الخلافة، أو السلطنة، أو الوزارة، أو القضاء، أو الإمرة، أو المشيخة، أو الحج، أو الحرفة، كلها مقدم على الجميع.

فتقول في الخلافة: أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامري، إن كان بسر من رأى، البغدادي، فرقاً بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس، الحنفي الأشعري، إن كان يتمذهب في الفروع بفقه أبي حنيفة، ويميل في الاعتقاد إلى أبي الحسن الأشعري، ثم تقول: القُرشي، الهاشمي، العباسي.

وتقول في السلطنة: السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي – نسبة إلى أستاذه الملك

الصالح - التُركي الحنفي البندقدار، أو السلاح دار.

وتقول في الوزراء: الوزير فلان الدين أبو كذا، وتسرد الجميع كما تقدم، ثم تقول: وزير فلان.." (١)

"وله شعر رقيق، ولكنه قليل، منه ما أنشدنا إياه **ارتجالاً**، ونحن بحضرته، وهناك مسمع حسن النغمة، قبيح الصورة، وهو:

يَالَقَومي مِنْ مُغَنٍّ ... لَحْنُهُ للوَجْدِ مُعْرِبِ

وَجْهُهُ وَجْهٌ قَبِيحٌ ... فهْوَ في الحَالَيْنِ مُطْرِبْ

ومنه قوله، وقد ذكر عنده أن أناساً وجه لهم بعض المناصب العلية، وأن التوجيه كان لهم ببدلهم لا بفضلهم، فأنكر ذلك، وقال **مرتجلاً** بيتاً مُفرداً، وهو:

يَقُولون بالفَضْلِ المناصبُ أعْطِيَتْ ... فقلتُ نَعَمْ لكن بفضْلِ الدَّراهِمِ

وقد مدحه كثير من شعراء عصره، وأطنبوا في مدحه وشكره، ومنهم بل من أجلهم، الشيخ الفاضل العلامة عماد الدين بن عماد الدين الدمشقي الحنفي، مدحه مكاتبةً بقصيدة، قالها في ليلة واحدة، وأرسلها إلى حضرته الشريفة، في سنة ثمانين وتسعمائة، وهي هذه:

هَلْ لصَبٍّ قَدْ هَامَ فيك غَراما ... رَشْفَةٌ مِن لَماكَ تَشْفِي السَّقامَا

يا هِلالاً تَحْتَ اللثامِ وبَدراً ... كامِلاً عندَ مَا يُمِيطُ اللثَامَا

وغَزالاً منهُ الغَزَالةُ غَابَتْ ... عندَ مَا لاَحَ خَجْلةً واحْتِشامَا

وبأوْرَاقِها الغُصُونُ توارَتْ ... منهُ لمَّا انْثَنى وهَزَّ قَوامَا

لكَ يا فاترَ اللواحظ طَرفٌ ... فَتْكُهُ في القلوبِ فاقَ الحُسامَا

ذَابِلٌ وهْوَ في الفؤادِ رَشيقٌ ... ناعِسٌ أحرمَ الجفون المَنَاما

ومُحياً سَبى بنَمْلِ عِذارٍ ... زُمَرَ الحُبِّ عندَ مَا خطَّ لاَمَا

عَجباً مِن بَقاء خَالِكَ في الخَدِّ ... ونيرانُهُ تَؤُجُّ ضِراما

ومن الفرع وهو فوقَ جَبين ... مُخجِلِ الشَّمْسِ كيفَ مَدَّ ظَلامَا

يا بديع الجمَالِ يا مَالِكَ الحُسْنِ تَرَفَّقْ بمن غَدَا مُسْتَهَامَا

عبدُ رقٍّ مَا حال عنك لِواشٍ ... نَمَّق الزُّورَ في هَواك ولاَمَا

كم بَكَى طَرْفُهُ إليكَ اشتياقاً ... وقضى بالبُكَاء عَاما فعَامَا

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص/٧

شاعَ في الناسِ حُبُّهُ لكَ لَّم ... بَاحَ وَجْدا وحُرْقةً وهُيَامَا
مثل مَا شاعَ أن أحمد مولا ... نا بديع الزمانِ أضحى الإماما
واحدٌ صَحَّ فيه جَمْعُ المَعَاني ... مُفرَدٌ قدْ حوى الكمال تَماماً
وبه للعُلوم شأوٌ رفيعٌ ... شامِخُ المَجْدِ للسماء تسامى
وهو في حلبة السِّباق مُجَلٍّ ... ومحل لكُلِّ أمرٍ تَعَامَى
كمْ جَلاَ مُشْكلاً وحَلَّ عَويصاً ... وكفَى مُعْضلاً وأطْفَى أواما
يا بديع البيانِ مَنْطِقُك العَذْ ... بُ المعَاني فاق العُقودَ نِظامَا
وإذا مَا نَثَرْتَ دُراً تَمَنَّتْ ... زُهْرُ الأفْقِ أن تكون كَلامَا
حُزْتَ مَجداً وسُؤدداً وعَفافاً ... وافْتِخاراً ورِفعَةً ومَقامَا
ألِفَتْ كفُّكَ المكَارمَ حتى ... فُقْتَ كلّ الوَرَى وفُقتَ الكِراما
فُقْتَ مَعْناً بَدلاً وسَحْبانَ نُطْقا ... وحَبيبا شِعْراً وسُدْت عِصَامَا
وأخذتَ العُلُومَ عن خيرِ أصْلٍ ... لِسِمَاكِ السَّمَا غدَا يتَسامَى
قد حوى المجْدَ والكَمالَ جميعاً ... وامتطَى غاربَ العُلى والسَّناما
وهْوَ أعْلى الوَرَى مَقاماً وأوْفا ... هُم عَطَاء جمّا وأرْعَى ذِمَامَا
يَا رَفيعَ الجَناب يا حَسَنَ الوَصْ ... ف ويا مَن فاق الورى إعظاما
عِش قريراً بفَرْعِك الشامِخِ الأصْ ... لِ ولازِم شُكْرَ الإلهِ دَوَاما
واقبَلَنْ بنت ليلةٍ منك جاءتْ ... تتمَنى قَبُولَها إنْعَامَا
وأتَتْ تلثَمُ التُرابَ وتُهْدِي ... لك مِنّي تحيَّةً وسَلامَا
فتجاوَزْ عنها بحِلْمِكَ واسْلَمْ ... مَا شَدا بُلبُلٌ وفاحَ خُزامَي." (١)

"وأنا وحُبِّكَ لستُ أضمِرُ سَلْوَةً ... عن صبوتي ودَعِ الفؤادَ يَبِيدُ
وألذُّ ما لاقيتُ منك منيتي ... وأقل ما بالنفسِ فيك أَجُودُ
ومنَ الْعَجَائِبِ أنَّ قلبك لم يَلِنْ ... لِي والحديدُ ألانَه دَاوُدُ

ومن لطيف شعره، ما كتب به إلى الملك المنصور إبراهيم، صاحب حمص، يستدعيخ إلى مجلس أنس، وذلك لما كانا نازلين ببيسان، حين كانا مُنفقين على حرب الصالح نجم الدين أيوب، صاحب مصر، وكان

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص/٩٩

ذلك يوم عيد الفطر في زمان الربيع، وهو:

يا مَلِكاً قد جَمَّلَ العَصْرَا ... وفاقَ أَمْلاكَ الوَرَى طُرَّا

وفاتَ في نائِلِهِ حاتماً ... وبَتَّ في إقدامه عَمْرَا

وباكَر العَلْياءَ فافتَضَّهَا ... وكانت النَّاهِدَة البِكْرَا

أما ترى الزَّهْرَ وقد جاءَنا ... مُسْتَقْبِلاً بالبِشْرِ والبُشْرَى

الصَّيْدُ والنَّيْرُوزُ في حالةٍ ... والمَلِكُ المنصورُ والنَّصْرا

والأرضُ قد باهَتْ به واغتدَتْ ... تختالُ في حُلَّتِها الخَضْرَ

عَبَّسَتِ السُّحْبُ على نَوْرِهَا ... فراحَ ثَغْرُ النَّورِ مُفْتَرَّا

الصَّوْمُ قد وَلَّى بآلاتِهِ ... والفِطْرُ باللذاتِ قد كَرَّا

فانْهَضْ بلا نَطْلٍ ولا فَتْرَة ... نَرْتَشِف المَعْسُولة الخَمْرا

حِيرِيَّةٌ قد عُتِّقَتْ حِقْبَةً ... فأَقْبَلَت تُخْبِرُ عن كِسْرَى

واسْتَجلِهَا حَمْرَاءَ عَانِيةً ... تَحْسِبُها في كأسِها تِبْرَا

أو ذَوْبَ جَمْر حَلَّ في جامِدِ ال ... ماءِ فألأقى فوقه دُرَّا

وبادِرِ اللَّذاتِ في حِينِهَا ... وقُمْ بنا نَنْتَهِبِ العُمْرَا

في رَوْضَةٍ أُتْرُنْجُها بانِعٌ ... يلوحُ في الأغصانِ مُصْفَرَّا

كأنَّهُ قد لاح في دَوْحِها ... وَجْهُ سَماءٍ أَطْلَعتْ زَهْرَا

واسْلَمْ ودُمْ في عِيشَةٍ رَغْدَةٍ ... تُبلى على جِدَّتِها الدَّهْرا

وقال شهاب الدين التلعفري الشاعر المشهور: اجتمعت ليلة بالملك الناصر داود، على شاطئ البحر بعسقلان، وقد طلع البدرُ وألقى شعاعه على البحر، فقال الملك الناصر مُرتجلاً:

يا ليلةً قَطَّعْتُ عُمْرَ ظَلامِهَا ... بِمُدامةٍ صَفْراءَ ذاتِ تأَجُجِ

بالساحِلِ النَّامي رَوَائِحُ نَشْرِهِ ... عَن رَوْضه المُتَّضَوع المُتأرّجِ

واليَمُّ زاه قد هَدَا تَيَّارُهُ ... مِن بَعْدِ طُولِ تَقَلُّقٍ وتَمَوُّج

طَوْراً تُدَغْدِغُهُ الشَّمالُ وتَارةً ... يَكْرَى فتُوقِظُهُ بَناتُ الْخَزْرَجِ

والبدرُ قد ألقى سَنَا أنوارِهِ ... في لُجِّهِ المُتَجَعّدِ المُتَدَبجِ

فكأنَّه إذ قد صَفْحةَ مُتنِهِ ... بِشُعاعِه المُتَوقِّدِ المُتَّوَهِجِ

نهرٌ تكوَّن من نُضَارٍ يانعٍ ... يَجْري على أرضٍ مِن الفَيْرُوزَجِ

وقال أيضاً:

يا راكباً من أعالي الشَّام يَجْذِبُهُ ... إلى العِراقَيْنِ إدْلاجٌ وإسْحارُ

حَدَّثْتَني عن رُبُوعٍ طالَما قُضِيْتْ ... لِلنَّفْسِ فيها لُباناتٌ وأوطارُ

لَدى رِيَاضٍ سَقَاها المُزْنُ دِيمَتَهُ ... وزَانَها زَهْرٌ غَضٌ ونَوَّارُ

شَحَّ النَّدَى أن يُسقِّيها مُجاجَتَهُ ... فجَادها مُفْعَمُ الشُّوبُوبِ مِدْرَارُ

بَكَتْ عليها الغَوادي وهي ضاحِكةٌ ... وراحَتِ الريحُ فيها وهي مِعْطارُ

يا حُسْنَها حين زانتها جواسِقُها ... وأيْعَنَتْ في أعالي الدَّوحِ أَثْمارُ

فهيَ السماءُ اخضِراراً في جوانبِها ... كواكبٌ زُهرٌ تبدو وأقمارُ

ومنها:

كَرِّرْ على نازح شَطَّ المُزارُ بِهِ ... حديثكَ العَذْبَ لا شطَّتْ بك الدارُ." (١)

"رحل إلى العراق شابا فلقي ابن الأعرابي وأبا عبيدة والأصمعي والفراء وأبا حاتم وأبا نصر وسلمة بن عاصم وغيرهم وكتب الحديث وألف كتابا في اللغة كبيرا على حروف المعجم ابتدأ فيه بحرف الجيم وكان ضنينا به لم ينسخ في حياته ففقد بفقده ولم يوجد منه إلا بعض شيء

١٥٣ شمر بن نمير أبو عبد الله الأديب الشاعر اللغوي

رحل من قرطبة إلى المشرق ولقي رجالا من كبار أهل الحديث واستوطن مصر وروى عنه عبد الله بن وهب ونظراؤه

١٥٤ شيث بن إبراهيم بن الحاج القفطي

الإمام الزاهد النحوي له تاليف منها المختصر والمقتصر وحز الفلاصم وإفحام المخاصم وكان مالكيا وكان القاضي الفاضل يعظمه ويقبل شفاعته

مات سنة ستمئة

حرف الصاد

١٥٥ صالح أبو عمر بن إسحاق الجرمي

مولاهم وقيل من أنفسهم وقيل مولى لبجيلة ونزل في جرم فقيل له جرمي

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص/٢٧٦

إمام في النحو ناظر الفراء ببغداد أخذ عن الأخفش وغيره ولقي يونس وأخذ عن أبي زيد اللغة وعن أبي عبيدة والأصمعي

عالم دين ورع له مصنفات منها كتاب الفرخ وكان يقال فرخ زنى وكان منذ ثلاثين سنة يفتي الناس من كتا سيبويه مع ما عنده من العلم والحديث مات سنة خمس وعشرين ومئتين

١٥٦ صالح بن معافى

كان مؤدب بني فطيس وكان ذا علم ودين وخير

١٥٧ صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي اللغوي البغدادي الأصل

أخذ عن السيرافي والفارسي وحظي عند المنصور بن محمد بن عامر المتغلب على دولة هشام بن المؤيد بن الحكم المستنصر وألف له كتاب الفصوص على نحو كتاب النوادر لأبي علي القالي ولما أوصله إليه أعطاه غلاما له فلما أراد العبور في النهر زلق الغلام فوقع الكتاب في النهر فأنشد أبو القاسم بن العريف في ذلك

قد غاص في البحر كتاب الفصوص

وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك الحاضرون فقال صاعد مرتجلا

عاد إلى معدنه إنما

توجد في قعر البحار الفصوص

وكان خليعا مولعا بالشراب واللعب فلم يؤخذ عنه مات سنة ٤١٠

حرف الضاد

١٥٨ الضحاك بن النبيل أبو عاصم

". (١)

" وألف في مشيخه جزءا مقيدا كتبته عن شيخنا أبي الربيع بن سالم وكتبت من ذلك هنا ما نسبته إليه وولي القضاء بإستيجة وكان شيخا جليلا معنيا بصناعة الحديث راوية حدث وأخذ عنه الناس وحدثني أبو الربيع بن سالم أنه حدثه قال لما أزمع القاضي أبو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد

(١) البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة- الكويت، ص/٢٦

الجامع متبركا ومودعا وكنت ممن مشى معه فأنشدني لنفسه بالمسجد الجامع مرتجلا (أستودع الله أهل قرطبة % حيث عهدت الحياء والكرما)

(والجامع الأعظم العتيق ولا % زال مدى الدهر آمنا حرما) توفي بغرب العدوة بموضع يقال له الجيوب صادرا عن مراكش في سنة ٥٨٥ ومولده في شوال سنة ٥١٩ قاله لي ابن سالم

٩٦ عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري من أهل قرطبة يكنى أبا القاسم ويعرف بالشراط أخذ القراءات عن أبي الحسن الحجازي وأبي القاسم بن رضى وأبي العباس الزوزنالي وأبي الحسن شريح بن محمد وأبي عبد الله بن معمر وأبي محمد الشنتريني الكفيف وسمع الحديث من أبي القاسم بن بقي وأبي الحسن بن مغيث وأبي عبد الله بن نجاح وأبي بكر بن طاهر وأبي عبد الله بن مكي وأبي بكر بن العربي وأبي مروان بن مسرة وأبي بكر يحيى بن سعادة وغيرهم وأخذ الأدب عن أبي بكر بن فندلة وأبي الوليد بن حجاج وأبي الطاهر التميمي وأبي عبد الله بن أبي الخصال وأبي القاسم بن الرماك وسواهم وأجاز له مارواه أبو الحسن بن نافع وأبو الحجاج القضاعي وأبو الحسن بن موهب وأبو عبد الله بن وضاح وان عارفا بالقراءات

---

(١) ".

" شهير الذكر به تفقه جمع كثير من زبيد وغيرها وحج فأدرك البندنيجي مقدم الذكر بمكة فأخذ عنه ذكره عمارة في مفيده وأثنى عليه وذكر أنه تفقه عليه وقال وكان معظما عند الناس وقف الشاعر المعروف بالغرنوق وقد اغتص مجلسه بالزحام من الطلبة فأحب أن يقعد بينهم فلم يجد فأنشد يخاطب الفقيه مرتجلا ** مجلسك الرحب من تزاحمه ** لا يسع المرء فيه مقعده ** **كل على قدره ينال فذا ** يلقط منه وذاك يحصده ** فقال الفقيه أفرجوا له يقعد فأفرجوا له فقعد وبه تفقه جمع كثير منهم عبد الله بن عيسى الهرمي ومحمد بن عطية وغيرهما فيمن لا يحصى وكان له مع كمال فضله شعر منه ما رأيته بخط شيخي أبي الحسن الأصبحي يقول لابن الأبار في مدح ابن الصباغ وشامله وهو ** أحيا الإمام أبو نصر بشامله ** علم ابن إدريس ذي الفخرين محتسبا ** ** وأوضح الحجج اللاتي إذا قرعت ** سمع آمرىء قد شدا في علمه طربا ** ** إذا تصوره ذو فطنة وذكا ** حوى علوما وحاز العلم مكتسبا ** ** وصار صدرا إذا ما مشكل نزلت ** سمعت منه لديها منطقا عجبا ** ** فالله يجزيه بالحسنى ويأجره ** فيما ابتغاه

---

(١) التكملة لكتاب الصلة، ٣٨/٣

ويعطيه الذي طلبا ** ومنهم أبو عبد الله منصور بن مفلح الوزير الفاتكي أعني أباه ولعل يأتي من ذكره ما لاق في أعيان الدول وأما منصور فكان فقيها ذا فصاحة وصباحة وسماحة ذكره عمارة في مفيده وقال كان الناس يقولون لو كان منصور قرشيا لكملت فيه شروط الخلافة وكانت وفاته مقتولا ظلما وعدوانا سنة ثلاثين وخمسمائة تقريبا الوزير الذي وزر بعد أبيه

ومنهم عثمان بن الصفار ومحمد بن علي السهامي كانا إمامين لا سيما في علم الفرائض والدور والجبر والمقابلة قال عمارة كانوا يرون أن ابن اللبان يعني الفرضي من أتباعهم في ذلك

ومنهم أبو عبد الرحمن الحسن بن خلف بن الحسين

". (١)

" وكثر عليه عند صلاح الدين فأمر بشنقه مع جملة جماعة على رأيه فسألهم أن يجيئوا به على باب القاضي الفاضل فحين أحس الفاضل بذلك أمر بإغلاق باب داره فحين مروا ورأى الباب مغلقا قال **مرتجلا** ** عبد الرحيم قد احتجب ** إن الخلاص من العجب ** ثم أتي به إلى المشنقة فشنق بدرب يعرف بخرابة السود ثاني عشر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة

ومنهم أبو عبد الله محمد بن منصور الجنيد الفتوحي نسبا المشيرقي بلدا الصمعي فالنسبة إلى المشيرق قد تقدم ذكرها وصمع بضم الصاد المهملة وخفض الميم مع التشديد ثم عين ساكنة مهملة قرية قديمة بها قرابة لهذا الفقيه يتسمون بالفقه ويشهرون الصلاح يأتي ذكر المتحقق منهم إن شاء الله ولم يذكر ابن سمرة منهم غيره

والفتوحيون المنتسب إليهم قوم من الأصابح يعرفون ببني أبي الفتوح يسكنون شعبا من نواحي عنه سمعت الثقة يقول ذلك وكانت وفاة الفقيه قافلا من الحج بالسرين سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ومن ذريته جماعة فقهاء منهم الفقيه شرف الدين أحمد بن الجنيد صاحب يحيى الآتي ذكره وذكر من استحق منهم على ما أتحققه إن شاء الله ثم صار الفقه موجودا بجماعة منهم عبد الله بن المفضل بن عبد الملك الصرحي

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ٣٢٧/١

تفقه بالفقيه عمرو بن عبد الله وولي قضاء ريمة وتوفي عليه سنة ستين وخمسمائة وكان له أخ اسمه عبد الرحمن ولي خطابة حرض انتهت إليه رئاسة الفقه بها

ومنهم سالم بن مهدي بن قحطان بن حمير بن حوشب الأخضري أظن مسكنه ذا عدينة تفقه بأهل تهامة أخذ المهذب عن راجح بن كهلان عن ابن عبدويه وهو أحد شيوخ ابن سمرة وتوفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

ومنهم زياد بن أسعد بن علي الخولاني كان فقيها فاضلا مسكنه وادي شقب بشين معجمة ثم قاف ثم باء موحدة على وزن فعل محرك القاف استنابه القاضي

". (١)

" ** طوبى لمن عاش بعض يوم ** ونفسه فيه مطمئنه ** ** ولا له في الملا عدو ** ولا لخلق عليه منه ** وهذا هو صاحب القصة المشهورة مع الأمير علي بن يحيى وذكرتها خشية أن يقع كتابي مع من لم يكن علمها وذلك أن الأمير علي بن يحيى كان على الصفة المتقدمة من الإنسانية والمحبة للفقهاء والفضلاء وصحبتهم كما ذكرته فقدر أنه عمل طعاما لجماعة من أصحابه هذا الفقيه من جملتهم وعمل فيه ظرفا مملوءا لحوحا وزوما ووضع بموضع فيه بعد عن الفقيه فلما اجتمعوا على الطعام صار الفقيه يتناول منه فلا يناله إلا بتكلف فأنشد الأمير ** بعد اللحوح عن الفقيه الأوحد ** عثمان خير بني البرية عن يد ** فأجابه الفقيه مرتجلا ** ترد المراسم إن أمرت بنقله ** ويطول منك الباع إن قصرت يدي ** فقام الأمير مسرعا من مكانه واحتمل الظرف ووضعه بين يدي الفقيه ثم لما انقضى الطعام جعل الأمير يحدث الفقيه ويقول يا سيدي الفقيه إني رأيتك تحب اللحوح وقد وهبتك جربتي الفلانية تكون برسمه فقبلها الفقيه وهي جربة تساوي ألف دينار على قرب من الملحمة هي بيد ذريته إلى الآن فرحم الله علي بن يحيى ما كان ألطف شمائله وأكثر فضله وفضائله

وقد تقدم ذكره مع بني مضمون وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث بقين من رمضان سنة ثلاث وستين وستمائة وذلك بقرية الملحمة مع أبيه يحيى وأخوته أبي بكر وعلي فقبر الأب وأبناؤه أبو بكر وعلي في فسقية هي شرقي مسجدهم فلما دنت وفاة عثمان قيل له نقبرك مع أبيك وأخوتك قال لا إنني أخشى أن أؤذيهم هم كانوا على طريق كامل من الورع فقبر بقبر قريب منهم ثم لما توفي عثمان خلفه برئاسة أهله

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١/٣٦٣

واشتهر بالفقه ابن له اسمه يحيى مولده آخر نهار الجمعة لخمس خلون من صفر سنة سبع عشرة وستمائة وكان خيرا ذا دين وورع نزل من بلده إلى ذي جبلة فدرس بالمدرسة الشرقية وكان

". (١)

" باحثوه في العلم ومتى تغير خرجوا عنه ومن لم يفهم حاله صفقت الجارية فيعرف فيخرج فتظهر الجارية وتهيب بالضرب وربما ضربته فيسكن إذ كان يخافها

أخبرني والدي يوسف بن يعقوب نور الله حفرته قال كنت أحب هذا الفقيه ابن الحطاب على السماع وأكره أن أره على ما قد بلغني من الحال علمت أن رجلا ممن كنت أصحبه قال لي يوما اذهب معي إلى الفقيه ابن الحطاب نسلم عليه فاستحييت منه ورافقته فلما صرت معه إليه وسلمنا عليه رد علينا ردا جيدا ثم قال للرجل يا محمد هل جئتنا بشيء فقال بنفسي فأنشد الفقيه مرتجلا ** أتانا أخ من غيبة كان غابها ** وكان إذا ما غاب ننشده الركبا ** ** فقلنا له هل جئتنا بهدية ** فقال بنفسي قلت نطعمها الكلبا ** ونحو ذلك ما أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن الشيخ الفاضل منصور بن حسن الكاتب عن أبيه قال دخلت أنا والمقرىء محمد بن علي الفقيه المذكور فسأله المقرىء عن مسألة في الحيض مشكلة فأبانها له ثم أنشد ** لو علمنا مجيئكم لبذلنا ** مهج النفس أو سواد العيون ** ** وفرشنا على الطريق خدودا ** ليكون المرور فوق الجفون ** وله شعر رائق منه ما وجدته بوصاب عام دخلتها سنة عشرين وسبعمائة مع مقرئها يومئذ وهو محمد بن يوسف الغيثي الآتي ذكره قال أثبت إلي أن هذا الفقيه يعني ابن الحطاب كان بينه وبين الفقيه موسى بن أحمد شارح اللمع الآتي ذكره صحبة ومكاتبة وأنه كتب إليه شعرا منه لما دخل كتابه شرح اللمع إلى زبيد ما مثاله ** تربي خليلي في ربع والثمل فأرقته ** ويكفيك فضلا أدمج حطاب ** ** وكل وعذراء بردي ** ** وهذا جملة ما وجدته عند المقرىء المذكور وبالجملة فأوصافه جمة وإني مقصر عن استيعابها وكانت وفاته بزبيد سنة خمس وستين وستمائة

". (٢)

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ٤٣٣/١

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ٤٧٨/١

"ولإقليدس كتب متعددة صنفها منها غير هَذَا الكتاب كتاب الظاهرات كتاب اختلاف المناظر كتاب المعطيات كتاب النغم ويعرف بالموسيقى متحول كتاب القسمة إصلاح ثابت كتاب الفوائد منحول كتاب القانون كتاب الثقل والخفة كتاب التركيب منحول كتاب التحليل منحول.

اليانوس الروماني هَذَا شيخ من شيوخ يونان ذكره جالينوس وادعى أنه شيخه وقال لَمْ يكن لَهُ تطبب فِي العلم سماه شيخه وحكي عنه أنه قال أصاب أهل أنطاكية مرة من الزمان وباء شديد عمها وجلب عَلَى أهلها مرضاً حاداً سريعاً فأهلك أناساً كثيراً حَتَّى صار أطباؤها وسلاطينها إِلَى الفزع والخوف وأن رجالاً من أهل العلم أشاروا عَلَى أهل البلد فِي العلاج بالدرياق والكنف عما سواه من الأدوية كلها فشربه الناس عن آخرهم فأما من شربه بعد حصول المرض فِي جسمه فإن منهم من تخلص من مرضه ومنهم من هلك وأما الَّذِين شربوه قبل حلول المرض بهم فإنهم تخلصوا من المرض بأسرهم.

ارشميدس الحكيم الرياضي يوناني كَانَ بمصر وبها حقق علمه وأخذ عن المصريين أنواعاً من فنون الهندسة لأنهم كانوا قائمين بِهَا من قديم وَلَهُ كتب جميلة جليلة.. وحكى لي الخطيب أمين الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن جعفر بن عبد الباقي الأباني لعثمان الأموي القفطي وَكَانَ أجمل من رأيت نباهة وفضلاً وبلاغة ومشاركة قال أدركت جُلة المشايخ من أجلاء بلادنا وهم مجمعون عَلَى أن الَّذِي أردم أراضي أكثر قرى مصر وأسس الجسورة المتوصل بِهَا من قرية إِلَى قرية فِي زمن النيل هو ارشميدس فعل ذَلِكَ لبعض ملوكها وسببه أن أكثر القرى بمصر كَانَ أهلها إِذَا جاء النيل تركوها وصعدوا إِلَى الجبال المقابلة لَهَا فأقاموا بِهَا إِلَى أن يذهب النيل خوفاً من الغرق وإذا أخذ النيل فِي النقص نزل كل قوم إِلَى أراضيهم وشرعوا فِي الزرع فكان مَا تطامن من الأرض يمنعهم مَا انحبس فِيهِ من الماء عن الوصول إِلَى مَا علا فلا يوصل إِلَيْهِ إِلاَّ بعد جفافه فلا يمكن زرعه فيذهب بذلك مغل كثير ولما علم ارشميدس بذلك فِي زمنه قاس أراضي أكثر القرى عَلَى أعلى مَا يكون من النيل وأردم ردوماً وبنى عَلَيْهَا القرى وعمل الجسورة مَا بَيْنَ القرى وَفِي أوساط الجسورة قناطر ينفذ الماء منها من أرض قرية إِلَى أخرى فزرع مل واحد منهم الزرع فِي وقته من غير فوات ووقف من كل ضيعة أرضاً معينة يصرف مغلها فِي كل سنة إِلَى إصلاح ههذ الجسورة فهي إِلَى الآن معلومة ولها ديوان مفرد بمصر يعرف بديوان فدن الجسورة وعليها احتراز كثير وعناية كثيرة وأعرف وأنا طفل وفد أضيفت هَذِهِ الجهة بالأعمال الشرقية من جوف مصر إِلَى والدي رحمه الله نظراً وَلَهُ نواب وسمان ومشدون وَكَانَ العمل فِيهَا أتعب من جميع الأعمال وصنف ارشميدس مصنفات عدة فِي هَذَا النوع وَمَا يتنصل بِهِ مثل. كتاب المسبع فِي الدائرة وكتاب مساحة الدائرة. وكتاب الكرة والاسطوانة. وكتاب تربيع الدائرة مقالة. وكتاب

الدوائر المتماسة مقالة. وكتاب المثلثات مقالة. وكتاب الخطوط المتوازية. وكتاب المأخوذات فِي أصول الهندسة. وكتاب المفروضات مقالة. وكتاب خواص المثلثات القائمة الزوايا مقالة. وكتاب ساعات آلات الماء الَّتِي ترمى بالبنادق مقالة.

وذكر محمد بن إسحاق النديم فِي كتابه قال أخبرني الثقة أن الروم أحرقت من كتب ارشميدس خمسة عشر حملاً قال ولذلك خبر يطول شرحه وَلَمْ يذكر الخبر بطوله.

أوميرس الشاعر اليوناني كَانَ هَذَا الرجل من رجال يونان الذين عانوا الصناعة الشعرية من أنواع المنطق وأجادها وجاءه أتابو الماجس فقال اهجني لأفتخر بهجائك إذ لَمْ أكن أهلاً لمذبحك فقال لَهُ لست فاعلاً ذَلِكَ أبداً قال فإني أمضي إِلَى رؤساء اليونانيين فأشعرهم بنكولك قال أوميرس **مرتجلاً** بلغنا أن كلباً حاول قتال أسد بجزيرة قبرص فامتنع عَلَيْهِ أنفة منه فقال لَهُ الكلب إنني أمضي فأشعر السباع بضعفك قال لَهُ الأسد لأن تعيرني السباع لتكون عني مبارزتك أحب إليّ من أن ألوث شاربي بدمك.

اصطفن البابلي أحد حكماء الكلدانيين وَكَانَ عند مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وَكَانَ عالماً بتسيير الكواكب وأحكام النجوم وَلَهُ كتاب جليل فِي أحكام النجوم.." (١)

"وتوفي ليلة الأحد لخمس بقين من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة، وعمره أربعون سنة وست أشهر وعشرة أيام، وتولى بعده ولده أبو الفضل سعد ولم يذكروا تاريخ وفاته، وبموته انقرض ملك بني سيف الدولة.

وفي السنة المذكورة، وقيل في العام الآتي توفي أبو المسك كافور الحبشي الأسود الخادم الإخشيذي، صاحب الديار المصرية. اشتراه الإخشيذ صاحب مصر والحجاز والشام، فتقدم عنده حتى صار من أكبر قواده، لعقله ورأيه وشجاعته، ثم صار أتابك ولده الأكبر أبي القاسم بعده وكان صبيا فبقي الاسم لأبي القاسم ولد الكافور، فأحسن سياسة الأمور إلى أن مات أبو القاسم سنة تسع وأربعين وثلاث مائة. وأقام كافور في الملك بعده وتولى بعده أخوه أبو الحسن علي، فاستمر كافور على نيابته وحسن سيرته إلى أن توفي علي المذكور سنة خمس وخمسين ثلاث مائة، وقيل بل أربع وخمسين.

ثم استقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ وكان وزيره أبو الفضل جعفر ابن الفرات وكان يرغب في أهل الخير ويعظمهم، وكان شديد السواد، اشتراه الإخشيذ بثمانية عشر دينارا على ما قيل.

وكان أبو الطيب المتنبي قد فارق سيف الدولة بن حمدان مغاضبا كما تقدم وقصد مصر وامتدح كافورا

---

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص/٣٣

بمدائح حسان، فمن ذلك قوله في أول قصيدة، وقد وصف الخيل:

قواصد كافور تدارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا إنسان عين زمانه ... فحقت بياضا خلفها ومآقيا

فأحسن في هذا إحسانا بلغ الغايات القصوى، قلت: ولدي أنه لو قال: " يومين بحرا تاركين سواقيا " ومن قصد البحر إلى آخره، كان أحسن وأنشد أيضا القصيدة التي يقول فيها:

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه ... وإن لم أشأ تملى علي فأكتب

إذا ترك الإنسان أهلا وراءه ... ويم كافورا فما يتغرب

ومن جملتها:

ويصلحك في ذي العبد كل حبيبة ... خلاني فأبكي من أحب وأندب

أحسن إلى أهلي وأهوى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاء مغرب

فإن لم يكن إلا أبو المسك أوهم ... فإنك أحلى في فؤادي وأعذب

وكل امرىء يؤتى الجميل يحبه ... وكل مكان ينبت العز أطيب

ومن قصيدة هي آخر شيء أنشده:

أرى لي بقربي منك عينا قريرة ... وإن كان قربا بالبعاد خباب

وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ... ودون الذي أمليت منك حجاب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة ... سكوتي بيان عنهما وخطاب

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ... ضعيف هوى يبغى عليه ثواب

وما شئت إلا أن أدل عواذلي ... على أن رأيي في هواك صواب

وأعلم قوما خالفوني فشرقوا ... وغربت إني قد ظفرت وخابوا

جرى الخلف إلا فيك أنك واحد ... وأنك ليث والملوك ذباب

وأن مديح الناس حق وباطل ... ومدحك حق ليس فيه كذاب

إذا نلت منك الود فالمال هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

وما كنت لولا أنت إلا مهاجرا ... له كل يوم بلدة وصحاب

ولكنك الدنيا إليك حبيبة ... فما عنك لي إلا إليك ذهاب

وأقام المتنبي بعد إنشاد هذه القصيدة بمصر سنة لا يلقى كافورا غضبا عليه، يركب في خدمته خوفا منه،

ولا يجتمع به، واستعد للرحيل في الباطن، وجهز جميع ما يحتاج إليه، وقال في يوم عرفة سنة خمسين وثلاثمائة قبل مفارقته مصر بيوم واحد قصيدته الدالية التي هجا كافورا فيها، وفي أخرها:

من علم الأسود المخصي تكرمة ... أأمه البيض أم آباؤه الصيد

وله فيه من الهجو كثير، تضمنه ديوانه، ثم فارقه، وبعد ذلك دخل إلى عضد الدولة.

وذكر بعضهم قال: حضرت مجلس كافور الإخشيذي، فدخل رجل ودعا له، فقال في دعائه: أدام الله تعالى أيام مولانا " بكسر الميم " من أيام، فتكلم جماعة من الحاضرين في ذلك وعلبوه، فقام رجل من أوساط الناس، وأنشد **مرتجلا**:

لا غرو إن لحن الداعي لسيدنا ... أو غض من دهش بالريق أو نهر." (١)

"لو كان بالآلات خط يحصل ... والسعد يأتي ولعطايا تجزل

ما كان في عالي المنازل رامح ... أو لم يجزها دون ذلك أعزل

لكنه من دونه قد حازها ... في شرحه البدر المتمم ينزل

وكلا النظمين في قوافيهما التزام ما لا يلزم ولما توفي رثاه تليمذه أبو الحسن بن همام بقوله:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة ... فلقد أرقت اليوم من جفني الدما

سيرت ذكرك في البلاد كأنه ... مسك فسامعه يعطر أو فما

قلت يعني أن طيب ثنائه يعطر سامعه أو المتكلم به المثني عليه، واقتصر على الفم لضيق المقام في مساعدة الوزن على عموم المتكلم دون تخصيص فيه، ويحتمل أنه أراد بالتعطير تعميم السامع والمتكلم يزكون. أوهنا بمعين الواو فحسب، ومثل ذلك قد يجيء،و منه قوله تعالى " وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون " - الصافات ١٤٧ - على رأي بعض المفسرين، فإنه وإن لم يكن محمد عليه، فان القائل يقول بذلك، ما احتج إلا بما يصح الاحتجاج به. وهو وقوع أو موقع الواو، وإذا تتبع ذلك وجد في الكلام الفصيح منه ما يكثر عدة، فيما نبهت عليه فائدة،وهي أنه لا يلزم من رد قوله: من احتج على علم بطلان حجته، بل يرد قوله لقيام دليل آخر على خلاف قوله، وإن كان احتجاجه صحيحا في نفسه،و أشار في البيت الأول إلى ما كان يعتقده، ويدين به من عدم الذبح للحيوانات.وفي السنة المذكورة توفي أبو سعيد البجلي أحمد بن محمد بن عبد العزيز الرازي الحافظ. وفيها توفي أبو عبدالله الخبازي المقرىء النيسابوري. وكان كبير الشأن وافر الحرمة مجاب الدعوة. وفيها توفي أبو عثمان الصابوني شيخ الإسلام الواعظ المفسر، أحد الأعلام،

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٣٦٢/١

شيخ خراسان. وفيها توفي أبو الفتح الكرخي الخيمي رأس الشيعة صاحب التصانيف. كان نحويا لغويا منجما طبيبا متكلما، من كبار أصحاب الشريف المرتضى.

سنة خمسين واربع مائة

فيها توفي الفقيه الكبير الإمام الشهير أبو الطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري الشافعي. كان دينا ورعا عارفا بالأصول والفروع، محققا في علمه، سليم الصدر، حسن الخلق، صحيح المذهب، يقول الشعر. ومن شعره ما أرسل به بالغزالي لأبي العلاء المعري حين أتى بغداد:

وما ذات در لا يحل لحالب ... تناولها واللحم منها محلل

لمن شاء في الحالين حيا وميتا ... ومن رام شرب الدر فهو مضلل

إذا طعنت في السن فاللحم طيب ... وآكله عند الجميع معقل

وخوف بها للأكل فيها كزازة ... فما لحضيض الرأي فيه مأكل

وما يجتبي معناه إلا مبزر ... عليم بأسرار القلوب محصل

فأجابه المعري ممليا على الرسول **ارتجالا**:

جوابان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مضلل

فمن ظنه كرما فليس بكاذب ... ومن ظنه نخلا فليس يجهل

لحومهما الأعناب والرطب الذي ... هو الحبل والدر الرحيق المسلسل

ولكن ثمار النخل وهي غضيضة ... تراها وغض الكرم يجبى ويؤكل

يكلفني القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدرا بل أعز وأطول

فأجابه أبو الطيب:

أثار ضميري ناظما من نظيره ... من الناس طرا شائع الفضل يكمل

ومن قبله كتب العلوم بأسرها ... وخاطره في جدة النار مشعل

تساوى له سر المعاني وجهرها ... ومعضلها باد لديه مفصل

فلما أثار الخبأ قاد منيعه ... أسيرا لأنواع البيان مكمل

وقربه من كل فهم بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل

وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... **ومرتجلا** من غير ما يتمهل

فيفخر من يجر ويسمو مكانه ... جلالا له حيث الكواكب ينزل

فهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنه جم وعمر مطول

فأجابه المعري **مرتجلا** ممليا على الرسول:

ألأليها القاضي الذي بلهاته ... سيوف على أهل الخلاف تسلسل." (١)

"وذكر علي بن الجهم قال: لما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله أهدى إليه الناس على أقدارهم، وأهدى إليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف، وفي الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم وكانت تقول الشعر وتلحنه وتغني به على العود وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس، فحسن موقعها من المتوكل، وحلت من قلبه محلا جليلا لم يكن أحد يعد لها عنده، قال علي: فدخلت عليه يوما للمنادمة، فلما استقر بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير، ثم خرج وهو يضحك، فقال لي: ويلك يا علي، دخلت فرأيت قينة قد كتبت في خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه، فقل فيه شيئا، فقلت: يا سيدي، وحدي أو أنا ومحبوبة، قال: لا، بل أنت ومحبوبة، قال: فدعت بدواة وقرطاس، فسبقتني إلى القول، ثم أخذت العود فتزنمت، ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا وتضاحكت منه مليا، ثم قالت: يا أمير المؤمنين، تأذن لي؟ فأذن لها، فغنت:

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا ... بنفسي محط المسك من حيث أثرا

لئن أودعت خطا من المسك خدها ... لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا

فيا من لمملوك يظل مليكه ... طيعا له فيما أسر وأجهرا

ويا من لعيني من رأى مثل جعفر ... سقى الله صوب المستهلات جعفرا

قال علي: وتبلدت خواطري حتى كأني ما أحسن حرفا من الشعر، قال: فقال لي المتوكل: ويلك يا علي!! ما أمرتك به، فقلت: يا سيدي أقلني فوالله لقد عزب عن ذهني، فلم يزل يضرب به على رأسي ويعيرني به إلى أن مات.

قال علي: ودخلت عليه أيضا لأنادمه، فقال لي: ويلك يا علي، علمت أني غاضبت محبوبة، وأمرتها بلزوم مقصورتها، ونهيت الحشم عن الدخول إليها، وأنفت من كلامها. فقلت: يا سيدي، إن كنت غاضبتها اليوم فصالحها غدا، ويديم الله سرور أمير المؤمنين، ويمد في عمره، قال: فأطرق مليا، ثم قال للندماء: انصرفوا، وأمر برفع الشراب، فرفع، فلما كان من غد دخلت إليه، فقال: ويلك يا علي، إني رأيت البارحة في النوم

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٤٢٨/١

أني قد صالحتها، فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه: والله لقد سمعت الساعة في مقصورتها هينمة لا أدري ما هي، فقال لي: قم ويلك حتى ننظر ما هي، فقام حافيا وقمت أتبعه حتى قربنا من مقصورتها، فإذا هي تخفق عودا وتترنم بشيء كأنها تصوغ لحنا، ثم رفعت عقيرتها وتغنت:

أدور في القصر لا أرى أحدا ... أشكو إليه ولا يكلمني

حتى كأني أتيت معصية ... ليس لها توبة تخلصني

فمن شفيع لنا إلى ملك ... قد زارني في الكرى وصالحني

حتى إذا ما الصباح عاد لنا ... عاد إلى هجره وصارمني

قال: فصفق المتوكل طربا، فصفقت معه، فدخل إليها فلم تزل تقبل رجل المتوكل وتمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيدها، ورجعنا وهي ثالثتنا.

قال علي: فلما قتل المتوكل ضمت هي وكثير من الوصائف إلى بغا الكبير، فدخلت عليه يوما للمنادمة، فأمر بهتك الستارة، وأمر بالقينات فأقبلن يرفلن في الحلي والحلل، وأقبلت محبوبة حاسرة من الحلى والحلل، عليها بياض، فجلست مطرقة منكسة، فقال لها وصيف، غني، قال: فاعتلت عليه، فقال: أقسمت عليك، وأمر بالعود فوضع في حجرها، فلما لم تجد بدا من القول ترك العود في حجرها، ثم غنت عليه غناء **مرتجلا:**

أي عيش يلذ لي ... لا أرى فيه جعفرا

ملك قد رأيته ... في نجيع معفرا

كل من كان ذا خبا ... ل وسقم فقد برا

غير محبوبة التي ... لو ترى الموت يشترى

لاشترته بما حوته يداها لتقبرا

قال: فغضب عليها وصيف وأمر بسجنها، فسجنت، وكان آخر العهد بها.

قال المسعودي: ومات في خلافة المتوكل جماعة من أهل العلم ونقلة الأثر وحفاظ الحديث: منهم علي بن جعفر المديني بسامرا يوم الاثنين لثلاث بقين من في الحجة سنة أربع وثلاثين ومائتين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وأشهر.." (١)

---

(١) مروج الذهب، ٩٣/٢

" آمو بضم الميم وسكون الواو وهي آمل الشط المذكورة قبل هذه الترجمة هكذا يقولها العجم على الاختصار والعجمة

آني بالنون المكسورة قلعة حصينة ومدينة بأرض إرمينية بين خلاط وكنجة

آيل ياء مكسورة ولام جبل من ناحية النقرة في طريق مكة

باب الهمزة والباء وما يليهما

أبا بفتح الهمزة وتشديد الباء والقصر عن محمد بن إسحاق عن معبد بن كعب بن مالك قال لما أتى النبي صلى الله عليه و سلم بني قريظة نزل على بئر من آبارهم في ناحية من أموالهم يقال لها بئر أبا

قال الحازمي كذا وجدته مضبوطا محررا بخط أبي الحسن بن الفرات

قال وسمعت بعض المحصلين يقول إنما هو أنا بضم الهمزة والنون الخفيفة

ونهر أبا بين الكوفة وقصر ابن هبيرة ينسب إلى أبا بن الصامغان من ملوك النبط

ونهر أبا أيضا نهر كبير بالبطيحة

أباتر بالتاء فوقها نقطتان مكسورة وراء كأنه جمع أبتر وربما ضم أوله فيكون **مرتجلا** أودية وهضبات بنجد في ديار غني لها ذكر في الشعر قال الراعي ألم يأت حيا بالجريب محلنا وحيا بأغلى غمرة فالأباتر وقال ابن مقبل جزى الله كعبا بالأباتر نعمة وحيا بهبود جزى الله أسعدا

أبار بالضم والتخفيف وآخره راء موضع باليمن وقيل أرض من وراء بلاد بني سعد وهو لغة في وبار وقد ذكر هناك مبسوطا وله ذكر في الحديث

الأبارق جمع أبرق والأبرق والبرقاء والبرقة يتقارب معناها وهي حجارة ورمل مختلطة وقيل كل شيئين من لونين خلطا فقد برقا وقد أجدت شرح هذا في إبراق فتأمله هناك

أبارق بينة قرب الرويثة وقد ذكر في بينة مستوفى قال كثير أشاقك برق آخر الليل خافق جرى من سناه بينة بالابارق

الأبارق غير مضاف علم لموضع بكرمان عن محمد بن بحر الرهني الكرماني

وهضب الأبارق موضع آخر قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي أأغزو رجال بني مازن بهضب الأبارق أم أقعد

أبارق بسيان بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وياء وألف ونون وقد ذكر في بسيان قال الشاعر وهو جبار بن مالك بن حماد الشمخي ثم الفزاري ويل أم قوم صبحناهم مسومة بين الأبارق من بسيان فالأكم الأقربين فلم تنفع قرابتهم والموجعين فلم يشكوا من الألم ." (١)

" أخرم بوزن أحمر والخرم في اللغة أنف الجبل والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل وهي أفواه الفجاج وعين ذات مخارم أي ذات مخارج وهو في عدة مواضع منها جبل في ديار بني سليم مما يلي بلاد ربيعة بن عامر بن صعصعة

قال نصر و أخرم جبل قبل توز بأربعة أميال من أرض نجد

و الأخرم أيضا جبل في طرف الدهناء وقد جاء في شعر كثير بضم الراء قال موازية هضب المضيح واتقت جبال الحمى والأخشبين بأخرم وقد ثناه المسيب بن علس فقال ترعى رياض الأخرمين له فيها موارد ماؤها غدق الأخروت بالضم ثم السكون وضم الراء والواو ساكنة والتاء فوقها نقطتان مخلاف باليمن ولعله أن يكون علما مرتجلا أو يكون من الخرت وهو الثقب

الأخروج بوزن الذي قبله وحروفه إلا أن آخره جيم مخلاف باليمن أيضا

أخزم بالزاي بوزن أحمر والأخزم في كلام العرب الحية الذكر وأخزم اسم جبل بقرب المدينة بين ناحية ملل والروحاء له ذكر في أخبار العرب قال إبراهيم بن هرمة ألا ما لرسم الدار لا يتكلم وقد عاج أصحابي عليه فسلموا بأخزم أو بالمنحنى من سويقة ألا ربما أهدى لك الشوق أخزم وغيرها العصران حتى كأنها على قدم الأيام برد مسهم و أخزم أيضا جبل نجدي في حق الضباب عن نصر

أخسيسك بالفتح ثم السكون وكسر السين المهملة وياء ساكنة وسين أخرى مفتوحة وكاف بلد بما وراء النهر مقابل زم بين ترمذ وفربر وزم في غربي جيحون وأخسيسك في شرقيه وعملهما واحد والمنبر بزم

أخسيكث بالفتح ثم السكون وكسر السين المهملة وياء ساكنة وكاف وثاء مثلثة وبعضهم يقوله بالتاء المثناة وهو الأولى لأن المثلثة ليست من حروف العجم اسم مدينة بما وراء النهر وهي قصبة ناحية فرغانة وهي على شاطىء نهر الشاش على أرض مستوية بينها وبين الجبال نحو من فرسخ على شمالي النهر ولها قهندز أي حصن ولها ربض ومقدارها في الكبر نحو ثلاثة فراسخ وبناؤها طين وعلى ربضها أيضا سور وللمدينة الداخلية أربعة أبواب وفي المدينة والربض مياه جارية وحياض كثيرة وكل باب من أبواب ربضها يفضي إلى بساتين ملتفة وأنهار جارية لا تنقطع مقدار فرسخ وهي من أنزه بلاد ما وراء النهر

---

(١) معجم البلدان، ١/٥٩

وهي في الإقليم الرابع طولها أربع وتسعون درجة وعرضها سبع وثلاثون درجة ونصف وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب منهم أبو الوفاء محمد بن محمد بن القاسم الأخسيكثي كان إماما في اللغة والتاريخ توفي بعد سنة ٥٢٠ وأخوه أبو رشاد أحمد بن محمد بن القاسم كان أديبا فاضلا شاعرا وكان مقامهما بمرو وبها ماتا ومن شعر أحمد يصف ." (١)

" على الحائطين المكتنفي الدرجة فيرتقى إلى طبقة عالية يشرف منها على البحر بشرافات محيطة بموضع آخر كأنه حصن آخر مربع يرتقي فيه بدرج أخرى إلى موضع آخر يشرف منه على السطح الأول بشرفات أخرى وفي هذا الموضع قبة كأنها قبة الديدبان وهذا شكلها وليس فيها كما يقال غرف كثيرة ومساكن واسعة يضل فيها الجاهل بها بل الدرجة مستديرة بشيء كالبئر فارغ زعموا أنه مهلك وأنه إذا ألقي فيها الشيء لا يعرف قراره ولم أختبره والله اعلم به ولقد تطلبت الموضع الذي زعموا أن المرآة كانت فيه فما وجدته ولا أثره والذي يزعمون أنها كانت فيه هو حائط بينه وبين الأرض نحو مائة ذراع أو أكثر وكيف ينظر في مرآة بينها وبين الناظر فيها مائة ذراع أو أكثر ومن أعلى المنارة فلا سبيل للناظر في هذا الموضع فهذا الذي شاهدته وضبطته وكل ما يحكى غير هذا فهو كذب لا أصل له

وذكر ابن زولاق أن طول منارة الإسكندرية مائتا ذراع وثلاثون ذراعا وأنها كانت في وسط البلد وإنما الماء طفح على على حولها فأخربه وبقيت هي لكون مكانها كان مشرفا على غيره

وفتحت الإسكندرية سنة عشرين من الهجرة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عمرو بن العاص بعد قتال وممانعة فلما قتل عمر وولي عثمان رضي الله عنه ولى مصر جميعها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاع فطمع أهل الإسكندرية ونقضوا فقيل لعثمان ليس لها إلا عمرو بن العاص فإن هيبته في قلوب أهل مصر قوية

فأنفذه عثمان ففتحها ثانية عنوة وسلمها إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وخرج من مصر فما رجع إليها إلا في أيام معاوية

حدثني القاضي المفضل أبو الحجاج يوسف بن أبي طاهر إسماعيل بن أبي الحجاج المقدسي عارض الجيش لصلاح الدين يوسف بن أيوب قال حدثني الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد الأبي وأبة من بلاد إفريقية قال اذكر ليلة وأنا أمشي مع الأديب أبي بكر أحمد بن محمد العيدي على ساحل بحر عدن وقد تشاغلت عن الحديث معه فسألني في أي شيء أنت مفكر فعرفته أنني قد عملت في تلك

---

(١) معجم البلدان، ١٢١/١

الساعة شعرا وهو هذا وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته لعل طرف الذي أهواه ينظره فقال **مرتجلا** يا راقد الليل بالإسكندرية لي من يسهر الليل وجدا بي وأسهره ألاحظ النجم تذكارا لرؤيته وإن مرى دمع أجفاني تذكره وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته لعل عين الذي أهواه تنظره ." (١)

" وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحسن بن سهل بن عبد العزيز المجوز بالبصرة وعلي بن عبد العزيز البغوي بمكة وأبا علي الحسن بن أحمد بن المسلم الطبيب بصنعاء وغيرهم روى عنه أبو بكر محمد بن أحمد ابن علي بن إبراهيم بن جابر التنبسي وأبو محمد بن النحاس وغيرهما ومات بمصر لعشرين ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٣٣٦

أصطفانوس بالفتح والفاء وألف ونون مضمومة وواو ساكنة وسين مهملة محلة بالبصرة مسماة باسم كاتب نصراني قديم كان في أيام زياد أو ما قاربها

إصطنبول بسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الواو ولام هو اسم لمدينة القسطنطينية وهناك يبسط القول فيها إن شاء الله تعالى

أصفون بضم الفاء وسكون الواو ونون قرية بالصعيد الأعلى على شاطىء غربي النيل تحت إشني وهي على تل عال مشرف

إصمت بالكسر وكسر الميم وتاء مثناة اسم علم لبرية بعينها قال الراعي أشلى سلوقية باتت وبات بها بوحش إصمت في أصلابها أود وقال بعضهم العلم هو وحش إصمت الكلمتان معا وقال أبو زيد يقال لقيته بوحش إصمت وببلدة إصمت أي بمكان قفر واصمت منقول من فعل الأمر مجردا عن الضمير وقطعت همزته ليجري على غالب الأسماء وهكذا جميع ما يسمى به من فعل الأمر وكسر الهمزة من إصمت إما لغة لم تبلغنا وإما أن يكون غير في التسمية به عن أصمت بالضم الذي هو منقول في مضارع هذا الفعل وإما أن يكون مجردا **مرتجلا** وافق لفظ الأمر الذي بمعنى أسكت وربما كان تسمية هذه الصحراء بهذا الفعل للغلبة لكثرة ما يقول الرجل لصاحبه إذا سلكها اصمت لئلا تسمع فنهلك لشدة الخوف بها

أصم بفتحتين وتشديد الميم ضد السميع أصم الجلحاء وأصم السمرة في ديار بني عامر بن صعصعة ثم لبني كلاب منهم خاصة ويقال لهما الأصمان عن نصر

الأصنام جمع صنم إقليم الأصنام بالأندلس من أعمال شذونة وفيه حصن يعرف بطبيل في أسفله عين غزيرة الماء عذبة اجتلب الأوائل منها الماء إلى جزيرة قادس في خزر الصخر المجوف انثى وذكر وشقوا

---

(١) معجم البلدان، ١٨٨/١

به الجبال فإذا صاروا إلى موضع المنخفضة والسباخ بنيت له فيه قناطر على حنايا كذلك حتى وصلوا إلى البحر ثم دخلوا به في البحر الملح ستة أميال في خزر من الحجارة كما ذكرنا حتى أخرج إلى جزيرة قادس وقيل إن أعلامها إلى اليوم باقية وقد ذكر السبب الداعي إلى هذا الفعل في ترجمة قادس

الأصهبيات بفتح الهاء وكسر الباء الموحدة وياء مشددة وألف وتاء كأنه جمع الأصهبية وهو الأشقر ماء وأنشد دعاهن من ثاج فأزمعن ورده أو الأصهبيات العيون السوافح الأصيغ ياء مفتوحة وغين معجمة وهو واد وقيل ماء

أصيل ياء ساكنة ولام بلد بالأندلس قال سعد الخير ربما كان من أعمال طليطلة ينسب إليه ." (١)

" الحضرمي وأبا عاصم النبيل ومكي بن إبراهيم والفضل بن دكين وقبيصة بن عقبة وإسحاق بن منصور السلولي وأسود بن عامر شاذان وغيرهم روى عنه أبو حاتم الرازي ومحمد بن خلف وكيع ويحيى بن صاعد والحسين بن إبراهيم المحاملي وغيرهم وسئل عنه أبو داود سليمان بن الأشعث فقال ثقة

وأما ثغر أسفيجاب فلم يزل ثغرا من جهته وقد ذكر اسفيجاب في موضعه نسب إليه هكذا طالب بن القاسم الفقيه الثغري الاسفيجابي كان من فقهاء ما وراء النهر

و ثغر فرواة قرب بلاد الديلم ينسب إليه محمد بن أحمد بن الحسين الغطريفي الجرجاني الثغري وكان الإسماعيلي يدلس به في الرواية عنه هكذا يقول حدثنا محمد بن أحمد الثغري

وأما ثغر الأندلس فينسب إليه أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري من أهل قلعة أيوب سمع بتطيلة من ابن شبل وأحمد بن يوسف بن عباس وبمدينة الفرج من وهب بن مسرة ورحل إلى المشرق سنة ٣٥٠ فسمع ببغداد من أبي علي الصواف وأبي بكر بن حمدان سمع منه مسند أحمد بن حنبل والتاريخ دخل البصرة والكوفة وسمع بها وسمع بالشام ومصر وغيرهما من جماعة يكثر تعدادهم وانصرف إلى الأندلس ولزم العبادة والجهاد واستقضاه الحكم المنتصر بموضعه ثم استعفاه منه فأعفاه وقدم قرطبة في سنة ٣٧٥ وقرأ عليه الناس قال ابن الفرضي وقرأت عليه علما كثيرا فعاد إلى الثغر فأقام به إلى أن مات وكان يعد من الفرسان وتوفي سنة ٣٨٣ بالثغر من مشرق الأندلس

ثغرة بالضم ثم التسكين ناحية من أعراض المدينة

الثغور بالفتح ثم الضم حصن باليمن لحمير

الثغيد تصغثر ثغد وهو مهمل في كلامهم فيكون مرتجلا ماء لبني عقيل بنجد

---

(١) معجم البلدان، ٢١٢/١

ثقبان بالفتح ثم السكون والباء موحدة وألف ونون قرية من أعمال اليمن ثم من أعمال الجند

الثقب من قرى اليمامة لم تدخل في أمان خالد بن الوليد رضي الله عنه لما قتل مسيلمة الكذاب وهو لبني عدي بن حنيفة

ثقبة بالتحريك جبل بين حراء وثبير بمكة وتحته مزارع

ثقف بالفتح ثم السكون رجل ثقف أي حاذق وهو موضع في قول الحصين بن الحمام المري فإن دياركم بجنوب بس إلى ثقف إلى ذات العظوم

ثقل بالكسر واحد الأثقال موضع في قول زهير صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل ويروى الثجل وقد مر

ثقيب تصغير ثقب طريق من أعلى الثعلبية إلى الشام

ثقيب تصغير ثقب طريق من أعلى الثعلبية إلى الشام

ثكامة بالضم بلد بأرض عقيل قال مزاحم يصف ناقته تقلب منها منكبين كأنما خوافيهما حجرية لم تفلل ." (١)

" إلى ناعم البردي وسط عيونه علاجيم جون بين صد ومحفل من النخل أو من مدرك أو ثكامة بطاح سقاها كل أوطف مسبيل ثكم الطريق وسطه والثكم مصدر ثكم بالمكان إذا أقام به ولزمه

ثكد بالضم مرتجل ماء لبني نمير وقد ضم الأخطل كافه فقال حلت صبيرة أمواه العداد وقد كانت تحل وأدنى دارها ثكد وقيل في تفسيره ثكد ماء لكلب وقال نصر ثكد ماء بين الكوفة والشام وقال الراعي كأنها مقط ظلت على قيم من ثكد واغتمست في مائها الكدر

ثكن بالتحريك جبل بالبادية قال عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة الغساني لسطيح وكان خاطبه فلم يجب لأنه كان قد مات أصم أم يسمع غطريف اليمن عتلفه في الريح بوعاء الدمن كأنما حثحث من حضني ثكن أزرق ممهى الناب صرار الأذن

باب الثاء واللام وما يليهما

ثلا بالضم مقصور من حصون اليمن مرتجلا

الثلاثاء ممدود بلفظ اسم اليوم ماء لبني أسد قال مطير بن أشيم الأسدي فإن أنتم عورضتم فتقاحموا بأسيافكم إن كنتم غير عزل فلا تعجزوا أن تشئموا أو تيمنوا بجرثم أو تأتوا الثلاثاء من عل عليها ابن كوز

---

(١) معجم البلدان، ٨١/٢

نازل ببيوته ومن يأته من خائف يتأول وسوق الثلاثاء ببغداد محلة كبيرة ذات أسواق واسعة من نهر المعلى وهي من أعمر أسواق بغداد لأن بها سوق البزازين

ثلاثان بلفظ التثنية ماء لبني أسد في جانب حبشة وقيل جبل وقيل واد

ثلاث بالضم بلفظ المعدول عن ثلاثة موضع أراه من ديار مراد قال فروة بن مسيك المرادي ساروا إلينا كأنهم كفة الليل ظهارا والليل محتدم لم ينظروا عورة العشيرة وال نسوان فوضى كأنها غنم سيروا إلينا فالسهل موعدكم مرنا ثلاث كأنها الخدم أو سرر الجوف أو بأذرعة ال قصوى عليها الأهلون والنعم

الثلبوت بفتحتين وضم الباء الموحدة وسكون الواو وتاء فوقها نقطتان قيل هو واد بين طيء وذبيان وقيل لبني نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة وهو واد فيه مياه كثيرة قال السيد علي بن عيسى بن وهاس الثلبوت واد يدق إلى وادي الرمة من تحت ماء الحاجر إذا صيحت برفاقك أسمعتهم قال الحطيئة ألم تر أن ذبيانا وعبسا لباغي الحرب قد نزلا براحا ." (١)

" بن عبد العزيز أبي سعد الجامدي ثم القيلوي سمع أبا الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي ومحمد بن ناصر السلامي وكان شيخا صالحا توفي سنة ٦٣٠ وكان أبوه من الزهاد الأعيان

الجامع من قرى الغوطة سكنها قوم من بني أمية منهم الوليد بن تمام بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم قال ابن أبي العجائز كان يسكن الجامع من قرى المرج وذكر غيره ممن سكنها منهم وجامع الجار فرضة لأهل المدينة كجدة لأهل مكة وأظنها الجار بنفسه المقدم ذكره

الجامعين كذا يقولونه بلفظ المجرور المثنى هو حلة بين مزيد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة وهي الآن مدينة كبيرة آهلة وقد ذكرت تاريخ عمارتها وكيفيتها في الحلة وقد أخرجت خلقا كثيرا من أهل العلم والأدب ينسبون الحلي وقال زائدة بن نعمة بن نعيم المعروف بالمحفحف القشيري يمدح دبيسا وقد حكمت كل الملاحم أنه على الجانب السعدي قابلك السعد وقلنا بأرض الجامعين وبابل وقد أفسدت فيها الأعاريب والكرد ألا فتنحوا عن دبيس وداره فلا بد من أن يظهر الملك الجعد

جاورسان بفتح الواو وسكون الراء والسين مهملة محلة بهمذان أو قرية قال شيرويه بن شهردار حسين بن جعفر بن عبد الوهاب الكرخي الصوفي أبو المعالي المقيم بجاورسان روى عن ابن عبدان وأبي سعد بن زيرك وأبي بكر الزاذقاني وأبي ثابت بندار بن موسى بن يعقوب الأبهري سمعت منه وكان ثقة صدوقا وكان شيخ الصوفية في الجبل ومقدمهم ودفن بالخانجاه

---

(١) معجم البلدان، ٨٢/٢

جاورسة قرية على ثلاثة فراسخ من مرو بها قبر عبد الله بن بريدة بن الخصيب منها سالم الجاورسي مولى عبد الله بن بريدة

الجاهلي ضد العاقلي من حصون اليمن من مخلاف مشرف جهران

الجايرية كذا هو مضبوط فيما كتبت عن أبي إسحق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي أنشدتني أم الحسن لابن لها يقال له الحسن ألا يا حمام الجايرية هجت لي سقاما وزفرات يضيق بها صدري فقالت حمام الجايرية ما أرى علي إذا ما مت يا رب من وزر

باب الجيم والباء وما يليهما

جبأ بالتحريك بوزن جبل وما أراه إلا مرتجلا إن لم يكن منقولا عن الفعل الماضي من قولهم جبأ عليه الأسود إذا خرج عليه حية من جحره وهو جبل باليمن قرب الجند وقيل هو قرية باليمن وقال ابن الحائك جبأ مدينة أو قرية للمعافر كذا في كتابه وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آلا حمير الأصغر وهي في نجوة من جبل صبر وجبل ذخر وطريقها في وادي الضباب ينسب إليها شعيب الجبإي من أقران طاووس حدث عنه ." (١)

" عن أبي علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامي وأبي شجاع محمد بن سعدان المقاريضي الشيرازي وأبي عمر ظفر بن إبراهيم الخلالي قال في الفيصل حدثونا عنه وقال الحافظ أبو القاسم كتبت عنه وكان يقول شعرا

و جهينة أيضا قلعة بطبرستان حصينة مكينة عالية في السحاب

باب الجيم والياء وما يليهما

جياد جمع جيد وهي لغة في أجياد المقدم ذكره قال الأديب أبو بكر العبدي يا محيا نور الصباح البادي ونسيم الرياض غب الغوادي حي أحبابنا بمكة ما بي ن نواحي الصفا وبين جياد

الجيار بالكسر وما أظنه إلا مرتجلا موضع من أرض خيبر عن الزمخشري

جيار بالفتح ثم التشديد وهي في اللغة الجص والصاروج وهي أيضا حر في الصدر وهو موضع بالبحرين كان عنده مقتل الحطم واسمه شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة لما ارتد بكر بن وائل في أيام أبي بكر رضي الله عنه

---

(١) معجم البلدان، ٢/٩٦

جياسر بتخفيف ثانيه والسين مهملة من قرى مرو ويقال لها سر يكباره فعرب فقيل جياسر كذا في كتاب أبي سعد منها أبو الخليل عبد السلام بن الخليل المروزي الجياسري تابعي أدرك أنس بن مالك روى عنه زيد بن الحباب

الجياف بالكسر وآخره فاء ماء على يسار طريق الحاج من الكوفة

جيان بالفتح ثم التشديد وآخره نون مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبلدانا تذكر مرتبة في مواضعها من هذا الكتاب وكورتها متصلة بكورة تدمير وكورة طليطلة وينسب إليها جماعة وافرة منهم الحسين بن محمد بن أحمد الغساني ويعرف بالجياني وليس منها إنما نزلها أبوه في الفتنة وأصلهم من الزهراء روى عن أعيان أهل الأندلس وكان رئيس المحدثين بقرطبة ومن جهابذتهم وكبار المحدثين والعلماء والمسندين وله بصر في اللغة والإعراب ومعرفة بالأنساب جمع من ذلك ما لم يجمعه أحد ورحل الناس إليه وجمع كتبا في رجال الصحيحين وسماه تقييد المهمل وتمييز المشكل وكان إذا رأى أصحاب الحديث قال أهلا وسهلا بالذين أحبهم وأودهم في الله ذي الآلاء أهلا بقوم صالحين ذوي تقى غر الوجوه وزين كل م لاء يا طالبي علم النبي محمد ما أنتم وسواكم بسواء ولزم بيته قبل موته مدة لزمانة لحقته وكان مولده في محرم سنة ٧٢٤ وتوفي لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٨٩٤ قال ذلك ابن بشكوال ومن المتأخرين أبو الحجاج يوسف بن محمد بن فاروا الجياني الأندلسي سمع الكثير ورحل إلى المشرق وبلغ خراسان وأقام ببلخ وكان دينا خيرا ولد بجيان سنة ٩٩٤ ومات ببلخ سنة ٥٤٥ وغيرهما كثير

و جيان أيضا من قرى أصبهان قال لي ." (١)

" فقد غادرت للطير ليلة خمسها جوارا برمل النغل لما يسعر وقال الراعي كأنها ناشط حم مدامعه من وحش حبران بين النقع والظفر

حبر بالكسر ثم السكون والحبر الرجل العالم اسم واد قال المرار الفقعسي يرثي أخاه بدرا ألا قاتل الله الأحاديث والمنى وطيرا جرت بين السعافات والحبر وقاتل تثريب العيافة بعدما زجرت فما أغنى اعتيافي ولا زجري وما للقفول بعد بدر بشاشة ولا الحي يأتيهم ولا أوبة السفر تذكرني بدرا زعازع لزبة أذا أعصبت إحدى عشياتها الغبر

---

(١) معجم البلدان، ١٩٥/٢

حبر بكسرتين وتشديد الراء وما أراه إلا مرتجلا جبلان في ديار سليم قال ابن مقبل سل الدار من جنبي حبر فواهب إلى ما ترى هضب القليب المضيح وقال عبيد فعردة فقفا حبر ليس بها منهم عريب

حبرون بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس وقد غلب على اسمها الخليل ويقال لها أيضا حبرى وروي عن كعب الحبر أن أول من مات ودفن في حبرى سارة زوجة إبراهيم عليه السلام وأن إبراهيم خرج لما ماتت يطلب موضعا لقبرها فقدم على صفوان وكان على دينه وكان مسكنه ناحية حبرى فاشترى الموضع منه بخمسين درهما وكان الدرهم في ذلك العصر خمسة دراهم فدفن فيه سارة ثم دفن فيه إبراهيم إلى جنبها ثم توفيت ربقة زوجة إسحاق عليه السلام فدفنت فيه ثم توفي إسحاق فدفن فيه لزيقها ثم توفي يعقوب عليه السلام فدفن فيه ثم توفيت زوجته لعيا ويقال إيليا فدفنت فيه إلى أيام سليمان بن داود عليهما السلام فأوحى الله إليه أن ابن على قبر خليلي حيرا ليكون لزواره بعدك فخرج سليمان عليه السلام حتى قدم أرض كنعان وطاف فلم يصبه فرجع إلى البيت المقدس فأوحى الله إليه يا سليمان خالفت أمري فقال يا رب لم أعرف الموضع فأوحى إليه امض فإنك ترى نورا من السماء إلى الأرض فهو موضع خليلي فخرج فرأى ذلك فأمر أن يبنى على الموضع الذي يقال له الرامة وهي قرية على جبل مطل على حبرون فأوحى إليه ليس هذا الموضع ولكن انظر إلى النور الذي قد التزق بعنان السماء فنظر فكان على حبرون فوق المغارة فبنى عليه الحير

قالوا وفي هذه المغارة آدم عليه السلام وخلف الحير قبر يوسف الصديق جاء به موسى عليه السلام من مصر وكان مدفونا في وسط النيل فدفن عند آبائه وهذه المغارة تحت الأرض قد بني حوله حير محكم البناء حسن بالأعمدة الرخام وغيرها وبينها وبين البيت المقدس يوم واحد وقدم على النبي تميم الداري في قومه وسأله أن يقطعه حبرون فأجابه وكتب له كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمد رسول الله لتميم الداري وأصحابه

إني أعطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم بذمتهم وجميع ما فيهم ." (١)

" محبا للكتب مات ببغداد في ثامن عشر شوال سنة ٦٥٠ وبباب حرب دفن

حرث بفتح أوله ويضم وثانيه ساكن وآخره ثاء مثلثة فمن فتح كان معناه الزرع وكسب المال ومن ضم كان مرتجلا وهو موضع من نواحي المدينة قال قيس بن الخطيم فلما هبطنا الحرث قال أميرنا حرام

---

(١) معجم البلدان، ٢/٢١٢

علينا الخمر ما لم نضارب فسامحه منا رجال أعزة فما رجعوا حتى أحلت لشارب وقال أيضا وكأنهم بالحرث إذ يعلوهم غنم يعبطها غواة شروب

حرث بوزن عمر وزفر يجوز أن يكون معدولا عن حارث وهو الكاسب ذكر أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد عن السكن بن سعيد الجرموزي عن محمد بن عباد عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال كان ذو حرث الحميري وهو أبو عبد كلال مثوب ذو حرث وكان من أهل بيت الملك وهو ذو حرث بن الحارث بن مالك بن غيدان بن حجر بن ذي رعين واسمه يريم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير صاحب صيد ولم يملك ولم يعل وثابا ولم يلبس مصيرا الوثاب السرير والمصير التاج بلغة حمير وكان سياحا يطوف في البلاد ومعه ذؤبان من ذؤبان اليمن يغير بهم فيأكل ويؤكل فأوغل في بعض أيامه في بلاد اليمن فهجم على بلد أفيح كثير الرياض ذي أوداة ذات نخل وأغيال فأمر أصحابه بالنزول وقال يا قوم إن لهذا البلد لشأنا وإنه ليرغب في مثله لما أرى من غياضه ورياضه وانفتاق أطرافه وتقاذف أرجائه ولا أرى أنيسا ولست برائم حتى أعرف لأية علة تحامته الرواد مع هذا الصيد الذي قد تجنبه الطراد ونزل وألقى بقاعه وأمر قناصه فبثوا كلابه وصقوره وأقبلت الكلاب تتبع الظباء والشاء من الصيران فلا تلبث أن ترجع كاسعة بأذنابها تضيء وتلوذ بأطراف القناص وكذلك الصقور تحوم فإذا كسرت على صيد انثنت راجعة على ما والاها من الشجر فتكتبت فيه فعجب من ذلك وراعه فقال له أصحابه أبيت اللعن إننا ممنوعون وإن لهذه الأرض جماعة من غير الإنس فارحل بنا عنها فلج وأقسم بآلهته لا يريم حتى يعرف شأنها أو يخترم دون ذلك فبات على تلك الحال فلما أصبح قال له أصحابه أبيت اللعن إنا قد سمعنا ألوتك وأنفسنا دون نفسك فأذن لنا أن ننفض الأرض لنقف على ما آليت عليه فأمرهم فتفرقوا ثلاثا في رجالهم وركب في ذوي النجدة منهم وأمرهم أن تعشوا بالاحلال فإذا أمسوا شبوا النار فخرج مشرقا فآب وقد طفل العشي ولم يحس ركزا ولا أبن أثرا فلما أصبح في اليوم فعل فعله بالأمس وخرج مغربا فسار غير بعيد حتى هجم على عين عظيمة يطيف بها عرين وغاب وتكتنفها ثلاثة أنداد عظام والأنداد جمع ند وهو الأكمة لا تبلغ أن تكون جبلا وإذا على شريعتها بيت رضيم بالصخر وحوله من مسوك الوحوش وعظامها كالتلال فهن بين رميم وصليب وغريض فبينما هو كذلك إذ أبصر شخصا كجماء الفحل المقرم قد تجلل بشعره وذلاذله تنوس على عطفه وبيده سيف كاللجة ." (١)

---

(١) معجم البلدان، ٢٣٨/٢

" ذبل بفتح أوله وسكون ثانيه جبل قال إلى مؤنق من جنبه الذبل راهن راهن أي دائم

ذبوب حصن باليمن من عمل علي بن أمين

ذبيان بكسر أوله وسكون ثانيه بلفظ القبيلة بلد قاطع الأردن مما يلي البلقاء

باب الذال والحاء وما يليهما

الذحل بلفظ الوتر موضع قال الشاعر عفا الذحل من مي فعفت منازله وفي رواية علي بن عيسى قال مالك بن الريب أتجزع أن عرفت ببطن قو وصحراء الأديهم رسم دار وأن حل الخليط ولست فيهم مراتع بين ذحل إلى سرار إذا حلوا بعائجة خلاء يقطف نور حنوتها العرار

باب الذال والخاء وما يليهما

ذخيرة بلفظ واحدة الذخائر موضع ينسب إليه التمر

ذخكث بفتح أوله وسكون ثانيه من قرى أسفيجاب قال أبو سعد هي قرية بالروذبار وراء نهر سيحون وراء بلاد الشاش منها أبو نصر أحمد ابن عثمان بن أحمد المستوفي الذخكثي أحد الأئمة سكن بسمرقند حدث بها عن الشريف محمد بن محمد الزيني البغدادي روى عنه أبو حفص عمر ابن محمد بن أحمد النسفي الحافظ مات سنة ٥٠٦ بسمرقند

ذخينوى بفتح أوله وكسر ثانيه وبعد الياء المثناة من تحت نون وواو مقصور قرية على ثلاثة فراسخ من سمرقند منها أبو محمد عبد الوهاب بن الأشعث بن نصر بن سورة بن عرفة الحنفي الذخينوي رحل وروى عن أبي حاتم الرازي والحسين بن عرفة ومات قبيل الثلاثمائة

باب الذال والراء وما يليهما

ذراح بفتح أوله حصن من صنعاء اليمن

ذراعان بلفظ تثنية الذراع هضبتان وقالت امرأة من بني عامر بن صعصعة سقيا ورعيا لأيام تشوقنا من حيث تأتي رياح الهيف أحيانا تبدو لنا من ثنايا الضمر طالعة كأن أعلامها جللن سيجانا هيف يلذ لها جسمي إذا نسمت كالحضرمي هفا مسكا وريحانا يا حبذا طارق وهنا ألم بنا بين الذراعين والأخراب من كانا شبهت لي مالكا يا حبذا شبها إما من الإنس أو ما كان جنانا ماذا تذكر من أرض يمانية ولا تذكر من أمسى بجوزانا عمدا أخادع نفسي عن تذكركم كما يخادع صاحي العقل سكرانا

الذرانح بعد الألف نون وآخره حاء مهملة أظنه مرتجلا موضع بين كاظمة والبحرين قال المثقب العبدي ." (١)

" بنجد تمسك الماء لبني أبي بكر بن كلاب ووادي الرقاع بنجد أيضا

الرقاق بفتح أوله والتكرير موضع في عامر وأصله الأرض المستوية اللينة التراب تحتها صلابة والله أعلم

الرقبتان تثنية الرقبة وكأنها فعلة من الرقبة وهي الانتظار والحراسة وهما جبلان أسودان بينهما ثنية يطلعان إلى أعلى بطن مر إلى شعيبات يقال لهن الضرائب

الرقتان تثنية الرقة أظنهم ثنوا الرقة والرافقة كما قالوا العراقان للبصرة والكوفة وقال عبيد الله ابن قيس الرقيات أتيناك نثني بالذي أنت أهله عليك كما أثنى على الروض جارها تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها تزور فتى قد يعلم الله أنه تجود له كف بعيد غرارها موالله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلا في دمشق قرارها فإن مت لم يوصل صديق ولم يقم طريق من المعروف أنت منارها ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا وجاش بأعلى الرقتين بحارها وعندي مما خول الله هجمة عطاؤك منها شولها وعشارها مباركة كانت عطاء مباركا تمانح كبراها وتنمى صغارها

رقد بفتح أوله وسكون ثانيه أظنه مرتجلا وهو اسم جبل أو واد في بلاد قيس وأنشد أبو منصور كأرحاء رقد زلمتها المناقر وقال الأصمعي في كتاب الجزيرة قال العامري رقد هضبة مجلندة مطمئنة غير مرتفعة بين ساق الفروين وبين حبس القنان وهي بأطراف العرف بينهن وبين القنان وبين أبان الأسود وهي مشرفة على جبال لأنها فوق حزم من الأرض وكل هذه الأماكن من بلاد بني أسد وقال الجوهري رقد جبل تنحت منه الأرحية قال لبيد فأجماد ذي رقد فأكناف ثادق فصارة توفي فوقها فالأعابلا وقال أبو زياد رقد من بلاد غطفان قال الشاعر أحقا عباد الله أن لست سائرا بصحراء شرج في مواكب أو فردا وهل أرين الدهر عبلاء عاقر ورقدا إذا ما الآل شب لنا رقدا وقال الصمة الأكبر وهو مالك بن معاوية بن جداعة بن غزية بن جشم بن بكر بن هوازان جلبنا الخيل من تثليث حتى أصبنا أهل صارات فرقد ولم نجبن ولم ننكل ولكن فجعناهم بكل أشم جعد ألا أبلغ بني جشم رسولا فإن بيان ما تبغون عندي

الرقراق ماء قرب القادسية نزله بعض جيش الإسلام أيام الفتوح ." (٢)

---

(١) معجم البلدان، ٤/٣

(٢) معجم البلدان، ٥٧/٣

" إلى مكة

و الريان أيضا جبل أسود عظيم في بلاد طيء إذا أوقدت النار عليه أبصرت من مسيرة ثلاثة أيام وقيل هو أطول جبال أجإ قال جرير إما فيه أو في غيره يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا وحبذا نفحات من يمانية تأتيك من قبل الريان أحيانا و الريان أيضا موضع على ميلين من معدن بني سليم كان الرشيد ينزله إذا حج به قصور وقال الشريف الرضي في بعض هذه المواضع أيا جبل الريان إن تعر منهم فإني سأكسوك الدموع الجواريا ويا قرب ما أنكرتم العهد بيننا نسيتم وما استودعتم السر ناسيا فيا ليتني لم أعل نشزا إليكم حراما ولم أهبط من الأرض واديا و الريان أيضا محلة مشهورة ببغداد كبيرة عامرة إلى الآن بالجانب الشرقي بين باب الأزج وباب الحلبة والمأمونية ينسب إليها أبو المعالي هبة الله بن الحسين ابن الحسن بن أبي الأسود المعروف بابن البل حدث عن القاضي أبي بكر الأنصاري قاضي المارستان وعبد الله بن معالي بن أحمد الرياني سمع منه ابن نقطة

و الريان قرية بمر الظهران من نواحي مكة

الريب ناحية باليمامة فيها قرى ومزارع لبني قشير

ريث بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره ثاء مثلثة وهو خلاف العجلة موضع في ديار طيء حيث يلتقي طيء وأسد

و الريث أيضا جبل لبني قشير على سمت حائل والمروت بين مرأة والفلج إذا خرجت من مرأة معترضا في ديار بني كعب وبالريث منبر عن نصر

ريحاء بكسر أوله وسكون ثانيه وحاء مهملة وألف ممدودة أظنه مرتجلا من الريح أو من الروح وهي مدينة قرب بيت المقدس من أعمال الأردن بالغور بينها وبين بيت المقدس خمسة فراسخ ويقال لها أريحا أيضا وهي ذات نخل وموز وسكر كثير وله فضل على سائر سكر الغور وهي مدينة الجبارين وقد ذكرت في أريحا

و أما ريحاء بغير ألف فهي بليدة من نواحي حلب أنزه بلاد الله وأطيبها ذات بساتين وأشجار وأنهار وليس في نواحي حلب أنزه منها وهي في طرف جبل لبنان وربما فرق بين الموضعين بالألف التي في أول الأولى

ريحان بلفظ الريحان الذي يشم سوق الريحان في مواضع كثيرة وريحان من مخاليف اليمن

ريخ موضع بخراسان ينسب إليها الكافي وأخوه عمر ابنا علي الريخبان وكان الكافي وزيرا بنيسابور لعلاء الدين محمد بن تكش قتله التتر في شهر صفر سنة ٦٨١

ريخشن بكسر أوله وسكون ثانيه وخاء معجمة مفتوحة وشين معجمة ساكنة ونون من قرى سمرقند عن السمعاني

ريدان بفتح أوله وسكون ثانيه ودال مهملة وآخره نون حصن باليمن في مخلاف يحصب يزعم أهل اليمن أنه لم يبن قط مثله وفيه قال امرؤ القيس تمكن قائما وبنى طمرا على ريدان أعيط لا ينال وقال الأصمعي الريدانة الريح اللينة وقال نصر ." (١)

" أنها أعمر وأجمع للبناء وأيسر أهلا وبناؤها بالطين والحجارة والجص ومن مدن هذه الكورة كازرون وجره ودشتبارين وخمايجان السفلى والعليا وكندران والنوبندجان وتوز ورموم الأكراد وجنبذ وخشت وغير ذلك وبسابور الأدهان الكثيرة ومن دخلها لم يزل يشم روائح طيبة حتى يخرج منها وذلك لكثرة رياحينها وأنوارها وبساتينها وقال البشاري نيسابور كورة نزهة قد اجتمع في بساتينها النخل والزيتون والأترج والخروب والجوز واللوز والتين والعنب والسدر وقصب السكر والبنفسج والياسمين أنهارها جارية وثمارها دانية والقرى متصلة تمشي أياما تحت ظل الأشجار مثل صغد سمرقند وعلى كل فرسخ بقال وخباز وهي قريبة من الجبال وقال العمراني سابور نهر وأنشد أبيت بجسر سابور مقيما يورقني أنينك يا معين وقد نسبوا إلى سابور فارس جماعة من العلماء منهم محمد بن عبد الواحد بن محمد بن الحسن بن حمدان الفقيه أبو عبد الله السابوري ءدث بشيراز عن أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الملك روى عنه أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي وغيره وكان للمهلب وقائع بسابور مع قطري ابن الفجاءة والخوارج طويلة ذكرها الشعراء قال كعب الأشقري تساقوا بكأس الموت يوما وليلة بسابور حتى كادت الشمس تطلع بمعترك رضراضه من رحالهم وعفر يرى فيه القنا المتجزع و سابور أيضا موضع بالبحرين فتح على يد العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر رضي الله عنه عنوة في سنة ٢١ وقال البلاذري فتح في أيام عمر رضي الله عنه

السابورية مثل الذي قبله وزيادة النسبة إلى مؤنث قرية على الفرات مقابل بالس

سائبة من نواحي اليمن من مخلاف سنحان

ساتيدما بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثناة من تحت ودال مهملة مفتوحة ثم ميم وألف مقصورة أصله مهمل في الاستعمال في كلام العرب فإما أن يكون **مرتجلا** عربيا لأنهم قد أكثروا من ذكره

---

(١) معجم البلدان، ١١١/٣

في شعرهم وإما أن يكون عجميا قال العمراني هو جبل بالهند لا يعدم ثلجه أبدا وأنشد وأبرد من ثلج ساتيدما وأكثر ماء من العكرش وقال غيره سمي بذلك لأنه ليس من يوم إلا ويسفك فيه دم كأنه اسمان جعلا اسما واحدا ساتي دما وساتي وسادي بمعنى وهو سدى الثوب فكأن الدماء تسدى فيه كما يسدى الثوب وقد مده البحتري فقال ولما استقلت في جلولا ديارهم فلا الظهر من ساتيدماء ولا اللحف وأنشد سيبويه لعمرو بن قمئة قد سألتني بنت عمرو عن ال أرض التي تنكر أعلامها لما رأت ساتيدما استعبرت لله در اليوم من لامها تذكرت أرضا بها أهلها أخوالها فيها وأعمامها ." (١)

" سبرت كذا وجدته مضبوطا بخط من يرجع إليه في الصحة في عدة مواضع من كتاب ابن عبد الحكم ذكر ابن عبد الحكم في كتابه أن أطرابلس اسم للكورة ومدينتها نبارة وسبرت السوق القديم وإنما نقله إلى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة ١٣ للهجرة

سبراة بكسر أوله وسكون ثانيه ماء لتيم الرباب في رأسها ركية عادية يقال لها سبير

سبر بالفتح وتشديد الباء وكسرها كثيب بين بدر والمدينة هناك قسم رسول الله صلى الله عليه و سلم

غنائم بدر عن نصر

سبرنى بضم أوله وثانيه وسكون الراء ثم نون وآخره ألف مقصورة بليدة بنواحي خوارزم وهي آخر حدودها من ناحية شهرستان رأيتها عامرة في سنة ٦٧١

سبرة بفتح أوله وسكون ثانيه بلفظ المرة الواحدة من سبرت الجرح إذا قسته لتعرف غوره وهو اسم مدينة بإفريقية فتحها عمرو بن العاص بعد أطرابلس في سنة ٣٢ وطرقها على غفلة وقد سرحوا سرحهم فلم ينج منهم أحد قلت وأنا أخاف أن يكون هذا غلطا من الناقل وإنما هي سبرت التي تقدم ذكرها أنها كانت سوق أطرابلس والله أعلم وسياق حديث الفتوح يدل على أنهما واحد إلا أنه كذا ضبطها أولا مثل ما تقدم في الموضعين ثم مثل ما ههنا وكانت النسخة معتبرة جدا وأنا أسوق الحديث قال إن عمرو بن العاص نزل على أطرابلس شهرا فحاصرها فلم يقدر منهم على شيء فخرج رجل من بني مدلج في سبعة نفر فرأى فرجة بين المدينة والبحر فدخل بها هو وأصحابه حتى أتوا ناحية الكنيسة فكبروا فلم يبق للروم مفزع إلا سفنهم وسمع عمرو وأصحابه التكبير في جوف المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم وغنم عمرو ما كان في المدينة وكان من بسبرة متحصنين فلما بلغهم محاصرة عمرو

---

(١) معجم البلدان، ١٦٨/٣

أطرابلس واسمها نبارة وسبرة السوق القديم وإنما نقله إلى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة ١٣ وأنه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة له بهم أمنوا فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة أطرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة سبرة وكانوا قد غفلوا وفتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد واحتوى عمرو على ما فيها هكذا هذا الخبر وما أظنهما إلا واحدا

سبرينة بكسر أوله وسكون ثانيه ثم راء مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت ساكنة ونون مدينة بمصر ويقال سبريمنة عن العمراني

سبسطية بفتح أوله وثانيه وسكون السين الثانية وطاء مكسورة وياء مثناة من تحت مخففة قال أحمد بن الطيب السرخسي في رسالة وصف فيها رحلة مسير المعتضد لقتال خمارويه وعوده قال سبسطية مدينة قرب سميساط محسوبة من أعمالها على أعلى الفرات ذات سور قلت المشهور أن سبسطية بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان وبها قبر زكرياء ويحيى بن زكرياء عليهما السلام وجماعة من الأنبياء والصديقين وهي من أعمال نابلس

سبسير بفتح أوله وسكون ثانيه وسين أخرى ما أراه إلا علما **مرتجلا** يوم سبسير ذي طريف ." (١)

" إلى أهل مصر أصلح الله حاله به المسلمون والجهود الأكابر فصارت إلى أرض الجهاد وبلدة مباركة والأرض فيها مصائر فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر فهذا يدل على أن السيلحون بين الكوفة والقادسية وقال الأشعث بن عبد الحجر بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب وكان شهد الحيرة والقادسية وتلك المشاهد فعقرت ناقته فقال وما عقرت بالسيلحين مطيتي وبالقصر إلا خشية أن أعيرا فباست امرىء يبأى علي برهطه وقد ساد أشياخي معدا وحميرا وقال عمرو بن الأهم ما في بني الأهتم من طائل يرجى ولا خير به يصلحون لولا دفاعي كنتم أعبدا مسكنها الحيرة والسيلحون جاءت بكم عفرة من أرضها حيرية ليس كما تزعمون في ظاهر الكف في بطنها وشم من الداء الذي تكتمون وقال الجعدي وإذا رأيت السيلحين وبارقا أغنين عن عمرو وأم قبال ملك الخورنق والسدير ودانها ما بين حمير أهلها وأوال ومما يقوي أن السيلحيِن قرب الحيرة قول هانيء بن مسعود يرثي النعمام بن المنذر ويذكر قتل كسرى إياه قال إن ذا التاج لا أبا لك أضحى وذرى بيته نحور الفيول إن كسرى عدا على الملك النع مان حتى سقاه أم البليل قد عمرنا وقد رأينا لدى الحي رة في السيلحين خير قتيل وهذه غير سيلحون التي باليمن وقد تقدم ذكرها وقد ذكر شعراء الجاهلية كالأعشى وغيره هذا الموضع وكتاب الخراج يجعلون

---

(١) معجم البلدان، ١٨٤/٣

السيلحين طسوجا برأسه من كروة بهقباذ الأسفل من الجانب الغربي قال الأعشى فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محرزق وتجبى إليه السيلحون ودونها صريفون في أنهارها والخورنق وبين هذه الناحية وبغداد ثلاثة فراسخ وقد نسب إليها قوم من أهل العلم وقيل إنها سميت سيلحون لأنها كانت بها مسالح لكسرى وهم قوم بسلاح يرتبون في الثغور والمخافات واحدهم مسلحي والعامة تقول مصلحي وهو خطأ

سيل من أسماء مكة عن نصر

سيل بفتح أوله وثانيه معا وآخره لام حبس سيل مر ذكره وما أراه إلا **مرتجلا** وقد قرأت في كتاب أحمد بن جابر البلاذري وأم زهرة بن كلاب فاطمة بنت سعيد بن سيل قال وسيل جبل سمي باسمه

سيلون قرية من قرى نابلس بها مسجد السكينة وحجر المائدة والأكثرون على أن المائدة نزلت ."

(١)

" بتهامة قال أبو ذؤيب عرفت الديار لأم الدهين بين الظباء فوادي عشر وقال السكري الظباء واد وموضع ومف الظباء منعرج الوادي الواحدة ظبة

الظباء بالكسر والمد وهو جمع واحدته ظبية وتشترك فيه الظبية مؤنثة الظبي وهو الغزال والظبية حياء الناقة والظبية شبه العجلة والمزادة مثل الجراب يجعل فيه الطيب وغيره ويقال للكلية ظبية ومرج الظباء موضع بعينه

ظبة بضم أوله وتخفيف ثانيه بلفظ ظبة السيف وهو حده اسم موضع عن ابن الأعرابي

ظبيان بلفظ تثنية الظبي رأس ظبيان جبل باليمن

ظبية واحدة الظباء موضع في ديار جهينة وفي حديث عمرو بن حزم قال كتب رسول الله صلى الله عليه و سلم هذا ما أعطى محمد النبي عوسجة بن حرملة الجهني من ذي المروة إلى ظبية إلى الجعلات إلى جبل القبلية لا يحاقه فيه أحد فمن حاقه فلا حق له ولا حقه حق وكتب العلاء بن عقبة و ظبية أيضا موضع بين ينبع وغيقة بساحل البحر ويضاف إليه ذو قال كثير تمر السنون الخاليات ولا أرى بصحن الشبا أطلالهن تبيد فغيقة فالأكفال أكفال ظبية تظل بها أدم الظباء ترود أكفال الجبال مآخيرها

و ظبية أيضا ماءة لبني أبي بكر بن كلاب قديمة وجبلهم أبراد بين الظبية والحوأب

و ظبية أيضا ماءة لبني سحيم وبني عجل باليمامة

---

(١) معجم البلدان، ٣/٢٩٩

ظبية بالضم ثم السكون وياء مثناة من تحت خفيفة وما أراه إلا علما مرتجلا لا أعرف له معنى هكذا ضبطه أهل الإتقان وهو عرق الظبية قال الواقدي هو من الروحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة وبعرق الظبية مسجد للنبي صلى الله عليه و سلم وقال ابن إسحاق في غزوة بدر مر عليه الصلاة و السلام على السيالة ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية قال السهيلي الظبية شجرة تشبه القتادة يستظل بها وجمعها ظبيان على غير قياس وفي كتاب نصر عرق الظبية بين مكة والمدينة قرب الروحاء وقيل هي الروحاء بنفسها

ظبية تصغير ظبية اسم موضع في شعر حاجز الأزدي وأخلق به أن يكون في بلاد قومه قال أعرابي لنار من ظبية موقدوها بمرتحل على الساري بعيد يشب وقودها والليل داج بأهضام يمانية وعود أحب إلي من نار أراها ببابل عند مجتمع الجنود

ظبي بفتح أوله وسكون ثانيه وتصحيح الياء بلفظ الظبي الغزال قيل هو اسم رملة وقيل بلد قريب من ذي قار وبه فسر قول امرىء القيس وتعطو برخص غير شئن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل وقيل هو ظبى بضم الظاء وفتح الباء فجعله ." (١)

" عتود بتشديد التاء جبل على مراحل يسيرة من المدينة بين السيالة وملل وقيل جبل أسود من جانب النقيع عن نصر

عتود بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح الواو وآخره دال كذا حكي عن ابن دريد وقيل هو اسم موضع بالحجاز قال ولم يجيء على فعول غير هذا وخروع والأزهري ذكره بالراء كما ذكرته بعده وقال العمراني عتود بفتح أوله واد قال ويروى بكسر العين قال ابن مقبل جلوسا به الشعب الطوال كأنهم أسود بترج أو أسود بعتودا وهو ماء لكنانة لهم ولخزاعة فيه وقعة قال بديل بن عبد مناة ونحن منعنا بين بيض وعتود إلى خيف رضوى من مجر القبائل قال ابن الحائك وإلى حارة عثر تنسب الأسود التي يقال لها أسود عثر وأسود عتود وهي قرية من بواديها

عتور بكسر العين وسكون ثانيه وفتح الواو والراء اسم واد خشن المسلك قال المبرد العتورة الشدة في الحرب وبنو عتوارة سميت بهذا لقوتهم قال الأزهري قال المبرد جاء من الأسماء على فعول خروع وعتور وهو الوادي الخشن التربة وزاد غيره ذرود اسم جبل ولم يأت غيرهما

---

(١) معجم البلدان، ٥٨/٤

عتيب بفتح أوله وكسر ثانيه وياء مثناة من تحت ساكنة وباء موحدة جفرة عتيب بالبصرة إحدى محالها تنسب إلى عتيب بن عمرو من بني قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة وعدادهم في بني شيبان وقال الأزهري قال ابن الكلبي عتيب بن أسلم بن مالك وكان قد أغار عليهم بعض الملوك فقتل رجالهم جميعهم فكانت النساء تقول إذا كبر صبياننا أخذوا بثأر رجالنا فلم يكن ذلك فقال عدي بن زيد نرجيها وقد وقعت بقر كما ترجو أصاغرها عتيب

العتيد بلفظ التصغير موضع باليمامة في شعر الأعشى جزى الله فتيان العتيد وقد نأت بي الدار عنهم خير ما كان جازيا ويروى العتيك بالكاف ويجوز أن يكون تصغير فرس عتيد وعتد وهو الشديد التام الخلق

عتيد بفتح أوله وسكون ثانيه وياء مثناة من تحت مفتوحة ودال مهملة اسم موضع وهو أحد فوائت الكتاب وما أراه إلا مرتجلا

العتيق بلفظ ضد الجديد والمراد به المعتوق وفعيل بمعنى مفعول كثير في كلامهم نحو قتيل بمعنى مقتول وهو بيت الله الحرام لأنه عتق من الجبابرة فلا يستطيع جبار أن يدعيه لنفسه ولا يؤذيه فلا ينسب إلى غير الله تعالى وقد ذكره الله تعالى بهذا الاسم في كتابه فقال وليطوفوا بالبيت العتيق وقد ذكر في باب البيت العتيق أبسط من هذا

عتيق الساجة قرية بين أذربيجان وبغداد استولت عليها دجلة فخربتها واسم الموضع معروف إلى الآن

العتيقة بفتح أوله وكسر ثانيه بلفظ ضد الجديد محلة ببغداد في الجانب الغربي ما بين طاق الحراني إلى باب الشعير وما اتصل به من شاطىء دجلة وسميت العتيقة لأنها كانت قبل عمارة بغداد ." (١)

" باب العين والذال وما يليهما

عذار بالكسر وآخره راء والعذار المستطيل من الأرض وجمعه عذر والعذار موضع بين الكوفة والبصرة على طريق الطفوف ومنه يفضي إلى نهر ابن عمر وفي حديث حاجب بن زرارة بن عدس التميمي لما رهن قوسه عند كسرى وقبلها منه كتب إلى عمال العذار بالإذن للعرب في الدخول إلى الريف قال والعذار ما بين الريف والبدو مثل العذيب ونحوها

عذاة بالفتح والعذاة الأرض الطيبة التربة الكريمة النبت البعيدة عن الأحساء والنزوز والريف السهلة المريئة ولا تكون ذات وخامة وهو موضع بعينه بدليل أن الشاعر لم يصرفه فقال تحن قلوصي من عذاة إلى نجد ولم ينسها أوطانها قدم العهد وقد هجت نصبا من تذكر ما مضى وأعديتني لو كان هذا الهوى يعدي

---

(١) معجم البلدان، ٤/٨٣

وأذكرتني قوما أصب إليهم وأشتاقهم في القرب مني وفي البعد أولئك قوم لو لجأت إليهم لكنت مكان السيف من وسط الغمد

العذبات جمع عذبة وهو الموضع الذي فيه المرعى يقال مررت بماء لا عذبة به أي لا مرعى فيه ولا كلأ ويوم العذبات من أيامهم

عذبة بالفتح ثم السكون وباء موحدة يقال عذب الماء يعذب فهو عذب وبئر عذبة أي طيبة وهو موضع على ليلتين من البصرة فيه مياه طيبة وقيل لما حفروها وجدوا آثار الناس بعد ثلاثين ذراعا قال مرت تريد بذات العذبة البيعا

عذراء بالفتح ثم السكون والمد وهو في الأصل الرملة التي لم توطأ والدرة العذراء التي لم تثقب وهي قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة وإليها ينسب مرج وإذا انحدرت من ثنية العقاب وأشرفت على الغوطة فتأملت على يسارك رأيتها أول قرية تلي الجبل وبها منارة وبها قتل حجر بن عدي الكندي وبها قبره وقيل إنه هو الذي فتحها وبالقرب منها راهط الذي كانت فيه الوقعة بين الزبيرية والمروانية قال الراعي وكم من قتيل يوم عذراء لم يكن لصاحبه في أول الدهر قاليا

عذرة بفتح أوله وثانيه من قولهم عذرته عذرة وهي أرض

عذق بفتح أوله وثانيه والقاف قال ابن الأعرابي عذق الشحير إذا طال نباته وثمرته بالعذق و خبراء العذق موضع معروف بناحية الصمان قال رؤبة بين القرينين وخبراء العذق

عذق بفتح أوله وسكون ثانيه وهو في الأصل النخلة بعينها و العذق بالكسر الكباسة وهو أيضا أطم بالمدينة لبني أمية بن زيد وكان اسمه من قبل السير عن نصر

عذم بفتحتين ورواه بعضهم بالدال المهملة فأما العذم بالذال المعجمة فأصله من عذمت أعذم عذما وهو الأخذ باللسان واللوم أو من العذم وهو العض وليس فيه شيء بالتحريك فيكون **مرتجلا** والله أعلم وهو واد باليمن ." (١)

" ابن موسى ابن سعد بن زيد بن وديعة وليس بالمدينة منهم أحد وشهد زيد بن وديعة بدرا وأحدا

عقل حصن بتهامة قال الكناني قتلت بهم بني ليث بن بكر بقتلى أهل ذي حزن وعقل

عقرما بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الراء والقصر **مرتجلا** لا أدري ما هو موضع باليمن قال ابن الكلبي في جمهرة النسب لبني الحارث بن كعب مازن وهو عيص البأس يريد أصل البأس كما قالوا جذل

---

(١) معجم البلدان، ٩١/٤

الطعان منهم أسلم بن مالك بن مازن كان رئيسا قتله جعفر بعقرما موضع باليمن وأنشد أبو الندى لرجل من جعفر فقال جدعتم بأفعى بالذهاب أنوفنا فملنا بأنفكم فأصبح أصلما فمن كان مخزونا بمقتل مالك فإنا تركناه صريعا بعقرما

عقفان بضم أوله وسكون ثانيه والفاء وآخره نون قال النسابة البكري للنمل جدان فازر وعقفان ففازر جد السود وعقفان جد الحمر وعقفان موضع بالحجاز

عقمة موضع في شعر الحطيئة حيث قال وحلوا بطن عقمة والتقونا إلى نجران من بلد رخي ويروى عقية بالياء

عقنة بالتحريك والنون عجمي لا أصل له في كلام العرب قلعة بأران بنواحي جنزة

العقوبان قال أبو زياد العقوبان مكانان وأنشد كأن خزامى بالعقوبين عسكرت بها الريح وانهلت عليها ذهابها تضمنها بردي مليكة إذ غدت وقرب للبين المشت ركابها

العقور بالضم جمع عقر وقد فسر اسم موضع

عقوقس بفتح أوله وثانيه وسكون الواو وقاف أخرى وسين مهملة ويروى عقرقس بدل الواو راء ولا أدري ما هما اسم موضع ذكره العمراني في كتابه

عقيربا ناحية بحمص عن نصر

العقير تصغير العقر وقد مر تفسيره قرية على شاطىء البحر بحذاء هجر

و العقير باليمامة نخل لبني ذهل بن الدئل بن حنيفة وبها قبر الشيخ إبراهيم بن عربي الذي كان والي اليمامة في أيام بني أمية

و العقير أيضا نخل لبني عامر بن حنيفة باليمامة كلاهما عن الحفصي

العقير بفتح أوله وكسر ثانيه وهو فعيل بمعنى مفعول مثل قتيل بمعنى مقتول اسم فلاة فيها مياه ملحة ويروى بلفظ التصغير عن ابن دريد

العقيرة تصغير عقرة بلفظ المرة الواحدة من عقره يعقره عقرة قرية بينها وبين أقر نصف يوم وقد مر ذكر أقر قال النابغة قوم تدارك بالعقيرة ركضهم أولاد زردة إذ تركت ذميما وقال الحازمي العقيرة مدينة على البحر بينها وبين هجر ليلة

العقيق بفتح أوله وكسر ثانيه وقافين بينهما ياء مثناة من تحت قال أبو منصور والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق قال وفي بلاد العرب أربعة أعقة وهي أودية عادية شقتها السيول وقال الأصمعي الاعقة ." (١)

" غراق مكان يمان فيما يحسب نصر

الغراميل جمع غرمول وهو الذكر الضخم لا أعرف له معنى غيره وهي هضاب حمر قال الشماخ محوبين سنام عن يمينهما وبالشمال مشان فالغراميل حوى عدا

غران بضم أوله وتخفيف ثانيه كذا ضبطه أبو منصور وجعل نونه أصلية مثل غراب وما أراه إلا علما مرتجلا وقال هو اسم موضع بتهامة وأنشد بغران أو وادي القرى اضطربت نكباء بين صبا وبين شمال وقال كثير عزة يصف سحابا إذا خر فيه الرعد عج وأرزمت له عوذ منها مطافيل عكف إذا استدبرته الريح كي تستخفه تزاجر ملحاح إلى المكث مرجف ثقيل الرحى واهي الكفاف دنا له ببيض الربى ذو هيدب متعصف رسا بغران واستدارت به الرحى كما يستدير الزاحف المتغيف فداك سقى أم الحويرث ماؤه بحيث انتوت واهي الأسرة مرزف وقال ابن السكيت غران واد ضخم بالحجاز بين ساية ومكة وقال عرام بن الأصبغ وادي رهاط يقال له غران وقد ذكر رهاط في موضعه وأنشد فان غرانا بطن واد أجنه لساكنه عقد علي وثيق قال وفي غربيه قرية يقال لها الحديبية وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب من خط بن اليزيدي تأمل خليلي هلى ترى من ظعائن بذي السرح أو وادي غران المصوب جزعن غرانا بعدما متع الضحى على كل موار الملاط مدرب قال ابن إسحاق في غزاة الرجيع فسلك رسول الله صلى الله عليه و سلم على غراب جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء ثم صفق ذات اليسار ثم خرج على يين ثم على صخيرات اليمامة ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ثم استبطن السيالة فأغذ السير سريعا حتى نزل على غران وهي منازل بني لحيان و غران واد بين أمج وعسفان إلى بلد يقال له ساية قال الكلبي ولما تفرقت قضاعة عن مأرب بعد تفرق الأزد انصرفت ضبيعة بن حرام بن جعل بن عمرو بن جشم بن ودم بن ذبيان بن هميم بن ذهل بن هنى بن بلي في أهله وولده في جماعة من قومه فنزلت أمج وغران وهما واديان يأخذان من حرة بني سليم ويفرغان في البحر فجاءهم سيل وهم نيام فذهب بأكثرهم وارتحل من بقي منهم فنزل حول المدينة

---

(١) معجم البلدان، ٤/١٣٨

الغران بفتح أوله وتشديد ثانيه تثنية الغر وهو الكسر في الجلد من السمن والغر زق الطائر فرخه والغر الشرك في الطريق ومنه اطو الثوب على غره أي على كسره والغر النهر الصغير اسم موضع في قول مزاحم العقيلي أتعرف بالغرين دارا تأبدت من الوحش واستفت عليها العواصف ." (١)

" الأوثان قال ابن الكلبي وغسان ماء باليمن قرب سد مأرب كان شربا لولد مازن بن الأزد بن الغوث نزلوا عليه فسموا به وهذا فيه نظر لأن مازن من ولد مازن بن الأزد وقد قال هو في جمهرة النسب إنه ليس من غسان والعتيك من ولد مازن ولم يقل إنه من غسان ويقال غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه سموا به فسمي به قبائل من ولد مازن بن الأزد وقد ذكرتهم الشعراء قال حسان وقيل سعد بن الحصين جد النعمان بن بشير يا بنت آل معاذ إنني رجل من معشر لهم في المجد بنيان شم الأنوف لهم عز ومكرمة كانت لهم من جبال الطود أركان إما سألت فإنا معشر نجب الأزد نسبتنا والماء غسان

غسل بضم أوله قال أبو منصور الغسل تمام غسل الجلد كله والغسل بالفتح المصدر والغسل الخطمي وغسل جبل من عن يمين سميراء وبه ماء يقال له غسلة

غسل بالتحريك بوزن عسل النحل منقول عن الفعل الماضي من الغسل جبل بين تيماء وجبلي طيء في الطريق بينه وبين لفلف يوم واحد

غسل بكسر أوله وسكون ثانيه ما يغسل به الرأس من الخطمي وغيره وذات غسل بين اليمامة والنباج بينها وبين النباج منزلان كانت لبني كليب بن يربوع ثم صارت لبني نمير قاله ابن موسى وقال العمراني ذو غسل قرية لبني امرىء القيس في شعر ذي الرمة وقال الراعي وأظعان طلبت بذات لوث يزيد رسيمها سرعا ولينا أنخن جمالهن بذات غسل سراة اليوم يمهدن الكدونا وقال أبو عبيد الله السكوني من أراد اليمامة من النباج فمن أشي إلى ذات غسل وكانت لبني كليب بن يربوع رهط جرير وهي اليوم لنمير ومن ذات غسل إلى أمرة قرية وأنشد الحفصي بثرمداء شعب من عقل وذات غسل ما بذات غسل وبها روضة تدعى ذات غسل

الغسولة قال الحافظ أبو القاسم رسلان بن إبراهيم بن بلال أبو الحسن الكردي سمع أبا القاسم عبد الواحد بن جعفر الطرميسي ثم البغدادي بصور في سنة ٠٨٤ وحدث بالغسولة من قرى دمشق سنة ٥٢٥ سمع منه أبو المجد بن أبي سراقة وأبو الوقار رشيد بن إسماعيل بن واصل المقري

و الغسولة منزل للقوافل فيه خان على يوم من حمص بين حمص وقارا

---

(١) معجم البلدان، ٤/١٩١

غشاوة بضم أوله وبعد الألف واو هكذا جاء فيكون علما **مرتجلا** لأن الغشاوة التي من الغشاء إنما هي بالكسر وهو يوم من أيام العرب أغار فيه بسطام بن قيس بكر بن وائل على بني سليط

غشب بالفتح ثم السكون وآخره باء موحدة موضع عن ابن دريد نسب إليه الغشبي وهو رجل ولم أجد لهذا البناء أصلا في كلام العرب

غشدان بضم أوله ثم السكون ودال مهملة وآخره نون من قرى سمرقند ." (١)

" أشاقتك المنازل بين مذعى إلى شعر فأكناف الكؤود قال أبو زياد إذا خرج عامل بني كلاب مصدقا من المدينة فأول منزل ينزله يصدق عليه أريكة ثم العناقة ثم يرد مذعى لبني جعفر ثم يرد الصلوق وعلى مذعى عظيم بني جعفر وكعب بن مالك وغاضرة بن صعصعة

مذفار بالكسر ثم السكون والفاء وآخره راء وهو منقول من الذفر وهو حدة الرائحة طيبة كانت أو خبيثة وليس باسم المكان منه ولو كان كذلك لكان مذفر بالفتح فهو مل المقراض من القرض كأن شيئا من الآلة المنقولة سمي به ثم نقل إلى هذا المكان وهو اسم موضع في قول الهذلي لهامهم بمذفار صياح يدعي بالشراب بني تميم وهذا كقول الآخر يا عمرو إن لم تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

المذنب جبل وقال الحفصي المذنب قرية لبني عامر باليمامة في شعر لبيد قال طرب الفؤاد وليته لم يطرب وعناه ذكرى خلة لم تصقب سفها ولو أني أطيع عواذلي فيما يشرن به بسفح المذنب لزجرت قلبا لا يريع لزاجر إن الغوي إذا غوى لم يعتب

مذود بالكسر ثم السكون وفتح الواو ودال مهملة مذود الثور الوحشي قرنه يذود به عن نفسه ومذود الرجل لسانه مثله والمذود معلف الدابة ومذود جبل قال أبو دؤاد الإيادي في ذلك يصف فرسا يتبعن مشترفا ترمي دوابره رمي الأكف بترب الهائل الخصب كأن هاديه جذع برايته من نخل مذود في باق من الشذب وهذا يدل على أنه موضع معمور فيه نخل لا جبل فإن النخل ليس من نبات الجبال

مذيامجكث بالفتح ثم السكون وياء مثناة من تحت وميم ساكنة وجيم مفتوحة وكاف مفتوحة وثاء مثلثة قرية من قرى كرمينية من أعمال سمرقند

---

(١) معجم البلدان، ٤/٢٠٤

مذيانكن بالفتح ثم السكون وياء مثناة من تحت ونون ساكنة بعد الألف يلتقي فيها ساكنان وفتح الكاف ونون قرية من قرى بخارى

مذيح بضم أوله وفتح ثانيه وياء مثناة من تحت شديدة وحاء مهملة الذي جاء على هذا ذوح إبله إذا بددها والذوح السير العنيف فقياسه مذوح فيكون مرتجلا على هذا وهو ماء ببطن مسحلان قال ابن حريق لقد علمت ربيعة أن بشرا غداة مذيح مر التقاضي

المذيخرة كأنه تصغير المذخرة بالخاء معجمة والراء وهو اسم قلعة حصينة في رأس جبل صبر وفيها عين في رأس الجبل يصير منها نهر يسقي عدة قرى باليمن وهي قريبة من عدن يسكنها آل ذي مناخ وبها كان منزل أبي جعفر المناخي من حمير قال عمارة بن أبي الحسن المذيخرة من أعمال صنعاء وهو جبل بلغني أن أعلاه نحو عشرين فرسخا فيه المزارع والمياه ونبت الورس وفي شفيره الزعفران ولا يسلك ." (١)

"وكان يمدح بناء على طلب أحد الأصدقاء فيرتجل القصيدة ارتجالا ، قال : طلب إلي حضرة الأخ محمد سليمان المقداد أن أمدح معالي وزير العدل السيد أحمد الحسيني آل عوزه ، فقلت مرتجلا هذه الأبيات بتاريخ ١٥\آب | ١٩٤٢ م :

أنت من نبع النبوة جار من رحيق الفردوس من سلسبيل

أنت من صلب أحمد خاتم الرسل سيد الأنبياء طه الرسول

من علي من فاطم من حسين مهبط الوحي معدن التنزيل

أنت في عالم الوزارة حصن تلجئ المرتجي بظل ظليل

وإليكم عرش الخلافة يعزى وبكم شيد من زمان طويل

وبادر إلى مناجاة خالق الكون بمقطوعات غزله رقيقة تهيمن عليها روح الصوفية ، وفي مدح النبي محمد "صلى الله عليه وسلم " وآل بيته "عليهم السلام" ، فقال :

شغفت ولكن لست بالغيد أشغف ولا بالعيون النجل فلبي مكلف

ولا أنا في مرضى الجفون معذب ولا في صقيلات العوارض مدنف

ولا تهت في خد أسيل مورد هياما لأجني الزهر منه وأقطف

ولكنني في حب آل محمد وفي مدحهم أفني الحياة وأصرف

وفي قصيدة استنهاض صاحب الأمر الإمام المهدي المنتظر وفيها يمدح الإمام علي "عليه السلام" ،

---

(١) معجم البلدان، ٥/٩٠

وتتضمن الشكوى من المستعمر وتصوير واقع الحياة ومصير الشعب الفقير المغلوب ، فقال :

يا صاحب الأمر صرف الدهر أعيانا والصبر قد عيل فاسمع بث شكوانا

واطلب من الله جبار السما فرجا تكن به يا إمام العصر سلطانا

لتملأ الأرض قسطا بعدما ملئت ظلما وتملأها عدلا وإحسانا

قواعد الدين يا بن المصطفى هدمت فانهض وشيد لدين الله بنيانا

وأمر بإيتاء ذي القربى حقوقهم وأنه عن البغي والفحشاء سرعانا

مولاي إن الطغام استعمروا وبغوا واستعملوا السادة الأحرار عبدانا

فانهض إمام الورى إن النهوض غدا عليك فرضا وحقق فيك دعوانا

وأورد الصارم البتار مورده حتى يرى من دم الأعناق ريانا

جدد به عهد من أفنى الألوف من أمة الشرك أبطالا وشجعانا

يسطو على الليث في الهيجا فيتركه نصفين من دمه ،لمسفوح نهلانا." (١)

"وكان يمدح بناء على طلب أحد الأصدقاء فيرتجل القصيدة **ارتجالا** ، قال : طلب إلي حضرة الأخ محمد سليمان المقداد أن أمدح معالي وزير العدل السيد أحمد الحسيني آل عوزه ، فقلت **مرتجلا** هذه الأبيات بتاريخ ١٥\آب|١٩٤٢ م :

أنت من نبع النبوة جار من رحيق الفردوس من سلسبيل

أنت من صلب أحمد خاتم الرسل سيد الأنبياء طه الرسول

من علي من فاطم من حسين مهبط الوحي معدن التنزيل

أنت في عالم الوزارة حصن تلجئ المرتجي بظل ظليل

وإليكم عرش الخلافة يعزى وبكم شيد من زمان طويل

٣-التأريخ

اشتهر شعراء آل زغيب بالشعر التأريخي ، وفضيلة هذا الفن أنه حفظ لنا كثيرا من تواريخ الولادات والوفيات تخص بعض الأعيان في لبنان وسورية : : و الشاعر كان سريع الخاطرة في نظم التواريخ ، قالها لأصدقائه في يونين وبعلبك وبيروت ودمشق : : : بمناسبة ولادة أو زواج أو وفاة أو بناء مسجد أو تشييد قصر : : : وكانت مقطوعاته التاريخيةِ جيدة السبك وعذبة ، فيها إشراقة الصورة .

---

(١) لكود القشعم، ٣٤٩/١

٤ -الشعر الديني

بادر إلى مناجاة خالق الكون بمقطوعات غزله رقيقة تهيمن عليها روح الصوفية ، وفي مدح النبي محمد "صلى الله عليه وسلم " وآل بيته "عليهم السلام" ، فقال :

شغفت ولكن لست بالغيد أشغف ولا بالعيون النجل فلبي مكلف

ولا أنا في مرضى الجفون معذب ولا في صقيلات العوارض مدنف

ولا تهت في خد أسيل مورد هياما لأجني الزهر منه وأقطف

ولكنني في حب آل محمد وفي مدحهم أفني الحياة وأصرف

وفي قصيدة استنهاض صاحب الأمر الإمام المهدي المنتظر وفيها يمدح الإمام علي "عليه السلام" ، وتتضمن الشكوى من المستعمر وتصوير واقع الحياة ومصير الشعب الفقير المغلوب ، فقال :

يا صاحب الأمر صرف الدهر أعيانا والصبر قد عيل فاسمع بث شكوانا

واطلب من الله جبار السما فرجا تكن به يا إمام العصر سلطانا

لتملأ الأرض قسطا بعدما ملئت ظلما وتملأها عدلا وإحسانا

قواعد الديn يا بن المصطفى هدمت فانهض وشيد لدين الله بنيانا." (١)

"عرفني العذر في احترامك ذن؟ ... ب العبد واحضر مستجيبا خجلا

وافصل جميلا هذي القضية بال؟ ... عدل وخل التفصيل والجملا

واعذر جهولا إذا حسدت فما ... صار حسودا إلا لما جهلا

وجلت من هجرك المخوف فصل ... واجل عن القلب ذلك الوجلا

وابخل بودي يا سمح فالسمحاء ال؟ ... غر صبر بودهم بخلا

يسامحون الصديق إن زلت النع؟ ... ل ويغضون إن رأوا زللا

وهم خفاف إلى المكارم لي ... لكنهم عن مكارهي ثقلا

فكن من المرتجى غناؤهم ... في صدق ودي وحقق الأملا

قال فكتب إلي متعتبا وصول متقربا:

قل لعماد الدين الذي رقمت ... أقلامه في طروسه الحللا

تزيد أبصارنا إذا نشرت ... نورا فتجلو بحسنها المقلا

---

(١) لكود القشعم، ٢٢٧/٢

فابن هلال ونجل مقلة لو ... راما مداه في الخط ما وصلا

فكل تال لها ومستمع ... يهز عطفا من راحها ثملا

يا بحر علم عذبا لوارده ... كيف أساوى بفضله وشلا

لك اليراع الذي تفل به البي؟ ... ض المواضي وتعزل الأسلا

أودعه الله ذو الجلال كما ... أراد رزق العباد والأجلال

عمك عم الأنام نائله ... فصير الناس كلهم خولا

؟وساد كل الورى بسؤدده وشاد مجدا سامي به زحلا

من كنت قدما ربيب نعمته ... نشوا وغصن الشباب ما ذبلا

وارتاح لراحة التي امتزجت ... بالروح فيها وعاف دار بلا

حيا الحيا قبره وأنبت ما ... عليه من روضه الأنيق حلى

تالله ما حلت عن ولائكم ... يوما ولا اعتضت عنكم بدلا

لكن رأيت الخمول أروح ... مما أعاني الخصام والجدلا

في دار مولى تقيم لي أبدا ... جموعه في خصومتي رسلا

يشير إلى قاضي القضاة كمال الدين بن الشهرزوري، فإن الجماعة كانا يداعبونه بحضرته ويعضهونه.

من كنت ليث الشرى فغادرني ... بحمل أثقال جوره جملا

أرى نهيق الحمار يطربهم ... وينكرون الجواد إن صهلا

يجحد فضلي وكل ذي أدب ... يمتار مما أصوغ مرتجلا

من لي بخل تدوم خلته ... لوا أرى في خلاله خللا

ترى مياها عيني وبي ظمأ ... وما أروى بوردها الغللا

وهذه قصتي مخمرة نظمت تفصيله له جملا

وأنشدنا إبراهيم بن سليمان بن النجار الكاتب الدمشقي بها قال: أنشدني شهاب الدين فتيان الشاغوري لنفسه وذكر أنه أنشدها صفي الدين أبا الفضل بن القابض فكان في مجلسه العلم الشاتاني وكان ينبز بقاع، ويغضب إذا ذكرت هذه الكلمة بحضرته:

هاجتك رسوم عفت لزينب بالقاع ... أمست درسا بعدها معطلة قاع

لا جاد عليها من السماء ملث ينه؟ ... ل بمثعنجر الوديقة وقاع

إن كنت كريما على الجميل مسفا لم تمس ... على هامة الدناءة وقاع
فاسلك سنن الفضل مادحا لأبي ... الفضل تكن عنده ابن شوذب قعقاع
واسمع مثلا هل يقاس شارب خمر ... إذا ما انتشى بشارب فقاع
قال: فغضب لذلك واستشاط غيظا والأبيات أكثر من ذلك لم يكن على خاطره غير هذه الخمسة منها:." (١)

"قال أبو بكر الخطيب: وقيل إن الحسن نثر على المأمون ألف حبة جوهر، وأشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل، ونثر على القواد رقاعا، فيها أسماء ضياع، فمن وقعت بيده رقعة، أشهد له الحسن بالضيعة التي فيها، وأنفق الحسن في وليمته أربعة آلاف ألف دينار وكان يجري مدة إقامة المأمون عنده على ستة وثلاثين ألف ملاح، ولما أراد المأمون أن يصاعد أمر له بألف ألف دينار، وأقطعه مدينة الصلح وعاش الحسن إلى أيام جعفر المتوكل.

أخبرنا أبو الفضل ذاكر بن اسحق قال: أخبرنا أبو سهل عبد السلام بن أبي الفرج قال: أخبرنا شهردار بن شيرويه قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمر البيع قال: أخبرنا أبو غانم حميد بن المأمون قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي، قال في كتاب الألقاب: ذو الرئاستين الحسن بن سهل، سمت أبا اسحق إبراهيم بن أحمد المستملي يقول: سمعت أبا بعد الله عبد الرحمن ابن محمد الحداني قال: سمعت محمد بن جعفر الكرابيسي قال: سمعت أبا العلاء يقول: سمعت ذو الرئاستين يقول ما أحب أن يكون لي بدل تجاربي شبابي. وبإسناده قال: وسمعت ذو الرئاستين يقول: ما استقصيت في أمر قط إلا أبداني منه مكروه.

هكذا قال أبو بكر الشيرازي ذو الرئاستين الحسن بن سهل وكذا قال وريزة بن محمد الغساني: أخبرنا الحسن بن سهل ذو الرئاستين، وسيأتي ذكر ذلك، والمعروف بذي الرئاستين الفضل بن سهل أخو الحسن، ويحتمل أنه لقب بذلك حين تولى الوزارة بعد موت أخيه الفضل، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي:

أنبأنا زيد بن الحسن قال: أخبرنا أبو منصور بن زريق قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أحمد بن أبي جعفر الفطيعي قال: أخبرنا محمد ابن عبد الله بن محمد بن همام الشيباني قال:

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤١٥/٢

حدثنا أبو مزاحم موسى بن عبيد الله ابن يحيى بن خاقان المقرئ الخاقاني قال: حدثنا أبي عن أبيه قال: حضرت الحسن بن سهل وجاءه رجل يستشفع به في حاجة فقضاها، فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن بن سهل: على ما تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة، كما أن للمال زكاة، ثم أنشأ الحسن يقول:

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا

فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع ... فاجهد بوسعك كله أن تنفعا

أخبرنا أبو الفضل ذاكر بن اسحق بن محمد قال: أخبرنا أبو سهل عبد السلام ابن أبي الفرج قال: أخبرنا أبو منصور شهردار بن شيرويه قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمر البيع قال أخبرنا أبو غانم حميد بن المأمون قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن الحسين البغدادي قال: حدثنا وريزة بن محمد الغساني قال: أخبرنا الحسن بن سهل ذو الرئاستين قال: أخبرنا عبد الله أمير المؤمنين المأمون قال: حضر أملاك رجل من بني هاشم، تمس قرابته قرابة أمير المؤمنين الرشيد، مجلس أمير الىمؤمنين فقال لمحمد ابن الحسن: اخطب يا محمد لفلان بن فلن على فلانة بنت فلان على صداق كذا في مال أمير المؤمنين، فقال محمد بن الحسن: يا أمير المؤمنين بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قدموا قريشا ولا تقدموها " ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر الشافعي أن يخطب وأتبعه، فقال الرشيد، اخطب يا شافعي، فقال الشافعي **مرتجلا**: الحمد لله باعث الأموات، وجامع الأشتات ومنشر الرفات، ومقيل العثرات ومنجح الطلبات، ومنزل البركات، وفاطر الأرض والسموات، وخالق البريات على ألسن مختلفات اللغات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من الشهادات وكلمة إخلاص من الكلمات، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ابتعثه الله بالرسالات، ودل على صدقه بالدلالات، وأثبت حجته بالآيات المبينات، صلى الله عليه وعلى آله من المؤمنين والمؤمنات، أما بعد:." (١)

"أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية العلم زانتني عن الخلل

ومنها:

أريد بسطة كف أستعين بها ... على قضاء حقوق للعلى قبلي

قال أبو سعد السمعاني: وقرأت في كتاب وشاح دمية القصر يعني لأبي الحسن البيهقي للأستاذ أبي اسماعيل تمام هذه القصيدة بعد البيت الأول:

مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع ... والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٢/٦٢٤

فيما الاقامة بالوزراء لا سكني ... بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

فلا صديق إليه مشتكى حزني ... ولا أنيس إليه منتهى جذلي

أريد بسطة كف أستعين بها ... على قضاء حقوق للعلى قبلي

والدهر يعكس آمالي ويقنعني ... من الغنيمة بعد الكد بالقفل

حب السلامة يثني هم صاحبها ... عن المعالي ويرضى المرء بالكسل

إن العلى حدثتني وهي صادقة ... فيما تحدث إن العز في النقل

لو أن في شرف الثاوي بلوغ على ... ما جاوز الشمس يوما نقطة الحمل

أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

لم أرتض العيش والأيام مقبلة ... فكيف أرضى وقد ولت على عجل

غالى بنفسي عرفاني بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

وعادة النصل أن يزهى بجوهره ... فليس يعمل إلا في يدي بطل

ما كنت أؤثر أن يمتد بي زمن ... حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

تقدمتني أناس كان شيوطهم ... ورا خطوي لو أمشي على مهل

هذا جزاء امرىء أقرانه درجوا ... من قبله فتمنى فسحة الأجل

وإن علاني من دوني فلا عجب ... لي أسوة في انحطاط الشمس عن زحل

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر ... في حادث الدهر ما يغني عن الحيل

أعدى عدوك أدنى من وثقت به ... فحاذر الناس واصحبهم على دخل

فإنما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول في الدنيا على رحل

غاض الوفاء وفاض العذر وانفرجت ... مسافة الخلف بين القول والعمل

وشان صدقك عند الناس كذبهم ... وهل يطابق معوج بمعتدل

إن كان ينجع شيء في ثباتهم ... على العهود فسبق السيف للعذل

يا واردا سور عيش كله كدر ... أنفقت صفوك في أيامك الأول

ملك القناعة لا يخشى عليه ولا ... يحتاج فيه الى الأنصار والخول

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها ... فهل سمعت بظل غير منتقل

ويا خبيرا على الأسرار مطلعا ... اصمت ففي الصمت منجاة عن الذلل

قد رشحوك لأمر فطنت له ... فاربأ بنفسك ن تعى مع الهمل

قلت: وهذه القصيدة من محاسن قصائده لا بل من محاسن شعر أهل عصره يسميها الناس لامية العجم تفضيلا لها على غيرها من أشعار العجم كما سموا قصيدة الشنفرى التي أولها:

أقيموا بني أمية صدور مطيكم ... فإني الى قوم سواكم لأميل

لامية العرب تفضيلا لها على غيرها من أشعار العرب، نظمها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يفتخر فيها ويشكو الاغتراب وأورد فيها من الحكم ما لا يخفى على المتأمل من ذوي الألباب.

أخبرنا أبو هاشم قال: أخبرنا أبو سعد قال: سمعت اسماعيل بن أحمد بن اسماعيل الباخرزي - إملاء - يقول: دخل الأستاذ أبو اسماعيل المنشئ على بعض أكابر الدولة في مجلس الأنس فقدم إليه ثيابا رفيعة كرامة له، فكره ذلك حتى عرف فيه وأنشأ مرتجلا:

وما ساقني فقر إليك وإنما ... أبى لي عزوف النفس أن أعرف الفقرا

ولكنني أبغي التشرف إنه سجية ... نفس حرة ملئت كبرا." (١)

"قال ابن الفرضي: كان نحويا شاعرا خطيبا أدب بالعربية، وخطب وقضي بيابة، ثم عزل. وسمع من قاسم بن أصبغ وغيره، ولم يحدث.

مات يوم الخميس مستهل شوال سنة تسع وسبعين وثلاثمائة.

٤٤٩ - محمد بن مسعود الغزني

هكذا سماه أبو حيان: وقال ابن هشام: ابن الذكي؛ صاحب كتاب البديع. أكثر أبو حيان من النقل عنه، وذكره ابن هشام في المغني، وقال: إنه خالف فيه أقوال النحويين. وله ذكر في جمع الجوامع، ولم أعرف شيئا من أحواله.

٤٥٠ - محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر المزي، ثم الدمشقي، شمس الدين الحنبلي النحوي قال الذهبي: ولد في صفر سنة اثنتين وستين وستمائة، وبرع في الفقه والعربية، وتصدر لإقرائهما، وتخرج به فضلاء، وسمع من الفخر وطبقته، وأجاز له النجيب، وخرجت له مشيخة عن نحو أربعمائة شيخ، ولم يزل قانعا راضيا، وليس له سوى الضيائية، ولباسه لباس النساك، ولم يزاحم على وظيفة ولا غيرها، وكان مرتزقا من الخياطة، فلما مات التقي سليمان عين للقضاء، فأثنى عليه عند السلطان، فولاه فتوقف، فلامه ابن تيمية على ذلك، فأجاب بشرط ألا يركب بغلة، ولا يحضر الموكب، فأجيب واستقر، فباشره أحسن مباشرة،

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٦٦/٣

وعمر الأوقاف، وكان ينزل من الصالحية ماشيا، وربما ركب مكاريا، ومئزره سجادته، ودواة الحكم من زجاج، واتخذ فرجية، مقتصدة، وكبر العمامة قليلا، وشهد له أهل العلم والدين بأنه من قضاء العدل، وكان ذا أوراد وعبادات، وحج مرات، فمات في آخرها بالمدينة ثالث عشر ذي القعدة، سنة ست وعشرين وسبعمائة، ودفن بالبقيع.

٤٥١ - محمد بن مسعود المالیني الهروي، أبو يعلى النحوي اللغوي الأديب

قال ابن مكتوم: عارف بالنحو واللغة وكان ينتحل مذهب الكرامية - فيما قيل - ودخل عليه الفخر الرازي، فعتب عليه لانقطاعه عنه، فاعتذر مرتجلا:

مجلسك البحر وإني امرؤ

لا أحسن السبح فأخشى الغرق." (١)

"تفقه به خلق، وسمع منه سيف الدين سعيد بن مطهر الباخرزي، وشرف الدين محمد بن محمد العدوي، وجمال الدين محمد بن محمد الحسيني، والعلامة حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البخاري، وآخرون.

ترجمه لنا الفرضي، وقال: مات في جمادي الاولى سنة ثلاثين وست مئة وله أربع وثمانون سنة.

٢١٥ - القمي * الوزير الكبير مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الكاتب.

قدم بغداد وصحب ابن القصاب، ثم ابن مهدي، فلما مات كاتب السر ابن زبادة رتب القمي مكانه، فلم يغير زيه، القميص والشربوش، على قاعدة العجم، ثم ناب في الوزارة، ولم يزل في ارتقاء حتى إن الناصر كتب بخطه: القمي نائبنا في البلاد والعباد، فقرئ ذلك عاما، فلما استخلف الظاهر رفعه وحكمه في العباد.

وكان كاتبا بليغا منشئا مرتجلا، سائسا، وقورا، جبارا شديد الوطأة.

نكب في سنة تسع وعشرين وست مئة (١)، وسجن هو وابنه (٢) فهلكا سنة ثلاثين.

(*) مختصر التاريخ لظهير الدين الكازروني: ٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٤، والكتاب المسمى بالحوادث الجامعة: ١٩، ٢٠، ٣٢، ٣٣، والفخري لابن الطقطقي: ١٥٣، ٣٢٦، وتاريخ الاسلام، الورقة: ١٠٠ (أيا صوفيا

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ١/١٨٦

٣٠١٢)، والوافي بالوفيات: ١ / ١٤٧.

(١) عزل بكرة السبت سابع عشر شوال سنة ٦٢٩، على ما ذكره الظهير الكازروني.

(٢) اسمه أحمد، وكان أحمد هذا قد أساء السيرة وتجبر وقطع الالسنة وسفك الدم الحرام ولم يكفه والده عن ذلك، فكان هو سبب النكبة.

[*]." (١)

"٢١٥ - القمي، محمد بن محمد بن عبد الكريم

الوزير الكبير، مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الكاتب.

قدم بغداد، وصحب ابن القصاب، ثم ابن مهدي، فلما مات كاتب السر ابن زبادة رتب القمي مكانه، فلم يغير زيه؛ القميص والشربوش، على قاعدة العجم، ثم ناب الوزارة، ولم يزل في ارتقاء، حتى إن الناصر كتب بخطه: القمي نائبنا في البلاد والعباد.

فقرئ ذلك عاما، فلما استخلف الظاهر، رفعه، وحكمه في العباد.

وكان كاتبا بليغا، منشئا مرتجلا، سائسا، وقورا، جبارا، شديد الوطأة.

نكب في سنة تسع وعشرين وست مائة، وسجن هو وابنه، فهلكا سنة ثلاثين. (٣٤٧/٢٢)." (٢)

"والغصن يثنى عطفه ... طربا لتغريد الحمائم

يا أحمد الوصاف يا ... من حاز أنواع المكارم

أنت الذي طوقتنى ... مننا لها تعتو الأعاظم

فمتى اؤدى شكرها ... والعجز لي وصف ملازم

والعذر بادان بع ... ثت إليك من جنس الرتائم

تسبيحة لذكر التي ... جاءت بتصحيف ملايم

وبخاتم داع إلى ... فيض الندى من كف حاتم

فامدد على جهد المقل ... رواق صفح ذا دعائم

لا زلت سابق غاية ... بين الأعارب والأعاجم

سيدي لا يخفاك أنني بعثت بها رتيمه ولو أمكنني لاهديت من الجواهر ما ينوف على قدر القيمه فهما

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٣٤٦/٢٢

(٢) سير أعلام النبلاء [مشكول +]، ٣٨٠/٤٢

أعنى الخاتم والمسبحة تذكير ليد العلى بخالص الوداد وفي المثل لا كلفة بين من تثبيت بينهم الألفة حتى في الورق والمداد والله يقيك البقاء الجميل ويبلغك غاية التأميل والعفو مطلوب والله عند منكسرة القلوب وهو المسئول أن يحرسكم بعين عنايته التي لا تنام بجاه من ترقى إلى أعلى مقام ولله در القائل

هدية العبد على قدره ... والفضل أن يقلها السيد

فالعين مع تعظيم مقدارها ... تقبل ما يهدى لها المرود

فكتب إليه الشاهينى قصيدة مطلعها

يا سيدي اشعرى له ... ما إن يقاوى أن يقاوم

منها وهو محل ذكر ما أهداه إليه

قد جاء ما شرفتنى ... بخصوصه دون الأعاظم

من خاتم كفى به ... ورثت سليمان العزائم

وبسبحة شبهتها ... بالشهب في أسلاك ناظم

فلتحسد الجزاء ما ... أحرزت من تلك المكارم

هي آلة للذكر لك ... ن ليس ذكرا في الحيازم

فهواك في قلبي وما ... في القلب جل عن الرتائم

ماذى رتاسم سيدي ... بل إنها عندي تمائم

لو أنها من جنس ما ... يطوى غدت فوق النعائم

لكنها قد زينت ... كفى وأزرت بالخواتم

واتفق للمغرى مجلس في دعوة بعض الأعيان وكان المفتى العمادى والشاهينى صحبته في تلك الدعوة فمس ثلجا وقال الماس هذا فأنشد الشاهينى مرتجلا

شيخنا المقرى وهو الناس ... والذي بالأنام ليس يقاس

مس ثلجا وقال الماس هذا ... قلت ألماس عندنا ألماس

ثم ارتجل بآخرين في الثلج

غنيت بالثلج عن سوداء حالكة ... من قهوة لمتكن في الأعصر الأول

وقلت لما غدا خلى يعنفنى ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فقال العمادى

يا بردها ثلجة جاءت على كبد ... حراء من فرقة الأحباب في وجل

فقال المقرى

تحلوا ذاكررت ذوقا وعادة ما ... أعيد أن يلتقى بالكره والملل

فقال العمادى

لعل اعلاله بالثلج ثانية ... يدب منها نسيم البرد في عللي

فقال المقرى

إذ ادعاني بمصر ذكر معهدها ... أجاب دمعي وما الاعي سوى طلل

فقال العمادى

لو كان في مصر ماء بارد لكفى ... عن الثلوج ومن للعور بالحول

ومن شعر المقرى قوله مضمنا مع الاكتفاء والتورية

لم أنس يوما للنواعير به ... في نهر فاس شجن هاج الجوى

فقلت إذ ذكرني معاهدا ... لله ما قد هجت يا يوم النوى

والمصراع الثاني ضمنه من مقصوره حازم وبعده على فؤاد من تباريح الجوى ورأيت في بعض المجاميع نقلا عن هط المقرى قال أنشدني صاحبنا العلامة البليغ الناظم الناثر القاضي محمد المتوفى لبعض من قصده الده بسهامه ولم يجد صبرا لاشكال صبره وانبهامه قوله

وأخفيت صبرى ساعة بعد ساعة ... ولكن عينى في الأحاديين تدمع

فقلت مضمنا وفيه لوزم ما لا يلزم

وقائلة مالي رأيتك ذا شجى ... ولم يك قدما فيك للشجو مطمع

فقلت أصابتني من الدهر عينه ... وخالفت ذا نصح له كنت أسمع

فقالت تصبروا كتم الأمر تسترح ... ولا تسأمن فالخير في ذاك أجمع." (١)

"فلما وصلت إلى صاحب الترجمة أخبار هذه المقدمة لم يزل يتطلبها حتى وقف عليها وتحامق على حمقه وحنق وذهب بها إلى الشيخ المقرى وبكى وشكى من مؤلفها فأرسل مؤلفها يعرف الشيخ سبب تأليفها وانشائها وتصنيفها فكتب إليه يقول ولقد أجل سيدي عما سيعرض على عالي جنابه وأنزه من ذلك شريف سمعه وخطابه من هذا الوسواس المنافر والهذيان الوافي المتنافر والسخرية التي يحرس سمع الأديب

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ١٩٣/١

عنها ويكلا والأعجوبة التي خبرها يسلى الحزين ويضحك الثكلى والمدح الذي يلوح القدح على صفحاته والهزل الذي يأخذ الجد بمخنق لهاته والشعر الذي ينفث السحر بين كلماته وفقراته والداعى إلى ائتلاف قوافيه وتضييع العمر فيه أن هذا الرجل الملقب نفسه بالضد وهو حليف الشقاوة من طريق الجد قد نصب حبائل الخداع في استجلاب ما عندنا من نفائس المتاع ولم يفرق بين عروض التجار وعروض الأشعار فجاءنا بوريقة فيها خطوط أخلاط لا يدركها ولا يفهمها بقراط مشوشة المبنى مختلفة المعنى يدعى أنها تدخل في سلك النظم لا تساغ مع الظكم ولا يعمل فيها الهضم إنما هي لقمة ذات عظم لا يؤثر فيها القضم فما رأيت قدرا أكثر منها اعظما ولا آكلا أكثر من كظما كما لم أر ناظما أقبح منه نظما ثم أنه أخذ يتقاضى الجواب ولا يمنعه الحجاب ولا يعوقه البواب ولا بروعه السباب فيقف بين يدي كأن له دينا على فيضغطنى ضغطة الغريم اللئيم للمدين الكريم حتى أردت أن أقول بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم أمسكت اليراع وأنا ممتلئ بالصداع ونظمت هذه الأبيات والنشوة على شرف الفوات وما أنشأت هذا القريض حتى انحط طبعى للحضيض ثم لم يبرح من باب الدار حتى أمسكت بيدي الطومار فكتبت وشرخ البديهة عازب ونجم القريحة غارب ولولا ذلك لكانت كلها هجوا ولما كان بعض هجائها نجوى وها يه كما يراه السيد منها الردئ والجيد فقلت **مرتجلا** بديهة من غير توقف ولا تدبر

من رام يحوى في العلى مراده ... فليصحبن صاحب السعاده

مهذب الرأي الذي دنياه في ... يديه لا في قلبه معاده

ذو همة لو جئ بالعنقاء قد ... يقول هذي عندنا جراده

مقتصد عدوه الاسراف في ... أموره وخلقه الزهاده

وربما ير فل في ديباجه ... طورا طور الإبسا نجاده

ولو أتاه قس يوما حجه ... ولو غدا مستنصرا إياده

أو حاتم وافاه راح خجلا ... ولو بطى قد نوى استنجاده

يقول قس أين لي فضل فتى ... وأحرز خصل الفضل مع زياده

وحاتم يقول إني عاجز ... عن شأ ومولى غالب اضداده

عن الامام المقرى شيخنا ... رويت كلما رويت عاده

والمقرى عند أصحاب النهى ... خزيمة في موطن الشهاده

يحفظه الله الذي أفادني ... أفادة تغنى عن الاعاده

قد كثر الله معاليه كما ... قد كثر الله بها حساده

لله ما أسعد أوقاتي به ... وطبعه الموصوف بالاجاده

هو القريب للقريب جامع ... في زمن مشتت أفراده

قماءة وطول باع في العلى ... وزى فقر في الغنى استفاده

طول في كل المعاني باعه ... من اغتدى مقصرا نجاده

أحمد ذاك الكامل السامى الذي ... قد لقبوه صاحب السعاده

المغربي القيرواني الذي ... أشرب قلب شرقنا وداده

هي الخصال كلها غريبة ... جود وخرم ومعالي الساده

من الذكاء قلبه مشتعل ... أورى له الفضل به زناده

فبذله كفضله وجوده ... من طبعه وقوته العباده

يحتمل الكل عن الخل الذي ... أضافه ويكره استبعاده

مقتنع بكل ما يأتى به ... محسن للباذل اقتصاده

لا يأكل الطعام إلا مرة ... بحكمة من طبعه مفاده

وكلما ذكرت من أخلاقه ... مبين من رشد سداده." (١)

"كم رمت أخفى عن سواك صبابتي ... وبها ينم علي شاهد أدمعي

يهفو لغي فيك قلبي ثم لا ... يصغى لغش بالرشاد مقنع

قل للعذول عليك يترك غشه ... بالنصح لي فلذاك أذني لا تعي

لم تخف قط بشاشة لؤم الفتى ... فالطبع يفضح حالة المتطبع

إن الملام وحق وجهك في الهوى ... ما زاد غير تولهي وتولعي

قد زاد فيك تألفي بتألمي ... وتفكري فيك انتهى لتمتعي

قوله خفض إلى آخر الأبيات الثلاثة من المطلع هو مضمون قول مهيار في أبياته

أودع فؤادي حرقا أودع ... ذاتك تؤذي أنت في أضلعي

أمسك سهام اللحظ أو فارمها ... أنت بما ترمي مصاب معى

موقعها القلب وأنت الذي ... مسكنه في ذلك الموضع

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢٣٧/١

ومن شعره قوله من قصيدة أخرى

أراني الزمان فعالا خسيسا ... وخطبا يبدل نعماه بوسا

منها

ومذ أسكرتني صروف الزمان ... نسيت بها الكاس والخندر يسا

وألزمت نفسي حال الخمول ... وعفت المنى وهجرت الجليسا

فقد يمكث السيف في غمده ... حصونا ويستوطن الليث خيسا

ومنها في المديح

بعزم تراه إذا ما بدا ... بمعضل أمر يفل الخميسا

ولا تملك القلب منه الرداح ... ولو أشبه الوجه منها الشموسا

ولو تك لو لم تمس ما اهتدت ... غصون الرياض إلى تميسا

وقوله مضمنا بيت الأرجاني **مرتجلا**

لست أنسى لياليا قد تقضت ... بوصال وطيب عيش بمغنى

كم قضينا بها لبانة أنس ... وظفرنا بكل ما نتمني

حيث غصن الشباب ريان من ما ... ء صباه مع الهوى يتثنى

قد أتت بغتة وولت سراعا ... كطروق الخيال مذ زار وهنا

أترى تعود لي بالتداني ... ومحال جمعي بها أو تثنى

غير أني أعلل النفس عنها ... بالأماني الكذاب وهما ووهنا

أتمنى تلك الأيام المنيرا ... ت وجهد المحب أن يتمنى

وهذا ما وقع اختياري عليه للإثبات هنا من شعره وله غير ذلك وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين وألف وتوفى في أوائل شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وألف ودفن بتربة الايجية في سفح قاسيون رحمه الله تعالى." (١)

"عبد الباقي بن أحمد بن محمد المعروف بابن السمان الدمشقي نزيل قسطنطينية صاحبنا الفاضل الأديب الألمعي البارع كان مفرط الذكاء قوي الحافظة وله الإطلاع التام على أشعار العرب الخلص وأيامهم وأمثالهم وكان يحفظ منها شيئا كثيرا وقد عاينته مرات وهو يسرد من أشعارهم ألف بيت أو أكثر من غير أن

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣٨٢/١

يزيغ عن نهجه أو يشرق بريقه وكانت فكرته جيدة في النقد والغوص على المعاني وحسن التأديب وله تصانيف كثيرة لم يكمل منها إلا شرح الأسماء الحسنى وشرح شواهد الجامي ومختصر التهذيب في المنطق وكان شرع في كتاب سماه سرقات الشعراء كتب منه حصة يسيرة ولو تم لجاء كتابا عجيبا وجمع سبعة مجاميع بخطه تحتوي على كل تحقيق وأدب وشرع قريب موته في الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ومات ولم يكمله وبالجملة فقد كان في التآليف واقفا تحت قول المتنبي

وليس بأول ذي همة ... دعته لما ليس بالنائل

وكان في أول أمره قرأ النحو والفقه بدمشق على الفقيه المشهور أحمد القلعي ثم فارق دمشق وهو غض الحداثة مقتبل الشبيبة ودخل القاهرة في حدود سنة إحدى وسبعين وألف واشتغل بها على الشيخ عبد الباقي بن غانم المقدسي الآتي ذكره وعلى السيد أحمد بن محمد الحموي المصري وعليه تخرج في الأدب وبرع ثم خرج منها إلى الروم وتصرفت به أحوال كثيرة وأسفار عديدة ولم يبق بلدة من أمهات بلاد الروم حتى دخلها ووصل إلى جزيرة كريد والوزير الفاضل منازلها فمدحه بقصيدة ومطلعها

أخف النوى ما سهلته الرسائل ... وأحلى الهوى ما كررته العواذل

يقول فيها

يعيرني قوم بقومي ومحتدى ... كما عيب بالعضب الصقيل الحمائل

أجل حسدوني حيث فضلت دونهم ... وكم حسدت في الناس قبلي الأفاضل

وما الفخر بالأجسام والمال والعلى ... ولكن بأنواع الكمال النفاضل

ومن يك أعمى القلب يلزم بقوله ... كما يحذر الأعمى العصا إذ يقاتل

وما يصنع الإنسان يوما بنوره ... إذا عادلت فيه النجوم الجنادل

وفيم نضيع العمر من غير طائل ... إذا ما استوى في الناس قس وباقل

وأصعب ما حاولت تثقيف أعوج ... وأثقل شيء جاهل متعاقل

إذا جاء نقاد الرجال من الوغى ... تميز عن أهل الكمال الأراذل

عنيت الوزير بن الوزير الذي به ... تذل وتعنو للشعوب القبائل

ومدح أخاه الفاضل مصطفى بقصيدة أخرى مطلعها

بالنفس يسمح من أراد نفيسا ... والحب أول ما يكون رسيسا

وكلا القصيدتين قد ذكرتهما في ترجمته في كتابي النفحة فلا نطيل هنا الكلام بهما فإنا نذكر له غيرهما

وكل جديد له لذة وأجيز على هاتين جائزة سنية ووصل من الجزيرة المذكورة إلا سلانيك ويكى شهر والسلطان محمد ثمة فكان خاتمة مطافه أن بلغ خبره السلطان فاتخذه نديما وفاز مدة بعطاياه الطائلة ولم يطل أمره في المنادمة فأعطى مدرسة بقسطنطينية وأبعد عن الدولة إليها فألقى رحله بها واتخذها دار قراره ومجمع أسبابه وأحبه كبراؤها ومالوا إليه خصوصا المرحوم الأستاذ عزتى قاضي العسكر فإنه أقبل عليه بكليته وكان يمده بعطايا وافرة ولما دخلت قسطنطينية في سنة سبع وثمانين وألف رأيته وهو مدرس الفتحية برتبة موصلة الصحن فاتحدت معه اتحادا لم يتفق لي مع أحد غيره لما كنت أشاهد منه من المحبة الصدق الذي لا مزيد عليه وأنا منذ توفى إلى الآن أذكر صنائعه من المعروف معي فلا أعرف نهايتها وأقصر عن أداء حقها بيد أني أرجو الله أن يجزيه عن حسن محبته لي أحسن جزاء وأعظمه واتفق لي معه محاورات ومخاطبات كثيرة فمن ذلك أني أنشدته يوما قولي

ومقر طق ترف الأديم تخاله ... كالغصن قد لعب النسيم بقده

ويكاد إن شرب المدامة أن يرى ... ما مر منها تحت أحمر خده

فأنشدني مرتجلا قوله

ومهفهف لولا جفون عيونه ... خلنا دم الوجنات من ألحاظه

وتكاد تقرأ من صفاء خدوده ... ما مر خلف الخد من ألفاظه

وسألته عن نكتة تخصيص المؤمن في قوله عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله فأجاب مرتجلا." (١)

"وكمروان وابنه حين واسى ... بلذاذات عيسه سماره

مروان هو مروان بن الحكم وكان غليظا وابنه هو عبد الملك بن مروان

نادمته أبناء يالية اللائ ... ي قضى في ربوعهم أسحاره

أبناء يالية هم أبناء يالية بن هرم بن رواحة وكان يغشى منازلهم ليلا وينادمهم وفيهم يقول من شعر

يا خبرا دار بني ياليه ... إني أرى ليلتهم لاهيه

وكمثل الوليد ذي القصف إذ كا ... ن يغب اصطاحبه وابتكاره

ولديه الغريض وابن سريج ... أظهرا كل صنعة مختاره

من غناء ألذ من نشوة الكا ... س وأشهى من صبوة مستثاره

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ١/٤٩٠

الغريض أحد المغنين اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد وقيل أبو مروان ذكر صاحب الأغاني أنه كان يضرب باليد وينقر بالدف ويوقع بالقضيب أخذ الغناء في أول أمره عن ابن سريج وهو أبو يحيى عبد الله بن سريج أحد المغنين ذكر صاحب الأغاني أنه كان أحسن الناس غناء وكان يغني **مرتجلا** ويوقع بالقضيب

وسليمان ذي العتو لنحو ... الذلفاء يبدى حنينه وافتراره

سليمان بن عبد الملك والدلفاء جارية كانت لأخيه شراؤها عليه ألف درهم ثم صارت إلى سليمان وهي التي يقول فيها الشاعر

إنما الدلفاء ياقوتة ... أخرجت من كيس دهقان

ويزيد بن خالد وأبو زي ... د يجيدان في الندام سراره

إذ بمغنى سنان كان يغالى ... ويجلى بشدوه أكداره

يزيد هو ابن خالد التيمي وكان سليمان يخصه وينادمه سرا قبل أن يباشر الشراب وأبو زيد هو أبو زيد الأسدي وكان خاصا به جالسا وينادمه وسنان مغن له كان يأنس به ويسكن إليه ويكثر الخلوة معه ويستمتع بحديثه وغنائه

وابن عبد العزيز إذ راوح ال ... كاس وو الاه في زمان الإماره

ويزيد المعمود إذ خامرته ... نشوة الراح ليله ونهاره

وسبت لبه حبابة واستهوت ... ه حتى أباح فيها اشتهاره

حبابة جارية كانت لابن سينا تسمى العالية أخذت عن ابن سريج وكانت مدينة

واستمالت به سلامة حتى ... أقلق الوجد فكره وأثاره

سلامة جارية شريت ليزيد من المدينة بعشرة آلاف دينار وكانت حسنة الوجه والغناء

إذ يناجيه لحن معبد بالشج ... و كما شاء معملا أوتاره

ولكم ألف الغناء لديه ... ضرب عواده على زماره

معبد هو معبد بن وهب أحد المغنين المشهورين وخبره في الأغاني

وهشام إذا استبد اختيارا ... بالرساطون واستلذ اختباره

من شراب ظلت افاوية الع ... طر به ذات نفحة سياره

الرساطون شراب كان يصنع له يعني لهشام تسمية أهل الشام الرساطون يطبخ بأفاويه كثيرة فيجيء طيب الرائحة قويا صلبا وفي جامع التقرير الرساطون شراب يتخذ من الخمر والعسل أعجمية لأن فعالون من أبنية

كلامهم

والوليد المليك إذ واصل ال ... كاسات واللهو جهده واقتداره

واغتدى في تهتك ومجون ... كان يجني قطوفه وثماره

ومناه ذكرى سليمى لوجد ... ظل يذكى لهيبه واستعاره

إذ يغنيه مالك بن أبي السم ... ح وعمر والوافي فينتفى وقاره

سليمى هي سليمى بنت سعيد بن خالد أخت أم عبد الملك التي كانت تحته وله فيها خبر طويل ومالك هو مالك بن أبي السمح الطائي قال صاحب العقد أخذ الغناء عن معبد وكان لا يضرب بعود إنما يغني مرتجلا

ولكم خفف ابن عائشة اللحن ... له فاستحقه واستطاره

ابن عائشة هو محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر أخذ عن معبد ومالك وابتداؤه بالغناء كان يضرب به المثل

وابن ميادة بن أبرد والق ... اسم كانا يحثحثان عقاره

بندام ألذ من زورة الحب ... وأبهى من روضة في قراره

ابن ميادة اسمه الرماح ابن أبرد من بني غطفان كان ينادمه ويحدثه حديث الأعراب والقاسم هو القاسم الطويل العبادي وكان أقرب ندمائه إليه وأخصهم به

وبذيح أتى بأمر عجاب ... إذ تولى على القرود الإماره

بذيح هو مولى عبد الله بن جعفر ملهيه." (١)

"محمد بن أحمد الأسدي العريشي اليمني المكي شيخ العلوم والمعارف ومالك زمامها من تليد وطارف أربى على العمر الطبيعي وهو ممتع بحواسه من بيت علم وصلاح مقيمين على تقوى وفلاح راض بالكفاف من الرزق الحلال إلا رغد ناصب النساخة حبلا لصيد معيشته كما عليه السلف الطاهر إلا مجد اشتغل بالفسقه وبرع وأعرب في النحو قبل أن يترعرع وأخذ من العلوم بتصيب وافر ولازم العلماء الأئمة الأكابر كالسيد عمر البصري والشيخ خالد المالكي وعبد الملك العصامي وعنه ولده العلامة أحمد والقاضي على العصامي وعبد الله العباسي وغيرهم وألف غيرهم وألف مؤلفات عديدة مفيدة منها شرح الكافي في علمي العروض والقوافي في نحو عشرة كراريس ومنها اختصار المنهاج للنووي ومنها شرح على الأجرومية مختصر وكانت وفاته بمكة في سنة ستين وألف ودفن بالشبيكة.

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢/٦٩

محمد بن أحمد بن يحيى بن محمد بن إسمعيل بن شعبان الرئيس الكبير المعروف بابن الغصين الغزي كان رئيسا جليل القدر واسع الكرم لم يصل إلى غزة أحد من الواردين عليها إلا وبادر إلى زيادته وحمل إليه ما يليق بحاله وتقرب إلى قلبه بكل طريق وبالخصوص أهل العلم والأدب وهو الذي قال فيه حافظ المغرب أبو العباس احمد المقري بيتيه المشهورين وكان مر على غزة عند رحلته إلى الشام فبذل في إكرامه جهده فقال فيه:

يا سائلي عن غزة ... ومن بها من الأنام

أجبتهم مرتجلا ... ابن الغصين والسلام

وحكي لي صاحبنا الأديب إبراهيم بن سليمان الجنيني نزيل دمشق أن شيخ الإسلام خير الدين الرملي كان توجه إلى غزة في بعض السنين لا مر اقتضي قال وكنت معه فنزل عند الرئيس محمد بن الغصين المذكور فرأى بيتي المقرى مكتو بين على جدار المكان المعد للاضياف فكتب تحتهما ارتجالا:

دار الغصين محط كل مسافر ... وتكية لابن السبيل العابر

وبها المكارم والمفاخر والتقي ... يا رب فاعمرها ليوم الآخر

وعلى الجملة فإن محمدا صاحب الترجمة كان من أفراد الكرام والرؤساء وله مناقب في الكرم لا تعدو مزايا لا توصف وكانت وفاته ليلة الأحد عشري المحرم سنة اثنتين وستين وألف ودفن بغزة ولم يخلف مثله في الكرم والنباهة رحمه الله تعالى.

السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن داود بن الحسن ابن الإمام الناصر بن الإمام عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد بن جبريل بن محمد بن علي بن الإمام الداعي يحيى بن المحسن بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن الأمير العالم المعتضد بالله عبد الله بن الإمام المنتصر لدين الله محمد بن الإمام المختار لدين الله القسم ابن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القسم السيد الباسل الشجاع الحليم عين الزمان وبهجة المحافل صاحب الآراء الثاقبة والمحامد الواسعة نشأ على العلم والصلاح بعد موت أبيه وصبر على مشاق الوقت وقاسي في عنفوان شبابه أمورا صبر لها حتى أفضت به إلى محل من الخير لا يدرك وقرأ بصنعاء وصعدة وكان كثير المذكراة وحضرته معمورة بالفضلاء ومع ذلك فهو يقود المقانب ويشارك في المهمات كأحد أولاد القسم بن محمد وكان لا يعد نفسه إلا منهم ولا يعدونه هم إلا من أجلائهم ولم يزل مع السيد الحسن بن الإمام حال خلائق معه وعلاصيته في العلم والجاه والرياسة ثم كان أحد أعيان دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام

القسم وكان بينهما ودأكيد وتولى في أيامه مع العدين حيس من تهامة وبندر المخا وحينئذ ألقت إليه الدنيا أفلاذ كبدها وعاش حميدا ولم يشتغل بتكلفة وشرح كافية ابن الحاجب وشرح الهداية في الفقه وكان يحب الأدب وأهله وله نظم رائق منه قوله:

طرب يهيج اليعملات سباني ... وجوي بأطباق الفؤاد ذواني

وتعللي بخلت له ريق الصبا ... وتصبري كرمت به أجفاني

أن الحبيب وقد تناءت داره ... أغرى فؤاد الصب بالأحزان

لو زار في طيف الكرى متفضلا ... بجماله وحديثة لشفاني

أو لو تفضل بالوصال تكرما ... أصبحت من قتلاه بالإحسان

يا عاذلي عني فلست بمرعو ... عذل العدى ضرب من الهذيان." (١)

"ابن فواز محمد بن عمر بن فواز الملقب شمس الدين الدمشقي الشافعي كان فاضلا أديبا لطيف الذات حسن الخلال عذب المفاكهة في عدة فنون وله شعر حسن لطيف السبك أخذ بدمشق عن العلامة العمادي الحنفي ثم رحل إلى القاهرة وأقام بها سنين وصحب أفاضلها المشاهير ولزم الأديب محمد الفارضي المشهور وروى عنه منظومات كثيرة ورجع إلى دمشق ودرس ببعض المدارس وكان كثيرا ما يألف الشيخ محمد الحجازي مفتي الشافعية بدمشق وولده عبد الحق وكان عبد الحق يقرأ عليه وانتفع به وكان يراسله فما كتبه الفوازي إليه وقد انقطع عن صحبته أياما لجفوة صدرت منه وتعتب عليه في المهاجرة.

يا غائبا والذنب ذنبك ... متعتبا الله حسبك

لا تبعدن فإنما ... أملى من الأيام قربك

فلا صبرن وأرضين ... بما قضاه الله ربك

وقد ذكره البوريني في تاريخه وأحسن الثناء عليه ثم قال وكان عندنا في يوم قد هب نسيمه وصح بوصف السلامة سليمه فقرأ بعض الأصحاب هذا البيت من كتاب الصادح والباغم لابن الهبارية وظاهره لا يخلو من شيء على مقتضى الشريعة المحمدية والبيت هذا:

وليس في العالم ظلم جاري ... إذ كان ما يجري بأمر الباري

فأظهر أشكاله وأودع حقيقة الحق أقواله فقال:

هذا كلام ظاهر الأشكال ... ظاهره لا يخل من مقال

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣٥٦/٢

إذ عالم الكون مع الفساد ... كم قد حوى كفرا على عناد
وكم به ظلم على اعتداء ... والله لا يأمر بالفحشاء
ومدعي هذا أتى بهتانا ... إذ قوله يصادم القرآنا
مناقض فائدة الإرسال ... وحكمة التكليف بالأعمال
كقوله لا تقربوا أقيموا ... فظلمنا مرتعه وخيم
فان أراد العلم والارادة ... بالأمر فهو ظاهر الافادة
وهي صفات ربنا في القدم ... والظلم في فعل العباد فاعلم
وربنا منزه عن ظلم ... إذ فعله عن حكمة وعلم
وما جرى في الكون بالتقدير ... مع القضا في سائر الأمور
والله سمى البعض ظلما حقا ... فليس من ينكره محقا
وكم حوى القرآن ذم الظالمين ... وكل من خالف نهج المؤمنين
ويجب الإيمان بالقضاء ... ولم يكن سرا بلا امتراء
وامتنع الرضاء بالمقضى ... إذ كان شيئا ليس بالمرضى
كقول أهل العلم وهو الصدق ... إن الرضا بالكفر كفر حق
فلا تجوز الرضا بالظلم ... أنكر ولو بالقلب يا ذا الفهم
هذا جواب حسن محقق ... والله مولانا هو الموفق
ومن نظمه ما يتعلق بأكل المكيفات من البرش مضمنا
بالكيف تظهر أخلاق الرجال لنا ... لا بالصنائع والهيئات والحرف
والكيف كيفية للنفس تخبرنا ... عن خلق صاحبها أخبار معترف
فإنها الريح إن مرت على عطر ... طابت وتخبث إن مرت على الجيف
وفيه تضمين مع نقل وأصله:
لا تشرب الراح إلا مع أخي ثقة ... واختر لنفسك حرا طيب السلف
فالراح كالريح أن مرت على عطر ... طابت وتخبث أن مرتعلى الجيف
قال ومما قرأته له بخطه في طلب سفينة شعر من بعض إخوانه:
يا سيدا في المعالي ... له أياد مبينه

إني بك البر فابعث ... يا بحر نحوي سفينه

لا زلت تهدي دواما ... لي اللآلى الثمنيه

ورحل آخر أمره إلى مكة وجاور بها وكان سبب رحلته أن رجلا من أجناد دمشق أخذ له صرا بمكة المشرفة في كل سنة ما يقرب من ثلثمائة دينار ذهبا فرحل إليها وتديرها وقرأت بخط البوريني قال لما عزم على الرحيل إلى ذلك الجناب وصمم على ترك الإقامة باختيار الذهاب ذهبت إليه مودعا وأنشدته متوجعا مرتجلا في نظمه مظهر الهيب الفراق بعد كتمه مضمنا البيت الأخير لأبي الحسن التهامي مودعا له في غضون كلامي فقلت:." (١)

"محمد بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن حسن بن عمر بن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن الشيخ علي بن عمر الأهدل كان هذا السيد من كبار مشايخ الصوفية أهل الحل والعقد المستعان بهم في النوائب والشدائد والشفاعات صاحب زاوية واكرام وافضال وانعام وشهرته تغني عن شرح حاله أخذ عن والده ونصبه جده عبد القادر وهو في سن الصغر دون التمييز شيخنا فكان يقول له يا شيخ والله إن لك جدا لو نظر إلى أهل الأرض لصاروا كلهم مشايخ انتهى وكان صاحب الترجمة كثيرا ما يتلو القرآن بالجهر تلاوة مجودة بترتيل وحسن صوت مواظبا لزيارة جده الشيخ الكبير علي الأهدل كل يوم ثم يقف عند كل قبر من القبور المعروفة هناك ساعة ثم يدخل مسجد التربة فيصلي فيه ركعتين ويدعو وينصرف إلى بيته ولم يزل كذلك إلى أن توفي ليلة الجمعة رابع عشر شوال سنة اثنتين وثلاثين وألف.

محمد بن عمر بن محمد سعد الدين بن تقي الدين بن القاضي ناصر الدين بن أبي بكر ابن أحمد بن الأمير موسى وتقدم تمام النسب في ترجمة ابن أخيه أحمد بن صالح الشيخ البركة الولي المعتقد المعروف بالعلمي القدسي كان من أصلح صلحاء زمانه وأعرفهم بالله تعالى إلى الطريقة الباهرة والسمت الحسن في مصطلحات الصوفية وذكرهم وكان للناس فيه اعتقاد عظيم وكان في مبدأ أمره يسكن دمشق بخانقاه تقي الدين عمر الكردي في محلة القنوات ثم حج وجاور ولم يستقر بعد ذلك في دمشق فرحل إلى موطنه القدس وقطن بها واعتقده أهلها وأحبوه واشتهر صيته في الآفاق وكان عالما صالحا سالكا على نهج كبراء الصوفية وله على لسانهم شعر نفيس فمن ذلك قوله مشيرا إلى الوحدة المطلقة:

سلم إذا ذكر اتحادا عاشق ... وافطن فطور المرء ليس يزيد

فالنار يدخلها الحديد فيغتدى ... نارا فذاك معاين مشهود

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤٧٣/٢

فإذا تخلى عن مقام وصالها ... فالنار نار والحديد حديد

وله كرامات مشهورة منها ما حكاه خليفته. الشيخ علي الحوراني الحبراصي من حبراص قرية بحوران وكان من أخص جماعته وذلك أنه شاور الشيخ في الذهاب إلى بلاده لزيارة أهله فحذره من أمر يأتي عليه وقال له دافع عن نفسك مهما أمكنك ولم يصرح ثم توجه فلما وصل إلى الدراهم التي يعهدها دخلها فخرجت إليه امرأة وأدخلته ولم يدر أنها غريبة فلما استقر داخل الدار غلقت عليه الأبواب وراودته عن نفسه وكان غارقا في الجذب فصرخ عليها بقوله الله فلم تلتفت وأقبلت عليه فلم يشعر إلا والجدار قد انشق والشيخ العلمي واقف يقول له هات يدك يا علي وسحبه وأخرجه فلما أتى القدس لزيارة الشيخ وسلم عليه مسك الشيخ يده وشد عليها وأومأ إليه بالكتم وذكره الفيومي في المنتزه وقال في وصفه أشرقت شمس معارفه بالأرض المقدسة فأطلعت أهل إرشاده هادية ومؤنسة فانتشرت فضائله واشتهرت فواضله وأكبت عليه الناس وأقبلت عليه أرباب الباس فنفذت كلمته وازدادت حرمته وله ديوان شعر مشهور وتائية في السلوك درها منثور على النحور افتتحها بقوله تبعا لابن حبيب في تائيته:

باسم الإله ابتدائي في مهماتي ... فذاك حصني في كل الملمات

والحمد لله ربي دائما أبدا ... حمدا ننال به أعلى المبرات

ثم الصلاة على المختار سيدنا ... محمد المصطفى عز الوجودات

كذا سلام من المولى يضاعفه ... منه إليه بأنواع التحيات

في كل حين وآن لا انقضاء له ... من رحمة الله يأتي بالمسرات

كذاك للآل والصحب الكرام ومن ... للدين قد أيدوا في كل حالات

وهي كبيرة تشتمل على قواعد أهل الطريقة والحقيقة وذكره البوريني في تاريخه وأثنى عليه ثم قال ولما كان بدمشق سرت إليه يوما من الأيام وهزني الشوق والغرام لاغتنام مصاحبته واجتلاء مكالمته فصادفت الديار خاليه والمنازل عاطلة غير حاليه لأنه قد سار إلى زيارة أهله في بيت المقدس فلما رأيت وحشتها بعد أنسها وظلمتها بعد أنوار شمسها وأنشدت **مرتجلا** وكتبت عجلا على جدار الخانقاه التي كان يسكنها هذه الأبيات:

أتيت ديار الحي بعد ارتحالهم ... فصادفت ربعا بعد سكانه أقوى

ورمت من القلب التصبر بعدهم ... فقال على بعد الأحبة لا أقوى." (١)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢/٤٧٥

"محمد بن محمد شمس الدين القدسي الشافعي الدمشقي المعروف في بلاده بابن خصيب وبالسيد الصادي وفي دمشق بالسيد القدسي وقد تقدم حفيده محمد بن علي وذكرت نسبه ثمة فليرجع إليه وكان هذا السيد المترجم من أهل الفضل والأدب نشأ على الجد والاجتهاد حتى ساد وبرع ونبغ من بين أهله وحيد إلا أنه لم يكن فيهم صاحب معرفة بل كلهم من أرباب الحرف ورحل إلى مصر في ابتداء أمره وحفظ فيها صفوة الزبد وكان يقول كنت أسمع العلماء ببيت المقدس يقولون من قرأ هذا الكتاب لا بد أن يلي القضاء قال وكنت لا أرغب فيه فكنت أقول انخرمت القاعدة فلما كنت بالروم احتيج إلى قاض شافعي لأجل فسخ نكاح فوليت القضاء في تلك القضية فقلت هذا تأثير ما قيل في من قرأ الصفوة وأخذ تدريس المدرسة الجوزية وأخذ في مرة أخرى توجه فيها إلى الروم تدريس المدرسة العمرية بالصالحية وكانت للشهاب العيثاوي فأعطاه العيثاوي دراهم واستفرغه عن١٥ ثم سافر إلى الروم مرة أخرى فأخذ تدريس العذراوية فقرأ واقرأ وأخذ العذراوية عنه القاضي ابن المنقار فسافر وأخذها عن ابن المنقار ثانيا واستمرت عليه إلى أن مات ودرس بالجامع الأموي ولما هدمت دار العدل التي كان قد عمرها الملك العادل نور الدين بدمشق وكان هدمها في أواخر سنة ألف أخذ السيد المذكور حصة من أرضها وعمرها دارا له وسكن بها مدة وكان قبل ذلك ساكنا بالمدرسة الريحانية وكان في مدة اقامته بدمشق يزاحم أكابرها ويداخلهم ويشفع فتقبل شفاعته إلى أن ولي قضاء الشام شيخ الإسلام يحيى بن زكرياء فولاه قضاء الشافعية بدمشق قال البوريني فاقتضت حكمة الله تعالى أن اختل تدبيره وانهدم تعميره وصار عقله معقولا وعقد تصرفه محلولا وصار يسير في الأسواق منفردا ويدخل بيوت الطباخين وحيدا فيأكل من طعامهم ويلتذ بكلامهم ويلقى أصحابه فلا يعرفهم وينصرف عنهم ويصرهم ولما ظهر اختلاله واختلفت أفعاله وتناقضت أقواله ولم تنتظم أعماله قيده ولده في داره ومنعه من تسياره ومضت له مدة شنيعة وانقضت أحواله البديعة والدهر أبو الأهوال ولا يبقى مع أحد على حال ثم قال وكان لي رفيقا وكنت له صديقا لا أفتر عن مصاحبته ولا أغيب عن موافقته فأما يكون عندي وأما أكون عنده وكان لا يلتذ بالعيش بعدي ولا ألتذ بالعيش بعده كما قيل في معناه:

بروحي من نادمته فوجدته ... ألذ من الشكوى وأصفى من الدمع

يوافقني في الهزل والجد دائما ... فينظر من عيني ويسمع من سمعي

قال وكنت في صحبته مرة في قرية منين من قرى الشام وهي في الحقيقة ذات روض نسام وزهر يفوق وزر على الثغر البسام ماء جاري ونسيم ساري وواد لا ترى فيه الشمس إلا من خلال الأشجار وفوقها أطيار تسبح الواحد الغفار في الأصل والأسحار فلما دنا وقت الظهيرة وحمى حر الهجيره أراد الراحه فانفرد عنا

للاستراحة فما رأيت المنام غنما بل رأيته في مثل ذلك المكان غرما فكتبت إليه **مرتجلا** وأرسلت إليه عجلا:

بحقك خلى لا تضع فرصة المنى ... وبادر إلى هذا الغدير المسلسل

وإن لم تجد زهر الرياض فإننا ... نريك زهورا من كلام مرتل

فكتب إلي وعطف بجوابه علي قوله:

على غدير جلسنا في مذاكرة ... ودوحة قام من سوق على ساق

فخلت أغصان ذاك الدوح باكية ... تريد تكتب ما نملي بأوراق

ولما وصلا إلى وحصلا لدي كتبت إليه هذا:

جلسنا بروض فيه زهران أسقيا ... بماء افتكار والمياه الدوافق

فمن زهر يبديه روض كلامنا ... ومن زهر يبديه روض الحدائق

قال وبالقرب من قرية منين قرية يقال لها التل قبل الوصول إليها من جانب دمشق فلما قفلنا من جانب منين عزم علينا أهلها أن نمكث بها عندهم يوما فأجبنا الدعوه وانتهزنا فرصة الأيام الحلوه فكتب إلي السيد المذكور مداعبا فقال:

أيا سيد السادات يا من بنانه ... تضيف الورى بالجود في الزمن المحل

إذا ساعد الحظ السعيد فإننا ... نطل على الوادي ونرقى على التل." (١)

"ويا شقيقي من فخاري به ... ومن غدا لي في الورى طرفا

أكمل مني إن أصفه فلي ... أرجع من أوصافه الوصفا

قل لي عن وصف حروف له ... اربعة ما نقصت حرفا

إذا وصفت الشخص يوما به ... فعينه في دبره تلفى

ولم يزل يصحب كلابة ... بها يجيد القبض والصرفا

ثانية نصف العشر من ثالث ... وكله لم يبلغ الألفا

ينقص عنها بل وعن بعضها ... ولم تكمل ناقصا حلفا

موصوفه نصفان فانظر له ... نصفا ولا تنظر له نصفا

ثانيه مع ثالثه فعله ... متى يشاجر عرسه عنفا

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣/٢٠

يظهر في أفعاله خفة ... وهو لثقل لم يغب صرفا
كالبوم شوم وهو ألف لنا ... فهل رأيتم بومة ألفا
أجب وعن ذا الوصف أفصح لنا ... لا ذقت للدهر أذى صرفا
فأجابه بقوله
جاءت فزادت روضنا عرفا ... بل قلدت آذاننا شنفا
وأطفأت من كبدي لوعة ... ولم تكن من غيرها تطفى
وهيجت شوقي إلى ماجد ... لم أك أبغي غيره ألفا
أعني شقيقي من أرى بعده ... للدهر ذنبا لم يكد يعفى
ذو كرم لو شامه حاتم ... عض على أنمله لهفا
رب المعاني والقوافي التي ... كالدر إذ ترصفه رصفا
كانت كعذب الماء عند الصفا ... أو كلما أرشفه رشفا
أو كوصال من حبيب وقد ... أكثر في ميعاده الخلفا
مضيع أرعاه بين الورى ... وشيمة الأحباب لا تخفى
أبيت أملي من غرامي له ... كتبا ومن إعراضه صحفا
يدير من ألحاظه أكؤسا ... حملها أجفانه الوطفا
تسقيه راحا مزجت من دما ... عيني ويسقيني الهوى صرفا
مائلة عن ساعد لم يزل ... كقطعة الأصداغ ملتفا
أو كسوار ضاق عن عبلة ... أو كهلال كاد أن يخفى
لكن إذا مدت إلى مرقد ... كقامة الحب إذا تلفى
لا زلت تعطيها وأمثالها ... من راحة كالديمة الوطفا
هاك جوابي واعف تأخيره ... إذ لم يكن ليا ولا خلفا
وبعد ما وصف له أحرف ... أربعة ولم يزد حرفا
أوله سبع لعشر حوى ... ثانيه لا زلت له حلفا
إن تسقط المفرد منه يعد ... جمعا وهذا منك لا يخفى
وفعل أمر ثم فعلا لمن ... نار غرامي فيه لا تطفا

إن تقلب الثالث مع رابع ... يكن لموصوف به وصفا

ثانيه مع ثالثه وصفه ... إذا اعتراه النوم والإغفا

أبنه لي لازلت في عزة ... لم تغض عما رمته طرفا

والدهر عبد لك أو قائد ... بجنب من عاديته طرفا

ومر مع شيخه أبي العباس المقري بالمرجة ذات الشرفين فلما تجاوزا صدر الباز والمقري بينه وبين أخيه خاطب المقري **مرتجلا** بهذه الأبيات

بالمرج ما أشبهنا يا بدر ... نحن الجناحان وأنت الصدر

والبحر قد شاكلنا يا در ... أطرافه نحن وأنت البحر

والأفق مولاي وفيه الزهر ... والشمس تحتاط به والبدر

ودمت في الدهر وأنت الدهر ... إليه ينقاد الدجا والفجر

وأرسل إليه الشيخ إبراهيم الأكرمي قصيدة يمدحه بها فبعث إليه شيئا من الملبوس وألحقه بهذه الأبيات وهي

ألبستنا حلل الثناء فزنتنا ... بملابس ما شانها الأخلاق

حكت الرياض غضاضة ونضارة ... فكأنها لك في البها أخلاق

فاقبل لخلك حلة خيطت لها ... من ودك الأردان والأطواق

واعذر لقلتها فإن عرائس ... الآداب عندي ما لهن صداق." (١)

"وله من أخرى في معناه أيضاً:

فلئنْ حَيِيتُ ولم أمُتْ من بعده ... فلقد أَلِفتُ الحُزن حتّى أُحشَرا

لِمَ لا وقد قصَدَ الزمانُ بصَرفِهِ ... جَبلَ العلوم وكهفها والمَخْبرا؟

فإليه مِنّي بالسلام تحيةٌ ... يَغدو إليه نَسيمُها متعطِّرا

لَهْفي عليك أبن المُحسَّد والقَنا ... تأبى طِعانَك خِفةً أنْ تقصُرا

لَهْفي عليك وقد سقطْتَ مكسَّراً ... من بعد رَدِّك للوشيج مُكسَّرا

أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن المُطَرِّز

عريق نسب الفضل بالعراق، ومُنتهٍ من نوعٍ قِسِيِّه إلى حدّ الإغراق.

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٩٩/٣

وكتاب تتمة اليتيمة مطرز بشعر ابن المطرز هذا، غير أني أسندتُ إليه مُلَحاً لم يسعني التقصير في حقّها والتفريط في جَنبها. أنشدني الشيخ أبو محمد الحمداني قال: أنشدني الشريف أبو حربٍ بن الدَّينوري النسّابة قال: أنشدني ابن المطرّز لنفسه:

سقى الله من جَرعاء مالك منزلاً ... وجدنا به سهلَ به سهلَ العَزاء مَنيعا

ويومَ حَملنا للوِداع صُبابةً ... من الدمع حالتُ في الخُدود نَجيعا

وقد واعدتني أمُّ عمرٍو عِناقَها ... فلمّا رأتني في يديه صَريعا

بكتْ بين أترابٍ لها وعوادلٍ ... فما بَرِحتْ حتّى بكَين جميعا

وله أيضاً:

بسعيكَ في ظلمي وخوضِكَ في دمي ... وبُعدكَ من وَصلي وقُربك من قلبي

هبِ العفوَ لي إنْ كان جُرماً عملتُهُ ... وإنْ كنتُ مظلوماً، وذنبُ الهوى ذَنبي

ولم أعترفْ أنّي جَنيتُ وإنما ... يُصانَعُ بالإقرار من ألَم الضَّربِ

وعندي شِكاياتٌ إذا شئتَ أقبلتْ ... إليكَ تَضامينَ الرسائل والكُتْبِ

تَباريحُ شوقٍ يحبسُ الركبَ بثُّهُ ... وشَكوى تذود الخامسات عن الشرب

رضيتُ بعفوٍ منكَ لا عن جريرةٍ ... فسُخطكَ شيءٌ لا يلينُ له جَنْبي

فحسبكَ ما استوليتَ منّي ففُزْ به ... فإنّ الذي بي منك من لوعةٍ حَسبي

وأنشدني الشيخ أبو محمد أيضاً قال: أنشدني الأديب أبو شجاع فارس بن الحسين له:

ءسى طيف الملمّة بالنعيم ... يُلِمُّ بنا على العهد القديم

أرقْتُ له أماطل فيه هماً ... يُلازمني ملازمةَ الغريم

لعلّ خيالَ ذاتِ الخالِ يَسري ... فينْقَعَ غلَّةَ النِّضْوِ السقيم

وكيف ينام عشقٌ تغلبيٌّ ... تُؤَرِّقُهُ ظباء بني تَميم؟

قلت: هذا لعَمري هو الشعر الذي ورد دجلةٍ فارتوى من زُلالها، وروَّح بشمال بغداد فرفَل في سِربالها، واستعاد الصحّة من اعتلالها.

أبو الحسن أحمد بن علي البَتّيُّ

أمره بهاء الدولة أن يعمل أبياتاً تكتبها بعض الجواري على تِكّة أَبريشم وهي قفل باب اللذة، فقال **مرتجلاً:**

لِمَ لا أتيهُ ومضجعي ... بين الرَّوادف والحُضور

وإذا نُسجتُ فإنني ... بين الترائب والنُّحور؟

ولقد نشأتُ صغيرةً ... بأكفِّ ربّات الخُدور

وهذا من أحسن ما قيل في هذا المعنى. وأنشدني القاضي أبو جعفر البحاثي قال: كتب بعض الفضلاء بيتين على تِكّةٍ أهداها إلى معشوق له، ولم أسمع بأملحَ م نهما وهما:

هيَ والله بين قطعٍ وحَلٍّ ... وإليكَ الخيارُ إما وإمّا

ثم لا بد أنْ يَدمّى غزال ... وبنفسي ذاك الغزال المُدمّى

صَدَقَة بن أحمد الضَّريرُ

أنشدني الشيخ أبو محمد الحمداني قال: أنشدني الرئيس أبو المعالي محمد بن عبد الله له يرثي بعض الأمراء:

يا أميراً عليه يح ... سنُ ضربُ الدبادب

حَمَلوا نعشَك المكَرْ ... زَمَ فوقَ المَناكب

كان من حقِّ نعشكَ ال ... حملُ فوقَ الحواجب

أبو القاسم عمر بن أحمد الخلاّل

أنشدني الشيخ أبو محمد قال: أنشدني الرئيس أبو المكارم هبة الله بن الحسين له:." (١)

"فليجب دعوة هذه المسكينة من تحت خِناقها. وليمُنّ عليها بفكِّ وَثاقها متصدّقاً علينا مع ذلك بفضَلات خُطواته المَيْمونة الكريمة، وموفِّراً على مُعدِمنا الحريّ بعواطف شفقتِه، الموفورة العميمة، عالياً في ذلك يده على الأيدي، وافياً يده في الأيادي، لا عدمنا كافّة تلامذته، سيداً نقترح على سيادته، ولا عدمتُ، أنا خصوصاً، نعمتي ببقائه، وبما منحتُه من بركة صفائه، آمين ربّ العالمين. وكتب فيها: ليس في البيت سوى البيت وخُوَيْدِمَهُ أنا، والغوّاص الشاعر. وكتب الغواص إليه بهذه الأرجوزة:

خادمُهُ غُلامُه غوّاصُهُ ... مَنْ بتمام وُدِّه إخلاصُهُ

يُهدي سلاماً خالصاً مُصاصُهُ

أبو بشر مأمون بن علي

بن إبراهيم الخوارزميّ

رأيت هذا الفاضل، فوجدته سمْح البديهة، ألدّ الحجاج، حادّ المزاج. فممّا أنشدني لنفسه قوله:

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص/٥٠

تكلّفتُ كِتماني هَواكَ فلم أُطِقْ ... ولم يَستقِمْ للنفس ما قد تكلّفتْ

شَفَ نِيَ أنْ أفشيتُ سِرّكَ في الهوى ... كذلكَ أسرار الهوى إنْ فَشَتْ شَفَتْ

وأنشدني لنفسه أيضاً:

يا مُبطِلاً فِعلَ الجميلِ بمِنّةٍ ... أسخطْتَني من بعد ما أرضيْتَني

يل ليتَ كفَّك لم تسامحْني به ... أوْلَيتني جانبنُ ما أوليتني

وأنشدني الشيخ أبو عامر له في تهنئة بعض أصدقائه بالزفاف:

بَدرُ دُجىً أَصْحبوه شمسَ ضُحىً ... باركَ ربُّ السماء فيها لهْ

ضمّهما هالةُ الوِصالِ معاً ... يا مَن رأى النَّيّريْن في هالَه

وأنشدني الشيخ أبو عامر: حضرني هذا الخوارزميّ فقال **مرتجلاً**:

ومَجلسٍ عالمٍ عَلَمٍ ... يُقرّ بنوره العَينا

تبرّكْنا بزَوْرتِهِ ... وأدَّيْنا بها الدَّينا

أبو النُّجح مُقالد بن عبد الكريم

الفقيهيّ الخوارزميّ

قال يمدح الإمام اللوكريّ:

أقصرْ فقد أفرطتَ في استغوائِهِ ... ومزْجتَ ماءَ جُفونه بدِمائهِ

وأطلتَ ما بين الطُّلول بُكاءهُ ... حتى بكتْ تلك الرُّبا لبكائهِ

ووقفتَهُ وقفَ الإمام محمد ... خَطَراتِ همّته على عَليائه

فالغيثُ يُهوى أن يكون نَظيره ... عوناً وليس الغيثُ من نُظرائه

والليثُ يُرضى أن يكون كِفاءهُ ... بأساً، وليس الليث من أكفائه

ومنها:

عِشْ ألفَ عامٍ للوفاء وقلّما ... سادَ امرؤٌ إلاّ بحفظِ وفائِهِ

لًصَلاحِ فاسِدِه وشَعْبِ صُدوعهِ ... وبَيانَ مُشكلهِ وكشفِ غطائه

علي بن أحمد الحكيميّ البديهيّ

الملقّب بنقيب الشعراء، وخوارَزميّ، حافظٌ للغة، عالمٌ بها. أفادني شعره الشيخ أبو الفضل الخِيريّ، فألحقته بمكانه، وتمتّعتُ بشَميم ورد قطفتُه من أغصانه. قال يهنئ بعض أصدقائه بالنيروز:

قولُ النبيّ، وحق الله، فد صَدَقا ... ووافَقَ العاشقُ المعشوقَ فاعتنقا

فعاطِني قَهوةً صهباء صافيةً ... بها تَطابَرَ عن قلبي الهوى شِقَقا

من كفِّ ساقٍ إذا ما جاءنا فسقى ... دعا إلى حُبّه أهواءَ مَن فَسقا

الأديب أبو الفضل شاهُ بن إبراهيم

بن نصر الكاثيّ

المقيم ببُخارا. كتب إلى الفقيه الشامي الخوارزمي

على مجلس الشيخِ الجليل سَلامي ... فقد طالَ شوقي نحوَهُ وغرامي

أحِنُّ إليهِ كلّ يومٍ وليلةٍ ... وأشكو فِراقاً قد أذابَ عظامي

إذا نشأتْ من نَحوِ خوارزم مُزنةٌ ... تَداويتُ من وجدي بماء غَمامي

وله من قصيدة أيضاً:

إذا عَضَّ ناب النائباتِ أجارنا ... بثابتِ رأيٍ شاهِدٍ غيرِ غائبِ

فكيف تُجاريه الجِيادُ إذا جرى ... وقد ضاقَ عن مجراهُ كلُّ المذاهبِ؟

كذا فليكُنْ بالخير من كان طلبا ... يُرغّبه في الحَمد بَذْل الرغائب

وله في الإمام الموفّق رحمه الله، لما وصل إلى بخارا رسولاً من السلطان طغْرِل بك، رحمهم الله وهي:

رأيتُ بخارا كالعروس، جمالُها ... يُشوِّقُ من يلقاهُ حُسناً ويُونِقُ." (١)

"يطعن من شاء من الناس بال ... موت كطعن الرمح بالثعلب

الحاكم أبو حفص عمر بن علي المطوعي

هو وإن كان في الشعر من المقلين فليس من المخلين، لا بل أشعاره كلها نكت، وأنفاسه ملح. وفيها للفتاك نخب، وللنساك سبح. وكان، رحمة الله عليه، من أصدقاء والدي، رحمه الله، ومن الذين تدور بينهما المقارضات، وتتقارب المعارضات. وقد أدركت عصره، وحملتني جرأة الحديث على التحكك بجداره، واستبضاع الشعر إليه، تعرضاً لجوابه. فكتب إليه قافية أولها:

حل النقاب فراقه ... ثم استحل فراقه

فمال في جوابها من النظم إلى النثر، وعوضني من الثريا ببنات نعش وكان فيما كتب إلي فصلاً ملكني الإعجاب به، والتعجب منه، وهو: " وصلت القصيدة الفريدة، وصدرت بها الجريدة، وعجبت من براعة

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص/١٠٨

حسها على قصر وزنها؛ فإن الوزن القصير على الهاجس، كالمجال الضيق على الفارس " .

فما أنشدني لنفسه قوله من قصيدة، يمدح بها الشيخ الإمام الموفق، أبا محمد هبة الله بن محمد:

لله فينا الأمر والتدبير ... وصلاحنا فيما اقتضى التقدير

لم يجعل الشيخ الموفق صدرنا ... إلا وحق لمثله التصدير

سبق الأئمة والشباب بمائة ... ريان لم يسبق إليه قتير

ولقد نظرنا في الصدور فماله ... فيمن رأينا مشبه ونظير

هو نكتة الدنيا وكل كلامه ... نكت تعيدهن وهي تسير

وكتب إلى الشيخ الفقيه أبي الحسن الزاوي الخطيب:

حمدت إلهي إذ سمعت بفاضل ... جميع خصال الخير فيه محصله

خطيب إذا شاهدت آثار فضله ... شهدت بأن الباء بالراء مبدله

يعني أنه خطيب خطير. وله في الأمير مسعود بن محمود:

أرى حضرة السلطان تقضي عفاتها ... إلى روض مجد بالسماح مجود

فكم لجباه الراغبين لديه من ... مجال سجود في مجالس جود

وله فيه أيضاً:

يا ملكاً ما كان مثل له ... مذ كانت الدنيا بموجود

عليك عين الله من فاتح ... للأرض بالتوفيق معضود

طوبى لخدامك في مجلس ... مطنب بالعز معقود

في مجلس تشرق أرجاؤه ... عن فلك المشرق مسعود

من راحتاه للندى والردى ... ودهره للبأس والجود

لا زال منبث شعاع العلا ... ما عاد جري الماء في العود

وله في الأمير نصر بن ناصر الدين:

يا ملكاً حبه من الدين ... صيغ من المجد لا من الطين

يا كلفاً بالثغور يؤثرها ... على ثغور الكواعب العين

إنك من معشر إذا وصفوا ... عنت لهم أوجه السلاطين

بمنبت النبل هم، وهيبتهم ... بمنبع النيل بل إلى الصين

إن الورى ما رأوا ولا سمعوا ... كمجد نصر بن ناصر الدين

وله في الشيخ أبي نصر بن مشكان:

إذا زرنا عميد المل ... ك منصور بن مشكان

رأينا سيد الكتا ... ب من باق ومن فان

وشاهدنا سعود الده ... ر في صورة إنسان

أمين الملك الطال ... ع شمساً في خراسان

وثانيه إذا شاو ... ر في ملك وسلطان

له في الخلق والخلق ... من الرضوان روضان

وفي النظم وفي النثر ... من المرجان مرجان

وله أيضاً: في غيره:

ألا يا سيداً غلقت يداه ... لثروة معدم وليسر عان

مضى العسر الذي قاسيت فاعدل ... إلى يسرين نحوك يسرعان

وله أيضاً في الأمير أبي الفضل الميكالي:

كلام ابن ميكال الأمير بلفظه ... ينوب عن الماء الزلال لمن يظما

فنروى متى نروي بدائع نظمه ... ونظما إذا لم نرو يوماً له نظما

ولما أنشده هذين البيتين، أخذ القلم فكتب **مرتجلاً**:

يا من يعد لسانه ... أهل القريض لهم مسنا

لك خاطر لبدائع الألفاظ والمعنى مسنى

حاشا لدهرك أن يعو ... د فتيه أبداً مسنا." (١)

"وقد وزر للأمير يبغو الحسن بن موسى، والجاه عريض، وناظر الدهر عنه غضيض. وتولاها سنين متمماً به زينها، مقوماً زيفها مضموماً نشرها، ملموماً شعثها. وشبابه بعد طري لم ينقشع غمامه، والشعر مسكي لم يخلس ثغامه، وما أكثر ما أتلهف على ما فاتني من جمال أيامه، فأستقيم وأنحني، وأذكر أيام الحمى، ثم أنثني. وقد كان ارتبط لمنادمته نفراً من الفضلاء، لو بعثرت خراسان لم تجد لواحد منهم نظيراً. وما زال في ربيع زمانه غض الفضل نضيراً حتى انتبه له الدهر الوسنان، وتعاون في إراقة دمه السيف والسنان.

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص/١٥٥

واتفق أني كنت معه في قرية سداسير يوم تمحص ذنبه، واضطجع جنبه، وذلك في رجب سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، فرأيت هنالك أفواهاً إلى التقامه غراثاً، وشاهدت ما لو احتملت به لحسبته أضغاثاً. فمما أنشدني لنفسه من شعره قوله في محنته:

قالت سليمى وقد قيدت باكية ... أراك في القيد تمشي كيف أغتبط

فقلت: لا تحزني مما ابتليت به ... فالقيد والحبس للأحرار مشترط

العجل يطلق في المرعى ليأكله ... والطرف يلجم أحياناً ويرتبط

وتحبس الخمر حولاً قبل مشربها ... ويغمد السيف حيناً ثم يخترط

وعقد له مجلس أنس في دار غيره، وفي المجلس ثقيل يتزود كبد النعيم، فمنعه من إحضار معشوقته على الرسم القديم. وتلطف هو في الكناية عن إماطته بقوله:

مجلسنا طاب كما يشتهي ... حضوره الزاهد والزاهده

فلو نقصتم منكم واحداً ... لزدت في مجلسكم واحده

وأنشدني أيضاً لنفسه في معنى لم يسبق إليه:

من عاذري من عاذل قال لي ... ويحك كم تعشق يا مغرم؟

وآلم القلب ولا غرو إذ ... كل ملوم قلبه مولم

وصنعة البيت الثاني أن الملوم مؤلم القلب، بما يعانيه. فإذا قلبت صورته كان قلبه أيضاً مؤلماً، يعني مقلوبه. ونعم ما أخرج اللفظ ذا وجهين يمكن حمل المعنى عليه من نوعين. وأنشدني أيضاً لنفسه في دنان خمر مسخت خلاً:

أخيل للأحباب لما غدت ... أحبابنا ممسوخة خلا

مجالس اللهو وشرب الطلا ... عز على اللهو إذا اختلا

وكسرت بعض العجائز بين يديه جوزة بثغر مثقل، فقال **مرتجلاً**:

وعجوز لها ثغور شتات ... وهي قبر فيه عظام رفات

وبأسنانها الشتات البوالي ... تكسر الجوز أي بأني فتاة

وأتي يوماً بغصن من الصفصاف، فقال فيه **مرتجلاً**:

وخلاف أصوله ... صغن من جرم بسد

ركبت في فروعها ... قطع من زمرد

؟الشيخ أبو الحسن يوسف بن صاعد العقيلي رئيس قدره نفيس، يتحلى بشرف الأصل، كما يتحلى بالفرند متن النصل، ويجمع بين أدبي النفس والدرس، وطهارتي النشئ والغرس. وبارع في الآداب الملوكية، إذا ركب إلى الصيد لم ينج الوحوش من صيده. وإذا امتطى الباز دستبانه، انتفض شرفاً بيده. وإذا لعب بالشطرنج لم يخل لعبه من قطعة من الخشبات مغصوبةً، ولم يأل في اختراع شهمات أو ابتداع منصوبة. ثم إذا تخلص منه إلى النرد، قدر في دقائقه تقدير داود في السرد حتى كأن الكعاب تتصرف على طاعته، وتضع نفوسها بحسب إرادته. وإذا حاضر بالأدب، فلا يشتغل إلا بالتقاط الدر من ألفاظه الغر. ومن لطائف ما شاهدت من ذكاء خاطره، أني كنت عنده بجوذقان، أطالع كل صبحة من غرته قمراً زاهر اللألاء، وأهز إلي من نخلته شجراً، يجني أزاهر اللآلاء. فلما طال مكثي لديه، وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه، استأذنته في الانصراف، واليوم يوم الأحد. فتمثل بقول القائل:

وفي الأحد البناء لأن فيه ... تبدى الله في خلق السماء

فقلت: وأي مناسبة بين استئذاني للصدر عن هذا الغناء، وبين يوم الأحد وذكر البناء؟ فقال: نبني على كسرى سماء المدام، يشير إلى قول أبي نواس:

بنينا على كسرى سماء مدامة ... مكللة حافاتها بنجوم

فتعجبت من جمعه بين معنيين متنافرين بهذا الاستنباط اللطيف، واحتياله في ارتباطي ذلك اليوم بالعذر الظريف. ومما جاد به طبعه، وجاش به بحره قوله، وكتب به إلى والدي، رحمهما الله، ثم اتفق له إيصاله إليه من يده:

إن كنت أسكن جوذقان ومنشأي ... تلك البقاع وكلها جنات." (١)

"مرتجلا: إمام غدا فردا فعاد مفردا * عن الاهل في خفض الزمان ورفعه أحب الاله الوتر وهو حبيبه * فصيره وترا شفيعا لشفعه سمعت أبا غانم المهذب بن الحسين بن محمد بن زينة بأصبهان يقول: توفي عبيد الله ابن الخجندي في جمادي الاولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة.

٣٦٩ - عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات (١): كان والده وزيرا للمعتصم وقد ذكر الخطيب أخويه عمر وهارون ابني محمد بن عبد الملك في التاريخ كان عبيد الله هذا أديبا فاضلا له نظم حسن.

أخبرنا عبد العزيز بن محمود الحافظ قال: أنبأنا الحسين بن علي الكوفي أنبأنا المبارك بن عبد الجبار بن أحمد أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي البيع أنبأنا إبراهيم بن مخلد بن جعفر أنبأنا أبو الفرج علي بن الحسين

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص/٢٠٠

الاصبهاني قال: جنى الخادم غلام سليمان بن وهب كان من أحسن الناس وجها وغناء وفيه يقول عبيد الله بن محمد ابن عبد الملك الزيات: غناؤك (يا) جني وانكاس بكرة * يشبان (بي) (٢) نار الهوى تتوقد على كبدي من حب من صار حبه * مكان دمي بين الحشا يتردد قالوا إلى كم يمنح الود مخلفا * فقلت كفاني منه قول وموعد ٣٧٠ - عبيد الله بن محمد بن عبيد بن عبد مسيح: أبو عمر العطار: حدث عن أبي بكر القاسم بن إبراهيم الصفار القنطري وأبي محمد المنتصر بن تميم ابن المنتصر وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني وأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الحوزي وأبي العباس أحمد بن علي الابار روى عنه أبو عبد الله عبيد الله بن

---

(١) في (ب) (ج): (بن الزيات).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من الاصل.

(*)."(١)

"مجلس الوعظ بالمدرسة التاجية.

أنشدني أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن هبة الله القزويني بأصبهان أنشد والدي ببغداد على المنبر في اللمدرسة التاجية مرتجلا لنفسه وقد دنت الشمس للغروب وكان ساعته قد شرع في ذكر مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا تعجلي يا شمس حتى تنتهي * فضلا لمدح المرتضي ولنجله (١) يثني عنانك إن غربت ثناؤه * أنسيت يومك إذ (٢) رددت لاجله إن كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله (٣) ولرجله ذكر لي أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله أن والده توفي بشيراز في النصف من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وأن مولده كان تقديرا سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.

٣٩٠ - عبيد الله بن هبة الله بن الاصباغي أبو غالب الكاتب الملقب بتاج الرؤساء: ناب في ديوان الزمام بعد عزل أبي علي بن صدقة إلى النظر بديوان الزمام في سنة اثنتين وخمسمائة وجعل أبو غالب مشرفا عليه وكان أديبا فاضلا شاعرا مليح الشعر ظريفا سمع من أبي منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكبري وغيره روى عنه أبو العز أحمد بن عبيد الله بن كادش وأبو الفضل محمد بن محمد بن محمد (٤) بن عطاف الموصلي وأبو الحسن سعد الله بن محمد بن (علي) (٥) بن طاهر الدقاق.

أنبأنا أبو القاسم سعيد بن محمد بن عطاف عن أبيه قال: حدثنا تاج الرؤساء أبو غالب بن الاصباغي قال:

---

(١) ذيل تاريخ بغداد، ٩٣/٢

حدثني الرئيس أبو طاهر بن الشاطر أنه حضر عند الرئيس أبي القاسم بن علي بن الجراح وقد حضر عنده جماعة من الصبية ليسمعوا

---

(١) في النسخ: (لنحله) و (٢) في الجواهر: (يوما قد).

(٣) في الاصول، (الوقت بخيله).

(٤) (بن محمد) ساقطة من (ب).

(٥) ما بين المعقوفتين بياض بالاصل (ج).

(*)."(١)

"السلامي بها بالجانب الشرقي، انبانا خالي أبو العز احمد بن عبيد الله (١) بن كادش، انبانا أبو غالب محمد بن علي بن الفتح العشاري اذنا، انبانا علي بن الحسن بن سكينة الانماطي، حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم بن مهدي الناقد، حدثنا علي بن احمد بن ابي قيس، حدثنا ابن ابي الدنيا حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي (٢)، حدثني موسى ابن ابراهيم بن بشير الانصاري، حدثنا طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ص): " افضل الدعاء لا اله الا الله، وافضل الذكر الحمد لله " (٣).

كذا كان في اصل ابن صصري " خالي أبو العز " والذي رايته بخط ابي محمد بن الخشاب في اصل سماعه من ابن كادش " سبط الشيخ ابي العز بن كادش " وهو الصحيح.

وانشدنا أبو محمد عبيد الله بن المبارك بن احمد قال: انشدني عمي أبو الحسن علي ابن احمد بن احمد لنفسه: يا زمانا خلا من الناس واستأ * صل بالقاح شافة الاحرار ليتني مت إذا حللت بواديك * فقد عيل من اذاك اصطباري حسبي الله لا سواه فما ابعد * خيرا يرجى من الاشرار انشدني أبو محمد الحسن بن ابي الفتح بن ابي النجم بن (٤) وزير الواسطي قال: انشد قبلة الادب قول ابي نواس: رشا لو لا ملاحته * خلت الدنيا من الفتن ما (٥) بدا الا استرق له * حسنه عبدا لا ثمن وقيل له آخر فقال في الحال مرتجلا: وجنتاه في احمرارها * حكت وردا على غصن انا ميت في محبته * غير ان الروح في بدني

---

(١) في (ج): " عبد الله ".

(٢) في النسخ: " الحرامي ".

---

(١) ذيل تاريخ بغداد، ١٠٨/٢

(٣) انظر الحديث في: اتحاف السادة ٩ / ٤٩.

وكنز العمال ٣٨٣٥.

والشكر ٥٠.

(٤) في الاصل: " ابى الضم من ".

(٥) في الاصل: " مد ".

(*)."(١)

"فضل اليد الطولى والقدم الراسخ إلى ان قال كان ممن قرأ القرآن بالحروف وازدحم الناس على القراءة عليه والفوز بما لديه وطلب الحديث قديما ولم يزل لذلك مديما وللسنة النبوية خديما حتى لقد سمعت بقراءته بدمشق على ابن مؤمن وابن الواسطي قطعة كبيرة من المعجم الكبير لابي القاسم الطبراني وربما قرأت عليه وعلى ابن الواسطي شيئا مما

اشتركا فيه من الروايات العراقيات عن عمر بن كرم والسهروردي وأمثالهما ثم قال ولم يرزق في سماعه القديم حصولا على الغرض ولا ولا وصولا إلى العالي بطريق العرض ومع ذلك فكانت عنده فوائد غريبة ومرويات من العوالي كثيرة إلى ان قال: وكان في التذكير مقدما وبالمواعظ الحسنة معلما تنسلي إليه معاني الادب في مواعظه وغيرها من كل حدب سجية عراقية تمازج النسيم وتعطر اسحارها من اشجارها على كل شميم يرتجلها كيف يشاء ولا يؤجل الاشياء ناولته يوما استدعاء اجازة ليكتب عليه فكتب **مرتجلا**: أجزت لهم رواية كل شئ * سماعا كان لي أو مستجازا وما نوولته ايضا إذا ما * توخوا في روايته اجتزازا وما قد قلته نظما ونثرا * فقد اضحى الجميع لهم مجازا وكان رحمه الله تعالى كبير الايثار لا يبقى معه درهم ولا دينار، بلغني ان تاجرا يعرف بابن السويقي كان يبعث إليه كل عام ألف دينار فيفرقها في ايسر زمان وينفقها قبل ان تستقر في الفقراء والاخوان إلى ان قال: ولم يزل على منهاج ليس له من هاج حتى مضى لسبيله وقضى ولم." (٢)

"وإني من هذا أولئك ناظر ... بياض العطايا في سواد المطالب

وللمترجم معا رضا أبيات الشاب الظريف بقوله

يا أحكم الناس أسيافا وأسبقهم ... في مهجة الصب فتكادونه الأجل

---

(١) ذيل تاريخ بغداد، ٢٠/٣

(٢) ذيل تذكرة الحفاظ، ص/٨٧

وأنور الوجه في الديجور من قمر ... تحت الأكاليل مسبول ومنسدل

ما السحر ألعب في الألباب من حدق ... دار الشمول بها من طرفك الكحل

كلا ولا البرق للأبصار أخطف من ... شقائق الحدان وافى بك الخجل

من نظم ثغرك وهو الدر مبتسم ... خمر يزيدك فيه الشهد والعسل

في فترة الحسن من لحظيك قد فتكت ... بواتر الطرف أم من قدك الأسل

ومذ تمادت بنا الآجال واختلفت ... عقائد القوم من للحب قد جهلوا

جاءت تجدد أحكاما لدولته ... في ملة العشق من أصداغك الرسل

لم يدر ما الصحو مذ بانت ركائبكم ... صريع جفن لأرباب الهوى ثمل

استودع الله قلبا سار مرتحلا ... بالخرد الغيد ما ذا السهل والجبل

وأبيات الظريف هي هذه

يا اقتل الناس ألحاظا وأعذبهم ... ريقا متى كان فيك الصاب والعسل

في صحن خدك وهي الشمس مشرقة ... ورد يزيدك فيه الراح والخجل

ايمان حبك في قلبي يجدده ... من خدك الكتب أو من لحظك الرسل

إن كنت تنكر إني عبد دولتكم ... مرني بما شئت آتيه وأمتثل

لو أطلعت على قلبي وجدت به ... من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

وللمترجم

ورد العذار مياه حسن خدوده ... ورأى نعيما خالدا فأقاما

وتلا عليه خاله من جيده ... إني اتخذتك للجمال اماما

وله في القبله نامه وأجاد

عوضت عن قبلة إذ راح يشبهها ... خفوق قلب شجاني أنت قبلته

لا يستقر مدا الساعات منزعجا ... ولا لغيرك لم يعهد تلفته

ومذ حكاها ولم تحكيه ملتفتا ... اليك وجهتها كيما تشابهه

وكان المترجم جالس في بعض الحوانيت في دمشق فمر أحد الأعيان فقام المترجم تعظيما له كيما يسلم عليه فلم يلتفت نحوه ومر فاغتاظ من ذلك وأنشد مرتجلا

وليس لعير الشيخ إذ مر معجبا ... وقوفي توقيرا لرفعة شأنه

ولكنني أخشى يمزق شوكه ... ثيابي ولم أشعر لسلب عنانه

وله قوله

أسامر عشقا من خلائقه القتل ... وحيدا ولا وعد هناك ولا مطل

وأصبح ظمآنا وقد عقر الظمأ ... فؤادي ولا وبل يبل ولا طل

وكم أخصبت سحب الأماني مطامعي ... مجازا ويوميها من الوابل المحل

ورب عذول فيه أشقى مسامعي ... بعذل فيالله ما صنع العذل

أقول له والطرف يقذف مهجتي ... دموعا لها من كل ناحية هطل

وبي من غرام لو تجسم بعضه ... ومر بأهل الأرض لأفتتن الكل

ترقى إلى قلبي بكل دقيقه ... جميع هوى العشاق وانقطع الحبل

وكانت وفاته في سنة ثمان عشرة ومائة وألف ودفن بتربة مسجد التاريخ في ميدان الحصار عن أولادهم وهم الشيخ أحمد الذي جلس بعده مكانه خليفة والشيخ حسن والشيخ إبراهيم رحمهم الله تعالى.

عبد الرحمن بن عبد الرزاق." (١)

"وحبانا حسب المنى بأعا ... ليه وآداب فضله المستباحه

وأقر العيون منا بما من ... غض آدابه أجاد اقتراحه

يا أمين الكمال وابن ذوي الف ... ضل وخدن العلي ورب الفصاحه

لا عد منا الوفاء منك بأوفى ... صدق عهد يجدي إلى نجاحه

فأجب داعيا إلى منزل الق ... صف صباحا لكي تنال رياحه

مسعدا حظه ببشر ولطف ... بهما الصدر راح يلقي انشراحه

وابق سلما خديمك السعد ... ما أسعد خل إلى الخليل صباحه

فأجابه في طلبه الأمين مرتجلا

أسعد الله من تكون صباحه ... فمحياك للصباح صباحه

بأبي أنت رائشا لجناحي ... في زمان عدمت فيه نجاحه

كان قدما جواد حظي جموحا ... فلأنت الذي ألنت جماحه

قد أتتني أبياتك الغر تختال ... وقد أوتيت جميع الملاحه

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٣٣٨/١

مبدعات لا يبرح الطرف عنها ... فهي قيد النواظر اللماحه
كل لفظ منها كوسطى نظام ... زين العقد منه جيد الفصاحة
قد دعتني إلى اقتسام عهود ... أنا منها في غبطة وارتياحه
ألف سمع وطاعة ولك الأمر ... الذي ما برحت أرجو نجاحه
وأبق وأسلم على المدا لمحب ... لك يدعو غدوه ورواحه

وعزم يوما على التنزه في حديقة أتخذها مألف نشاطه ومحل أنسه وانبساطه فكتب إلى الأمين أيضا يستدعيه اليها مألف محل الألفة

نتفداك مستماح الوداد ... ثابتا في حفاظه كوداي
مستباح الجني وطلق المحيا ... ذا جنان رحب وبشر بادي
يا كريما خصاله تجذب الآما ... ل طبعا لفضله المستجاد
أثمد للعيون بشر محيا ... ك فكن مفضلا بذاك مهادي
وأجب مسعدا بلقياك داع ... شفه الشوق فهو بالمرصاد
وأبق سلما ممتعا بأمانيك ... على رغم معطس الحساد
ما تداعت إلى التداني أمان ... من مشوق أشواقه في ازدياد

وللمترجم

ما لقلبي عن الغرام براح ... إذ هوى من أحب زاد وراح
فعسى العاذل المفند يصغي ... ليريح المشوق بل يرتاح
من تسليه ليس يرجي فإني ... فيه يجدي من العذول اقتراح
والتسلي دون التملي لأمر ... من عميد وما سواه جناح
كيف يرجي سلوه وهو جسم ... والهوى الروح والحبيب النجاح
جل من الهم العظيم تسليه ... وفيه إلى الرضاع ارتياح
ويح من كامن الهوى بين جنبيه ... مقيم ومنه تندي الجراح
حيث دون المنى فياف وبيد ... وهو يصبو وما لديه جناح
يا أخلاي إن وجدي لعذري ... لجلي فخري به الافتضاح
وبه همتي لتنمو وتسمو ... حيث صدري عراه منه انشراح

سائلي عن جلي وجدي وعما ... فيه فخري ما كل وجد رباح

إنما الوجد ما حمدت به سيرك ... فيه إذا أتاك الصباح

فالمحبون في المحبة شتى ... كل قلب بما حوى نضاح

فمعنى بمغنطيس جمال ... ومحب مرامه الأشباح

فحليف الهوى هواه هوان ... وأخو الوجد وجده مصباح

جل من أشغل القلوب بما أو ... دعها وهو بالمنى مناح

حسب ما شاء كل حزب اليهم ... صاح مغري بشامة مقداح

الطرف بسكون الطاء العين لا يثنى ويجمع والطرف محركة الناحية جمعه الأطراف شفاء الغليل فأطراف بقصد الجمع للطرف العيِن مولد

كان من قلبه المحبة حلت ... عنه ولت من الخصال الشحاح

وبدا روح أنسه لمحبيه ... وبالروح تجذب الأرواح

إن من هام بالجمال سعيد ... ونجاح غدوه والرواح

وقال رحمه الله تعالى

وذاكر شاقني منه تواجده ... والليل داج فضل الرشد واجده." (١)

"وقد اتفق في مجلس بعض الأعيان أن دعى إليه صاحب الترجمة وكان به المولى علي بن إبراهيم العمادي والسيد الشريف عبد الكريم الشهير بابن حمزة وغيرهما فسقطت ثريا القناديل في ذلك المجلس فقال المترجم مرتجلا

لله مجتمع كواكبه ... تلك الوجوه وضيئة الحلك

حتى النجوم هوت له كلفا ... بنظامها من قبة الفلك

وقال

وليس سقوط الثريا لدى ... ندي الموالي من المنكرات

فإن الشموس إذا أسفرت ... فلاحظ للأنجم النيرات

وقال السيد عبد الكريم المذكور في ذلك

مجلس ضم شملنا بانسجام ... كالثريا وحبذا الانسجام

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤٢٣/١

نظمتنا يد العناية عقدا ... سلكه الود لأعراه انفصام

والعمادي منه وسطاه والوس ... طى لها الصدر منزل ومقام

فأدرنا من الحديث كؤسا ... سكرت من مدامها الافهام

ونعمنا بالا وروحا وسمعا ... ولدينا للنيرات ازدحام

بينما نحن من ثرياه عجب ... وبها الزهر زانه الانتظام

إذ تداعت من أفقه وهي خجلى ... إذ حكتنا وفاتها ما يرام

ولصاحب الترجمة يرثى بعض الأعيان وقد حبس ثم قتل

أسفي على بحر النوال ومن له ... بأس الملوك وعفة الزهاد

لو أن بعض صفاته اقتسم الورى ... لرأيت أدناهم كذي الأعواد

لم يجن ذنبا غير أن زمانه ... قد فوض الأحكام للحساد

هابوه وهو مقيد في سجنه ... وكذا السيوف تهاب في الأغماد

ذهب السرور بفقده فكأنما ... أرواحنا غضبى على الأجساد

يا ثالث الحسنين عاجلك الردى ... والحتف قد يسري إلى الأطواد

لك بالكواكب والسحائب أسوة ... فاذهب كما ذهب السحاب الغادي

وذيل على البيتين الأولين وأرسل ذلك إلى بعض المعزولين عن مناصبهم فقال

إن الأمير هو الذي ... أضحى أميرا يوم عزله

إن زال سلطان الولا ... ية لم يزل سلطان عدله

والسيف عند الاحتيا ... ج إليه يعرف فضل نصله

والحق ينفر تارة ... ويعود معتذر الأهله

والبدر يرجع ثانيا ... بعد الغروب إلى محله

والعقد يثر كي ين ... ظم ثانيا جمعا لشمله

والخلد موعد آدم ... سيعودها أيضا بأهله

لكن يكون مخلدا ... والشيء مرجعه لأصله

لا بأس من كرم الكري ... م فثق برحمته وفضله

وله أيضا

ومقرطق لولا جفون جفونه ... خلنا دم الوجنات من ألحاظه
وتكاد تقرأ من صفاء خدوده ... ما مر تحت الخد من ألفاظه
وله غير ذلك من النظام والنثار المزري بكاسات العقار وكانت وفاته في ثامن عشر جمادي الأولى سنة احدى عشرة ومائة وألف ودفن بتربة الذهبية من مرج الدحداح قبالة قبر العارف أبي شامة وكثر الأسف عليه وقامت عند الأدباء مآتمه فرثى بالقصائد العديدة منها ما قاله الشيخ صادق أفندي الخراط من قصيدة مطلعها

هذا المصاب الذي كنا نحاذره ... القلب من هو له شقت مرائره
بئس الصباح صباح البين لا طلعت ... شموسه بل ولا لاحت بشائره
أهدى لنا جمل الأكدار مطلقة ... فلا رعى الله ما أهدت بوادره

وهي طويلة جدا وترجمه الأمين حقيقة بالتدوين وفي هذا القدر كفاية لأهل الدراية.
محمد بن الطيب." (١)

"ابن أسعد بن يحيى بن أبي الصفا بن أحمد المعروف كأسلافه بالمحاسني الحنفي الدمشقي أحد الشيوخ الأعلام الذين ازدهت بهم دمشق الشام كان عالما محققا غواصا متضلعا فاضلا علامة فقيها له في العلوم والفنون اطلاع تام سيما الفقه والمعاني والبيان والأدب إماما هماما موردا سندا عارفا بارعا أديبا على قدم محمدي في الصلاح ملازما للتقوى والاقراء والافادة ولد بدمشق وبها نشأ واشتغل بالقراءة والأخذ عن الشيوخ فقرأ على الشيخ أبي المواهب الحنبلي والأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي والشيخ عبد الرحيم الكابلي الهندي نزيل دمشق والشيخ محمد الكاملي وعلى والده العالم الصالح الشيخ علي الكاملي وعلى والده الشيخ أسعد المحاسني والشيخ الياس الكردي وغير هؤلاء من أقرانهم ومهر بالعلوم وأحرز منطوقها والمفهوم وتصدى للاقراء والدروس ولازمته الطلبة واشتهر فضله ونبله وكان يقرأ في الجامع الأموي صبيحة غالب الجمعة بالقرب من الحصور عليه السلام حذاء المقصورة ويوم السبت يقرئ في المدرسة الفتحية في البخارى ويوم الاثنين في العمرية بالصالحية وكان في عنفوان شبابه ذهب للديار الرومية إلى قسطنطينية فلم يبلغ أمانيه بل شتمه بعض الجهال فأداه ذلك إلى اختلال عقله وحجاه وعاد إلى وطنه في هذه الحالة ثم ظهرت فيه بعد صدور ذلك لكنه في لسانه وكان شيخه الشيخ الياس نهاه عن الذهاب وقال له المقصود يحصل في هذه الدار وكان مع ذلك عجيب التقرير لم ير نظيره في الانتقالات عند الدرس إلى

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ١١٩/٢

علوم شتى وقد كان بذلك فريد عصره وأقرانه وأعطى رتبة الخارج المتعارفة بين الموالي ونظم متن التنوير في الفقه ثم شرحه ونظم أيضا متن التلخيص في المعاني ثم شرحه وكلا الكتابين مفيدان وبعد أن قدم من الروم حصلت له معيشة جزئية وكان إذا جلس لديه غلام لا ينظر إليه ولا يقربه زهدا منه وكان يقرأ بين العشاءين الجامع الصغير وكان ينظم الشعر فمن ذلك ما قاله مجيبا الشيخ سعدي العمري عن أبيات أرسلها إليه بقوله

حلت محل سواد العين والحور ... هيفاء تلعب بالألباب والفكر

ذات الوشاح التي أضحت فرائده ... ما قد حوى ثغرها من خالص الدرر

وغازلتنا فعدنا من لطائفها ... نجني معارف حاكت يانع الثمر

في روض أنس وثغر الزهر مبتسم ... وقد أمنا به من مظهر الغير

والريح تعبث بالأغصان مذ صدحت ... ورق الرياض بنشر طيب عطر

تحكي لطافة مولانا وسيدنا ... من فاق أهل العلا بالمنظر النضر

خليلنا الفاضل النحرير من لمعت ... أنوار فكرته في مبدا النظر

فتى القريض قوافيه إليه أتت ... تجر أذيالها بالتيه والخفر

وتطلب العفو من مولى عوائده ... جلت عن العد والاحصا بمنحصر

منها

إن خط الطرس خلت الدر قد نظمت ... أفراده وغدا بالوشى كالحبر

وفي الأصول هو النجم الذي هديت ... به الأفاضل في بدو وفي حضر

والعذر ان هموما طاردت فكري ... فأطول الليل عندي غاية القصر

ودم بأوفر عيش كلما صدحت ... حمامة في ظلال الدوح ذي الزهر

وقد انتقد على المترجم في شعره فأجاب الشيخ سعدي المذكور **ومرتجلا** بقوله

وذي حسد قد عاب شعرك قائلا ... به ركة حاشاه من طعن طاعن

فقلت له دع ما ادعيت فإنما ... لحظت من الأبيات بيت المحاسن

وفي المعنى أنشد ممتدحا بني محاسن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزي مفتي الشافعية بدمشق بقوله

إذا افتخر الأنام بأرض شام ... وعدوا دورها في المساكن

أقول مفاخرا قولا بديعا ... محاسن شامنا بيت المحاسن

قلت وخرج منهم علماء ورؤساء وخطباء وجدهم من جهة الأمهات عالم وقته الشيخ حسن بن محمد البوريني الدمشقي المتوفي في ثالث عشر جمادي الأولى سنة أربع وعشرين وألف وكان عالما متضلعا متطلعا فرد وقته في الفنون كلها وألف التآليف البديعة كحاشية البيضاوي والحاشية على كتاب المطول وشرح ديوان ابن الفارض وغير ذلك ولصاحب الترجمة مخمسا بيتي الإمام السنوسي بقوله." (١)

"إن شئت أن تلقى الغنى والمنى

عج بإمام من بني هاشم

فقل إذ لاح سنا قصره

يا نوق هذا نوره هاشمي

قال ابن القطيعي: أنشدته هذه الأبيات:

من لم يعدك إذ مرضت

فلا تعده ولا كرامة

فإن الإله أماته

فقد استرحت من الملامة

وإن الإله أقامه

فالعذر تهنيك السلامة

فقال مرتجلا:

وأنا على هذا أكون

مدى الحياة إلى القيامة

حدث بالكثير ببغداد وواسط والموصل. وسمع منه خلق. وروى عنه: الدبيثي، النجار، والنجيب الحراني، وأخوه عبد العزيز.

وتوفي يوم الأربعاء خامس عشر من ربيع الأول إحدى وستمائة. ونودي له بجميع محال بغداد، فاجتمع له الناس من الغد، فصلى عليه بجامع السلطان. ودفن بباب حرب.

أخبرنا أبو الفتح الميدومي أخبرنا أبو الفرج الحراني أخبرنا أبو نصر بن الدجاجي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن محمد بن غيرة أخبرنا أبو الفرج محمد بن أحمد بن علان أخبرنا أبو عبد الله بن عبد الله

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٢/٢٠٤

النهرواني حدثنا محمد بن جعفر بن رباح الأشجعي حدثنا علي بن المنفر الطريفي حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا أبي عن أبي حازم أبي هريرة قال: "ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله النميري الحراني الفقيه الواعظ، أبو محمد:

ويلقب نجم الدين. من أهل حران، رحل إلى بغداد في صباه سنة ثمان وسبعين لطلب العلم. فسمع من أبي الفتح بن شاتيل، وأبي السعادات القزاز، وغيرهما.

وتفقه على أبي الفتح بن المنى، حتى حصل طرفا صالحا من المذهب والخلاف. ثم عاد إلى حران. ثم قدم بغداد مرة أخرى سنة ست وتسعين ومعه ولداه: النجيب عبد اللطيف، والعز عبد العزيز، فسمع، وأسمعهما الكثير. وقرأ على الشيوخ. وكتب وحصل وناظر في مجالس الفقهاء، وحلق المناظرين، ودرس وأفاد الطلبة، واستوطن بغداد، وعقد بها مجلس الوعظ بعدة أماكن.." (١)

"للّه ظبي سر بهيزهو به في المحفلقنص الأسود بقالبٍ

قيد الأوابد هيكليوله الجواري المنشئآتجوى الحشاشة للخلي

من كل بكرٍ لحظهايسطو بحد الفصيلمشتاقها من ثغرها

وأثيثها في مشكلما قال في ظلمائهيا أيها الليل انجل

فاق الغواني حاليات عاطلاً في هيكلوغدا ينضّ به فأزرى

الحلى بالنص الجلى

ثم من بعد أن نضد عقد هذه الأبيات. التي أصبحت إلا عليه أبيات. كتبها وكتب معها. رقعة من الروض أقتطعها. وهي: يا مولانا امتع الله ببقائك. وصير أعداءك من أوليائك. قهراً لا موده. ليذوقوا بالطاعة الفرج بعد الشده

إذا لم تجزهم دار قوم مودة ... أجاز القنا والخوف خير من الود

لي فريخه وهي غائبه وضعت لها من ضيافتها هيكلاً وسمحت فيه القريحة الجامدة. والجذوة الخامدة. بهذه الأبيات ومن شانك ستر العوار. والمكافأة عن صغار الصدف بالدرر الكبار. فإن كانت مما يجوز لك أن تنشدها فأجزها وأشرف عليها القاضي تاج الدين لتكسب منه عقدا. وتتارج مسكاً وندا. فإنكما فرقداً سما وزنداً وغى. وبعث بها إلى سيدنا ومولانا. وصديقنا وأولانا. وحلية صدر الشريعة. المتسنم ذروتها

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، ٤٣٥/١

الرفيعة. مجمع بحري المنطوق والمفهوم. منبع نهري المنثور والمنظوم. قدوة القضاة والحكام. عمدة أرباب الأحكام في الأحكام. مولانا القاضي أبي العباس شهاب الدين بن عيسى بن مرشد العمري الحنفي. عامله الله بلطفه الخفي. فكتب الجواب من غير ارتباك ولا ارتياب. فلله در تلك البديهه. وعين الله على تلك الفطرة النبيهة. وصورته: يا مولانا حرس الله على البلاغة. بل على المعالي مهجتك. وحفظ على الصياغه بل على الشرف العالي بهجتك. ان وقع مشتاق صاحبة الهيكل. بين أثيثها وثغرها في مشكل. فقد وقع العبد من نظم هذه المشرفه ونثرها مرتعد الفرائص ارتعاد من جنى على السنبتي المشبل. وقبل الأرض بين يدي نظمك ونثرك. ووقف حائراً بين نهيك وأمرك. فإن أجاب المملوك ببنت شفه. عده أرباب البلاغة من المملوك غاية السفسفه. أجار الله مولانا منها بل السفه. وإن لم يجب. فما أدى بعض ما يجب. والفؤاد منه يجل ويجب. يا مولانا فالعبد يقف بين يدي بلاغتك كالذليل ويسألك أن تعفو عن مثل هذا الموقف وتقيل. فإذا قيل في الرسل الكرام. عليهم الصلاة والسلام. وكلهم من رسول الله مغترف. وكل منهم مقر بذلك ومعترف. والولد سرابيه. بشهادة كل ذي أدب نبيه. فما يكون هذا العبد الحقير. بالنسبة إلى جناب مولانا الكبير. نعم اذهب إلى رب البلاغه. ومالك أزمة الصناعة والصياغه. من ألقت إليه الفصاحة مقاليدها. وصغرت لديه جهابذتها وصناديدها. واعترف له لتقدمه الأقران. وذلك لبزوغ نيره في أسعد قران. العلامة على التحقيق. الفهامة الذي يبادر المنصف عند تصور كماله بالتصديق. مولانا أبي المعالي تاج الدين المالكي باسقاط آلة التعريف. الجامع لإحاسن محاسن التوصيف. فإنه أثبت جناناً. وأفصح مني لساناً. واستمع ما يبديه. ثم ارفعه إلى المسامع الشريفة وانهيه. إن شاء الله تعالى ثم إن المملوك ادعى الزعارة. وسولت له نفسه الأماره. بأن يخوض في هذا البحر. ويستخرج من درره ما يتحلى به جيد الدهر. فقال مرتجلاً. وأجاز وجلا

أنا ربة الحسن الجليلمؤملي المتأملصدري ووجهي منيةٌ

للمجتني والمجتليالحظ بديع محاسنيمن تحت أنواع الحلي

تجد المحاسن والحليّ ... م جمالها من هيكلي." (١)

"وإن يكونوا مع الأملاك في قرنٍ ... لولا الطبيعة أعني كونهم بشرا

فخذ حديثاً قديماً مسنداً لهم ... عنهم صحيحاً صريحاً واقتف الأثرا

والقط فرائد در من فوائدهم ... فإنهم بحر علم يلفظ الدررا

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/١٣

أما تراه بجيد الدهر منتظماً ... وفي ذوي المجد والعليآء منتثرا

ولو نشاء نظمنا من جواهره ... قصائداً في معاني فضلهم غررا

تفوق نظم اللآلي من بلاغتها ... لكن يقول لسان الحال والشعرا

ومن شعره أيضاً قوله في فتاة تسمي عربية مشجراً

غارت بدور التم من كاعب ... هام بها المفتون بين الأنام

رنت بطرف فاتر ناعس ... يرشق من ألحاظه بالسهام

بديعة الشكل ولكنها ... بعيدة الوصل على المستهام

يود لو زار حماها على ... رغم العدا مختفياً في الظلام

هذا ورؤباه إلى وجهها ... غاية ما يخطي به والسلام

وقوله في مثل ذلك أيضاً

غارت غصون البان من غادة ... غابت لمرآها بدور التمام

رقت معاني لطفها مثل ما ... رقت محلاً في البها لا يرام

بطلعة لوان الشمس الضحى ... بدت لها لاستترت بالظلام

يا عاذلي في حبها خلني ... يكفيك ما بي من صنوف السقام

هل شاهدت عيناك من عاشق ... هداه قلبي مثل هذا الكلام

ولما وقف على قول بعض المتأخرين في القهوة

هات أسقني قهوة قشرية فضحت ... بكر المدام وشنف لي الفناجينا

تدعو إلى نحو ما فيه البقاء ولو ... دعت إلى نحو ما فيه الفناجينا

لو أن ألفاً أحاطوا حول ساحتها ... قصد النجاة رأيت الألف ناجينا

ذيله بقوله

يا ربة الأنس حلينا حماك فإن ... نطلب فجودي وإن نسأل فناجينا

وقرأت في تذكرة القاضي تاج الدين ما نصه مما اتفق لنا أنا ركبنا في صحبة الشيخ عبد الصمد بن محمد العمودي وزير مكة للأشراف على عمارة داره بمني ومعنا شخص يسمى الشيخ محمود على حصان فأجرى حصانه في أثناء الطريق مع بعض الجماعة فسقط إلى الأرض فأرخت سقطته **ارتجالاً** بقولي طاح الشيخ محمود ثم جعلت لهذا التاريخ توطئة نظماً فقلت

للّه يوم أتينا فيه خيف منى ... لقصد دار لها بالسعد تشييد

وبيننا رب تلك الدار واسطة ... بها لنا ولعقد المجد تنضيد

سرنا على صهوات الخيل تمرح في ... مسيرها ولطير السعد تغريد

وكان في الركب محمود على فرس ... يقول إني من الفرسان معدود

فخر عند استباق الخيل منجدلاً ... وما ادعى بلسان الحال مردود

فقلت مرتجلاً في حال سقطته ... تاريخ ذلك طاح الشيخ محمود

ووطأ لهذا التاريخ الامام زين العابدين المذكور أيضاً فقال

رام التقدم من لا يستحق علا ... فخف يطرد ركضاً وهو مطرود

فخر ملقى على الرمضآء مكتئباً ... يرثيه شامته والضد موجود

فكان تاريخه إذ خر يضبطه ... حروف قولك طاح الشيخ محمود

فلما بلغت هذه الأبيات الشيخ محموداً تكدر خاطره فقال الامام ثانياً متلافياً لذلك

الشيخ محمود محمود الفعال ومن ... أهل الكمال أولى الأحوال معدود

نودي من الجانب الغربي إنك بالو ... ادي المقدس حيث الحق مشهود

فغاب عن حسه وجداً فخر على الا ... قان وهو على ما كان محسود

فشاهدت ما جرى تلك البطاح له ... فارختة بطاح الشيخ محمود

هذا هو الوجه في توجيه سقطته ... وما سواه من الأقوال مردود." (١)

"فأجاب: أما فقدان ما نجده من الحلاوة واللذة، فلا يكون دليلاً على عدم القبول فإن المبتدىء يجد ما لا يجد المنتهى، فإنه ربما مَلَّت النفس وسئمت لتطاول الزمان، وكثرة العبادة. وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه كان ينهى عن كثرة العبادة والإفراط فيها، ويأمر بالاقتصاد، خوفاً من الملَل. وقد روى " أن أهل اليمن لما قدموا المدينة جعلوا يبكون، فقال أبو بكر رضي الله عنه: هكذا كنا حتى قست القلوب " .

وسئل عن يزيد بن معاوية؟ فأجاب: خلافته صحيحة. قال: وقال بعض العلماء: بايعه ستون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم ابن عمر. وأما محبته: فمن أحبه فلا ينكر عليه، ومن لم يحبه فلا يلزمه ذلك؛ لأنه ليس من الصحابة الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيلتزم محبتهم إكراماً

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/٣١

لصحبهم وليس ثمَّ أمر يمتاز به عن غيره من خلفاء التابعين، كعبد الملك وبنيه. وإنما يمنع من التعرض للوقوع فيه؛ خوفاً من التسلق إلى أبيه، وسدّاً لباب الفتنة.

وقال: روى عن إمامنا أحمد: أنه قال: من قال: الإيمان مخلوق، فهو كافر ومن قال: قديم، فهو مبتدع. قال: وإنما كفر من قال بخلقه؛ لأن الصلاة من الإيمان، وهي تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر الله عز وجل. ومن قال بخلق ذلك كفر. وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون، ومن قال بقدم ذلك ابتدع.

وسئل عن دخول النساء الحمام؟ فأجاب: إذا كان للمرأة عذر فلها أن تدخل الحمام لأجل الضرورة. والأحاديث في هذا أسانيدها متقاربة. قد جاء النهي والتشديد في دخولهن. وجاءت الرخصة للنفساء والسقيمة. والذي يصح عندي: أنها إذا دخلت محن عفر فلا بأس إن شاء الله، وإن استغنت عن الدخول، وكان لها عنه عناء، فلا تدخل. وهذا رأينا في أهلنا، ومن يأخذ بقولنا. نسأل الله التوفيق والعفو والعافية.

محمد بن سعد الله بن نصر بن سعيد بن الدجاجي الواعظ، أبو نصر بن

أبي الحسن: وقد سبق ذكر والده. ولد في رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

وسمع بإفادة أبيه، وبنفسه من أبيه، وأبي جعفر السمناني، والقاضي أبي بكر، وأبي منصور القزاز، وأبي القاسم السمرقندي، وعبد الوهاب الأنماطي وغيرهم. ورحل إلى الكوفة، فسمع بها من أبي الحسن بن غبرة الحارثي.

قال ابن نقطة: كان صحيح السماع.

وقال الدبيثي: شيخ حسن، فيه فضل وتمييز.

وقال القادسي: كان صالحاً خيراً، فاضلاً واعظاً، يقرض الشعر.

وقال ابن النجار: كان من أعيان المشايخ، ووجوه وعاظ مدينة السلام، مليح الوعظ، حسن الإيراد، حلو الألفاظ، كيساً متودداً، حسن الأخلاق، متواضعاً، فاضلاً صدوقاً. وله النثر والنظم الجيد. وكان يتكلم في عزاء الخلفاء والأفاضل والأماثل. وله تقدم ومكانة. ومما ذكر له من الشعر قوله – أنشده عنه ابن النجار – :

نفس الفتى إن صلحت أحوالها ... كانت إلى نيل التقى أحوى لها

وإن تراها سددت أقوالها ... كانت إلى حمل العلا أقوى لها

فلو تبدّت حال من لها لها ... في قبره عند البلا لهالها

وله:

يقول عيسى أدميتها بالمسير ... رفقاً بنا يا هاشمي

إن شئت أن تلقى الغنى والمنى ... عج بإمام من بني هاشمِ

فقل إذ لاح سنا قصره ... يا نوق هذا نوره هاشمي

قال ابن القطيعي: أنشدته هذه الأبيات:

من لم يعدك إذ مرضت ... فلا تعده ولا كرامة

فإنِ الإلهُ أماته ... فقد استرحت من الملامة

وإن الإلهُ أقامه ... فالعذر تهنيك السلامة

فقال مرتجلاً:

وأنا على هذا أكون ... مدى الحياة إلى القيامة

حدث بالكثير ببغداد وواسط والموصل. وسمع منه خلق. وروى عنه: الدبيثي، النجار، والنجيب الحراني، وأخوه عبد العزيز.

وتوفي يوم الأربعاء خامس عشر من ربيع الأول إحدى وستمائة. ونودي له بجميع محال بغداد، فاجتمع له الناس من الغد، فصلَّى عليه بجامع السلطان. ودفن بباب حرب.." (١)

"خديمًا حتى لقد سمعت بقراءته بدمشق على ابن مؤمن وابن الواسطي قطعة كبيرة من المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني وربما قرأت عليه وعلى ابن الواسطي شيئا مما اشتركا فيه من الروايات العراقيات عن عمر بن كرم والسهروردي وأمثالهما ثم قال: ولم يرزق في سماعه القديم حصولًا على الغرض ولا وصولًا إلى العالي بطريق العرض ومع ذلك فكانت عنده فوائد غريبة ومرويات من العوالي كثيرة، إلى أن قال: وكان في التذكير مقدما وبالمواعظ الحسنة مُعلِّمًا تنسلي١ إليه معاني الأدب في مواعظة وغيرها من كل حدب، سجية عراقية تمازج النسيم وتعطر أسحارها من أشجارها على كل شميم يرتجلها كيف يشاء ولا يؤجل الأشياء، ناولته يومًا استدعاء إجازة ليكتب عليه فكتب مرتجلًا:

أجزت لهم رواية كل شيء سماعا كان لي أو مستجازا

وما نُوْوِلْته أيضًا إذا ما توخوا في روايته احترازا

وما قد قلته نظما ونثرًا فقد أضحى الجميع لهم مج١زا وكان -رحمه الله تعالى- كبير الإيثار لا يبقى معه درهم ولا دينار، بلغني أن تاجرًا يعرف بابن السويقي كان يبعث إليه كل عام ألف دينار فيفرقها في أيسر

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، ص/١٩٦

زمان ينفقها قبل أن تستقر في الفقراء والإخوان، إلى أن قال: ولم يزل على منهاج ليس له من هاج حتى مضى لسبيله وقضى -ولم يترك مثله في جيله- وذلك في مستهل ذي الحجة سنة أربع وتسعين وستمائة بواسط القصب من أرض العراق -رحمه الله تعالى.

أخبرنا الشيخ المسند بدر الدين أبو عبد الله محمد بن حسن بن علي القرشي وشافهتني المسندة أم الخير رقية بنت يحيى بن عبد السلام بطابة٢ أن الحافظ أبا القاسم محمد بن محمد بن محمد أباح لهما قال: أخبرنا الإمام أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر الواسطي بقراءتي عليه قال: أخبرنا الإمام أبو حفص عمر بن محمد السهروردي وجماعة سماعا وأبو الفضل محمد بن محمد بن الحسن السباك وغيره إجازة ح وشافهنا عاليًا بدرجة المعمر مسند الآفاق إبراهيم بن محمد أبو إسحاق عن أحمد بن أبي طالب٣ سماعًا قال:

---

١ قال الطهطاوي: والصواب "تنسل" أي تسرع كما في قوله تعالى: {وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} أي يسرعون من موضع مرتفع.

٢ طيبة وطابة من أسماء مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم- معجم البلدان.

٣ هو المسند المشهور أبو العباس الحجار الديرمقرني نسبة إلى دير مقرن قرية على ظهر عين الفيجة بوادي بردى من أعمال دمشق لا إلى دير مقري مسجد بضواحي صالحيتها كما توهمه أبو المفاخر عبد القادر بن محمد النعيمي وضبطه بالديرمقري ثم الصالحي الحنفي الشهير بابن الشحنة ذكره الحافظ الشمس ابن طولون في سند البخاري من الفهرست الأوسط له.." (١)

"وكان جالسا عند القاضي أبي علي بن حسون بمالقة في مجلس أحكامه وقد حضر جملة من أعيان مالقة فجاءه رجل فأخبره أن قوماً يعرفون ببني العصري من قرية يرفة وتعرف الآن برذلفة وبنو العصيري بها الآن فأخبروه أنهم سيبوا مواشيهم على غراس وزرع كان له بالقرية المذكورة أو قريبا منها فتناول إضبارة وكتب فيها:

يا ذا الذي بجماله وكماله ... رد القلوب النافرات أوانسا

بقر العصيري بقرية يرفة ... رتعت فآذت غارسا أو دارسا

وله رعاة من بنيه خمسة ... أخنوا على شجري فأصبح يابسا

---

(١) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد المكي، ص/٦١

ودفعها للقاضي فأمر بهم فأحضرهم وسجنهم واشتد عليهم وكلفه القاضي ابن حسون أن يذيل له هذا البيت وأنشده له:

أترضى أن تطير بريش عز ... ومن يهواك مقصوص الجناح

فقال مرتجلا:

إذا هاجت من الأيام حرب ... فإن جميل رأيكم سلاحي

وإن مالت إلى الراحات نفسي ... فذكرك جنتي وهواك راحي

وقد أصبحت أنشد بيت شعر ... يلوح الغدر فيه كالصباح

أترضى أن تطير بريش عز ... ومن يهواك مقصوص الجناح." (١)

"فقلت له:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه"، وهذا عام في الكافر وغيره. فقال لي:نعم، هذه الكرامة. فالمبرة من أين أخذتها. قال:فسكت لم أجد جواباً. قال:فقرأ المنصور:أعوز بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين) . قال:فسررت بذلك كثيراً وشكرته عليه. وكان أبو عبد الله هذا كاتباً بليغاً شاعراً مؤثراً عالي الهمة، معظماً عند الملوك مقرباً لديهم. قدم علينا لمالقة، وقرأ بها على الأستاذ الجليل أبي زيد السهيلي رحمه الله، وصحب في حين القراءة عليه الأستاذ أبا علي الرندي. قال خالي رحمه الله عليه:إن شيخنا أبا علي أخبره أنه لما قدم مراكش، لقي بها الكاتب أبا عبد الله، فانتفع به في قضاء مآربه، ونالها على الكمال والتمام بسببه. ومن شعره رحمه الله:[طويل]

بلنسية بيني عن القلب سلوة ... فإنك روض لا أحن لزهرك

وكيف يحب المرء داراً تقسمت ... على صارمي جوع وقتله مشرك

قال الفقيه أبو البحر صفوان بن إدريس في كتابه المسمى بزاد المسافر، وقد ذكر الكاتب أبا عبد الله بن عياش:اجتمعت به ليلة بمراكش، فقال ابن عياش مرتجلاً[بسيط]

وليلة من ليالي الصفح قد جمعت ... إخوان صدقٍ، ووصل الدهر مختلس

كانوا على سنة الأيام قد بعدوا ... فألقت شملهم لو ساعد الغلس

وله من قصيدة:

(١) مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، ص/١١

أشفارها أم صارم الحجاج ... وجفونها أم فتنة الحلاج

فإذا نظرت لأرضها وسمائها ... لم تلف غير أسنة وزجاج

وأدبه رحمه كثير، ومنصبه شهير.." (١)

"أمضوا شهادتهم من أجل صحتها ... وطالما ضربوا فيها وقد مرجوا

صك كريم به الدنيا قد ابتهجت ... في مقلتي، وأحبائي قد ابتهجوا

ذكر الشهود وقاضيهم وطالبهم ... في نظم تلك السطور الغر مندمج

قد ضمنت بي إيصاء وتكرمة ... فما لهم عن طريق الحق منعرج

أمنية إن حبا نفسي القضاء بها ... قضى السقام، وجاء البر والفرج

قال الفقيه أبو عمرو بن سالم: وجلسنا يوماً مع أبي الفضل في موضع مع جملة من أصحاب، وشرطنا عليه أن لا ينشد من شعره شيئاً، وكان ذلك على وجه المداعبة. قال أبو عمرو: فأنشد من شعره. فما زنا نعرض له ونقول له: قد سبقت إلى هذا حتى اغتاظ من ذلك وقال:

جفوتني يا أبا عمرو برأيك في ... شعري، ومنه جميع الدر ينتظم

تعمداً كان هذا القول منك فتب ... وارجع إلى الحق، أين الفضل والكرم

من قال شبه مقال عبت أنت به ... قد استوت عنده الأنوار والظلم

قال: فلما رأيته أظهر تبرمه وشكايته، قلت ولم أقصد إلا نكايته:

عباس شعرك يا هذا قد اتفقت ... على ركاكته مذ كانت الأمم

ما زلت تنشدنيه كل آونة ... حتى حسدت، لعمري، من به صمم

هلا نخلت فلا تجعله مبتذلا ... أين المروءة والآداب والهمم

قال: فضحك رحمه الله، وذهب ما كان به من غيظ يجده.

قال أبو عمرو رحمه الله: ودخل يوماً أبو الفضل في مجلس ابن خروف، فوجد فيه ظبياً وسيماً، قرطبي الدار، فقال فيه **مرتجلا**:

يا أبا حسن صبرا على ما أصابك ... فإنا بما جئنا، جنينا مصابك

وجدنا غزالا في المجالس قاعدا ... فلما رآنا قام يبغي عذابك

وما كان إلا البدر زرناك فاختفى ... فقلنا متى يا بدر كنا سحابك

---

(١) مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، ص/٦٤

فقال ابن خروف:

أيا من ألم على غرة ... نفيت الغرير فنومي غرار

وفيك خلال خدا شية ... رآها الغزال فولى فرار." (١)

"أما ترى الليل قد ولت كواكبه ... والصبح قد لاح وانبثت مواكبه

ومنهل العيش قد طابت موارده ... والدهر وسنان قد أغفت نوائبه

فقم بنا نغتنم صفو الزمان فما ... صفو الزمان لمخلوق يصاحبه

ومن شعره أيضا:

خلقت يدي للمكرمات ومنطقي ... للمعجزات ومفرقي للتاج

وسموت للعلياء أطلب غاية ... يشقى بها الغاوي وحظى الراجي

ومن شعره:

أنا شيعي لآل المصطفى ... غير أني لا أرى سب السلف

أقصد الإجماع في الدين ومن ... قصد الإجماع لم يخش التلف

لي بنفسي شغل عن كل من ... للهوى قرظ قوما أو قذف

ومن شعره:

فقام يناوي غرة الشمس نوره ... وتنصف من ظلم الزمان عزائمه

أغر له في العدل شرع يقيمه ... وليس له في الفضل ند يقاومه

وقال على لسان ذلك الملك – ، يخاطب الظاهر لإعزاز دين الله، حين أمر بالختم على جميع ماله – : هذين البيتين، وكانا السبب في الإفراج عما أخذ منه والرضى عنه:

من شيم المولى الشريف العلي ... ألا يرى مطرحا عبده

وما جزا من جن من حبكم ... أن تسلبوه فضلكم عنده

وكان ابن خيران، قد خرج إلى الجيزة متنزها، ومعه من أصحابه، المتقدمين في الأدب، والشعر، والكتابة، وقد احتفوا به يمينا وشمالا، فأدى بهم السير إلى مخاضة مخوفة، فلما رأى إحجام الجماعة من الفرسان عنها، وظهور جزعهم منها، قنع بغلته، فولجها حتى قطعها، وانثنى قائلا **مرتجلا:**

ومخاضة يلقى الردى من خاضها ... كنت الغداة إلى العدا خواضها

---

(١) مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، ص/١٥٥

وبذلت نفسي في مهاول خوضها ... حتى تنال من العدا أغراضها

وله أيضا:

من كان بالسيف يسطو عند قدرته ... على الأعادي ولا يبغي على أحد

فإن سيفي الذي أسطو به أبدا ... فعل الجميل وترك البغي والحسد

وله أيضا:

قد علم السيف وحد القنا ... أن لساني منهما أقطع

والقلم الأشرف لي شاهد ... بأنني فارسه المصقع

قال ابن عبد الرحيم: وهو كثير الوصف لشعره، والثناء على براعته ولسنه، وجميع ما في الجزء بعد ما ذكرته، لا حظ فيه، وليس فيه مدح إلا في سلطانهم المستنصر، والباقي على نحو ما ذكرته في مراثي أهل البيت عليهم السلام، ولو كان فيه ما يختار، لاخترته.

أحمد بن علي، بن ثابت، بن أحمد، بن مهدي

الخطيب، أبو بكر البغدادي، الفقيه الحافظ، أحد الأئمة المشهورين، المصنفين المكثرين، والحفاظ المبرزين، ومن ختم به ديوان المحدثين، سمع ببغداد شيوخ وقته، وبالبصرة، وبالدينور، وبالكوفة، ورحل إلى نيسابور في سنة خمس عشرة وأربعمائة حاجا، فسمع بها، ثم قدمها بعد فتنة البساسيري، لاضطراب الأحوال ببغداد، فآذاه الحنابلة بجامع المنصور، سنة إحدى وخمسين، فسكنها مدة، وحدث بها بعامة كتبه ومصنفاته، إلى صفر سنة سبع وخمسين، فقصد صور، فأقام بها، وكان يتردد إلى القدس للزيارة، ثم يعود إلى صور، إلى أن خرج من صور، في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، وتوجه إلى طرابلس، وحلب، فأقام في كل واحدة من البلدتين أياما قلائل، ثم عاد إلى بغداد، في أعقاب سنة اثنتين وستين، وأقام بها سنة، إلى أن توفي، وحينئذ روى تاريخ بغداد، وروى عنه من شيوخه: أبو بكر البرقاني، والأزهري، وغيرهما.." (١)

"أبو القاسم المعروف بابن العريف، النحوي الأديب الشاعر، له شرح كتاب الجمل في النحو للزجاج، وكتاب الرد على أبي جعفر النحاس في كتابه الكافي، وغير ذلك، وكان مقدما في العربية إماما فيها، عارفا بصنوف الآداب، أخذ العربية عن ابن القوطية وغيره، ورحل إلى المشرق فأقام بمصر مدة طويلة، وسمع فيها من الحافظ بن رشيق، وأبي طاهر الذهلي وغيرهما، ثم عاد إلى الأندلس فاختاره المنصور محمد بن أبي عامر صاحب الأندلس مؤدبا لأولاده، وكان يحضر مجالسه، ومناظرته مع أبي العلاء صاعد اللغوي البغدادي

---

(١) معجم الأدباء، ١٤٣/١

مشهورة، فمن ذلك أن المنصور جلس يوما وعنده أعيان مملكته من أهل العلم، كالزبيدي صاحب الطبقات، والعاصمي وابن العريف صاحب الترجمة وغيرهم فقال لهم المنصور: هذا الرجل الوافد علينا يزعم أنه متقدم في هذه العلوم، وأحب أن يمتحن، فوجه إليه، فلما مثل بين يديه والمجلس قد غص بالعلماء والأشراف، خجل صاعد واحتشم، فأدناه المنصور ورفع محله، وأقبل عليه وسأله عن أبي سعيد السيرافي، فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره جوابها، واعتذر بأن النحو ليس جل بضاعته، فقال له الزبيدي: فما تحسن أيها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب. قال: فما وزن أولق؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا، إنما يسأل عنه صبيان المكتب. قال الزبيدي: قد سألناك ولا نشك أنك تجهله، فتغير لونه فقال: وزنه أفعل. فقال الزبيدي: صاحبكم ممخرق فقال له صاعد: إخال الشيخ صناعته الأبنية، فقال له: أجل، فقال صاعد: وبضاعتي أنا حفظ الأشعار ورواية الأخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى. قال فناظره ابن العريف – صاحب الترجمة – فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعرا شاهدا وأتى بحكاية تناسبها، فأعجب المنصور فقربه وقدمه، وكان يوما بمجلس المنصور أيضا فأحضرت إليه وردة في غير أوانها لم يكمل فتح وراقها، فقال فيها صاعد **مرتجلا:**

أتتك أبا عامر وردة ... يذكرك المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى إلى مناقضته، وقال للمنصور هذاالبيتان لغيره، وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر، وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى، فقال ابن بدر هذهالأبيات ودس فيها بيتي صاعد:

غدوت إلى قصر عباسة ... وقد جدل النوم حراسها

فألفيتها وهي في خدرها ... وقد صدع السكر أناسها

فقالت أسرت على هجعة ... فقلت بلى فرمت كاسها

ومدت يديها إلى وردة ... يحاكي لك الطيب أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها رأسها

وقالت خف الله لا تفضح ... ن في ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على خجلة ... وما خنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه وقال للحاضرين غدا أمتحنه،فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق في موضع لي عليه سلطان. فلما أصبح أرسل إليه فأحضر وحضر جميع الندماء والجلساء فدخل بهم إلى مجلس قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء قد ألقى فيها اللآلئ مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح، فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور: إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا وإما أن تشقى، لأنه قد زعم هؤلاء القوم أن كل ما تأتي به دعوى، وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك قبلي شكله، فصفه بجميع ما فيه، فقال له صاعد على البديهة:

أبا عامر هل غير جدواك واكف ... وهل غير من عاداك في الأرض خائف

يسوق إليك الدهر كل غريبة ... وأعجب ما يلقها عندك واصف

وشائع نور صاغها هامر الحي ... على حافتيها عبقر ورفارف." (١)

"فاحسم عناد ذوي العناد بجحفل ... كالليل فيه من الصفاح نهار

جند على جرد أمام صدورها ... صدر عليه من اليقين صدار

قد بايع الإخلاص بيعة نصرة ... ولكل هادي أمة أنصار

وإذا الملوك تثاقلت عن غاية ... فأرادها خفت به الأقدار

محمد بن نصر الله بن الحسين

بن عنين الدمشقي الأنصاري، أصله من الكوفة من الخطة المعروفة بمسجد بني النجار، وولد بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وهو من أفاضل العصر لغوي أديب شاعر مجيد، نشأ بدمشق وأخذ عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر وغيره وهو يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد، وبرع في الشعر وحل الألغاز، ورحل إلى العراق والجزيرة وخراسان وأذربيجان وخوارزم، ودخل الهند ورحل إلى اليمن ومنها إلى الحجاز ثم إلى مصر ثم رجع إلى دمشق وهو مولع بالهجو، وله في ذلك قصيدة طويلة سماها مقراض الأعراض، ويقال: إنه يخل بالصلاة ويصل ابنة العنقود، ورماه أبو الفتح بن الحاجب بالزندقة والله أعلم بصحة ذلك.

ولما كان بخوارزم حضر يوما درس الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري

---

(١) معجم الأدباء، ٤٣٢/١

وكان يوما باردا سقط فيه الثلج، فبينما الشيخ يلقي الدرس إذا سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها، فلما صارت بين الناس خاف الجارح وطار، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من الخوف والبرد، فرق لها الإمام فخر الدين وأخذها بيده وحنى عليها، فأنشده ابن عنين **مرتجلا:**

يا ابن الكرام المطعمين إذا اشتووا ... في يوم مسغبة وثلج خاشف

العاصمين إذا النفوس تطايرت ... بين الصوارم والوشيج الراعف

من نبأ الورقاء أن محلكم ... حرم وأنك ملجأ للخائف؟

وفدت عليك وقد تدانى حتفها ... فحبوتها ببقائها المستأنف

لو أنها تحبى بمال لانثنت ... من راحتيك بنائل متضاعف

جاءت سليمان الزمان بشكوها ... والموت يلمع من جناحي خاطف

قرم يطاردها فلما استأمنت ... بجنابه ولى بقلب واجف

وله من قصيدة كتب بها إلى العادل يشكو الغربة والشوق إلى الشام:

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعلهم لو سامحوني بالكرى

جنحوا إلى قول الوشاة وأعرضوا ... والله يعلم أن ذلك مفترى

يا معرضا عني بغير جناية ... إلا لما نقل العذول وزورا

هبني أسأت كما تقول وتفتري ... وأتيت في حبيك شيئا منكرا

ما بعد بعدك والصدود عقوبة ... يا هاجري ما آن لي أن تغفرا؟

لا تجمعن على عتبك والنوى ... حسب المحب عقوبة أن يهجرا

عبء الصدود أخف من عبء النوى ... لو كان لي في الحب أن أتخيرا

فسقى دمشق وواديبها والحمى ... متواصل الإرهام منفصم العرى

حتى ترى وجه الرياض بعارض ... أحوى وفود الدوح أبيض أزهرا

تلك المنازل لا ملاعب عالج ... ورمال كاظمة ولاوادي القرى

أرض إذا مرت بها ريح الصبا ... حملت على الأغصان مسكا أذفرا

فارقتها لا عن رضا وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت ... ومن العجائب أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعا ... وأكف ذيل مطامعي متسترا

ومنها في الشكوى والدخول إلى المديح:

أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو ولا جفني يصافحه الكرى

أضحى عن الربع المريع محولا ... وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يقيل بظلكم ... كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

وأول قصيدته المسماة مقراض الأعراض قوله:

أضالع تنطوى على كرب ... ومقلة مستهلة الغرب." (١)

"قال: فأطرق المأمون مليا ثم قال: قبح الله ما لا أدب له ثم قال: أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب، قلت قول حمزة بن بيض:

تقول لي والعيون هاجعة ... أقم علينا يوما ولم أقم

أي الوجوه اتنجعت قلت لها ... لأي وجه إلا إلى الحكم

متى يقل حاجبنا سرادقه ... هذا ابن بيض بالباب يبتسم

قد كنت أسلمت فيك مقتبلا ... هاك اوحل ذاك وأعطني سلمي

فقال المأمون لله درك، كأنما شق لك عن قلبي، فأنشدني أنصف بيت للعرب، قلت: قول أبي عروة المدني:

إني وإن كان ابن عمي غائبا ... لمزاحم من خلفه وورائه

ومفيده نصري وان كان أمرا ... متزعزعا في أرضه وسمائه

وأكون والي سره وأصونه ... حتى يجييء علي وقت أدائه

وإذا رعا باسمي ليركب مركبا ... صعبا قعدت له على سيسائه

وإذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقل ... ياليت كان على حسن ردائه

فقال احسنت يانضر، انشدني اقنع بيت قالته العرب، قلت: قول ابن عبد الاسدي:

إني امرؤ لم أزل وذ١ك من ال ... له قديما أعلم الأدبا

أقيم بالدار ما أطمأنت بي الد ... دار وإن كنت نازحا طربا

لاأحتوي خلة الصديق ولا ... أتبع نفسي شيئا إذا ذهبا

أطلب ما يطلب الكريم من الر ... رزق بنفسي وأجمل الطلبا

---

(١) معجم الأدباء، ٤٤٦/٢

إني رأيت الفتى الكريم إذا ... رغبته في صنيعة رغبا
والعبد لا يطلب العلاءولا ... يعطيك شيئا إلا إذا رهبا
مثل الحمار السوء المخاتل لا ... يحمل شيئا إلا إذا ضربا
قد يرزق الخافض المقيم ولا ... شد لعيس رحلا ولا قتبا
ويحرم الرزق ذو المطية والر ... رحل ومن لايزال مغتربا
فقال أحسنت يانضر، ثم أخذالقرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال: كيف تقول إذا أمرت من يترب الكتاب؟ قلت اتربه، قال فهو ماذا؟ قلت فهو مترب، قال فمن الطين؟ قلت طنه، قال فهو ماذا؟ قلت فهو مطين، قال: هذه احسن من الاولى، ثم قال ياغلام، ارتبه وطنه وابلغ معه إلى الفضل ابن سهل. قال: فلما قرأ الكتاب الفضل قال يانضر: ان أميرالمؤمنين امر لك بخمسين الف درهم، فما كان السبب؟ فاخبرته الخبر فقال: لحنت أميرالمؤمنين، قلت كلا، انما لحن هشيم بن بشير وكان لحانا فتبع أميرالمؤمنين لفظه، فامر لي الفضل بثلاثين الف درهم، فاخذت ثمانين الفا درهم بحرف استفيد مني. توفي النضر بن شميل في ذي الحجة سنة اربع ومائتين. وله من التصانيف: كتاب الصفات في اللغة خمسة اجزاء، والمدخل إلى كتاب العين، وكتاب غريب الحديث، وكتاب المعاني، وكتاب السلاح، وكتاب المصادر، وكتاب الانواء، وكتاب خلق الفرس، وكتاب الجيم، وكتاب الشمس والقمر وغير ذلك.
نهشل بن يزيد
ابو خيرة الاعرابي البصري، بدوي من بني عدي، دخل الحضرة وصنف كتاب الحشرات ذكره في الفهرست.
باب الواو
واصل بن عطاء
ابو حذيفة الغزال مولي بني ضبة، كان متكلما بليغاًاديبا متفننا خطيبا، ولقب بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي، وكان بشار بن برد قبل ان يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة كثير المديح لواصل بن عطاء، وفضله في الخطابة على خالد بن صفوانوشبيب بن شبة والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز والى العراق فقال في ذلك
أبا حذيفة قد أوتيت معجزة ... من خطبة بدهت من غير تقدر
وإن قولا يروق الخافقين معا ... لمسكت مخرس عن كل تحبير
وقال في ذلك أيضا:

تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا ... وحبروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلى بداهته ... كمرجل القين لما حف باللهب

وجانب الراء لم يشعر به أحد ... قبل التصفح والإغراق في الطلب." (١)

""""" صفحة رقم ٢٩٠ """"

وقال الإمام أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفرايني في كتابه في الملل والنحل المسمى بالتبصير في الدين وذكر مقالات المخالفين وقد أجبت عنه بهذه الأبيات

كذبت وآيم الذي حج الحجيج له

وقد ركبت ضلالا منك بهتانا

لتلقين بها نارا مؤججة

يوم القيامة لا زلفى ورضوانا

تبت يداه لقد خابت وقد خسرت

وصار أبخس من في الحشر ميزانا

هذا جوابي في ذا النذل مرتجلا

أرجو بذاك من الرحمن غفرانا

وذكر القاضي الجليل سيف السنة ولسان الأمة أبو بكر الباقلاني رضي الله عنه في كتابه الجليل الملقب مناقب الأئمة وهو كتاب عظيم القدر حافل بين فيه أن الصحابة كلهم مأجورون على ما شجر بينهم وذكر أبيات ابن ملجم هذه وقال إن الحميري نقضها عليه بقوله

لا در در المرادي الذي سفكت

كفاه مهجة خير الخلق إنسانا

أصبح مما تعاطاه بضربته

مما عليه ذوو الإسلام عريانا

أبكى السماء لباب كان يعمره

منها وحنت عليه الأرض تحنانا

طورا أقول ابن ملعونين ملتقط

---

(١) معجم الأدباء، ٤٨٣/٢

من نسل إبليس لا بل كان شيطانا

ويل امه أيما ذا لعنة ولدت

لا إن كما قال عمران بن حطانا

عبد تحمل إثما لو تحمله

ثهلان طرفة عين هد ثهلانا

أخبرنا أبي تغمده الله برحمته من لفظه قال أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي بكر ابن حامد الأرموي الصوفي بقراءتي عليه أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي السبط أخبرنا جدي الحافظ أبو طاهر السلفي أخبرنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي بقراءتي أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن علي الوراق أخبرنا أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن طيفور البصري اللغوي قرأت علي." (١)

"٥ . رفضه للقيام بين يديه: لما ولي عمر بن عبد العزيز قام الناس بين يديه، فقال: يا معشر المسلمين إن تقوموا نقم وإن تقعدوا نقعد، فإنما يقوم الناس لرب العالمين، وإن الله فرض فرائض وسن سننا، من أخذ بها لحق ومن تركها محق(١). أراد عمر أن يقضي على العادات الموروثة التي أشبه بها الولاة آنذاك الأكاسرة والقياصرة، وعزم صارم على العودة بالأمة إلى منهج الخلفاء الراشدين، وعمر هنا يحجم دافعين قويين يدفعانه إلى مجاراة عشيرته في مظاهرهم.. أولهما طموح النفس نحو الظهور وفرض السلطة والهيبة في قلوب الناس، وثانيهما رغبة عشيرته الملحة في الإبقاء على هذه المظاهر، وتشنيعهم عليه في مخالفة ما كان عليه أسلافه ولكنه تغلب على هذين الدافعين بحزم وإيمان قوي، وكان الدافع الذي يدفعه إلى التواضع ورفض المظاهر الدنيوية هو خوفه من الله تعالى ورغبته فيما عنده، وطموح فكره نحو الآخرة وتجاوز المستقبل الدنيوي، وكان هذا الدافع أقوى بكثير من الجواذب الأرضية، فنجح في إلجام نفسه عن هواها وإسكات أصحاب المظاهر الخادعة، وتصحيح مفاهيم المجتمع فيما يجب أن تكون عليه الولاة والعلاقة بينهم وبين الرعية. وفي قوله: إن الله فرض فرائض. بيان لأسباب السعادة والشقاوة الحقيقية في الدنيا والآخرة، فمن طبقها لحق بركب المتقين في الدنيا، وأكرم به من رفقة صالحة ، وسيق يوم القيامة إلى رضوان الله تعالى والجنة وأكرم به من مآل وعاقبة(٢).

٦ . تقديره أهل الفضل: ذكر الحافظ ابن كثير أن ولد قتادة بن النعمان وفد على عمر بن عبد العزيز فقال

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى. ، ٢٩٠/١

له: من أنت؟ فقال مرتجلا:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه *** فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها *** فيا حسنها عينا ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

---

(١) تاريخ دمشق نقلا عن التاريخ الإسلامي (١٥/١١٤) .

(٢) التاريخ الإسلامي (١٥ ، ١٦/١١٥) .." (١)

" ٥٦ - أنشدني أبو العباس أحمد بن يوسف بن نام اليعمري البياسي أنشدني أبو عبد الله القفال البياسي بها لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان القيسي المعروف بابن الحداد المربي ابتداء قصيدة

(أربرب بالكثيب الفردأم نشأ ... ومعصر في اللثام الوردأم رشأ)

(كأن قلبي سليمان وهدهده ... لحظي وبلقيس لبنى والهوى والنبأ) - البسيط -

٥٧ - أبو العباس هذا شاعر مفلق وأديب بارع محقق وكان كثير الحفظ لشعر شعراء الأندلس المتأخرين خاصة ولشعر غيرهم من المتقدمين من كل إقليم

ومال بعد إلى الآخرة وباع كتبه عازما على الجهاد راغبا في الشهادة فخرج بنية الغزو وانقطع عنا خبره فسبحان العالم بحاله

وقد علقت عنه مقطعات كثيرة من شعره وشعر غيره وقلت له أنشدني من مخترعاتك وهات من مخباتك فقال مرتجلا

(من سيآتي مخبآتي ... فخل عني وقول هات)

(فكلها إن بحثت عنها ... مشبهات بترهات) - البسيط -

وأنشدني يوما آخر وقد علقت عنه من شعره وشعر غيره ما يستحسن جدا

(فوائد قد أتتك على ارتجال ... سلبت بهن ألباب الرجال)

(فإن أنشدتها يوما بحفل ... ملأت بها السجال على السجال) - الوافر ." (٢)

" فأجبته مرتجلا

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ٤٧٨/٣

(٢) معجم السفر، ص/٢٨

(بدأت بفضل أتاه الكريم ... ولا غرو منك ابتداء به)

(لأنك مغرى بفعل الجميل ... مهين لما عز في كسبه)

(أتتني أبياتك الرائقات ... بشأو بعيد على قربه)

(ونظم حكى النظم في أفقه ... وخلى له الجدي عن قطبه)

(فأنطقني حسنه واجترأت ... وقلت من الشعر في ضربه)

(وعولت فيه على فضله ... وما خصه الله من إربه) - المتقارب -

١٣٩٤ - أنشدني أبو الحسين هبة الله بن علي بن الحسن الكاتب بمصر قال أنشدني أبو الطاهر إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة القرشي لنفسه في ابن فائق وقد جرح

(لعمرك ما الأمير عداه نصر ... ولا طرقته طارقة الحتوف)

(ولكن الشجاعة تيمتها ... محاسن وجهه بين الصفوف)

(فظلت غيرة منها عليه ... تعضضه بأفواه السيوف) - الوافر -

١٣٩٥ - أبو الحسين هذا كان من أهل الأدب قرأ على أبي القاسم بن القطاع كثيرا وعلى غيره وله في الفرائض يد بيضاء وخطه من أحسن الخطوط وسمع علي وبقراءتي على غير شيخ الحديث وكتب لي بخطه أجزاء ثم صارت له حلقة في جامع عمرو للإقراء وتوفي ولم يبلغ الشيخوخة

١٣٩٦ - أخبرنا أبو المعالي هبة الله بن عبد الملك بن علي الوراق المالكي بأبهر أنا أبي أنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن فضالة النيسابوري الحافظ بالري ثنا أبو الربيع محمد بن الفضل بن العباس الحافظ البلخي بطالقان ." (١)

"فكتبت يدي عجلا وقلت جعلت فداه **مرتجلا**:

كتاب فضضت الختم عند وصوله ... عن الفرقد العلوي لا أم فرقد

فملت كأني قد ثملت بقهوة ... أديرت على شدود الغريض ومعبد وكتب أسامة المذكور من إربل إلى أخيه أبي الحسن الآتي ذكره إن شاء الله صدر كتاب:

وإن امرءا أضحى بإربل داره ... وفي شيزر أحبابه وشجونه

لغير ملوم في احنين إليهم ... ومعذورة أن تستهل جفونه وقال وهو بمصر:

إن كنت في مصر مجهولا وقد شهرت ... فضائلي بين بدو الناس والحضر

---

(١) معجم السفر، ص/٤١٢

فما على الشمس من عار تعاب به ... إذا اختفى نورها عن غير ذي بصر (آيا صوفيا: ٥٠ ب ٥١ ب)

الأسعد بن مماتي

(الترجمة رقم: ٩١، ص: ٢١٣، س: ١٩، بعد قوله: وهي فم)

وكان ابن مكنسة ينادمه، فاتفق أن سرقت نعله في بعض الليالي، وكانت حمراء، فكتب إليه:

لالكتي أثمن من عمتي ... وهمتي أكبر من قدرتي

كأنها في قدمي شعلة ... من جهة المريخ قد قدت

وزنتها [عندي] ورب العلى ... أعز من رأسي ومن قمتي

وأنت يا مولاي يا من به ... ومن نداه أسبغت نعمتي

متى تغافلت على أخذها ... من بعد هذا سرقت لحيتي." (١)

"فمضى وأخبر الوليد بالحال، فقالت له: كذبت يا ابن الفاعلة، ثم جاء الوليد إلى أم البنين فدخل وهي جالسة في ذلك البيت تمشط رأسها، وكان الخادم قد وصف له الصندوق، فجلس الوليد فوقه ثم قال: يا أم البنين ما أحب هذا البيت إليك دون البيوت، فلم اخترته قالت: لأنه مجمع حوائجي كلها فأنا أتناولها منه من قريب، فقال: هبي لي صندوقا من هذه الصناديق، فقالت: كلها بحكمك يا أمير المؤمنين، فقال: إنما أريد واحدا منها، فقالت: خذ أيها شئت، فقال: هذا الصندوق الذي تحتي، فقالت غيره أحب إليك منه فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها، فقال: ما أريد سواه، فقالت: خذه، فدعا بالخدم وأمرهم بحمله حتى انتهى إلى مجلس فوضعه فيه ثم دعا عبيدا له عجما وأمرهم بحفر بئر في المجلس فحفرت إلى الماء، ثم دعا بالصندوق فوضعه على شفير البئر ودنا منه وقال: يا صاحب الصندوق إنه بلغنا شيء إن كان حقا فقد دفناك ودفنا ذكرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلا فإنما دفنا الخشب وما أهون ذلك. ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط عليه، فما رؤي الوضاح بعد ذلك اليوم ولا أبصرت أم البنين في وجه الوليد غضبا حتى فرق الموت بينهما.

وقيل: حضر بساط الحجاج رجل تعين عليه القتل وحضر أهل القود بحضوره، فلما فرض النطع وسل السيف اتفق أن ملأ عينه في حالة تلك فرأى بريق السيف ولمعان برق فاستنظر ثم أنشد **مرتجلا:**

تألق البرق من نجد فقلت له ... يا أيها البرق إني عنك مشغول

يكفيك ما قد ترى من ثائر حنق ... في كفه كصبيب الماء مسلول فلما رأى الحجاج ما كان من حضوره

---

(١) وفيات الأعيان، ٤٦٣/١

ذهنه وجودة شعره عطف عليه إشفاقا له وعرض على طالبيه أن يؤدي عنه ديته، فجلعوا يأبون وجعل يتولج في تحليل القصة ويتدرج في تنفيس الدية حتى بذل لهم دية ملك، فلما أبوا وعتوا قال لحرسه: فكوا قيده وخلوا سبيله فإن من لم ينس أحبته في هذا المقام لجدير أن لا يقتل.." (١)

"وهو بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب، فقام من فوره فقال **مرتجلا:**

نحلتكم يا أهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات البلاد شروب

فإن يك باقي إثم فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب ثم التفت إليه وقال: والله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت فاعتذر إليه وحلف: ما كنت إلا مازحا] (١) .

ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كان يقول: لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس (٢) :

ألا كل حي هالك (٣) وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق والبيت الأول ينظر إلى قول امرئ القيس (٤) :

فبعض اللوم عاذلتي فإني ... سيكفيني التجارب وانتسابي

إلى عرق الثرى وشجت عروقي ... وهذا الموت يسلبني شبابي وقد سبق في ترجمة الحسن البصري نظير هذا المعنى.

وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول (٥) :

[تكثر ما استطعت من الخطايا ... إذا كان القدوم على كريم وقال وهي من رواية أخرى:]

---

(١) زيادة من د.

(٢) ديوانه: ١٩٢.

(٣) الديوان: أرى كل حي هالكا.

---

(١) وفيات الأعيان، ٢/٤٦

(٤) ديوان امرئ القيس: ٩٧ – ٩٨.

(٥) لم ترد في باب الزهد من ديوانه.." [١]

"يكلفني القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدرا بل أعز وأطول

ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ... جديرا ولكن من يودك مقبل فأجبته عنه، وقلت:

أنار ضمير من يعز نظيره ... من الناس طرا سابغ الفضل مكمل

ومن قلبه كتب العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار مشعل

تساوى له سر المعاني وجهرها ... ومعضلها باد لديه مفصل

ولما أنار الحب قاد منيعه ... أسيرا بأنواع البيان يكبل

وقربه من كل فهم بشكفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل

وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... **ومرتجلا** من غير ما يتمهل

فيخرج من بحر ويسمو مكانه ... جلالا إلى حيث الكواكب تنزل

فهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنه والعمر فيها مطول فأجاب **مرتجلا** وأملى على الرسول:

ألا أيها القاضي الذي بدهائه ... سيوف على أهل الخلاف تسلل

فؤادك ممهور من العلم آهل ... وجدك في كل المسائل مقبل

فإن كنت بين الناس غير ممول ... فأنت من الفهم المصون ممول

إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلا ... فأنت، وهم مثل الحمائم، أجدل

كأنك من في الشافعي مخاطب ... ومن قلبه تملي فما تتمهل

وكيف يرى علم ابن إدريس دارسا ... وأنت بإيضاح الهدى متكفل

تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكر ما ... فعلت وكفي عن جوابك أجمل

لأنك في كنه الثريا فصاحة ... وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل

فعذرك في أني أجبتك واثقا ... بفضلك فالإنسان يسهو ويذهل

وأخطأت في إنفاذ رقعتك التي ... هي المجد لي منها أخير وأول

ولكن عداني أن أروم احتفاظها ... رسولك وهو الفاضل المتفضل." [٢]

---

(١) وفيات الأعيان، ٩٧/٢

(٢) وفيات الأعيان، ٥١٣/٢

"وماكنت لولا أنت إلا مهاجرا ... له كل يوم بلدة وصحاب

ولكنك الدنيا إلي حبيبة ... فما عنك لي إلا إليك ذهاب وأقام المتنبي بعد إنشاده هذه القصيدة بمصر سنة لا يلقى كافورا غضبا عليه لكنه يركب في خدمته خوفا منه ولا يجتمع به، واستعد للرحيل في الباطن، وجهز جميع ما يحتاج إليه، وقال في يوم عرفة سنة خمسين وثلثمائة قبل مفارقته مصر بيوم واحد قصيدته الدالية التي هجا كافورا فيها، وفي آخر هذه القصيدة:

من علم الأسود المخصي مكرمة ... أقومه البيض أم آباؤه الصيد

[أم أذنه في يد النحاس دامية ... أم قدره وهو بالفلسين مردود] (١)

وذاك أن الفحول البيض عاجزة ... عن الجميل فكيف الخصية السود وله فيه أهاج كثيرة تضمنها ديوانه، ثم فارقه بعد ذلك، ورحل إلى عضد الدولة بن بويه بشيراز - حسبما تضمنه ترجمته (٢) .

ورأيت في بعض المجاميع قال بعضهم: حضرت مجلس كافور الإخشيدي، فدخل رجل ودعا له وقال في دعائه: أدام الله أيام مولانا، بكسر الميم من أيام، فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه عليه، فقام رجل من أوساط الناس وأنشد **مرتجلا** وهو أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن حشيش النجيرمي اللغوي الاخباري كاتب كافور (٣) ، والذي دعا لكافور ولحن هو أبو الفضل ابن عياش (٤) :

لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا ... أو غض من دهش بالريق أو بهر

فتلك هيبته حالت جلالتها ... بين الأديب وبين القول بالحصر

---

(١) ديوان المتنبي: ٤٨٧.

(٢) ورد هنا في ر عبارة: وأخبار كافور كثيرة، وستأتي بعد النص التالي.

(٣) ترد هذه الأبيات في ترجمة النجيرمي النحوي في معجم الأدباء ١: ١٩٩ وانباه الرواة ١: ١٧١ وفي البقية " جسنس " موضع " حشيش " .

(٤) في ياقون وبغية الوعاة: الفضل بن عباس؛ وأثبتنا ما في انباه الرواة ومطبوعة وستنفيلد.." (١)

"وخلف ولدين: أحدهما عز الدين المذكور والآخر شرف الدين أبو الوليد مظفر (١) .

وأما مولده فقد ذكر أبو عبد الله محمد بن القادسي في " تاريخ الوزراء " (٢) أنه ولد في سنة وتسعين وأربعمائة على ما ذكره من لفظه، رحمه الله تعالى.

---

(١) وفيات الأعيان، ١٠٢/٤

قال بعضهم: رأيته في المنام بعد موته، فسألته عن حاله، فقال:

قد سئلنا عن حالنا فأجبنا ... بعد ما حال حالنا وحجبنا

فوجدنا مضاعفا ما كسبنا ... ووجدنا ممحصا ما اكتسبنا ولما بلغ خبر موته عضد الدين ابن المظفر أستاذ الدار المذكور كان بحضرته سبط ابن التعاويذي - المذكور قبل هذا - وهو من موالي بني المظفر فإن أباه كان مملوكا لبعض بني المظفر، واسمه نشتكين فسماه ابنه عبد الله، فأراد سبط بن التعاويذي أن يتقرب إلى عضد الدولة لعلمه ما بينه وبين الوزير، فأنشد **مرتجلا:**

قال لي، والوزير قد مات، قوم ... قم لنبكي أبا المظفر يحيى

قلت أهون عندي بذلك رزأ ... ومصابا وابن المظفر يحيا وقال آخر، ولا أذكر اسمه الآن، لكنه من الشعراء المشاهير:

أيا رب مثل الماجد ابن هبيرة ... يموت ويحيا مثل يحيى بن جعفر

يموت بيحيى كل فضل وسؤدد ... ويحيا بيحيى كل جهل ومنكر والمقصود أن محاسنه كانت كثيرة، وقد أطلت هذه الترجمة حتى استوفيت مقاصدها.

ورأيت في كتاب " النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس " تأليف أبي الخطاب ابن دحية غلطة أحببت التنبيه عليها في هذا الكتاب كي لا يقف عليها

---

(١) ق ع س: أبو البدر ظفر.

(٢) س بر: تاريخ الوزارة.." (١)

"قال أبو عمرو: أصيب حجر مزبور بقنسرين بالعبرانية، فترجم فإذا فيه " من الوافر " :

إذا جار الأمير وصاحباه ... وقاضي الأمريدهن في القضاء

فويل ثم ويلُ ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

قال: وأصيب حجر مزبور بالطالقان، فترجم فإذا فيه " من البسيط " :

اليأس عما بأيدي الناس نافلة ... والمال يعجز والأخلاق تتسع

لاتجزعن على ما فات مطلبه ... هب قد جظعت فماذا ينفع الجزع

قال: وأصيب على باب مدينة من مدائن سليمان بن داود عليهما السلام حجر مزبور فإذا فيه " من الهزج

---

(١) وفيات الأعيان، ٢٤٢/٦

" :

لاتصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حليماً حين آخاه

يقاس المرء بالمرء ... إذا ماهو ماشاه

وللشيء من الشيء ... علامات وأشباه

وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

قال: ووجد في زمن سليمان بن عبد الملك بدمشق حجر مكتوب فيه بالأعجمية، فترجم فإذا فيه: ياابن آدم، لو رأيت يسير مابقي من أجلك، لزهدت في طويل ماترجو من أملك، ولقصر بك عن حرصك وحيلك، وإنما تلقى ندمك، لو زلت بك قدمك، وفارقك أهلك وحشمك، وانصرف عنك القريب، وودعك الحبيب، فلا أنت في عملك زائد، ولا إلى أهلك عائد، فاعمل ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة! وقال: لقيت أعرابياً فقلت: من أين أنت؟ قال: من عمان. فقلت: صف لي أرضك! فقال: سيف أفيح، وفضاء صحصح، وجبل صلدح، ورجل أصبح. فقلت: فمالك؟ قال: النخل. قلت: فأين أنت عن الأبل؟ قال: إن النخل حملها غذاء، وسعفها ضياء، وجذعها بناء، وكربها صلاء، وليفها رشاء، وخوصها وعاء، وقرؤها إناء. - وقال رجل لأبي عمرو لم سميت الخيل خيلا وإنما هي الدواب؟ فلم يكن عنده جواب. فقال أعرابي حضرهم: سميت خيلاً لاختيالها.

أبو عمرو عن أبيه عن أبن عباس أنه قال: إن لكل داخل دهشة فالقوه بالتحية. - وقال أبو عمرو: جنان الدنيا ثلاثة: نهر الأبلة وغوطة دمشق وسغد سمرقند؛ وحشوش الدنيا ثلاثة: هيت وأردبيل وعمان.

قال محمد بن سلام: ذاكرت معاوية بن أبي عمرو ببيت جرير:من الوافر " :

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

وقلت: أين هو من بيت الأخطل " من البسيط " :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

فقال: بيت جرير أسهل وأيسر، وبيت الأخطل أجود وأحكم. - قال الصولي: بيت الأخطل عند من يفهم الشعر وينقده أحسن وأجود قسمة لأن قوله " شمس العداوة حتى يستقاد لهم " قسمة حسنة قائمة بنفسها، ثم قال " وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا " فقابل ورتب وقسَّم؛ وبيت جرير: " الستم خير من ركب المطايا " هو إلى ههنا كالكلام الفارغ، وإنما يستحسن " بطون راح " .

ولد أبو عمرو في أول خلافة عبد الملك بن مروان وهو يحارب مصعب بن الزبير. وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة وهو ابن تسعين سنة. وكان يقول في مرضه الذي مات فيه: اللهم إن أنزلت بلاءً فأنزل صبرا، وإن وهبت عافية فهب شكرا! – وشخص أبو عمرو من البصرة يريد بيت المقدس، فمات بالكوفة.

ودخل يونس بن حبيب على أولاد أبي عمرو معزياً لهم، فقال " من الوافر " :

نعزيكم وأنفسنا بمن لا ... نرى شبها له أخرى الزمان

والله لو قسم علم أبي عمرو رحمه الله وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زهاداً، والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ماهو عليه. فأجابه معاوية بن أبي عمرو – فإنه كان يلزم مجلسه ويأخذ عنه كثيراً – فقال مرتجلاً " من الرجز " :

أنت أبونا بعده وعمنا ... وأنت بعد الله مرجو لنا

قد كان قبل الموت وصاك بنا ... فأقض بإقبال علينا حقنا

فليس نشكو ما بقيت فقدنا ... عشت لنا كهفاً وعشت بعدنا

ولزموا مجلس يونس فما منهم إلا عالم. – وقال معاوية بن أبي عمرو: سألت بلال بن جرير عن لكع، فقال: هو الجحش الصغير في لغتنا، وإلى هذا كان يذهب الحسن البصري.

وقعد الناس يبكون على أبي عمرو عند موته، فقال: لاتبكوا عليَّ، أنا مامت لكني قد فنيت! وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت كما قال الربيع بن ضبع الفزاري " من المنسرح " :." (١)

"إنجازاته خارج الجامعة

لم يتوقف عطاء الدكتور حسين المصري عند أسوار الجامعة بل شغل نفسه بالصحافة قبل الدكتوراة وبعدها بنشر المقالات والقصائد في كثير من الصحف والمجلات المصرية والعربية مثل "اللواء الجديد" و"منبر الشرق" و"قافلة الزيت" السعودية و"الأديب" اللبنانية و"الورود" السورية و٢٥ جريدة ومجلة أخرى، وكان شغله الشاغل هو الدراسات الفارسية والتركية وعقد المقارنات بينها، وأتاحت له الصحف نشر هذا الاتجاه على نطاق أوسع على القارئ العربي غير المتخصص. وكان ذلك بمثابة تمهيد لإيقاظ الوعي بوجود تراث إسلامى لم يكن للناس إلف به من قبل، فله في ذلك الريادة، إذ صحح المفاهيم السائدة لدى المثقفين. فالكثير منهم كان يهوّن من قيمة الأدب التركي وينكرونه في بعض الأحيان، فأوضح أن هذا وهم، وأن الأدب التركي القديم هو الأدب الإسلامي الحق؛ لأنه تأثر في أعماقه بالأدب الفارسي الذي تأثر من قبل بالأدب

---

(١) نور القبس، ص/١٣

العربي والتراث الإسلامي في أصوله وفروعه، كما أن الأدب التركي الحديث يقف على قدم المساواة مع الأدب الأوربي في روائعه لأنه متأثر به مستمد منه، وهذا ما يقال عن أدب اللغة الأوردية وهي لغة شبه القارة الهندية عموما وباكستان خصوصا.

ورشح الدكتور حسين مجيب المصري للتدريس في جامعة بغداد وكرمه الأساتذة الأتراك بدعوته إلى إستانبول، وأصر المرحوم البروفيسور جتين رئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة إستانبول على تقبيل يده، ودرس أيضا في جامعة أنقرة وقونية، ودعي إلى باكستان ثلاث مرات الأولى عام ١٩٧٥، وبعد ذلك بعامين دعي للاشتراك في مؤتمر عقد عن الشاعر الباكستاني محمد إقبال في مدينة لاهور، وألقى بحثا عن إقبال والقرآن، ثم دعي في سنة ١٩٨٨ مع زوجته، وكرمه وزير الإعلام، كما أقام نجل إقبال -والذي كان يشغل منصب رئيس المحكمة العليا- وليمة في داره، أما الرئيس الباكستاني ضياء الحق فقلده وساما، وعانقه أمام عدسات التلفزيون حتى ترقرق الدمع في عينيه تأثرا بالموقف، لقد قلد الرئيس غيره في هذا الحفل أوسمة واكتفى بمصافحتهم واختص الدكتور حسين بالعناق.

كما دعي إلى مدينة قرطبة بأسبانيا للاشتراك في مؤتمر أقيم عن إقبال، وكان الأوحد الذي ألقى بحثه عن "إقبال والتصوف" بالإنجليزية **مرتجلا** دون قراءة من الورق.

يضاف إلى ما سبق من تكريمه في الخارج أن منحته جامعة مرمرة الدكتوراة الفخرية عام ١٩٩٦ ودعته لتقدمها إليه في الجامعة إلا أنه اعتذر عن عدم السفر لأنه فقد نعمة البصر، فسُلمت إليه في السفارة التركية بمصر في حفل ألقى فيه قصيدة نظمها بالتركية مع ترجمتها بالعربية.

المصدر : موقع إسلام أون لاين : www.islam-online.net." (١)

"نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية

لفضيلة العلامة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي

العلامة الشنقيطي / صاحب أضواء البيان

أكرم كساب

---

(١) المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، ص/٥٩

في وسط قارة إفريقيا وفي قرية تسمى شنقيط كانت نشأته ، وبين مكة والمدينة كانت شهرته ، وبرع في العلوم كلها حتى فاق أقرانه ، أراد مكة حاجًا وزائرًا ، وأراده الله معلمًا ومفسرًا ، إن تحدث في التفسير خِلته الطبري ، وإن أنشأ في الشعر حسبته المتنبي ،وإن جال في الحديث وعلومه ظننته ابن حجر العسقلاني ، مفسرًا ، ومحدثًا ، وشاعرًا ، وأديبًا ، إنه صاحب " أضواء البيان " العالم الولي الزاهد الورع العلامة الشنقيطي ، فمن يا ترى هذا الرجل ؟ وأين نشأ ؟ وكيف تلقى علمه ؟ وكيف كانت أخلاقه ؟ وما هو أضواء البيان هذا ؟

أولاً التعريف بالمؤلف :

اسمه ونسبه :

هو محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي ، ولد رحمه الله بالقطر المسمى شنقيط من دولة موريتانيا ، وكان مولده في عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٥م .

نشأته وطلبه للعلم :

نشأ رحمه الله يتيمًا فقد توفي أبوه وهو صغير يقرأ في جزء " عم " فنشأ في بيت أخواله ، وكان بيت علم ، فحفظ القرآن على يد خاله ، وعمره عشر سنوات ، وتعلم رسم المصحف على يد ابن خاله ، وقرأ عليه كذلك التجويد .

وأخذ الأدب وعلوم اللغة على يد زوجة خاله ، فكانت مدرسته الأولى بيت خالته ، فنعم البيت كان .

أما بقية الفنون فتعلم الفقه المالكي وهو السائد في بلاده ، فدرس مختصر خليل على يد الشيخ محمد بن صالح إلى قسم العبادات ، ثم درس عليه أيضًا ألفية بن مالك ، ثم أخذ بقية العلوم على مشايخ متعددين ، وكلهم من الجنكيين ، وهي القبيلة التي ينتمي إليها الشيخ ، وكانت معروفة بالعلم حتى قيل:" العلم جنكي " وكانت الطريقة المعهودة في بلاده هي أن يبدأ الطالب بفن واحد من الفنون ، ويبدا بكتابة المتن في

اللوح الخشبي فيكتب قدر ما يستطيع حفظه ، ثم يمحوه ثم يكتب قدرًا أخر ، غير أنه ـ رحمه الله ـ تميز في طلب العلم فألزمه بعض مشايخه بأن يقرن بين كل فنين ، حرصًا على سرعة تحصيله ، وقد انشغل ـ رحمه الله بطلب العلم حتى تأخر في الزواج ، ولما كلمه البعض في أمر الزواج رد عليهم قائلاً :

فقلت لهم دعوني إن قلبي من الغي الصراع اليوم صاح

الشيخ والشعر :

كان الشيخ ـ رحمه الله ـ ذا قريحة وقادة ، وكانت شاعريته رقراقة ، ومعانيه عذبة فياضة ، وأسلوبه سهل جزل ، وبالرغم من هذا كله فقد كان رحمه الله يتباعد عن قول الشعر .

سأله تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ عن سبب تركه للشعر مع قدرته عليه وإجازته فيه فقال : تذكرت قول الشافعي فيما ينسب إليه :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

ومثل هذا قاله ابنه عبد الله ، وقال أيضًا : وجدت شعرًا لأبي عند أحد الناس فأردت حفظه ، فقال لي : استأذن أباك ، فاستأذنته فزجرني بشدة ، ونهاني عن تعلمه ونسبته إليه .

وحدث أن قدم يومًا ـ رحمه الله ـ وهو في مقتبل شبابه ، ولم يكن يعرفه فسأله من يكون فأجاب الشيخ ـ رحمه الله ـ **مرتجلاً** :

هذا فتى من بني جاكاني قد نزلا به الصبا عن لسان العرب قد عدلا

رمت به همة علياء نحوكم إذ شام برق علوم نوره اشتعلا

فجاء يرجو ركامًا من سحائبه تكسو لسان الفتى أزهاره حللا

إذا ضاق ذرعًا بجهل النحو ثم أبا ألا يميز شكل العين من فعلا

قد أتى اليوم صبا مولعًا كلفا بالحمد لله لا أبغي له بدلا

أعماله وجهوده في نشر العلم قبل قدوم المملكة :

كانت أعماله ـ رحمه الله ـ كعمل غيره من العلماء : الدرس والفتيا ، واشتهر ـ رحمه الله ـ بالقضاء وبالفراسة فيه ، وقد كان الناس يفدون إليه من أماكن بعيدة ، وكان عضوًا في لجنة الدماء التي تعرض عليها أحكام القصاص من القتلى والتي كانت تتكون من عضوين للتصديق على أحكام الحاكم الفرنسي .

أخلاقه :

أما عن أخلاق الشيخ ـ رحمه الله ـ فحدث ولا حرج ، فهو آية في أخلاقه ، كرمه ، وعفته ، وشجاعته ، وزهده ، وترفُّع نفسه ، فهو صاحب ميزة فيها يقول تليمذه الشيخ عطية محمد سالم : فهذا ما يستحق أن يفرد بحديث وإني لا أستطيع إلا تصويره ولا يسعني في هذا الوقت تفصيله .

لم تكن الدنيا تساوي شيئًا عنده ، وكان غير مكترث بها ، على طول فترة إقامته بالمملكة لم يطلب عطاء ولا راتبًا ولا ترفيعًا لمرتبه ، ولا حصولاً على مكافأة ، ولكن ما جاء من غير سؤال أخذه ، وما حصل عليه لم يكن ليستبقيه لنسفه ؛ بل يوزعه على غيره كما يقول الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ : كان كثير التغاضي عن أمور تخصه هو ، وتتعلق بنفسه فإن سئل عن ذلك تمثل قول الشاعر :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

تواضعه :

أما عن تواضعه فقل إنه صاحبه ، كان إذا سئل مسألة في أخريات حياته ، تباعد عن الفتيا ، فإذا اضطر قال : لا أتحمل في ذمتي شيئًا العلماء يقولون كذا ، وكذا .

يقول الشيخ عطية محمد سالم : سألته مرة عن ذلك ـ أي تحفظه في الفتيا ـ فقال : إن الإنسان في عافية ما لم يبتلى ، والسؤال ابتلاء ، لأنك تقول عن الله ولا تدري أتصيب حكم الله أم لا ، فما لم يكن عليه نص قاطع ـ من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وجب التحفظ فيه ويتمثل بقول الشاعر :

إذا ما قتلت الشيء علمًا فقل به ولا تقل الشيء الذي أنت جاهله

فمن كان يهوى أن يرى متصدرًا ويكره لا أدري أصيب مقاتله

ألا ليت شعري ألا يتأمل المتعجلون في الفتوى لمثل هذا ، ألا يرحم ناشئة طلاب العلم أنفسهم والناس من الفتاوى السريعة ، والأجوبة الجاهزة ، والأحكام الجريئة .

بل وأعجب من هذا كله أنه كان يردد على مسامع تلامذته " صار أمثالنا علماء لما مات العلماء " وكأنه كان يعلم تلامذته الإقلال من الفتوى ، والتثبت من العلم .

موقف رائع :

على الرغم من أن الشيخ كان جوهرة ثمينة ،وقد ملئ علمًا من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه ، أو كما يقول عنه الاستاذ محمد المجذوب ـ رحمه الله ـ : " ثقافة موسوعية ، حتى ليخيل إليك وهو يحضر تقريراته منها أنها تخصصه الذي لا يكاد يعدوه ، شأنه في ذلك شأن الأسلاف الكبار " .

جهود الشيخ الدعوية في المملكة :

خرج الشيخ في رحلته إلى الحج والتي ألف فيها كتابًا خاصًا احتوى على نكات فقهية ودروس علمية ومحاورات أدبية ، وقد كانت نيته الحج ولم يكن في خلده أن يقيم بالمملكة ، ولكنه أراد أمرًا وأراد الله خيرًا وفيرًا ، فمكث الشيخ في المملكة واستقر به المقام في المدينة المنورة ورغب ـ رحمه الله ـ في هذا الجوار الكريم ، وقام بتفسير القرآن مرتين وتوفي ـ رحمه الله ـ ولم يكمل الثالثة .

وفي سنة ١٣١٧ هـ افتُتح معهد علمي بالرياض وكلية للشريعة وأخرى للغة ، واختير الشيخ للتدريس بالمعهد والكليتين فتولى تدريس التفسير والأصول إلى سنة ١٣٨١هـ .

ومكث الشيخ بالرياض عشر سنوات وكان يقضي الإجازة بالمدينة ليكمل التفسير ، وكان ـ رحمه الله ـ يدرس في مسجد الشيخ محمد آل الشيخ في الأصول ،كما كان يخص بعض الطلاب بدرس آخر في بيته ، وقد كان بيته أشبه بمدرسة يؤمها الصغير والكبير والقريب والبعيد .

ولما أنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كان الشيخ ـ رحمه الله ـ علمًا من أعلامها ووتدًا من أوتادها ، يرجع إليه طلابها كما يرجع إليه شيوخها ، وفي سنة ١٣٨٦هـ افتتح معهد القضاء العالي بالرياض فكان الشيخ يذهب لإلقاء المحاضرات المطلوبة في التفسير والأصول .

ولما شكلت هيئة كبار العلماء ، كان ـ رحمه الله ـ عضوًا من أعضائها ، وكان رئيسًا لإحدى دوراتها .

كما كان ـ رحمه الله ـ عضوًا في رابطة العالم الإسلامي .

مؤلفاته :

خاض الشيخ ـ رحمه الله ـ غمار التأليف منذ نعومة أظفاره ، فألف وهو في بلاده :

١- نظمًا في أنساب العرب .. وكان ذلك قبل البلوغ .

٢- رجزًا في فروع مذهب مالك .

٣- ألفية في المنطق .

٤- نظمًا في الفرائض .

وهذه المؤلفات الأربعة مازالت مخطوطة

وألف في بلاد الحجاز :

١- منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز .

٢- دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب .

٣- مذكرة الأصول على روضة الناظر .

٤- آداب البحث والمناظرة .

٥- أضواء البيان لتفسير القرآن بالقرآن .

كما أن هناك العديد من المحاضرات .

وفاته :

توفي ـ رحمه الله ـ ضحى يوم الخميس ١٧ من ذي الحجة ١٣٩٣هـ بمكة المكرمة مرجعه من الحج ودفن بمقبرة المعلاة بريع الحجون في مكة ـ رحمه الله ـ وجمعنا به في مستقر رحمته يوم القيامة .

كتاب : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :

يقع هذا الكتاب في سبعة أجزاء ، وصل فيها الشيخ إلى قوله تعالى في سورة المجادلة : (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون)(المجادلة/٢٢) ووافقه المنية ، فأكمل التفسير من بعده تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ .

المقصود من تأليف الشيخ لهذا التفسير :

١ – بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله .

٢ – بيان الأحكام الفقهية .

ومن ثم فإن الكتاب يصنف على أنه تفسير القرآن بالمأثور ، فهو تابع فيه لمدرسة التفسير بالأثر ، ويدخل كذلك في مدرسة التفسير الفقهية ، ومن هنا فقد ذكره صاحب كتاب " اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر " مرتين ، الأولى في المنهج أهل السنة والجماعة ، والثانية في المدرسة الفقهية .

منهجه :

بيّن المؤلف ـ رحمه الله ـ غرضه من تأليف هذا التفسير بقوله : " واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران :

" أحدهما : بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلّ وعلا من الله جلّ وعلا ، وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن إلاّ بالقراءة سبعية سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها ، أو آية أخرى غيرها ، ولا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذة وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهادًا للبيان بقراءة سبعية ، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات .

والثاني : بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة ـ بالفتح ـ في هذا الكتاب ، فإننا نبين ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة وأقوال العلماء في ذلك ، ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل ، من غير تعصب لمذهب معين ولا لقول قائل ، معين لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله ، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلاّ كلامه صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيرًا .

وقد تضمن هذا الكتاب أمورًا زائدة على ذلك ، كتحقيق بعض المسائل ، اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب والاستشهاد بشعر العرب وتحقيق ما يحتاج إليه فيه من المسائل الأصولية والكلام على أسانيد

الأحاديث ، كما سنراه إن شاء الله تعالى "(أضواء البيان في إيضاح القرآن ١/٤.٣) .

وقال أيضًا في بيان منهجه ، رحمه الله تعالى : " واعلم أن مما التزمنا في هذا الكتاب المبارك أنه إن كان للآية الكريمة مبين من القرآن غير وافٍ بالمقصود من تمام البيان فإنا نتمم البيان من السنّة من حيث أنها تفسر للمبين باسم الفاعل "(أضواء البيان١/٢٤) .

وقال أيضًا : " وربما كان في الآية الكريمة أقوال كلها حق وكل واحد منها يشهد له قرآن فإنا نذكرها ونذكر القرآن ، الدال عليها من غير تعرض لترجيح بعضها ؛ لأن كل واحد منها صحيح "(أضواء البيان١/٢٠) .

وقد التزم ـ رحمه الله ـ بهذا فالتزم تفسير القرآن بالقرآن معتمدًا على القراءات السبع مبتعدًا عن القراءات الشاذة ومستندًا إلى السنّة النبوية الطاهرة معتبرًا لأقوال العلماء الثقات ، لا يتعصب الرأي ، ولا يحقر قولاً ، بل ينظر إلى ذات القول لا إلى قائله ، يستوفي الأقوال ويرجح بالدليل والبرهان ، إن كنت أصوليًا وجدت في تفسيره دقائقه ، وإن كنت من علماء الحديث وجدت فيه بدائعه ، وإن كنت فقيهًا وجدت فيه وفاءه ، وإن كنت من علماء العقيدة وجدت فيه صفاءها ونقاءها ، بل عقيدة أهل السنة والجماعة التي لا تشوبها شائبة ، وإن كنت من علماء كل هذا وجدت فيه رواءك وشفاءك .

طرق تفسيره :

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن :

وهذا النوع من التفسير هو الذي أبرزه المؤلف في تفسيره وأعتني به عناية كبيرة ، بل أفرده بدارسة قيّمة في مقدمة تفسيره ، لا أحسبك تجدها بهذا الجمع والترتيب عند سواه ، ولولا أنه ذكر من أنواع بيان القرآن بالقرآن أكثر من عشرين نوعًا في أكثر من عشرين صفحة لسقتها لك بحذافيرها ، فهي الكنز عليك به من معدنه وتعجب حين تقرأ له بعد أن عدّد هذه الأنواع قوله : " واعلم ـ وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه ـ أن هذا الكتاب المبارك ـ يعني تفسيره ـ تضمن أنواعًا كثيرة جدًا من بيان القرآن بالقرآن ، غير ما ذكرنا تركنا ذكر غير هذا منها خوف إطالة الترجمة ، والمقصود بما ذكرنا من الأمثلة مطلق بيان كثرة الأنواع التي تضمنها واختلاف جهاتها ـ وفي البعض تنبيه لطيف على الكل ـ والغرض أن يكون الناظر في الترجمة على

بصيرة ما يتضمنه الكتاب في الجملة قبل الوقوف على جميع ما فيه "(أضواء البيان١/٢٦) .

ولذا فلا تثريب عليّ أن ذكرت بعض الأمثلة لبعض الأنواع التي جاءت بعد تفسيره . رحمه الله . فهي أنواع كثيرة وأمثلة أكثر ، فمن ذلك :

بيان الإجمال :

وقد ذكر . رحمه الله . في مقدمة تفسيره أن الإجمال يكون بسبب الاشتراك سواء كان الاشتراك في اسم أو فعل أو حرف .

ومن الاشتراك في اسم قوله تعالى : (وليطوفوا بالبيت العتيق)(الحج/٢٩) ، قال . رحمه الله . في ذلك : " في المراد بالعتيق هنا للعلماء ثلاثة أقوال :

الأول : أن المراد به القديم ، لأنه أقدم مواضع التعبد .

الثاني : أن الله أعتقه من الجبابرة .

الثالث : أن المراد بالعتق فيه الكرم ، والعرب تسمي القديم عتيقًا وعاتقًا ومنه قول حسان . رضي الله عنه . :

كالمسك تخلطه بماء سحابة أو عاتق كدم الذبيح مدام

لأن مراده بالعاتق الخمر القديم التي طال مكثها في دنها زمنًا طويلاً وتسمي الكرم عتقًا ومنه قول كعب بن زهير :

قنواء في حرتيها للبصير بها عتق مبين وفي الخدين تسهيل

فقوله عتق مبين : أي كرم ظاهر ومنه قول المتنبي :

ويبين عتق الخيل في أصواتها

أي كرمها ، والعتق من الجبابرة كالعتق من الرق ، وهو معروف .

وإذا علمت ذلك فاعلم : أنه قد دلت آية من كتاب الله على أن العتيق في الآية بمعنى : القديم الأول ، وهي قوله تعالى : (إن أول بيتٍ وضع للناس للذي ببكة مباركًا)(آل عمران/٩٦) مع أن المعنيين الآخرين كلاهما حق ، ولكن القرآن دل على ما ذكرنا ، وخير ما يفسر به القرآن القرآن "(أضواء البيان٥/٦٨٦ـ٦٨٧) .

وقد يكون الإجمال بسبب إبهام في اسم جنس جمعًا كان أو مفردًا أو اسم جمع أو صلة موصول أو معنى حرف .

ومثال الإجمال بسبب الإبهام في اسم جنس مجموع : قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات)(البقرة/٣٧) قال ـ رحمه الله ـ في ذلك : " لم يبين هنا ما هذه الكلمات ، ولكنه بيّنها في سورة الأعراف بقوله : (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين)(الأعراف/٢٣)(أضواء البيان١/٦٣) .

ومثال الإجمال بسبب الإبهام في اسم جنس مفرد قوله تعالى : (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا)(الأعراف/١٣٧) قال ـ رحمه الله ـ في تفسيرها : " لم يبين هنا هذه الكلمة الحسنى التي تمت عليهم ولكنه بينها في القصص بقوله : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)(القصص/٥ ، ٦)(أضواء البيان٢/٢٩٧) .

ومن أمثلة هذا النوع أعني أن يكون الإجمال بسبب الإبهام في اسم جنس مفردًا ، قوله تعالى : (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين)(الزمر/٧١) قال ـ رحمه الله ـ : " فقد بينها بقوله : (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)(السجدة/١٣) ونحوها من الآيات "(أضواء البيان١/٨) .

ثانيًا : تفسير القرآن بالسنَّة :

أما تفسير القرآن بالسنّة ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أورد ـ رحمه الله ـ عددًا كثيرًا منها وهذه بعضها :

فمن ذلك : تفسيره لقوله تعالى : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)(الفاتحة/٧) ، قال : " قال جماهير من علماء التفسير " المغضوب عليهم " اليهود ، " الضالين " النصارى ، وقد جاء الخبر بذلك عن رسول الله صلى عليه وسلم من حديث عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ "(أضواء البيان١/٣٧) .

وقال في تفسير قوله تعالى : (ثلاثة قروء)(البقرة/٢٢٨) ، وأما الذين قالوا الأطهار فاحتجوا بقوله تعالى : (فطلقوهنَّ لعدتهنَّ)(الطلاق/١) قالوا عدتهنَّ المأمور بطلاقهنَّ لها الطهر لا الحيض كما هو صريح الآية .

ويزيده إيضاحًا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر المتفق عليه : [فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسها فتلك العدة كما أمره الله](البخاري ٦/٦٧ ، مسلم٢/١٠٩٣) .

قالوا أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح في هذا الحديث المتفق عليه بأن الطهر هو العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ، مبينًا أن ذلك هو معنى قوله تعالى : (فطلقوهنَّ لعدتهنَّ) وهو نص من كتاب الله وسنّة نبيه في محل النزاع .

قال مقيده عفا الله عنه ـ الذي يظهر لي أن دليل هؤلاء هذا فصل في محل النزاع ، لأن مدار الخلاف هل القروء الحيضات أو الأطهار ؟ وهذه الآية ، وهذا الحديث ، دلا على أنها الأطهار .

ولا يوجد في كتاب الله ، ولا سنّة نبيه صلى الله عليه وسلم شيء يقاوم هذا الدليل ، لا من جهة الصحة ، ولا من جهة الصراحة في النزاع ، لأنه حديث متفق عليه مذكور في معرض بيان معنى آية من كتاب الله تعالى "(أضواء البيان١/١٣٠) .

ومنها ما هو بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن ومنها ما هو بيان للناسخ والمنسوخ ، ومنها ما هو تأكيد لما جاء في القرآن ، وغير ذلك .

ثالثًا : تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

والمؤلف ـ رحمه الله ـ كثيرًا ما يستشهد بالتفسير الصحيح لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثيرًا ما يذكر لتفاسيرهم شواهد من آيات القرآن الكريم أو من سنّة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ففي تفسير قوله تعالى : (وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)(النحل/١١٢) .

قال ـ رحمه الله ـ وقوله : (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) وقع نظيره قطعًا لأهل مكة لما لجّوا في الكفر والعناد ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف "(البخاري كتاب التفسير ٣٩/٦ ، مسلم كتاب صفات النافقين ٢١٥٧/٤) .

فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء حتى أكلوا الجيف والعلهز " وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه " وأصابهم الخوف الشديد بعد الأمن ، وذلك الخوف من جيوش رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته وبعوثه وسراياه ، وهذا الجوع والخوف أشار لهما القرآن على بعض التفسيرات فقد فسر ابن مسعود آية " الدخان " بما يدل على ذلك " .

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ بعض الروايات عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وعقب عليها قائلاً : " وفي تفسير ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لهذه الآية الكريمة ـ ما يدل دلالة واضحة على أن ما أذيقت هذه القرية المذكورة في " سورة النحل " من لباس الجوع أذيقه أهل مكة حتى أكلوا العظام وصار الرجل منهم يتخيل له مثل الدخان من شدة الجوع ، وهذا التفسير من ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ له حكم الرفع لما تقرر في علم الحديث : من أن تفسير الصحابي المتعلق بسبب النزول له حكم الرفع ، كما أشار له صاحب طلعة الأنوار

بقوله :

تفسير صاحب له تعلق بالسبب الرفع له تحقق

وكما هو معروف عند أهل العلم "(أضواء البيان ١/٣٤٠.٣٤٢) .

المراجع :

١ – ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : " عبد الرحمن السديس " ط دار الهجرة

2 – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : الشيخ : محمد الأمين الشنقيطي / ط دار الكتب العلمية .

٣ – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر : " د . فهد بن عبد الرحمن الرومي " .

http://www.islamweb.net/quran/shahksyyat/20/25.htm

بواسطة العضو عبد الله الخميس." (١)

"به الانس التام. قال: وبقيت أنا واياه في مذاكرة ومطارحة سائر الطريق من من ذلك ان اسم جماله كان قياس واسم جمالي عياش، وكان مع جماله المسمى قياس جمال كثيرة فكان يشتغل بأمرها مع المكارين ويغيب عنه يوماً كاملاً بحيث انه يحتاج إلى الماء فلا يجد من يسقيه، وكان حاراً فيأذى بذلك، ويتغير مزاجه ويرتجل في الحال في هجوه مقطعات. قال: واخذ مرة لحماً ودفعه إلى غلامه ليصلحه فأتى به قبل ان ينضج فانشد عند ذلك **ارتجالاً** يخاطب غلامه ويومي إلى هجاء الجمال المذكور:

انت لا تحسن شيئاً ... اذ اتيت اللحم نيا

فاسكب القيء عليه ... واعطه الجمال قيا

قال الفقيه أحمد وقلت انا في صاحبي المسمى عياش:

ان عياش قداتت ... من لديه بدائع

(١) المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، ص/٢٨٠

راح عني وكنت في ... جملة الركب ضائع

كيف يأتي وقلبه ... في المكارين شائع

قال: واستهلينا شهر المحرم بالزرقاء فلما صلينا المغرب وجلسنا ونحن ننظر إلى الهلال فقال لي: م١ تقول في تشبيهه فقلت الذي على بالي من ذلك قول ابن المعتز

والبدر في افق السماء كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء

فقال هذا التشبيه لا يحسن فيه إلا عند طلوعه قبيل الفجر حالة نقصه وانتهائه فهات شيئاً في ابتدائه قلت. قوله أيضاً:

انظر إليه كزورق من فضة ... قد اثقلته حمولة من عنبر

قال فسكت ساعة خفيفة وانشد لنفسه في ذلك **مرتجلا:**

قد رأينا الهلال بالزرقاء ... ظاهراً للانام وقت العشاء

قلت للجابرى فهات مثالاً ... فيه تزري بأفصح الشعراء

قال قد قيل زورق من لجين ... قد ترآى للناظرين بماء

ثم سكت نحو نصف ساعة وأنشد أيضاً **مرتجلاً:**

قال الشهاب الجابري تشيهاً ... يماثل ذا الهلال السافر

فأجبته انظر إلى دورانه ... فلقد حكى في الأرض وقعة حافر

ثم قال الفقيه أحمد لو قال:

هو في السماء مدور ولقد حكى ... دورانه في الأرض وقعة حافر

لكان أحسن. قلت ولبعضهم أيضاً فيه هذا التشبيه الحسن:

والبدر في وسط السماء كأنه ... وجه مضيء تحت قباء أزرق

وفيها: أمر الوزير الكبير حسن باشا بعمارة قبة الشيخ الكبير، والولي الشهير علي بن عمر الشاذلي صاحب المخا بمباشرة على شلبي أمير بندر المخا الحلبي فعمرها عمارة متقنة، وجدد التابوتين وكساهما كسوة حسنة من الصوف الاخضر وكان ابتداء العمارة وختامها في سنة ألف من الهجرة النبوية، ثم أمر الوزير حسن باشا بعمارة جامع كبير شرقي القبة وشاميها فبنى بناء أكيداً وتم، ونصب فيه منبراً من الحجر الأخضر، ثم بنيت له منارة عجيبة في غاية الطول والنحافة واللطف ثم صليت فيه الجمعة واستمرت فيه الخطبة وصلاة الجمعة والجماعة تقبل. الله ذلك منه بمنه وكرمه ويمنه.

ولنختم الكتاب بذكر حبيب الأحباب تاج العابدين على الإطلاق وأويس زمانه بالاتفاق وأسعد السعداء وأكرمهم على ربه المنقذ من الكروب لمن تعلق بسببه، الحري أن تكتب أخباره بماء العيون، وأن ينال كاتبها من الرحمة ما فوق الظنون سعد السويني السعيد، المتصف بكل خلق حميد، الذي يحسن بذكره الختام كما حسن بذكر سيد الرسل الكرام الشروع في الكلام:

ختم هذا الكتاب آن ... وبسعد بحسن الختام

فاختم لنا منك بخير ... وتوفنا على الإسلام

كيف وفي اسمه ما يشعر ببلوغه مرتبة عظيمة من مراتب السعادة مع أن اسمه ثلاثي الحروف، وفضل الثلاثي في اصطلاح أهلها عندهم معروف فطابق اسمه معناه، ووافق فحواه، ولي في المعنى:

يقول لنا لسان الحال منه ... وقول الحق يعذب للمستفيد

فاسمي ووصفي ومريدي ... سعيد في سعيد في سعيد

ولي أيضاً فيه:

ثلاثي به العبد أضحى متصرفاً ... اسم شريف قدره كالمصحفا

فسين السعادة دليل سعادته ... وعين العناية وحسبك ذا كفا

ودال الدلالة على ربه ... فيا سعد من إليه ربه تعرفا." (١)

"بمقبرة الخيزران عند قبر أبي حنيفة رحمة الله عليهما

٩٣٤ عبيد الله بن محمد بن عبد الجليل بن محمد بن الحسن الساوي أبو محمد بن أبي محمد بن أبي الفتح بن أبي سعيد القاضي قال الحافظ أبو عبيد الله محمد الزينبي سألته عن مولده فقال فى المحرم سنة ثلاث عشرة وخمس مائة وقال ابن النجار سالته عن موك فقال في المحرم سنة اثنتى عشرة وخمس مائة سمع من أبي القاسم ابن الحصين وعبد الوهاب الأنماطي قال ابن النجار وحدث بكتاب السنن لأبي داود و كتاب السير للزبير بن بكار عن أبي الحسين بن الفراء قال ابن الزينبي سمع منه قبلنا الحافظ عمر القرشي وسمعنا منه قال ابن النجار وكان فقيها فاضلا على مذهب أبي حنيفة عارفا بالأحكام والقضايا ورعا متدينا عفيفا نزها وتوفى سنة ست وتسعين وخمس مائة عن ثلاث وثمانين سنة

٩٣٥ عبيد الله بن محمد بن منصور أبو القاسم المتوني روى عنه أبو نصر عبد الكريم الشيرازي فى فوائده

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/٢٢٦

٩٣٦ عبيد الله بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن حمزة بن القزويني أبو الوفاء الواعظ من أهل أصبهان قال ابن النجار يعرف بأبي مقرة وأخوه رزق الله تقدم أخوه فضل الله يأتي وولده الحسين تقدم كان من أعيان أهل بلده فضلا وعلما وأدبا وكان يعظ على الكرسي بكلام مليح وله النظم والنثر الحسن وكان فصيحا بليغا ظريفا لطيفا ذكر لي ولده أبو عبد الله الحسين إنه دخل بغداد حاجا عدة مرار وأنه أقام ببغداد سنة وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة الناجية قال ابن النجار أنشدني أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن هبة الله القزويني بأصبهان أنشدني والدي ببغداد على المنبر فى المدرسة الناجية **مرتجلا** لنفسه وقد دنت الشمس للغروب وكان ساعتئذ شرع فى مناقب علي رضي الله عنه

---

(١) ".

"أعلم أن الدال على معين مطلقا أما أن يكون مصدرا بأب أو أم كأبي بكر وأبي الحسن أو كأم كلثوم وأم سلمة وأما أن يشعر برفعة المسمى كأنف الناقة وملاعب الأسنة وعروة الصعاليك وزيد الخيل والرشيد والمأمون والواثق والمكتفي والظاهر والناصر وسيف الدولة وعضد الدولة وجمال الدين وعز الدين وأمام الحرمين وحجة الإسلام وملك النحاة وأما أن يشعر بضعة المسمى كجحي وشيطان الطاق وأبي العبر وجحظة والعكوك وقال أيضا: لال يشعر بواحد منهما بل أجري عليه ذلك لواقعة جرت مثل غسل الملائكة وحمى الدبر ومطين وصالح جزرة والمبرد وثابت قطنة وذي الرمة والصعق وصر در وحيص بيص فهذه الأقسام الثلاثة تسمى الألقاب وإلا فهو الاسم الخاص كزيد وعمرو وهذا هو العلم، وقد يكون العلم مفردا كما تقدم وقد يكون مركبا أما من فعل وفاعل كتأبط شرا وبرق نخره وأما من مضاف ومضاف إليه كعب الله وأما من اسمين قد ركبا وجعلا منزلة اسم واحد كسيبويه، والمفرد قد يكون **مرتجلا** وهو الذي ما استعمل في غير العلمية كمدجح وأدد وقد يكون منقولا أما من مصدر كسعد وفضل أو من اسم فاعل كعامر وصالح أو من اسم مفعول كمحمد ومسعود أو من أفعل تفضيل كأحمد وأسعد أو من صفة كثقيف وهو الدرب بالأمور الظافر بالمطلوب وسلول وهو الكثير السل وقد يكون منقولا من اسم عين كأسد وصقر وقد يكون منقولا من فعل ماض كأبان وشمر أو من فعل مضارع كيزيد ويشكر (ثمرة هذا المطلوب) إذا قد عرفت العلم والكنية واللقب فسردها يكون على الترتيب تقدم اللقب على الكنية والكنية على العلم ثم النسبة إلى البلد ثم إلى الأصل ثم إلى المذهب في الفروع ثم إلى المذهب في الاعتقاد ثم إلى العلم أو الصناعة أو

---

(١) طبقات الحنفية، ٣٤١/١

الخلافة أو السلطنة أو الوزراءة أو القضاء أو الأمرة أو المشيخة أو الحج أو الحرفة كلها مقدم على الجميع فتقول في الخلافة أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامري أن كان ولد بسر من رأي البغدادي فرقا بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس الشافعي الأشعري إن كان يتمذهب في الفروع بفقه الشافعي ويميل في الاعتقاد إلى أبي الحسن الأشعري ثم تقول القرشي الهاشمي العباسي، وتقول في السلطنة السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي نسبة إلى استاذه الملك الصالح التركي الحنفي البندقدار أو السلاح دار، وتقول في الوزراء الوزير فلان الدين أبو كذا فلان وتسرد الجميع كما تقدم ثم تقول وزير فلان، وتقول في القضاة كذلك القاضي فلان الدين وتسرد الباقي كما تقدم، وتقول في الأمراء كذلك الأمير فلان الدين وتسرد الباقي إلى أن تجعل الآخر وظيفته التي كان يعرف بها قبل الأمرة مثل الجاشنكير أو الساقي أو غيرهما، وتقول في أشياخ العلم العلامة أو الحافظ أو المسند ي من عمر وأكثر الرواية أو الإمام أو الشيخ أو الفقيه وتسرد الباقي إلى أن تختم الجميع بالأصولي أو النحوي أو المنطقي، وتقول في أصحاب الحرف فلان الدين وتسر الجميع إلى أن تقول الحرفة أما البزاز أو العطار أو الخياط. فإن كان النسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه قلت القرشي التيمي البكري لأن قريشا أعم من أن يكون تميا والتيمي أعم من أن يكون من ولد أبي بكر رضي الله عنه، وأن كان النسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلت القرشي العدوى العمري، وإن كان النسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه قلت القرشي الأموي العثماني، وإن كان النسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قلت القرشي الهاشمي العلوي، وإن كان النسب إلى طلحة رضي الله عنه قلت القرشي التيمي الطلحي، وإن كان النسب إلى الزبير رضي الله عنه قلت القرشي الأسدي الزبيري، وإن كان النسب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قتل القرشي الزهري السعدي، وإن كان النسب إلى سعيد رضي الله عنه قلت القرشي العدوي السعيدي إلا أنه ما نسب إليه فيما علم، وإن كان النسب إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قلت القرشي الزهري العوفي من ولد عبد الرحمن بن عوف، وإن كان النسب إلى أبي عبيدة بن الجراح قلت القرشي من ولد أبي عبيدة على أنه ما أعقب. هذا الذي ذكرته ههنا هو القاعدة المعروفة والجادة المسلوكة المألوفة عند أهل العلم وإن جاء في هذا الكتاب في بعض التراجم ما يخالف ذلك من تقديم وتأخير فإنما هو سبق الناس القلم وذهول من الفكر وإنما قررت." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات، ١/١٥

"أبو عبد الله السمري الكاتب محمد بن الجهم بن هرون السمري بكسر السين المهملة وتشديد الميم المفتوحة وبعدها راء أبو عبد الله الكاتب، مات سنة سبع وسبعين وماتين عن تسع وثمانين سنة، سمع يعلى بن عبيد الطنافسي وعبد الوهاب بن عطاء ويزيد بن هرون وآدم بن أبي أياس وروى عن الفراء تصانيفه، وروى عنه الحافظ موسى بن هرون والقسم بن محمد الأنباري وأبو بكر بن مجاهد المقرئ ونفطويه واسمعيل بن محمد الصفار وغيرهم، قال الدار قطني: هو ثقة صدوق، وهو القايل يمدح الفراء قصيدة منها:

نحو أحسن النحو فما في ... ه معيب ولا به ازراء

ليس من صنعة الضعايف لكن ... فيه فقه وحكمة وضياء

حجة توضح الصواب وما قا ... ل سواه فباطل وخطاء

ليس من قال بالصواب كمن قا ... ل بجهل والجهل داء عياء

وكأني أراه يملى علينا ... وله واجبا علينا الدعاء

كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشام غارة شعواء

تذهل المرء عن بنيه وتبدي ... عن خدام العقيلة العذراء

قلت: هذان البيتان الأخيران لعبد الله بن قيس الرقيات وإعرابهما مشكل وأما شعر هذا السمري فبئس الشعر مع ما فيه من مد المقصور وهو عيب.

محمد بن أبي الجهم بن حذيفة، كان هو ومحمد بن أبي حذيفة في قصر العرصة فأنزلهما مسلم بالأمان وقتلهما سنة ثلث وستين للهجرة.

الأمير ابن جهور محمد بن جهور بن محمد بن جهور الأمير أبو الوليد ابن أبي الحزم رئيس قرطبة ومدبر أمرها كوالده، قرأ القرآن وسمع الحديث واعتني بالرواية، توفي معتقلا في سجن ابن عباد في سنة إحدى وستين وأربع ماية.

التلعفرى المقرئ محمد بن جوهر بن محمد أبو عبد الله التعفرى المقرئ المجود الصوفي، ولد بتلعفر سنة خمس عشرة وقرأ على أبي اسحق بن وثيق التيسير لأبي عمرو وأخذ عنه التجويد ومخارج الحروف وسمع بحلب من ابن رواحة وابن خليل والصلاح موسى بن راجح وغيرهم، قال الشيخ شمس الدين: قدم علينا دمشق وقرأت عليه مقدمته في التجويد وجزءا من الحديث، كان شيخا ظريفا فيه دعابة وحسن محاضرة، توفي سنة ست وتسعين وست ماية.

أبو عبد الله السمين محمد بن حاتم بن ميمون أبو عبد الله السمين البغدادي، كان صاحب غزو قال التقينا

الروم فأخذني روع فقلت لنفسي أي كذابة أين ما كنت تدعين ثم نزلت النهر واغتسلت وأخذت سلاحي وأتيت من وراء الروم وكبرت تكبيرة عظيمة وكان النصر للروم فلما سمعوا التكبيرة ظنوا أن كمينا وراءهم فانهزموا ومنح الله المسلمين أكتافهم قتلا وأسرا، روى عن سفين بن عيينة وغيره واختلفوا فيه، توفي سنة إحدى وستين وماتين، روى عنه مسلم وأبو داود ووثقه ابن حبان.

محمد بن حاتم بن خزيمة أبو جعفر الأسامي بضم الهمزة وفتح السين المهملة وبعد الألف ميم من ولد أسامة بن زيد الحب الكشى المعمر، توفي سنة تسع وثلثين وثلث ماية.

محمد بن الحرث بن أسد أبو عبد الله الحشنى القيرواني الحافظ، دخل الأندلس وتمكن من صاحبها الحكم بن الناصر وصنف له كتبا منها كتاب الإتفاق والاختلاف في مذهب مالك، وكتاب الفتيا وتاريخ الأفريقيين، والنسب، قال ابن الفرضى: بلغني أن صنف ماية ديوان وكان شاعرا بليغا لكنه يلحن، وكان يعاني الكيمياء واحتاج بعد موت الحكم إلى أن جلس في حانوت بيع الأدهان، وتوفي سنة إحدى وستين وثلث ماية.

محمد بن الحرث بن بسخنر أبو جعفر، يزعمون أنه مولى المنصور، قال صاحب الأغاني: احسبه ولاء خدمة لا ولاء عتق، أصله من الري وكان يزعم أنه من ولد بهرام جوين وولد بالحيرة وكان يغنى **مرتجلا** لأن أصل ما غنى عليه المعزفة وكانت تحمل معه إلى دار الخليفة فمر بها غلامه يوما فقال قوم كانوا جلوسا على الطريق مع هذا الغلام مصيدة الفار فقال بعضهم لا هذه معزفة محمد بن الحرث فحلف محمد بن الحرث بالطلاق والعتاق أنه لا يغنى بها أبدا، وكان أحسن خلق الله أداء وسرعة أخذ للغناء، وكان لأبيه الحرث جوار محسنات وكان الموصلي يرضاهن ويأمرهن أن يطرحن على جواريه.." (١)

"أحمد بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن جعفر بن أحمد بن هشام ابن يوسف بن توهيت القرشي الأموي البهنسي المفتي الفقيه علم الدين القمني الضرير، ولد سنة عشرين وتوفي بالقاهرة سنة ست وثمانين وست مائة. روى عن ابن الجميز وغيره، وأعاد بالظاهرية بالقاهرة وكانوا يكتبون عنه في الفتوى، وأظنه القمني المذكور في فتوى الفتوة ومرآة المروة للوطواط الكاتبي لأنه ذكر من أجاب له في ذل السؤال المشهور من أهل العصر وهو نثر ونظم جيدان. أخبرني الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه قال: مولده ثامن عشرين شعبان سنة عشرين وكان فقيها فاضلا وله مشاركة في نحو وأصول وكان في الحفظ آية يحفظ السطور الكثيرة والأبيات من سمعة واحدة، وكان يقعد يوم الجمعة تحت الخطيب فيحفظ الخطبة من

---

(١) الوافي بالوفيات، ١/٢٧٧

إنشاء الخطيب في مرة واحدة ويمليها بعد ذلك إلا أنه كان لا يثبت له الحفظ، وكان فيه صلاح وديانة وله أدب ونظم ونثر. كنت في درس قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن العلامي في الصالحية فنعي لي شيخنا اللغوي الإمام رضي الدين الشاطبي فنظمت في الدرس أرثيه:

نعي لي الرضي فقلت لقد ... نعى لي شيخ العلا والأدب

فمن للنحاة ومن للغات ... ومن للتقاة ومن للنسب

لقد كان للعلم بحرا فغار ... وإن غؤور البحار العجب

فقدس من عالم عامل أثار شجوني لما ذهب

ثم أنشدتها في الدرس لقاضي القضاة فسمعها الشيخ علم الدين القمني فحفظها وأنشدنا **مرتجلا:**

نظمت كلاما يفوق اللجين ... جمالا وينسي نضار الذهب

فقمت بحق الرثاء الذي ... بشرع المودة فربض وجب

وأنشدته بشجى موجد ... لكل القلوب شجون الطرب

فأذكيت فينا لهيب الأسى ... وهيجت فينا جمار الحرب

بنظم رقيق رشيق إلى ... جميع القلوب الرقاق اقترب

فبلغك الله ما ترتضي ... وأعطاك أقصى المنى والأرب

ابن الشيخ العماد المقدسي

أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور ابن الشيخ العماد المقدسي الصالحي، ولد سنة ثمان وست مائة وتوفي سنة ثمان وثمانين وست مائة، سمع من ابن الحرستاني وابن ملاعب وأبيه والشيخ الموفق وطائفة، ورحل إلى بغداذ متفرجا وسمع من عبد السلام الداهري وعمر بن كرم واشتغل ثم انخلع من ذلك وتجرد فقيرا، وكان سليم الصدر عديم التكلف والتصنع، فيه تعبد وزهد، وله أتباع ومريدون وللناس فيه عقيدة وكان الصاحب بهاء الدين ابن حنا يزوره، قال الشيخ شمس الدين: إلا أنه كان يأكل عشبة الفقراء فيما قيل ويقول: هي لقيمة الذكر والفكر، وربما صحب الحريري، سمع منه المزي والبرزالي والطلبة وأقام مدة بزاوية له يسفح قاسيون.

الشيخ عز الدين الفاروثي الشافعي." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢/٢٩٣

"فلا تكتحل عيناك منها بعبرة ... على ذاهب منها فإنك ذاهب

ومن شعره:

يا ذا الذي خط العذار بوجهه ... خطين هاجا لوعة وبلابلا

ما صح عندي أن لحظك صارم ... حتى لبست بعارضيك حمائلا

قال ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين: أخذه البهاء أسعد السنجاري فقال:

يا سيف مقلته كملت ملاحة ... ما كنت قبل عذاره بحمائل

ومن شعر ابن عبد ربه:

إن الغواني إن رأينك طاويا ... برد الشباب طوين عنك وصالا

وإذا دعونك عمهن فإنه ... نسب يزيدك عندهن خبالا

وقال في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي من أبيات:

بالمنذر بن محمد ... شرفت بلاد الأندلس

فالطير فيها ساكن ... والوحش فيها قد أنس

قال الوزير المغربي في كتاب أدب الخواص: وشقت هذه القصيدة عند انتشارها على المعز أبي تميم معد، وساءه ما تضمنته من الكذب والتمويه إلى أن عارضها شاعره الإيادي بأبيات أولها:

ربع لمية قد درس ... واعتاض من نطق خرس

ول ا بن عبد ربه:

نعق الغراب فقلت أكذب طائر ... ما لم يصدقه رغاء بعير

قال ابن خلكان: وفيه التفات إلى قول بعضهم:

لهن الوجى لم كن عونا على النوى ... ولا زال منها ظالع وحسير

وما الشؤم في نعق الغراب ونعبه ... ولا الشؤم إلا ناقة وبعير

قلت: والتفات إلى قول الآخر:

ما فرق الأحباب بع ... د الله إلا الإبل

وما غراب البين إ ... لا ناقة وجمل

وحام على هذا أبو الطيب فقال:

وما عفت الرياح لهم محلا ... عفاها من حدا بهم وساقا

وهو كثير.

ولابن عبد ربه أيضا:

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا ... ورشا بتقطيع القلوب رفيقا

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... درا يعود من الحياء عقيقا

وقال وهو آخر ما قاله:

بليت وأبلتني الليالي بكرها ... وصرفان للأيام معتوران

ومالي لا أبلى لسبعين حجة ... وعشر أتت من بعدها سنتان

وأصابه الفالج قبل وفاته بأعوام.

وكان ابن عبد ربه صديقا لأبي محمد يحيى القلفاط الشاعر ثم فسد ما بينهما وتهاجيا، وكان السبب في ذلك أن ابن عبد ربه مر به يوما وكان في مشيه اضطراب فقال: أبا عمر ما علمت أنك آدر إلا اليوم لما رأيت مشيك، فقال له ابن عبد ربه: كذبتك عرسك أبا محمد؛ فعز على القلفاط كلامه وقال له: أتتعرض للحرم؟ والله لأرينك كيف الهجاء. ثم صنع فيه قصيدة أولها:

يا عرس أحمد إني مزمع سفرا ... فودعيني سرا من أبي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك؛ وكان القلفاط يلقبه بطلاس لأنه كان أطلس اللحية ويسمى كتاب العقد حبل الثوم، فاتفق اجتماعها يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط: كيف حالك اليوم مع أبي عمر؟ فقال **مرتجلا:**

حال طلاس لي عن رائه ... وكنت في قعدد أبنائه

فبدر ابن عبد ربه وقال:

إن كنت في قعدد أبنائه ... فقد سقى أمك من مائه

فانقطع القلفاط خجلا.

؟؟؟؟؟؟؟؟الصوفي

أحمد بن محمد ن دست دادا شيخ الشيوخ النيسابوري الصوفي الزاهد؛ صحب الزاهد أبا سعيد فضل الله أبن أبي الخير الميهني، وتوفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

؟؟؟؟؟؟؟؟ابن مختار النحوي

أحمد بن محمد بن جعفر بن مختار الواسطي أبو علي النحوي العدل ابن أخي أبي الفتح محمد بن محمد بن جعفر بن مختار النحوي؛ مات بعد الخمسمائة وله عقب بواسط فيما ذكره ياقوت. أخذ النحو عن أبي

غالب ابن بشران، وكان منزله مؤلفا لأهل العلم، وكان من الشهود المعدلين، وكان طحانا. دخل في بعض الأوقات عسكر الأعاجم ونهبوا قطعة من واسط ونهبوا دكانه ونزلوا داره. قال الشريف عبد الوهاب ابن أبي غالب عن الشريف أبي العلاء ابن التقي: فدخلت معه إليهم نستعطفهم أن يردوا عليه بعض ما أخذوا له، فلم نر لذلك وجها فخرجنا وهو يقول:

تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق." (١)

"مدني. روى عنه محمد بن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وسلم: " ما من شيء يصاب به أحدكم من العافية والطنز إلا الله يكتب له أجرا " .

السائب بن أبي لبابة

بن عبد المنذر أبو عبد الرحمن

ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، روايته عن عمر بن الخطاب، وهذا قول الواقدي.

السائب بن يزيد

بن سعيد بن ثمامة بن الأسود

ابن أخت النمر، قيل: كناني، وقيل: هذلي، وقيل: أزدي، وهو حليف لبني أمية، ولد في السنة الثالثة من الهجرة، فهو ترب ابن الزبير والنعمان بن بشير في قوله. وكان عاملا على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة بن مسعود. قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله: إن ابن أختي وجع. فدعا لي ومسح برأسي، ثم توضأ فسربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه. كأنه زر الحجلة.

السائب بن عبيد

بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف

جد الإمام الشافعي رضه. كان السائب هذا صاحب راية بني هاشم يوم بدر مع المشركين، فأسر ففدى نفسه. ثم أسلم.

خاثر المغني

السائب خاثر، بالخاء المعجمة وبعد الألف ثاء مثلثة وراء، هو مولى لنبي ليث. وكان تاجرا موسرا يبيع الطعام، ولم يكن يضرب بالعود، وكان يوقع بالقضيب ويغني **مرتجلا**، وكان منقطعا إلى عبد الله بن جعفر

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٤/٣

مخالطا لسروات الناس، وكان يذهب بنفسه إلى أن لا يجالس إلا الخلفاء ومن قاربهم. وكان معبد يأخذ عنه. غني يوما ومعاوية بني السماطين بشعر أبي دهبل من المديد:

إذهبي يا لهو فاستمعي ... خبريه بالذي فعلا

واسأليه فيم يصرمنا ... قد وصلناه فما وصلا

وتجنى حين لنت له ... ذنب صخر يبتغي العللا

فلم يسمعه أحد إلا فتن به. ويقال إن سائب خاثر قال لناس من أصحابه في الليلة التي كان في صبيحتها الحرة: انطلقوا إلى سلع فتزودوا مني! فوالله لكأنكم بي غدا، وقد أدركتني الخيل في المنهزمة فقتلت فر أيتموني شائلا، فكان مما غناهم من الطويل:

سألت المحبين الذين تكلفوا ... بتأريخ هذا الحب من سالف الدهر

فقلت لهم ما يذهب الحب بعدما ... تمكن ما بين الجوانح والصدر

فقالوا شفاء الحب حب يزيله ... من آخر أو نأي طول على الهجر

قالوا: فما سمعنا قط أحسن من غنائه تلك الليلة، ثم ذكر أهله وولده فبكى بكاء شديدا، فقلنا: ويحك! انصرف إلى أهلك وولدك! فقال: قد والله هممت بذلك غير مرة! فكأنما يجرني إنسان إلى هذه الناحية وإني لأجد غما ووسوسة في صدري لم أعهدها قبل ذلك، وكأن أهلي وولدي قد مثلوا بين يدي من شدة الشوق إليهم، فلما أصبح خرج يريد القتال، فأخذ أسيرا، فقال للذين أخذوه: إن مثلي لا يقتل! قالوا: ولم؟ قال لأني مغن حسن الصوت، وإنما أسمعكم ما يسركم، قالوا: هات! فاندفع يغنيهم فألهاهم عما هم فيه من الحرب، فاعترضه رجل من أهل الشأم فقال: أحسنت يا مدني، ونفحه بالسيف، فرمى برأسه. فمر به بعض القرشيين، فضربه برجله، وقال: إن ههنا لحنجرة حسنة، ولما عرضت أسماء القتلى على يزيد بن معاوية مر به أسمه، فقال: من؟ سائب خاثر صاحبنا؟ قال: نعم، قال: أولم ينادمنا؟ فما تقم علينا حين خرج مع عدونا؟ وكان لمعاوية في سائب رأي حسن وهوى غالب. وكان يصله إذا قدم عليه ويحضره مجلسه ويسمع غناءه، فإذا غاب عنه تعاهده بصلته، وما قدم على معاوية رجل من قريش إلا رفع السائب خاثر حاجته لعلمهم رأي معاوية فيه، فيقضيها لهم.

أبو العباس الشاعر الأعمى." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٩/٥

"طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن عمر، القاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي؛ كان ثقة صادقا عارفا بالأصول والفروع محققا حسن الخلق صحيح المذهب، قال الخطيب: اختلفت إليه وعلقت عنه الفقه سنين. قال القاضي أبو بكر ابن بكران الشامي، قلت للقاضي أبي الطيب شيخنا وقد عمر: لقد متعت بجوارحك أيها الشيخ، فقال: ولم لا وما عصيت الله بواحدة منها قط؟ أو كما قال. وقال غير واحد: سمعنا أبا الطيب يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله أرأيت من روى عنك إنك قلت: " نصر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها " الحديث، أحق هو؟ قال: نعم، وكان الطبري صاحب وجه في المذهب، ومن غرائبه أن خروج المني ينقض الوضوء، ومن ذلك أن الكافر إذا صلى في دار الحرب كانت صلاته إسلاما. وولد القاضي أبو الطيب بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وتوفي سنة خمسين وأربعمائة عن مائة وسنتين، ولم يختل عقله ولا تغير فهمه، يفتي مع الفقهاء، ويستدرك عليهم الخطأ، وهو أحد الأعلام. وكان له قميص وعمامة بينه وبين أخيه، إذا خرج ذاك من البيت قعد هذا، وإذا خرج هذا قعد ذاك، ودخلوا عليه يوما فوجدوه عريانا مؤتزرا بمئزر، فاعتذر من العري وقال: نحن كما قال الشاعر:

قم إذا غسلوا ثياب جمالهم ... لبسوا البيوت إلى فراغ الغاسل

وتفقه بآمل على الزجاجي صاحب ابن القاص، وقرأ على أبي سعيد الإسماعيلي وأبي القاسم ابن كج بجرجان ثم ارتحل إلى نيسابور وأدرك أبا الحسن الماسرجسي وتفقه عليه اربع سنين، ثم قدم بغداد وحضر مجلس الشيخ أبي حامد الإسفراييني " ، وعليه قرأ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وقال في حقه: لم أر في من رأيت أكمل اجتهادا وأشد تحقيقا وأجود نظرا منه. وشرح مختصر المزني وفروع ابن الحداد، وصنف في الأصول والمذهب والخلاف ولجدل كتبا كثيرة؛ واستوطن بغداد وولي القضاء بربع الكرخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري، ولم يزل على القضاء إلى أن توفي ببغداد رحمه الله تعالى. وكتب إلى أبي العلاء المعري لما أن قدم بغداد ونزل في سويقة غالب:

وما ذات در لا يحل لحالب ... تناوله واللحم منها محلل

لمن شاء في الحالين حيا وميتا ... ومن رام شرب الدر فهو مضلل

إذا طعنت في السن فالطعم طيب ... وآكله عند الجميع مغفل

وخرفانها للأكل فيها كزازة ... فما لحصيف الرأي فيهن مأكل

وما يجتني معناه إلا مبرز ... عليم بأسرار القلوب محصل

فأملى المعري الجواب **ارتجالا** على الرسول:

جوابان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مضلل

فمن ظنه كرما فليس بكاذب ... ومن ظنه نخلا فليس يجهل

لحومهما الأعناب والرطب الذي ... هو الحل والدر الرحيق المسلسل

ولكن ثمار النخل وهي غضيضة ... تمر وغضن الكرم يجنى ويؤكل

يكلفني القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدرا بل أعز وأطول

ولو لم اجب عنها لكنت بجهلها ... جديرا ولكن من يودك مقبل

فأجابه القاضي عن ذلك بقوله:

أثار ضميري من يعز نظيره ... من الناس طرا سابغ الفضل مكمل

ومن قلبه كتب العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار مشعل

تساوى له سر المعاني وجهرها ... ومعضلها باد لديه مفصل

ولما أقاد الحب قاد منيعه ... أسيرا بأنواع البيان مكبل

وقربه من كل فهم بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل

وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... **ومرتجلا** من غير ما يتمهل

فيخرج من بحر ويسمو مكانه ... جلالا إلى حيث الكواكب تنزل

فهناه الله الكريم بفضله ... محاسنه والعمر فيها مطول

فأجاب **مرتجلا** إملاء على الرسول:

ألا أيها القاضي الذي بدهائه ... سيوف على أهل الخلاف تسلل

فؤادك معمور من العلم آهل ... وجدك في كل المسائل يقبل." (١)

"طلحة بن محمد، وقيل أحمد، بن طلحة النعماني، أبو محمد، من أهل النعمانية؛ كان فاضلا عارفا باللغة والأدب والشعر، ورد إلى بغداد وخرج منها إلى خراسان، وأقام ببلادها مدة؛ قال ياقوت في معجم الأدباء: سمعت أبا عمرو عثمان بن محمد البقال بخوارزم يقول: كنت أنا والشيخ أبو محمد طلحة نمشي ذات يوم في السوق، فاستقبلنا عجلة عليها حمار ميت يحمله الدباغون إلى الصحراء ليسلخوا جلده، فقلت **مرتجلا**:

---

(١) الوافي بالوفيات، ٥/٢٧٠

يا حاملا صرت محمولا على عجله

فقال:

وافاك موتك منتابا على عجله

ومضت على ذلك أيام قلائل " ، فلقيني السيد أبو القاسم الفخر بن محمد الزبيدي، فحكيت له هذه القصة، ففكر سويعة: وقالو:

والموت لا يتخطى الحي رميته ... ولو تباطأ عنه الحي أزعج له

ومن شعر النعماني:

يا ملكا في أفق الدست لاح ... يخاله الناظر ضوء الصباح

ليس على من رام نيل الغنى ... بالمدح من جودك يوما جناح

يا خاتم الحمد بأوصافه ... جد لي كما كان بك الإفتتاح

ما بال حظي كلما رمته ... بالمدح عناني بطول الجماح

وقال محب الدين ابن النجار: نقلت من خط العماد الكاتب في الخريدة له من قصيدة يمدح بها الإمام المستظهر عند عوده من اليمن والحجاز، وقد كان أرجف بموته وقد هبثت أيدي نواب المواريث في أملاكه:

الفت قناع الحسن بعد شماس ... ورنت بناظرتي مهاة كناس

عبث الدلال بعطفها فتمايلت ... عبث النسيم بناعم مياس

فرأيت غصن البان تثنيه الصبا ... من فوق حقف الرملة الميعاس

منها في المديح:

الجاعل الأموال جنة عرضه ... والمستعان به على الإفلاس

عرفت فضائله بعرف نجاره ... والزند يعرف من سنا المقباس

وأورد له محب الدين ابن النجار:

صد بعد اللقا وأبدى القطيعة ... من غدا قلب كل صب مطيعه

شادن مقلتاه غربا حمام ... جفنه الجفن والحجاج القبيعه

كل وقت تبدي اللواحظ منه ... غارة في القلوب جدا فظيعه

كم أسالت من جفن صب محب ... حين أصمته دمعه ونجيعه

خدعة حربه تراه إذا را ... م قلوب العشاق أبدى الخديعه

أظمأ الخصر منه ردف ثقيل ... ضامن أن يذيبه ويجيعه

لفع الحسن وجهه وكساه ... حلة زان وشيها تلفيعه

كم نهيت الدموع في ساعة التو ... ديع أن تظهر الهوى وتذيعه

كان يدني الخيال والليل قد ج ... ر إلى الصبح قطعه وهزيعه

يا بديع الجمال في كل يوم ... فعلة منك بالقلوب بديعه

تنفث السحر إن نظرت بطرف ... لا يداوي الدرياق عجزا لسيعه

أقسمت ناظراك بالغنج منها ... أنها لا تقيل قط صريعه

رب ليل قطعته بك لهوا ... آمنا من تفرق وقطيعه

غار بدر السماء لما رآني ... لائما شبه وجهه وضجيعه

قال العماد الكاتب: ورد طلحة بن أحمد النعماني إلى البصرة في زمان الحريري صاحب المقامات وكتب إليه رسالته الشينية نظما ونثرا.

النقيب الزينبي

طلحة بن علي بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد ابن عبد الوهاب بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو احمد ابن أبي الحسن ابن أبي الحسين الزينبي؛ ولي النقابة على العباسيين ببغداد بعد ابن عم جده محمد بن طراد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وبقي على ذلك مدة ولاية الإمام المقتفي؛ ولما ولي المستنجد أقره عليها، وناب في الوزارة. وكان شابا سريا حسن الصورة مليح الشكل، له أبهة وعليه وقار؛ سمع شيئا من الحديث وحدث باليسير، وتوفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة.

حفيد المستظهر بالله." (١)

"عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب، أبو محمد ابن أبي الكرم النحوي. كان أعلم أهل زمانه بالنحو حتى يقال إنه كان في درجة أبي علي الفارسي. وكانت له عرفة بالحديث واللغة والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يد حسنة. قرأ الأدب على أبي منصور ابن الجواليقي وغيره، والحساب والهندسة على أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، والفرائض على أبي بكر المزرفي. وسمع الحديث من أبي القاسم علي بن الحسين الربعي، وأبي الغنائم محمد بن

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٩٧/٥

علي ميمون النرسي. وقرأ بنفسه الكثير على هبة الله ابن محمد بن الحصين، وأبي العز أحمد بن عبيد الله بن كادش وغيرهما. ولم يزل يقرأ حتى قرأ على أقرانه، وقرأ العالي والنازل وكتب بخطه من الأدب والحديث وسائر الفنون، وكان يكتب مليحا ويضبط صحيحا، وحصل من الأصول، وغيرها ما لا يدخل تحت حصر، ومن خطوط الفضلاء وأجزاء الحديث شيئا كثيرا، ولم يمت أحد من أهل العلم إلا واشترى كتبه. وقرأ عليه الناس الأدب، وانتفعوا به، وتخرج به جماعة، وروى كثيرا من الحديث، وسمع منه الكبار. روى عنه أبو سعد ابن السمعاني، وأبو أحمد ابن سكينة، وابن الأخضر وغيرهم، وكان بخيلا مقنطا على نفسه، مبتذلا في ملبسه ومطعمه ومعيشته، متهتكا في حركاته، قليل المبالاة بحفظ ناموس العلم والمشيخة، يلعب الشطرنج على قارعة الطريق ويقف على حلق المشعبذين والذين يرقصون الدباب والقرود من غير مبالاة. قال ابن الأخضر: كنت يوما عنده وعنده جماعة من الحنابلة، فسأله مكي الغراد: عندك "كتاب الجمال " ؟ فقال: يا أبله ما تراهم حولي!؟ وسأله بعض تلامذته فقال: القفا يمد ويقصر؟ فقال له: يمد ثم يقصر! وسأل بعض تلامذته: ما بك؟ فقال: فؤادي يؤجعني، فقال: لو لم تهمزه لم يوجعك! وقرأ عليه بعض المعلمين قول العجاج: من الرجز

أطربا وأنت قنسري ... وإنما يأتي الصبى الصبي

فجعله الصبي بالياء، فقال له: هذا عندك في المكتب! وكان يتعمم العمامة وتبقى على حالها مدة حتى تسود مما يلي رأسه منها، وتتقطع من الوسخ، وترمي العصافير عليها ذرقها! وصنف الرد على الحريري في مقاماته، وشرح اللمع لابن جني ولم يتمه، وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو، وعمل الرد على التبريزي الخطيب في تهذيب إصلاح المنطق، وشرح الجمل للجرجاني وترك منه أبوابا في وسط الكتاب. وتوفي سنة سبع وستين وخمسمائة، ووقف كتبه، ومن شعره في الشمعة: من السريع

صفراء لا من سقم مسها ... كيف وكانت أمها الشافيه

عريانة باطنها مكتس ... فاعجب لها كاسية عارية

وأنشد لابن الحجاج: من الخفيف

والسعيد الرشيد من شكر النا ... س له سعيد بمال الناس

فقال مرتجلا: من الخفيف

والشقي الشقي من ذمة النا ... س على بخله بمال الناس

ابن الإمام القادر عبد الله أحمد القادر إسحاق بن المقتدر جعفر بن أحمد المعتضد بن محمد بن جعفر

المتوكل. توفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة، وصلى عليه أبو جعفر أخوه وكبر أربعا، ودفن في الرصافة حيال أخيه الغالب بالله، وله اثنان وعشرون سنة وأربعمائة وأربعة أشهر واثنا عشر يوما. وقال الشريف المرتضي يرثيه بقصيدة بائية أولها: من الكامل

ما في السلو لنا نصيب يطلب ... الحزن أقهر والمصيبة أغلب

لك يا رزية من فؤادي زفرة ... لا تستطاع ومن جفوني صيب

أبو جعفر المقرئ عبد الله بن أحمد بن جعفر، أبو جعفر الضرير المقرئ. من أهل واسط. قدم بغداد صبيا وأقام بها. قرأ بالروايات على الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الدباس المعروف بالبارع وغيره، وسمع أبي القاسم هبة الله بن الحصين، وأحمد بن الحسن بن البناء، ويحيى بن عبد الرحمان ابن حبيش الفارقي وغيرهم. وتوفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

أبو القاسم العلاف الشافعي عبد الله بن أحمد بن الحسن بن طاهر العلاف، أبو القاسم البغدادي. كان شافعي المذهب وله معروفة بالفرائض وقسمة التركات. سمع عبد الله بن محمد الصريفيني، وأحمد ابن محمد النقور، وهناد بن إبراهيم النسفي. وتوفي سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

ابن بنت وليد قاضي مصر." (١)

"خذوا خبري به عن خوف ثان ... يجاهر بالعناد وأمن جار

ومنه:

وقائلة إن المعالي مواهب ... فقلت لها أخطأت هن مناهب

أرادت صدودي وانحرافي عن العلا ... وما أنا في هذي المذاهب ذاهب

ومنه:

ألا رب أعداء لئام قريتهم ... متون سيوف أو صدور عوالي

إذا كلبهم يوما عوى لي رميتهم ... بكلب إذا عاوى الكلاب عوى لي

ومنه:

عجبت لوغد قد جذبت بضبعه ... فأصبح يلقاني بتيه وبشما

بريد مساماتي ومن دونها السما ... وكيف يباريني سموا وبي سما

ومنه:

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣٤٩/٥

وكم حاسد لي انبرى فانثنى ... بغصة نفس شجاها شجاها

ومن أين يسمو لنيل العلا ... وما بث مالا ولا راش جاها

ومنه:

ضاق صدري من هوى قمر ... قمر القلب وما شعرا

ليت أجفاني به سعدت ... فترى الطرف الذي فترا

ومنه:

عذيري من جفون راميات ... بسهم السحر من عيني غزال

غزاني طرفه حتى سباني ... لأنتصرن منه بمن غزالي

ومنه:

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ... ووكل أجفاني برعي كواكبه

فيا جزعي مهلا عساه يعود لي ... ويا كبدي صبرا على ما كواك به

ومنه:

صل محبا أعياه وصف هواه ... فضناه ينوب عن ترجمانه

كلما راقه سواك تصدت ... مقلتاه بدمعه ترجمانه

ومنه:

يا ذا الذي أرسل من طرفه ... علي سيفا قدني لو فرى

شفاء نفسي منك تجميشة ... يغرس في خديك نيلوفرا

ومنه:

أما حان أن يشفي المستهام ... بزورة وصل وتأوي له

يجمجم عن سؤله هيبة ... ويعلم علمك تأويله

ومنه:

سقيا لدهر مضى والوصل يجمعنا ... ونحن نحكى عناقا شكل تنوين

فصرت إذا علقت نفسي حبالكم ... بسهم هجرك ترمي ثم تنويني

ومنه:

إن كنت تأنس بالحبيب وقربه ... فاصبر على حكم الرقيب وداره

إن الرقيب إذا صبرت لحكمه ... بواك في مثوى الحبيب وداره

ومنه:

شكوت إليه ما ألاقي فقال لي ... رويدا ففي حكم الهوى أنت مؤتلي

فلو كان حقا ما ادعيت من الجوى ... لقل بما تلقى إذا أن تموت لي

ومنه:

ومعشوق يتيه بوجه عاج ... شبيه الصدغ منه بلام زاج

إذا استسقيته راحا سقاني ... رضابا كالرحيق بلا مزاج

ومنه:

ظبي يحار البرق في بريقه ... غنيت عن إبريقه بريقه

فلم أزل أرشف من رحيقه ... حتى شفيت القلب من حريقه

ومنه:

إن لي في الهوى لسانا كتوما ... وحنانا يخفي حريق جواه

غير أني أخاف دمعي عليه ... ستراه يفشي الذي ستراه

ومنه:

تفرق قلبي في هواه فعنده ... فريق وعندي شعبة وفريق

إذا ظميت نفسي أقول له اسقني ... وإن لم يكن راح لديك فريق

ومنه:

أهدت جفونك للفؤاد ... من الغرام بلا بلا

فالشوق منه بلا مدى ... والوجد فيه بلا بلا

وقال به أبو القاسم الكرخي؛ كنت ليلة عند الصاحب بن عباد ومعنا أبو العباس الصبي، وقد وقف على رؤوسنا غلام كأنه فلقة قمر؛ فقال الصاحب:

أين ذاك الظبي أينه

فقال أبو العباس:

شادن في وصف قينه

فقال الصاحب:

بلسان الدمع تشكو ... أبدا عيني عينه

فقال أبو القاسم:

لي دين في هواه ... ليته أنجز دينه

فزاد الأمير أبو الفضل:

لا قضى الله ببين ... أبدا بيني وبينه

وأنشده بعض الحاضرين قول الشاعر:

أحسن من روضة حزن ناضره ... قد فتح النرجس فيها ناظره

فقال الأمير أبو الفضل **مرتجلا:**

طلعة معشوق لديك حاضره ... ناضرة تجلو العيون الناظرة

ومن شعره أيضا:

روض يروض هموم قلبي حسنه ... فيه لكاس اللهو أي مساغ." (١)

"ويقول ابن المنجم أيضا:

قل لمن تله حين م ... ر علينا ببغله

بعدما كان ليس يم ... لك شسعا لنعله

وكسا البردة الغلا ... م جزاء بفعله

أكذا كل شاعر ... بعله خلف بغله

ولابن الذروي قصيدة ذالية مليحة، مدح بها مجد الدين المبارك بن منقذ، وهي مذكورة في ترجمة المبارك في مكانه. قال أبو موسى عمران الخندقي قاضي طنبذى: دخلت وجماعة من أصحابنا على الوجيه ابن الذروي، وهو يشرب مع قوم، فمزحنا معهم، وداعبناهم، فصفع الوجيه، فقال **مرتجلا:**

ويوم قاسمتنا اللهو فيه ... أناس ليس يدرون الوقارا

أدرنا الصفع والكاسات فيه ... فعربدت الصحاة على السكارى

زين الدين بن السدار

علي بن يحيى بن أحمد بن عبد العزيز، الرئيس زين الدين، أبو الحسن بن السدار، الأنصاري المصري، الكاتب المنشئ. ولد بالقاهرة في الدولة العبيدية، سنة خمس وخمسين وخمس مائة، وتوفي سنة إحدى

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣٠٣/٦

وأربعين وست مائة. وكتب في ديوان الإنشاء في الدولة الناصرية والعادلية والكاملية. وهو أخو الوجيه محمد. وكتب الإنشاء للصاحب صفي الدين بن شكر.

ابن الشاطبي الشافعي المسند

علي بن يحيى بن علي بن محمد بن أبي بكر، الشيخ الفقيه المقرئ، الفقيه العالم المسند علاء الدين، أبو الحسن التجيبي الشاطبي الدمشقي الشافعي الشاهد. ولد سنة ست وثلاثين وست مائة، وتوفي سنة إحدى وعشرين وسبع مائة. سمع من الرشيد بن مسلمة والمجد الإسفراييني، والرشيد العراقي، والنور البلخي، واليلداني، والجمال الصوري، وعدة. وأجاز له ابن الجميزي وغيره، وخرج له الشيخ صلاح الدين العلائي. وطال عمره، وتفرد، وروى الكثير. وكان له مسجد وحلقة مدارس، وعجز آخرا وانقطع، وكان يسمع قي القباقبيين.

ابن نخلة الشافعي

علي بن يحيى بن نخلة، الشيخ علاء الدين، مدرس الدولعية. توفي سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة.

المسيبي الشاعر

علي بن يحيى، أبو الحسن البغداذي المسيبي. مدح عضد الدولة بفارس. قال أبو عبد الله الخالع: كان منتحلا، وكنا نعمل الأشعار، ويمدح بها الناس؛ وكان ماجنا ظريفا. سافر إلى ابن عباد، ومدحه بقصيدة كانت معه. وعرف من بعد أنه كان ينتحل، وسأله أن يعمل له أشعارا يمدح بها سواه ممن يلقاه في تلك البلاد، ففعل ابن عباد ذلك، وكان يعجبه أمره، ويخف على قلبه.

القاضي علاء الدين بن فضل الله

علي بن يحيى بن فضل الله، القاضي علاء الدين، أبو الحسن، صاحب ديوان الإنشاء؛ تقدم بقية نسبه في ذكر أخيه القاضي شهاب الدين بن فضل الله.

لما نزل أخوه القاضي شهاب الدين من القلعة في حياة والده القاضي محيي الدين ولزم بيته، تقدم السلطان الملك الناصر إلى والده أن يدع القاضي علاء الدين يكون يدخل يقرأ البريد، ويخرج وينفذ الأشغال على قاعدة أخيه، وذلك في سنة سبع وثلاثين وسبع مائة. ولم يزل كذلك إلى توفي والده، فاستقل بالوظيفة بمفرده، وقام بها أحسن قيام، وخدمته السعادة، ولم يزل كذلك إلى أن توفي الملك الناصر، وولي ولده الملك المنصور أبو بكر، فاستمر به. ولما تولى الملك الأشرف علاء الدين كجك أخوه، زاده إنعاما من الدراهم والغلة في كل سنة. ولم يزل على ذلك إلى أن حضر الملك الناصر أحمد من الكرك، ثم عاد إليها،

فتوجه معه، وأقام بالكرك عند السلطان. فلما تولى السلطان الملك الصالح، دخل القاضي بدر الدين محمد أخوه، وسد الوظيفة إلى أن جاء القاضي علاء الدين من الكرك، فاستمر في منصبه على عادته. ولا أعرف أحدا كتب الثلث في عصره مثله، إنه جوده إلى الغاية، وكتب الرقاع من أحسن ما يكون، ولكن تفرد بالثلث وإتقانه. وقدم جماعة في أيامه، ودخل بأولاد الموقعين الديوان، وزاد الناس وأحسن إليهم.." (١)

"عمر بن عبد العزيز بن الحسين بن محمد بن إبراهيم بن نصر بن المفضل، القاضي شمس الدين الفرضي الأسواني. كان من الفقهاء الفضلاء المعتبرين الرؤساء الأعيان الكرماء. رحل من أسوان إلى قوص ثم إلى القاهرة للاشتغال، وأقام بها سنين، يشتغل على ابن عبد السلام. وقرأ العقليات على الأفضل الخونجي، وكانت تأتي إليه الكتب من أهله، فلا يقرأها، حتى حصل مقصوده من العلم. وكان فقيها نحويا أديبا شاعرا، تولى الحكم بأسوان مدة، ثم عزل، وأقام بها. وكان قد استدان من شخص يعرف بابن المزوق دينا له صورة، فحضر به شمس الدين، وشق عليه نسبة ذلك إليه، فطلب إلى القاهرة بسبب ذلك، وقام معه العلماء والأعيان، وبعدوا ذلك عنه. وتوفي سنة اثنتين وتسعين وست مائة، ومولده بأسوان سنة اثنتي عشرة وست مائة.

ومن شعره:

إن كنت تسأل عن عرضي فلا دنس ... أو كنت تسأل عن حالي فلا حال

قد ضيع المجد مال ضيعته يدي ... ما أضيع المجد إن لم يحمه المال

ومنه:

أصبح القلب سليما ... في هوى حسن سليمه

وغدا الحب مقيما ... وسط قلبي وصميمه

يا ابنة العرب صليني ... أنت في الناس كريمه

لا جزى الله جميلا ... كل من ينسى قديمه

ابن هلال

عمر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن هلال، توفي، رحمه الله تعالى، في حادي عشر شهر رجب، سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة. وكان قد سمع من إسماعيل بن أبي اليسر، والمؤمل بن محمد البالسي، ومحمد بن عبد المنعم بن القواس، وغيرهم. وأجاز لي بخطه، في سنة ثلاث وثلاثين

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٠١/٧

وسبع مائة، بدمشق.

أبو الفتيان الدهستاني الرؤاسي

عمر بن عبد الكريم بن سعدويه بن مهمت، أبو الفتيان الدهستاني الرؤاسي الحافظ الرحال. رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام ومصر والسواحل. كان أحد الحفاظ المبرزين، حسن السيرة، كتب ما لا يوصف كثرة، ودخل آخر عمره طوس، وصحح الغزالي عليه الصحيحين، وروى عنه السلفي. وتوفي سنة ثلاث وخمس مائة.

عمر بن عبد الملك

الرزاز الشافعي

عمر بن عبد الملك بن عمر بن خلف بن عبد العزيز، أبو القاسم الرزاز البغداذي الشافعي. شهد عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني، وقبله، وسمع من محمد بن أحمد بن رزقويه، ومحمد بن محمد بن مخلد، والحسن بن أحمد ابن شاذان، وعبد الملك بن محمد بن بشران، وغيرهم. وكان رجلا صالحا فقيها، ابتلي بمرض، وبقي سنتين مقعدا. ومولده سنة ست وأربع مائة.

بن النضير المذحجي

عمر بن عبد الملك، أبو النضير المذحجي، الشاعر، مولى بني جمح؛ وقيل اسمه الفضل. انقطع إلى البرامكة، وله فيهم مدائح كثيرة، فأغنوه إلى أن مات، ولما هلك البرامكة عاد إلى البصرة، فصار يقين على جوار له.

ولد للفضل بن يحيى مولود، فدخل إليه أبو النضير، ولم يعرف الخبر، فلما رأى الناس يهنئونه، قال **مرتجلا:**

ويفرح بالمولود من آل برمك ... بغاة الندى والسيف والرمح ذي ال نصل

وتنبسط الآمال فيه لفضله

ثم أرتج عليه، فلم يدر ما يقول، فقال له الفضل بن يحيى البرمكي يلقنه:

ولا سيما إن كان من ولد الفضل

فاستحسن الناس بديهة الفضل، وأمر للشاعر بصلة. وقال الفضل يوما له: يا أبا النضير، أنت القائل فينا:

إذا كنت من بغداذ في رأس فرسخ ... وجدت نسيم الجود من آل برمك

قال: نعم، قال: لقد ضيقت علينا جدا، قال: فلأجل ذلك أيها الأمير ضاقت علي صلتك، وضاقت عني مكافأتك، وأنا الذي أقول:

تشاغل الناس ببنيانهم ... والفضل في بني العلى جاهد

كل ذوي الرأي وأهل النهى ... للفضل في تدبيره حامد

وعلى ذلك، فما قلت البيت الأول كما بلغ الأمير، وإنما قلت:

إذا كنت من بغداذ في مقطع الثرى ... وجدت نسيم الجود من آل برمك

فقال له الفضل: إنما أخرت ذلك لأمازحك؛ وأمر له بثلاثة آلاف درهم.." (١)

"اشتراه أبو بكر محمد بن طغج الأخشيد من بعض رؤساء المصريين.

وكان أسود بصاصا أبيع بثمانية عشر دينارا، ثم تقدم عنده لعقله ورأيه وسعده، إلى أن كان من كبار القواد؛ وجهزه في جيش لحرب سيف الدولة.

ثم لما مات أستاذه صار أتابك ولده أبي القاسم أنوجور، وكان صبيا، فغلب كافور على الأمور، قال وكيله: خدمت كافورا وراتبه كل يوم ثلاثة عشر جراية،وتوفي وقد بلغت ثلاثة عشر ألف جراية.

ولي أنوجور ملكة مصر والشام إلا اليسير، بعقد الراضي بالله، والمدبر له كافور، فمات أنوجور سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وأقيك مكانه أخوه أبو الحسن علي، ومات في أول سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، فاستقل كافور بالأمر، وركب في الدست بخلع أظهر أنها جاءته من الخليفة وتقليد.

وتم له الأمر، ولم يبلغ أحد من الخدم ما بلغه.

وكان ذكيا له نظر في العربية والأدب والعلم.

وممن كان في خدمته إبراهيم النجيرمي صاحب الزجاج النحوي.

وكانت لأيامه سديدة جميلة، ودعي له على المنابر بالحجاز ومصر والشام والثغور: طرسوس والمصيصة، واستقل بملك مصر سنتين وأربعة أشهر، وتوفي في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وعاش بضعا وستين سنة، ودفن بالقرافة الصغرى، وكان وزيره أبو الفضل جعفر بن الفرات.

وكان كافور يحب الخير. قال بعضهم: حضرت مجلس كافور فدخل رجل ودعا له وقال: أدام الله أيام مولانا – بكسر الميم – فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه عليه، فقال رجل من أوساط الناس: وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن حشيش الجيزي اللغوي الأخباري كاتب كافور، والذي دعا لكافور ولحن هو أبو الفضل ابن ميحاس.

وأنشد أبو إسحاق المذكور **مرتجلا:**

---

(١) الوافي بالوفيات، ٧/١٦٠

لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا ... وغص من دهش بالريق أو بهر

فتلك هيبته حالت جلالتها ... بين الأديب وبين القول بالحصر

وإن يكن خفض الأيام من غلط ... في موضع النصب لا عن قلة النظر

فقد تفاءلت من هذا لسيدنا ... والفأل نأثره عن سيد البشر

بأن أيامه خفض بلا نصب ... وأن أوقاته صفو بلا كدر

وكان كافور لا يأخذ نفسه برئاسة كبيرة.

يقال: إنه كان يوما مارا في الكافوري بالقاهرة، فصاحت امرأة: يا كافور، وهو غافل، فالتفت إليها ورأى أن ذلك نقص منه وهفوة.

وكان كلما مر هناك التفت، ولم تزل عادته إلى ان مات.

ويقال أيضا: إنه مر يوما برا باب اللوق وأناس من الحرافيش السودان يضربون بالطبيلة ويرقصون، فنسي روحه وهز كتفه طربا، ولم يزل بعد ذلك يهزها كل قليل إلى أن مات.

ومدحه أبو الطيب المتنبي بقصائده الطنانة، فمن ذلك قصيدته التي منها:

وخيلا مددنا بين آذانها القنا ... فبتن خافا يتبعن العواليا

نجاذب منها في الصباح أعنة ... كأن على الأعناق منها أفاعيا

قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا إنسان عين زمانه ... وخلت بياضا خلفها ومآقيا

منها:

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب ... يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا

وقال فيه قصيدته التي أولها:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب ... وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

منها:

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه ... وإن لم أشأ تملي علي وأكتب

إذا ترك الإنسان أهلا وراءه ... ويمم كافورا فما يتغرب

ويقال: إنه لما فرغ منها قال: يعز علي أن تكون هذه في غير سيف الدولة.

وحكي أنه قال: كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك غلي وييش في وجهي إلى أن أنشدته قصيدتي

التي منها:

ولما صار ود الناس خبا ... جزيت على ابتسام بابتسام

وصرت أشك في من أصطفيه ... لعلمي أنه بعض الأنام

قال: فما ضحك بعدها في وجهي إلى أن تفرقنا، فعجبت من فطنته وذكائه.

ولبي الطيب فيه الأهاجي المؤلمة مثل قوله:

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن ... يسيء بي فيه كلب وهو محمود

وأن ذا السود المثقوب مشفره ... تطيعه ذي الغضاريط الرعاديد." (١)

"وأما أبو محمد طلحة بن محمد النعماني، فإنه كان عالماً بالأدب. كثير المحفوظ، مليح الشعر، جيد القريحة، سريع البديهة.

قال أبو عمرو عثمان بن محمد النقالي بخوارزم: كنت أنا والشيخ أبو محمد طلحة بن محمد النعماني نمشي ذات يوم في السوق، فاستقبلتنا عجلة عليها حمار ميت، يحمله الدباغون إلى الصحراء، ليسلخوا جلده فعجبت من ذلك **مرتجلاً**:

يا حاملاً صار محمولاً على عجله

فقال أبو محمد مجيباً:

أتاك موتك منتاباً على عجله

فحكيت له هذه الحكاية، فتفكر في نفسه سويعة، ثم أنشأ يقول:

والموت لا تتخطى الحي رميته

ولو تباطأ عنه الحي أزعج له

ابن السيبي

وأما أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن السيبي، فإنه كان مؤدب الخلفاء، وكانت له معرفة بالأدب والشعر، وأخذ عنه شيء يسير.

وتوفي يوم الثلاثاء، لست عشرة ليلة خلت من المحرم، سنة أربع عشرة وخمسمائة، في خلافة المسترشد بالله، وصلي عليه بجامع القصر، ودفن بباب حرب.

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٦٨/٧

أبو الأزهر المحولي

وأما أبو الأزهر الضحاك بن سلمان بن سالم المحولي، فإنه كان له معرفة وافرة بالنحو واللغة، وله قريحة جيدة في الشعر، فمنه قوله:

ما أنعم الله على عبده

بنعمة أوفى من العافية

وكل من عوفيَ في جسمه

فإنه في عيشة راضيه

والمال شيء حسن جيد

على الفتى لكنه عارية

ما أحسن الدنيا ولكنها

مع حسنها غدارةٌ فانية

وأسعد العالم بالمال من

أداه للآخرة الباقية

أبو إسحاق الغزي

وأما أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي، فكان أحد الفضلاء وممن يضرب به المثل في صنعة الشعر. ومحاسن شعره كثيرة، فمنها قوله:

إن يكرهوا نظم القريض فعذرهم

باد كحاشية الرداء المعلم

هم محرمون عن المناقب والعلا

والشعر طيب لا يحل لمحرم

ومنها قوله أيضاً:
قالوا تركت الشعر قلت ضرورةً

باب الدواعي والبواعث مغلق

لم يبق في الدنيا كريم يرتجى

منه النوال ولا مليح يعشق." (١)

"والعلامة الشيخ شاكر البدري على جانب كبير من العلم والمعرفة وهو أعلم أهل زمانه وكان مدرسا ومفسرا وخطيبا وكاتبا وقد أتقن اللغة الانكليزية والفارسية والتركية ، عين خطيبا في جامع نازنده خاتون ثم نقل بعدها الى جامع الازبك ومنها الى جامع الآصفيةوكما عين واعظا عاما للواء بغداد ومدرس في جامع الصاغة ببغداد وجامع عثمان افندي ومدرس في جامع الاصفية ثم عين مديرا لمعهد الاصفية الشرعي رحمه االله.

قرأ عليه شيخنا السيد صبحي: الآجرومية وشروحها، وشرح القطر وشذور الذهب وشرح ابن عقيل والمغني، والمختصر والمطول في المعاني، والمجموعة الصرفية، وحاشية جلال الدين المحلي على جمع الجوامع للسبكي، وشرح الورقات، وقرأ عليه فقه السادة الشافعية(الكثير من مغني المحتاج ومتن أبي شجاع)، وقرأ موطأ الإمام مالك كاملاً، في مسجد (الآصفية) بجانب الرصافة ببغداد وأجازه إجازة عامة ذكر شيخنا عن الشيخ السيد شاكر (رحمه الله) أنه إذا ختمنا الدرس يرتجز قائلا:
(إلى هنا إلى هنا ... ... صيّرنا إلهنا)

---

(١) نزهة الألباء، ص/١٦٦

ووسم الشيخ شاكر شيخَنا السيد صبحي بالمحدث الثبت المؤدب، وكان شيخنا صبحي يجله كثيرا ويذكره بالعلم والفقه ونص على أن الشيخ شاكر البدري من أتقن من برع بعلوم الآلة في العراق وذكر شيخنا أنه لما ذهب السد شاكر إلى مصر تعجبوا من سعة علمه قال شيخنا، كان الشيخ شاكر (رحمه الله) خطيبا مفوها و شاعرا مرتجلا.

وهو يروي عن:." (١)

"قال ابن أبي طيّ: ولما نوى السُّلطان المقام بالإسكندرية ليصوم فيها رأى أنه لايخلي نفسه من ثواب يقوم له مقام القصد إلى بلاد الكفار والجهاد في المشركين، فرأى الأسطول وقد أخلقت سفنه وتغيرت آلاته، فأمر بتعمير الأسطول وجمع له من الأخشاب والصَّناع أشياء كثيرة. ولما تمَّ عملُ المراكب أمر بحمل الآلآت، فنقل من السلاح والعدد ما يحتاج إليه، وشحنه بالرجال، وولىّ فيه أحد أصحابه، وأفرد له إقطاعا مخصوصا وديوانا مفردا، وكتب إلى سائر البلاد يقول، القولُ قولُ صاحب الأسطول، وأن لايمنُع من أخذ رجاله وما يحتاج إليه، وأمر صاحب الأسطول أن لايبارح البحر، ويغرى إلى جزائر البحر.

قال العماد: وقلت في معنى تنقلي في البلاد:

يوماً بحيّ، ويوماً في دمشق، وبال ... فُسطاط يوماً، ويوماً بالعراقين

كأن جسمي وقلبي الصبّ ما خلقا ... إلا ليُقتسما بالشوق والبين

وقلت يوم الخروج من القاهرة:

يا باخلاً عند الوداع بوقفة ... لو سامني روحي بها لم أبخل

ماكان ضرك لو وقفت لسائل ... ترك الفؤاد بدائه في المنزل

هلاّ وقفت لقلب من أحرقته ... مقدار إطفاء الحريق المشعل

إن أسر مرتجلاً ففي أسر الهوى ... قلبي لديك، مقيداً لم يرحل

عذب العذاب لدى فؤاد المبتلي ... إذ كنت أنت معذبي والنبتلى

وقلت وقد نزلنا بين منية غمر ومنية سمنود:

نزلت بأرض المنيتين ومنيتي ... لقاؤكم الشافي ووصبكم المجدي

سأبلي ولاتبلي سريرة ودكم ... وتؤنسني إن مت في وحشة اللحد

قال: وعدنا من بالإسكندرية في شهر رمضان، فصمنا بقية الشهر بالقاهرة، والسلطان متوفر في ليله ونهاره،

---

(١) نعمة المنان في أسانيد شيخنا أبي عبد الرحمن (وهو ثبت الشيخ صبحي السا مرائي)، ص/١٢

على نشر العدل وإنشاره، وإفاضة الجود واغزاره، وسماع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأخباره، وإشاعة العلم والإعلان بأسراره، وإبداء شعار الشرع وإظهاره، وإبقاء المعروف على قراره، وإعدام أعلام الباطل وإنكاره.

وقال: ومن مدائحي في السلطان ما أنشدته إياه سادس شوال:

فديتك من ظالم منصف ... وناهيك من باخل مسرف

أيبلغ دهري قصدي وقد ... قصدت بمصر ذرا يوسف

ويوسف مصر بغير التقى ... وبذل الصنائع لم يوصف

فسر وافتح القدس واسفك به ... دماءً متى تجرها ينظف

وأهد إلى الأسبتار البتا ... ر وهدّ السقوف على الأسقف

وخلّص من الكفر تلك البلاد ... يخلصك الله في الموقف

قال: وفيها وصل رُسُل المواصلة وصاحبي الحصن وماردين إلى دمشق فاستوثقوا بتحليف أخي السلطان شمس الدولة تورانشاه بن أيوب، ثم قصدوا مصر، ووقع رسول صاحب حصن كيفا في الأسر.

قال ابن أبي طيّ: وصل رسول الموصل القاضي عماد الدين بن كمال بن الشهرزوري بهدية قود، فخرج الموكب إلى لقائه، وأكرمه السلطان واحترمه؛ وقدم بعده رسول نور الدين قرا أرسلان ورسول صاحب ماردين، بهدايا، واجتمعوا في دمشق، وخرجوا إلى السلطان بمصر، فاعترضهم الفرنج، فأسر رسول صاحب الحصن، ولم يزل في الأسر حتى فتح السلطان بيت الأحزان فأطلقه وأحسن إليه: قال: وفيها رجع قراقوش إلى أوجلة وتلك البلاد، فجمع أموالاً ورجع إلى مصر، ثم أراد الرجوع فمنعه العادل، ثم خلصه فرخشاه فرجع وفتح بلاد فزّان بأسرها.

قال العماد: ثم خرج السلطان إلى مرج فاقوس، من اعمال مصر الشرقية، لإرهاب العدوّ وهو يركب للصيد والقنص، والتطلع إلى أخبار الفرنج لانتهاز الفرص. واقترح عليّ أن أمدح عز الدين فرخشاه بقصيدة موسومة، ألزم فيها الشين قبل الهاء؛ فعملت ذلك في أواخر ذي الحجة، فقلت:

مولاي عزَّ الدين فرخشه ... الدهر من يَرْجُك لايخشه

تلقاه سمح الكف، دفاقها ... طلق المحيَّا كرماً، بشه

إن شئت فوتاً بالرّدى فالقه ... أو شئت فوزاً بالعلا فاغشه

يديم بالأيدي وبالأيد في ... خزى لهاه والعدا بطشه

كم ملكٍ عاداكم لم يبت ... إلا جعلتم عرشه نعشه." (١)

"٥ . رفضه للقيام بين يديه: لما ولي عمر بن عبد العزيز قام الناس بين يديه، فقال: يا معشر المسلمين إن تقوموا نقم وإن تقعدوا نقعد، فإنما يقوم الناس لرب العالمين، وإن الله فرض فرائض وسن سننا، من أخذ بها لحق ومن تركها محق٦٠٠٧. أراد عمر أن يقضي على العادات الموروثة التي أشبه بها الولاة آنذاك الأكاسرة والقياصرة، وعزم صارم على العودة بالأمة إلى منهج الخلفاء الراشدين، وعمر هنا يحجم دافعين قويين يدفعانه إلى مجاراة عشيرته في مظاهرهم.. أولهما طموح النفس نحو الظهور وفرض السلطة والهيبة في قلوب الناس، وثانيهما رغبة عشيرته الملحة في الإبقاء على هذه المظاهر، وتشنيعهم عليه في مخالفة ما كان عليه أسلافه ولكنه تغلب على هذين الدافعين بحزم وإيمان قوي، وكان الدافع الذي يدفعه إلى التواضع ورفض المظاهر الدنيوية هو خوفه من الله تعالى ورغبته فيما عنده، وطموح فكره نحو الآخرة وتجاوز المستقبل الدنيوي، وكان هذا الدافع أقوى بكثير من الجواذب الأرضية، فنجح في إلجام نفسه عن هواها وإسكات أصحاب المظاهر الخادعة، وتصحيح مفاهيم المجتمع فيما يجب أن تكون عليه الولاة والعلاقة بينهم وبين الرعية. وفي قوله: إن الله فرض فرائض. بيان لأسباب السعادة والشقاوة الحقيقية في الدنيا والآخرة، فمن طبقها لحق بركب المتقين في الدنيا، وأكرم به من رفقة صالحة ، وسيق يوم القيامة إلى رضوان الله تعالى والجنة وأكرم به من مآل وعاقبة٦٠٠٨.

٦ . تقديره أهل الفضل: ذكر الحافظ ابن كثير أن ولد قتادة بن النعمان وفد على عمر بن عبد العزيز فقال له: من أنت؟ فقال **مرتجلا:**

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه

.... فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها

............فيا حسنها عينا ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

---

(١) الروضتين في أخبار النورية والصلاحية، ص/٢٩٠

.........تلك المكارم لا قعبان من لبن

......................شيبا بماء فعادا بعد أبوالا." (١)

"إذا طفا أبصر الصمصام يرقبه ... أو غاص في الماء من خوف الردى شرقا

وأي عيش لموقوف على تلف ... يراقب الميتتين: السيف والغرقا وكانت إثر ذلك وقعة للمعتلي بالله على السودان بإشبيلية، فأمر أبا عبد الله ابن الحناط بصفة ذلك إذ الوقعتان متشابهتان، ففعل؛ وبلغني أنا ذلك، فكتبت إلى المعتلي بشعر طويل في المعنى أوله :

غناك سعدك في ظل الظبا وسقى ... " فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا " ومنها في صفة الوقعة:

سقيا لأسد تساقى الموت أنفسها ... وتلبس الصبر في يوم الوغى حلقا

قامت بنصرك لما قام مرتجلا ... خطيب جودك فيها ينثر الورقا

سريت تقدم جيش النصر متخذا ... سبل المجرة في إثر العلا طرقا

في ظل ليل من الماذي معتكر ... يجلو إلى الخيل منه وجهك الفلقا

وصفح قرن غداة الروع يكتبه ... من الظبا قلم لا يعرف المشقا

أجريت للزنج فوق النهر نهر دم ... حتى استحال سماء جللت شفقا

وساعد الفلك الأعلى بقتلهم ... حتى غدا الفلك بالناجي به غرقا

من كل أسود لم يدلف على ثلج ... بأن جدك يجلو صفحه يقفا

كأن هامته والرمح يحملها ... غراب بين على بان النقا نعقا." (٢)

"فعاقد بين قوله: " يدي بيدي " و " ذابت الصخرة الصماء من جلدي " ؛ وذكر أن المتنبي أنشد من شعر أهل الأندلس، حتى أنشد هذين البيتين، فقال: هذا أشعر القوم.

ولما سمع المعتمد بن عباد قصيدة عبد الجليل هذه ووعاها، سرت في نفسه حمياها، وكانت سببا لصلة من كان ببابه من الشعراء، غير أنه وفى لبعد الجليل في الحباء.

وكانت يوما بدار أبي بكر الخولاني المنجم، فاتفق أن دخل علينا عبد الجليل وفي كمه صلة المعتمد من ضرب السكة لديه، قيمتها ثلاثة آلاف درهم، فرفع إليه إثر ذلك قصيدته التي أولها :

ما الشعر مرتجلا أو غير مرتجل ... ببالغ كنه ذاك السؤدد الجلل

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٣٠٧/٣

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٣١٣/١

بأي لفظ أحلي منك ذا شيم ... لولا حلاها لكان الدهر ذا عطل

لا حلة الشمس مما قد أحاوله ... ولا نظام النجوم الزهر من عملي

وسائلين أجدا في مباحثتي ... خذا حديثي عن الأملاك والدول [١٠١أ]

جيش المؤيد يقضي من خلائقه ... أن الملوك له ضرب من الخول

فالفرق بينهما في كل معلوة ... كالفرق يوجد بين النقص والكمل

سل المكارم عنه كيف تعلمه ... أو لا فسل شفرات البيض والأسل." (١)

"وإن شئت اختبار الناس جهرا ... ولم تك بالتجارب بالعليم

فجرب من تشا منهم عيانا ... وقد أصبحت في بردي عديم

فإن لم [تلف] ذلك مستحيلا ... وترعى منه في مرعى وخيم

فقل إني دعي في نزار ... وإني ضد لقمان الحكيم

رأينا معشرا لبسوا ثيابا ... مجددة على عرض رميم

لهم دور مشيدة [ ] ... وأفعال محيلات الرسوم ومن المدح:

وما يحتاج يوم الحرب جيشا ... فإن عداه كالزرع الحطيم

وإن أبقى لهم فرعون سحرا ... ففي يده عصا موسى الكليم وقد تقدم إلى هذا المعنى أبو نواس بقوله، ونذكر خبرا يتعلق بذيله :

كان أبو نواس قوي البديه، ويرتجل كل ما يقول ولا يرويه، فقال له الخصيب يوما وهو يمازجه بالمسجد الجامع، أنت في الشعر غير مدافع ولا منازع، ولكنك لا تخطب، فقام من فوره يقول مرتجلا:

منحتكم يا أهل [مصر] نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات القلوب شروب

فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب." (٢)

"واتصل ذلك بخالصة فشكته الى الرشيد فاستحضره وقال له يا فاسق ما حملك على هذا؟ فأجابه، ان الغلط وقع من الراوى بظنه الهمزة عينا – فأظهر الرضا به منخدعا للتكرم ومرضيا للشاكية – ومتى يذهب ذلك على مثل الرشيد وهو من جهابذة الشعر – وكما حكى عن عمر بن الخطاب وهو مع ذلك يتغابى

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٥١٥/٣

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٣٥١/٧

فيه ويذب عن الحطيئة في هجائه الزبرقان لولا إفساد حسان بن ثابت ما رامه عمر من اصلاح ذات البين وقطع لسان الحطيئة عن نفسه الاصطناع ولم يزل هو واولو الهمم العالية والانفس الأبية يقتفون أثر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في أمره بقطع لسان الشاعر بشفر البر ويتغفلون عن الشعراء اذا ساء أدبهم عند الهيم في واد لايعنيهم شأنه – ألا ترى تغافل عبيد اللّه وزير المعتضد عن علي بن بسام وقوله عند موت احد لبنيه –

قل لأبي القاسم المرجى ... قابلك الدهر بالعجائب

مات لك ابن زينا ... وعاش ذو النقص والمعائب

حياة هذا كموت هذا ... فلست تخلو من المصائب

وبلغ عبي اللّع خبرها فدعا بالبسامى وقال له، يا علي كيف قلت؟ فاتقى الشر وقال **مرتجلا**، قد قلت –

قل لأبي القاسم المرجى ... لن يدفع الموت كف غالب

لئن تولى بما تولى ... وفقده اعظم المصائب

لقد خطت لك المنايا ... عن حامل عنك للنوائب

وانما اقتبس من قول ابن المعتز في تسلية عبيد اللّه –

قل للوزير كذا الزمان وصرفه ... والمرء ذو أجل يصير اليه

فلقد غبنت الدهر اذ شاطرته ... بأبي الحسين وقد ربحت عليه

وابو محمد الجليل مضابه ... لكن يمين المرء خير يديه

ولما خرج من عنده جمح به طبعه الى اعادة الاساءة فقال –

ابلغ وزير الامير عني ... وناد ياذا المصيبتين

يموت خلف الندى ويبقى ... خلف المخازى أبو الحسين

فانت من ذا عميد قلب ... وانت من ذا سخين عين

حياة هذا كموت هذا ... فالطم على الرأس باليدين

فانتشرت الابيات الاولى في الالسن وتمثل بها في كل شيء وهدت في ДعB الشطرنج كالعادة من غير قصد – فحدث ابن حمدون النديم انه لعب بالشطرنج مع المعتضد يوما ما اذ دخل عب اللّه وهو يستأذنه في شيء ثم انصرف بما مثل له في ذلك الامر فلما ولى انشد المعتضد – حياة هذا كموت هذا – واشتغل باتمام الدست وهو يكرر البيت وعاد القاسم اليه لأمر آخر والمعتضد مشتغل بلعبه مكرر لما أنشد لاه عنه

لايشعر بدخوله فاحتال ابن حمدون لتعريفه بحضوره فرفع اليه رأسه واستحيا منه حتى ظهرت حمرة التشوير في وجهه – وقال له؟ يا ابا الحسين(قد حمله الخجل على التكنية) لم لاتقطع لسان هذا الماجن ةتدفع شره عنك؟ فانصرف القاسم مبادرا وللفرصة في البسامى مهتبلا وامر بطلبه للتشفى منه ودهش ابن حمدون لذلك حتى ارتعشت يده وفسد لعبه إشفاقا على البسامى أن يلحقه مكروه فقال المعتضد؟ ما بدا لك؟ فقال يا أمير المؤمنين ان القاسم ليصطلى لباره وكالى به قطع لسان البسامى من فرط الحنق والرجل احد نبلاء الشعراء وفيما يناله سبه على امير المؤمنين – فامر باحضار القاسم وساله عما عمنل في حق البسامى فقال؟ تقدمت الى مؤنس بإحضاره لأقطع لسانه – قال؟ انما أمرناك ان تبره وتصله وتكرمه ليعدل عن هجائك الى مدحك – قال؟ يا امير المؤمنين لو عرفته حق المعرفة وسمعت قوله لاستجزت قطع لسانه – فاستدركها المعتضد وتبسم وقال؟ انما امرنا بتخريب البحيرة لذلك فتقدم انت باحضاره واخرج اليه ثلثمائة دينار فان ذلك احسن بنا من غيره؟ ففعل وخلع عليه وولاه بريد الصيمرة ولم يزل بعمارة البحيرة وتحفيفها بالرياض وانفق على الأبنية ستين الف دينار وكان يخلو فيها مع جواريه وله فيما بينهن حظية ستمى ذُريره فقال البسامى –

ترك الناس بحيرة ... وتخلى في البحيره

قاعدا يضرب بالطبل ... على حر ذريره." (١)

"كأني به عما قريب مملكا ... زمام المعالي نافذ النهى والأمر

يقود إلى الهيجاء كل غضنفر ... ويضرب من ناواه بالبيض والسمر

فقرت به عيني وعينك في العلا ... ولا زال أسمي في المحل من الغفر

وجرى بمجلس أبيه قسم في صفة القبة المسماة بسعد السعود – وهي قبة بالقصر الزاهي – فعجز من حضر من الشعراء عن إجازته فقال الرشيد **مرتجلا** :

سعد السعود يتيه فوق الزاهي ... وكلاهما في حسنه متناه

ومن اغتدى وطنا لمثل محمد ... قد جل في علياه عن أشباه

لا زال يخلد فيهما ما شاءه ... ودهت عداه من الخطوب دواه

وله :

قالوا : غدا يوم الرحيل فأمطرت ... عيناي دمعا واكف العبرات

---

(١) الجماهر في معرفة الجواهر، ص/٢٦

لم لا وأنأي عن أحبه مهجتي ... كرها فقلبي دائم الحسرات

من كل بيضاء العوارض طفلة ... مثل البدور تضيء في الظلمات

لولا الرجاء بأن يعجل بيننا ... وشك التلاقي لاشتهيت مماتي

وعتب عليه أبوه المعتمد في طريقه من مكناسة إلى أغمات عتبا أفرط فيه فكتب إليه يستعطفه :

يا حليف الندى ورب السماح ... وحبيب النفوس والأرواح

من تمام النعمى علي التماحي ... لمحة من جبينك الوضاح

قد غنينا ببشره وسناه ... عن ضياء الصباح والمصباح

ذاك حظي من الزمان فإن جا ... د به لي بلغت كل اقتراحي

فأجابه المعتمد :

كنت حلف الندى ورب السماح ... وحبيب النفوس والأرواح

إذ يميني للبذل يوم العطايا ... ولقبض الأرواح يوم الكفاح

وشمالي لقبض كل عنان ... يقحم الخيل في مجال الرماح

وأنا اليوم رهن أسر وفقر ... مستباح الحمى مهيض الجناح

لا أجيب الصريخ إن حضر البا ... س ولا المعتفين يوم السماح

عاد بشرى الذي عهدت عبوسا ... شغلتني الأشجان عن أفراحي

فالتماحي إلى العيون كريه ... ولقد كان نزهة اللماح

يزيد بن محمد الراضي

أبو خالد

ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وكان بها عند إجازة عساكر ابن تاشفين اللمتوني البحر واشتراطه إياها فنقله إلى رندة ؛ وهو شقيق عباد والفتح وعبيد الله المعتد بني المعتمد أمهم اعتماد وقد تقدم ذكر ذلك وذكر حظوتها لديه . وقيل إن المعتضد غاظه ما بلغه من غلبتها على المعتمد أول ما اشتراها فتوجه إليه عازما على عقابه ومعتقدا التنكيل به والمعتمد إذ ذاك بشلب عامل له وقد ولدت منه أكبر أولاده سراج الدولة عبادا . فأمرها أن تتلقاه به لتعطفه رؤيته عليها فكان ذلك كذلك ورق له المعتضد وفتر عزمه على الإيقاع به

وكان الراضي من أهل العلم والأدب كلفا بالمطالعة والدراسة قرأ كتب القاضي أبي بكر بن الطيب وأشرف على مذهب أبي محمد بن حزم الظاهري فمهر في الأصول وذهب إلى النظر والاختيار

قال ابن اللبانة : ولد الراضي سبعة من البنين وهو أقل بني عباد الرؤساء ولدا وكان عالي الهمة عالما بالشرعيات واقفا على الطبيعيات ذاكرا للعرب وأنسابها حافظا للغاتها وآدابها

قال : وهو شاعر بني عباد بعد أبيه على أنه أقوى عارضة منه وأبوه ألطف طبعا وأرق صنعا . واستنزل الراضي من رندة عند خلع أبيه وبعد مخاطبته إياه بذلك على عهود أخفرت ومواثيق نقضت فقتل صبرا في رمضان سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وهو القائل في النسيب :

مروا بنا أصلا من غير ميعاد ... فأوقدوا نار شوقي أي إيقاد

وأذكروني أياما لهوت بهم ... فيها ففازوا بإيثاري وإحمادي

لا غرو أن زاد في وجدي مرورهم ... فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

وله يخاطب أباه وقد أنهض جماعة من اخوته دونه وبعث بها مع بعض بنيه :

أعيذك أن يكون بنا خمول ... ويطلع غيرنا ولنا أفول

حنانك إن يكن جرمي قبيحا ... فإن الصفح عن جرمي جميل ." (١)

" ومهما غبت عن بصري ... فواحزني وواحربي

فجودي بالوصال على ... شريف القدر والحسب

وسقيه معتقة ... لها تاج من الحبب

مليك ملكت كفا ... ه رق العجم والعرب

وله :

ألا حبذا يومنا بالحمى ... وقد قارن القمر المشتري

وجاء الحبيب إلى منزلي ... بريا القرنفل والعنبر

وغنت لنا قينة حلوة ... بنظم من الشعر كالجوهر

إذا كان حبي حذا ناظري ... شربت المدام ولم أسكر

قال أبو الصلت : وكنا بين يديه في يوم من شعبان شديد البرد فقال بديها :

أما ترى القر قد وافت عساكره ... فادفعه منتصرا بالفرو والشرر

---

(١) الحلة السيراء، ص/١٠٠

وقهوة عتقت في الدن صافية ... يصفو بها عيش حاسيها من الكدر

وقال لي ولبعض كتابه : " أجيزا " فعلمنا على جهة الاشتراك وجله للكاتب :

يا من حلاه جمال الكتب والسير ... ومن ندى يده مغن عن المطر

ذعرت عبديك لما قلت مرتجلا ... ضربا من الشعر يعي أشعر البشر :

" أما ترى القر قد وافت عساكره " البيت والذي بعده

فطاوعاك وقالا تابعين ومن ... يجار سحبان لا يأمن من الحصر :

" تسعى عليك بها هيفاء ناعمة ... تسبي العقول بحسن الدل والحور

كأن غرتها الغراء شمس ضحى ... تبدو لعينك في ليل من الشعر "

رشيد الدولة أبو يحيى محمد بن عز الدولة

أبي مروان عبيد الله بن المعتصم محمد بن معن بن صمادح

ذكره أبو عامر السالمي في تاريخه وقال : نشأ بعد انقراض ملكهم فكلف بالآداب وبرز فيه ثم تاق إلى الرئاسة فقيد فمن قوله في السجن :

أحبتنا الكرام بغوا علينا ... وبغى المرء معطبة ونار

وقالوا الهجر لما يعلموه ... وهجر القول منقصة وعار

صبرت على مقارعة الدواهي ... وطبع الحر صبر وائتجار

وقلت : لعلها ظلم ألمت ... وحال الليل آخرها النهار

فإن يكن الردى يكن اصطبار ... وإن تكن " المنى " يكن اغتفار

وله في ذلك :

صبرا على نائبات الدهر إن له ... يوما كما فتك الإصباح بالظلم

إن كنت تعلم أن الله مقتدر ... فثق به تلق روح الله من أمم

وقلما صبر الإنسان محتسبا ... إلا وأصبح في فضفاضة النعم

وذكر أبو علي بن الأشيري أنه كان مع أبي يحيى هذا وعمه رفيع الدولة بن المعتصم بداخل تلمسان في حصارها سنة تسع وثلاثين وخمسمائة - وتاشفين ابن علي بن يوسف بن تاشفين في ذلك الوقت بظهرها في محلاته وجموعه - قال : فورد على الموحدين أعزهم الله فتح ضربوا له طبولهم . فقال رفيع

الدولة – وكان مسنا – لابن أخيه أبي يحيى : لولا كبر سني وضعفي لكنت عندهم حرصا عليهم ونظرا لنفسي . فقال أبو يحيى : تعال نقل شعرا نجعله عدة . فقال رفيع الدولة وكان ذا بديهة :

لعبد المؤمن الملك ... يدور السعد في الفلك

فقال أبو يحيى :

همام نور غرته ... كضوء البدر في الحلك

فقال ابن الأشيري :

فيممه تجد ملكا ... عليه سكينة الملك

ولا تجزع فليس له ... على القصاد من درك ." (١)

"وافترقوا على هذا فلما أفضى الأمر إليه كما تمنى بلغ كل واحد منهم أمنيته على نحو ما طلب!.

ولم تزل حاله تعلو منذ ورد قرطبة إلى أن تعلق بوكالة السيدة صبح أم هشام المؤيد بن الحكم والنظر في أموالها وضياعها فزاد أمره في الترقي معها إلى أن مات الحكم المستنصر وكان هشام صغيراً كما ذكرنا وخيف الاضطراب فضمن لصبح سكون الحال وزوال الخوف واستقرار الملك لابنها وكان قوي النفس وساعدته المقادير وأمدته المرأة بالأموال فاستمال العساكر إليه وجرت أحوال علت قدمه فيها حتى صار صاحب التدبير والمتغلب على الأمور وحجب هشاماً المؤيد وتلقب هو بالمنصور فأقام الهيبة فدانت له أقطار الأندلس كلها وأمنت به ولم يضطرب عليه شيء منها أيام حياته لعظم هيبته وفرط سياسته.

واستوزر جماعة منهم الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان الملقب بالمصحفي ومنهم الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري ومنهم الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الذي اختصر كتاب العين – وقد تقدم ذكره – وكان قد ولاه شرطته وكان الزبيدي هذا من بطانة الحكم المستنصر ووجوه أصحابه.

واستوزر أبا العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي البغدادي وله معه أخبار مستطرفة ولعلي سأورد طرفاً منها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وكان محباً للعلوم مؤثراً للأدب مفرطاً في إكرام من ينسب إلى شيء من ذلك ويفد عليه متوسلاً به بحسب حظه منه وطلبه له ومشاركته فيه ورد عليه الأندلس في أيام إمارته أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي المذكور آنفاً فعظمت منزلته عنده ونال منه أموالاً جمة وكان وروده عليه سنة ٣٨٠ أظن أصله من بلاد الموصل دخل بغداد فقرأ بها وكان عالماً باللغة والآداب والأخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فكه

---

(١) الحلة السيراء، ص/١٣٢

المجالسة ممتعاً فأكرمه المنصور وأفرط في الإحسان إليه والإفضال عليه وكان مع ذلك محسناً لظريف السؤال حاذقاً في استخراج الأموال طيباً بلطائف الشكر.

أخبرني بعض مشايخ الأندلس بإسناد له أن أبا العلاء دخل على المنصور أبي عامر يوماً في مجلس أنسه وقد كان تقدم له أن اتخذ قميصاً من رقاع الخرائط التي كانت تصل إليه فيها الأموال منه فلبسه تحت ثيابه فلما خلا المجلس ووجد فرصة لما أراد تجرد وبقي في القميص المتخذ من الخرائط فقال: له ما هذا يا أبا العلاء؟ فقال: هذه الخرائط التي وصلت إلي فيها صلات مولانا أتخذها شعاراً وبكى وأتبع ذلك من الشكر فصلاً كان رواه فأعجب ذلك المنصور وقال: له لك عندي مزيد وكان كما قال.

وألف له أبو العلاء هذا كتباً فمنها كتاب سماه كتاب الفصوص على نحو كتاب النوادر لأبي علي القالي واتفق لهذا الكتاب من عجائب الاتفاق أن أبا العلاء دفعه حين كمل لغلام له يحطه بين يديه وعبر الغلام النهر نهر قرطبة فخانت الغلام رجله فسقط في النهر هو والكتاب فقال: في ذلك بعض الشعراء - وهو أبو عبد الله محمد بن يحيى المعروف بابن العريف - بيتاً مطبوعاً بحضرة المنصور وهو:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيل يغوص!

فضحك المنصور والحاضرون فلم يرع ذلك صاعداً ولا هاله وقال **مرتجلاً** مجيباً لابن العريف:

عاد إلى معدنه إنما ... توجد في قعر البحار الفصوص!

وكتاب آخر على نحو كتاب الخزرجي أبي السري سهل بن أبي غالب سماه كتاب الهجفجف بن غيدقان بن يثربي مع الخنوت بنت مخرمة بن أنيف وكتاب آخر في معناه سماه كتاب الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء وهو كتاب مليح جداً انخرم أيام الفتن بالأندلس فنقصت منه أوراق لم توجد بعد وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب - أعني الجواس - حتى رتب له من يخرجه أمامه كل ليلة ويقال إن أبا العلاء لم يحضر بعد موت المنصور مجلس أنس لأحد ممن ولي الأمور بعده من ولده وادعى وجعاً لحقه في ساقه لم يزل يتوكأ منه على عصا ويعتذر به في التخلف عن الحضور والخدمة إلى أن ذهبت دولتهم وفي ذلك يقول في قصيدته المشهورة في المظفر أبي مروان عبد الملك بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر وهو الذي ولي بعد أبيه وأولها:

إليك حدوت ناجية الركاب ... محملة أماني كالهضاب

وبعث ملوك أهل الشرق طراً ... بواحدها وسيدها اللباب

وفيها يقول:." (١)

"وفي سنة ثلاث وستين قبض محمد بن الوشاح الشهابي. وفي شهر شعبان منها تسلم السلطان حصن ذمرمر سلمه أهله لما أصابهم من الجهد والمشقة فطلبوا الرفاقة والذمة ونزلوا إلى الأبواب السلطانية فأعطاهم السلطان ستة وعشرين ألفاً وتصدق عليهم بحصن قدة. وفي شهر رمضان تسلم السلطان الفص الكبير ثم تسلم براش الباقر بن محمد بن مفضل الوهبي في شهر ذي الحجة وفي هذه السنة توفي الفقيه العالم أبو يحيى عثمان بن الفقيه يحيى بن الفقيه فضل وكان فقيهاً متأدباً بارعاً له محفوظات كثيرة وبديهة حسنة وكان حاضر الجواب نظماً ونثراً وكان شاعراً فصيحاً محسناً ومن شعره قولهُ

طوبى لمن عاش بعض يوم ... ونفسهُ فيهِ مطمئنة

ولا لهُ في الملا عدوٌّ ... ولا لخلق عليه منة

وحضر يوماً جماعة من الفقهاء على طعام صنعه لهم الأمير شمس الدين علي بن يحيى العسني وكان بين ذلك الطعام صفحة مملوءَة لحوحاً وزوماً فتاقت نفس الفقيه إليه أكثر من غيره فكان يمد يده إلى الصفحة وكانت الصفحة على بعد منه فقال الأمير:

بَعُدَ اللحوح عن الفقيه الأوحد ... عثمان بل خير البرية عن يد

فأجابه الفقيه **مرتجلاً**:

ترد المراسم أن أردت بنقله ... ويطول منك الباع أن قصرت بدي

فقام الأمير مسرعاً من مكانه واحتمل الصحفة بما فيها ووضعها بين يدي الفقيه ثم لما انقضى الطعام قال الأمير شمس الدين للفقيه يا سيدي إني رأَيتك تحب اللحوح وقد وهبت لك الحربة الفلانية تكون باسم اللحوح فاقبلها مني فقبلها وكانت تسوى ألف دينار. فرحم الله علي بن يحيى ما كان الطف شمائله واجزل نائله وأكثر فضله وفضائله. وكانت وفاة الفقيه عثمان المذكور يوم الأحد لثلاث بقين من رمضان من السنة المذكورة. ولما توفي الفقيه عثمان في التاريخ المذكور خلفه ابنه يحيى بن عثمان بن يحيى بن فضل وكان مولده يوم الجمعة لخمس خلون من صفر سنة سبع عشرة وستمائة. وكان فقيهاً ورعا دئبا نقالاً للفروع عارفاً بها نزل إلى ذي جبلة فدرس في المدرسة الشرفية. وكان يطلع بلده في كل سنة يقف فيها شهرين أيام انتقال الغلة ثم يرجع إلى جبلة وقد اجتمعت عليه وقف المدرسة المذكورة فيصرف له الناظر نفقته في السنة

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص/٨

فيرد منها نفقة شهرين لأجل غيبته عن المدرسة فقيل له يوماً أن المدرسين قبلك كانوا يغيبون أكثر مما تغيب أنت ويأخذون نفقة السنة كلها فقال لا تسأَلون عما أجرمنا ولا نسأَل عما تعملون. وكان يصرف ما يقتضيه من النفقة على المحتجين من الطلبة وفيما يطلبه منهُ أهل الديوان في خراج أرضه وتوفي رحمه الله في النصف من صفر سنة ثمان وسبعين وستمائة.

وفي هذه السنة توفي الشيخ الصالح علي بن أحمد الرميمة وكان شيخاً مباركاً يصحب الشيخ مدافع ولزم طريقة العزلة في جبل صبر. قال القاضي محمد ابن علي اخبرني الشيخ علي بن الرميمة أن أكله في السنة اثنا عشر زبديًّاً يكلفه أهله على ذلك. وكان الزبدي التعزي يومئذٍ ثمانية أرطال قال وهذا القدر يأكله الواحد المنفرد في شهر واحد. وكان صاحب مكاشفات وكرامات ظاهرة.

حكى القاضي محمد بن علي رحمهُ الله قال كان الشيخ عبد الله بن عباس قد بعثه الملك المظفر رسولاً وبعث معه الأمير المعروف بابن الداية فلما صار وصل العلم أن عبد الله بن عباس توفي إلى رحمة الله تعالى وكان يصحبني فمررت ببابه فسمعت في بيته البكاء فطلعت إلى الشيخ علي بن أحمد الرميمة وأخبرته بوفاة ابن عباس ففي علق ساعة ثم رفع رأُسه إليَّ وقال لم يمت إلا ابن الداية وأما الشيخ ابن عباس ففي عافية فانزل واخبر بذلك أهله فنزلت مسرعاً وأخبرتهم ثم بعد أيام وصل الخبر بموت ابن الداية ولم يزل هذا الشيخ على الطريق المرضي إلى أن يوم الجمعة بعد صلاة الضحى وهو الخامس والعشرون من رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.." (١)

"قال الجندي اخبرني والدي يوسف بن يعقوب قال كنت أحب هذا الفقه على ما أسمع عنهُ واكره أن أراهُ وهو على ما بلغني عنهُ من الحال فجاءَني بعض الأصحاب يوماً وقال لي أريد أن تذهب معي إلى الفقيه محمد بن الحطاب لأسّلِم عليه وكان الرجل يصحبه أيضاً فرافقتهُ وسرت معهُ إليه فلما دخلنا عليه سلمنا فرد علينا السلام ردَّاً حسناً ثم قال للرجل يا محمد هل جئتنا بشيء فقال ما جئت إلا بنفسي فقال مرتجلاً:

أتانا أخٌ من غيبة كان غلبها ... وكان إذا ما غاب تنشده الركبا

فقلنا له هل جئتنا بهدية ... فقال بنفسي قلت نطعمها الكلبا

قال الجندي ونحو ذلك ما اخبرنا الشيخ أبو الحسن علي ابن الشيخ الفاضل منصور بن حسن عن أبيه قال دخلت أنا والمقري محمد بن علي بن الفقيه محمد بن أبي بكر الحطاب فسأَله المقري عن مسألة في

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ص/٥٩

الحيض مشكلة فأبانها له ثم انشدهُ:

لو علمنا مجيئكم لبذلنا ... مهج النفس او سواد العيون

وفرشنا على الطريق خدوداً ... ليكون المرور فوق الجفون

وأوصافه الحسنة جمة كثيرة لا يمكن استيعابها. وكانت وفاته بزبيد وقبر في مقبرة باب سهام وقبره معروف مشهور مزار وتبرك به وعند قبره قبر رجل من التابعين وقيل من الصحابة والله أعلم.

وفي هذه السنة توفي الفقه الصالح ابن إبراهيم بن صالح بن علي بن أحمد العبري وكان فقيهاً صالحاً وعاصر الخضري المعروف بالبرهان وولي قضاءَ تهامة اجمع فكان قضاؤه مرضياً وكان على يد عمارة الجامع المظفري بالمهجم في أيام الملك المظفر وكان من أهل الدين والدنيا وممن يأخذها ومن وجها ويضعها في مستحقها كثير البر والمعروف وله مكارم أخلاق وكان يضرب به المثل في الكرم وكان في حلقة تدريسه أكثر من مائة طالب وكانت لهُ مروءة وشفقة على الأيتام.

ويروى أنه كان يعمل في النصف من شعبان من الحلوى شيئاً كثيراً يفرقهُ على الأيتام وعلى الضعفاء وعلى الخواص من أصحابه ولا يدع فقيهاً في البلد إلا واساه بشيءٍ من ذلك ومكارمه أكثر من أن تحصى. ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفي في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى ولما توفي رحمهُ الله في التاريخ المذكور صار القضاء الأكبر بعده إلى الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي وخلفه في رئاسة البيت ابن أخيه علي بن محمد ابن إبراهيم بن صالح والله أعلم.

وفيها توفي الفقيه العالم أبو محمد عمرو بن علي بن عمرو بن محمد بن عمرو بن اسعد بن أبي جعفر بن عباس التباعي. وكان يلقب بمظفر الدين وولد في بلد بني شاور سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. وصحب الفقيه علي بن مسعود المقدم ذكره وتفقه بن ثم طلع الجبال وقصد جبا فأدرك الشيخ أبا بكر بن يحيى فاخذ عنهُ عربي الهروي ثم قصد مصنعة سير فقرأ فيها على الحسن بن راشد مسند الإمام أحمد بن حنبل وهو ممن أخذ عن ابن أبي الصيف وابن أبي حديد وغيرهما من الكبار ثم قصد مصنعة سير مرة أخرى في سنة ثمان وخمسين وستمائة فاخذ القضاء عنه بها شيئاً من مسند الإمام أحمد بن حنبل. ولما انتهى في الفقه انقطع عن شيخه علي بن مسعود وهو إذ ذاك ببيت حليفة عند الشيخ عمران بن قبيع القرابلي فاشترى موضعاً عند أبيات حسين وابتنى فيه مسكناً وأزدرع ما زاد على موضع البناء وكان قد تزوَّج بابنة أخي شيخه علي بن مسعود وبروك لهُ في الذرية منه بركة ظاهرة. وكان تزويجه بها سنة ثمان وعشرين وستمائة.

ويروى أن الفقيه المصري خرج من بلده وقد صار فقيهاً فقصد زبيد وناظر فيها فقهاءَها فلم يجد عندهم

مقنعاً فتمتل بقول الأول:

لما دخلتُ اليمنا ... رأيت وجهي حسناً

أُفٍ لها من بلدة ... افقهُ مَنْ فيها أَنا." (١)

"أحمد بن علي بن ياسين، الشيخ الإمام العالم العامل العارف بالله تعالى، شهاب الدين الدجاني الشافعي أحد أصحاب سيدي علي بن ميمون، وصاحب سيدي محمد بن عراق. كان يحفظ القرآن العظيم، والمنهاج للنووي. وحدثني تلميذه الشيخ الصالح العارف بالله تعالى يوسف الدجاني الأربدي أن الشيخ أحمد الدجاني كان لا يعرف النحو، فبينما هو في خلوته بالأقصى إذ كوشف بروحانية النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا أحمد تعلم النحو. قال: فقلت له: يا رسول الله علمني، فألقى علي شيئاً من أصول العربية، ثم انصرف قال: فلما ولى لحقته إلى بيت الخلوة، فقلت: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، وضممت اللام من رسول. قال: فعاد إلي. وقال لي: أما علمتك النحو أن لا تلحن قل: رسول الله بفتح اللام. قال: فاشتغلت في النحو، ففتح علي فيه. دخل إلى دمشق في أوائل رجب سنة إحدى وخمسين وتسعمائة بسبب قضاء حوائج للناس عند نائب الشام، وكاتب الولايات، وخطب بجامع دمشق يوم الجمعة منتصف رجب، وشكره الناس على خطبته، وزار الشيخ محيي الدين بن العربي، وأقام الذكر عنده. قال ابن طولون: وحذوه فيه حذو شيخه الشيخ محمد بن عراق، وسألته عن سنه وقت موت الشيخ محمد الجلجولي رضي الله تعالى عنه. فقال: نحو ثمان سنين قلت: وتقدم أن وفاته كانت سنة عشر وتسعمائة، وسافر راجعاً إلى القدس الشريف مستهل شعبان صحبه الشيخ عيسى الصفوري، وكان الشيخ عيسى ذاهباً إلى مصر في قافلة. قلت: وحدثني الشيخ أحمد بن سليمان أنه لما اجتمع بصاحب الترجمة في القدس، وهو في صحبة الشيخ شهاب الدين أخي حدثهم أنهم كانوا في حضرة الشيخ علي بن ميمون، فشكوا إليه خاطراً، فطردهم، فكانوا على باب الخلوة أياماً، ثم شكوا إليه فقال: تتوبون قالوا: نعم. فقال: قولوا: يا إلهي تب علينا، واعف عنا أجمعين يا رحمان يا رحيم وكرروها، ففعلوا، فردهم، ثم استحسن الشيخ أن يلازموا على ذلك في مجالس الذكر عند الختام، فصار ذلك من طريقتهم، وقال لي والد شيخنا: ورد الخبر بموت الشيخ الصالح العابد أحمد الدجاني ببيت المقدس. وأنه توفي في جمادى الأولى سنة تسع بتقديم التاء وستين وتسعمائة. قال: وصليت عليه في جامع الجديد في جمادى الآخرة رحمه الله تعالى.

أحمد الشلاح

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ص/٦٦

أحمد بن عمر الشلاح، الشيخ الفاضل المقرىء المجود، الحافظ لكتاب الله تعالى شهاب الدين أحمد الضرير. كان يحضر دروس الشيخ الوالد في التقوية وغيرها، ويقرأ القرآن العظيم في المجلس. قرأ القرآن العظيم على الشيخ أحمد بن عبد القادر ابن التينة مؤدب الأطفال، وأقرأه إياها للعشر، ثم قرأ في القراءات على الشيخ شهاب الدين الطيبي، وكان الوالد، والشيخ الطيبي يقول كل منهما: من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل، فليسمعه من الشيخ أحمد الضرير، وكان يقرأ في الجامع على الكرسي بعد صلاة المغرب دون الربع من الحزب في كل ليلة يبدأ من أول القرآن إلى ختمه حالاً **مرتجلاً** ما كان يسمع القرآن سامع في حال حياته من أحسن منه قراءة ولا تجويداً كأنه خلق للتلاوة، وكان أحد المؤذنين بالجامع الأموي، وكان له معرفة تامة بالموسيقى، وكان بصيراً في إضراره. يمشي في أسواق دمشق وأزقتها أحسن من البصراء من غير قائد. توفي في سابع عشر المحرم الحرام سنة تسع وتسعين وتسعمائة بتقديم التاء في الثلاثة، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان، ورئي في المنام كأنه هو، والموتى أحياء عليهم محاسن الثياب، فقيل له: كيف حالكم؟ فقال: بخير بسبب مجاورتنا للشيخ بدر الدين الغزي، وولده الشيخ شهاب الدين، ورأيته في المنام بعد موته بسنين، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بعد شدة. قلت له: كيف ترون حالي عندكم؟ قال: أنت بخير غير أن بينك وبين فلان شحناء. توقفت بسببها، فلما أصبحت صافيت ذلك المشار إليه، وكان الأمر كذلك رحمه الله تعالى.

أحمد بن مفلح

أحمد بن عمر بن محمد بن عمر بن إبراهيم بن مفلح القاضي شهاب الدين المالكي: كان أحد العدول بالصالحية، ثم بالكبرى، ثم بقناة العوني رئيساً بها، وكان خطه ضعيفاً بحيث يظن أنه كوفي، ثم ولي نيابة الحكم بالميدان، وكان يتكيف ويتخيل أموراً فاسدة إلا أنه كان لا بأس به، وميلاده سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، وتوفي في حدود الألف رحمه الله تعالى.

أحمد الفلوجي." (١)

""""""""" صفحة رقم ٩٦ """""""

ومن الملح قوله ، قال : وبت بحمام الخندق من داخل ألمرية ليلة الجمعة الثامن من شهر محرم عام اثنين وثلاثين منفردا ، فطفى المصباح ، وبقيت مفكرا ، فخطر ببالي ما يقول الناس من تخيل الجن في الأرحاء والحمامات ، وعدم إقدام كافة الناس إلا ما شذ عند دخولها منفردين بالليل ، لا سيما في الظلام ،

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ص/٤١٥

واستشعرت قوة في نفسي عند ذلك ، أعراض وأوهام ، فقلت **مرتجلا** ، رافعا بذلك صوتي :

زعم الذين عقولهم قدرها . . . إن عرضت للبيع غير ثمين

أن الرحا معمورة بالجن والحمام عندهم كذا بيقين

إن كان ما قالوه حقا فاحضروا . . . للحرب هذا اليوم من صفين

فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقة . . . بأني مصارع قيس المجنون

قال : ودخلت رياضا يوما ، فوجدت كساء منشورا للشمس لم أعرفه من حوايجي ، ولا من حوايج حارسة البستان ، فسألتها فقالت ، هو لجارتي فقلت :

من منصفي من جارتي جارت على . . . مالي كأني كنت من أعدائها

عمدت إلى الشمس التي انتشرت على . . . أرضي وأمت فيه بيس كسائها

لولا غيوم يوم تيبس الكسا . . . سرت لحجب السحب جل ضياءا

لقضيت منهم الخسار لأنني . . . أصبحت مزورا على بخلائها

قلت ، وصرت إلى مغنى بحمة بدانة وسار معي كلب كان يحرس رياضي اسمه قطمير ، وهو فيما يذكر كلب أهل الكهف ، في بعض الأقوال ، فتبعني من ألمرية إلى الحمة ، ثم من الحمة إلى ألمرية ، فقلت :

رحلت وقطمير كلبي رفيقي . . . يونس قلبي بطول الطريق

فلما أنخت أناخ حذائي . . . يلاحظني لحظ خل شفيق

ويرعى أذمة رفقي كما . . . يتغنى الصيديق الصدوق

على حين قومي بني آدم . . . بلؤمهم لم يوفوا حقوق

ولا فرق بين الأباعد منهم . . . وبين أخ مستحب شفيق

أو ابن متى تلقاه تلقه . . . هوى اشتياق بقلب خفوق." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٥٠ """""""

أبي الحجاج المنتشافرى ، فراقه يبشر لقايه ، ونهل على الظمأ في سقاته ، وكانت بينهما مخاطبات ، أنشدنيها بعد إيابه ، وأخبرني بما كان من ذهاب زاده ، وسلب ثيابه .

وخاطبني من شرح حاله في ارتجاله بما نصه : ولما دخلت رندة الأنيقة البطاح ، المحتوية على الأدب والسماح ، والعلم والصلاح ، أبرز القدر أن لقيت بها شيخنا المعمر رئيس الأدباء ، وقدوة الفقهاء ، أبا

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع، ٩٦/٢

الحجاج المنتشافري ، وكنت لم أشاهده قبل هذا العيان ، ولا سمح لي بلقاية صرف الزمان ، ولم أزل أكلف بمقطوعاته العجيبة ، وأولع بضرايبه الغريبة ، وتأتى منه مخاطبات تزري بالعقود بهجة ، وتطير لها العقود لهجة . نظم كما تنفيس الصبح عن تسنيمه ، ونثر كما تأسس الدر بتنظيمه ، فأحلني منه محل الروح من الجسد ، وشهد لي أني أعز من عليه ورد ، ورآني قد ظهرت على مضاضة الاكتياب ، لكوني قريب عهد بالإياب ، مهزوما انهزام الأحزاب ، خالي الوطاب ، نزر الثياب ، فقال فيم الجزع ، ذهب بحول الله الخوف ، وأمن الفزع ، فأجبته عجلا ، وقلت أخاطبه مرتجلا .

لا تجزعى نفسي لفقد معاشري . . . وذهاب مالي في سبيل القادر

ورندة ها أنت خير بلاده . . . وبها أبو حجاج المنتشافري

سيريك حسن فرايد من نظمه . . . فتزيل كل كآبة في الخاطر

فأجابني مرتجلا :

سراى يا قلبي المشوق وناظري . . . بمزار ذي الشرف السني الطاهر

روض المعارف زهرها الزاهي . . . ومن أوصافه أعيت ثنا الشاكر

ولواد آش فخار لم يزل . . . من كاين حزب الله نور الناظر

وافي يشرف رندة بقدومه . . . فغدت به أفقا لبدر زاهر

من روضة الأدباء أبدي زهرة . . . قد أينعت عن فكر حبر ماهر

جمع المآثر بالسناة وبالسنا . . . أعظم به من صانع لمآثر

ما زلت أسمع من ثناء مآثرا . . . كانت لسامعها معا والذاكر." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣١٦ """""""

وقام فيها خطيب الطير مرتجلا . . . والزهر قد رصعت منه منابره

موشي ثوب طواه الدهر آونة . . . فها هو اليوم للأبصار ناشره

فالغصن من نشوة يثني معاطفه . . . والطير من طرب تشدو مزاهره

وللكمام انشقاق عن أزاهرها . . . كما بدت لك من خل ضمائره

لله يومك ما أذكى فضائله . . . قامت لدين الهوى فيه شعائره

فكم سريرة فضل فيك قد خبئت . . . وكم جمال بدا للناس ظاهر

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع، ٢/ ٢٥٠

فافخر بحق على الأيام قاطبة . . . فما لفضلك من ند يظاهره

فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا . . . قيست بفخر أولي العليا مفاخره

يلتاح منه بأفق الملك نور هدى . . . تضاءل الشمس مهما لاح زاهره

مجد صميم على عرش السماك سما . . . طالت مبانيه واستعلت مظاهره

وزارة الدين والعلم الذي رفعت . . . أعلامه والندى الفياض زاخره

وليس هذا ببدع من مكارمه . . . ساوت أواثله فيه أواخره

يلقى الأمور بصدر مه منشرح . . . بحر وآراؤه العظمى جواهره

راعى أمور بصدر منه منشرح . . . بحر وآراؤه العظمى جواهره

راعي أمور الرعايا معملا نظرا . . . كمثل علياه معدوما نظائره والملك سير في تدبيره حكما . . . تنال ما عجزت عنه عما كره

سياسة الحكم لا بطش يكدرها . . . فهو المهيب وما تخشى بوادره

لا يصدر الملك إلا عن إشارته . . . فالرشد لا تتعداه مصائره

تجري الأمور على أقصى إرداته . . . كأنما دهره فيه يشاوره

وكم مقام له في كل مكرمة . . . أنست موارده فيها مصادره

ففضلها طبق الآفاق أجمعها . . . كأنه مثل قد سار سائره

فليس يجحده إلا أخو حسد . . . يرى الصباح فيعشي منه ناظره

لا ملك أكبر من ملك يدبره . . . لا ملك أسعد من ملك يؤازره

يا عز أمر به أشتدت مضاربه . . . يا حسن ملك به ازدانت محاضره

تثني البلاد وأهلوها بما عرفوا . . . ويشهد الدهر آتيه وعابره

بشرى لآمله الموصول مأمله . . . تعسا لحاسده المقطوع دابره

فالعلم قد أشرقت نورا مطالعه . . . والجود قد أسبلت سحا مواطره." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٧٠ """"""""

هي قحة وخلاف ، وتهاون بالمعارف واستخفاف . غير أنه يحفظ في طريق القوم كل نادرة ، وفيه رجولة ظاهرة ، وعنده طلاقة لسان ، وكفاية قلما تتأتى لإنسان . فإلى الله نسل أن يعرفنا بمقادير الأشياء ، ويجعلنا

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع، ٣١٦/٢

بمعزل عن الأغبياء . وقد قلت مرتجلا عند أول نظرة ، واجتزأت بقليل من كثرة :

كل جار لغاية مرجوة . . . فهو عندي لم يعد حد الفتوة

وأراك اقتحمت ليلا بهيما . . . مولجا منك ناقة في كوبة

لا اتباعا ولا اختراعا أرتنا . . . إذ نظرنا عروسك المجلوة

كل ما قلته فقد قاله الناس . . . مقالا آياته متلوة

لم تزد غير أن أبحت حمى الإعراب . . . في كل لفظة مقروة

نسل الله فكرة تلزم العقل إلى . . . حشمة تحوطها المروة

وعزيز علي أن كب يحيى . . . ثم لم نأخذ الكتاب بقوة

ومن البرسام الذي يجري على لسانه بين الجد والقحة ، والجهالة والمجانة ، قوله لبعض خدام باب السلطان ، وقد ضويق في شيء أضجره منقولا من خطه ، بعد رد كثير منه إلى الإعراب : الله نور السموات من غير نار ، ولا غيرها ، والسلطان ظلاله وسراجه في الأرض ، ولكل منهما فراش مما يليق به ، ويتهافت عليه ، فهو تعالى محرق فراشه بذاته ، مغرقهم بصفاته ، وسراجه وظله . وهو السلطان محرق فراشه بناره ، مغرقهم بزينه ونواله . ففراش الله ، ينقسم إلى حامدين ، ومسبحين ، ومستغفرين ، وأمناء وشاخصين . وفراش السلطان ينقسمون إلى أقسام ، لا ينفك أحدهم عنها . وهم وزغة ابن وزغة ، وكلب ابن كلب ، وكلب مطلقا ، وعار ابن عار ، وملعون ابن ملعون ، وقط." (١)

" أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سالت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه و سلم مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدهما وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وروى الدارقطني بإسناد غريب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة ابن النعمان قال أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان والمشهور الاول أنه أصيبت عينه الواحدة ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له من أنت فقال له مرتجلا ... أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أحسن الرد ... فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسنها عينا ويا حسن ما خد ...

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك ... تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا ...

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع، ٤/٣٧٠

ثم وصله فأحسن جائزته رضي الله عنه فصل

قال ابن هشام وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد ابن أبي زيد الانصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها يا خالة أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح الي قالت فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت لها أصابك بهذا قالت ابن قمئة أقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقبل يقول دلوني على محمد لا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان ق ا ل ابن اسحاق وترس أبو دجانة دون رسول الله صلى الله عليه و سلم بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه و سلم رمى عن قوسه حتى انقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده قال ابن اسحاق وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد اتقوا بأيديهم فقال فما يجلسكم قالوا قتل رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه ." (١)

" وعف عن الفاحشة ولم يفش ذلك فمات بسبب ذلك حصل له أجر كثير فإن صح هذا كان ذلك له نوع شهادة والله أعلم

وروى الخطيب أيضا أن شعبة لقى أب نواس فقال له حدثنا من طرفك فقال **مرتجلا** حدثنا الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر ومسعر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عامر قالوا جميعا أيما طفلة علقها ذو خلق طاهر فواصلته ثم دامت له على وصال الحافظ الذاكر كانت له الجنة مفتوحة يرتع في مرتعها الزاهر وأى معشوق جفا عاشقا بعد وصال دائم ناصر ففي عذاب الله بعدا له نعم وسحقا دائم ذاخر فقال

---

(١) البداية والنهاية، ٤/٣٤

له شعبة إنك لجميل الأخلاق وإني لأرجو لك وأنشد أبو نواس أيضا ... يا ساحر المقلتين والجيد ... وقاتلي منك بالمواعيد ... توعدني الوصل ثم تخلفني ... ويلاي من خلفك موعودي ... حدثنى الأزرق المحث عن ... شهر وعوف عن ابن مسعود ... ما يخلف الوعد غير كافرة ... وكافر في الجحيم مصفود ...

فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال كذب عدو الله على وعلى التابعين وعلى أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم وعن سليم بن منصور بن عمار قال رأيت أبا نواس في مجلس أبي يبكي بكاء شديدا فقلت إني لأرجوا أن لا يعذبك الله بعد هذا البكاء فأنشأ يقول ... لم أبك في مجلس منصور ... شوقا إلى الجنة والحور ... ولا من القبر وأهواله ... ولا من النفخة في الصور ... ولا من النار وأغلالها ... ولا من الخذلان والجور ... لكن بكائي لكا شادن ... تقيه نفسى كل محذور ...

ثم قال إنما بكيت لبكاء هذا الأمرد الذي إلى جانبي أبيك وكان صبيا حسن الصورة يسمع الوعظ فيبكي خوفا من الله عز و جل

قال أبو نواس دعاني يوما بعض الحاكة وألح على ليضيفنى في منزله ولم يزل بي حتى أجبته فسار إلى منزله وسرت معه فإذا منزل لا بأس به وقد احتفل الحائك في الطعام وجمع جمعا من الحياك فأكلنا وشربنا ثم قال يا سيدي أشتهى أن تقول في جاريتى شيئا من الشعر وكان مغرما بجارية له قال فقلت أرنيها حتى أنظم على شكلها وحسنها فكشف عنها فإذا هي أسمج خلق الله وأوحشهم سوداء شمطاء ديدانية يسيل لعابها على صدرها فقلت لسيدها ما اسمها فقال تسنيم فأنشأت أقول ... أسهر ليلى حب تسنيم ... جارية في الحسن كالبوم ... كأنما نكهتها كامخ ... أو حزمة من حزم الثوم ." (١)

" يعرض عليه الشيء فيقبله فكثرت أمواله ولبس الثياب الناعمة وجرت له أمور وكثرت أتباعه وأظهر أنه يريد الغزو فاتبعه نفر كثير فعسكر بظاهر البلد وكان يضرب له الطبل في أوقات الصلوات وسار إلى ناحية أذربيجان فالتف عليه خلق كثير وضاها أمير تلك الناحية وكانت وفاته هنالك في هذه السنة قال الخطيب وقد حدث ببغداد وكتبت عنه أحاديث يسيرة وحدثني بعض أصحابنا عنه بشيء يدل على ضعفه وأنشد هو لبعضهم ... إذا ما أطعت النفس في كل لذة ... نسبت إلى غير الحجى والتكرم ... إذا ما أجبت الناس في كل دعوة ... دعتك إلى الأمر القبيح المحرم ...

المظفر بن الحسين

---

(١) البداية والنهاية، ٢٣٠/١٠

ابن عمر بن برهان أبو الحسن الغزال سمع محمد بن المظفر وغيره وكان صدوقا

محمد بن علي بن إبراهيم

أبو الخطاب الحنبلي الشاعر من شعره قوله ... ما حكم الحب فهو ممتثل ... وما جناه الحبيب محتمل ... يهوى ويشكو الضنى وكل هوى ... لا ينحل الجسم فهو محتمل ... وقد سافر إلى الشام فاجتاز بمعرة النعمان فامتدحه أبو العلاء المعري بأبيات فأجابه مرتجلا عنها وقد كان حسن العينين حين سافر فما رجع إلى بغداد إلا وهو أعمى توفي في ذي القعدة منها ويقال إنه كان شديد الرفض فالله أعلم

الشيخ أبو علي السنجي

الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعية في زمانه أخذ عن أبي بكر القفال وشرح الفروع لابن الحداد وقد شرحها قبله شيخه وقبله القاضي أبو الطيب الطبري وشرح أبو علي السنجي كتاب التلخيص لابن القاص شرحا كبيرا وله كتاب المجموع ومنه أخذ الغزالي في الوسيط قال ابن خلكان وهو أول من جمع بين طريقة العراقيين والخراسانيين توفي سنة بضع وثلاثين وأربعمائة

ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة

في هذه السنة توفي الملك أبو كاليجار في جمادى الأولى منها صاحب بغداد مرض وهو في برية ففصد في يوم ثلاث مرات وحمل في محفة فمات ليلة الخميس ونهبت الغلمان الخزائن وأحرق الجواري الخيام سوى الخيمة التي هو فيها وولى بعد ابنه أبو نصر وسموه الملك الرحيم ودخل دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع وسوره وطوقه وجعل على رأسه التاج والعمامة السوداء ووصاه الخليفة ورجع إلى داره وجاء الناس ليهنئوه وفيها دار السور على شيراز وكان دوره اثنى عشر ." (١)

"الدنيوية هو خوفه من الله تعالى ورغبته فيما عنده، وطموح فكره نحو الآخرة وتجاوز المستقبل الدنيوي، وكان هذا الدافع أقوى بكثير من الجواذب الأرضية، فنجح في إلجام نفسه عن هواها وإسكات أصحاب المظاهر الخادعة، وتصحيح مفاهيم المجتمع فيما يجب أن تكون عليه الولاة والعلاقة بينهم وبين الرعية. وفي قوله: إن الله فرض فرائض. بيان لأسباب السعادة والشقاوة الحقيقية في الدنيا والآخرة، فمن طبقها لحق بركب المتقين في الدنيا، وأكرم به من رفقة صالحة، وسيق يوم القيامة إلى رضوان الله تعالى والجنة وأكرم به من مآل وعاقبة (١).

---

(١) البداية والنهاية، ٥٧/١٢

٦ . تقديره أهل الفضل: ذكر الحافظ ابن كثير أن ولد قتادة بن النعمان وفد على عمر بن عبد العزيز فقال له: من أنت؟ فقال **مرتجلا:**

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسنها عينا ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد الع‍زيز عند ذلك:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ثم وصله وأحسن جائزته رضي الله عنه (٢). ففي هذا الخبر موقف لأمير عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في إكرام ولد قتادة بن النعمان لما وفد عليه حينما عرف نفسه بما حدث لأبيه رضي الله عنه في هذا الخبر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على تفوق عمر بن عبد العزيز في المجال الأخلاقي، وذلك بتقدير أهل الفضل، والتقدم في خدمة الإسلام والمسلمين، فإن ما حدث لقتادة رضي الله عنه من اقتلاع عينه بتلك الصورة شاهد على إيغاله في القتال وتعرضه للمهالك، كما أنه شرف له أن تمثلت فيه تلك المعجزة النبوية (٣). ومن تقديره لأهل الفضل ما قام به لزياد مولى ابن عياش، فقد قدم عليه زياد مولى ابن عياش، وأصحاب له، فأتى الباب وبه جماعة من الناس فأذن له دونهم، فدخل عليه فنسي أن يسلم عليه بالخلافة، ثم ذكر فقال: ال‍سلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: والأولى لم تضرني، ثم نزل عمر عن موضع كان عليه إلى الأرض وقال: إني أعظم أن أكون في موضع أعلو فيه على زياد، فلما قضي زياد ما يريد خرج، فأمر عمر خازن بيت المال أن يفتحه لزياد ومن معه يأخذون منه حاجتهم، فنظر إليه خازن بيت المال فاقتحمته عينه أن يكون يفتح لمثله بيت المال ويسلط عليه . وهو به غير عارف . ففعل

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٥، ١٦/ ١١٥).

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي ص٩٦ التاريخ الإسلامي (١٥، ١٦/ ٢٢).

(٣) التاريخ الإسلامي (١٥، ١٦/ ٢٣).." (١)

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ٢٣١/٢

"وكان شاعرا، أديبا، ذا همة عالية. وكانت له غزوات كثيرة، وفتوحات في دار العدو شهيرة، يخرج إليها في العدد الجم، والعسكر الضخم، يخرب ديارهم، ويعفى آثارهم، ويقفل ظاهر الاعتلاء، قاهر الأعداء. لم يلق المسلمون معه بؤسا، ولم يروا في مدته يوما عبوسا. وهو أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل، وترتيب الخدمة. وكسى الخلافة أبهة الجلالة)فشيد القصور، وجلب إليها المياه، وبنى الرصيف، وعمل عليه السقائف؛ وبنى المساجد الجوامع بالأندلس؛ وعمل السقاية على الرصيف، وأحدث الطرز، واستنبط عملها؛ واتخذ السكة بقرطبة. وفخم ملكه. وفي أيامه دخل الأندلس نفيس الوطاء وغرائب الأشياء؛ وسبق ذلك إليه من بغداد وغيرها. وعندما قتل محمد الأمين، ابن هارون الرشيد، وانتهب ملكه، سبق إلى الأندلس كل نفيس غريب من جوهر ومتاع. وقصد بالعقد المعروف بعقد الشفاء؛ وكان لزبيدة أم جعفر.

ومن مآثره أنه كان ورد عليه يوما أموال من بلاده، لعطبات أجناده؛ فأدخلت إليه، وجعلت الخرائط بين يديه. وكان بعث فتيانه؛ فخلا مجلسه إذ ذاك، ولم يبق أحد هناك، حاشى فتى كان بين يديه واقفا، وعلى خدمته الخاصة عاكفا؛ فغشيت الأمير عبد الرحمن نعسة، ظنها الفتى تهزة وخلسة؛ فقبض على خريطة من ذلك المال، وأسدل عليها كمة أسبغ إسدال، والأمير يلاحظه بطرف خفيّ، ويصمت عنه صمت برّ حفيّ؛ ففاز الفتى بماله، وناط به أسباب آماله. فلما رجع الفتيان، أمرهم الأمير عبد الرحمن برفع تلك الخرائط المبسوطة؛ فوجدوا نقصان تلك الخريطة؛ فتدافعوا فيها إذ ذاك، كل يقول لصاحبه:)أنت أخذتها من هناك!(فقال لهم الأمير:)أسكنوا عن هذا! فقد أخذها من لا يردها، وعاينه من لا يقولها!(فكان هذا مما عدَّ من كرمه وفضله.

وكانت له جارية تسمى طروب، كان بها دنفا؛ فصدت عنه يوما، وأبدت هجرانه. فأرسل فيها؛ فامتنعت عليه، وأغلقت على نفسها بيتا. فأمر ببنيان الباب بالخرائط المملؤة من الدراهم، استرضاء لها، واستعطافا لوصلها. فلما فتحت الباب، تساقطت الخرائط من كل جانب؛ فأخذتها؛ فألفت فيها نحوا من عشرين ألفا؛ وأمر لها يعقد قيمته عشرة آلاف دينار؛ فجعل بعض من حضر من وزرائه يعظم الأمر عليه؛ فقال له الأمير عبد الرحمن:)إن لابسه أنفس منه خطرا وأرفع قدرا! ولئن راق من هذه الحصباء منظرها، ورصف في النفس جوهرها، فلقد برأ الله من خلقه جوهرا يغشى الأبصار، ويذهب بالألباب. وهل على وجه الأرض من زبرجدها وشريف جوهرها أقر لعين، وأجمع لزين، من وجه أكمل الله فيه الحسن ونضرته، وألقى عليه الجمال بهجته؟(ثم قال لعبد الله بن الشمر الشاعر وكان حاضرا:)هل يحضرك شئ في المعنى؟(فأنشد)طويل(:

أتُقْرَنُ حَصباءُ البواقِيت والشذرِ ... بِمَنْ يتَعَالى عن سَنَا الشَمسِ والبَدْرِ

بِمَن قَد بَرَت قِدما يَدُ الله خلقَهُ ... وَلَم يَكُ شيئاً قَبَلهُ أَبَداً يَبْرِى

فأَكْرِمْ به مِنْ صَنْعةٍ اللهِ جَوهراً ... تَضَاءلَ عنه جَوَهَرُ البَرّ والبحرِ

فأعجبت الأمير الأبيات وطرب لها طربا شديدا. وأنشد الأمير مرتجلا)طويل(:

فَريضُكَ يَا ابن الشَّمر عني على الشِعرِ ... وجَلَّ عن الأوهامِ والذِّهْنِ والفِكرِ

إذا شافَهتْهُ الأذنُ أدَّى بسحرها ... إلى القلب إبداعاً فجَلَّ عن السِحرِ

وَهَل بَرأ الرّحْمنُ من كلِّ ما برأ ... أقرَّ لعينٍ من منَهمةٍ بِكرِ

تَرَى الوردَ فوقَ اليَاسَمينِ بخدِّها ... كَمَا فوق الرَّوْضُ المُنَعَّمُ بالزَّهرِ

فَلَو أنَّني ملكتُ قَلبي وناظِري ... نَظَمْتُهما مِنها على الجِيدِ والنَّحرِ

ثم أمر لابن الشمر ببدرة فيها خمسمائة دينار؛ فخرج مع الوصيف يحملها له تحت إبطه. فلما تواريا عن الأمير، قال له الوصيف:)أين لذات العمر، يا ابن الشمر؟(فقال:)تحت إبطك يا سيدي!(ودخل عليه الغزال الشاعر يوم؛ فقال الأمير)كامل(: جاء الغزال بحسنة وجماله فقال له الوزير: أجز. ما بدأ به الأمير! فقال الغزال)كامل(:

قالَ الأميرُ مُدَاعِباً بِمَقَالِهِ ... جاء الغَزَالُ بحُسنِهِ وَجَمَاله

أين الجَمَالُ من أمري أربي على ... مُتَعَدّدِ السَّبعِينَ من أحوالِهِ." (١)

"لولا حيائي من إمامِ الهُدَى ... نَخَشتُ بالمِنخَس)شُو قُولُ(

فلما بلغ لبُّ إلى قوله)شو(سكت؛ فقال له الناصر:)قول(. فأتم له على نحو ما أضمر؛ فقال له:)أنت هجوته، يا مولاي!(فضحك الناصر، وأمر له بصلة.

وكان الناصر قد خرج يوما على فرس أبلق في هيئة جليلة والوزراء قد حفوا به؛ فقال ابن عبد ربه في ذلك مرتجلا)سريع(:

بَدرٌ بَدَا مِن تَحتِهِ أبلَقُ ... يَحْسُدُ فِيهِ المَغْرِبَ المَشْرِقُ

لوْ يعلُمُ الأبلَقُ مَن فَوقَه ... لاختالَ من عُجبٍ به الأبَلَقُ

إمامُ عَدلٍ باسِطٌ كفَّهُ ... يَرزُقُ منها الله مَن يَرزُقُ

عَابَه الدَّهرُ الذي قَد مَضَى ... وجَدَ واللهِ به المُخبلَقُ

وكان، لما ترعرع ابنه الحكم بن عبد الرحمن، ولاه العهد من بعده. وكان له أخ اسمه عبد الله؛ فحسده

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/١٧٩

على ذلك، واجتمع عليه قوم وأراد قتل أخيه؛ واتفق مع أصحابه أن يبادروه؛ فافتضحوا وقتلوا جميعا، كما تقدّم. وأما الولد عبد الله، فذكر أنه أخرجه أبوه الناصر ثاني يوم عيد الأضحى؛ فذبح بين يديه - رحمه الله - ؛ وكان عالما فاضلا.

وكان الناصر أمر ببناء الصومعة العظيمة في سنة ٣٤٠، وشرع في بنائها؛ وهي الشهيرة التي لا صومعة تعدلها. وكان الذي دعاه إلى بنائها حدث في القديمة؛ فهدمت إلى قواعدها وبنيت بصخر الحجارة المنقولة إليها على العجل؛ وجمع لها فجاءت فائقة الصنعة. وقد كانت الأولى ذات مطلع واحد؛ فصير لهذه مطلعين، وفصل بينهما بالبناء؛ فلا يلتقي الراقون فيها إلا بأعلاها. ولكل مطلع منها مائة درج وسبعة أدراج؛ وطولها ثمانون ذراعا بالرشاشي إلى وقوف المؤذن؛ وفي أعلى ذروة المنار ثلاث رمانات تغشى النواظر بشعاعها، وتخطف الأبصار بالتماعها: الأولى مفروغة من الذهب، والوسطى من الفضة، والثالثة من الذهب أيضا؛ وفوقها سوسانة من الذهب المحض مسدسة؛ وفوق السوسانة رمانة صغيرة من الذهب؛ ثم طرف الزج، وفيه تأريخ مكتوب بالذهب. وزنة كل رمانة من الثلاثة المذكورة قنطار واحد فما دونه، ودور كل واحدة ثلاثة أذرع ونصف. وكمل بناء الصومعة في جمادى الأولى؛ فذلك ثلاثة عشر شهرا.

وكان الناصر زاد في المسجد الجامع بقرطبة زيادته المشهورة، المتصلة بزيادة ابنه الحكم بعده، وفيها القبو الكبير الذي يصطف المؤذنون أمامه يوم الجمعة للأذان، وهو من أعجب البنيان. وإذ قد وقع ذكر المسجد الجامع بقرطبة؛ فالواجب أن نذكر أول من أحدثه ومن تولي بناءه من ملوك بني أمية. على سبيل الاختصار؛ فنقول:

ذكر مسجد قرطبة الأعظم

ذكر الرازي عن الفقيه محمد بن عيسى أنه قال: لما افتتح المسلمون الأندلس، استدلوا بما فعل أبو عبيدة وخالد - رضي الله عنهما - عن رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا. فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة في كنيستهم العظمى التي كانت بداخلها، وابتنى المسلمون في ذلك الشطر مسجدا جامعا. وبقى الشطر الثاني بأيدي الروم، وهدمت عليهم سائر الكنائس. فلما كثر المسلمون بالأندلس، وعمرت قرطبة ونزلها أمراء العرب بجيوشهم. ضاق عنهم ذلك المسجد، وجعلوا يعلقون منه سقائف؛ فنال الناس من الضيق مشقة عظيمة. فلما دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس، وسكن قرطبة، نظر في أمر الجامع، وتوسيعه، وإتقان بنائه؛ فأحضر أعاجم قرطبة، وسألهم بيع ما بقي بأيديهم من الكنيسة المذكورة، وأوسع لهم البذل فيه، وفاء بالعهد

الذي صولحوا عليه؛ وأباح لهم بناء كنائسهم التي كانت هدمت عليهم في وقت الفتح بخارج قرطبة. وخرجوا عن الشطر؛ فاتخذه وأدخله في الجامع الأعظم. وكان شروع عبد الرحمن الداخل في هدم الكنيسة وبناء الجامع سنة ١٦٩؛ وثم بناؤه، وكملت بلاطاته، واشتملت أسواره في سنة ١٧٠؛ فذلك مدة من عام كامل؛ فقيل إن النفقة التي أنفق الإمام عبد الرحمن بطول هذه السنة في بناء الجامع ثمانون ألفا بالوازنة. وفي ذلك يقول البلويُّ – رحمه الله –)طويل(:

وَأبرَزَ في ذاتِ الإلهِ وَوَجهِهِ ... ثَمانينَ ألفاً من لُجَينٍ وعَسْجَدِ

فأنفَقها في مَسِجدٍ أُسُّه الشُّقَي ... ومَنْهَجُه دينُ النبيّ مُحَمَّد." (١)

"فلما كان يوم السبت السادس من جلوس هشام، وهو العاشر لصفر سنة ٣٦٦، قلد الخليفة هشام حجابته وزير أبيه الأخص أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي. وفي هذا اليوم، أنهض الخليفة هشام محمد بن أبي عامر إلى خطة الوزارة، نقله إليها عن شرطته الوسطى وأجراه رسيلا لحاجبه جعفر في تدبير دولته؛ فماده محمد شأوا، وجرى إلى غاية برز فيها دونه، سابقا في الحلية، وتخلف جعفر عن مداه.

ومن أخبار جعفر بن عثمان المصحفي: هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة القيسي. كان لطيف المنزلة من الحكم المستنصر بالله، قديم الصحبة، قريب الخاصة؛ وكان أول سبب ذلك تأديب والده عثمان بن نصر للحكم في صباه، واستخدمه في أيام والده الناصر، واستكتبه، ورقاه إلى خطة الشرطة الوسطى والنظر في عدة من الأعمال والكور. فلما أفضت الخلافة إلى الحكم، قلده، بعد ثلاثة أيام من خلافته، خطة الوزارة، وأمضاه على الكتابة الخاصة؛ ثم جمع له الكتابة العليا بالخاصة، وولي ابنيه الأعمال الكبار. وكان جعفر بن عثمان أحد شعراء الأندلس المحسنين، المتصرفين في أنواع الشعر من المديح والأوصاف والغزل، غاية في كل ذلك في الرقة والإبداع والحسن. وقد تقدم قوله **مرتجلا**:)هنيا للإمام والأنام(وقوله **مرتجلا**:)تطلع البدر من حجابه(وغير ذلك.

قال ابن بسام: كان جعفر بن عثمان رجلا بلغ المنتهى، وسوغ برهة من دهره ما اشتهى، دون مجد تفرع من دوحته، ولا فخر نشأ بين مغداه وزوجته. فسما دون سابقة، وارتقى إلى رتبة لم تكن لبينته مطابقة؛ فلم يزل يستقل ويضطلع، وينتقل من مطلع إلى مطلع، حتى التاح في أفق الخلافة، وارتاح إليها بعطفها كنشوان السلافة؛ وحجب الإمام، وانسكب برأيه ذلك الغمام. فأدرك بذلك ما أدرك، ونصب لأمانيه الحبائل والشرك، واقتنى وادخر، وأزرى بمن سواه وسخر. واستعطفه محمد بن أبي عامر، ونجمه غابر لم يلح، وسره مكتوم

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/٢٤١

لم يبح؛ فما أقبل عليه ولا عطف، ولا جنا من روضة دنياه زهرة أمل ولا قطف؛ وأقام في تدبير الأندلس، وهو يجري من السعد في ميدان رحب، ويكرع من العز في مشرب عذب. وكان له أدب بارع، وخاطر إلى نظم المحاسن مسارع. فمن ذلك ما بعثه عليه إيناس دهره وإسعاده، وقاله حين ألهته سلماه وسعاده)طويل(:

لِعَيْنِكِ في قَلبِي على عُيُونُ ... وبَيْنَ ضُلُوعِي للشُجُونِ فُنُونُ

لَئِنْ كان جِسْمي مُخلَقاً في يَدِ ألَوَى ... فحُبُّكِ غَضٌ في الفُؤادِ مَصُونُ

وله، وقد أصبح يوما عاكفا على حمياه، هاتفا بإجابة دنياه، مرتشفا ثغور الأنس متنسما رياه، والملك يغازله بطرف عليل، ويبرم من أنسه كل نحيل، والسعد قد عقد عليه أيَّ إكليلي، يصف لون مدامه، وما يعرف منها دون ندامه؛ فقال)كامل(:

صَفْراءُ تَبْرُقُ في الزُّجاج فإِنْ سَرَتْ ... في الجسم دبَّت مِثلَ صِلٍ لادِغِ

عَبَثَ الزمانُ بحُسنِهَا فتستَّرَتْ ... عن عَيْنه ثَوْبِ نُورٍ سابغِ

خَفِيَتْ على شُرَّابِها فكأنَّما ... يَجِدُونَ رِيّا في إناءٍ فارِغِ

واستمر في حجابته، ومر بين سمع الدهر وإجابته، والنفوس العلية من تناهي حاله متغيرة، وفي تكيف سعده متحيرة. ولم يزل لنجاد تلك الخلافة معتقلا، وفي مطالعها متنقلا، إلى أن توفى الحكم؛ فانفصم عنده المحكم، وانبرت إليه النوائب، وتسددت له الخطوب بسهام صوائب؛ واستولي عليه الكسل، وأسرعت إليه الذوابل والأسل، وتعاوره الإدبار، وساوره من المكروه ما فيه اعتبار؛ وانتقل إلى المنصور ذلك الأمر، واختص به كما اختص بيزيد أخوه الغمر، وأناف في تلك الخلافة كما شب قبل اليوم عن طوقه عمرو؛ فاعتقل بتلك النجاد، واستبد به دون أولئك الأمجاد، وانبرى إلى المصحفي بصدر كان قد أوغره، وجد سام طال ما استقصره؛ فأباده ونكبه، وسلب جاهه وانتهبه، وأقنص من تلك الإساءة، وأغصَّ حلقه بكل مساءة، وألهب جوانحه حزنا؛ ونهب له مدخرا ومختزنا، ودمر عليه ما كان حاط، وأحاط به من مكروهه ما أحاط؛ فبقى سنين في مهوى النكبة، وجوى تلك الكربة، ينقله المنصور معه في غزواته، ويعتقله بين أظفار التضييق أو في لهواته، وهو يستعطف ويستميل، فلا يتحقق له رجاء ولا تأميل، إلى أن تكورت شمسه، وقاضت بين أنياب المحن نفسه؛ فاغتيل في المطبق، ونفذ فيه أمر الله وسبق.." (١)

"أحد حتى سالت على خده، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها، فكانت أحسن عينيه وأحدهما، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/٢٥٣

وروى الدارقطني: بإسناد غريب عن مالك، عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد، عن أخيه قتادة بن النعمان قال: أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي، فأتيت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما، وبصق فيهما فعادتا تبرقان.

والمشهور الأول ؛ أنه أصيبت إنما عينه الواحدة. ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له: من أنت ؟ فقال له **مرتجلا:**

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد فعادت كما كانت لأول أمرها

فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته، رضي الله عنه.

". (١)

"أن يحدثه، لعل الله أن يصلحه.

قلت: وهذا الذي أنشده أبو نواس في شعره قد رواه ابن عدي في " "كامله " " عن ابن عباس موقوفا، ومرفوعا من عشق فعف فكتم فمات مات شهيدا ومعنى هذا أن من ابتلي بالعشق من غير اختيار منه فصبر وعف عن الفاحشة ولم يفش ذلك فمات بسبب ذلك، حصل له أجر كبير، فإن صح هذا كان ذلك له نوع شهادة، والله أعلم.

وروى الخطيب أيضا أن شعبة لقي أبا نواس فقال له: حدثنا من طرفك، فقال **مرتجلا:**

حدثنا الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر

ومسعر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عامر

قالوا جميعا أيما طفلة علقها ذو خلق طاهر

فواصلته ثم دامت له على وصال الحافظ الذاكر

كانت له الجنة مفتوحة يرتع في مرتعها الزاهر

وأي معشوق جفا عاشقا بعد وصال دائم ناضر

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٥/٤٠٨

ففي عذاب الله بعدا له نعم وسحق دائم داحر

فقال له شعبة: إنك لجميل الأخلاق، وإني لأرجو لك.." (١)

"

فأجابه أبو الحسن ابن الخطيب بقوله المصيب

(لا أوحش الله ربعا أنت زائره ** يا بهجة الملك والدنيا مع الدين)

(يا أحمد الحمد أبقاك الإله لنا ** فخر الملوك وسلطان السلاطين)

ومن أخباره أيضا أن كاتبه أبا زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد المنان دخل عليه عشاء فقال له أنعم الله صباح مولانا فأنكر السلطان ذلك وظن أنه ثمل فتفطن أبو زكرياء لما صدر منه وتدارك ذلك فأنشد مرتجلا

(صبحته عند المساء فقال لي ** ماذا الكلام وظن ذلك مزاحا)

(فأجبته إشراق وجهك غرني ** حتى توهمت المساء صباحا) الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز ابن أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله

من الاتفاق الغريب أن سلطان فاس والمغرب في هذا التاريخ كان اسمه عبد العزيز بن أحمد وسلطان تونس وإفريقية كان اسمه أيضا عبد العزيز بن أحمد وكانت ولايتهما في سنة واحدة إلا أن مدة الحفصي طالت جدا

أم هذا السلطان أم ولد اسمها جوهر صفته شاب السن ربعة من القوم أدعج العينين جميل الوجه

لما توفي السلطان أبو العباس بن أبي سالم رحمه الله بتازا كان ابنه أبو فارس هذا بتلمسان فاستدعاه رجال الدولة منها فقدم عليهم بتازا وبايعوه بها يوم السبت التاسع من محرم سنة ست وتسعين وسبعمائة ولما تم أمره أطلق أبا زيان بن أبي حمو الزياني وكان معتقلا عنده بفاس لالتجائه إلى أبيه من قبل في خبر ليس تفصيله من غرضنا وبعثه إلى تلمسان أميرا عليها من قبله فسار إليها أبو زيان وملكها وأقام فيها دعوة السلطان أبي فارس ثم

". (٢)

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٤/ ٧١

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٤/ ٧٩

"رجعت في الغزلان عن تغزلي ... إلى رثاء السيد الطهر الولي

به مستشفعا توسلي ... يا رب ليل جمعت قطريه لي

بنت ثمانين عروسا تجتلي

عذرا في قتلي قبلت عذرها ... شمطا لكن ما تعد عمرها

بشيعة الأكباد وقعا حرها ... لم يملك الماء عليها أمرها

ولم يدنسها الضرام المحتضى

بكر إذا ما شق عن جذورها ... يستتر الأنوار من ظهورها

أما ترى البدر اختفى من نورها ... كأن قرن الشمس في ذرورها

بفعلها في الصحن والكأس اقتدى

من كأسها الملآن ما الدهر حلا ... من عدها بأول فأولا

قد شبه يثرب مع اهل الولا ... نازعتها أروع لا تسطو على

نديمه شرته إذا انتشى

بات يراعى خاطري بلحظه ... حتى أفاد ذا الرقى من حظه

غيث ندى في ندبه ووعظه ... كأن نور الروض نظم لفظه

مرتجلا أو منشدا أو إن شدا

أمطرت وادي الحزن وأسبلته ... فحط عني بعض ما حملته

مقالة فانقضت ما نقلته ... من كل ما نال الفتى قد نلته

والمرء يبقى بعده حسن النثا

لا تجز عن بصري رفقتي ... إني فرحت راضيا بقتلتي

خذوا تفاصيل النهى من جملتي ... فإن أمت فقد تناهت لذتي

وكل شيء بلغ الحد انتهى

ما إثمي قد رجعت مواسما ... وذا بلى قد اهتز غصنا ناعما

بجنة فيها البقاء دائما ... وإن أعش صاحبت دهري عالما

بما انطوى من صرفه وما انتشى

أليس من قربي أعلام الهدى ... الطاهرين مولدا ومشهدا

فكيف أرضى بأضاليل العدى ... حاشا لما سأره في الحجا

والحلم أن أتبع رواد الخنا

لا تحسبن دهر قضى بغربة ... إني إليه شاكيا من كربه

أو شاكرا لرفعه في ركبه ... أو أن أرى مختضعا لنكبه

أو لابتهاج فرحا ومزدهى

تمت بحمد الله." (١)

"ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه، الإمام الأوحد، جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي، بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو يجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولازيد، وفي جوف الفراكل الصيد، آية الزمان، وقرة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ومالك أزمة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدار، فاما نظمه فرضي الطباع، مهياري الانطباع، وأما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطل المثل بقس وسحبان.

ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقرآن، وعددهم نيف على العشرين قارئاً، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات أن يتكاملوا قراءة، وقد أتو بآيات مشتبهات، لايكاد المتقد الخاطر يحصلها عدداً، أو يسميها نسقاً. فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في ايراد خطبته، عجلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقراً، وأتى بها على نسق القراءة لها، لامقدماًولا مؤخراً. ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها. فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ماقرأ القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة الغراء بها عجلاً! أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون، وان هذا لهو الفضل المبين فحدث ولا حرج عن البحر، وهيهات ليس الخبر عنه كالخبر! ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً، أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٤٨٣/١

ناصيته بيده فيجزها، ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع اليه، فشاهدنا هولأ يملأ النفوس انابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلو لم تركب ثبج البحر، وتعتسف مغازات القفر الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل، لكانت الصفقة الرابحة والوجهة المفلحة الناحجة، والحمد لله على أن من بلقاء من تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله.

وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير اليه الرقاع، فيجاوب أسرع من طرفة عين. وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، لا اله سواه.." (١)

"خير الآحاد عنه في العلى ... راح يروينا عن السبع المثاني

مفرد بالفضل كم مثنٍ له ... ما له مثلي بعرض المدح ثاني

من أناس لم يشن قدرهم ... ومعالي شأنهم ذو شنآن

طبخوا نياتهم حتى استوت ... بقدورٍ راسياتٍ وجفان

ذو يراع إن تبدي خافقاً ... علم البرق ضروب الخفقان

هل رأيتم من شجاع قبله ... ينبري أخفق من قلب جبان

عيلم بل علم في لجة ... يقذف الدر وفي رفعة شان

لا ترى الأشراف إلا دونه ... فهي كالأنبوب منه والسنان

فليقل لله دري مغتذٍ ... من أفاويق المعالي بلبان

يا ترى هل من مدان مجده ... وهو النخبة من عبد المدان

شرفتني من علاه قطعة ... نظمت أسطرها نظم الجمان

ما وعته أذني من لفظها ... أزبوراً كان أم آي قرآن

حملتني فوق وسعي يده ... آه لو قبلتها حمل امتنان

شرفي المحض لدى تعريضه ... أن يسميني في لفظ فلان

حملت أبكار فكري مدحه ... كقيان فوق راحات قيان

أنا في حملي إليه مدحي ... مثل من يحمل دراً لعمان

يا نجيباً حاز فضلاً وعلا ... في نجيب قلما يجتمعان

كنت قد أقرضتني مدحك لي ... فهو قرض داخل تحت ضماني

---

(١) رحلة ابن جبير، ص/٨٢

قيدتني منك قدماً مدحة ... أطلقت في شكرك اليوم لساني

سوف أزجي من نجيبات الثنا ... لعلاكم كل بكر وعوان

كم عجاف لعجاف سقتها ... من معان وسمان لسمان

لا يصون الدر من يعرضه ... لمهانٍ عرضه غير مصان

أتراني ساعة من زمني ... منه أحظى بلقاء أتراني

فعلي أني نجيب شاهد ... ما إليه من صباباتي عداني

بأني من لم يزل منذ نشأ ... خضل الراحة منهل البنان

حزت أجر الصوم والعيد إذا ... يتلقاك ببشر وتهاني

لا خلاك الله من دنياً بها ... كل شيء ما خلا مجدك فاني

هذه راحة فكر روق ال ... عقل معاناها براحات البيان

سطعت كالشمس من دون النهى ... فمحت ظل العنا باللمعان

خمرة بين الندامى بكرة ... دار أرخ)كأسها في رمضان(

)وكتب(في ذيلها مخبراً عن عمه. الذي هو أشفق عليه من أبيه وأمه. المولى المكتسبي أدباً هو من كل نقص عري. حضرة واحد الآحاد عبد الباقي أفندي العمري. ما نصه: وبعد أن تشرف نظر العم. بإمعانه فيما تفضل به المولى على عبده وأنعم. واطلع بنائرة نار حدسه الموصدة. كما تطلع نار الله الموقدة على الأفئدة. على ما نظمته بهذه الدفعة. بمدح تلك الحضرة الرفيعة المنعة المنيعة الرفعة. فأنشدني **مرتجلاً** على ذلك الروي والقافية. في نعت هذه الطلول العافية.)قوله(:

كم نزا عير على الزورا وما ... حيل فيما بينه والنزوان

)فكتبت(له في جواب إحدى القصيدتين. ما هو أقل في حقه إذا أنصفت من نصف الاثنين. ونصه:." (١)

" (جوابان عن هذا السؤال كلاهما ** صواب وبعض القائلين مضلل) (فمن ظنه كرما فليس بكاذب ** ومن ظنه نخلا فليس يجهل) (لحومهما الأعناب الرطب الذي ** هو الحل والدر الرحيق المسلسل) (ولكن ثمار النخل وهي رطيبة ** تمر وغض الكرم يجنى فيؤكل) (يكلفني القاضي الجليل مسائلا ** هي النجم قدرا بل أعز وأطول) (ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ** جديرا ولكن من يودك

---

(١) غرائب الاغتراب، ص/١١٤

مقبل) قال القاضي أبو الطيب : فأجبته عنه وقلت : (أثار ضميري من يعز نظيره ** من الناس طرا سابق الفضل مكمل) (ومن قلبه كتب العلوم بأسرها ** وخاطره في حدة النار مشعل) (تساوى له سر المعاني وجهرها ** ومعظلها باد لديه مفصل) (ولما أثار الخبء فار معينه ** أسيرا بأنواع البيان يكبل) (وقر به من كل فهم بكشفه ** وإيضاحه حتى رآه المغفل) (وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ** ومرتجلا من غير ما يتمهل) (فيخرج من بحر ويسمو مكانه ** جلالا إلى حيث الكواكب تنزل) (فهنأه الله الكريم بفضله ** محاسنة والعمر فيها مطول) فأملى أبو العلاء على الرسول مرتجلا : (ألا أيها القاضي الذي بدهاته ** سيوف على أهل الخلاف تسلل) (فؤادك معمور من العلم آهل ** وجدك في كل المسائل مقبل) (فإن كنت بين الناس غير ممول ** فأنت من الفهم المصون ممول) (إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلا ** فأنت وهم مثل الحمائم أجدل) (كأنك من في الشافعي مخاطب ** ومن قلبه تملي فما تتمهل) (وكيف يرى علم ابن إدريس دارسا ** وأنت بإيضاح الهدى متكفل) (تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكر ما ** فعلت وكفي من جوابك أجمل) (لأنك في كنه الثريا فصاحة ** وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل) (فعذري في أني أجبتك واثقا ** بفضلك والإنسان يسهو ويذهل) (وأخطأت في إنفاذ رقعتك التي ** هي المجد لي منها أخير وأول) (ولكن عداني أن أروم احتفاظها ** رسولك وهو الفاضل المتفضل) (ومن حقها أن يصبح المسك غامرا ** لها وهي في أعلى المواضع تجعل) (فمن كان في أشعاره متمثلا ** فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل) (تجملت الدنيا بأنك فوقها ** ومثلك حقا من به يتجمل) فشهادة أبي الطيب في الشيخ مقدمة على شهادة الغير وحسن الظن وخصوصا بالعلماء

---

(١) ".

"علي بن محمد بن علي بن هذيل البنسى، قال قرأت جميع ذلك على الشيخ الفقيه المقرئ أبى داود سليمان بن نجاح الأموي، قال، قرأت جميع ذلك على الإمام الحافظ أبى عمرو وعثمان بن سعيد بن عثمان الدانى بسنده في كتاب التيسير، وقد قرأت جميعه عليه وقرأت عليه جميع القصيدة اللامية المسماة بحرز الأماني التي من نظم الإمام أبى القاسم بن فيرة الشاطبى رحمه الله قراءة تثبيت وتبيين لمعانيها وإعراب لمشكلها، وإيضاح لأسرارها، واستخراج لغوامضها وجميع عقيلة أتراب القصائد من نظم الشاطبى أيضا

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ١/٣٥٠

وحدثني بجميع ذلك عن شيخه أبى العباس البطرنى المذكور، ولشيخي هذا أسانيد غيرها، وسماع وتبتل، وانقطاع ومواصلة للقرآن واعتناء بذلك الشأن فجمع بين علو الإسناد، والسلسلة الذهبية وتوسع كثيرا في اللغة العربية. وتتبع أنواعا من هذه الطريقة الأدبية يعمر بها مجالسه أنشدني لبعض الشعراء:

أني غريب بأرض لا كرام بها ... كغربة الشعرة السوداء في الشمط

لا أطلق العين في شيء أسر به ... ولا أنال الرضى إلا على سخط

وأنشدني لبعضهم:

ان الليالي للأنام مناهل ... تطوي وتنشر بينها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

وأنشدني لبعضهم:

تمتع بالرقاد على الشمال ... فسوف يطول نومك باليمين

ومتع من يحبك باجتماع ... فأنت من الفراق على يقين

وكان رضي الله عنه رقيق الاشادات، طيع العبارات، حلو الحكايات، عالي الروايات، تبهجك طلاقته ويرضيك بشره مع مروؤة ظاهرة، وتمام خلقة، وهدى وسمت ووقار لأكفاء له، إلى حسن البيان وعذوبة اللسان.

ملح كالرياض غازلت الشم ... س رباها وافتر عنها الربيع

فهي للعين منظر مؤلف الحس ... ن وفي النفس سئودد مجموع

ذكر لي قال دخل بعض الملوك على جارية له، وقد دهن شعره بدهن بيضه به، فقال يخاطبها:

كل البياض مليح ... لا شيء في الحسن بعده

فأجابته:

أهواه من كل شيء ... إلا من الشيب وحده

فاستحسن جوابها، وأحسن ثوابها، وأخبرني، قال دخل بعض الشعراء على بعض الكبراء مادحا له بشعر قاله فيه فوجد عنده حجاما قد قص من شعره وأجزل له في العطاء ولم يعط الشاعر فقال مرتجلا:

أرى من جاء بالموسى مواسي ... وراحة ذي القريض تروح صفرا

فهذا منجح ان قص شعرا ... وهذا مخفق ان نص شعرا

وأخبرني قال: مدح أبو الحسن بن الفضل أحد الوزراء بمراكش وكان أقرع فلم يثبه، فقال:

أهديت مدحي للوزير الذي ... دعا به المجد فلم يسمع

فحامل الشعر إليه كمن ... يهدي به مشطا إلى أقرع

وأخبرني قال: أهدى سالم بن قاسم من بني مهنا الحسنيين لصلاح الدين ابن أيوب مروحة بيضاء وفيها مكتوب بالأحمر بيتين وهما هذه:

أنا من نخلة تجاور قبرا ... ساد من فيه سائر الخلق طرا

شملتني سعادة القبر حتى ... صرت في راحة أبن أيوب أقرأ." (١)

"أما وحباب مبسمه المفدى ... على معسول كأس المرشفين

لقد عذبت موارده ولكن ... ندى المنصور أحلى الموردين

وقال أيضا:

وأغيد تعرف من جفنه ... علامة التأنيث بالكسرة

أرخى على أعطافه شعره ... قد جذبتني فيه للحسرة

فأعجب لمن جار عليه الضنى ... حتى غذت تجذبه شعره

فقال يطلب الأذن:

ما يقوم المقام أيده الله ... ولا زال للسعود يحوز

في ولى ببابه تركب الخلق ... ووافى يجوز أم لا يجوز

وقال:

أهواه لدن القوام منعطفا ... يسل من مقلتيه سيفين

وهبت قلبي له فقال عسى ... نومك أيضا فقلت من عيني

وقال:

لله خال على خد حبيب له ... في العاشقين كما شاء الهوى عبث

أورثته حبة القلب القتيل له ... وكان عهدي ان الخال لا يرث

وقال أيضا:

بقلت وجنة المليح وقد ولى ... زمان الصبا الذي كنت أملك

يا عذار المليح دعني فإني ... لست في ذا الزمان من خل بقلك

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ص/١٣

وقال أيضا:

رأيت في جلق غزالا ... تحار في حسنه العيون

فقلت ما الاسم قال موسى ... قلت بذا تحلق الدقون

وقال أيضا:

أهواه معسول الرضاب منعما ... ولكم يعذبني الهوى بمنعم

يا قلب هذا شعره وجفونه ... صبرا على هذا السواد الأعظم

وقال:

لا ينكر الكاسر أجفانه ... دم الشهيد الصابر المغرم

فالريح، ريح المسك في خده ... كما ترى، واللون لون الدم

وقال:

علقتها غيداء حالية الطلا ... تجني على عقل المحب وقلبه

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم ... فغدت مطوقة بما بخلت به

وقال:

بروحي معسول المراشف أغيد ... كثير التجني ما أغر وما أغرا

تثنى قضيبا فاح مسكا رنا طلا ... سطا أسد، غنى حماما بدا بدرا

وقال:

وأغيد جارت في القلوب لحاظه ... وأسهرت الأجفان أجفانه الوسنى

أجل نظرا في حاجبيه ولحظه ... تر السحر منه قاب قوسين أو أدنى

وقال:

وضعت سلاح الصبر عنه فما له ... يقابل بالالحاظ من لا يقابله

وسأل عذار فوق خديه جائر ... على مهجتي فليتق الله سائله

وحين ودعته تأسف للفراق وأعقب بإرسال دمعة المهراق وأنشدني وهو مما يجب أن يكتب على الاحداق لا على الأوراق فقالي لي:

أودعكم وأودعكم لقلبي ... وعون الله حسبكم وحسبي

فقلت **مرتجلا:**

وأرعى حبكم ما دمت حيا ... وأرجو فضلكم رعيا لحبي

ثم تألف بتلك المدينة الركب، واشتاق إلى البقاع الكريمة القلب فأعددت الزاد. وشددت الاقتاب والاقتاد، وخرجت من مدينة القدس الشريف. في عشي يوم الأربعاء الثاني عشر لشوال من العام المذكور. وقد تضمخ حبي الأصيل بالعبير، وكادت الشمس تسقط من الغرب على شفير، فبتنا بقرب سورها، وأخذنا من الأمور بميسورها، وودعت بمنزلنا ذلك أخي محمد المذكور المتقدم الذكر وداعا استولى على الفكر. فشغلت مقل بالدموع، وأكباد بالجمر، وطالت النوى لوجدان الأسى وعدم الصبر:

ومدت اكف للوداع وصافحت ... وكادت عيون للفراق تسيل

ولا بد للألفين من دمع لوعة ... إذا ما خليل بان منه خليل

ولما غاض نهر المجرة، وابتسمت أسنان الكواكب المفترة، سرنا إلى ان خيمنا بظلال روضات الغيور، وقد استل سيوف الجداول وترشح خمائل النور معدت حينئذ في صفة الشعراء:

وتحدث الماء الزلال مع الحصا ... فجرى النسيم عليه يسمع ما جرا

وكأن فوق الماء وشيا ظاهرا ... وكأن تحت الماء درا مضمرا

فترامينا على تلك المياه بين تلك الظلال مستقين وأنشدتهم لكتاب ميا فارقين:

وقانا وقدة الرمضاء ظل ... وقاه مضاعف الظل العميم

يراعي الشمس أني قابلتنا ... فيحجبها وبأذن للنسيم

وسقانا على ظمأ زلالا ... الذمن المدام لنديم

تروع حصاه حالية الغواني ... فتلمس جانب العقد النظيم." (١)

"طال عمر الصدود دونك حتى ... كدت اقضي أسى وأعدم عقلا

قد أشاب الفراق رأسي حتى ... ظنني الناس في الشبيبة كهلا

يا ليالي الوصال لا صرم الدهر ... لنا بعد ما بلغناك حبلا

كم بكيناك بالدموع اشتياقا ... لا نبالي في ذلك لوما وعذلا

وركبنا نجائب السهر نطوي ... من قفار الأفكار وعرا وسهلا

ولعمري جميع ذلك حلو ... غير أن الوصال والله أحلا

يا جفوني لك الهناء تقضي ... زمن البعد والجفا وتخلا

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ص/٥٩

فتملى بما تمنيت هذا ... ربع مي وهذه مي تجلا

فاجعلي دمعك المصون نثارا ... فهو أعلى من اللئالي وأغلا

أترى هذه منازل مي ... عن يقين وهذه مي أم لا

وهل الدهر جامع لمحب ... بك يا حلوة الشمائل شملا

لا تلومي على الجهالة صبا ... لا يرى غير شغله بك شغلا

كان قبل الهوى عزيزا فلما ... ذاق طعم الهوى استكان وذلا

فغدا يبصر الشقاء نعيما ... ويعد الملام في الحب جهلا

طاب يا ربة الستور سقامي ... عندما طاب في هواك وجلا

وأذاب البعاد جسمي نحولا ... وانقضى بالصدود عمري وولا

ثم زال الشقا وفزت بوصل ... منك أعلى من الحياة محلا

وبلغت المنى فلست أبالي ... أقبل الدهر بعد ذا أم تولى

وحين حمدنا السرى، ووصلنا إلى أم القرى وعلمنا أننا أضياف الله فدخلنا منه بأحسن القرى وتبدت لنا الكعبة الغراء في أستارها، وتجلت لنا المليحة في حلل أنوارها

وضعنا جباها في الثرى قد تهللت ... أساريرها منها وزاد سرورها

وطفنا بها سبعا وزفت ظلالها ... على خائف مثلي أتى يستجيرها

وحين وقع نظري عليها، ومثلت لديها، أنشدت **مرتجلا** بلسان الخضوع، وكتبت خجلا بماء الدموع.

الهي هذا البيت بيتك جئته ... وعادة رب البيت أن يكرم الضيفا

فهب لي قرى فيه رضاك وأنني ... من النار خوفي فلتؤمني الخوفا

وأخذنا نطوف طواف القدوم، ونعرف ما لنا من الكرامة بموجوده على المعدوم، وقضينا الانساك مهتدين في قضائها، مقتدين في شروع أدائها، وعدنا إلى البيت الحرام نطوف به ونستلم، وتقبل أركانه ونلتزم، ونصبر عند تقبيل الحجر على الاصطدام والاظطرام، نغتفر الزحام عند الورود على منهله والمنهل العذب كثير الزحام، ونستنزل الألطاف ونستلذ المقام بين الركن والمقام، ونشرب من ماء زمزم ما يروي الاوام، ويبري من السقام، والقلب يتشبث بأهداب تلك الخيام، ويوطن نفسه دون بقية الجسد على المقام، والطرف يذرف دموع المذنب الخاطئ، واللسان يردد لنجم الدين مهلل بن محمد الدمياطي:

يروق لي منظر البيت العتيق إذا ... بدا لطرفي في الاصباح والطفل
كان حلته السوداء قد نسجت ... من حبة القلب أو من أسود المقل." (١)

"بوأنا الله تعالى منزلة الكرامة، بزيارة هذا النبي الكريم، وأحلنا من فضله في جواره دار المقامة، انه ذو الفضل العظيم بمنه وكرمه، ثم رحلنا من المدينة المنورة الشريفة، في يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة المذكورة وهو غد يوم دخولنا ووصولنا، وسرنا مع الركب المصري على عادتنا من وصل السري وحث المطى وأنا أجد نسيم طيبة المكيبة أعبق من العنبر الذكي وأفتق من المسك النقي، وأحلى على قلبي الصادي من المورد العذب الشهي.

ولفخر الرؤساء الرضى الموسوي.

أيها الرائح المجد تحمل ... حاجة للمتيم المشتاق
وأقرعني السلام أهل المصلى ... وبلاغ السلام بعض التلاقي
وإذا ما مررت بالخيف فاشهد ... أن قلبي إليه بالأشواق
وأبك عنى فطالما كنت من ... قبل أعير الدموع للعشاق
ضاع قلبي فأنشده لي بين جمع ... ومنى عند بعض تلك الحداق

إلى أن وصلنا إلى الينبوع في عشى يوم السبت السادس والعشرين لذي الحجة المذكورة وصلناها بعد مسح الجبين، والانحفار المبين فحللنا منها ببلد أثير، ذي نخل كثير،و ماء غزير، عذب نمير، وخرجنا منها ضحوة يوم الاثنين الثامن والعشرين لذي الحجة المذكور وسرنا والغيظ يشتد حره، والهجير يلتظي جمره، إلى أن وردنا ماء العقبة الكبرى على ساحل البحر وهي التي تسمى عقبة أيلة يجتمع عندها الناس من الشام ومصر وغيرهما للقاء الركبان، والسؤال عن الأحباب والإخوان،

عارضا بي ركب الحجاز أسائ ... ه متى عهده بأيام جمع
واستملأ حديث من سكن الخيف ... ولا تكتباه إلا بدمعي
فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي

وصلنا إليها في ضحى يوم الخميس السادس عشر لشهر الله المحرم مفتتح عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة ثم تقسمت الركبان فبعض انقلب إلى الديار المصرية وبعض ذهب إلى البلاد الشامية:

ألا بلغ الله الحمى من يريده ... وبلغ أكناف اللوى من يريدها

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ص/٦٩

فكنت ممن آثر زيارة تلك البقاع السامية الكريمة، واستخار الله تعالى فاختار له أفضل الغنيمة، ورحلنا من العقبة في ليلة يوم السبت الثامن عشر من شهر الله المحرم المذكور، فأول ماء لقيناه بعد العقبة المذكورة ماء غضيان ثم ماء الغمر ثم ماء التجان ثم سرنا فأتينا عقبة الصفا، وقد اشتدت جمرة القيظ، والنفوس من جواز تلك العقبة الكئود تكاد تميز من الغيظ. وما زلنا نسير فيشتد حر الشمس، ويشبه اليوم الأمس، إلى أن وصلنا إلى مدينة الخليل عليه السلام فدخلناها عند العصر من اليوم الخميس الثالث والعشرين لشهر الله المحرم المذكور، فاستراحت الأبدان وتلاقى الأخوان، وتفرق الركب، وتألف الصحب واجتمع كل بخليله ونسيبه، وأخذ من سماط أبيه الخليل عليه السلام بسهمه ونصيبه، فقضينا ما تعين من الزيارة ووجب من السلام، لقيت من امكن من أولئك الفضلاء الأعلام، وخرجت منها في عشى يوم الجمعة من غد اليوم المذكور، وسرنا والعشى ةد طفل، وعطفه في الثب القصير قد رفل، والشمس قد خجلت من فراق الحاضرين، صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، فوصلنا إلى مدينة القدس الشريف في صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين من شهر الله المحرم المذكور، وبها اجتمعت بأخي محمد حيث تركته بعدما جال في أطراف بلاد الشام، وكاد يبلغ مدينة السلام. فتلاقينا بتحية الإخوان إذا التقيا بعد البين، وحظينا بعد الأثر بالعين، فكان بذلك لنوم عيني سبيل وعهدي بالنوم عهد طويل، وأقمنا بالقدس الشريف الكريم ملتمسين البركة في ذلك الحرم العظيم إلى أن خرجت منه بالرغم، وتزودت بالغم ملتفتا إلى تلك الربوع ومكفكفا واكف الدموع فنبت عنه مرتحلا، وفيه أنشأت عاجلا وأنشدت **مرتجلا**:

خليلي في ربع الخليل مني نفسي ... وفيك فؤاد أنت يا حرم القدس

أحن إلى تلقاء هذا صبابة ... وألمح من هذا سنى البدر والشمس

مواطن لو أنصفتها جئت زائرا ... إليها على العينين والخد والرأس

ولو أنني أعطي مرادي بينها ... لما رحلت من دونها أبدا عنسي

وكيف رحيلي عن معاهد لم تزل ... على الحل والترحال لي غاية الأنس

أروح وأغدو بينها شيقا لها ... وأصبح فيها مستهاما كما أمسى

بلاد خليل الله والمسجد الذي ... صلاة به في الأجر كالمائة الخمس." (١)

"الفقيه الأجل الأفضل الأزكى العدل الرضي الأسدي، الأكمل أبو الحجاج ابن حصن وقف على النسخة الأولى من هذه الرحلة ببلده بلش في وجهتي إلى)مالقة(وإلى غريبها برسم لقاء العلماء الفضلاء

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ص/٨٦

وذلك في شهور ست وخمسين وسبعمائة فكتب عليها بخطه ما نصه، وعليه قرأته ومنه سمعته، لما وقف العبد الفقير إلى مولاه الغني به عمن سواه يوسف بن علي بن محمد بن علي بن محمد الخولاني ثم ابن حصن الشاطبي المحتد البلشي المولد على هذه النسخة بل الرحلة المباركة المآثر الشريفة الأوائل والأواخر، انشد بلسان المتلعثم **مرتجلا** وقريحة التقصير مستعجلا:

لاح من الشرق هلال سما ... فاق به مغربنا مشرقا

جاء من اليم بدر يضيء ... قلبا من الغم له مشرقا

رحلة الحج من حلا خالد ... حاز من المجد بها مفرقا

)الفقيه الوزير الكاتب(الماهر الناظم الناثر أبو جعفر احمد بن زرقالة وقف عليها وكلف بها ونسخ بخطه البارع الرائق العجيب نسخا منها وقرأها علي بلفظه وسمعها بلفظي وبلفظ غيري بالمرية المحروسة مرات كثيرة ونظم في مدحها مقطوعات عديدة وقصائد جملة جميلة واعتني بها غاية الاعتناء وجمع كل من نظم فيها شيئا من النظم أو النثر في مجموع رائق أنيق حافل منفرد بنفسه وعرف بهم تعريفا حسنا نفعه الله بقصده، فمما نقلت هنا من نظمه الذي كتبه على النسخة الأولى من هذه الرحلة، ما نصه مقترنا بما قبله وبعده، وذلك الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، يقول كاتب هذه بخطه عبد الله الراجي رحمته أحمد بن محمد بن زرقالة ختم الله له تعالى بالسعادة لما وقفت على هذه الرحلة البارعة من إنشاء شيخنا رئيس الأدباء وإمام الفصحاء البلغاء أبي البقاء أطال الله بقاءه ووالى سموه وارتقاءه نظمت بديها بتاريخ اليوم التاسع عشر لشهر ربيع الأول من سنة ست وخمسين وسبعمائة:

لله تاج وأي تاج ... حلى بالدرر والجواهر

نزهتني منه في رياض ... مختلف النور والأزاهر

جرت عليه الصبا ذيولا ... فنم عرف شذاه عاطر

ثم كتبت ونظمت بعد ذلك:

وشيت التاج يا تاج المعالي ... فجل على المفارق والرؤوس

رقمت جهاته ورشقت فيها ... بمسك الحبر كافور الطروس

فلم أر قبله في الطرس تاجا ... يرصع عاجه بالأبنوس

ومما كتبت هنا في قصائده التي نظمها في ذلك وكتبها هنالك قوله، وكتبتها هنا بما قبلها وبعدها الحمد لله حق حمده، ومما نظمه كاتب الأبيات أسفل الصفح يسرته أحمد بن محمد بن زرقالة وفقه الله وخاطب

به مصنف هذه الرحلة شيخه القاضي الجليل الحسيب الفاضل ذاتا وأداوة وخلقا وبيتا أبا البقاء خالدا حفظ الله مجده وبتاريخ اليوم الثالث والعشرين لربيع الأول من سنة ست وخمسين وسبعمائة ما نصه:

توجت أهل الشرق تاج جلالة ... أزرى بتيجان بني قحطان

ونظمت ذكرهم بأسلاك العلي ... نظما كنظم الدر والمرجان

ورفعت راية كجدهم وفخارهم ... وكسوتهم حللا من الإحسان

من دونها ما دبجته يد الندا ... في الروض غب العارض الهتان

خلدت خالد من حلى آثارهم ... كجدا تقر بمثله العينان

وأتيت من بدع البديع برحلة ... بل حلة موشية الأردان

أو روضة قد جادها صوب الحيا ... فتزينت بزخارف الألوان

تهديك من نفحاتها أرج الصبا ... مسكا يضوع شذاه كل أوان

شغفت بها مهج سمت لكنها ... حلت محل الروح من جثمان

لا سيما إذ أفحصت بحديث من ... حل الحما من ساكني نعمان

سحرت محاسنها النهى فكأنها ... وكأنه كالورد للظمئان

وترى القلوب تصيخ نحو حديثها ... آذانها سبقا إلى الآذان

قد أمحضت من لؤلؤ ألفاظها ... وصفت معانيها من لعقيان

مارئ قط بمثلها فيما مضى ... من سالف الأحقاب والأزمان

ظرفا وترتيبا وحسن عبارة ... لا يحتذى منها مزيد بيان

لم لا تكون بهذه الأثر التي ... قد أشرفت شرفا على كيوان

وحللت من رتب البراعة ذروة ... بوئت منها في أعز مكان

فيمد فكرتك البيان بديمة ... لسحابها سمو يدا سحبان

ومتى رقمت الطرس أو وشيته ... أنسيت وشى أزاهر البستان." (١)

"" يواش بن احزيا " ملك أربعين سنة. ولي الملك وله يومئذ سبع سنين وذلك لأن يوياذع رئيس الكهنة قتل عثليا الباغية جدته وقلده الملك. ولم يعترف له بجميله لكنه بعد وفاة يوياذع قتل جميع أولاده. ثم اغتاله مماليكه. ومات أيضاً ياهو بن نمشي ملك العشرة أسباط وكان مدة ملكه ثماني وعشرين سنة.

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ص/١٤٥

وملك بعده ياهو احاز ابنه سبع عشرة سنة ومات. وملك بعده يهواش ابنه ثلث عشرة سنة. وفي سنة ست وثلاثين ليواش بن احزيا توفي اليشع النبي. وكان يتنبأ زخريا النبي.

" اموصيا بن يواش " ملك تسعاً وعشرين سنة. هذا أباد جميع أعداء أبيه الاذوميين وأهل ساعير ونقل آلهتهم إلى أورشليم وعبدها. وغزاه يهواش ملك العشرة الأسباط وثلم في سور أورشليم ثلمة قدرها أربعمائة ذراع ودخلها وسلب مال هيكل الله ودار الملك وعاد إلى شمرين. وقتل اموصيا في الحرب. ومات يهواش وملك بعده يوربعام ابنه إحدى وأربعين سنة.

" عوزيا بن اموصيا " ملك اثنتي وخمسين سنة وفي أيامه كان يونس بن متى المبعوث إلى نينوا. وفي سنة أربع وعشرين من ملكه تعدى طوره ودخل محراب البخور في هيكل الله ليعمل أعمال الكهنة. فبرص جسده كله دفعة ولم يطهر حتى مات. ولما لم ينهه أشعيا النبي ارتفع عنه الوحي ثماني وعشرين سنة حتى مات عوزيا ثم ردت عليه النبوة إحدى وستين سنة أخرى وكان قد تنبأ قبل أربع وعشرين سنة. وفي سنة ثماني وأربعين لملك عوزيا أغار ثغلثفلسر ملك اثور على أورشليم وجميع أرض بني إسرائيل وجلا منهم كثيرين. وفي سنة تسع وعشرين لعوزيا مات يوربعام ملك العشرة الأسباط وملك بعده زخريا ابنه ستة أشهر. وقتله رجل اسمه شالوم وملك بعده شهراً واحداً. ثم قتله رجل اسمه محنيم وملك بعده عشر سنين ومات. وجلس مكانه فقحيا ابنه سنتين ثم قتله فقاح بن رومليا وجلس مكانه عشرين سنة. قال فرفوريوس المؤرخ إن اوميروس الشاعر وايسيدوس في هذا الزمان كانا.

" يوثم بن عوزيا " ولي الملك ست عشرة سنة وسلك السبيل المستقيم قدام ربه ورمم أورشليم وقهر العمونيين وأخذ الجزية.

وفي هذا الزمان كان اوميروس الشاعر على ما نقل عن فرفوريوس. هذا عانى الصناعة الشعرية من أنواع المنطق أجادها وهو معدود في زمرة الحكماء لعلو مرتبته. وقد وضع كتابين في الحروب التي جرت بين اليونانيين على مدينة ايليون ونسختاهما موجودتان عندنا بالسريانية وهما مشحونتان بالألغاز والرموز. وقيل إن انلينيا الماجن جاءه فقال له: اهجني لافتخر بهجائك إذ لم أكن أهلاً لمديحك. فقال له: لست فاعلاً ذلك أبداً قال: فإني أمضي إلى رؤساء اليونانيين فأشعرهم بنكولك. قال اوميروس مرتجلاً: بلغنا أن كلباً حاول قتال أسد بجزيرة قبرص. فامتنع عليه أنفة. فقال له الكلب: إنني أمضي إلى السباع فأشعرهم بضعفك. قال له الأسد: لأن تعيرني السباع بالنكول عن مبارزتك أحب إلي من أن ألوث شاربي بدمك.

" احاز بن يوثم " ملك ست عشرة سنة وأساء السيرة وقرب الذبائح للجن. حاربه فقاح بن رومليا مستنجداً

برصبان ملك الشام وأهلك من آل يهوذا مائة وعشرين ألفاً. ومات فقاح وملك بعده هوشع بن آلا تسع سنين. وفي سنة ثماني لملك احاز غزاه شلمانعسر ملك بابل. وكتب احاز نفسه عبداً له. وأخذ جميع ما وجد في بيت الرب والملك من الذهب والفضة والآنية. وحاصر مدينة شمرين ثلث سنين وفتحها وقتل هوشع وسبى العشرة الأسباط وفرقهم في جبال اثور وأراضي بابل وبلاد الفرس. ومن أفلت من هذا السبي انضاف إلى ملك السبطين يهوذا وبنيامين وبطل بذلك ملك العشرة الأسباط. وفي هذا الزمان عمرت جزيرة رودس وبقيت ألفاً وأربعمائة وخمس سنين إلى أن أخربها المسلمون. وبنيت في بلد فونطوس مدينة طرابيز ونطا.." (١)

"إذن: قد تزاد للمح الصفة، ولذلك قال ابن مالك:

وبعض الأعلام عليه دخلا للمح ما قد كان عنه نقلا

إذن: المرتجل لا تدخل عليه (أل) للمح ما قد كان عنه نقلا، بمعنى: أنه إذا كان العلم **مرتجلا** لا تدخل عليه (أل) الزائدة، هذا الأول: الأعلام.

الثاني: واجب التنكير وهو التمييز عند البصريين:

ولاضطرار كبنات الأوبر ... كذا وطبت النفس ..

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا ... صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو

وطبت النفس، النفس: هذا منصوب على ماذا؟ على التمييز، والتمييز عند البصريين خلافا للكوفيين، عند البصريين لا يكون إلا نكرة، يعني: واجب التنكير كالحال، فحينئذ وجب أن نحكم بكون (أل) في هذا الموضع زائدة؛ لأنها لم تفد تعريفا.

إذن: في هذين الموضعين نحكم بأن (أل) زائدة، إذن: (أل) تكون اسمية، وتكون حرفية، الاسمية هذه الموصولية، خاصة باسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، على خلاف في الصفة المشبهة، كل (أل) دخلت على اسم الفاعل في الأصل قد يراد بها التعريف .. كل (أل) داخلة على اسم الفاعل فهي بمعنى: (أل) الموصولية: جاء الضارب، يعني: الذي ضرب.

والداخلة كذلك على اسم المفعول فهي موصولية، وكذلك على الصفة المشبهة، على المختار عند ابن عقيل وغيره، هذا في الأصل، لأنها قد تخرج عن هذا.

الحرفية قسمان: زائدة، ومعرفة، الزائدة: عرفنا أنها مختصة بالأعلام وواجب التنكير.

---

(١) تاريخ مختصر الدول، ص/١٩

الثاني: الذي هو العهدية هي التي عناها الناظم:
وكونه باللام في النحو، باللام، أي لام؟ هي اللام العهدية، أما الزائدة فليس لها مواضع؛ لأنها ليس لها إلا معنى واحد، وأما الاسمية فهي داخلة وكونه بالوصل هناك، إذا صح أن تستعمل في المعاني السابقة
وكونه باللام، أي: العهدية الخارجية أو الجنسية، لأن (أل) العهدية ثلاثة أنواع، صحيح؟ و (أل) الجنسية ثلاثة أنواع، كم هذه؟ ستة، إذن: العهدية نوعان: المعرفة، نقول: الحرفية إما زائدة وإما معرفة، والمعرفة قسمان: إما أن تكون عهدية، وإما أن تكون جنسية، والعهدية ثلاثة أنواع، والجنسية ثلاثة أنواع.
أما العهدية: فقد تكون للعهد الحضوري، وهي التي عهد مصحوبها حضورا، يعني: حاضرا مدركا بالمشاهدة .. بالبصر .. بالحس: ((اليوم أكملت لكم دينكم)) [المائدة:٣] اليوم، أين مصحوب (أل)؟ يوم هذا مصحوب (أل) .. هذا مدخول (أل)، هذه نزلت يوم عرفة، اليوم أي: هذا اليوم، أليس كذلك؟ فهو مدرك بالحس، فحينئذ نقول: (أل) هذه للعهد الحضوري.
وكل (أل) بعد اسم الإشارة فهي للعهد الحضوري، صحيح .. ما وجهه؟ لأن اسم الإشارة .. تشير إلى شيء حاضر، من أين أخذنا الشيء الحاضر هذا؟ من وضع اسم الإشارة؛ لأننا نقول: في حد اسم الإشارة: ما وضع لمسمى وإشارة إليه، إشارة إليه هذا داخل في مفهوم اسم الإشارة، ما نقول: زيد مفهومه ذات مشاهدة في الخارج، مفهوم زيد، زيد اسم، ما مسماه؟ الذات المشاهدة في الخارج المدركة بالحس، فاسم الإشارة هذا نقول: مسماه هو إشارة إليه.." (١)

"الرضى في وصفه ايام ذي سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا عن ركبوا خلت الأرض فلكا بجمل نجوما وإن وهبوا رأيت الغمام سجوما وإن أقدموا أحجم عنترة العبسي وإن فخروا أقصر عرابة الأوسي ثم انحرفت الأيام فالوت بإشراقه وأذوت يانع ايراقه فلم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه إلى الفلك فأصبح خايضا تحدوه الرياح وناهضا يزجيه

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٧/١٥

البكا والنياح، وقد ضجت عليه أياديه، وارتجت لاجوانب ناديه، وأضحت منازله قد بان عنها الأنس والحبور، وألوت بهجتها الصبا والدبور، فبكت العيون عليه دما، وعاد موجود الحيوة عدما، وصار أحرار الدهر فيه خدما، فسحقا لدنيا ما رعت حقوقه، ولا أبقت شروقه، فكم أحياها لبنيها، وأبداها رائقة لمجتليها، وهي الأيام لا تقي من تجنيها، ولا تبقي على مواليها، أدثرت آثار جلق، وأخمدت نار المحلق، وذللت عزة عاد بن شداد، وهدت القصر ذا الشرفات من سنداد، ونعت ببوس النعمان، وأكمنت غدرها له في طلب الأمان، وقد أثبت من نظمه العذب الجنى، الرائق السنا، الفائق اللفظ والمعنى، ما يمتزج بالنفوس والقلوب، ويتارج به مسرى الصبا والجنوب، وذكرت أثناءه من مآثره المخترعة ومفاخره، ومشاهده المستبدعة ومحاضره، ما يهون الدنيا وزخرفها، ويلين تقلبها وتصرفها، أخبرني ذو الوزارتين أبو بكر بن القصيرة أنه كان بغرفة القصر المكرم مقيما لرسوم المعتمد وحدوده، منشأ لمخاطباته وعهوده، في اليوم الذي خرج فيه ابن عمار إلى شلب معه مفتقدا لأعمالها، مسددا أغراض عمالها، إذ طلع إليه الوزير الأجل أبو بكر بن زيدون منشرح المحيا، متضح العليا، يتهلل بشرا، ويتخيل أنه المسك نشرا، وقال لما خرج ابن عمار إلى شلب ثار للمتعمد هيامه القديم وكلفه، وتجدد له معلقه بها ومالفه، فإنه عمرها في ظل صباه، وفرع بها هضاب السرور ورباه، وبرد عمر ةشيب، وشبابه غض لم يرعه مشيب، ايام ولاه المعتضد بالله أمرها، وأدارت عليه الغرارة خمرها، فقال مرتجلا، وابن عمار بالانحفاز له: "طويل"

ألا حي أوطاني بشلب أبا بكر ... وسلهن هل عهد الوصال كما أدري

وسلم على قصر الشراجيب عن فتى ... له أبدا شوق إلى ذلك القصر." (١)

"وأقام أزمنة وليس بجوهر ... وجرى وليس بمايع مجرى الدم

يا أيها القمر الذي إنسان ... يرمي أناسا للعيون بأسهم

لم أبد حبك غيران جوانحي ... فاضت به فيض الإناء المفعم

لا ذنب لي علم الذي أسررته ... نظرا ولم أرمز ولم أتكلم

وأمرت بالشكوى إليك وإنما ... ينمى إلى الإنسان ما لم يعلم

ولربما لم تشكني فأماتني ... ياسي فذرني تحت أمر مبهم

وتلافني قبل التلاف فإنني ... من حمير وسيأخذونك في دمي

---

(١) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/٥

الطاعنين بكل أسمر مدعس ... والضار بين بكل أبيض مخدم

والواردين الصادرين إذا الوغى ... لفحت بجمرتها وجوه الحوم

ولعلهم تسمو بهم هماتهم=إن يدركوا في الظبي ثار الضيغم وزارة نفر من إخوانه فقال فيهم **مرتجلا**: [بسيط]

أهلا وسهلا وكم من سادة نجب ... كالدبل السمرا وكالأنجم الشهب

أجملتم وتفضلتم بزورتكم ... وليس ينكر فضل من ذوي حسب

أضاء منزلنا من نور أوجهكم ... وطاب من عيشنا ما كان لم يطلب

انتهى القسم الثالث من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان والحمد لله حق حمده

والصلوة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده

القسم الرابع من قلائد العقيان، ومحاسن الأعيان، في بدائع نبهاء الأدباء

وروائع فحول الشعراء

الفقيه الأديب أبو إسحق بن خفاجه

مالك أعنه المحاسن وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها=الناظم لعقودها، الراقم لبروها، المجيد لإرهافها، العالم بجلائها وزفافها، تصرف في فنون الإبداع كيف شاء، وأبلغ دلوة من الإجادة الرشاء، فشعشع القول ورقمه، ومد في ميدان الإعجاز طلقه، فجاء نظامه أرق من النسيم العليل، وأنفق من الروض البليل، يكاد يمتزج بالروح، وترتاح الله النفس مكالغصن المروح، إن شبب فغمزان الجفون الوطف، أو اشارت البنان التي تكاد تعقد من اللطف، وإن وصف سراه والليل بهيم ما فيه وضوح، وخد الثريا بالندى منضوح، فناهيك من غرض انفرد بمضماره، وتجرة لحمي ذمارة، وإن مدح فلا الأعشى." (١)

"قاسمني طرفك الصنا أفلا ... قاسم عيني ذلك الوسنا

أني وأن كنت هضبة جلدا ... اعتز للحسن لوعة غصنا

قسوت باسا ولنت مكرمة ... لم التزم حالة ولا سننا

لست أحب الجمود في رجل ... تحسبه من جموده وثنا

---

(١) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/٢٣٠

لم يكحل السهد جفنه كلفا ... ولا طوى جسمه الغرام ضنا

ممن عصى داعي الهوى فقسا ... وكان صلدا من الصفا خشنا

فلي فؤاد أرق من ظبة ... يابي الدنايا ويعشق الحسنا

طورا منيب وتارة غزل ... يبكي الخطايا ويندب الدمنا

إذا اعترت خشية شكا فبكى ... أو أنتحت راحة دنا فجنا

كأنني غصن بأنه خضل ... تثنية ريح الصبا هنا وهنا

الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي رحمه الله تعالى

أحد الفحول، البريء من المطروق والمنحول، تفتحت كمآئم رويته عن زهر المعاني، وأبدت قصايده غرض المداري لها المعاني، فما يبين في معناه انحلال معاقد، ولا تلين قناته لغمز ناقد، مع أدب منساب، تفرع من دوحتي روية واكتساب وكان بينه وبن ابن عمار ذمام تذكره لما أسهل، وأعاد معلما ذلك المجهل، فأعلقه بدولته، وألحقه بجملته، ونفقه بعد الكساد، وطوقه من استخلاصه ما أغاظ به الحساد، وكان يعتقد تقدمه، ويعقد بنواصي الشعراء قدمه، إلا أنه مع تمييزه له بالأخطاء، وتجويره إياه عند الاقتضاء، لم يوصله عندالمعتمد إلى حظ، ولم ينله إلاكرة لحظ، فمن بديعه الحسن ومطبوعه المستحسن، أنه ركب بأشبيلية زورقا في النهر الذي لا تدانيه السرات، ولا يضاهيه الفرات، في ليلة تنقبت بظلمتها، ولم يبد وضح في دهمتها، وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما في اللجة، وزاد في تلك البهجة، فقال **مرتجلا** في الحين، [منسرح]

كأنما الشمعتان إذ سمتا ... جيد غلام محسن الغيد

وفي حشا النهر من شعاعهما ... طريق نار الهوى إلى كبدي

وكان معه غلام البكري معاطيا للراح، وجاريا في ميدان ذلك المراح، فلما جاء عبد الجليل بما جاء، وحلى للإبداع الجوانب والأرجاء، حسده على ذلك الارتجال،." (١)

"وله: [رمل مجزوء]

---

(١) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/٢٤١

كيف لا يزداد قلبي ... من جوى الشوق خبالا

وإذا قلت علي ... بهر الناس جمالا

هو كالغصن وكالبدو ... ر قواما واعتدالا

أشرق البدر سرورا ... وانثنى الغصن اختيالا

إن من رام سلوي ... عنه قد رامة محالا

لست أسلو عن هواه ... كان رشدا أو ضلالا

قل لمن قصر فيه ... عذل نفسي أو أطلالا

دون أن تدرك هذا ... يسلب الأفق الهلالا

وكنت بميورقه فدخلها متسما بالعبادة، وهو أسرى إلى الفجور من خيال أبي عبادة، قد لبس أسمالا، وأنس الناس منه أقوالا لا أعمالا، وسجوده هجود، وإقراره بالله جحود، وكانت له بسواحلها رابطة كان بلوازمها مرتبطا، ولسكناها مغتبطا، سماها بالعقيق وسمى إلا جواه، ولا يشوقه إلا هواه، فدخلت عليه يوما لا زوره، وأرى زوره، فإذا أنا بأحد دعاة محبوبه، ورواة تشبيبه، فقال له كنت البارحة مع فلان بحماه، وذكر له خبرا ورى عنه وعماه، فقال مرتجلا: [وافر]

تنفس بالحمى مطلول روض ... فأودع نشره ريحا شمالا

فصبحت العقيق إلي كسلى ... تجر فيه أردانا خضالا

أقول وقد شممت الترب مسكا ... بنفحتها يمينا أو شمالا

نسيم بات يجلب منك طيبا ... ويشكو من محبتك اعتلالا

ينم إلي من زهرات روض ... حشوت جوانحي منه ذبالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر، وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر، أخرجه ونفاه، وطمس رسم فسوقه وعفاه، فأقلع إلى الشرق وهو جار، فلما صار من ميورقة على ثلثة مجار، نشأت له ريح صرفته عن وجهته، وردته إلى فقد مهجته، فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة أباحته، وإبراء الدين منه وأراحته، ثم أثر صفحة، أخمد لهيب ذلك الحنق ولفحه، وأقام ايام ينتظر ريحا تزجيه، ويستهديها لتخلصه وتنجيه، وفي أثناء تلويه لم يتجاسر أحد من إخوانه على أتيانه، وجعلوا أثره كعيانه، فقال يخاطبهم: وافر." (١)

---

(١) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/٢٩٦

"وكان بشار كثير المدح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بشار بالرجعة، ويكفر جميع الأمة. وكان قد قال في تفضيله على خالد بن صفوان «١» وشبيب ابن شيبة «٢» ، والفضل بن عيسى، يوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق:

أبا حذيفة قد أوتيت معجبة ... في خطبة بدهت من غير تقدير

وإن قولا يروق الخالدين معا ... لمسكت مخرس عن كل تحبير

لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الراء، كانت مع ذلك أطول من خطبهم. وقال بشار:

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا ... وحبروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلي بداهته ... كمرجل القين لما حف باللهب

وجانب الراء لم يشعر بها أحد ... قبل التصفح والإغراق في الطلب

وقال في كلمة له يعني تلك الخطبة:

فهذا بديه لا كتحبير قائل ... إذا ما أراد القول زوره شهرا

فلما انقلب عليهم بشار ومقاتله لهم بادية، هجوه ونفوه، فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عبيد. وقال صفوان الأنصاري:

متى كان غزال له ابن حوشب ... غلام كعمرو أو كعيسى بن حاضر «٣»

أما كان عثمان الطويل ابن خالد ... أو القرم حفص نهية للمخاطر «٤»

له خلف شعب الصين في كل ثغرة ... إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر." (١)

"وكان ببغداد. وغنى ما وجدت له في كتابه ما غناه مفردا وشارك فيه ثلاثة وتسعين صوتا وكان مرتجلا وهو دون الغناء.

فكان الذي جمع ديوانه ثمانية وثلاثين مغني ومغنية من الطبقة الأولى والثانية غناهم ثمان مائة وخمسة وعشرين صوتا لم ينسبها إلى أجناسهم لأنهم لم يكونوا يعرفون هذه الأجناس التي لقيها إبراهيم الموصلي على أنه قد ترك من القدماء من لم يذكره.

أول صوت ليونس في كتابه:

يا دار ماوي بذي الحبائل ... فالشط من دمدن فالقائل

صم سداها وعفا رسمها ... واستعجمت عن منطق السائل

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١/٤٤

قد قررت العينان من وائل ... أمس ومن زيد ومن كامل

حلت لي الخمر وكنت امرأ ... عن شربها شغل شاغل

لامرئ القيس بن حجر خفيف ثقيل الأول ويونس صاحب الأصوات الزيانب في زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي والأشعار فيها لابن دهميه المزني وهي:

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب ... وكيف تصابي المرء والر أس أشيب

ثقيل الثاني وله:

زينب ردي وصالي ... وأسمعي مني مقالي

وله:

إنما زينب هي ... بأبي تلك وأمي

فلما قال بأبي تلك وأمي غضبت فاحتجبت عن بن دهيمه وعن يونس. وله:

قولا لزينب لو رأيت ... تشوقي لك وإشتياقي

خفيف الرمل وله:

وجد الفؤاد بزينب ... وجدا شديدا متعبا

يازينب الحسناء يا زينب ... يا أكرم الناس إذا نسيت

ثقيل الأول

إنما زينب المنى ... وهي الهم والهوى

قل للذي يلحا على زينب المنى تعلقه مما ضمنت عشير وفيها يقول اللاحقي:

يوم تبدي لنا قتيلة عن جي ... د أثيل تزينه الأطواق

وشنيب كالأقحوان جلاه الطل فيه عذوبة واتساق

لأعشى قيس ثقيل الاول

الأبجر

غلام ابن سريج واسمه عبيد بن القسر أبو ظبية ولقبه الحسحاس مكي مرصع مولى لبني ليث وكان يتيما لعطاء بن أبي رياح ولم يكن بمكة أحد أطر ولا أحسن هيئة من الأبجر. كانت حلته بماية دينار وفرسه بماية دينار. وكان أحسن الناس خلقا وكان يقف بين المازمين ويرفع صوته ويغني. فيقف الناس حتى يدق بعضهم بعضا.

وخرج ليلة سبع من ذي الحجة فجلس على قريب من النعيم ومر به عسكر الوليد بن يزيد وفيه قباب وخيل تجنب وفيها فرس مجنب فاندفع فغنى:

عرفت ديار الحي خالية قفرا ... كان بها لما توهمتها سطرا

الطويل خفيف الرمل فصاح به صائح ويحلك أعد الصوت. قال: لا والله إلا بالفرس المجنب وأربع مائة دينار.

فاستوصف منزله وبعث إليه من غد بذلك مع تخت بثياب وشي وغيره ثم صار إليه.

ومات بمصر. وجدت له خمسة وثلاثين صوتا. وفي كتاب يونس ما غناه مفردا وشارك فيه أحد عشر صوتا. منها:

سألني الناس أين يغمد بهذا ... قلت يأتي في الدار قرما سريا

ما قطعت البلاد أسمو ولا أمم ... ت إلا إليك يا زكريا

لموسى بن إبراهيم بن طلحة خفيف ثقيل الأول

مدار

مخنث مكي. مولى لبني مخزوم. وجدت له في كتاب إبراهيم خمسة عشر صوتا وفي كتاب يونس ما غناه مفردا وشارك فيه عشرة أصوات منها:

راتني خضيب الرأس شمرت ميزري ... وقد عهدتني أسود الرأس مسبلا

أماطت كساء الخز عن حر وجهها ... وأدنت على الخدين بردا مهلهلا

حطوطا إلى اللذات أجررت ميزري كإجرارك الحبل الجواد المجللا

للعرجي العثماني ثقيل الثاني

ابن صاحب الوضوء

واسمه محمد أبو عبد الله مدني مولى أبي بكر وكان أضرب الناس من أهل زمانه.

وجدت له في كتاب إبراهيم وكتاب يونس صوتين أحدهما:

خطاطيف حجن في حبال متينة ... تمد بها أيد إليك نوازع

فإن كنت لا ذا الضغن عني مكذبا ... فلا حلفي يوما على البر نافع

للنابغة الذبياني خفيف ثقيل الثاني

سنان الكاتب

مدني. وجدت له في كتاب يونس ما غناه مفردا وشارك فيه ثمانية عشر صوتا. وكان قدم المدينة تاجر يبيع الخمر فباعها خلا السود منها. وكان صديقا للدارمي الشاعر.

وكان الدارمي قد تاب من الشعر والغناء. فقال له: فإني سأحتال لك. فقال شعرا وسأل سنان أن يغني فيه ففعل وهو:." (١)

"وكان موالي أبي سفيان، وموالي كل هاشمي بالعراق ضووا إلى عبد الله بن الحرث، لمكانه من الهاشمية والسفيانية، لأن أمه هند بنت أبي سفيان، ومها صفية بنت عمرو بن أمية، فكان آل هرمز قد أعطوا بالبصرة شرفا ومالا، وكانوا يعدون في موالي عبد الله بن الحارث، فخطبها ابن عم لها، وخطبها معروف بن سويد مولى سليمان بن علي، فادعى كل واحد منهما أنها زوجته نفسها، واختصما إلى عباد بن منصور، وكان محمودا في القضاء، وكان ابنه سلمة بن عباد يغني وكان حسن الغناء، **مرتجلا** من غير أن يكتسب بالغناء، أو ينسب إليه.

وكان اتخذ غلاما أسود يسمى مسجحا، فعلمه الغناء، فقلب أشعار فارس وصيرها في أشعار العرب، فكان يقال: له مسجح الصغير، لأن سعيد بن مسجح القديم كان مغنيا، فاختصما إلى عباد يوجه القضاء لابن عمها على معروف بن سويد، وكان القضاء إلى محمد بن سليمان، وكان هو الذي ولى عبادا، فأرسل إليه محمد بن سليمان: إن كنت عازما على أن تقضي على معروف، فاعتزل القضاء. فاعتزل، فمكث أياما ثم أرسل إليه إن أعدتك على القضاء أقاض أنت لمعروف ؟ قال: نعم، فرده على القضاء، فاختصما إليه، قال: محمد بن سليمان الهاشمي: فلم يبق أحد من أشراف أهل البصرة إلا حضر مجلس عباد ذلك اليوم، لشرف حمادة، وكانت من أجمل النساء، فلما تنازعا فيها قال: لها عباد: ما تقولين ؟ وهي كاشفة وجهها لتعرف، فخاطبته فيما تقول يا عبد الله، فضحك الناس بها حتى أخجلوها، فحكم بها عباد لابن عمها، فأبطل دعوى معروف، فغضب من ذلك محمد بن سليمان وكره أن يعزله علانية فقال: ابنه سهل بن عباد:

ألا يأيها القاضي ال ... ذي الجور له عادة

أعدناك لكي تقضي ... لمعروف بحمادة

فبلغ ذلك أباه فقال:

بدر داود شهر وبسر جيناكر.." (٢)

---

(١) المختار من كتاب اللهو والملاهي ابن خرداذبه ص/٩

(٢) أخبار القضاة وكيع الضبي ٢/٤٥

"النبي صلى الله عليه وسلم والشريد وأردف النبي صلى الله عليه وسلم الشريد، فاستنشده من شعر امية، فأنشده مائة قافية، وهو يقول: هيه! استحسانا لها.

فلما أعياهم القدح في الشعر والقول فيه، قالوا: الشعر حسن ولا نرى ان يؤخذ بلحن حسن؛ وأجازوا ذلك في القرآن وفي الاذان؛ فإن كانت الالحان مكروهة فالقرآن والاذان أحق بالتنزيه عنها، وإن كانت غير مكروهة، فالشعر احوج إليها لإقامة الوزن واخراجه على حد الخبر؛ وما الفرق بين أن ينشد الرجل:

أتعرف رسما كاطراد المذانب

مرسلا، أو يرفع بها صوته **مرتجلا**.

وإنما جعلت العرب الشعر موزونا لمد الصوت فيه والدندنة؛ ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور.

النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا في اباحة الغناء واستحسانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: اهديتم الفتاة إلى بعلها؟ قالت: نعم. قال: فبعثتم معها من يغني؟ قالت: لا. قال: أو ما علمت ان الانصار قوم يعجبهم الغزل، ألا بعثتم معها من يقول؟

أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم

ولولا الحبة السمرا ... ءلم نحلل بواديكم

واحتجوا بحديث عبد الله بن أنس ابن عم مالك، وكان من أفضل رجال الزهري، قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل فارع «١» وهي تغني:." (١)

"وعمرة بن سروات النسا ... ء تنفح بالمسك أردانها

هو وابن شريج والدلال ونومة الضحى

: وكان مع طويس بالمدينة، ابن سريج، والدلال، ونومة الضحى؛ ومنه تعلموا، ثم نجم بعد هؤلاء: سلم الخاسر، وكان في صحبة عبد الله بن عبد الله بن جعفر، وعنه أخذ معبد الغناء، ثم كان ابن أبي السمح الطائي، وكان يتيما في حجر عبد الله بن جعفر، وأخذ الغناء عن معبد، وكان لا يضرب بعود، وإنما يغني **مرتجلا**، فإذا غنى لمعبد صوتا حققه، ويقول: قال الشاعر فلان، مططه معبد، وخففته أنا. ومن غنائه.

نام صحبي ولم أنم ... لخيال بنا ألم

إن في القصر غادة ... كحلت مقلتي بدم

معبد والغريض

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٨/٧

: وكان معبد والغريض بمكة، ولمعبد أكثر الصناعة الثقيلة.

ولما قدمت سكينة ابنة الحسين عليهما السلام مكة أتاها الغريض ومعبد فغنياها:

عوجي علينا ربه الهودج ... إنك إلا تفعلي تحرجي «١»

قالت: والله ما لكما مثل إلا الجدي الحار والبارد، لا ندري أيهما أطيب.

الغريض وختان

: قال إسحاق بن إبراهيم: شهد الغريض ختانا لبعض أهله، فقال له بعض القوم:

غن. فقال: هو ابن الزانية إن غنى! قال له مولاه: فأنت والله ابن الزانية، فغن.

قال: أكذلك أنا عندك؟ قال: نعم. قال: أنت أعلم. فغن:

وما أنس م الأشياء لا أنس شادنا ... بمكة مكحولا أسيلا مدامعه." (١)

"١- وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس، فأتى به في أحسن لفظ فقال: "وخير ما رمت فاسأل".

ومن هذا، أخذ عمرو بن معدي كرب قوله وافر:

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع٣٤

٢٨٣ وأشرد مثل٣٥ قيل في وضع الشيء في موضعه، وإقراره في مقره، قول الأعشى منسرح:

والشعر قلدته سلامة ذا فا ... ئش، والشيء حيث ما جعلا

والشعر يستنزل الكريم كما ... استنزل رعد السحابة السبلا

٢٨٤ أخبرهم أبو علي عن أبي عبد الله الحكيمي عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال: لما أنشد الأعشى سلامة ذا فائش، **مرتجلا** قصيدته التي أولها نسرح:

إن محلا وإن مرتحلا ... وإن في السفر إذ مضوا مهلا

استأثر الله بالوفاء وبال ... عدل، وولى الملامة الرجلا

والشعر قلدته سلامة ذا فا ... ئش، والشيء حيثما جعلا

والشعر يستنزل الكريم كما ... استنزل رعد السحابة السبلا٣٦

فقال سلامة ذو فائش: "لعمري إن الشيء حيث ما جعل". وأمر له بإهاب مملوء عنبرا، فأتى به المدينة،

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٢/٧

فباعه بثلاث مائة ناقة حمر الحدق.

٢٨٥ وأشرد مثل٣٧ قيل في شماتة الشامت بنوب الدهر قول عدي ابن زيد خفيف:

أيها الشامت المعير بالد ... هر، أأنت المفرد الموفور!؟
من رأيت المنون خلدن أم من ... ذا عليه من أن يضام خفير٣٨
١- وينظر إلى هذا المعنى قول الأعشى -إلا أنه فخر بالمنية فأحسن- فقال طويل:
فما ميتة إن متها عاجز ... بعار إذا ما غالت النفس غولها٣٩
٢٨٦ وأشرد مثل قيل في نصراف النفس عن الشيء نزاهة قول حسان بن ثابت طويل:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء مرة ... فلست إليه آخر الدهر مقبلا٤٠
١- وقال آخر طويل:
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تعد ... إليه بوجه آخر الدهر تقبل٤١
٢٨٧ وأشرد مثل قيل في انقياد الحق إلى قائده، وإبطال الباطل عن رائده قول قيس بن الخطيم طويل:

متى ما تقد بالباطل الحق يأبه ... وإن قدت بالحق الرواسي تنقد٤٢
٢٨٨ وأشرد مثل قيل في ميل٤٣ الجانب للصديق، وخشونته للعدو، قوله أيضا طويل:

أعز على الباغي ويغلظ جانبي ... وذو الود أحلولي له وألين٤٤
٢٨٩ واشرد مثل قيل فياصطلاء الحرب كرها قوله طويل:

إذا لم يكن عن غاية الحرب مدفع ... فأهلا بها إذ لم تزل في المراحب٤٥
١٩٠ وأشرد مثل قيل في اليأس من أوبه الغائب قول بشر بن أبي خازم وافر:

تسائل عن أبيها كل ركب ... ولم تعلم بأن السهم صابا
فرجي الخبر وانتظري إيابي ... إذا ما القارظ العنزي آبا٤٦
٢٩١ وأشرد مثل قيل في بيع ما يضن به عند الحاجة إليه قول الأول طويل:

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من رب بهن ضنين٤٧

٢٩٢ وأشرد مثل قيل في التربص قول قواص بن عتبة الأودي -وخطب بنت عم له كان يهواها، فلم يزوجها، وزوجت من غيره- طويل:

تربص بها ريب المنون لعلها ... تطلق يوما أو يموت حميمها٤٨

يعني ابن عمها الشخص٤٩ الذي زوجها.

٢٩٣ وأشرد مثل قيل في استمد،د الأعوان قول الآخر كامل:

تقد المواقد ما حششت بها ... فإذا حششت بواحد لم يثقب

٢٩٤ وأشرد مثل قيل في الفتك قول جرير طويل:

فلا تقربن أمر الصريمة بامرئ ... إذا رام أمرا عوقته عواذله

فما التفك ما آمرت فيه ولا الذي ... تخبر من لا قيت أنك فاعله٥٠

٢٩٥ وأشرد مثل قيل في قساوة القلب قول مهلهل بن ربيعة التغلبي بسيط: وقيل هو للمخبل٥١:

يبكي علينا ولا نبكي على أحد ... لنحن أغلظ أكبادا من الإبل٥٢

٢٩٦ وأشرد مثل قيل في طلب التوفيق من الله تعالى ذكره، قول عيد بن زيد طويل:

أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى ... وأبعده منه إذا لم يسدد٥٣

٢٩٧ وأشرد مثل قيل في ظلم الأقربين قوله طويل:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند٥٤

٢٩٨ وأشرد مثل قيل في الحض على الإعراض عن هجر القول قول أوس بن حجر طويل:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا ... أصبت حليما أو أصابك جاهل٥٥

٦٩٥٩٢ وأشرد مثل قيل في البغي قول المتلمس طويل:." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

تفسير أسماء شعراء الحماسة

وينبغي أن تعلم أن في ذلك علما كثيرا وتدربا نافعا وستراه بإذن الله. يجب أن يقدم أمام ذلك ذكر أحوال هذه الأسماء الإعلام وكيف طريقها وعلى كم وجها تجدها وإلى كم ضربا قسمتها.

فأصل انقسامها ضربان أحدهما ما كان منقولا والآخر ما كان **مرتجلا** من غير نقل.

الأول من هذين الضربين وهو ما كان منقولا ثلاثة أنواع اسم نكرة فعل صوت.." (٢)

"وماء جسمها الا تراها منسوبة إلى الماء ولذلك سموها عندي المذية فكأنها فعيلة من مذى يمذي لما هناك من جريان الماء ورقته وألزموها في الاضافة بدل الواو كما فعلوا ذلك في الشاوي قال:

ماوي بل ربتما غارة ... شعواء كاللذعة بالميسم

وقال آخر لا ينفع الشاوي فيها شاته.

قبيصة بن النصراني الجرمي

يجوز ان يكون قبيصة اسما **مرتجلا** للعلم ويجوز ان يكون فعيلا في." (٣)

"قد كنت داينت بها حسانا ... مخافة الافلاس والليانا

معدان بن عبيد

هو اسم علم مرتجل وهو فعلان من لفظ م ع د.

يزيد بن قنافة

القنف صغر الاذنين وغلظهما رجل أقنف وامرأة قنفاء قيل وبه سمي الرجل قنافة ورجل قناف إذا كان ضخم

---

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/٣٩

(٢) المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ابن جني ص/٤٥

(٣) المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ابن جني ص/١٤٤

الأنف ويقال هو الطويل الجسم فقد يجوز أن تكون الهاء في قنافة قد لحقت للمبالغة ويجوز أيضا أن يكون لحاقها ضربا من ضروب تغيير الأعلام كما إن الهاء في رواحة قد يجوز أن تكون كذلك وقد يجوز أن يكون قنافة علما **مرتجلا** من غير طريق الصنعة التي ذكرنا.." (١)

"يحيى عن محمد بن عمرو الدومى قال: كان الرشيد ربما خطب **مرتجلا** من غير ان يعد كلاما، فصعد يوما المنبر، وقد شغب الجند، ثم سكنوا بعد ايقاع بهم، فقال: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد والملائكة المقربين، وعلى الانبياء أجمعين، أما بعد: فقد كان لكم ذنب، ولنا عتب، وكان منكم إجرام، ومنا انتقام وعندى بعد هذا لكم التنفيس عن المكروبين، والتفريج عن المغمومين، والاحسان الى المحسنين، والتعمد لاساءة المسيئين، الا يكفر لكم بلاء، «١» ولا يحبس عنكم عطاء، وعلى بعد ذلك الوفاء ان شاء الله.

وأما الشعر فطبقته فيه عالية، أنشدنا أبو احمد عن الصولى للرشيد.

واذا نظرت الى محاسنها ... فبكل موضع نظرة نبل

وتنال منك بحد مقلتها ... مالا ينال بحده النصل «٢»

شغلتك وهى لكل ذى بصر ... لاقى محاسن وجهها شغل

فلقلبها حلم يباعدها ... عن ذى الهوى ولطرفها جهل

ولوجهها من وجهها قمر ... ولعينها من عينها كحل

وقل ما تسمع شعرا يشبه هذا الشعر.

أول من دعى الى بيعته على المنبر محمد الامين

أخبرنا أبو احمد عن الصولى عن احمد بن يحيى قال: كانت العرب تسمى مواضع أرصاد السلطان مسالح من السلاح فكره المأمون هذا الاسم فسماها مصالح من المصلحة ثم أنشد:

تذكرتها وهنا وقد حال دونها ... قرى أذربيجان المسالح والخالى." (٢)

"قال، وقال بعضهم: يجتمع في الفرش الطبري فضيلتان في الصيف: برد جسمه، ومجانسة لونه لون الحبة الخضراء، فالنفس تسكن إليه من جهتين.

قال، وقال الصوفي: في النبيذ الدوشاب في الشمس بستندود.

---

(١) المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ابن جني ص/٢١٠

(٢) الأوائل للعسكري العسكري، أبو هلال ص/٢٦٦

قال، وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي لسعيد بن وهب: انزل حتى أطعمك طعاما صرفا، وأسقيك نبيذا صرفا، وأغنيك غناء صرفا، فأطعمه الكباب، وسقاه نبيذا صرفا بغير مزاج، وغناه **مرتجلا**.

وقال بعضهم: باب السلامة الاقتصاد.

وقال بعض الموسومين بالبخل: فرحة السكر قلة الاحتشام، وفرحة الخمار قلة الإنفاق.

وقال آخر: من كثرت نفقته كثر ندمه، ومن كثر ندمه قلت دعواته.

قال، وقال الصوفي: من جلس على المائدة فأكثر كلامه غش بطنه.

قال علي بن محمد بن نصر: الخفيف

اطرد الهم بالمدامة واعلم ... أن في الراح راحة للنفوس." (١)

"كأنها أنجم يجري بها فلك ... للراح لا أسد فيها ولا حمل - ١٧٤ -

وقال محمد بن عبد العزيز

ومفدم (١) أرج النقاب كأنما ... أوفى عليه من العبير نقاب

فافتر عن شمس النهار وقد طوى ... شمس النهار من الظلام حجاب - ١٧٥ -

وقال يحيى بن هذيل

عقيقة في مهاة في يدي ساقي ... أضوا من البدر إشراقا بإشراق (٢)

إذا تطاطا له الإبريق تحسبه ... مصليا خر إعظاما لخلاق

قد نفخت فيه روحا فهو مرتحل ... من الندامى إذا ما أمسك الساقي - ١٧٦ -

وقال علي بن أبي الحسين

بأبي من زارني مكتتما ... مخفي الحسن وما كان وعد

فتناولت نجوما من مها ... حشوها الشمس من النور تقد

لم أزل أطلعها في راحتي ... وهي فيه غرب حتى سجد

فتغنيت له **مرتجلا** ... أنجزت عينا بخيل ما وعد

فتثنى وتراخى مائلا ... كقضيب في كثيب ملتبد

ثم أومى والثريا يده ... وسهيل في سناها يتقد

كلما حيا بكأس قلت: زد ... فإذا عاودني قلت: أعد

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٧٧/٦

(١) ص: ومقدم أزج.

(٢) المهاة: كاس البلور.." (١)

"كم من أخ مسخوطة أخلاقه ... أصفيته الود بخلق مرتضى

إذا بلوت السيف محمودا فلا ... تذممه يوما أن تراه قد نبا

والطرف يجتاز المدى وربما ... عن لمعداه عثار فكبا

من لك بالمهذب الندب الذي ... لا يجد العيب إليه مختطى

إذا تصفحت أمور الناس لم ... تلف امرءا حاز الكمال فاكتفى

إن نجوم المجد أمست أفلا ... وظله القالص أضحى قد أزى

إلا بقايا من أناس بهم ... إلى سبيل المكرمات يقتدى

إذا الأحاديث انتضت أنباءهم ... كانت كنشر الروض غاداه السدى

ما أنعم العيشة لو أن الفتى ... يقبل منه الموت أسناء الرشا

أو لو تحلى بالشباب دهره ... لم يستلبه الشيب هاتيك الحلى

هيهات مهما يستمر مسترجع ... وفي خطوب الدهر للناس أسى

وفتية ساراهم طيف الكرى ... فسامروا النوم وهم غيد الطلى

والليل ملق بالموامي بركه ... والعيس ينبثن أفاحيص القطا

بحيث لا يهدي لسمع نبأة ... إلا نئيم البوم أو صوت الصدى

شايعتهم على السرى حتى إذا ... مالت أداة الرحل بالجبس الدوى

قلت لهم إن الهوينا غبها ... وهن فجدوا تحمدوا غب السرى

وموحش الأرجاء طام ماؤه ... مدعثر الأعضاد مهدوم الجبا

كأنما الريش على أرجائه ... زرق نصال أرهفت لتمتهى

وردته والذئب يعوي حوله ... مستك سم السمع من طول الطوى

ومنتج أم أبيه أمه ... لم يتخون جسمه مس الضوى

أفرشته بنت أخيه فانثنت ... عن ولد يورى به ويشتوى

(١) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس محمد بن الكتاني الطبيب ص/٩٩

ومرقب مخلولق أرجاؤه ... مستصعب الأقذاف وعر المرتقى

أوفيت والشمس تمج ريقها ... والظل من تحت الحذاء محتذى

وطارق يؤنسه الذئب إذا ... تضور الذئب عشاء وعوى

آوى إلى ناري وهي مألف ... يدعو العفاة ضوؤها إلى القرى

لله ما طيف خيال زائر ... تزفه للقلب أحلام الرؤى

يجوب أجواز الفلا محتقرا ... هول دجى الليل إذا الليل انبرى

سائله إن أفصح عن أنبائه ... أنى تسدى الليل أم أنى اهتدى

لو كان يدري قبلها ما فارس ... وما مواميها القفار والقرى

وسائل بمزعجي عن وطني ... ما ضاق بي جنابه ولا نبا

قلت القضاء مالك أمر الفتى ... من حيث لا يدري ومن حيث درى

لا تسألني واسأل المقدار هل ... يعصم منه وزر ومذرى

لا بد أن يلقى امرؤ ما خطه ... ذو العرش مما هو لاق ووحى

لا غرو أن لج زمان جائر ... فاعترق العظم الممخ وانتقى

فقد ترى القاحل مخضرا وقد ... تلقى أخا الإقتار يوما قد نمى

يا هؤليا هل نشدتن لنا ... ثاقبة البرقع عن عيني طلا

ما أنصفت أم الصبيين التي ... أصبت أخا الحلم ولما تصطبى

إستح بيضا بين أفوادك أن ... تقتادك البيض اقتياد المهتدى

هيهات ما أشنع هاتا زلة ... أطربا بعد المشيب والجلا

بل رب ليل جمعت قطريه لي ... بنت ثمانين عروسا تجتلى

لم يملك الماء عليها أمرها ... ولم يدنسها الضرام المختضى

كأن قرن الشمس في ذرورها ... بفعلها في الصحن والكأس اقتدى

نازعتها أروع لا تسطوا على ... نديمة شرته إذا انتشى

كأن نور الروض نظم لفظه ... **مرتجلا** أو منشدا أو إن شدا

من كل ما نال الفتى قد نلته ... والمرء يبقى بعده حسن الثنا

فإن أمت فقد تناهت لذتي ... وكل شيء بلغ الحد انتهى

وإن أعش صاحبت دهري عالما ... بما انطوى من صرفه وما انسرى." (١)

"قرع رجل باب بعضهم، فقال لجاريته: أبصري من القارع، فقالت: من ذا؟ قال: أنا صديق لمولاك، قال الرجل: قولي: والله إنك لصديق؟ فقلت له، فقال: والله إني لصديق، فنهض الرجل، وبيده سيف وكيس، يسوق جاريته وفتح الباب وقال: ما شأنك؟ قال: راعني أمر، قال: لا بك ما ساءك، فإني قد قسمت أمرك بين نائبة فهذا المال، وبين عدو فهذا السيف، أو أيمة فهذه الجارية. أولم عدي بن حاتم وليمة فقال لابن له حدث: كن بالباب فأذن لمن تعرف، وامنع من لا تعرف، فقال له **مرتجلا**: أنا في الطاعة أمضي ... لك من سيف حسام لا يكن أول ما ول ... ليتني منع الطعام فضمه إليه وقال: نزعك عرق جدك. مر يزيد بن المهلب بأعرابية في خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقرته عنزا فقبلها، ثم قال لابنه معاوية: ما معك من النفقة؟ قال: ثمان مائة دينار، قال: فادفعها إليها، فقال له ابنه: إنك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعد لا تعرفك. قال: إن كانت ترضى باليسير فإني لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فإني أعرف نفسي، ادفعها إليها. قال الأحنف: كثرت علي الديات بالبصرة لما قتل مسعود، فلم أجدها في حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين فسألت عن المقصود هناك، فأرشدت إلى قبة، فإذا شيخ جالس بفنائها مؤزر بشملة محتب بحبل فسلمت عليه، وانتسبت له. فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: توفي، قال: فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها؟ قلت: مات. قال: فأي خير في حاضرتكم بعدهما؟ قال: فذكرت الديات التي لزمتنا للأزد وربيعة، فقال: أقم، فإذا راع قد أراح عليه ألف بعير فقال: خذها، ثم أراح عليه آخر مثلها، فقال: خذها، قلت: لا أحتاج إليها، فانصرفت بالألف، ووالله ما أدري من هو إلى الساعة.." (٢)

"(فجاءت الحمى كعاداتها ... فلم تجد ما بيننا مسلكا) // من السريع //

وقوله يصف برادة على حامل نحاس

(أم الحياة على سرير نحاس ... عريانة أبدا بغير لباس)

(هي في الموات لدى الورى معدودة ... لكنها ضمنت حياة الناس) // من الكامل //

وقوله

---

(١) أمالي المرزوقي المرزوقي ص/٥٩

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٩٤/٧

(بعين الله أنت فإن عيني ... إذا ما غبت دامية الجفون)

(كأنك مهجتي فإذا تدانى ... فراقك حم لي ريب المنون) // من الوافر //

وقال يصف البنفسج والورد

(بنفسج جاء في حداد ... ووردنا في معصفرات)

(فاشرب على مأتم وعرس ... جلا جميعا عن الصفات) // من مخلع البسيط //

وسأله ابن رشدين المسير معه إلى القاش فقال **مرتجلا**

(يا آمري بالمسير في لجج النيل ... كأن سخرت لي الريح)

(ما جمد الماء لي فأركبه ... كلا ولا صامت التماسيح) // من المنسرح //

٣٤ – محمد بن الحسن اليمني

أنشدت له في صالح

(يا قاطعي بعد وصل ... تسوم ما لا أسومك)." (١)

"وقال

(عليك عند اعتراض الهم بالقدح ... فإنه أبدا قداحة الفرح) // من البسيط //

وقال

(عبس لما أن مسست نقله ... كأنني نزعت منه مقله) // من الرجز //

وقال له يوما أبو الفتح البستي يا شيخ ما تقول في الكرنب فقال **مرتجلا**

(أطعمه إن لم يكن كرى بي ...)

٩٨ – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

من أعاجيب الدنيا وذلك أنه من الفاراب إحدى بلاد الترك وهو إمام في علم لغة العرب وخطه يضرب به المثل في الحسن ويذكر في الخطوط المنسوبة لخط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي ثم هو من فرسان الكلام وممن آتاه الله قوة وبصيرة وحسن سريرة وسيرة وكان يؤثر السفر على الوطن والغربة على السكن والمسكن ويخترق البدو والحضر ويدخل ديار ربيعة ومضر في طلب الأدب وإتقان لغة العرب

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤٧٤/١

وحين قضى وطره من قطع الآفاق والاقتباس من علماء الشام والعراق عاود خراسان وتطرق الدامغان فأنزله أبو علي الحسن ابن علي وهو من أعيان الكتاب وأفراد الفضلاء عنده وبذل في إكرام مثواه وإحسان قراه جهده

وأخذ من أدبه وخطه حظه ثم سرحه بإحسان إلى نيسابور فلم يزل مقيما بها على التدريس والتأليف وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف والدفاتر اللطائف حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة وأخبار حميدة

وله كتاب الصحاح في اللغة وهو أحسن من الجمهرة وأوقع من تهذيب اللغة وأقرب متناولا من مجمل اللغة وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد." (١)

"المدية في الجدية وهو شاعر سريع الخاطر كثير النوادر في الجد والهزل وهو القائل

(رأيت الشعر للسادات عزا ... ومنقبة وصيتا وارتفاعا)

(وللشعراء هونا وانخفاضا ... ومجلبة لذل واتضاعا)

وذكر بعض الرؤساء فقال حضرته عوذة من الفقر وطلعته أمان من الزمان وشكى بعضهم فقال توقعت إيجابا فلم أر إلا حجابا وإعجابا وذكر آخر فقال ما هو إلا ثقل الدين على وجع العين وحدثني الدهقان أبو علي القومسي قال حضر عندي بالدامغان وقدم إلينا المشمش فقال في الوقت مرتجلا

(ومشمش سوء قد أكلنا غدية ... بمجلس حر وهو خير صديق)

(إذا ما منحناه العيون حسبته ... رؤس أيور ضمخت بخلوق)

فتنغصت باليوم والمشمش وفرضت على نفسي ترك تناوله وقال لي في كلام له لم أفدك بنفسي لأنها قيمة لك وزنة بك ولكنها طاقة المجتهد

١٣ - أبو القاسم علي بن محمد البهدلي الأيلي

ذكر صديقا له فقال إن أتيته حجب وإن قعدت عنه عتب وإن عاتبته غضب ولمؤلف الكتاب في هذا المعنى

(إن غبت عنك شكوتني ... وإذا وصلت هجرتني)

(وتظل لي مستبطئا ... وإذا حضرت حجبتني)." (٢)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤٦٨/٤

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٢٧/٥

"الشيخ أبو الفتح مسعود بن محمد بن الليث أيده الله أنه حي يرزق وأنشدني أبو بكر المرجى له

(اشرب أبا قاسم على الوادي ... وانبذ إلى الأنس حبل مقتاد)

(لا تخل من قهوة ومن رشاء ... وزامر مطرب وعواد)

(وثق بكافي الكفاة وارج ندى ... يديه من رائح ومن غاد)

(والله ما في الأنام محتشم ... سوى أبي القاسم بن عباد)

وأنشدني له في غلام بيده باشق

(واهيف كالقمر المجتلى ... يهيم به العاشق المبتلى)

(بدا وعلى يده باشق ... إذا طلبا قنصا حصلا)

(فذاك يصيد قلوب الرجال ... وهذا يصيد طيور الفلا)

وقد سرقه من أبي الفتح كشاجم حيث قال

(مر بنا في كفه باشق ... فيه وفي الباشق شيء عجيب)

(هذا يصيد الطير من حالق ... وذا بعينيه يصيد القلوب)

قال وكان يساير الصاحب يوما فرسم له وصف فرس كان تحته فقال مرتجلا

(طرف تحاول شأوه ريح الصبا ... سفها فتعجز أن تشق غباره)

(باري بشمس قميصه شمس الضحى ... صبغا ورض حجارة بحجاره)

ومن مراثيه في الصاحب قوله

(مضى نجل عباد المرتجى ... فمات جميع بني آدم)." (١)

"تفسير: الكشية: شحمة تستطيل في بطن الضب. والوبد: من قولهم عام وبد أي شديد العيش. ويهتبد: يلتقط الهبيد وهو حب الحنظل. والتسبيد: ابتداء نبات الريش. يقال سبد ريش الفرخ إذا بدأ ينبت. والعبد: الآنف من الشئ. والمتربد: الذي قد تغير لونه للشر.

رجع: مجدي ربك ودعي أبيك، ولدك من دمى عقبيك وحملته بين جنبيك؛ درس قبر بالشبيك، لا يرجع صاحبه إليك، فاتركي بكاءه في البكرات. غاية.

تفسير: أبيك: مثل أبويك. والولد: يقع على الواحد والجمع والشبيك: موضع.

رجع: أخذ ربنا بفضله، وفرح الوارث لجهله، نعيم كلب في بؤسى أهله، حبذا التراث لولا فرط ذله؛ من لك

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ١٣٩/٥

بأخيك كله، نسخ يومك بمثله، وكفاك السرح بظله، من بيتك فلا تعله، احتك فصيل بجذله، وقنع راع بإدله، فاستغن عن حرام النشب بحله، ولتكن بنات صدرك بالذكرى مشتكرات. غاية.

تفسير: نعيم كلب في بؤسى أهله: مثل، وهو أنه إذا هلكت ما شية الرجل نعم كلبه. و ذ ل التراث: أي لموت القرابة وهو مثل أيضا. والجذل: عود يجعل في مراح الإبل تحتك به الجربي. والأدل: اللبن الحامض. ومشتكرات: ممتلئات من اشتكرت الضرة (وهي أصل الضرع) باللبن إذا امتلأت.

رجع: عز خالق الآهل والجنب، أولع بدويا بطنب، ورب هجمة برطب، وأدار الفلك على قطب، ما أشبه أراكا بأراك لو ان بريرا في القضب، وواديا بواد لو سمعت قسيب الماء في الكثب، قمر ناتق كقمر مؤتمر خلا السحب؛ شهب عبدة نسر كهذه الشهب، بهجت الولدة بالسخب، فابتهج بتعبدك في الليالي المعتكرات. غاية.

تفسير: الرطب: كل نبت رطب. والبرير: ثمر الأراك. قسيب الماء: صوته. ناتق: اسم رمضان في الجاهلية. ومؤتمر: اسم المحرم في العربية الأولى. واسم صفر: ناجر، وشهر ربيع الأول: خوان، والثاني: وبصان، وجمادى الأولى: حنين. والآخرة: ربى، وقال قوم رنى (بالنون) ورجب: الأصم، ومنصل الأل، وشعبان: عاذل، ورمضان: ناتق وشوال: وعل، وذي القعدة: برك، وذي الحجة: رنة وأنشد:

يا آل زيد إحذروا هذي السنة ... من رنة حتى توافيها رنه

السخب: جمع سخاب وهو قلادة من قرنفل. والمعتكرات: المظلمات؛ وأصله من عكر إذا عطف، والمعنى أن الليل عطف بعضه على بعض.

رجع: طال الخالق وعلا، وقعت من البازل في سلى، ما أدركت في الهيجاء حملا، وحمى فأما الحمل فخلا؛ لقد عرف حميق جملا، أوردها سعد مشتملا، آبك لم تورد إبلا، صادف الحابل محتبلا، وجاهر من لم يلف مختتلا، فأصاب قاتل مقتلا، والله رب الملإ والملا، وسرح فلو بفلا، وذكرت الوحشية طلا، ونبحك الحاسد قبلا، لقد وجد يسار خلى، وأبو سلعامة رخلا، وربطة جفالا مغفلا، واشتاق الحادي رملا، فأنشأ به مرتجلا، إن سمعت أن الرقيع أمطر جندلا، وأنبت البقيع مندلا، فقل أما في المعقول فلا، وأما في القدرة فبلى، العادات بإذن الله متغيرات. غاية.

تفسير: تقول العرب: وقعوا في سلى جمل، إذا وقعوا في أمر منكر لا يهتدى له؛ لأن الجمل لا سلى له، إنما السلى للناقة. وحمل: هو ابن بدر وهو مثل، يقال: لبث قليلا يلحق الهيجا حمل. والوحمى: المشتهية على الحمل وهو مثل، تقول العرب: وحمى فأما حبل فلا حبل. وحميق: رجل يضرب به المثل، يقال:

عرف حميق جمله، وبعضهم يجعل الفعل للجمل، فيقول: عرف حميقا جمله. وزعم الأصمعي أن هذا المثل يضرب للرجل إذا عرف صاحبه فاجترأ عليه. وسعد: ابن زيد مناة بن تميم؛ ويقال: إن المثل لمالك أخي سعد هذا؛ وذلك أن مالكا كان ترعية وكان يكفي أخاه سعدا أمر الإبل، فأعرس مالك بامرأته واعتمد على أخيه سعد في سقى الأبل أيام عرسه، فنظر إليه وهو قاعد مع امرأته وقد أوردها مشتملا أي قد اشتمل بثوبه، فقال:

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا تورد يا سعد الإبل

آبك: كلمة تقال عند الزجر؛ وأنشد أبو زيد:

فآبك هلا والليالي بغرة ... تزور وفي الواشين عنك غفول." (١)

"رجع: أيتها النفس المجهشة مهلا، قرب مماتك فلا تقولى كلا، بليت وحسرتك لا تبلى، مبتدعك مقتدر على أن يجعل زحل كرابا يتبع خائرة عجلى، والمريخ ماهنا يطعم الإرة حطبا جزلا. والمشتري سائما يقول ما أرخص وأغلى، والشمس في قلادة كعاب تجلى، والزهرة زهرة تعلو بقلا، وعطاردا كاتب تاجر ينظر ما قال وأملى، والقمر بياضا يستبطن يدا أو رجلا، والشرطين رونى حمل يرتعى خلى، والبطين محتويا على كبد وكلى، والثريا منيرة في بعض الحنادس منزلا، وحادى النجم راعيا يتبع قلاصا عجلا، والهقعة دائرة في طرف عاطلا أو محجلا، والهنعة تركب عنقا مدللا، والذراع يطبخ فيسمى منتشلا، والطرف عينى أسد تزران إذا رأى سفرا مليلا، والنثرة والجة في أنف يقدم وجها مسهلا، والزبرة تعلو كتدا لليث يسكن دغلا، والجبهة خيلا كراما أوجبهة ضرغام لا يحذر محتلبا، يقتنص في غابه ظليما أو وعلا، والصرفة خرزة تغدو بها المرأة طالبة أم لا، والعواء ضروة تتبع فرقا مهملا، والسماك الأعزل راجلا يشتكى عزلا، والرامح فارسا يخضب قناته قتلا، والغفر نمطا تودعه الظعنية حللا، والزباني على شوشب سلاحا لا يرهب فلا، والإكليل للفرضخ مجللا، والشولة معها نصلا، والقلب بين جوانح يوجد مشتملا، أو بين سعف نفي عنه المشذب هملا، والنعائم على قليب يوجد مظلا، والبلدة في نحر ظل مقبلا، وسعدا الذا بح مقتر ايذ بح حملا، وسعد بلع طاعما يلتهم أكلا، وثالثهما سعد بن ضبيعة قائلا **مرتجلا**، وسعد الأخبية سعد بن زيد نازلا مرتحلا، والفرغين يكتفيان غربا سحبلا، والرشاء مرسا في يد مهيف ينضح بالماء غللا من حول ولقاح. غاية.

تفسير: المجهشة: من قولهم: أجهشت النفس إذا تهيأت للبكاء؛ يقال: جهشت وأجهشت؛ وفي الحديث فجهشنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فقد الماء. والكراب الذي يحرث. والخائرة: البقرة؛ لأنها

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٣٣

تخور، والماهن: الخادم. والإرة: حفـرة توقد فيها النار؛ وربما سميت النار إرة. والسائم: من سام البضاعة عند الشراء. والشمس. ضرب من الحلى. والمعنى: أن الله تعالى لوشاء جعل هذه الشمس الطالعة شمسا في القلادة؛ يقال: جيد شامس إذا كانت فيه شمس الحلى؛ وقال قوم: شمس الحلى تذكر؛ والصواب تأنيثها، لأنها مشبهة بهذه الشمس؛ وأنشد يعقوب في كتاب المعاني – وبعض الناس ينسبه إلى ذي الرمة وليس في ديوانه –:

رمتني مي بالهوى رمي ممضغ ... من الصيد لوط لم تخنه الأوالس

وعينان بحلاوان لم يجر فيهما ... ضمان وجيد قلد الشذر شامس

أي فيه شمس الحلي. وممضغ من الصيد أي يرزقه الله تعالى لحم الصيد فيمضغه، كما يقال: فلان مطعم من الصيد. ولوط أي ذي لوط، نعته بالمصدر كأنه يلصق بالأرض ليخفي نفسه من الوحش؛ ومنه: مالاط بصفرى من شئ. والأوالس: من قولهم في عقله ألس أي خفه. ورفع عينين على معنى ورمتنى عينان. والضمان ها هنا: المرض، وأكثر ما يستـعمل في الزمانة؛ وأنشد لبعض العور من العرب، وهو ينسب إلى يزيد بن الطثرية:

بكيت بعين لم يصبها ضمانة ... وأخرى رماها صائب الحدثان

عذرتك يا عيني الصحيحة في البكى ... فما لك ياعوراء والهملان

وهذا البيت الثاني يروى لطهمان بن عمرو الكلابي. والمنجمون يزعمون أن الشرط قرن الحمل. والمعنى: أن الله تعالى يقدر أن يجعل ثريا الكواكب مثل الثريا من القناديل. وحادي النجم: الدبران. والنجم الثريا؛ قال الشاعر:

وأية ليلة لا كنت فيها ... كحادي النجم يحرق ما يلاقى

والعرب تتشاءم بحادي النجم وقلب العقرب؛ قال الأسود بن يعفر:

ولدت بحادي النجم يحرق ما رأى ... وبالقلب قلب العقرب المتوقد

والهقعة: من دوائر الفرس يتشاءم بها، ويقال: إنها بياض في الجانب الأيمن مما يقع عليه أحد جانبي السرج، وكانت العرب تتيمن بها حتى قال القائل:

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت ... حليلته وانحل عنها إزارها." (١)

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/١٢٢

"ومر بهم بعد ذلك فنبزوه، وأراد البيت فنسيه، فقال: غمض وإلا جاءك ما تكره، فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها.

ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير فأداموا النظر إليها، فقالت:

قبحكم الله يا بني نمير! ما قبلتم قول الله عز وجل: " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " ولا قول الشاعر "

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة، وقيل: سماها جرير الدماغة، تركت بني نمير ينتسبون بالبصرة إلى عامر بن صعصعة، ويتجاوزون أباهم نميرا إلى أبيه، هربا من ذكر نمير، وفرارا مما وسم به من الفضيحة والوصمة.

والربيع بن زياد، كان من ندماء النعمان بن المنذر، وكان فحاشا عيابا بذيا سبابا لا يسلم منه أحد ممن يفد على النعمان، فرمي بلبيد وهو غلام مراهق فنافسه وقد وضع الطعام بين يدي النعمان، وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته، فقام لبيد فقال **مرتجلا:**

يا رب هيجا هي خير من دعة ... نحن بني أم البنين الأربعه

ونحن خير عامر بن صعصعه ... المطعمون الجفنة المدعدعه

والضاربون الهام تحت الخيضعه ... مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

فقال النعمان: ولمه؟ فقال:

إن استه من برص ملمعه

فقال النعمان: وما علينا من ذلك؟ فقال:

إنه يولج فيها إصبعه

يولجها حتى يواري أشجعه ... كأنما يطلب شيئا أودعه

ويروي أطمعه فرفع النعمان يده عن الطعام، وقال: ما تقول يا ربيع؟ فقال: أبيت اللعن كذب الغلام، فقال لبيد: مره فليجب، فقال النعمان: أجبه." (١)

"فإن يك سيف خان أو قدر أبى ... لتأخير نفس حينها غير شاهد

فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٥١/١

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... ويقطعن أحيانا مناط القلائد

ولو شئت قط السيف ما بين أنفه ... إلى علق دون الشراسيف جاسد

ثم جلس وهو يقول:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم ... إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وكالذي يروى عن أبي الخطاب عمرو بن عامر السعدي المعروف بأبي الأسد، وقد أنشد موسى الهادي شعرا مدحه به يقول فيه:

يا خير من عقدت كفاه حجزته ... وخير من قلدته أمرها مضر

فقال له موسى: إلا من يا بائس؟ فقال واصلا كلامه ولم يقطعه:

إلا النبي رسول الله؛ إن له ... فخرا، وأنت بذاك الفخر تفتخر

ففطن موسى ومن بحضرته أن البيت مستدرك، ونظروا في الصحيفة فلم يجدوه؛ فضاعف صلته.

وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حلزة بين يدي عمر بن هند؛ فإنه يقال: أتى بها كالخطبة، وكذلك قصيدة عبيد بن الأبرص، وقيل: أفضل البديهة بديهة أمن، وردت في موضع خوف، فما ظنك بالارتجال وهو أسرع من البديهة؟.

وكان أبو نواس قوي البديهة والارتجال، لا يكاد ينقطع ولا يروي إلا فلتة، روى أن الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في الشعر، ولكنك لا تخطب! فقام من فوره يقول **مرتجلا**:

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات البلاد شروب." (١)

"**مرتجلا**:

إمام غدا فردا فعاد مفردا ... عن الأهل في خفض الزمان ورفعه

أحب الإله الوتر وهو حبيبه ... فصيره وترا شفيعا لشفعه

سمعت أبا غانم المهذب بن الحسين بن محمد بن زينة بأصبهان يقول: توفى عبيد الله ابن الخجندي في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة.

٣٦٩- عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات [١] :

كان والده وزيرا للمعتصم، وقد ذكر الخطيب أخويه عمر وهارون ابني محمد بن عبد الملك في التاريخ،

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٩٠/١

كان عبيد الله هذا أديبا فاضلا، له نظم حسن.

أخبرنا عبد العزيز بن محمود الحافظ قال: أنبأنا الحسين بن علي الكوفي، أنبأنا المبارك بن عبد الجبار بن أحمد، أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي البيع، أنبأنا إبراهيم بن مخلد بن جعفر، أنبأنا أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني قال: جنى الخادم غلام سليمان بن وهب كان من أحسن الناس وجها وغناء، وفيه يقول عبيد الله بن محمد ابن عبد الملك الزيات:

غناؤك [يا] جنى وأنكاس بكرة ... يشبان [بي] [٢] نار الهوى تتوقد

على كبدي من حب من صار حبه ... مكان دمى بين الحشا يتردد

قالوا إلى كم يمنح الود مخلفا ... فقلت كفاني منه قول وموعد

٣٧٠- عبيد الله بن محمد بن عبيد بن مسيح، أبو عمر العطار:

حدث عن أبي بكر القاسم بن إبراهيم الصفار القنطري وأبي محمد المنتصر بن تميم ابن المنتصر وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني وأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الحوزي وأبي العباس أحمد بن علي الأبار، روى عنه أبو عبد الله عبيد الله بن

---

[١] في (ب) ، (ج) : «بن الزيات» .

[٢] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.." (١)

"مجلس الوعظ بالمدرسة التاجية.

أنشدني أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن هبة الله القزويني بأصبهان أنشد والدي ببغداد على المنبر في المدرسة التاجية **مرتجلا** لنفسه وقد دنت الشمس للغروب:

وكان ساعته قد شرع في ذكر مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لا تعجلي يا شمس حتى ننتهي ... فضلا لمدح المرتضى ولنجله [١]

يثنى عنانك إن غربت ثناؤه ... أنسيت يومك إذ [٢] رددت لأجله

إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله [٣] ولرجله

ذكر لي أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله أن والده توفى بشيراز في النصف من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وأن مولده كان تقديرا سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٧/٩٣

٣٩٠- عبيد الله بن هبة الله بن الأصباغي، أبو غالب الكاتب، الملقب بتاج الرؤساء:
ناب في ديوان الزمام بعد عزل أبي علي بن صدقة إلى النظر بديوان الزمام في سنة اثنتين وخمسمائة، وجعل أبو غالب مشرفا عليه، وكان أديبا فاضلا شاعرا مليح الشعر ظريفا، سمع من أبي منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكبري وغيره، روى عنه أبو العز أحمد بن عبيد الله بن كادش، وأبو الفضل محمد بن محمد بن محمد [٤] بن عطاف الموصلي وأبو الحسن سعد الله بن محمد بن [علي] [٥] بن طاهر الدقاق.
أنبأنا أبو القاسم سعيد بن محمد بن عطاف عن أبيه قال: حدثنا تاج الرؤساء أبو غالب بن الأصباغي قال: حدثني الرئيس أبو طاهر بن الشاطر أنه حضر عند الرئيس أبي القاسم بن علي بن الجراح وقد حضر عنده جماعة من الصبية ليسمعوا

---

[١] في النسخ: «لنحله» .

[٢] في الجواهر: «يوما قد» .

[٣] في الأصول: «الوقت بخيله» .

[٤] «بن محمد» ساقطة من (ب) .

[٥] ما بين المعقوفتين بياض بالأصل، (ج) .." (١)

"السلامي بها بالجانب الشرقي، أنبأنا خالي أبو العز أحمد بن عبيد الله [١] بن كادش، أنبأنا أبو غالب محمد بن علي بن الفتح العشاري إذنا، أنبأنا علي بن الحسن بن سكينة الأنماطي، حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم بن مهدي الناقد، حدثنا علي بن أحمد بن أبي قيس، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي [٢] ، حدثني موسى ابن إبراهيم بن بشير الأنصاري، حدثنا طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الدعاء لا إله إلا الله، وأفضل الذكر الحمد لله» [٣] .
كذا كان في أصل ابن صصرى «خالي أبو العز» ، والذي رأيته بخط أبي محمد بن الخشاب في أصل سماعه من ابن كادش «سبط الشيخ أبي العز بن كادش» وهو الصحيح.
وأنشدنا أبو محمد عبيد الله بن المبارك بن أحمد قال: أنشدني عمي أبو الحسن علي ابن أحمد بن أحمد لنفسه:

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٠٨/١٧

يا زمانا خلا من الناس واستأ ... صل بالقاح شافة الأحرار

ليتني مت إذ حللت بواديك ... فقد عيل من أذاك اصطباري

حسبي الله لا سواه فما أبع ... د خيرا يرجى من الأشرار

أنشدني أبو محمد الحسن بن أبي الفتح بن أبي النجم بن [٤] وزير الواسطي قال:

أنشد قبلة الأدب قول أبي نواس:

رشأ لولا ملاحته ... خلت الدنيا من الفتن

ما [٥] بدا إلا استرق له ... حسنه عبدا بلا ثمن

وقيل له آخر فقال في الحال مرتجلا:

وجنتاه في إحمرارها ... حكت وردا على غصن

أنا ميت في محبته ... غير أن الروح في بدني

---

[١] في (ج) : «عبد الله» .

[٢] في النسخ: «الحرامي» .

[٣] انظر الحديث في: إتحاف السادة ٩/٤٩. وكنز العمال ٣٨٣٥. والشكر ٥٠.

[٤] في الأصل: «أبى الضم من» .

[٥] في الأصل: «مد» .." (١)

"أبريشم «١» وهي قفل باب اللذة [١] ، فقال مرتجلا:

لم لا أتيه ومضجعي ... بين الروادف والخصور؟

(مجزوء الكامل)

وإذا نسجت فإنني ... بين الترائب والنحور؟

ولقد نشأت صغيرة ... بأكف ربات الخدور

وهذا من أحسن ما قيل في هذا المعنى. وأنشدني القاضي أبو جعفر البحاثي قال:

كتب بعض الفضلاء بيتين على تكة أهداها إلى معشوق له، ولم أسمع بأملح منهما [وهما] [٢] :

هي والله بين قطع وحل ... وإليك الخيار إما وإما

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢٠/١٨

(خفيف)

ثم لا بد أن يدمى غزال [٣] ... وبنفسي ذاك الغزال المدمى

---

[١]- في ب ٢: اللذات.

[٢]- إضافة في ب ٣.

[٣]- في ب ١: غزالي.." (١)

"شفاني أن أفشيت [١] سرك [٢] في الهوى ... كذلك أسرار الهوى إن فشت شفت

وأنشدني لنفسه أيضا:

يا مبطلا فعل الجميل بمنة ... أسخطتني من بعد ما أرضيتني

(كامل)

يا ليت كفك لم تسامحني به ... أو ليتني جانبت ما أو ليتني

[وأنشدني الشيخ أبو عامر له في تهنئة بعض أصدقائه بالزفاف:

بدردجى أصحبوه شمس ضحى ... بارك رب السماء فيها له

(منسرح)

ضمهما هالة الوصال معا ... يا من رأى النيرين في هاله] [٣]

وأنشدني [٤] الشيخ أبو عامر: حضرني [٥] هذا الخوارزمي فقال **مرتجلا**:

ومجلس عالم علم ... يقر بنوره العينا

(مجزوء الوافر)

تبركنا بزورته [٦] ... وأدينا بها الدينا

---

[١]- في ف ١: شفيت.

[٢]- في ل ٢: سري.

[٣]- إضافة في ف ١ وب ٢ وب ٣ ول كلها

[٤]- في ف ١ وب ٢ ول كلها: قال.

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١/٣٣٦

[٥]- في ب ٢: حضر.

[٦]- في ل ١ وب ٣: برؤيته.." (١)

"كلام ابن ميكال [١] الأمير بلفظه ... ينوب عن الماء الزلال لمن يظما

(طويل)

فنروى متى نروي بدائع نظمه [٢] ... ونظما [٣] إذا لم نرو يوما له نظما

ولما أنشده هذين البيتين، أحذ القلم فكتب **مرتجلا:**

يا من يعد لسانه ... أهل القريض لهم مسنا

(مجزوء الكامل)

لك خاطر لبدائع [٤] الألف ... اظ والمعنى مسنى «١»

حاشا [٥] لدهرك أن يعو ... د فتيه أبدا [٦] مسنا

/ وله [أيضا] [٧] في القاضي أبي القاسم الداودي [٨] الهروي [٩] :

حططنا على بعد المسير رحالنا ... إلى (روض مجد) [١٠] لامع الزهرات

(طويل)

لدى سيد [١١] أضحى مبينا بفضله [١٢] ... على كور الإسلام عز [١٣] هرات

---

[١] . في ب ٣: الفضل. وساقط في ب ١.

[٢] . في ف ٢ ورا وح: نثره.

[٣] . في ف ٣: ونظمي.

[٤] . في ل ٢: البدائع.

[٥] . في ل ٢: حاشاك.

[٦] . في ب ٣: منا.

[٧] . إضافة في ب ٣.

[٨] . في ف ٢ ورا وبا وح وف ٣: المناودي.

[٩] . في ف ٢ ورا وبا: المبروى. وفي ح: المبردي.

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ٦٥٦/١

[١٠] . في ف ٢ ورا وبا وح: مجد روض.

[١١] . في ف ٢: لسيد.

[١٢] . في ف ٢ وف ٣: لفضله.

[١٣] . في ف ٢: عن. وفي ل ٢: عن زهرات.." (١)

"وأنشدني أيضا لنفسه في معنى لم يسبق إليه:

من عاذري من عاذل قال لي: ... ويحك كم [١] تعشق يا مغرم؟

(سريع)

وآلم القلب ولا غرو إذ ... كل ملوم قلبه مولم

وصنعة البيت الثاني أن الملوم مؤلم القلب، بما يعانيه. فإذا قلبت صورته كان قلبه أيضا مؤلما، يعني مقلوبه. ونعم ما أخرج اللفظ ذا وجهين يمكن حمل المعنى عليه من نوعين [٢] . وأنشدني أيضا لنفسه في دنان خمر مسخت خلا:

أخيل «١» للأحباب لما غدت ... أحبابنا ممسوخة خلا

(سريع)

مجالس اللهو وشرب الطلا ... عز على اللهو إذا اختلا

وكسرت بعض العجائز بين يديه جوزة بثغر مثقل، فقال **مرتجلا**:

وعجوز لها ثغور شتات [٣] ... وهي قبر فيه عظام رفات

(خفيف)

---

[١] . في ف ١ وف ٣: لم.

[٢] . ساقط الى آخر قول الشاعر من ف ٢ ورا وبا وح وف ٣.

[٣] . في ب ٣: الشباب.." (٢)

"وبأسنانها الشتات البوالي ... تكسر الجوز؛ أي بأني فتاة

/ واتي يوما بغصن من الصفصاف، فقال فيه **[مرتجلا]** [١] :

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ٩٧٨/٢

(٢) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٢٧١/٢

وخلاف أصوله ... صغن [٢] من جرم بسد «١»

(مجزوء الخفيف)

ركبت في فروعها ... قطع من زمرد [٣]

١٥٧- الشيخ أبو الحسن يوسف [٤] بن صاعد العقيلي

رئيس قدره نفيس، يتحلى بشرف الأصل، كما يتحلى بالفرند متن النصل، ويجمع بين أدبي النفس والدرس، وطهارتي النشء والغرس.

وبارع في الآداب [٥] الملوكية، إذا ركب إلى الصيد لم ينج الوحوش من

---

[١] . إضافة في ف ١.

[٢] . في ب ١: صيغ.

[٣] . في ب ٣ ول ١: زبرجد.

[٤] . سقط الاسم الصريح وكنيته من ف ٢ ورا وبا وح.

[٥] . في ف ٢ وبا: الأدب.." (١)

"تضمه؟ فأنشد مرتجلا. وشدا عجلا:

تبا له من خادع مماذق ... أصفر ذي وجهين كالمنافق

يبدو بوصفين لعين الرامق ... زينة معشوق ولون عاشق

وحبه عند ذوي الحقائق ... يدعو الى ارتكاب سخط الخالق

لولاه لم تقطع يمين سارق ... ولا بدت مظلمة من فاسق

ولا اشمأز باخل من طارق ... ولا شكا الممطول مطل العائق

ولا استعيذ من حسود راشق ... وشر ما فيه من الخلائق

أن ليس يغني عنك في المضايق ... إلا إذا فر فرار الآبق

واها لمن يقذفه من حالق ... ومن إذا ناجاه نجوى الوامق

قال له قول المحق الصادق ... لا رأي في وصلك لي ففارق." (٢)

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٢٧٢/٢

(٢) مقامات الحريري الحريري ص/٣٧

"قصيدا أبرز به من عرى الإجسان ما لم ينفصم واستمر فيها يستكمل بدائعها وقوافيها فإذا هو قد أغار على قصيدة ابن الحداد الذي أوله

(عجى بالحمى حيث الخماص العين ...)

فقال ابن الحداد مرتجلا

(حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى ... في سلك غيري دري المكنون)

(وإليكها تشكو استلاب مطيها ... عج بالحمى حيث الخماص العين)

(فاحكم لها واقطع لسانا لا يدا ... فلسان من سرق القريض يمين)

وله أيضا

(يا غائبا خطرات القلب محضره ... الصبر بعدك شيء لست أقدره)

(تركت قلبي واشواقي تفطره ... ودمع عيني وأحداقي تحدره)

(لو كنت تبصر في تدمير حالتنا ... إذن لأشفقت مما كنت تبصره)

(فالعين دونك لا تحلى بلذتها ... والدهر بعدك لا يصفو تكدره)." (١)

"جوف منزله في يوم حفله، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عقيلي أو سدوسي. أبدل الملحد من الكافر، والأعمى من الضرير، والمشنف من المرعث، وأبا معاذ من بشار وابن برد. والغالية من المنصورية والمغيرية، ويبعج من يقر، وبعث من أرسلت. وذكر بني عقيل وبني سدوس لأنه كان نازلا فيهم.

١٦٥- وكان بشار قبل أن يدين بالرجعة يمدح واصلا «١» ، فمن قوله فيه يذكر خطبة ارتجلها ونزع منها الراء:

تكلف القول والأقوام قد حفلوا ... وعبروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلي بداهته ... كمرجل القين لما حف باللهب «٢»

وجانب الراء لم يشعر به أحد ... قبل التصفح والإغراف في الطلب

---

(١) مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس الفتح بن خاقان، أبو نصر ص/٣٣٨

١٦٦- قال معاوية يوما: من أفصح الناس! فقام رجل من جرم فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غمغمة قضاعة، ولا طمطمانية حمير. قال معاوية: فمن أولئك؟ قال قومي.

١٦٧- سئل حماد الراوية عن شعر عمر بن أبي ربيعة، فقال: ذلك الفستق المقشر لا يشبع منه.." (١)

"تصاممت عن ناعيك حتى أربته ... ودافعت فيك القول من كل مدفع

ولما أبى إلا يقينا حديثه ... فزعت إلى جفن من الدمع مترع

فأي حسام حالت الأرض دونه ... وكان متى يضرب به الخطب يقطع

وهذا الحد فالمملوك يقف عنده، ثم يعطش قلمه بعده، لما يلزم في باب المصاب إذا رمته الليالي وراء ظهرها، وأبعدت الأيام عهده بمرها، من الاكتفاء من القول بيسيره، والاستغناء عن كثيره بقليله، كراهية لتجديد الحزن وتطريته، وإشفاقا من تشييد ما يجب الحرص على تعفيته ولاسيما هذا الفادح الذي نبه خامل الثرى. ومنع الجفون من مصافحة الكرى، وأحزن مليك الأرض وسلطان الورى:

وتر الردى من لو تناول سيفه ... يوما لنال من الردى ما شاء

وهذا الخطب وإن رمى العقول بالخبل، وعم بالغم أهل السهل والجبل، ولم يسلم أحد فيه من رزء، ولا خلا من الأخذ منه بأوفر جزء؛ فالذي يسهل صعبه، وينفس كربه، ويسيغ صابه، ويخفف أوصابه، أن مالكنا - خلد الله دولته - مكفوف بالحماية، مشمول بالوقاية، محفوظ بعناية الله وكفايته، مخصوص بإطالة العمر وإطابته، جار على عادته في تدبير مملكته، وكلاءة رعيته، وإعزاز دين الله - تعالى - ونصرته. والله - تعالى - يجعل منتقص المدد زيادة في مدته، ولا يخلي البسيطة من رواء سلطانه وبهجته. بفضله وطوله، وحوله، وقدرته.

قال الشيخ أبو القاسم المصنف: كنت أنفذت نسخة هذه الرسالة إلى بعض الرؤساء الكبراء ممن كان يؤثر الوقوف على ما أعمله، فبلغني أن كاتبه قال لما رأى ترجمة هذه الرسالة قبل الوقوف عليها: هلا قال: الغلوة في السلوة وأنكر التدلي، فكتبت إليه: بلغ عبد الحضرة ما انتقد عليه في ترجمة ما خدم به. وما استبعد من التدلي العائد بدنو النائي وتقربه، وقد كان يجب أن يبقى على من عمل عجلا، وترجم مرتجلا، ولم تكن له مهلة لتنقيح ألفاظه وتهذيبها، وإبرازها في معارض تستحسنها النقدة وتهذي بها، وإن بعض من انتقد عليه قال: هلا كانت الترجمة: الغلوة في السلوة؟ وعبدها يقول: أما الغلوة فهي: المرماة، والمغلاة:

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٢٢٥

السهم، فالغلوة: غايته، وهذا ضد مراده؛ وذلك أن التدلي إنما هو التوصل؛ تدليت على الشيء إذا توصلت إليه. ومنه أدلى فلان بحجته إذا توصل بما أتى به إلى بغيته، ومن ذلك قوله تعالى: (ثم دنا فتدلى) وهذه الآية من باب قوله سبحانه: (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) . وهو من المقلوب. أي: تنوء بها العصبة أولو القوة و: ثم تدلى فدنا.

وقد قال الشاعر:

لا تقلواها وادلواها دلوا ... إن مع اليوم أخاه غ (دوا)

وتقلواها: تبعداها، وادلواها: قرباها والدلو من هذا؛ لأنها تقرب الماء بعد بعده.

فقول عبدها: التدلي على التسلي إنما معناه: التوصل إلى السلوة بأسبابها من التاسي، وطلب الثواب، وغير ذلك.

وقول من قال: الغلوة في السلوة، إنما هو الوصول إلى غايته، والفرق بين من قصد التوصل، وبين من بلغ الغاية لا يخفى عن أحد، فقد بان تضاد الترجمتين، وتنافي الغرضين، وما ضر من انتقد لو صبر إلى أن يقف على الرسالة، ثم يقول ما يختار، ولا يعجل بأن يضع مني ما صدر عني، فالله المستعان وصبر جميل.

قال الشيخ أبو القاسم: كانت وفاة الأجل المظفر - رضي الله عنه - يوم الخميس تاسع جمادى الأولى من سنة أربع عشرة وخمس مائة، وكانت ولادته في سنة تسع وسبعين وأربع مائة.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطاهرين، وسلم تسليما، حسبنا الله ونعم الوكيل.

١ ١." (١)

"إذا طفا أبصر الصمصام يرقبه ... أو غاص في الماء من خوف الردى شرقا

وأي عيش لموقوف على تلف ... يراقب الميتتين: السيف والغرقا وكانت إثر ذلك وقعة للمعتلي بالله على السودان بإشبيلية، فأمر أبا عبد الله ابن الحناط بصفة ذلك إذ الوقعتان متشابهتان، ففعل؛ وبلغني أنا ذلك، فكتبت إلى المعتلي بشعر طويل في المعنى أوله:

غناك سعدك في ظل الظبا وسقى ... " فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا " ومنها في صفة الوقعة:

سقيا لأسد تساقى الموت أنفسها ... وتلبس الصبر في يوم الوغى حلقا

قامت بنصرك لما قام مرتجلا ... خطيب جودك فيها ينثر الورقا

---

(١) الأفضليات علي بن منجب ص/٥٩

سريت تقدم جيش النصر متخذا ... سبل المجرة في إثر العلا طرقا

في ظل ليل من الماذي معتكر ... يجلو إلى الخيل منه وجهك الفلقا

وصفح قرن غداة الروع يكتبه ... من الظبا قلم لا يعرف المشقا

أجريت للزنج فوق النهر نهر دم ... حتى استحال سماء جللت شفقا

وساعد الفلك الأعلى بقتلهم ... حتى غدا الفلك بالناجي به غرقا

من كل أسود لم يدلف على ثلج ... بأن جدك يجلو صفحه يققا

كأن هامته والرمح يحملها ... غراب بين على بان النقا نعقا." (١)

"فعاقد بين قوله: " يدي بيدي " و " ذابت الصخرة الصماء من جلدي "؛ وذكر أن المتنبي أنشد من شعر أهل الأندلس، حتى أنشد هذين البيتين، فقال: هذا أشعر القوم.

ولما سمع المعتمد بن عباد قصيدة عبد الجليل هذه ووعاها، سرت في نفسه حمياها، وكانت سببا لصلة من كان ببابه من الشعراء، غير أنه وفى لبعد الجليل في الحباء.

وكانت يوما بدار أبي بكر الخولاني المنجم، فاتفق أن دخل علينا عبد الجليل وفي كمه صلة المعتمد من ضرب السكة لديه، قيمتها ثلاثة آلاف درهم، فرفع إليه إثر ذلك قصيدته التي أولها:

ما الشعر مرتجلا أو غير مرتجل ... ببالغ كنه ذاك السؤدد الجلل

بأي لفظ أحلي منك ذا شيم ... لولا حلاها لكان الدهر ذا عطل

لا حلة الشمس مما قد أحاوله ... ولا نظام النجوم الزهر من عملي

وسائلين أجدا في مباحثتي ... خذا حديثي عن الأملاك والدول [١٠١أ]

جيش المؤيد يقضي من خلائقه ... أن الملوك له ضرب من الخول

فالفرق بينهما في كل معلوة ... كالفرق يوجد بين النقص والكمل

سل المكارم عنه كيف تعلمه ... أو لا فسل شفرات البيض والأسل." (٢)

"وإن شئت اختبار الناس جهرا ... ولم تك بالتجارب بالعليم

فجرب من تشا منهم عيانا ... وقد أصبحت في بردي عديم

فإن لم [تلف] ذلك مستحيلا ... وترعى منه في مرعى وخيم

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٣١٣/١

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥١٥/٣

فقل إني دعي في نزار ... وإني ضد لقمان الحكيم

رأينا معشرا لبسوا ثيابا ... مجددة على عرض رميم

لهم دور مشيدة [] ... وأفعال محيلات الرسوم ومن المدح:

وما يحتاج يوم الحرب جيشا ... فإن عداه كالزرع الحطيم

وإن أبقى لهم فرعون سحرا ... ففي يده عصا موسى الكليم وقد تقدم إلى هذا المعنى أبو نواس بقوله، ونذكر خبرا يتعلق بذيله:

كان أبو نواس قوي البديه، ويرتجل كل ما يقول ولا يرويه، فقال له الخصيب يوما وهو يمازجه بالمسجد الجامع، أنت في الشعر غير مدافع ولا منازع، ولكنك لا تخطب، فقام من فوره يقول مرتجلا:

منحتكم يا أهل [مصر] نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات القلوب شروب

فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب." (١)

"لينقطع عنه، فعدا معه حتى وافيا الباب كفرسي رهان، ودخل ابن عائشة فمكث طويلا طمعا في أن يضجر فينصرف، فلم يفعل حتى أعياه، فقال لغلامه:

أدخله، فقال له: ويحك! من أين صبك الله علي! قال: أنا رجل من أهل وادي القرى أشتهي هذا الغناء. فقال له: هل لك فيما هو أنفع لك منه؟ قال:

وما ذلك؟ قال: مائتا دينار، وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلك. فقال له:

جعلت فداك! والله إن لي لبنية ما في أذنيها- علم الله- حلقة من الورق فضلا عن الذهب، وإن لي زوجة ما عليها- شهد الله- قميص، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخلة والفقر اللذين عرفتكهما وأضعفت لي ذلك لكان الصوت أحب إلي. وكان ابن عائشة من تيهه لا يغني إلا لخليفة أو ذي قدر جليل، فتعجب ابن عائشة منه ورحمه، ودعا بالدواة وجعل يغني مرتجلا، فغناه الصوت فطرب له طربا شديدا وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عنقه سينقصف، ثم خرج من عنده ولم يرزأه شيئا. وبلغ الخبر الوليد بن يزيد، فسأل ابن عائشة عنه فجعل يغيب عن الحديث، ثم جد به الوليد فصدقه عنه.

فأمر بطلب الرجل، فطلب حتى أحضر ووصله صلة سنية وجعله في ندمائه وو كله بالسقي فلم يزل معه حتى قتل.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٣٥١/٧

«٩٤» – غنى علويه يوما بحضرة إبراهيم الموصلي: [من البسيط]

عميت أمري على أهلي فنم به

فقال: هذا الصوت معرق في العمى؛ الشعر لبشار الأعمى، والغناء لأبي زكار الأعمى، وأول الصوت: عميت أمري.

«٩٥» – قال معبد: أرسل إلي الوليد فأشخصت إليه، فبينا أنا ذات يوم في بعض حمامات الشام إذ دخل علي رجل له هيبة ومعه غلمان، فاطلى [واشتغل]." (١)

"ما بالكم يا ظباء وجرة أم ... ما غالكم يا جآذر البقر

ماتوا فلم يدفنوا فيحتسبوا ... ففيهم عبرة لمعتبر

كأنهم بعد بهجة درست ... ركب عليهم عمائم السفر

«١٠٢٥» – وقال ابن بسام في مثله: [من البسيط]

يا من نعته إلى الإخوان لحيته ... أدبرت والناس إقبال وإدبار

حانت منيته واسود عارضه ... كما تسود بعد الميت الدار

١٠٢٦– وقال آخر: [من الوافر]

وعلق لو تنسك يوم حج ... لواحر بين زمزم والحطيم

ولو يوم المعاد رأى لواطا ... لنام على الصراط المستقيم

«١٠٢٧» – قيل لأعرابي: أغلمة الرجل أشد أم غلمة المرأة؟ فقال **مرتجلا**:

[من الطويل]

فو الله ما أدري وإني لخابر ... أاالأير أدنى للفجور أم الحر

وقد جاء هذا مرخيا من عنانه ... وأقبل هذا فاتحا فاه يهدر

«١٠٢٨» – وقال أبو العيناء لرجل دخل من النصرانية في الإسلام: أتشرب الخمر؟ قال: بلى. قال: لقد أصبت عين الرأي إذ دخلت في عز هذه الدعوة وثبت على شرائط تلك النحلة.

«١٠٢٩» – قال ابن مكرم لأبي العيناء: أحسبك لا تصوم شهر رمضان،." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٩/٦٤

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٩/٤٢٨

"أتاه المثيب على شربها ... وكان كريما فلم ينزع

" ٤٨ ألف " ومن رفع روى: فما ينتزع.

وقوله " ٣،١٤٣٨٧ " وخلف الذي ذكر.

ش: هو خلف بن وهب حذافة بن جمع، والد أمية وأبي.

وقوله " ٣،١٤٤٨٩ "كما يقال لطلحة بن عبيد الله " طلحة " الطلحات، وطلحة الخير، وطلحة الجود.

ش: ليس طلحة الطلحات، طلحة بن عبيد الله، إنما طلحة الطلحات، طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وهو مولى طاهر بن الحسين، و " طلحة " آل صديق: طلحة بن عبيد الله. تيمى، قرشى، من آل أبي بكر الصديق رضى الله عنه، وهو احد العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة. وإنما سمى طلحة الخزاعي المذكور طلحة الطلحات لأن أمه صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة فلهذه الولادة سمى طلحة الطلحات.

وقوله " ٣،١٤٤٨٩ " فقسمها في الأطباق.

ط: " قال " الخليل: الطبق: جماعة من الناس، تعدل مثلها.

وقوله " ٣،١٤٤٩٠ " وللمدى موضع آخر يكون فيه القوى.

ط: المودى الذي جعله من الأضداد ليس كذلك. لأن المودى الهالك من أودى والآخر من أدى. قال الأصمعى: آدى الرجل فهو مود: إذا كان شاك السلاح، وأنشد أبو عبيدة قول حنظله بن ثعلبة:

" ما عتلى وأنا مؤد جلد "

ثم ترك الهمز، تخفيفا، فيقال مود، ومعناه كامل الأداة، واشتقاقهما مختلف.

وقوله " ٣،١٤٤٩١ " وقال رجل من العرب ... عوةجا.

ط: هذا الشعر أنشده الإصبهاني. لهفان بن همام بن نضمة، يرثى أباه، وأنشد " الطويل ":

على قبر من يرجى نداه ويبتغى ... جداه، إذا لم يحمد الأرض رائد

كريم الثنا حلو الشمائل بينه وبين المزجي نفنف متباعد إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن عيبا، ولا عيا على من يقاعد " ٤٨ ب " صبور على العلات يصبح بطنه خميصا، وآتيه على الزاد حامد

وضعنا الفتى كل الفتى في حفية ... بحرين، قد راحت عليه العوائد

سريعا كنصل السيف تضرب حوله ... برأسهن المعولات الفواقد

وانشد أبو تمام في " الحماسة " الثلاثة الأبيات، التي أنشدها أبو العباس لامرأة بني أسد. ثم أنشد، بعد

ذلك، في باب المراثي، لابن أهبان يرثي أخاه " الطويل ":

على مثل همام تشق جيوبها ... وتعلن بالنوح النساء الفواقد

فتى الحي إن تلقاه في الحي أو يرى ... سوى الحي، أوضم الرجال المشاهد

إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن ... عبيا، ولا عبئا على من يقاعد

طويل نجاد السيف يصبح بطنه ... خميصا، وجاديه على الزاد حامد

وقوله " ٣،١٤٤٩١ " على قبر أهبان.

ط: يجوز أن يكون أهبان جمع إهاب، أو يكون من تأهب، فيكون على القول الأول منقولا، وعلى القول الثاني، مرتجلا، والهمزة في كلا القولين أصل لا بدل، والذي ذكره أبو العباس، فيه جائز، ولكنه ليس كلا القولين المذكوريب، لأنه لو كان بدلا لنطق يوهبان الأصل.

وقوله " ٣،١٤٤٩١ " وبين المزجى.

ط: يقال المزجى، والمزجى الضعيف قال ابن الرقيات " الخفيف ":

" ملك، يبرم الأمور " ولا يشرك ... في حكمه الضعيف المزجى

ويقال: المزجى. الذي لا ينتفع به، ولا ينفع، وقيل المزجى الذي يساق إلى الشيء كرها، وقيل هو ابن عم، كان للميت المرثي بهذا الشعر، ومعنى البيت: أنه كان يأتي الجميل خلقا، وطبعا، ولم يكن يساق إليه كرها.

وقوله نفنف متباعد: أنه يصل إلى ذروة المجد، وأعلاه، والمتكلف لمباراته في الحضيض.

وعلى قول ذي الرمة " ٣،١٤٥٩٣ " في نفنف يتطوح.

ط: ويروى: " بين حجح " " ٤٩ ب " وأول البيت " الطويل ":

ترى قرطها في واضح الليت مشرفا ... على هلك " في نفنف يتطوح "

وعلى قوله " ٣،١٤٦٩٥ " على وزن قراسية.

ط: القراسية: الجمل الضخم.

وقوله " ٣،١٤٦٩٦ " أبا المنازل عبر الفوارس.

ط: عند ابن جابر: المنازل بضم الميم، ويروى هذا الشعر لواسع، أخى هدبة بن حشرم، رثى به هدبة، وأوله " البسيط ":

يا هدب يا خير فتيان العشيرة ... من يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا

وعلى قول الحطيئة قبل هذا " ٣,١٤٢٨١ " قد ناضلوك فأبدو من كنائنهم.

ط: يهجو الحطيئة بهذا الشعر، الزبرقان بن بدر، ويمدح بني لأي بن شماس، وقبله " البسيط ":." (١)

"وقيل إن معنى قوله: " أخصيى حمار " أن الحمار إذا مد عنقه ليرعى النجمة فربما تقاغس فدنت خصيتاه من الأرض، وقال ابن النحاس يقول: إن الحمير تبعث بالنجم، فسر أبو العباس المبرد هذا البيت في كتاب " الأزمة " بالتفسير الأول، وقال: هذا كقول العامة هو كبير الخصية.

وقوله " ٣٨١،٥٢٥٥ " تفاقد قومي.

ط: هو لبن ميادة وكان يشبب بأم جحدر امرأة بن زحل فبلغ أباها مصير ابن ميادة إليها، فحلف ليزوجها رجلا من غير أهل ذلك البلد فزوجها رجلا من أهل الشام فتبعها ابن ميادة حتى أدركه أهل بيته، فردوه، وهو ر يتكلم من الوجد بها، فقال هذا الشعر وأوله " الطويل ":

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر ... سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا

وقوله " ٣٨٢،٥٢٦٤ " فقالت: أتحقيقا لما قال كاشح.

ط: تقديره على مذهب أبي العباس: أتريد تحقيقا؟ أتحاول تحقيقا؟

وقوله " ٣٨٣،٥٢٦٦ " قمير بدا ابن خمس وعشرين.

ط: قبلهز " المتقارب ":

ومقاما قمنا به فاستقينا ... ولهونا به وذقنا نعيما

" ١٢١:ب " من لدن فحمة العشاء إلى أن لاح ورد يسوق جونا بهيما

وقوله " ٣٨٣،١٤٣،٥٢٦٦ " يقول احترست منها وأمنتها.

ش: ليس أمنتها هنا بشيء إنما معناه كشفت عن الرصد مكانه وتطلعت عليها وتطلعت احتراسا منهم وتوقيابهم.

وقوله " ٣٨٣،١٥٣،٥٢٦٨ " فهو عندهم جميعا برد في الأسنان.

قال ط: قوله عندهم جميعا، غلط، لأن اللغويين يختلفون في الشنب، فقال قوم: هو برد الأسنان وعذوبتها، وقال قوم: هو حدة أطرافها، حكى ذلك ابن جنى.

****

الباب الحادي والأربعون

---

(١) القرط على الكامل ابن سعد الخير ص/١٠٣

وقوله " ٣٨٥،٦٢ " وحدثت أن عمر الوادي.

ش: هو عمر بن داود بن زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان، مغن. ومن أهل وادي القرى، وهو من المدينة على خمسة أيام مما يلي الشام، ولم يكن يضرب بالعود، وكان مع الوليد بن يزيد، فشاهد عنده معبدا ومالك بن أبي السمح، وكان الوليد يسميه " جامع لذتي " وكان يغنى في أشعار الوليد وبقى إلى خلافة بني العباس، قاله ابن خرداذبه.

وقوله " ٣٨٥،٦٤ " وتحدث الزبيريون عن خالد بن صامة.

ش: هو خالد بن الصامة مغنى مدني بارد، غنى في مجلس فيه محموم فقال له المحموم: ويحك دعنا نعرق، وبعث رجل غلامه ليشتري له خمسة أرطال ثلجا، ولقى ابن الصامة فأدخله على مولاه وقال: طلبت خمسة أرطال وهذا حمل، وأمه فرعة وكانت هي وأبوه الصامة مغنيين، فكان أهل المدينة يسمونه: " بين دفتي المصحف "!

وقوله " ٣٨٦،٦٤ " ومالك بن أبي السمح وابن عائشة.

ش: مالك هذا عربي طائي، كان لا يضرب بالعود " ١٢٢:الف " وأمه مخزومية. وكان منقطعا إلى عبد الله بن جعفر، تعلم الغناء من معبد وجميلة أم عمرو المدينة، مولاة بني سليم، وبقى إلى خلافة بني العباس.

وابن عائشة محمد أبو جعفر مغت مدني، وكان لا يجيد الضرب بالعود، فكان يغني **مرتجلا**، وكان لا يعرف أبوه، فقيل له ابن عاهة الدار وهي مولاة لآل كثير بن الصلت الكندي، وكان منقطعا إلى حسن بن حسين بن علي " رضي الله عنه ". وأبوه كامل مولى الوليد بن يزيد، كان الوليد به متعجبا.

وقوله " ٣٨٦،٦٦ " فخلوا في طيب عيش فتناولت حبابة.

ش " قال ابن خرداذبه: في موضع من الأردن يدعى بيت راس.

وقوله " ٣٨٦،٦٦ " فعد بينهما خمسة عشر يوما.

ش: قال ابن خرداذبه: أنه كات بعدها جرعا عليها بعد بضعة عشر ليلة.

وقوله " ٣٨٧،٦٧ " إلى طعام عتيد وشراب قد التقى طرفاه.

ط: يجوز أن يريد بقوله: قد التقى طرفاه أي تساوى منظره ومخبره، ويجوز أن يريد: استوى أسفله وأعلاه في الصفاء، فلا كدر فيه.

وقوله " ٣٨٧،٦٨ " وشواء رشراش.

ط: الرشراش الذي يترشرش عليه ماؤه ويقطر.

وقوله " ٣٨٧،٦١٠ " يقول: أبو زيد عجبت أن يبكيا.

ش: في هذا الكلام نقص أفضح ما ذهب إليه معه، والصحيح: يقول أبو زيد عجبي من إعجاب عبد الرحمن أن يبكيا أباه، وهذا الكلام من قوله: " يقول " إلى قوله: ثانيا " إياه " ساقط من بعض النسخ وبسقوطه قيام الكرم ويصح معناه.

وقال ط: عجبت من أن اعجبه أن يبكيا أباه، ولكن هذا وقع.

وقوله " ٣٨٨،٦١٠ " ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها.." [١]

"فلعل علام الغلام (١) * وخالق السبع الطباق يقضي لنا بتجمع * أبدا على الأيام باقي ونعيد أيام المسرة * بالمعرة والتلاقي وعساه يأذن عن قريب * لي إليها بانطلاقي ما للمعرة مشية * في ارض مصر ولا العراقي * قال فكتبت إليه مبتدها بسم الله الرحمن الرحيم وفقت اطال الله بقاء حضرة مولاي (٢) القاضي الأجل على ما سمح به خاطره الشريف من نفائس درره وغرائب غرره فقلت عجلا وتنهدت (٣) مرتجلا فان لم آتت بمثل أبياته الوافية ومعانيه الشافية فقد لزمت الوزن والقافية يا شاكيا ألم الفراق * هيجت وجدي واشتياقي وقدحت زند صبابتي * أفما اتقيت من احتراقي وأفضت من تامور قلبي *كالعقيق الى المآقي لم تشتك الا بعض ما * انا فيه من جهد الفراق لم يبق بعدك لي سوى * نزوح تصعد في التراقي نفسي تردد في ضنى * جسم نحيل غير باقي قد نالني للبين ما * نال الهلال من المحاقي فاحرص بأن تحيى * وليك عن قريب بالتلاقي واعزم على اسم الله * فالرحمن يأذن بانطلاق واهد (٤) الخيال عساه * يسعد قبل ذلك باعتناق واكتب الي معللا * ببيوتك الشرد الرفاق ولعل ما يعني الكتاب * حشاشة هي في السياق ما في الحجاز ولا الشام * وأرض مصر ولا العراق من نقطة تزهو على * الدرر المنضدة الرشاق سمرت به سماره * وحدا به حادي الرفاق

---

(١) في م: الغيوب

(٢) في م: مولانا

(٣) في م: وتبدعت

(٤) عن م وبالأصل: واهدي." [٢]

---

(١) القرط على الكامل ابن سعد الخير ص/١٥٧

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٩٥/٣٥

"قال فكدت أسقط عن راحلتي طربا فسمعت سمته فإذا هو راعي غنم فسألته إعادته فقال والله لو حضرني قرى أقريك ما أعدته ولكن اجعله قراك الليلة فإني ربما ترنمت بهما وأنا غرثان فأشبع وظمآن فأروى ومستوحش فآنس وكسلان فأنشط فاستعدته إياهما فأعادهما حتى أخذتهما فما كان زادي حتى وردت المدينة غيرهما قرأت في كتاب أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الكاتب (١) أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد قالا نا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنين (٢) عند الوليد بن يزيد فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والإختصاص له وبلغني أنه كان لا يضرب وإنما كان **مرتجلا** وكان الوليد يسميه جامع لذاتي (٣) وبلغني أن حكم الوادي وغيره من مغني وادي القرى أخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثر أغانيه قرأت على أبي الوفاء حفاظ بن الحسن بن الحسين عن عبد العزيز بن أحمد أنا عبد الوهاب الميداني أنا أبو سليمان بن زبر أنا عبد الله بن أحمد بن جعفر أنا محمد بن جرير الطبري (٤) حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال كان مع الوليد يعني ابن يزيد حين قتل مالك بن أبي السمح المغني وعمر الوادي (٥) فلما تفرق عن الوليد أصحابه وحصر قال مالك لعمر اذهب بنافقال عمر (٥) ليس هذا من الوفاء ونحن لا يعرض لنا لأنا لسنا ممن يقاتل فقال مالك ويلك والله لئن ظفروا بنا لا يقتل أحد قبلي وقبلك فيوضع رأسه بين رأسينا ويقال للناس انظروا من كان معه في هذه الحال فلا يعيبونه بشئ أشد من هذا فهربا

---

(١) الخبر في الأغاني ٧ / ٨٥ - ٨٦

(٢) بالأصل و (ز) : " المغنيين " واللفظة مضطربة الإعجام في م والمثبت عن الأغاني

(٣) ما بين معكوفتين سقط من الأصل

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٧ / ٢٥٢ (حوادث سنة ١٢٦)

(٥) في الطبري: عمرو الوادي

(٦) الطبري: لعمرو." (١)

"وكان واصل ألثغ بالراء، فما زال يروض نفسه، حتى أسقط الراء من كلامه في محاجته للخصوم وخطبه.

قال البلخي: وله الخطبة المشهورة التي ارتجلها بحضرة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، فأسقط منها الراء،

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦/٤٥

فذكرته الشعراء بذلك، قال الشاعر:

ويجعل البر قمحا في تصرفه ... وجانب الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطرا والقول يعجله ... فعاد بالغيث إشفاقا من المطر

وقال صفوان الأنصاري:

ملقن مفهم فيما يحاوله ... جم خواطره جواب آفاق

وقال آخر:

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا ... وحبروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلي بديهته ... كمرجل القين لما حف باللهب

وجانب الراء لم يشعر بها أحد ... قبل التصفح والإغراق في الطلب

وقال آخر:

فهذا بديه لا كتحبير قائل ... إذا ما أراد القول زوره شهرا

وقال آخر:

عليم بإبدال الحروف وقامع ... لكل خطيب يغلب الحق باطله." (١)

"٥٦ - أنشدني أبو العباس أحمد بن يوسف بن نام اليعمري البياسي أنشدني أبو عبد الله القفال البياسي بها لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان القيسي المعروف بابن الحداد المربي ابتداء قصيدة

(أربرب بالكثيب الفردأم نشأ ... ومعصر في اللثام الوردأم رشأ)

(كأن قلبي سليمان وهدهده ... لحظي وبلقيس لبنى والهوى والنبأ) // البسيط //

٥٧ - أبو العباس هذا شاعر مفلق وأديب بارع محقق وكان كثير الحفظ لشعر شعراء الأندلس المتأخرين خاصة ولشعر غيرهم من المتقدمين من كل إقليم

ومال بعد إلى الآخرة وباع كتبه عازما على الجهاد راغبا في الشهادة فخرج بنية الغزو وانقطع عنا خبره فسبحان العالم بحاله

وقد علقت عنه مقطعات كثيرة من شعره وشعر غيره وقلت له أنشدني من مخترعاتك وهات من مخبآتك فقال مرتجلا

(من سيآتي مخبآتي ... فخل عني وقول هات)

---

(١) الحور العين الحميري، نشوان ص/٢٠٧

(فكلها إن بحثت عنها ... مشبهات بترهات) // البسيط //

وأنشدني يوما آخر وقد علقت عنه من شعره وشعر غيره ما يستحسن جدا

(فوائد قد أتتك على ارتجال ... سلبت بهن ألباب الرجال)

(فإن أنشدتها يوما بحفل ... ملأت بها السجال على السجال) // الوافر //." (١)

"فأجبته مرتجلا

(بدأت بفضل أتاه الكريم ... ولا غرو منك ابتداء به)

(لأنك مغرى بفعل الجميل ... مهين لما عز في كسبه)

(أتتني أبياتك الرائقات ... بشأو بعيد على قربه)

(ونظم حكى النظم في أفقه ... وخلى له الجدي عن قطبه)

(فأنطقني حسنه واجترأت ... وقلت من الشعر في ضربه)

(وعولت فيه على فضله ... وما خصه الله من إربه) // المتقارب //

١٣٩٤ – أنشدني أبو الحسين هبة الله بن علي بن الحسن الكاتب بمصر قال أنشدني أبو الطاهر إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة القرشي لنفسه في ابن فائق وقد جرح

(لعمرك ما الأمير عداه نصر ... ولا طرقته طارقة الحتوف)

(ولكن الشجاعة تيمتها ... محاسن وجهه بين الصفوف)

(فظلت غيرة منها عليه ... تعضضه بأفواه السيوف) // الوافر //

١٣٩٥ – أبو الحسين هذا كان من أهل الأدب قرأ على أبي القاسم بن القطاع كثيرا وعلى غيره وله في الفرائض يد بيضاء وخطه من أحسن الخطوط وسمع علي وبقراءتي على غير شيخ الحديث وكتب لي بخطه أجزاء ثم صارت له حلقة في جامع عمرو للإقراء وتوفي ولم يبلغ الشيخوخة.

١٣٩٦ – أخبرنا أبو المعالي هبة الله بن عبد الملك بن علي الوراق المالكي بأبهر أنا أبي أنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن فضالة النيسابوري الحافظ بالري ثنا أبو الربيع محمد بن الفضل بن العباس الحافظ البلخي بطالقان." (٢)

---

(١) معجم السفر أبو طاهر السِّلَفي ص/٢٨

(٢) معجم السفر أبو طاهر السِّلَفي ص/٤١٢

"أبو العباس هذا (١) شاعر مفلق، وأديب محقق، وكان كثير الحفظ لشعر شعراء الأندلس المتأخرين خاصة ولشعر غيرهم من المتقدمين من كل إقليم، ومال بعده إلى الآخرة، وباع كتبه عازما على الجهاد، راغبا في الشهادة، فخرج بنية الغزو وانقطع عنا خبره، فسبحان العالم بحاله، وقد علقت عنه مقطعات كثيرة من شعره وشعر غيره، وقلت له: أنشدني من مخترعاتك، وهات من مخبآتك، فقال **مرتجلا**:

من سيئاتي مخبآتي ... فخل عني وقول هات

فكلها إن بحثت عنها ... مشبهات بترهات وأنشد يوما آخر، وقد علقت عنه من شعره وشعر غيره ما يستحسن جدا:

فوائد قد أتتك على آرتجال ... سلبت بهن ألباب الرجال

فإن أنشدتها يوما بحفل ... ملأت بها السجال إلى السجال

---

(١) ياقوت: " بياسة " وسماه أحمد بن يوسف بن تمام ونقل ما أورده السلفي في وصفقه.." (١)

"أعيذك بالله من فاضل ... أريب تداهي على صحبه

فأعرض محتقرا برهم ... وكل تنافس في جلبه

فلما أذاع لدينا سرا ... ئر ما كان أودع في قلبه

جلا كل معجزة من نظيم ... لآلئه وحلى عصبه

فهل جاز سمعا ولم يلهه ... ومر بقلب ولم يصبه فأجبته **مرتجلا**:

بدأت بفضل أتاه الكريم ... ولا غرو منك ابتداء به

لأنك مغرى بفعل الجميل ... مهين لما عز في كسبه." (٢)

"سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.

وحكى أبو الفضل محمد بن عطاف أنه توفي أبو الكرم بن الفاخر النحوي ليلة النصف من ذي القعدة، سنة خمسمائة، ودفن بباب حرب.

وأخبرني أبو محمد ابن بنت الشيخ أبي منصور المقرئ النحوي، أنه قرأ عليه شرح كتاب سيبويه للسيرافي في مدة آخرها مستهل رجب، سنة أربع وخمسمائة؛ والله أعلم.

---

(١) أخبار وتراجم أندلسية أبو طاهر السِّلَفي ص/١٨

(٢) أخبار وتراجم أندلسية أبو طاهر السِّلَفي ص/١٣٠

أبو محمد النعماني

وأما أبو محمد طلحة بن محمد النعماني، فإنه كان عالما بالأدب. كثير المحفوظ، مليح الشعر، جيد القريحة، سريع البديهة.

قال أبو عمرو عثمان بن محمد النقالي بخوارزم: كنت أنا والشيخ أبو محمد طلحة بن محمد النعماني نمشي ذات يوم في السوق، فاستقبلتنا عجلة عليها حمار ميت، يحمله الدباغون إلى الصحراء، ليسلخوا جلده فعجبت من ذلك مرتجلا:

يا حاملا صار محمولا على عجله." (١)

"أسنى ليالي الدهر عندي ليلة ... لم أخل فيه الكأس من أعمال

فرقت فيها بين جفني والكرى ... وجمعت بين القرط والخلخال

وقوله:

ومهفهف رقت حواشي حسنه ... فقلوبنا شفقا عليه رقاق

لم يكس عارضه السواد وإنما ... نفضت عليه صبغها الأحداق

وقوله:

أبدى سوالف رئم زانها العطل ... واستل صارم لحظ هابه البطل

وافتر عن رتل ألمى فعلمني ... ترتيل وصفي فيه ذلك الرتل

وما جريت قصار السبق مرتجلا ... في الشعر حتى بدا لي شعره الرجل

وقوله وقد جلس الى جنبه غلام حسن الصورة، ثم قام وأعقبه رجل أسود:

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم ... فأصبحت أشقى بعدما كنت أنعم

وما هي إلا الشمس حان غروبها ... فأعقبها جنح من الليل مظلم

وقوله في فروة خليعة:

أودى بذات يدي ذماء قرية ... كفؤاد عروة في الضنا والرقة." (٢)

---

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبو البركات الأنباري ص/٢٨٣

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس جـ ٢ العماد الأصبهاني ص/٣١٦

"حيا الحيا قبره وأنبت ما ... عليه من روضه الأنيق حلى

تالله ما حلت عن ولائكم ... يوما ولا اعتضت عنكم بدلا

لكن رأيت الخمول أروح لي ... فما أعاني الخصام والجدلا

في دار مولى تقيم لي أبدا ... جموعه في خصومتي رسلا

يشير إلى قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري، فإن الجماعة كانوا يداعبونه بحضرته، ويغضبونه بكلمته.

من كنت ليث الشرى فغادرني ... بحمل أثقال جوره جملا

أرى نهيق الحمار يطربهم ... وينكرون الجواد إن صهلا

يجحد فضلي وكل ذي أدب ... يمتار مما أصوغ مرتجلا

من لي بخل تدوم خلته ... ولا أرى في خلاله خللا

ترى مياها عيني وبي ظمأ ... وما أروي بوردها الغللا

وهذه قصتي محررة ... نظمت تفصيلها له جملا

ثم هاجر إلى مصر ووصل إليها في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وأنا بها، وأنعم عليه الملك الناصر وشرفه وأكرمه، وزاد إدراره، وأجاد إيثاره.

وأنشدني له في غلام صيقل يكنى أبا الفتوح:

أذاب الجسم حب أبي الفتوح ... وملكه الهوى مالي وروحي

أعار السيف من عينيه حدا ... يصال به على البطل المشيح

وصقلا من سنا خديه يزري ... بضوء البرق للطرف الطموح

التاج البلطي النحوي

أبو الفتح عثمان بن عيسى بن منصور

ذكر أن أصل من بلدة يقال لها بلط، ومولده في بني مايدة بالموصل لثلاث بقين من شهر رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمائة. وانتقل إلى الشام وأقام بدمشق برهة من عمره يتردد إلى الزبداني للتعليم، وكان مقيما بها في صون مقيم، ولما فتحت مصر انتقل إليها وحظي، وأعتبه دهره ورضي، ورتب الملك الناصر صلاح الدين له على جامع مصر كل شهر جاريا، ليكون للنحو بها مقريا، وللعلم قاريا، وكنت لقيته بدمشق فلما وصلت إلى مصر اجتمعت به واستنشدته من شعره فأنشدني من قصيدة له وذلك في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين:

حكمته ظالما في مهجتي فسطا ... وكان ذلك جهلا شبته بخطا

هلا تجنبته، والظلم شيمته ... ودا أسام به خسفا ولا شططا

ومن أضل هدى ممن رأى لهبا ... فخاض فيه وألقى نفسه وسطا

ويلاه من تائه أفعاله صلف ... ملون كلما أرضيته سخطا

أبثه ولهي صدقا، ويكذبنيوعدا وأقسط عدلا كلما قسطا

وأنشدني له من قصيدة:

أبثكما ما ضقت عن حمله فحصا ... فقد عم بالجسم السقام وقد خصا

ومن دون كتمان الصبابة مهجة ... تذوب على من ليس يرحمني حرصا

رشا فاق بدر الأفق حسنا وأشبه ال ... قضيب قواما مذ حكى ردفه الدعصا

وذكر أن للقاضي الفاضل عنده يدا، وقد أسدى إليه عارفة وندى، وبلغ به في الكرامة إلى غاية ليس لها مدى، قال: فعملت فيه عند عوده من الشام وقومه قطعة أولها: قدمت خير قدوم ومنها:

أفديك من قادم لم ... يزل علي كريم

به تباعد بؤسي ... عني ووافى نعيمي

لله عبد رحيم ... يدعى بعبد الرحيم

على صراط سوي ... من الهدى مستقيم

ينمى إلى شرف في ... ذرى المعالي صميم

مهذب حاز ما شئ ... ت من تقى وعلوم

مسهد الطرف يتلو ... آي القرآن العظيم

ومن أهاجيه قوله في أمراء الزبداني بني سرايا:

من أحب الهوان لا يتعدى الد ... هر سكناه بين آل سرايا

ما أعدوا لنازل بهم شي ... ئا سوى اجبه بالخنا والرزايا." (١)

"ثم أهدى الرشيد ابن الزبير ديوان أبي الصلت إلى الداعي محمد بن سبأ فوجد القصيدة فيه، فكتب إلى الأديب أبي بكر بعدن كتابا يأمره فيه بتسيير القصيدة إليه إلى الجبال فنسخها الأديب بخطه وزاد في آخرها اعتذارا عن ابن الطرائقي، وكان قد مات، قوله:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٤٥٦/٢

هذي صفاتك يا مكين وإن غدا ... فيمن سواك مديحها مغصوبا

فاغفر لمهديها إليك فإنه ... قد زادها بشريف ذكرك طيبا

وذكر أنه حدثه الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن الأبي قال: أذكر ليلة أنا أمشي مع الأديب على ساحل عدن وقد تشاغلت عن الحديث معه فسألني في أي شيء أنت مفكر؟ فأنشدته:

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته ... لعل طرف الذي أهواه بنظره

فقال لمن هذا البيت؟ قلت: لي، فأنشد مرتجلا:

يا راقد الليل بالإسكندرية لي ... من يسهر الليل وجدا بي وأسهره

ألاحظ النجم تذكارا لرؤيته ... وإن مرى دمع أجفاني تذكره

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته ... لعل طرف الذي أهواه ينظره

قال: ثم سمعت أن بصره قد كف، فعلمت أن الأيام طمست بذلك منهاج جمالها، وأطفأت سراج كمالها، فأجناه الله ثمر الخير الذي كان يغرسه، وحرسه ناظر الإحسان الذي كان يرعاه ويحسره، فتزايدت وجاهته، وتضاعفت رفعته ونباهته، وأراد الزمان أن يخفضه فرفعه، وأن يضره فنفعه.

وذكر أن الداعي عمران بن محمد بن سبأ بن أبي السعود بن زريع ليامي لما وقف الأديب ينشده قصيدة عملها فيه، بعد انعكاس نور البصر من ناظره، إلى بصيرة خاطره، حمل إليه ألف دينار واعتذر ولطف له في القول لطفا يسلي الحزين، ويستخف الرزين، ثم لم يرض بذلك حتى أمر مناديا فنادى في الناس من دخل دار الشيخ الأديب فهو آمن. قال: والشعر الجيد الرائق الفائق أقل خصاله، وأكل نصاله. وأورد من شعره قوله يمدح الداعي عمران بن محمد بن سبأ:

عاد الهوى في فؤادي مثل ما بدأ ... لما تعرفت من أهل الحمى نبأ

أملى على القلب ساري البرق مبتسما ... عنهم أحاديث شوق تطرب الملأ

فبت أروي ربي خدي من ديم ... تزداد غلة أحشائي بها ظمأ

رقى العواذل مهراق النجيع بها ... لما ترقرق منهلا فما رقأ

لعل لامع ذاك البرق كان لهم ... طليعة طالع الأسرار فارتبأ

لئن براني هوى أهل الحمى فلكم ... داويت من حبهم دائي فما برأ

يدنيهم الشوق مني والحنين وإن ... شط المزار بهم عن ناظري ونأى

وما تقتصني منهم سوى رشإ ... أفدي بمهجة نفسي ذلك الرشأ

أغن يغنى عن البدر المنير به ... من جالس الشمس من أزراره ورأى

ملء النواظر حسنا حين تلحظه ... وأملك الحسن للألحاظ ما ملأ

ما اهتز غصن الصبا من عطف قامته ... إلا وأزرى بغصن البان أو هزأ

نشوان تحسب صرف الراح رنحه ... أو مدح داعي الهدى عاطاه فانتشأ

عمران أكرم من جاء الزمان به ... فردا وأشرف من في حجره نشأ

كأن قحطان قدما كان أودع في ... ضمائر الفضل سرا منه أو خبأ

من أوطأته على كيوان همته ... لو كان يرضى على كيوان أن يطأ

وأزداد فخرا على ما شاد والده ... محمد، وسبا في مجده سبأ

تناول الغرض الأقصى فأدركه ... واختاز غايات أملاك الورى وشأي." (١)

"من اسمه عبد الجليل

١١٠٠- عبد الجليل بن عبد العزيز بن محمد أبو الحسن

المقرئ بجامع قرطبة مشهور، مولده في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، وتوفى في رجب سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة.

١١٠١- عبد الجليل بن وهبون المرسى

أحد الشعراء الأدباء الفحول يروى من المطروق والمنحول فمما أنشدت له من قصيد وهو فريد:

بيني وبين الليالي همة جلل ... لو نالها البدر لاستخذى له زحل

سراب كان يبان عندما شنب ... وهول كل ظلام عندها كحل

من أبن أبجس لا في السعد قصر بي ... عن المعالي ولا في مقولي خطل

دنا إلى الدهر فلتكره سجيته ... ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل

وله وقد ركب بإشبيلية زورقا في نهرها في ليلة مظلمة وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعها في اللجة فقال مرتجلا:

كأنما الشمعتان إذا سمتا ... خدا غلام محسن الجيد

وفي حشا الماء من شعاعهما ... طريق نار الهوى إلى كبدي

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٥٣٣/٢

وله وقد قبض على يد غلام وسيم يسايره والناس ينظرون إلى هلال شوال فقال:

يا هلال استتر بوجهك عنا ... إن مولاك قابض بشمالي

هبك تحكي سناه خدا بخد ... قم فجنا لقده بمثال

وله في غلام متلثم:

غزال يستطاب الموت فيه ... ويعذب في محاسنه العذاب

يقبله اللثام هوى وشوقا ... ويجني ورد خديه النقاب." (١)

"وله يتغزل:

سقى فسقى الله الزمان من أجله ... بكأسين من لميائه وعقاره

وحيا فحيا الله دهرا أتى به ... باسين من ريحانه وعداره

وله في حار على فرن ويده في يد فتى يسمى ربيعا فقال له: صف هذا الفرن.

فقال:

[...] فرن رأيته يتلظى ... وربيع [...] وعقيدي

قال شبهه قلت صدر حسود ... حالطا من مكارم المحسود

ومن أعجب ما يحكى وأغرب ما يروى أنه جمعه وأبا إسحق الخفاجي الطريق من لورقة إلى مرسية والعدو – دمره الله – بلبيط ما بين المدينتين إلى أن مرا بمشهدين وعليهما رأسان باديان وكأنهما بالتحذير لهما يناديان فقال أبا إسحاق **مرتجلا**:

ويا رب رأس لا تزاور بينه ... وبين أخيه والمحل قريب

أقاف به صلد الصفا فهو منبر ... وقام على أعلاه فهو خطيب

فقال عبد الجليل مسرعا:

يقول حذارا لا اغترارا فربما ... أناخ قتيل بني ومر سليب

وينشدنا أنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فإن لم يزره صاحب وخليله ... فقد زاره نسر هناك وذيب

فها هو إما منظرا فهو ضاحك ... إليك وإما نصبة فكئيب

فما أتم قوله حتى لاح لهما قتام انقشع عن سرية خيل، فما أقحلت، إلا وعبد الجليل قتيل، وابن خفاجة

---

(١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ابن عميرة ص/٣٨٧

سليب وهذا من أغرب تفول وأصدق تفول. توفى في حدود الثمانين وأربعمائة.

من اسمه عبد الحق

١١٠٢- عبد الحق بن أحمد بن." (١)

"الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن أحمد بن بشر يفخر فيها بالعلم ويذكر أصناف ما علم وفيها:

ولي نحو أكتاف العراق صبابة ... ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب

فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم ... فحينئذ يبدو التأسف والكرب

فكم قائل أغفلته وهو حاضر ... وأطلب ما عنه تجيء به الكتب

هنالك يدري أن للبعد قصة=وأن كساد العلم آفته القرب ومنها في الاعتذار عن المدح لنفسه:

ولكن لي في يوسف خير أسوة ... وليس علي من بالنبي أئتسي ذنب

يقول وقال الحق والصدق إنني ... حفيظ عليم ما على صادق عتب

وله من أخرى:

منأى من الدنيا علوم أبثها ... وأنشرها في كل باد وحاضر

دعاء إلى القرآن والسنن التي ... تنسى رجال ذكرها في المحاضر

وأنشد لنفسه:

أين وجه قول الحق في نفس سامع ... ودعه فنور الحق يسري ويشرق

سيؤنسه رفقا فينسى بفاره ... كما نسى القيد الموثق مطلق

وأنشد لنفسه:

لئن أصبحت مرتجلا بشخصي ... فروحي عندكم أبدا مقيم

ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعانيه الكليم." (٢)

"فصل في الأخبار المتعلقة بالطارئين والوافدين على جزيرة الأندلس من أول السنة الخامسة إلى سنة ٥٠٢هـ

قال علي بن بسام: ممن طرأ على الأندلس أبو العلا صاعد بن أبو الحسن البغدادية اللغوي. ولما دخل

---

(١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ابن عميرة ص/٣٨٨

(٢) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ابن عميرة ص/٤١٧

قرطبة في أيام المنصور محمد بن أبي عامر، عزم المنصور على أن يقفي به آثار أبي علي البغدادي الوافد على بني أمية، فما وجد عنده نمما يرضيه. وأعرض عنه أهل العلم وقدحوا في عمله وعقله ودينه، ولم يأخذوا عنه شيئا لقلة الثقة به. وكان ألف فيه كتاب (سماه الفصوص) ودحضوه، ورفضوه، ونبذوه في النهر. ومن الغريب ما جرى له إذ المنصور جلس يوما وعنده أعيان دولته من أهل العلم.

كالذبيدي والعاصمي وابن العريف وغيرهم. فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا يزعم أنمه متقدم في هذه الأحوال التي أنتم عيونها، وأحب أن يمتحن فوجه إليه. فلما مثل بين يديه والمجلس قد احتفل خجل فرفع المنصور مجلسه، وأقيل عليه. وسأله عن أبي سعيد السيرافي. فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه.

فبادر العاصمي بالسؤال عن مسألة في الكتاب فلم يحضره جوابها واعتذر بأن النحو ليس جل بضاعته.

فقال الزبيدي: فما تحسن أيها الشيخ؟ قال حفظ الغريب. قال فما وزن أولق؟ وضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا؟ إنما يسأل عنه صبيان الكتب. قال الزبيدي: قد سألناك ولا نشك أنك تجهله. فتغير لونه وقال: افعل وزنه. قال الزبيدي: صاحبكم ممخرق. فقال له صاعد: أخاك الشيخ صناعته البنية. قال له: أجل. قال صاعد وبضاعتي حفظ الأشعار. ورواية الأخبار، وفك العمى وعلم الموسيقى. قال فناظره ابن العريف فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا وأنشد عليها شعرا شاهدا. وأتى بحكاية تجانسها فأعجب المنصور ثم أراه كتاب النوادر لابن علي فقال إن أراد المنصور أمليت على مقيدي خدمته وكتاب دولته كتابا أرفع منه وأجل لا أورد فيه خبرا مما أورده أبو علي. فأذن له المنصور في ذلك وجلس بجامع مدينة الزاهرة يملي كتابه المترجم بالفصوص. فلما أكمله تتبعه أدباء الوقت. فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم، وسألوا المنصور في تجليد كراريس بيضاء تزال جدتها، فهم المقدم وترجم عليها النكت تأليف أبي الغوث الصنعاني. فترامى إليه صاعد حين رآه وجعل يقبله. وقال أي والله قرأته بالبلد الفلاني على الشيخ أبي فلان فأخذه المنصور من يده خوفا أن يفتحه وقال له: إن كنت قرأته كما تزعم فعلى ما يحتوي؟ قال: وأبيك لقد بعد عهدي به ولا أحفظ الآن منه شيئا. ولكنه يحتوي على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر فقال له المنصور أبعد الله مثلك فما رأيت أكذب منك وأمر بإخراجه وأن يقذف بكتاب الفصوص في النهر فقال فيه بعض الشعراء:

قد غاص في النهر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد عاد إلى معدنه إنما يوجد في قعر البحار الفصوص قال ابن بسام: وما أظن صاعدا يجتري على مثل هذا، وإنما صاعدا اشترط أن لا يأتي إلا بالغريب غير المشهور، وأعنتهم على نفسه بما كان يتنفق

به من الكذب ومن أعجب ما جرى له أنه كان بين يدي المنصور حين أحضرت له وردة في غير وقتها لم يستتم فتح ورقها فقال فيها صاعد **مرتجلا:**

أتتك أبا عامر وردة ... يذكرك المسك أنفاسها

كعذراء بصرها مبصر ... فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده، وجرى إلى مناقضته. وقال لابن أبي عامر هذان البيتان لغيره وقد أنشدهم بعض البغداديين بمصر لنفسه وهما عندي على ظهر كتاب بخطه قال المنصور أرينه فخرج ابن العريف وركب دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى فقال:

عشوت إلى قصر عباس ... وقد جدل النوم حراسها

فألقيتها وهي في خدرها ... وقد صرع السكر أناسها

فقالت أسائر على هجعة ... فقلت بلى فرمت كأسها

ومدت يدها إلى وردة ... عكس لك الطيب أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها رأسها

وقالت بحق الله لا تفضحن ... في ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على غفلة ... وما خنت ناسي ولا ناسها." (١)

"أبو ناضرة إلى عبيد الله بن سليمان، فقال:

أيظعن في جملة الظاعنين ... غدا أم يقيم أبو ناضرة؟

فقال الوزير:

يقيم يقيم على رغمه ... وتحلق لحيته الوافرة

فقال عبيد الله بن الفرج، كاتب سر عبد الله سرا:

ويصفع من غير ما حشمة ... وتؤتى حليلته الفاجرة

وذكر أبو عبد الله التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة

قال: حدثني محمد بن الحسن البصري، قال: حدثني الهمداني الشاعر، قال: قصدت ابن الشملغاني في

---

(١) لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة الأسعد بن مماتي ص/٨٥

ما درايا، فأنشدته قصيدة قد مدحته بها، وتأنقت فيها، وجودتها؛ فلم يحفل بها. فسكنت أغاديه كل يوم، وأحضر مجلسه إلى يتقوض الناس؛ فلا أرى للثواب طريقا. فحضرته يوما، وقد احتشد مجلسه، فقام شاعر؛ فأنشد نونية، إلى أن بلغ فيها إلى بيت هو:

فليت الأرض كانت مادرايا ... وليت الناس آل الشلمغاني

فعن لي في هذا الوقت هذا البيت، فقمت إليه مسرعا:

إذا كانت بطون الأرض كنفا ... وكل الناس أولاد الزواني

فضحك، و أمرني بالجلوس، وقال: نحن أحوجناك لهذا، وأمر لي بجائزة سنية، فأخذتها وانصرفت.

وكان أبو عمر أحمد بن عبد ربه صديقا لمحمد بن يحيى بن القلفاظ الشاعر

ثم فسد ما بينهما وتهاجيا؛ وكان سبب الفساد بينهما أن ابن عبد ربه مر يوما، وكان في مشيته اضطراب؛ فقال: يا أبا عمر؛ ما علمت أنك آدر إلا اليوم لما رأيت مشيتك، فقال له ابن عبد ربه: كذبتك عرسك أبا محمد! فعز على القلفاظ كلامه، وقال له: أتتعرض للحرم! والله لأرينك كيف الهجاء! ثم صنع قصيدة أولها:

يا عرس أحمد إني مزمع سفرا ... فودعيني سرا من أبي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك. وكان القلفاظ يلقبه بطلاس، لأنه كان أطلس لا لحية له؛ ويسمى كتابع العقد حبل القوم؛ فاتفق اجتماعهما مرة عند بعض الوزراء، فقال الوزير للقلفاظ: كيف حالك اليوم مع أبي عمر؟ فقال **مرتجلا:**

حال لي طلاس عن رائه ... وكنت في قعدد أبنائه

فبادره ابن عبد ربه، فقال:." (١)

"فقال: لمن هذا البيت؟ فقلت: لي، فأنشد **مرتجلا:**

يا راقد الليل بالإسكندرية لي ... من يسهر الليل وجدا حين أسهره

ألاحظ النوم تذكارا لطلعته ... وإن جرى دمع أجفاني تذكره

قال علي بن ظافر

---

(١) بدائع البدا ائه ابن ظافر الأزدي ص/٣٠

اتفق أن خرجنا للقاء القاضي الفاضل، فرأيت في الموكب رجلا أسود اللون، وعليه جبة حمراء، فأنكرته ولم أعرفه، ولقيت القاضي الأسعد أبا المكارم أسعد بن الخطير أطال الله بقاءه، فقلت له: من هذا الأسود الذي كأنه فحمة من دم حجامة؟ فقال لي:

كأنه ناظر طرف أرمد

فقلت: يصلح أن يكون قبله:

وأسود في ثوبه المورد

وبعده:

أو مثل خال فوق خد أمرد

ثم لقيت بعد ذلك القاضي السعيد بن سناء الملك – رحمه الله تعالى – فأنشدته إياهما، وكتمته الأول، وقلت: قد صنعت لهما أولا، فاصنع أنت أيضا، وقصدت بذلك اختبار القافية وتمكنها؛ إذ كل خاطر إنما يبادر إليها، فقال:

وأسود في ملبس مورد

فعجبت من توارد الخاطرين لما كانت القافية متمكنة غير مستدعاة ولا مجتلبة، إلا أن قوله: في ملبس أحسن من قولي: في ثوبه.

قال علي بن ظافر

وخرجت أنا وشهاب الدين يعقوب ابن أخت ابن المجاور ونحن بالإسكندرية أيام حلول الملك العزيز – رحمه الله – بها، إلى جزيرتها المباركة لزيارة قبر صاحبنا القاضي الأعز أبو الحسن علي بن المؤيد المردد ذكره في هذا الكتاب؛ وقد كان توفي أغبط ما كان بالحياة، وأبعد ما كان من تخوف الوفاة، وغصن شبابه رطيب، والزمان على منبر فضله خطيب، فلما نزلنا بفناء قبره، وأسبلنا سيل المدامع لذكره، أنشدني شهاب الدين بيتين صنعهما في الطريق، وهما:

أيا قبر الأعز سقيت غيثا ... كجود يديه أو دمعي عليه

فلا وإخائه الصافي ودادا ... وددت الموت من شوقي إليه

فقال: إن بين الأول والثاني فرجة، تريد بيتا ليسدها، فلعلك أن تسعدني، فقلت:

وحلت جانبيك مروج زهر ... تحاكي طيب أوقاتي لديه

ومنه إجازة بيت وقسيم بقسيم

كما روى إسحاق الجصاص، قال: صنع زهير بن أبي سلمى بيتا وقسيما، وهما:

تراك الأرض إما مت خفا ... وتحيا إن حييت بها ثقيلا

نزلت بمستقر العز منها." (١)

"أبو العباس الضبي، وقد وقف على رءوسنا غلام كأنه فلقة قمر، فقال الصاحب **مرتجلا:**

أين ذاك الظبي أينه

فقال أبو العباس الضبي:

شادن في زي قينة

فقال الصاحب:

بلسان الدمع تشكو ... أبدا عيناي عينيه

فقال أبو القاسم:

لي دين في هواه ... ليته أنجز دينه

فزاد الأمير أبو الفضل عند إنشاد أبي القاسم فقال:

لا قضى الله ببين ... أبدا بيني وبينه

وأخبرت أن الأمير أبا الفتح بن أبي حصينة السلمي وأبا محمد عبد الله بن محمد بن سعد الخفاجي الحلبي

اجتمعنا عند الأمير سديد الملك أبي الحسين علي بن المقلد بن نصر بن منقذ الكناني، فتفاوضوا في فنون الأدب، فقال ابن أبي حصينة:

قمر إن غاب عن بصري

فقال الخفاجي:

ففؤادي حد مطلعه

فقال ابن أبي حصينة:

لست أنسى أدمعي ولها

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/٦٣

فقال الخفاجي:

خلطت في فيض أدمعه

فقال سديد الملك:

قلت زرني قال مبتسما ... طمع في غير موضعه

قال علي بن ظافر

أخبرني من أثق به بما معناه، قال: خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون، ومعهما الوزير ابن خلدون من إشبيلية إلى منظرة لبني عباد بموضع يقال له الغيث، تحف به مروج مشرقة الأنوار، منتسمة النجود والأغوار، مبتسمة عن ثغور النوار، في زمن ربيع سقت السحب الأرض فيه بوسميها ووليها، وجلتها في زاهر ملبسها وباهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالأزر الخضر من نباتها، وأجياد الجداول قد نظم النور قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسيم عند هباتها، وهناك من البهار ما يزري بمداهن النضار ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الأجفان، وقد نووا الانفراد باللهو والطرب، والتنزه في روضتي النبات والأدب، وبعثوا صاحبا لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم، ونظام مسرتهم ليأتيهم بشراب يذهبون الهم بذهبه في لجين زجاجه، ويرمونه منه بما يقضي بتحريكه للهرب عن القلوب وإزعاجه، وجلسوا لانتظاره، وترقب عوده على آثاره. فلما بصروا به مقبلا من الفج بادروا إلى لقائه، وسارعوا إلى نحوه وتلقائه. واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه، ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه، وكسر قمعل الشراب الذي كان معه، وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه، ومضى على غلوائه راكضا." (١)

"يا بن اللخناء أو لآتين عليك! فقال مرتجلا:

إلا قريشا فإن الله فضلها ... مع النبوة بالإسلام والخير

ترى وجوه بني مروان مشرقة ... يوم الندى كشرفات الدنانير

فقال عبد الملك: أولى لك! ورضي عنه.

ومن ذلك ما روى أن أبا الخطاب عمر بن عامر السعدي المعروف بابن الأشد موسى الهادي

يا خير من عقلت كفاه حجزته ... وخير من قلدته أمرها مضر

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٢٠

فقال له الهادي: إلا من؟ فقال واصلا كلامه:

إلا النبي رسول الله إن له ... فخرا وأنت بذاك الفخر تفتخر

فظن الهادي والحاضرون أن البيت مستدرك، ونظر في صحيفته فلم يجده. فأضعف صلته.

وروى أن علي بن جبلة الأعمى العكوك لقي طاهر بن الحسين وهو في حراقة له

فقال له طاهر: إنك قد قلت في أبي دلف:

إنما الدتيا أبو دلف ... بين مبداه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

فاصنع لي مثلهما ولك بكل بيت ألف، فصنع بديها:

عجبت لحراقة ابن الحسي ... ن كيف تعوم ولا تغرق

وبحران، من تحتها واحد ... ومن فوقها آخر مطبق

وأعجب من ذاك أعوادها ... وقد مسها كيف لا تورق!

فأمر له بثلاثة آلاف درهم، فأخذها وانصرف.

وذر الصولي في كتاب الوزراء

قال: حدثنا عيسى بن حماد، قال: شرب الحسن بن وهب عند عبد الله بن طاهر، فعرضت سحابة فأبرقت

ثم أمطرت، فقال بعض من حضر المجلس: قل في هذا شيئا، فقال:

هطلتنا السماء هطلا دراكا ... عارض المر زمان فيه السماكا

قلت للبرق إذ توقد فيها: ... يا زناد السماء من أوراكا

أحبيبا نأيته فجفاكا ... فهوذا العارض الذي أبكاكا

أم تشبهت بالأمير أبي العباس في جوده، فلست هناكا؟

وذكر ابن المثنى

قال: قلت لخالد الكاتب: أخبرني عن قولك:." (١)

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٥٦

"وأنفذته إليه وهو في مجلس أنه مع مملوك لي للوقت، فعاد مخلوعا عليه خلعة خاصة

الفصل الثاني

فيما وقع من بدائع البدائه من غير اقتراح

روى مرة أن بن محكان السعدي تميم

قدم بين يدي مصعب بن الزبير أيام ولايته العراق لأخيه عبد الله بن الزبير – وأظن ذلك بعد وقعة الحرة، ودخول مصعب البصرة – فأمر رجلا من بني أسد بقتله، فقال مرة بن محكان بديها:

بني أسد إن تقتلوني تحاربوا ... تميما إذا الحرب العوان اشمعلت

ولست وإن كانت إلى حبيبة ... بباك على الدنيا إذا ما تولت

وذكر الطبري

أن الوليد بن عبد الملك – أو سليمان – مضى إلى الحج، فلما وصل إلى المدينة أتى له بجماعة من أسرى الروم ففرقهم على أشرافها ليقتلوهم، فأعطى عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أسيرا منهم ليقتله، فقام وحسر عن ساعديه، وطلب سيفا فلم يجسر أحد أن يعطيه سيفا، فناوله بعض الحرس سيفا كليلا، فضرب به الأسير ضربة أطارت رأسه وبعض كتفه، فعجب الناس وقالوا: ما قطعها إلا حسبه. ثم أعطى أسيرا لجرير، فقام إليه بعض بني عبس سيفا صارما فضرب به الأسير فأطار رأسه، ثم أعطى أسيرا للفرزدق. فدس اليه بعض بني عبس سيفا كهاما ضرب به الأسير نبا فضحكوا وخجل الفرزدق ثم قال: يا أمير المؤمنين، هبه لي ففعل. فأعتقه، ثم قال مرتجلا يعتذر، ويعير بني عبس:

فإن يك خان أو قدر نبا ... لتأخير نفس حينها غير شاهد

فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... وتقطع أحيانا مناط القلائد

– عيرهم بنبو سيف ورقاء بن زهير بن جذيمة عن رأس خالد بن جعفر الكلابي قاتل أبيه زهير، وقد كان ضربه عدة ضربات، وهو ملق نفسه على زهير، فلم يصنع شيئا، وفي ذلك يقول جرير يهجو الفرزدق:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

فأجابه الفرزدق بقوله:." (١)

"ولا تقتل الأسرى ولكن نفكهم ... إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وروى أنه سكر يوما فتكشف فمرت به امرأة فسخرت منه

فأنشأ يقول:

وأنت لو باكرت مشمولة ... صهباء مثل الفرس الأشقر

عدت وفي رجليك ما فيهما ... وقد بدا هنك من المئزر

وروى أبو الغراف

قال: إن الحجاج قال لجرير والفرزدق، وهو في قصره بجزيز البصرة: ائتياني في لباس آبائكما في الجاهلية؛ فلبس الفرزدق الديباج والخز، وقعد في قبة وشاور جرير دهاة بني يربوع وشيوخهم، فقالوا: مالباس آبائنا إلا الحديد. فلبس درعا، وتقلد سيفا، وتابط رمحا، وركب فرسا لعباد بن الحصين الحبطى، وأقبل في أربعين فارسا، من بني يربوع، وجاء الفرزدق في هيئته، فقال جرير:

لبست سلاحي والفرزدق لعبة ... عليه وشاح كرج وخلاخله

أعدوا مع الخز الملاب فإنما ... جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا، فوقف جرير في مقبرة بني حصن، ووقف الفرزدق في المربد.

وروى أن الحجاج لما أتى بالحكم بن المنذر الجارود

قال: أنت الذي قال فيك الشاعر:

ياحكم بن المنذر الجارود ... سرادق العز عليك ممدود

قال: نعم، قال: والله لأجعلن سرادقك السجن، فقال الحكم **مرتجلا:**

متى مأكن في السجن في حبس ماجد ... فإني على ريب الزمان صبور

فلو كنت النكث والغدر لم أجب ... دعاك؛ ولو منك الأمان غرور

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٨٣

لقد كنت دهرا لا أخوف بالتي ... أخاف، ولايسطو على أمير
فقال الحجاج: لله أبوك! إن زعارة العرب لبنية فيك؛ خلوا سبيله.

وروى عن عبد الأعلى الشيباني أن حماد عجرد ومطيع ابن إياس اجتمعا في مجلس محمد بن خالد، وهو أمير الكوفة للسفاح، فتمازحا

فقال حماد:

يا مطيع يا مطيع ... أنت إنسان رقيع

وعن الخير بطئ ... وإلى الشر سريع

فقال مطيع:

إن حمادا لئيم ... سفلة الأصل عديم." (١)

"قد رمى المهدي ظبيا ... شك بالسهم فؤاده

وعلى بن سليما ... ن رمى كلبا فصاده

فهنيئا لهام ك ... ل فتى يأكل زاده

فخجل علي بن سليمان، وضحك المهدي، وأمر له بجائزة.

وذكر دعبل بن علي

قال: كان لأبي الشمقمق على بشار مائتا درهم في كل سنة، فأتاه أبو الشمقمق في بعض السنين فقال: هلم الجزية يا أبا معاذ، فقال: ويحك! أوجزية هي؟ قال: نعم هو ما تسمع، فقال له بشار يمازحه: أنت أفصح أو أحكم مني؟ قال: لا، قال: فلم أعطيك؟ قال: لئلا أهجوك، قال: لئن هجوتني لأهجونك، قال أبو الشمقمق: أو هكذا هو؟ قال: نعم ما بدالك. فقال أبو الشمقمق:

إني إذا ما شاعر هاجانيه ... ولج في القول له لسانيه

أدخلته في است أمه علانيه ... بشار يا بشار ...

أراد أن يقول: يا بن الزانية. فوثب إليه بشار وأمسك فاه، ثم قال: أراد والله أن يشتمني، ثم دفع إليه مائتي درهم وقال: لا يسمع هذا منك الصبيان.

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٨٤

وروى أن أبا نواس لما وفد على الخصيب

قال له مرة يمازحه وهو بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في قول الشعر، ولكنك لا تخطب، فقام من فوره وصعد المنبر وأنشد مرتجلا:

محضتكم يا أهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات البلاد شروب

فإن يك باق سحر فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت إليه وقال: لا يأتى بها والله خطيب مصقع. فاعتذر إليه، وحلف أنه إنما كان يمازحه.

وروى أنه كان تنزه مرة مع عيسى بن الرشيد بالقفص في أواخر شعبان

فلما كان في اليوم الموفى ثلاثين قيل لأبي نواس: هذا يوم شك، وبعض الناس يصومه احتياطا. فقال: ليس الشك حجة على اليقين، حدثنا أبو جعفر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته "، ثم التفت إلى عيسى وارتجل:

لو شئت لم نبرح من القفص ... نشربها حمراء كالفص

نسرق هذا اليوم من شهرنا ... فالله قد يعفو عن اللص

وذكر يزيد بن أبي اليسر الرياضي في أمثاله

قال: حدثنا أبو سهل الحاسب،." (١)

"سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة ... من الدهر إلا من حبيب على وعد

قال علي بن ظافر

وهذه الحكاية تشبه حكاية ذكرها الفتح ابن خاقان في قلائد العقيان أوردتها ها هنا قاطعا ترتيب الحكايات طلبا للمجانسة حتى إذا نجزت عدنا لترتيب الأخبار على ترتيب الأعصار، قال الفتح بن خاقان: أخبرني الوزير أبو عامر بن يشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات، ونامت عنه أعين المضرات، وأظهر سقاته غصونا تحمل بدورا، وتطوف من المدام بنار مازحت من الماء

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٨٦

نورا، وشموس الكاسات تشرق في أكف سقاتها كالورد في السوسان، وتغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الأجفان. وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي، وهو يومئذ قد بذل الجهد، في التحلي بالزهد، فأمر القائد ساقيه أن يعرض عليه ذهب كاسه، ويحييه بزبرجد آسه، ويغازله بطرفه، ويميل عليه بعطفه، ففعل ذلك عجلا، فأنشد أبو الحسن **مرتجلا:**

ومهفهف مزج الفتور بشدة ... وأقام بين تبذل وتمنع

يثنيه من فعل المدامة والصبا ... سكران: سكر طبيعة وتصنع

والله لولا أن يقال هوى الهوى ... منه بفضل عزيمة وتمنع

لأخذت في تلك السبيل بمأخذي ... فيما مضى ونزعت فيها منزعي

أخبرنا المسكي

عن السلفي، عن جعفر بن أحمد بن السراج، وابن يعلان الكبير، قالا: أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستاني، قال: أخبرنا أبو يعقوب النجيرمي، حدثنا أبو الجود العروضي، عن جحظة البرمكي، قال: حدثنا أبو عبادة البحتري الشاعر - وكان المتوكل أدخله في ندمائه - قال: دخلت على المتوكل يوما، فرأيت في يديه درتين، ما رأيت أشرق من نورهما، ولا أنقى بياضا ولا أكبر، فأدمت النظر إليهما، ولم أصرف طرفي عنهما، ورآني المتوكل، فرمى إلى التي كانت في يده اليمنى، فقبلت الأرض، وجعلت أفكر فيما يضحكه طمعا في الأخرى، فعن لي أن قلت:

بسرمرا لنا إمام ... تغرف من كفه البحار

خليفة يرتجى ويخشى ... كأنه جنة ونار." (١)

"وخرفانها للأكل فيها كراهة ... فما لحصيف الرأي فيهن مأكل

وما يجتني معناه إلا مبرز ... عليم بأسرار القلوب محصل

فأجابني وأملي على الرسول في الحال **ارتجالا:**

جوابان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مضلل

فمن ظنه كرما فليس بكاذب ... ومن ظنه بخلا فليس يجهل

لحومهما الأعناب والرطب الذي ... هو الحل والدار الرحيق المسلسل

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٩٣

ولكن ثمار النخل وهي غضيضة ... تعاف وغصن الكرم يجنى ويؤكل

يكلفنا القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدرا بل أعز وأطول

ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ... جديرا ولكن من يجيبك يقبل

فأجبته ثانيا بقولي:

أثار ضميري من يعز نظيره ... من الناس طرا بل أعز وأفضل

تساوي له سر المعاني وجهرها ... وسائرها باد لديه مفصل

ومن قلبه كل العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار تشعل

ولما أثار الحب قاد صنيعه ... أسيرا بأنواع البيان يكبل

وقربة من كل فهم بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل

وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... **ومرتجلا** من غير ما يتمهل

فيخرج من بحر ويسمو مكانه ... جلالا إلى حيث الكواكب تنزل

فهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنه والعمر منها مطول

فأجابني **مرتجلا** وأملاه في الحال:

ألا أيها القاضي الذي بدهائه ... سيوف على أهل الضلال تسلل

فؤادك معمور من العلم آهل ... وجدك في كل المسائل مقبل

فإن كنت بين الناس غير ممول ... فأنت من الفهم المصون ممول

إذا أنت خاصمت الخصوم مجادلا ... فأنت وهم مثل الحمائم أجدل

كأنك علم الشافعي مخاطبا ... ومن قلبه تملي فما تتمهل

وكيف يرى علم ابن إدريس دارسا ... وأنت بإيضاح الهدى متكفل

تفضلت حتى ضاق ذرعي تكرما ... فقلت وكفى عن جوابك أجمل

لأنك في كنه الثريا فصاحة ... وأعلى، ومن يبغى مكانك أسفل." (١)

"ما ضر أن قيل إسحاق وموصله ... ها أنت، وذي حمص وإسحاق

أنت الرشيد فدع من قد سمعت به ... وإن تشابه أخلاق وأعراق

لله درك داركها مشعشة ... واحفر فساقك ما قامت به ساق

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/٢٠٥

قال وساير ابن عمار في بعض أسفاره

وكان معه غلامان من بني جهور أحدهما أشقر العذار، والآخر أخضره، فجعل يميل بحديثه إلى المخضر العذار، فقال **ارتجالا**:

تعلقته جهوري النجار ... وحلو اللمى جوهري الثنايا

من النفر البيض جرد الزمان ... رقاق الحواشي كرام السجايا

ولا غرو أن تغرب الشارقات ... وتبقى محاسنها بالعشايا

ولا وصل إلا جمان الحديث ... تساقطه من ظهور المطايا

شنئت المثلث للزعفران ... وملت إلى خضرة في التفايا

قال علي بن ظافر: ومعنى هذا البيت أنه أبغض المثلث، لدخول لزعفران فيه، لشبهه بعذار الأشقر منهما، وأحب خضرة التفايا، وهي لون من طعام يعمل بالكزبرة، لشبهها بعذار الأخضر منهما.

قال علي بن ظافر

وذكر صاحب قلائد العقبان ما معناه أن ابن عمار تنزه بالدمشق بقرطبة، وهو قصر شيده خلفاء بني أمية وزخرفوه، ودفعوا صرف الدهر عنه وصرفوه، وأجروه على إرادتهم وصرفوه، وذهبوا سقفه وفضضوها، ورخموا أرضه وروضوها، فبات به والسعد يلحظه بطرفه، والروض يحييه بعرفه، فلما استنفد كافور الصبح مسك الغسق، ورصع أبنوس الظلام نضار الشفق، قال **مرتجلا**:

كل قصر غير الدمشق يذم ... فيه طاب الحيا وفاح المشم

منظر رائق وماء نمير ... وثرى عاطر وقصر أشم

بت فيه والفجر والليل عندي ... عنبر أشهب ومسك أحم

وقال علي بن ظافر

وأخبرني الفقيه أبو العرب إسماعيل ابن معوشة الكناني السبتي، قال: أخبرني شيخ من أهل إشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد، وكان عليه من آثار كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق، وينطق بأن قوله

الحق. قال: كنت في صباي حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحني عين أحد إلا ملكت قلبه، وخلست خلبه، وسلبت لبه. وأطلت كربه، فبينا أنا واقف على." (١)

"فلا تبصر ولا ترى. وكان المتوكل ابن الأفطس يعده غاية الأدب، ويعده منبهة للطرب ومدفعة للكرب، فباتوا ليلتهم يديرون لمع لهب، يمنون فيه الخلود ويحتسون ذوب ذهب، لا يصهر به ما في بطونهم والجلود، حتى تركتهم ابنة الخابية، كأنهم أعجاز نخل خاوية. فلما هزم رومى الصباح زنجي الظلام، ونادى الديك: حي على المدام، انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلا، وأنشد **مرتجلا**:

يا شقيقي واف الصباح بوجه ... ستر الليل نوره وبهاؤه

فانتبه واغتنم مسرة يوم ... ليس يدري بما يجيء مساؤه

فانتبه أخوه أبو بكر لصوته، وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته، وانتبه أخوهما أبو الحسن وهو يرتجل:

يا أخي قم تر النسيم عليلا ... باكر الراح والمدام شمولا

لاتنم واغتنم مسرة يوم ... إن تحت التراب نوما طويلا

فانتبه أخوه لكلامه، رافضا لذة منامه للذة قيامه، وقال **مرتجلا**:

يا صاحبي ذرا لومي ومعتبتي ... وبادرا قهوة من خير ما ذخرا

وبادر ا غفلة الأيام واغتنما ... فاليوم خمر وتبدي في غد خبرا

قال علي بن ظافر

وركب الأستاذ أبو محمد بن صارة مع أصحاب له في نهر إشبيلية، سال أصيلها على لجين الماء عقبانا، وطارت زوارقها في سماء الماء عقبانا، وأبدى نسيمها من الأمواج والدارات سررا وأعكانا، ففي زورق يجول جولان الطرف، ويسود اسوداد الطرف، فقال بديها:

تأمل حالنا والجو طلق ... محياه وقد طفل المساء

وقد جالت بنا عذراء حبلى ... تجاذب مرطها ريح رخاء

بنهر كالسجنجل كوثري ... تعبس وجهها فيه السماء

واتفق أن وقف أبو إسحاق بن خفاجة على القطعة، فاستظرفها واستطابها، فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقها، فأنشد:

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/٢١٠

ألا يا حبذا ضحك الحميا ... بحانها وقد عبس المساء

وأدهم من جياد الماء نهد ... تنسازع حبله ريح رخاء

إذا بدت الكواكب فيه غرقي ... رأيت الأرض تحسدها السماء

وذكر ابن خفاجة في ديوان شعره

وقد أنبأني به ذو النسبتين الحافظ ابن." (١)

"فعز على ابن قلاقس ما فعله، وأوهم أنه يمضي إلى بيت الخلاء، فقام ثم عاد سريعا، فوقف على باب المجلس، وقال:

ليس الحسام حساما ... وإنما هو غمد

يشدو فكم من فؤاد ... تحت السياط يشد

وقد قلت إذ تاه فينا ... تبظرما لا يحد

خرا عليك ولو أن معبدا لك عبد

فكأنما ألقم حجرا.

وأخبرني الأنجب السخاوي الساكن بالإسكندرية

قال: لما وصل الأديب الأعز بن قلاقس من صقليه، وكان قد انتجع أبا القاسم بن الحجر، فانبجس بعيون العطاء وانفجر، خرج للسلام عليه جميع معارفه وخرجت في جملتهم، فلما نزل من المركب، وأخذنا في السلام عليه، إذ بأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي الصلاح قد خرج، فحين وقعت عينه عليه - أي على الأعز - أنشد **مرتجلا:**

أظل هلال العاشقين فلا أهلا ... ولا مرحبا بالقادمين ولا سهلا

ثم انصرف؛ وتركنا متعجبين لسرعة بديهته وقلة وفائه.

أنبأني العماد أبو حامد رحمه الله

قال: جرى بين يدي القاضي الفاضل رحمه الله يوما ذكر حب الصغير، فارتجل هذه الأبيات:

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/٢١٤

طفل كفاه القلب دارا له ... كأنما القلب له قالب

كيوسف الحسن وقلبي له ... سجن وما ثم له صاحب

أصبح والقلب لباس له ... لا قاصر عنه ولا ساحب

وهو بعيني، وهو إنسانها ... وهي له من خارج حاجب

ضاق به ضيق عناقي له ... فلم يسع ما قاله العائب

قال: وجرى بين يديه ذكر سيوف السلطان الملك الناصررحمه الله

فارتجل قطعة، علق بحفظي منها:

ماضيات على الدوام دوامي ... هي في النصر نجدة الإسلام

في يمين السلطان إذا جردتها ... أشبهتها صواعق في غمام

تنثر الهام في الحروب فما أشبه هذي السيوف بالأقلام

في محاريب حربه البيض حلت ... وركوع الظبا سجود الهمام." (١)

"الدر فإما نظمه فرضى الطباع مهياري١ الانطباع وأما نثره فيصدع بسعر البيان ويعطل المثل بقس وسحبان.

ومن أبهر آياته واكبر معجزاته إنه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقراءة وعددهم نيف على العشرين قارئا فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية ن القرآن يتلونها على نسق يتطريب وتشويق فإإذ فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشتبهات لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدد أو يسميها نسقا. فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشان في إيراد خطبته عجلا مبتدرا وأفرغ في أصداف الأسماع من الفاظه دررا وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقرا وأتى بها على نسق القراءة لها لا مقدما ولا مؤخرا ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرا القراء به آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك فكيف بمن ينتظمها مرتجلا ويورد الخطبة الغراء بها عجلا! {أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون٢} ، {إن هذا لهو الفضل المبين٣} فحدث ولا حرج عن البحر وهيهات ليس الخبر عنه كالخبر!

ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا وذابت

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/٢٢٨

بها الأنفس احتراقا إلى أن علا الضجيج وتردد بشهقاته النشيج وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح كل يلقى ناصيته بيده فيجزها ويمسح على رأسه داعيا له ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه فشاهدنا

---

١ رضي الطباع: شبيه في طبعه بالشريف الرضي الشاعر المشهور. مهياري: شبيه بمهيار الديلمي الشاعر أيضا.

٢ سورة الطور، الآية ١٥.

٣ سورة النمل، الآية ١٦.." (١)

"والمكارم، المقدم بين الأكابر والأعاظم.

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه، الإمام الأوحد، جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي، بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصيلة آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو يجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفرا كل الصيد، آية الزمان، وقرة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ومالك أزمة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدر، فاما نظمه فرضي الطباع، مهياري الانطباع، وأما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطل المثل بقس وسحبان.

ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقرآن، وعددهم نيف على العشرين قارئا، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات الى أن يتكاملوا قراءة، وقد أتوا بآيات مشتبهات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عددا، أو يسميها نسقا. فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في ايراد خطبته، عجلا مبتدرا، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه دررا، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقرا، وأتى بها على نسق القراءة لها، لا مقدما ولا مؤخرا. ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها. فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية آية على الترتيب لعجز عن

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/١٩٧

ذلك، فكيف بمن ينتظمها **مرتجلا**، ويورد الخطبة الغراء بها عجلا! «أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون» ، «ان هذا لهو الفضل المبين» فحدث ولا حرج عن البحر، وهيهات ليس الخبر عنه كالخبر!." (١)

"- ١ - وذلك أنه كان لبدر بن عمار جليس أعور يعرف بابن كروس يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره لأنه لم يكن شئ يجرى فى المجلس إلا ارتجل فيه شعرا فقال الأعور لبدر أظنه يعمل قبل حضوره ويعده ومثل هذا لا يجوز وأنا أمتحنه بشئ أحضره للوقت فلما كان فى المجلس ودارت الكئوس أخرج لعبة لها شعر فى طرفها تدور على لولب إحدى رجليها مرفوعة وفى يدها طاقة ريحان فإذا وقفت حذاء إنسان شرب فدارت فقال **مرتجلا**

٢ - المعنى يقول هذه الجارية شعرها طويل قد بلغ نصف بدنها وقد حكمها أهل المجلس فأطوعوها فيما تأمرهم لأنها كانت تدور فإذا وقفت عند رجل شرب فأمرها فيهم نافذ مطاع

٣ - المعنى الريحان الذى وضع فى كفها إنما هو كرها أخذته لم تأخذه طوعا

١١٢

- ١ - المعنى يقول إذا أسكرتنا بوقوفها حذاءنا فجهلها بما فعلت عذر لها لأنها لم تعلم ما تفعل

٢ - المعنى يقول العرب كلها قد لبست فخرابه ويروى كسبت بالباء الموحدة

٣ - الإعراب جعل اسم كان نكرة ضرورة ومثله لحسان

(كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء)

ومثله للقطامى

(قفى قبل التفرق يا ضباعا ... ولا يك موقف منك الوداعا)." (٢)

"خفرات، حتى إذا دارت الكأ؟ ... س، كشفن النحور والصلبانا

رق حتى ظننته خد من أب؟ ... ؟دلني من وصاله هجرانا

١٧٠ دير علقمة: بالحيرة، من ديرتها القديمة، منسوب إلى علقمة بن عدي اللخمي وفيه يقول عدي ابن زيد العبادي:

نادمت في الدير بني علقما ... عاطيتهم مشمولة عندما

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/١٧٦

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٢/١٣٩

كأن ريح المسك في كأسها ... إذا مزجناها بماء السما

"علقم"! ما بالك لم تأتنا؟ ... أما اشتهيت اليوم أن تنعما

من سره العيش ولذاته ... فليجعل الراح له سلما

١٧١ دير العمال: قرية صغيرة للنصارى، فيها دير قديم، سميت به، وهي على يمين القاصد إلى البصرة من بغداد.

١٧٢ دير عمان: بنواحي حلب، ومعناه بالسريانية (دير الجماعة) . قال حمدان بن عبد الرحيم الحلبي:

دير عمان ودير سابان ... هجن غرامي وزدن أشجاني

إذا تذكرت منهما زمنا ... قضيته في عرام ريعاني

واجتازه أبو فراس بن أبي الفرج البزاعي، فقال مرتجلا:

قد مررنا بالدير عمان ... فوجدناه داثرا فشجانا

ورأينا منازلا وطلولا ... دارسات، ولم نر السكانا

وأريتنا لآثار من كان فيها ... قبل تفنيهم الخطوب عيانا

فبكينا فيه، وكان علينا ... لا عليه لما بكينا بكانا

لست أنسى يا دير وقفتنا في؟ ... ؟ك، وإن أورثتني النسيانا

من أناس حلوك دهرا فحلو ... ك، وأمسوا قد عطلوك الآنا

بددتهم يد الخطوب فأصبح؟ ... ؟ت يبانا من بعدهم أسيانا

وكذا شيمة الليالي تميت ال؟ ... ؟حي منا، وتهدم الأركانا

نحن في غفلة بها، وغرور ... ورونا من الردى [ما روانا]

١٧٣ دير عمرو: في جبال طيئ، بقرب قرية يقال لها جو قال زهير:

لئن حللت بجو، في بني أسد ... في دير عمرو، وحالت بيننا فدك

ليأتينك مني منطق قذع ... باق كما دنس القبطية الودك

١٧٤ دير الغادر: هذا الدير بالقرب من حلوان العراق، على رأس جبل.. والدير في موضع نزه يتوافد إليه طواف حلوان للشرب واللعب.

١٧٥ دير الغرس: بالغين المعجمة المفتوحة، والراء الساكنة، وآخره سين. دير قريب من جزيرة ابن عمر، بينهما ثلاثة عشر فرسخا، على رأس جبل عال. وهو دير قديم، كثير الرهبان، نزه الموضع.

١٧٦ دير الغور: هو دير الخصيان. وقد ذكرته.

١٧٧ دير فاخور: بالأردن، وهو الموضع الذي تعمد فيه المسيح عليه السلام من قبل يوحنا المعمدان، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

١٧٨ دير الفأر: دير قديم بأرض مصر، على شاطئ النيل، شاهق البناء، إلى جانبه دير الكلب. وهو حسن نزه، كثير النخل والشجر.

سمي بالفأر، لكثرته فيه منذ القديم.

١٧٩ دير فثيون: في أوله فاء، ثم ثاء مثلثة، وياء مثناه من تحت، وواو، وآخره نون.

وهو دير بسر من رأى، حسن، نزه، مقصود لطيب هوائه، وحسن موقعه، وعذوبة مائه، يقول فيه بعض الكتاب:

يا رب دير عمرته ومنا ... ثالث قسيسه وشماسه

لا أعدم الكأس من يدي رشأ ... يزري لدى المسك طيب أنفاسه

كأنه البدر لاح في ظلم ال؟ ... ؟ليل، إذا حل بين جلاسه

كأن طيب الحياة واللهو ... واللذات طرا جمعن في كاسه

في دير فثيون ليلة الفصح وال؟ ... ؟ليل بهيم ناء بجلاسه

وللثرواني فيه:

هل لك في دير فثيون وفي ... دير ابن مزعوق غير مقتصر

١٨٠ دير فطرس ودير بولس: قال أبو الفرج: هذان الديران بظاهر دمشق، بنواحي بني حنيفة بالغوطة، وموضعهما نزه، حسن، عجيب، كثير البساتين والأشجار والمياه. يسقيها فرع من بردى. قال جرير يذكرهما:

لا وصل إذ صرفت هند، ولو وقفت ... لاستفتنتني، وذا المسحبن في القوس

قد كنت خدنا لنا يا هند، فاعتبري ... ماذا يريبك من شيبي وتقويسي

لما تذكرت بالديرين، أرقني ... صوت الدجاج، وضرب بالنواقيس

فقلت للركب، إذ جد الرحيل بنا ... يا بعد يبرين من باب الفراديس

وقال يذكرهما في رثائه ابنه سوادة:." (١)

---

(١) الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة الحموي، ياقوت ص/٤٤

"آمو:

بضم الميم وسكون الواو: وهي آمل الشط المذكورة قبل هذه الترجمة، هكذا يقولها العجم على الاختصار والعجمة.

آني:

بالنون المكسورة: قلعة حصينة، ومدينة بأرض إرمينية بين خلاط وكنجة.

آيل:

ياء مكسورة ولام: جبل من ناحية النقرة في طريق مكة.

باب الهمزة والباء وما يليهما

أبا:

بفتح الهمزة وتشديد الباء والقصر: عن محمد بن إسحاق عن معبد بن كعب بن مالك، قال: لما أتى النبي، صلى الله عليه وسلم، بني قريظة نزل على بئر من آبارهم في ناحية من أموالهم يقال لها: بئر أبا. قال الحازمي: كذا وجدته مضبوطا محررا بخط أبي الحسن بن الفرات. قال: وسمعت بعض المحصلين يقول إنما هو أنا، بضم الهمزة والنون الخفيفة. ونهر أبا بين الكوفة وقصر ابن هبيرة، ينسب إلى أبا بن الصامغان من ملوك النبط. ونهر أبا أيضا: نهر كبير بالبطيحة.

أباتر:

بالتاء فوقها نقطتان مكسورة وراء، كأنه جمع أبتر، وربما ضم أوله فيكون **مرتجلا**: أودية وهضبات بنجد في ديار غني، لها ذكر في الشعر، قال الراعي:

ألم يأت حيا بالجريب محلنا، ... وحيا بأعلى غمرة فالأباتر

وقال ابن مقبل:

جزى الله كعبا بالأباتر نعمة، ... وحيا بهبود جزى الله أسعدا

أبار:

بالضم والتخفيف وآخره راء: موضع باليمن، وقيل أرض من وراء بلاد بني سعد، وهو لغة في وبار، وقد ذكر هناك مبسوطا وله ذكر في الحديث.

ذكر الأبارق في بلاد العرب

الأبارق:

جمع أبرق، والأبرق والبرقاء والبرقة يتقارب معناها: وهي حجارة ورمل مختلطة، وقيل: كل شيئين من لونين خلطا فقد برقا، وقد أجدت شرح هذا في إبراق فتأمله هناك.

أبارق بينة:

قرب الرويثة، وقد ذكر في بينة مستوفى، قال كثير:

أشاقك برق آخر الليل خافق، ... جرى من سناه بينة فالأبارق؟

والأبارق:

غير مضاف: علم لموضع بكرمان، عن محمد بن بحر الرهني الكرماني.

وهضب الأبارق:

موضع آخر، قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

أأغزو رجال بني مازن، ... بهضب الأبارق أم أقعد؟

وأبارق بسيان:

بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وياء وألف ونون: وقد ذكر في بسيان، قال الشاعر، وهو جبار بن مالك بن حماد الشمخي، ثم الفزاري:

ويل أم قوم صبحناهم مسومة، ... بين الأبارق، من بسيان، فالأكم

الأقربين فلم تنفع قرابتهم، ... والموجعين فلم يشكوا من الألم." (١)

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥٩/١

"أخرم:

بوزن أحمر، والخرم، في اللغة، أنف الجبل، والمخارم جمع مخرم، وهو منقطع أنف الجبل، وهي أفواه الفجاج، وعين ذات مخارم أي ذات مخارج: وهو في عدة مواضع، منها جبل في ديار بني سليم، مما يلي بلاد ربيعة بن عامر بن صعصعة.

قال نصر: وأخرم جبل قبل توز بأربعة أميال من أرض نجد. والأخرم أيضا جبل في طرف الدهناء، وقد جاء في شعر كثير، بضم الراء، قال:

موازية هضب المضيح، واتقت ... جبال الحمى والأخشبين بأخرم

وقد ثناه المسيب بن علس فقال:

ترعى رياض الأخرمين، له ... فيها موارد، ماؤها غدق

الأخروت:

بالضم، ثم السكون، وضم الراء، والواو ساكنة، والتاء فوقها نقطتان: مخلاف باليمن، ولعله أن يكون علما **مرتجلا**، أو يكون من الخرت، وهو الثقب.

الأخروج:

بوزن الذي قبله وحروفه، إلا أن آخره جيم: مخلاف باليمن أيضا.

أخزم:

بالزاي، بوزن أحمر، والأخزم في كلام العرب الحية الذكر، وأخزم اسم جبل بقرب المدينة، بين ناحية ملل والروحاء، له ذكر في أخبار العرب، قال ابراهيم بن هرمة:

ألا ما لرسم الدار لا يتكلم، ... وقد عاج أصحابي عليه، فسلموا

بأخزم أو بالمنحنى من سويقة، ... ألا ربما أهدى لك الشوق أخزم

وغيرها العصران، حتى كأنها، ... على قدم الأيام، برد مسهم

وأخزم أيضا: جبل نجدي، في حق الضباب، عن نصر.

أخسيسك:

بالفتح، ثم السكون، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة، وسين أخرى مفتوحة، وكاف:
بلد بما وراء النهر، مقابل زم، بين ترمذ وفربر، وزم في غربي جيحون، وأخسيسك في شرقيه، وعملهما واحد، والمنبر بزم.

أخسيكث:
بالفتح، ثم السكون، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة، وكاف وثاء مثلثة، وبعضهم يقوله بالتاء المثناة، وهو الأولى، لأن المثلثة ليست من حروف العجم: اسم مدينة بما وراء النهر، وهي قصبة ناحية فرغانة، وهي على شاطئ نهر الشاش على أرض مستوية، بينها وبين الجبال نحو من فرسخ على شمالي النهر، ولها قهندز أي حصن، ولها ربض، ومقدارها في الكبر نحو ثلاثة فراسخ، وبناؤها طين، وعلى ربضها أيضا سور، وللمدينة الداخلة أربعة أبواب، وفي المدينة والربض مياه جارية، وحياض كثيرة، وكل باب من أبواب ربضها يفضي إلى بساتين ملتفة، وأنهار جارية لا تنقطع مقدار فرسخ، وهي من أنزه بلاد ما وراء النهر.
وهي في الإقليم الرابع، طولها أربع وتسعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة ونصف، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب، منهم: أبو الوفاء محمد بن محمد بن القاسم الأخسيكثي، كان إماما في اللغة والتاريخ، توفي بعد سنة ٥٢٠، وأخوه أبو رشاد أحمد بن محمد بن القاسم، كان أديبا فاضلا شاعرا، وكان مقامهما بمرو وبها ماتا، ومن شعر أحمد يصف." (١)

"على الحائطين المكتنفي الدرجة فيرتقى إلى طبقة عالية يشرف منها على البحر بشرافات محيطة بموضع آخر، كأنه حصن آخر مربع يرتقى فيه بدرج أخرى إلى موضع آخر، يشرف منه على السطح الأول بشرفات أخرى، وفي هذا الموضع قبة كأنها قبة الديدبان وليس فيها، كما يقال، غرف كثيرة ومساكن واسعة يضل فيها الجاهل بها، بل الدرجة مستديرة بشيء كالبئر فارغ، زعموا أنه مهلك وأنه إذا ألقي فيها الشيء لا يعرف قراره، ولم أختبره والله اعلم به، ولقد تطلبت الموضع الذي زعموا أن المرآة كانت فيه فما وجدته ولا أثره، والذي يزعمون انها كانت فيه هو حائط بينه وبين الأرض نحو مائة ذراع أو أكثر، وكيف ينظر في مرآة بينها وبين الناظر فيها مائة ذراع أو أكثر، ومن أعلى المنارة؟
فلا سبيل للناظر في هذا الموضع، فهذا الذي شاهدته وضبطته وكل ما يحكى غير هذا فهو كذب لا أصل له. وذكر ابن زولاق أن طول منارة الإسكندرية مائتا ذراع وثلاثون ذراعا وأنها كانت في وسط البلد وإنما

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٢١/١

الماء طفح على ما حولها فأخربه وبقيت هي لكون مكانها كان مشرفا على غيره.

وفتحت الإسكندرية سنة عشرين من الهجرة في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، على يد عمرو بن العاص بعد قتال وممانعة، فلما قتل عمر وولي عثمان، رضي الله عنه، ولى مصر جميعها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاع، فطمع أهل الإسكندرية ونقضوا، فقيل لعثمان: ليس لها إلا عمرو بن العاص فإن هيبته في قلوب أهل مصر قوية. فأنفذه عثمان ففتحها ثانية عنوة وسلمها إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وخرج من مصر، فما رجع إليها إلا في أيام معاوية. حدثني القاضي المفضل أبو الحجاج يوسف بن أبي طاهر إسماعيل بن أبي الحجاج المقدسي عارض الجيش لصلاح الدين يوسف بن أيوب، قال: حدثني الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد الأبي، وأبة من بلاد افريقية، قال: اذكر ليلة وانا امشي مع الأديب ابي بكر احمد بن محمد العيدي على ساحل بحر عدن، وقد تشاغلت عن الحديث معه فسألني: في أي شيء أنت مفكر؟ فعرفته أنني قد عملت في تلك الساعة شعرا، وهو هذا:

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته، ... لعل طرف الذي أهواه ينظره

فقال مرتجلا:

يا راقد الليل بالإسكندرية لي ... من يسهر الليل، وجدا بي، وأسهره

ألاحظ النجم تذكارا لرؤيته، ... وإن مرى دمع أجفاني تذكره

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته، ... لعل عين الذي أهواه تنظره." (١)

"وعبد الله بن أحمد بن حنبل، والحسن بن سهل بن عبد العزيز المجوز بالبصرة، وعلي بن عبد العزيز البغوي بمكة، وأبا علي الحسن بن أحمد بن المسلم الطبيب بصنعاء، وغيرهم، روى عنه أبو بكر محمد بن أحمد ابن علي بن إبراهيم بن جابر التنيسي وأبو محمد بن النحاس وغيرهما، ومات بمصر لعشرين ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٣٣٦.

أصطفانوس:

بالفتح، والفاء، وألف، ونون مضمومة، وواو ساكنة، وسين مهملة: محلة بالبصرة مسماة باسم كاتب نصراني قديم كان في أيام زياد أو ما قاربها.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١/١٨٨

إصطنبول:

بسكون النون، وضم الباء الموحدة، وسكون الواو، ولام: هو اسم لمدينة القسطنطينية، وهناك يبسط القول فيها، إن شاء الله تعالى.

أصفون:

بضم الفاء، وسكون الواو، ونون: قرية بالصعيد الأعلى على شاطئ غربي النيل تحت إشني وهي على تل عال مشرف.

إصمت:

بالكسر، وكسر الميم، وتاء مثناة: اسم علم لبرية بعينها، قال الراعي:

أشلى سلوقية باتت، وبات بها، ... بوحش اصمت في أصلابها، أود

وقال بعضهم: العلم هو وحش اصمت، الكلمتان معا، وقال أبو زيد: يقال لقيته بوحش اصمت وببلدة اصمت أي بمكان قفر، واصمت منقول من فعل الأمر مجردا عن الضمير وقطعت همزته ليجري على غالب الأسماء، وهكذا جميع ما يسمى به من فعل الأمر وكسر الهمزة من اصمت إما لغة لم تبلغنا وإما أن يكون غير في التسمية به عن أصمت بالضم الذي هو منقول في مضارع هذا الفعل، وإما أن يكون مجردا **مرتجلا** وافق لفظ الأمر الذي بمعنى أسكت، وربما كان تسمية هذه الصحراء بهذا الفعل للغلبة لكثرة ما يقول الرجل لصاحبه إذا سلكها اصمت لئلا تسمع فنهلك لشدة الخوف بها.

أصم:

بفتحتين، وتشديد الميم، ضد السميع: أصم الجلحاء وأصم السمرة في ديار بني عامر بن صعصعة ثم لبني كلاب منهم خاصة، ويقال لهما الأصمان، عن نصر.

الأصنام:

جمع صنم: إقليم الأصنام بالأندلس من أعمال شذونة، وفيه حصن يعرف بطبيل في أسفله عين غزيرة الماء عذبة، اجتلب الأوائل منها الماء إلى جزيرة قادس في خزر الصخر المجوف أنثى وذكر، وشقوا به الجبال فإذا صاروا إلى موضع المنخفضة والسباخ بنيت له فيه قناطر على حنايا، كذلك حتى وصلوا إلى البحر، ثم

دخلوا به في البحر الملح ستة أميال في خزر من الحجارة، كما ذكرنا، حتى أخرج إلى جزيرة قادس، وقيل: إن أعلامها إلى اليوم باقية، وقد ذكر السبب الداعي إلى هذا الفعل في ترجمة قادس.

الأصهبيات:

بفتح الهاء، وكسر الباء الموحدة، وياء مشددة، وألف، وتاء، كأنه جمع الأصهبية وهو الأشقر: ماء، وأنشد: دعاهن من ثاج، فأزمعن ورده، ... أو الأصهبيات العيون السوافح

الأصيغ:

ياء مفتوحة، وغين معجمة: هو واد، وقيل: ماء.

أصيل:

ياء ساكنة، ولام: بلد بالأندلس، قال سعد الخير: ربما كان من أعمال طليطلة، ينسب اليه." (١)

"الحضرمي وأبا عاصم النبيل ومكي بن إبراهيم والفضل ابن دكين وقبيصة بن عقبة وإسحاق بن منصور السلولي وأسود بن عامر شاذان وغيرهم، روى عنه أبو حاتم الرازي ومحمد بن خلف وكيع ويحيى بن صاعد والحسين بن إبراهيم المحاملي وغيرهم، وسئل عنه أبو داود سليمان بن الأشعث فقال ثقة.

وأما ثغر أسفيجاب فلم يزل ثغرا من جهته، وقد ذكر أسفيجاب في موضعه نسب إليه هكذا:

طالب بن القاسم الفقيه الثغري الأسفيجابي، كان من فقهاء ما وراء النهر. وثغر فراوة قرب بلاد الديلم ينسب إليه محمد بن أحمد بن الحسين الغطريفي الجرجاني الثغري، وكان الإسماعيلي يدلس به في الرواية عنه، هكذا يقول: حدثنا محمد بن أحمد الثغري. وأما ثغر الأندلس فينسب إليه أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري من أهل قلعة أيوب، سمع بتطيلة من ابن شبل وأحمد بن يوسف بن عباس، وبمدينة الفرج من وهب بن مسرة، ورحل إلى المشرق سنة ٣٥٠ فسمع ببغداد من أبي علي الصواف وأبي بكر بن حمدان، سمع منه مسند أحمد بن حنبل والتاريخ، دخل البصرة والكوفة وسمع بها، وسمع بالشام ومصر وغيرهما من جماعة يكثر تعدادهم، وانصرف إلى الأندلس ولزم العبادة والجهاد، واستقضاه الحكم المنتصر بموضعه ثم استعفاه منه فأعفاه، وقدم قرطبة في سنة ٣٧٥، وقرأ عليه الناس قال ابن الفرضي:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢١٢/١

وقرأت عليه علما كثيرا، فعاد إلى الثغر فأقام به إلى أن مات، وكان يعد من الفرسان، وتوفي سنة ٣٨٣ بالثغر من مشرق الأندلس.

ثغرة:

بالضم ثم التسكين: ناحية من أعراض المدينة.

الثغور:

بالفتح ثم الضم: حصن باليمن لحمير.

الثغيد:

تصغير ثغد، وهو مهمل في كلامهم فيكون **مرتجلا**: ماء لبني عقيل بنجد.

باب الثاء والقاف وما يليهما

ثقبان:

بالفتح ثم السكون، والباء موحدة، وألف، ونون: قرية من أعمال اليمن ثم من أعمال الجند.

الثقب:

من قرى اليمامة، لم تدخل في أمان خالد بن الوليد، رضي الله عنه، لما قتل مسيلمة الكذاب، وهو لبني عدي بن حنيفة.

ثقبة:

بالتحريك: جبل بين حراء وثبير بمكة وتحته مزارع.

ثقف:

بالفتح ثم السكون رجل ثقف أي حاذق:

وهو موضع في قول الحصين بن الحمام المري:

فإن دياركم بجنوب بس ... إلى ثقف إلى ذات العظوم

ثقل:

بالكسر، واحد الأثقال: موضع في قول زهير:

صحا القلب عن سلمى، وقد كاد لا يسلو، ... وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

ويروى الثجل، وقد مر.

ثقيب:

تصغير ثقب: طريق من أعلى الثعلبية إلى الشام.

باب الثاء والكاف وما يليهما

ثكامة:

بالضم: بلد بأرض عقيل قال مزاحم يصف ناقته:

تقلب منها منكبين، كأنما ... خوافيهما حجرية لم تفلل." (١)

"إلى ناعم البردي، وسط عيونه، ... علاجيم جون بين صد ومحفل

من النخل أو من مدرك أو ثكامة، ... بطاح سقاها كل أوطف مسبل

ثكم الطريق: وسطه، والثكم: مصدر ثكم بالمكان إذا أقام به ولزمه.

ثكد:

بالضم، مرتجل: ماء لبني نمير، وقد ضم الأخطل كافه فقال:

حلت صبيرة أمواه العداد وقد ... كانت تحل، وأدنى دارها ثكد

وقيل في تفسيره: ثكد ماء لكلب، وقال نصر:

ثكد ماء بين الكوفة والشام وقال الراعي:

كأنها مقط ظلت على قيم ... من ثكد، واغتمست في مائها الكدر

ثكن:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٨١/٢

بالتحريك: جبل بالبادية قال عبد المسيح ابن عمرو بن حيان بن بقيلة الغساني لسطيح وكان خاطبه فلم يجب لأنه كان قد مات:

أصم أم يسمع غطريف اليمن ... تلفه في الريح بوعاء الدمن

كأنما حثحث من حضني ثكن ... أزرق ممهى الناب صرار الأذن

باب الثاء واللام وما يليهما

ثلا:

بالضم مقصور: من حصون اليمن، **مرتجلا.**

الثلاثاء:

ممدود بلفظ اسم اليوم: ماء لبني أسد قال مطير بن أشيم الأسدي:

فإن أنتم عورضتم، فتقاحموا ... بأسيافكم، إن كنتم غير عزل

فلا تعجزوا أن تشئموا أو تيمنوا ... بجرثم، أو تأتوا الثلاثاء من عل

عليها ابن كوز نازل ببيوته، ... ومن يأته من خائف يتأول

وسوق الثلاثاء ببغداد محلة كبيرة ذات أسواق واسعة من نهر المعلى، وهي من أعمر أسواق بغداد لأن بها سوق البزازين.

ثلاثان:

بلفظ التثنية: ماء لبني أسد في جانب حبشة، وقيل جبل وقيل واد.

ثلاث:

بالضم، بلفظ المعدول عن ثلاثة: موضع أراه من ديار مراد قال فروة بن مسيك المرادي:

ساروا إلينا، كأنهم كفة الليل ... ظهارا، والليل محتدم

لم ينظروا عورة العشيرة، وال ... نسوان فوضى كأنها غنم

سيروا إلينا فالسهل موعدكم، ... مرنا ثلاث كأنها الخدم

أو سرر الجوف أو بأذرعة ال ... قصوى، عليها الأهلون والنعم

الثلبوت:

بفتحتين، وضم الباء الموحدة، وسكون الواو، وتاء فوقها نقطتان، قيل: هو واد بين طيء وذبيان، وقيل: لبني نصر بن قعين بن الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، وهو واد فيه مياه كثيرة قال السيد علي بن عيسى بن وهاس: الثلبوت واد يدق إلى وادي الرمة من تحت ماء الحاجر، إذا صيحت برفاقك أسمعتهم قال الحطيئة:

ألم تر أن ذبيانا وعبسا، ... لباغي، الحرب قد نزلا براحا." (١)

"ابن عبد العزيز أبي سعد الجامدي ثم القيلوي، سمع أبا الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي ومحمد بن ناصر السلامي، وكان شيخا صالحا، توفي سنة ٦٠٣، وكان أبوه من الزهاد الأعيان.

الجامع:

من قرى الغوطة، سكنها قوم من بني أمية منهم الوليد بن تمام بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم قال ابن أبي العجائز: كان يسكن الجامع من قرى المرج، وذكر غيره ممن سكنها منهم وجامع الجار فرضة لأهل المدينة كجدة لأهل مكة وأظنها الجار بنفسه المقدم ذكره.

الجامعين:

كذا يقولونه بلفظ المجرور المثنى: هو حلة بني مزيد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة، وهي الآن مدينة كبيرة آهلة، قد ذكرت تاريخ عمارتها وكيفيتها في الحلة، وقد أخرجت خلقا كثيرا من أهل العلم والأدب ينسبون الحلي وقال زائدة بن نعمة بن نعيم المعروف بالمحفحف القشيري يمدح دبيسا:

وقد حكمت كل الملاحم أنه، ... على الجانب السءدي، قابلك السعد

وقلنا بأرض الجامعين وبابل، ... وقد أفسدت فيها الأعاريب والكرد

ألا فتنحوا عن دبيس وداره، ... فلا بد من أن يظهر الملك الجعد

جاورسان:

بفتح الواو، وسكون الراء، والسين مهملة: محلة بهمذان أو قرية قال شيرويه بن شهردار: حسين بن جعفر

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٨٢/٢

بن عبد الوهاب الكرخي الصوفي أبو المعالي المقيم بجاورسان، روى عن ابن عبدان وأبي سعد بن زيرك وأبي بكر الزاذقاني وأبي ثابت بندار بن موسى بن يعقوب الأبهري، سمعت منه وكان ثقة صدوقا، وكان شيخ الصوفية في الجبل ومقدمهم، ودفن بالخانجاه.

جاورسة:

قرية على ثلاثة فراسخ من مرو، بها قبر عبد الله بن بريدة بن الخصيب منها سالم الجاورسي مولى عبد الله بن بريدة.

الجاهلي:

ضد العاقلي: من حصون اليمن من مخلاف مشرف جهران.

الجايرية:

كذا هو مضبوط فيما كتبت عن أبي إسحق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي، أنشدتني أم الحسن لابن لها يقال له الحسن:

ألا يا حمام الجايرية: هجت لي ... سقاما وزفرات يضيق بها صدري

فقالت حمام الجايرية: ما أرى ... علي، إذا ما مت، يا رب من وزر

جائف:

جائف الجبل، وجمعه جيفان: مواضع باليمامة، منها جائف الضوأة وجائف السقطة وجائف الرحيل وجائف الوشل وجائف الشجر، كلها لبني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم عن الحفصي.

باب الجيم والباء وما يليهما

جبأ:

بالتحريك بوزن جبل، وما أراه إلا **مرتجلا** إن لم يكن منقولا عن الفعل الماضي، من قولهم جبأ عليه الأسود إذا خرج عليه حية من جحره:

وهو جبل باليمن قرب الجند، وقيل هو قرية باليمن، وقال ابن الحائك: جبأ مدينة أو قرية للمعافر كذا في

كتابه، وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر، وهي في نجوة من جبل صبر وجبل ذخر، وطريقها في وادي الضباب ينسب إليها شعيب الجبائي من أقران طاووس، حدث عنه." (١)

"عن أبي علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامي وأبي شجاع محمد بن سعدان المقاريضي الشيرازي وأبي عمر ظفر بن إبراهيم الخلالي، قال في الفيصل: حدثونا عنه، وقال الحافظ أبو القاسم: كتبت عنه وكان يقول شعرا. وجهينة أيضا: قلعة بطبرستان حصينة مكينة عالية في السحاب.

باب الجيم والياء وما يليهما

جياد:

جمع جيد، وهي لغة في أجياد المقدم ذكره، قال الأديب أبو بكر العبدي:

يا محيا نور الصباح البادي، ... ونسيم الرياض غب الغوادي

حي أحبابنا بمكة ما بی ... ن نواحي الصفا، وبين جياد

الجيار:

بالكسر، وما أظنه إلا **مرتجلا**: موضع من أرض خيبر، عن الزمخشري.

جيار:

بالفتح ثم التشديد، وهي في اللغة الجص والصاروج، وهي أيضا حر في الصدر: وهو موضع بالبحرين كان عنده مقتل الحطم واسمه شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة لما ارتد بكر بن وائل في أيام أبي بكر، رضي الله عنه.

جياسر:

بتخفيف ثانيه، والسين مهملة: من قرى مرو ويقال لها سر يكباره فعرب فقيل جياسر، كذا في كتاب أبي سعد، منها أبو الخليل عبد السلام بن الخليل المروزي الجياسري، تابعي أدرك أنس بن مالك، روى عنه زيد بن الحباب.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢/٩٦

الجياف:

بالكسر، وآخره فاء: ماء على يسار طريق الحاج من الكوفة.

جيان:

بالفتح ثم التشديد، وآخره نون: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبلدانا تذكر مرتبة في مواضعها من هذا الكتاب، وكورتها متصلة بكورة تدمير وكورة طليطلة، وينسب إليها جماعة وافرة، منهم:

الحسين بن محمد بن أحمد الغساني ويعرف بالجياني وليس منها إنما نزلها أبوه في الفتنة وأصلهم من الزهراء، روى عن أعيان أهل الأندلس، وكان رئيس المحدثين بقرطبة ومن جهابذتهم وكبار المحدثين والعلماء والمسندين، وله بصر في اللغة والإعراب ومعرفة بالأنساب، جمع من ذلك ما لم يجمعه أحد، ورحل الناس إليه، وجمع كتابا في رجال الصحيحين وسماه تقييد المهمل وتمييز المشكل وكان إذا رأى أصحاب الحديث قال:

أهلا وسهلا بالذين أحبهم ... وأودهم في الله ذي الآلاء

أهلا بقوم صالحين ذوي تقى، ... غر الوجوه وزين كل ملاء

يا طالبي علم النبي محمد! ... ما أنتم وسواكم بسواء

ولزم بيته قبل موته مدة لزمانة لحقته، وكان مولده في محرم سنة ٤٢٧، وتوفي لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٤٩٨، قال ذلك ابن بشكوال، ومن المتأخرين أبو الحجاج يوسف بن محمد بن فاروا الجياني الأندلسي، سمع الكثير ورحل إلى المشرق وبلغ خراسان وأقام ببلخ، وكان دينا خيرا، ولد بجيان سنة ٤٩٩، ومات ببلخ سنة ٥٤٥، وغيرهما كثير. وجيان أيضا: من قرى أصبهان، قال لي." (١)

"فقد غادرت للطير، ليلة خمسها، ... جوارا برمل النغل لما يسعر

وقال الراعي:

كأنها ناشط حم مدامعه ... من وحش حبران، بين النقع والظفر

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٩٥/٢

حبر:

بالكسر ثم السكون، والحبر الرجل العالم:

اسم واد، قال المرار الفقعسي يرثي أخاه بدرا:

ألا قاتل الله الأحاديث والمنى، ... وطيرا جرت بين السعافات والحبر

وقاتل تثريب العيافة، بعد ما ... زجرت، فما أغنى اعتيافي ولا زجري

وما للقفول، بعد بدر، بشاشة، ... ولا الحي يأتيهم ولا أوبة السفر

تذكرني بدرا زعازع لزبة، ... إذا أعصبت إحدى عشياتها الغبر

حبر:

بكسرتين، وتشديد الراء، وما أراه إلا **مرتجلا**: جبلان في ديار سليم، قال ابن مقبل:

سل الدار من جنبي حبر فواهب، ... إلى ما ترى هضب القليب المضيح

وقال عبيد:

فعردة فقفا حبر، ... ليس بها منهم عريب

حبرون:

بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، ونون: اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل، عليه السلام، بالبيت المقدس، وقد غلب على اسمها الخليل، ويقال لها أيضا حبرى، وروي عن كعب الحبر أن أول من مات ودفن في حبرى سارة زوجة إبراهيم، عليه السلام، وأن إبراهيم خرج لما ماتت يطلب موضعا لقبرها فقدم على صفوان وكان على دينه وكان مسكنه ناحية حبرى فاشترى الموضع منه بخمسين درهما، وكان الدرهم في ذلك العصر خمسة دراهم، فدفن فيه سارة ثم دفن فيه إبراهيم إلى جنبها ثم توفيت ربقة زوجة إسحاق، عليه السلام، فدفنت فيه ثم توفي إسحاق فدفن فيه لزيقها ثم توفي يعقوب، عليه السلام، فدفن فيه ثم توفيت زوجته لعيا ويقال إيليا فدفنت فيه إلى أيام سليمان بن داود، عليهما السلام، فأوحى الله إليه أن ابن على قبر خليلي حيرا ليكون لزواره بعدك، فخرج سليمان، عليه السلام، حتى قدم أرض كنعان وطاف فلم يصبه، فرجع إلى البيت المقدس، فأوحى الله إليه: يا سليمان خالفت أمري، فقال: يا رب لم أعرف الموضع، فأوحى إليه: امض فإنك ترى نورا من السماء إلى الأرض فهو موضع خليلي، فخرج فرأى ذلك فأمر أن يبنى على الموضع الذي يقال له الرامة، وهي قرية على جبل مطل على حبرون، فأوحى إليه: ليس

هذا هو الموضع ولكن انظر إلى النور الذي قد التزق بعنان السماء، فنظر فكان على حبرون فوق المغارة فبنى عليه الحير. قالوا: وفي هذه المغارة قبر آدم، عليه السلام، وخلف الحير قبر يوسف الصديق جاء به موسى، عليه السلام، من مصر وكان مدفونا في وسط النيل فدفن عند آبائه، وهذه المغارة تحت الأرض، قد بني حوله حير محكم البناء حسن بالأعمدة الرخام وغيرها، وبينها وبين البيت المقدس يوم واحد، وقدم على النبي، صلى الله عليه وسلم، تميم الداري في قومه وسأله أن يقطعه حبرون فأجابه وكتب له كتابا نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم- هذا ما أعطى محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لتميم الداري وأصحابه. إني أعطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم بذمتهم وجميع ما فيهم." (١)

"محبا للكتب، مات ببغداد في ثامن عشر شوال سنة ٦٠٥، وبباب حرب دفن.

حرث:

بفتح أوله ويضم، وثانيه ساكن، وآخره ثاء مثلثة، فمن فتح كان معناه الزرع وكسب المال، ومن ضم كان **مرتجلا**: وهو موضع من نواحي المدينة، قال قيس بن الخطيم:

فلما هبطنا الحرث قال أميرنا: ... حرام علينا الخمر ما لم نضارب

فسامحه منا رجال أعزة، ... فما رجعوا حتى أحلت لشارب

وقال أيضا:

وكأنهم، بالحرث إذ يعلوهم، ... غنم يعبطها غواة شروب

حرث:

بوزن عمر وزفر، يجوز أن يكون معدولا عن حارث وهو الكاسب، ذكر أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد عن السكن بن سعيد الجرموزي عن محمد بن عباد عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: كان ذو حرث الحميري وهو أبو عبد كلال مثوب ذو حرث، وكان من أهل بيت الملك، وهو ذو حرث بن الحارث بن مالك بن غيدان بن حجر بن ذي رعين واسمه يريم بن زيد ابن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير صاحب صيد، ولم يملك ولم يعل وثابا ولم يلبس مصيرا، الوثاب: السرير، والمصير: التاج بلغة حمير،

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢/٢١٢

وكان سياحا يطوف في البلاد ومعه ذؤبان من ذؤبان اليمن يغير بهم فيأكل ويؤكل، فأوغل في بعض أيامه في بلاد اليمن فهجم على بلد أفيح كثير الرياض ذي أوداة ذات نخل وأغيال، فأمر أصحابه بالنزول وقال: يا قوم إن لهذا البلد لشأنا وإنه ليرغب في مثله لما أرى من غياضه ورياضه وانفتاق أطرافه وتقاذف أرجائه ولا أرى أنيسا ولست برائم حتى أعرف لأية علة تحامته الرواد مع هذا الصيد الذي قد تجنبه الطراد، ونزل وألقى بقاعه وأمر قناصه فبثوا كلابه وصقوره، وأقبلت الكلاب تتبع الظباء والشاء من الصيران فلا تلبث أن ترجع كاسعة بأذنابها تضيء وتلوذ بأطراف القناص وكذلك الصقور تحوم فإذا كسرت على صيد انثنت راجعة على ما والاها من الشجر فتكتبت فيه، فعجب من ذلك وراعه، فقال له أصحابه: أبيت اللعن، إننا ممنوعون وإن لهذه الأرض جماعة من غير الإنس فارحل بنا عنها، فلج وأقسم بآلهته لا يريم حتى يعرف شأنها أو يخترم دون ذلك، فبات على تلك الحال فلما أصبح قال له أصحابه:

أبيت اللعن، إنا قد سمعنا ألوتك وأنفسنا دون نفسك فأذن لنا أن ننفض الأرض لنقف على ما آليت عليه، فأمرهم فتفرقوا ثلاثا في رجالهم، وركب في ذوي النجدة منهم وأمرهم أن تعشوا بالإحلال، فإذا أمسوا شبوا النار فخرج مشرقا فآب وقد طفل العشي ولم يحس ركزا ولا أبن أثرا، فلما أصبح في اليوم فعل فعله بالأمس وخرج مغربا فسار غير بعيد حتى هجم على عين عظيمة يطيف بها عرين وغاب وتكتنفها ثلاثة أنداد عظام، والأنداد جمع ند، وهو الأكمة لا تبلغ أن تكون جبلا، وإذا على شريعتها بيت رضيم بالصخر وحوله من مسوك الوحوش وعظامها كالتلال فهن بين رميم وصليب وغريض، فبينما هو كذلك إذ أبصر شخصا كجماء الفحل المقرم قد تجلل بشعره وذلاذله تنوس على عطفه وبيده سيف كاللجة." (١)

"ذبل:

بفتح أوله، وسكون ثانيه: جبل، قال:

إلى مؤنق من جنبه الذبل راهن راهن أي دائم.

ذبوب:

حصن باليمن من عمل علي بن أمين.

ذبيان:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢٣٨/٢

بكسر أوله، وسكون ثانيه، بلفظ القبيلة بلد قاطع الأردن مما يلي البلقاء.

باب الذال والحاء وما يليهما

الذحل:

بلفظ الوتر: موضع، قال الشاعر:

عفا الذحل من مي فعفت منازله

وفي رواية علي بن عيسى قال مالك بن الريب:

أتجزع أن عرفت ببطن قو ... وصحراء الأديم رسم دار

وأن حل الخليط، ولست فيهم، ... مراتع بين ذحل إلى سرار

إذا حلوا بعائجة خلاء ... يقطف نور حنوتها العرار

باب الذال والخاء وما يليهما

ذخيرة:

بلفظ واحدة الذخائر: موضع ينسب إليه التمر.

ذخكث:

بفتح أوله، وسكون ثانيه: من قرى أسفيجاب، قال أبو سعد: هي قرية بالروذبار وراء نهر سيحون وراء بلاد الشاش، منها أبو نصر أحمد ابن عثمان بن أحمد المستوفي الذخكثي أحد الأئمة، سكن بسمرقند، حدث بها عن الشريف محمد بن محمد الزينبي البغدادي، روى عنه أبو حفص عمر ابن محمد بن أحمد النسفي الحافظ، مات سنة ٥٠٦ بسمرقند.

ذخينوى:

بفتح أوله، وكسر ثانيه، وبعد الياء المثناة من تحت نون وواو، مقصور: قرية على ثلاثة فراسخ من سمرقند، منها أبو محمد عبد الوهاب بن الأشعث بن نصر بن سورة بن عرفة الحنفي الذخينوي، رحل وروى عن أبي حاتم الرازي والحسين بن عرفة، ومات قبيل الثلاثمائة.

باب الذال والراء وما يليهما

ذراح:

بفتح أوله: حصن من صنعاء اليمن.

ذراعان:

بلفظ تثنية الذراع: هضبتان، وقالت امرأة من بني عامر بن صعصعة:

سقيا ورعيا لأيام تشوقنا ... من حيث تأتي رياح الهيف أحيانا

تبدو لنا من ثنايا الضمر طالعة ... كأن أعلامها جللن سيجانا

هيف يلذ لها جسمي إذا نسمت ... كالحضرمي هفا مسكا وريحانا

يا حبذا طارق وهنا ألم بنا ... بين الذراعين والأخراب من كانا

شبهت لي مالكا، يا حبذا شبها ... إما من الإنس أو م ا كان جنانا!

ماذا تذكر من أرض يمانية ... ولا تذكر من أمسى بجوزانا

عمدا أخادع نفسي عن تذكركم، ... كما يخادع صاحي العقل سكرانا

الذرانح:

بعد الألف نون، وآخره حاء مهملة، أظنه **مرتجلا**: موضع بين كاظمة والبحرين، قال المثقب العبدي:." [١]

"بنجد تمسك الماء لبني أبي بكر بن كلاب، ووادي الرقاع بنجد أيضا.

الرقاق:

بفتح أوله، والتكرير: موضع في عامر، وأصله الأرض المستوية اللينة التراب تحتها صلابة، والله أعلم.

الرقبتان:

تثنية الرقبة، وكأنها فعلة من الرقبة، وهي الانتظار والحراسة: وهما جبلان أسودان بينهما ثنية يطلعان إلى أعلى بطن مر إلى شعيبات يقال لهن الضرائب.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣/٤

الرقتان:

تثنية الرقة، أظنهم ثنوا الرقة والرافقة كما قالوا العراقان للبصرة والكوفة، وقال عبيد الله ابن قيس الرقيات:

أتيناك نثني بالذي أنت أهله ... عليك كما أثنى على الروض جارها

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر، ... سواء عليها ليلها ونهارها

تزور فتى قد يعلم الله أنه ... تجود له كف بعيد غرارها

فو الله لولا أن تزور ابن جعفر ... لكان قليلا في دمشق قرارها

فإن مت لم يوصل صديق ولم يقم ... طريق من المعروف أنت منارها

ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا، ... وجاش بأعلى الرقتين بحارها

وعندي مما خول الله هجمة ... عطاؤك منها شولها وعشارها

مباركة كانت عطاء مباركا ... تمانح كبراها وتنمى صغارها

رقد:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، أظنه **مرتجلا:**

وهو اسم جبل أو واد في بلاد قيس، وأنشد أبو منصور:

كأرحاء رقد زلمتها المناقر

وقال الأصمعي في كتاب الجزيرة: قال العامري رقد هضبة مجلندة مطمئنة غير مرتفعة بين ساق الفروين وبين حبس القنان، وهي بأطراف العرف بينهن وبين القنان وبين أبان الأسود، وهي مشرفة على جبال لأنها فوق حزم من الأرض، وكل هذه الأماكن من بلاد بني أسد، وقال الجوهري:

رقد جبل تنحت منه الأرحية، قال لبيد:

فأجماد ذي رقد فأكناف ثادق، ... فصارة توفي فوقها فالأعابلا

وقال أبو زياد: رقد من بلاد غطفان، قال الشاعر:

أحقا عباد الله أن لست سائرا ... بصحراء شرج في مواكب أو فردا

وهل أرين الدهر عبلاء عاقر ... ورقدا إذا ما الآل شب لنا رقدا

وقال الصمة الأكبر، وهو مالك بن معاوية بن جداعة بن غزية بن جشم بن بكر بن هوازن:

جلبنا الخيل من تثليث حتى ... أصبنا أهل صارات فرقد

ولم نجبن ولم ننكل ولكن ... فجعناهم بكل أشم جعد

ألا أبلغ بني جشم رسولا، ... فإن بيان ما تبغون عندي

الرقراق:

ماء قرب القادسية نزله بعض جيش الإسلام أيام الفتوح.." (١)

"إلى مكة. والريان أيضا: جبل أسود عظيم في بلاد طيء إذا أوقدت النار عليه أبصرت من مسيرة ثلاثة أيام، وقيل: هو أطول جبال أجإ، قال جرير إما فيه أو في غيره:

يا حبذا جبل الريان من جبل، ... وحبذا ساكن الريان من كانا

وحبذا نفحات من يمانية ... تأتيك من قبل الريان أحيانا

والريان أيضا: موضع على ميلين من معدن بني سليم كان الرشيد ينزله إذا حج، به قصور، وقال الشريف الرضي في بعض هذه المواضع:

أيا جبل الريان إن تعر منهم ... فإني سأكسوك الدموع الجواريا

ويا قرب ما أنكرتم العهد بيننا، ... نسيتم وما استودعتم السر ناسيا

فيا ليتني لم أعل نشزا إليكم ... حراما ولم أهبط من الأرض واديا

والريان أيضا: محلة مشهورة ببغداد كبيرة عامرة إلى الآن بالجانب الشرقي بين باب الأزج وباب الحلبة والمأمونية، ينسب إليها أبو المعالي هبة الله بن الحسين ابن الحسن بن أبي الأسود المعروف بابن البل، حدث عن القاضي أبي بكر الأنصاري قاضي المارستان، وعبد الله بن معالي بن أحمد الرياني، سمع شهدة وأبا الفتح بن المني وغيرهما، سمع منه ابن نقطة.

والريان: قرية بمر الظهران من نواحي مكة.

الريب:

ناحية باليمامة فيها قرى ومزارع لبني قشير.

ريث:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره ثاء مثلثة، وهو خلاف العجلة: موضع في ديار طيء حيث يلتقي طيء

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥٧/٣

وأسد. والريث أيضا: جبل لبني قشير على سمت حائل والمروت بين مرأة والفلج إذا خرجت من مرأة معترضا في ديار بني كعب، وبالريث منبر، عن نصر.

ريحاء:

بكسر أوله، وسكون ثانيه، وحاء مهملة، وألف ممدودة، أظنه **مرتجلا** من الريح أو من الروح:

وهي مدينة قرب بيت المقدس من أعمال الأردن بالغور، بينها وبين بيت المقدس خمسة فراسخ، ويقال لها أريحا أيضا، وهي ذات نخل وموز وسكر كثير، وله فضل على سائر سكر الغور، وهي مدينة الجبارين، وقد ذكرت في أريحا. وأما ريحاء، بغير ألف: فهي بليدة من نواحي حلب أنزه بلاد الله وأطيبها، ذات بساتين وأشجار وأنهار، وليس في نواحي حلب أنزه منها، وهي في طرف جبل لبنان، وربما فرق بين الموضعين بالألف التي في أول الأولى.

ريحان:

بلفظ الريحان الذي يشم، سوق الريحان:

في مواضع كثيرة، وريحان: من مخاليف اليمن.

ريخ:

موضع بخراسان، ينسب إليها الكافي وأخوه عمر ابنا علي الريخيان، وكان الكافي وزيرا بنيسابور لعلاء الدين محمد بن تكش، قتله التتر في شهر صفر سنة ٦١٨.

ريخشن:

بكسر أوله، وسكون ثانيه، وخاء معجمة مفتوحة، وشين معجمة ساكنة، ونون: من قرى سمرقند، عن السمعاني.

ريدان:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، ودال مهملة، وآخره نون: حصن باليمن في مخلاف يحصب، يزعم أهل اليمن أنه لم يبن قط مثله، وفيه قال امرؤ القيس:

تمكن قائما وبنى طمرا ... على ريدان أعيط لا ينال

وقال الأصمعي: الريدانة الريح اللينة، وقال نصر:." (١)

"أنها أعمر وأجمع للبناء وأيسر أهلا، وبناؤها بالطين والحجارة والجص، ومن مدن هذه الكورة: كازرون وجره ودشت بارين وخمايجان السفلى والعليا وكندران والنوبندجان وتوز ورموم الأكراد وجنبذ وخشت وغير ذلك، وبسابور الأدهان الكثيرة، ومن دخلها لم يزل يشم روائح طيبة حتى يخرج منها، وذلك لكثرة رياحينها وأنوارها وبساتينها، وقال البشاري:

سابور كورة نزهة قد اجتمع في بساتينها النخل والزيتون والأترج والخروب والجوز واللوز والتين والعنب والسدر وقصب السكر والبنفسج والياسمين، أنهارها جارية وثمارها دانية والقرى متصلة تمشي أياما تحت ظل الأشجار مثل صغد سمرقند، وعلى كل فرسخ بقال وخباز، وهي قريبة من الجبال، وقال العمراني: سابور نهر، وأنشد:

أبيت بجسر سابور مقيما ... يؤرقني أنينك يا معين

وقد نسبوا إلى سابور فارس جماعة من العلماء، منهم: محمد بن عبد الواحد بن محمد بن الحسن بن حمدان الفقيه أبو عبد الله السابوري، حدث بشيراز عن أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الملك، روى عنه أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي وغيره، وكان للمهلب وقائع بسابور مع قطري ابن الفجاءة والخوارج طويلة ذكرها الشعراء، قال كعب الأشقري:

تساقوا بكأس الموت يوما وليلة ... بسابور حتى كادت الشمس تطلع

بمعترك رضراضه من رحالهم، ... وعفر يرى فيه القنا المتجزع

وسابور أيضا: موضع بالبحرين فتح على يد العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر، رضي الله عنه، عنوة في سنة ١٢، وقال البلاذري: فتح في أيام عمر، رضي الله عنه.

السابورية:

مثل الذي قبله وزيادة النسبة إلى مؤنث:

قرية على الفرات مقابل بالس.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١١١/٣

سائبة:

من نواحي اليمن من مخلاف سنحان.

ساتيدما:

بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة، وياء مثناة من تحت، ودال مهملة مفتوحة ثم ميم، وألف مقصورة، أصله مهمل في الاستعمال في كلام العرب، فإما أن يكون **مرتجلا** عربيا لأنهم قد أكثروا من ذكره في شعرهم وإما أن يكون عجميا، قال العمراني: هو جبل بالهند لا يعدم ثلجه أبدا، وأنشد:

وأبرد من ثلج ساتيدما ما، ... وأكثر ماء من العكرش

وقال غيره: سمي بذلك لأنه ليس من يوم إلا ويسفك فيه دم، كأنه اسمان جعلا اسما واحدا ساتي دما، وساتي وسادي بمعنى، وهو سدى الثوب، فكأن الدماء تسدى فيه كما يسدى الثوب، وقد مده البحتري فقال:

ولما استقلت في جلولا ديارهم ... فلا الظهر من ساتيدماء ولا اللحف

وأنشد سيبويه لعمرو بن قميئة:

قد سألتني بنت عمرو عن ال ... أرض التي تنكر أعلامها

لما رأت ساتيدما استعبرت، ... لله در اليوم من لامها!

تذكرت أرضا بها أهلها، ... أخوالها فيها وأعمامها." (١)

"سبرت:

كذا وجدته مضبوطا بخط من يرجع إليه في الصحة في عدة مواضع من كتاب ابن عبد الحكم، ذكر ابن عبد الحكم في كتابه أن أطرابلس اسم للكورة ومدينتها نبارة، وسبرت: السوق القديم، وإنما نقله إلى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة ٣١ للهجرة.

سبراة:

بكسر أوله، وسكون ثانيه: ماء لتيم الرباب في رأسها ركية عادية يقال لها سبير.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٦٨/٣

سبر:
بالفتح، وتشديد الباء وكسرها: كثيب بين بدر والمدينة، هناك قسم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، غنائم بدر، عن نصر.

سبرنى:
بضم أوله وثانيه، وسكون الراء ثم نون، وآخره ألف مقصورة: بليدة بنواحي خوارزم وهي آخر حدودها من ناحية شهرستان، رأيتها عامرة في سنة ٦١٧.

سبرة:
بفتح أوله، وسكون ثانيه، بلفظ المرة الواحدة من سبرت الجرح إذا قسته لتعرف غوره: وهو اسم مدينة بإفريقية فتحها عمرو بن العاص بن أطرابلس في سنة ٢٣ وطرقها على غفلة وقد سرحوا سرحهم فلم ينج منهم أحد، قلت:
وأنا أخاف أن يكون هذا غلطا من الناقل وإنما هي سبرت التي تقدم ذكرها أنها كانت سوق أطرابلس، والله أعلم، وسياق حديث الفتوح يدل على أنهما واحد إلا أنه كذا ضبطها أولا مثل ما تقدم في الموضعين ثم مثل ما ههنا، وكانت النسخة معتبرة جدا وأنا أسوق الحديث، قال: إن عمرو بن العاص نزل على أطرابلس شهرا فحاصرها فلم يقدر منهم على شيء فخرج رجل من بني مدلج في سبعة نفر فرأى فرجة بين المدينة والبحر فدخل بها هو وأصحابه حتى أتوا ناحية الكنيسة فكبروا فلم يبق للروم مفزع إلا سفنهم، وسمع عمرو وأصحابه التكبير في جوف المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم وغنم عمرو ما كان في المدينة، وكان من بسبرة متحصنين، فلما بلغهم محاصرة عمرو أطرابلس، واسمها نبارة وسبرة السوق القديم وإنما نقله إلى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة ٣١، وأنه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة لهم بهم أمنوا، فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة أطرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير، فصبحت خيله مدينة سبرة وكانوا قد غفلوا وفتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم، فدخلوها فلم ينج منهم أحد واحتوى عمرو على ما فيها، هكذا هذا الخبر وما أظنهما إلا واحدا.
سبرينة: بكسر أوله، وسكون ثانيه، ثم راء مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت ساكنة، ونون: مدينة بمصر، ويقال سبريمنة، عن العمراني.

سبسطية:

بفتح أوله وثانيه، وسكون السين الثانية، وطاء مكسورة، وياء مثناة من تحت مخففة، قال أحمد بن الطيب السرخسي في رسالة وصف فيها رحلة مسير المعتضد لقتال خمارويه وعوده قال:

سبسطية مدينة قرب سميساط محسوبة من أعمالها على أعلى الفرات ذات سور، قلت: المشهور أن سبسطية بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان، وبها قبر زكرياء ويحيى بن زكرياء، عليهما السلام، وجماعة من الأنبياء والصديقين، وهي من أعمال نابلس.

سبسير:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وسين أخرى.

ما أراه إلا علما **مرتجلا**، يوم سبسير ذي طريف." (١)

"إلى أهل مصر أصلح الله حاله ... به المسلمون والجهود الأكابر

فصارت إلى أرض الجهاد وبلدة ... مباركة والأرض فيها مصائر

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

فهذا يدل على أن السيلحون بين الكوفة والقادسية، وقال الأشعث بن عبد الحجر بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب وكان شهد الحيرة والقادسية وتلك المشاهد فعقرت ناقته فقال:

وما عقرت بالسيلحين مطيتي ... وبالقصر إلا خشية أن أعيرا

فباست امرئ يبأى علي برهطه، ... وقد ساد أشياخي معدا وحميرا

وقال عمرو بن الأهتم:

ما في بني الأهتم من طائل ... يرجى ولا خير به يصلحون

لولا دفاعي كنتم أعبدا ... مسكنها الحيرة والسيلحون

جاءت بكم عفرة من أرضها ... حيرية ليس كما تزعمون

في ظاهر الكف وفي بطنها ... وشم من الداء الذي تكتمون

وقال الجعدي:

وإذا رأيت السيلحين وبارقا ... أغنين عن عمرو وأم قبال

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣/١٨٤

ملك الخورنق والسدير ودانه ... ما بين حمير أهلها وأوال

ومما يقوي أن السيلحين قرب الحيرة قول هانئ بن مسعود يرثي النعمان بن المنذر ويذكر قتل كسرى إياه، قال:

إن ذا التاج، لا أبا لك، أضحى ... وذرى بيته نحور الفيول

إن كسرى عدا على الملك النع ... مان حتى سقاه أم البليل

قد عمرنا وقد رأينا لدى الحي ... رة في السيلحين خير قتيل

وهذه غير سيلحون التي باليمن، وقد تقدم ذكرها، وقد ذكر شعراء الجاهلية كالأعشى وغيره هذا الموضع، وكتاب الخراج يجعلون السيلحين طسوجا برأسه من كورة بهقباذ الأسفل من الجانب الغربي، قال الأعشى:

فذاك وما أنجى من الموت ربه ... بساباط حتى مات وهو محرزق

وتجبى إليه السيلحون ودونها ... صريفون في أنهارها والخورنق

وبين هذه الناحية وبغداد ثلاثة فراسخ، وقد نسب إليها قوم من أهل العلم، وقيل: إنها سميت سيلحون لأنها كانت بها مسالح لكسرى، وهم قوم بسلاح يرتبون في الثغور والمخافات، واحدهم مسلحي، والعامة تقول مصلحي، وهو خطأ.

سيل:

من أسماء مكة، عن نصر.

سيل:

بفتح أوله وثانيه معا، وآخره لام: حبس سيل مر ذكره وما أراه إلا **مرتجلا**، وقد قرأت في كتاب أحمد بن جابر البلاذري: وأم زهرة بن كلاب فاطمة بنت سعيد بن سيل، قال: وسيل جبل سمي باسمه.

سيلون:

قرية من قرى نابلس بها مسجد السكينة وحجر المائدة، والأكثرون على أن المائدة نزلت." (١)

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣/٢٩٩

"بتهامة، قال أبو ذؤيب:

عرفت الديار لأم الدهين ... بين الظباء فوادي عشر

وقال السكري: الظباء واد وموضع، والظباء:

منعرج الوادي، الواحدة ظبة.

الظباء:

بالكسر، والمد، وهو جمع، واحدته ظبية، وتشترك فيه الظبية مؤنثة الظبي وهو الغزال، والظبية: حياء الناقة، والظبية: شبه العجلة والمزادة مثل الجراب يجعل فيه الطيب وغيره، ويقال للكلية ظبية، ومرج الظباء: موضع بعينه.

ظبة:

بضم أوله، وتخفيف ثانيه، بلفظ ظبة السيف وهو حده: اسم موضع، عن أبن الأعرابي.

ظبيان:

بلفظ تثنية الظبي، رأس ظبيان: جبل باليمن.

ظبية:

واحدة الظباء: موضع في ديار جهينة، وفي حديث عمرو بن حزم قال: كتب رسول الله، صلى الله عليه وسلم: هذا ما أعطى محمد النبي عوسجة ابن حرملة الجهني من ذي المروة إلى ظبية إلى الجعلات إلى جبل القبلية لا يحاقه فيه أحد فمن حاقه فلا حق له ولا حقه حق، وكتب العلاء بن عقبة:

وظبية أيضا موضع بين ينبع وغيقة بساحل البحر ويضاف إليه ذو، قال كثير:

تمر السنون الخاليات ولا أرى ... بصحن الشبا أطلالهن تبيد

فغيقة فالأكفال أكفال ظبية ... تظل بها أدم الظباء ترود

أكفال الجبال: مآخيرها. وظبية أيضا: ماءة لبني أبي بكر بن كلاب قديمة وجبلهم أبراد بين الظبية والحوأب.

وظبية أيضا: ماءة لبني سحيم وبني عجل باليمامة.

ظبية:

بالضم ثم السكون، وياء مثناة من تحت خفيفة، وما أراه إلا علما **مرتجلا** لا أعرف له معنى، هكذا ضبطه أهل الإتقان، وهو عرق الظبية، قال الواقدي: هو من الروحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة، وبعرق الظبية مسجد للنبي، صلى الله عليه وسلم، وقال ابن إسحاق في غزوة بدر: مر، عليه الصلاة والسلام، على السيالة

ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية، قال السهيلي: الظبية شجرة تشبه القتادة يستظل بها، وجمعها ظبيان على غير قياس، وفي كتاب نصر: عرق الظبية بين مكة والمدينة قرب الروحاء، وقيل: هي الروحاء بنفسها.

ظبية:

تصغير ظبية: اسم موضع في شعر حاجز الأزدي، وأخلق به أن يكون في بلاد قومه، قال أعرابي:

لنار من ظبية موقدوها ... بمرتحل على الساري بعيد

يشب وقودها والليل داج ... بأهضام يمانية وعود

أحب إلي من نار أراها ... ببابل عند مجتمع الجنود

ظبي:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وتصحيح الياء، بلفظ الظبي الغزال، قيل: هو اسم رملة، وقيل: بلد قريب من ذي قار، وبه فسر قول امرئ القيس:

وتعطو برخص غير شثن كأنه ... أساريع ظبي أو مساويك إسحل

وقيل: هو ظبى، بضم الظاء وفتح الباء، فجعله." (١)

"عتود:

بتشديد التاء: جبل على مراحل يسيرة من المدينة بين السيالة وملل، وقيل: جبل أسود من جانب النقيع، عن نصر.

عتود:

بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح الواو، وآخره دال، كذا حكي عن ابن دريد، وقيل: هو اسم موضع بالحجاز، قال: ولم يجيء على فعول غير هذا وخروع، والأزهري ذكره بالراء كما ذكرته بعده، وقال العمراني: عتود، بفتح أوله، واد، قال: ويروى بكسر العين، قال ابن مقبل:

جلوسا به الشعب الطوال كأنهم ... أسود بترج أو أسود بعتودا

وهو ماء لكنانة لهم ولخزاعة فيه وقعة، قال بديل ابن عبد مناة:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤/٥٨

ونحن منعنا بين بيض وعتود ... إلى خيف رضوى من مجر القبائل

قال ابن الحائك: وإلى حارة عثر تنسب الأسود التي يقال لها أسود عثر وأسود عتود، وهي قرية من بواديها.

عتور:

بكسر العين، وسكون ثانيه، وفتح الواو، والراء: اسم واد خشن المسلك، قال المبرد:

العتورة الشدة في الحرب، وبنو عتوارة سميت بهذا لقوتهم، قال الأزهري قال المبرد: جاء من الأسماء على فعول خروع وعتور، وهو الوادي الخشن التربة، وزاد غيره ذرود اسم جبل، ولم يأت غيرهما.

عتيب:

بفتح أوله، وكسر ثانيه، وياء مثناة من تحت ساكنة، وباء موحدة، جفرة عتيب: بالبصرة إحدى محالها، تنسب إلى عتيب بن عمرو من بني قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة وعدادهم في بني شيبان، وقال الأزهري: قال ابن الكلبي عتيب بن أسلم بن مالك وكان قد أغار عليهم بعض الملوك فقتل رجالهم جميعهم فكانت النساء تقول إذا كبر صبياننا أخذوا بثأر رجالنا، فلم يكن ذلك، فقال عدي بن زيد:

نرجيها وقد وقعت بقر ... كما ترجو أصاغرها عتيب

العتيد:

بلفظ التصغير: موضع باليمامة في شعر الأعشى:

جزى الله فتيان العتيد، وقد نأت ... بي الدار عنهم، خير ما كان جازيا

ويروى العتيك، بالكاف، ويجوز أن يكون تصغير فرس عتيد وعتد: وهو الشديد التام الخلق.

عتيد:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وياء مثناة من تحت مفتوحة، ودال مهملة: اسم موضع، وهو أحد فوائت الكتاب وما أراه إلا **مرتجلا**.

العتيق:

بلفظ ضد الجديد، والمراد به المعتوق، وفعيل بمعنى مفعول كثير في كلامهم نحو قتيل بمعنى مقتول: وهو بيت الله الحرام لأنه عتق من الجبابرة فلا يستطيع جبار أن يدعيه لنفسه ولا يؤذيه فلا ينسب إلى غير الله

تعالى، وقد ذكره الله تعالى بهذا الاسم في كتابه فقال: وليطوفوا بالبيت العتيق، وقد ذكر في باب البيت العتيق أبسط من هذا.

عتيق الساجة:

قرية بين أذربيجان وبغداد استولت عليها دجلة فخربتها، واسم الموضع معروف إلى الآن.

العتيقة:

بفتح أوله، وكسر ثانيه، بلفظ ضد الجديد: محلة ببغداد في الجانب الغربي ما بين طاق الحراني إلى باب الشعير وما اتصل به من شاطئ دجلة، وسميت العتيقة لأنها كانت قبل عمارة بغداد." (١)

"باب العين والذال وما يليهما

عذار:

بالكسر، وآخره راء، والعذار: المستطيل من الأرض، وجمعه عذر، والعذار: موضع بين الكوفة والبصرة على طريق الطفوف ومنه يفضي إلى نهر ابن عمر، وفي حديث حاجب بن زرارة بن عدس التميمي لما رهن قوسه عند كسرى وقبلها منه كتب إلى عمال العذار بالإذن للعرب في الدخول إلى الريف، قال: والعذار ما بين الريف والبدو مثل العذيب ونحوها.

عذاة:

بالفتح، والعذاة: الأرض الطيبة التربة الكريمة النبت البعيدة عن الأحساء والنزوز والريف السهلة المريئة ولا تكون ذات وخامة: وهو موضع بعينه بدليل أن الشاعر لم يصرفه فقال:

تحن قلوصي من عذاة إلى نجد، ... ولم ينسها أوطانها قدم العهد

وقد هجت نصبا من تذكر ما مضى، ... وأعديتني لو كان هذا الهوى يعدي

وأذكرتني قوما أصب إليهم، ... وأشتاقهم في القرب مني وفي البعد

أولئك قوم لو لجأت إليهم ... لكنت مكان السيف من وسط الغمد

العذبات:

جمع عذبة: وهو الموضع الذي فيه المرعى، يقال: مررت بماء لا عذبة به أي لا مرعى فيه ولا كلأ، ويوم

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٨٣/٤

العذبات: من أيامهم.

عذبة:

بالفتح ثم السكون، وباء موحدة، يقال:

عذب الماء يعذب فهو عذب، وبئر عذبة أي طيبة:

وهو موضع على ليلتين من البصرة فيه مياه طيبة، وقيل: لما حفروها وجدوا آثار الناس بعد ثلاثين ذراعا، قال:

مرت تريد بذات العذبة البيعا

عذراء:

بالفتح ثم السكون، والمد، وهو في الأصل الرملة التي لم توطأ، والدرة العذراء التي لم تثقب:

وهي قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة، وإليها ينسب مرج، وإذا انحدرت من ثنية العقاب وأشرفت على الغوطة فتأملت على يسارك رأيتها أول قرية تلي الجبل، وبها منارة، وبها قتل حجر ابن عدي الكندي وبها قبره، وقيل إنه هو الذي فتحها، وبالقرب منها راهط الذي كانت فيه الوقعة بين الزبيرية والمروانية، قال الراعي:

وكم من قتيل يوم عذراء لم يكن ... لصاحبه في أول الدهر قاليا

عذرة:

بفتح أوله وثانيه، من قولهم: عذرته عذرة: وهي أرض.

عذق:

بفتح أوله وثانيه، والقاف، قال ابن الأعرابي:

عذق الشحير إذا طال نباته وثمرته بالعذق، وخبراء العذق: موضع معروف بناحية الصمان، قال رؤبة:

بين القرينين وخبراء العذق

عذق:

بفتح أوله وسكون ثانيه، وهو في الأصل النخلة بعينها، والعذق، بالكسر، الكباسة: وهو أيضا أطم بالمدينة لبني أمية بن زيد، وكان اسمه من قبل السير، عن نصر.

عذم:

بفتحتين، ورواه بعضهم بالدال المهملة، فأما العذم بالذال المعجمة فأصله من عذمت أعذم عذما، وهو الأخذ باللسان واللوم، أو من العذم وهو العض، وليس فيه شيء بالتحريك فيكون **مرتجلا**، والله أعلم: وهو واد باليمن.." (١)

"ابن موسى بن سعد بن زيد بن وديعة، وليس بالمدينة منهم أحد، وشهد زيد بن وديعة بدرا وأحدا.

عقل:

حصن بتهامة، قال الكناني:

قتلت بهم بني ليث بن بكر ... بقتلى أهل ذي حزن وعقل

عقرما:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الراء، والقصر، **مرتجلا** لا أدري ما هو: موضع باليمن، قال ابن الكلبي في جمهرة النسب لبني الحارث بن كعب مازن وهو عيص البأس يريد أصل البأس كما قالوا جذل الطعان، منهم أسلم بن مالك بن مازن كان رئيسا قتله جعفر بعقرما موضع باليمن، وأنشد أبو الندى لرجل من جعفر فقال:

جدعتم بأفعى بالذهاب أنوفنا ... فملنا بأنفكم فأصبح أصلما

فمن كان محزونا بمقتل مالك ... فإنا تركناه صريعا بعقرما

عقفان:

بضم أوله، وسكون ثانيه، والفاء، وآخره نون، قال النسابة البكري: للنمل جدان فازر وعقفان، ففازر جد السود وعقفان جد الحمر، وعقفان: موضع بالحجاز.

عقمة:

موضع في شعر الحطيئة حيث قال:

وحلوا بطن عقمة والتقونا ... إلى نجران من بلد رخي

ويروى عقية، بالياء.

عقنة:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤/٩١

بالتحريك، والنون، عجمي لا أصل له في كلام العرب: قلعة بأران بنواحي جنزة.

العقوبان:

قال أبو زياد: العقوبان مكانان، وأنشد:

كأن خزامى بالعقوبين عسكرت ... بها الريح وانهلت عليها ذهابها

تضمنها بردي مليكة، إذ غدت ... وقرب للبين المشت ركابها

العقور:

بالضم، جمع عقر، وقد فسر: اسم موضع.

عقوقس:

بفتح أوله وثانيه، وسكون الواو، وقاف أخرى، وسين مهملة، ويروى عقرقس، بدل الواو راء، ولا أدري ما هما: اسم موضع ذكره العمراني في كتابه.

عقيربا:

ناحية بحمص، عن نصر.

العقير:

تصغير العقر، وقد مر تفسيره: قرية على شاطئ البحر بحذاء هجر. والعقير: باليمامة نخل لبني ذهل بن الدئل بن حنيفة وبها قبر الشيخ إبراهيم بن عربي الذي كان والي اليمامة في أيام بني أمية. والعقير أيضا: نخل لبني عامر بن حنيفة باليمامة، كلاهما عن الحفصي.

العقير:

بفتح أوله، وكسر ثانيه، وهو فعيل بمعنى مفعول مثل قتيل بمعنى مقتول: اسم فلاة فيها مياه ملحة، ويروى بلفظ التصغير، عن ابن دريد.

العقيرة:

تصغير عقرة، بلفظ المرة الواحدة من عقره يعقره عقرة: قرية بينها وبين أقر نصف يوم، وقد مر ذكر أقر، قال

النابغة:

قوم تدارك بالعقيرة ركضهم ... أولاد زردة إذ تركت ذميما

وقال الحازمي: العقيرة مدينة على البحر بينها وبين هجر ليلة.

العقيق:

بفتح أوله، وكسر ثانيه، وقافين بينهما ياء مثناة من تحت، قال أبو منصور: والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق، قال: وفي بلاد العرب أربعة أعقة وهي أودية عادية شقتها السيول، وقال الأصمعي: الأعقة." (١)

"غراق:

مكان يمان فيما يحسب نصر.

الغراميل:

جمع غرمول وهو الذكر الضخم، لا أعرف له معنى غيره: وهي هضاب حمر، قال الشماخ:

محويين، سنام عن يمينهما، ... وبالشمال مشان فالغراميل

حوى: عدا.

غران:

بضم أوله، وتخفيف ثانيه، كذا ضبطه أبو منصور وجعل نونه أصلية مثل غراب، وما أراه إلا علما مرتجلا، وقال: هو اسم موضع بتهامة، وأنشد:

بغران أو وادي القرى اضطربت ... نكباء بين صبا وبين شمال

وقال كثير عزة يصف سحابا:

إذا خر فيه الرعد عج وأرزمت ... له عوذ منها مطافيل عكف

إذا استدبرته الريح كي تستخفه ... تزاجر ملحاح إلى المكث مرجف

ثقيل الرحى واهي الكفاف دنا له ... ببيض الربى ذو هيدب متعصف

رسا بغران واستدارت به الرحى ... كما يستدير الزاحف المتغيف

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤/١٣٨

فداك سقى أم الحويرث ماؤه ... بحيث انتوت واهي الأسرة مرزف
وقال ابن السكيت: غران واد ضخم بالحجاز بين ساية ومكة، وقال عرام بن الأصبغ: وادي رهاط يقال له غران، وقد ذكر رهاط في موضعه، وأنشد:
فان غرانا بطن واد أجنه، ... لساكنه عقد علي وثيق
قال: وفي غربيه قرية يقال لها الحديبية، وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب من خط ابن اليزيدي:
تأمل خليلي هل ترى من ظعائن ... بذي السرح أو وادي غران المصوب
جزعن غرانا بعد ما متع الضحى ... على كل موار الملاط مدرب
قال ابن إسحاق في غزاة الرجيع: فسلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على غراب جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء ثم صفق ذات اليسار ثم خرج على يين ثم على صخيرات اليمامة ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ثم استبطن السيالة فأغذ السير سريعا حتى نزل على غران وهي منازل بني لحيان، وغران: واد بين أمج وعسفان إلى بلد يقال له ساية، قال الكلبي:
ولما تفرقت قضاعة عن مأرب بعد تفرق الأزد انصرفت ضبيعة بن حرام بن جعل بن عمرو بن جشم بن ودم بن ذبيان بن هميم بن ذهل بن هنى بن بلي في أهله وولده في جماعة من قومه فنزلت أمج وغران، وهما واديان يأخذان من حرة بني سليم ويفرغان في البحر، فجاءهم سيل وهم نيام فذهب بأكثرهم وارتحل من بقي منهم فنزل حول المدينة.

الغران:
بفتح أوله، وتشديد ثانيه، تثنية الغر: وهو الكسر في الجلد من السمن، والغر: زق الطائر فرخه، والغر: الشرك في الطريق، ومنه: اطو الثوب على غره، أي على كسره، والغر النهر الصغير: اسم موضع في قول مزاحم العقيلي:
أتعرف بالغرين دارا تأبدت ... من الوحش واستفت عليها العواصف." (١)

"الأوثان، قال ابن الكلبي: وغسان ماء باليمن قرب سد مأرب كان شربا لولد مازن بن الأزد بن الغوث نزلوا عليه فسموا به، وهذا فيه نظر لأن مازن من ولد مازن بن الأزد وقد قال هو في جمهرة النسب:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٩١/٤

إنه ليس من غسان والعتيك من ولد مازن ولم يقل إنه من غسان، ويقال: غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه سموا به فسمي به قبائل من ولد مازن بن الأزد، وقد ذكرتهم الشعراء، قال حسان، وقيل سعد بن الحصين جد النعمان بن بشير:

يا بنت آل معاذ! إنني رجل ... من معشر لهم في المجد بنيان

شم الأنوف لهم عز ومكرمة، ... كانت لهم من جبال الطود أركان

إما سألت فإنا معشر نجب، ... الأزد نسبتنا والماء غسان

غسل:

بضم أوله، قال أبو منصور: الغسل تمام غسل الجلد كله، والغسل، بالفتح: المصدر، والغسل: الخطمي، وغسل: جبل من عن يمين سميراء وبه ماء يقال له غسلة.

غسل:

بالتحريك، بوزن عسل النحل، منقول عن الفعل الماضي من الغسل: جبل بين تيماء وجبلي طيء في الطريق، بينه وبين لفلف يوم واحد.

غسل:

بكسر أوله، وسكون ثانيه، ما يغسل به الرأس من الخطمي وغيره، وذات غسل: بين اليمامة والنباج، بينها وبين النباج منزلان، كانت لبني كليب بن يربوع ثم صارت لبني نمير، قاله ابن موسى، وقال العمراني: ذو غسل قرية لبني امرئ القيس في شعر ذي الرمة، وقال الراعي:

وأظعان طلبت بذات لوث ... يزيد رسيمها سرعا ولينا

أنخن جمالهن بذات غسل ... سراة اليوم يمهدن الكدونا

وقال أبو عبيد الله السكوني: من أراد اليمامة من النباج فمن أشي إلى ذات غسل وكانت لبني كليب بن يربوع رهط جرير وهي اليوم لنمير، ومن ذات غسل إلى أمرة قرية، وأنشد الحفصي:

بثرمداء شعب من عقل ... وذات غسل ما بذات غسل

وبها روضة تدعى ذات غسل.

الغسولة:

قال الحافظ أبو القاسم: رسلان بن إبراهيم ابن بلال أبو الحسن الكردي سمع أبا القاسم عبد الواحد ابن جعفر الطرميسي ثم البغدادي بصور في سنة ٤٨٠ وحدث بالغسولة من قرى دمشق سنة ٥٢٥، سمع منه

أبو المجد بن أبي سراقة وأبو الوقار رشيد بن إسماعيل بن واصل المقري. والغسولة: منزل للقوافل فيه خان على يوم من حمص بين حمص وقارا.

باب الغين والشين وما يليهما

غشاوة:

بضم أوله، وبعد الألف واو، هكذا جاء فيكون علما **مرتجلا** لأن الغشاوة التي من الغشاء إنما هي بالكسر: وهو يوم من أيام العرب أغار فيه بسطام بن قيس بكر بن وائل على سليط.

غشب:

بالفتح ثم السكون، وآخره باء موحدة:

موضع، عن ابن دريد: نسب إليه الغشبي وهو رجل، ولم أجد لهذا البناء أصلا في كلام العرب.

غشدان:

بضم أوله ثم السكون، ودال مهملة، وآخره نون: من قرى سمرقند.." (١)

"أشاقتك المنازل بين مذعى ... إلى شعر فأكناف الكؤود؟

قال أبو زياد: إذا خرج عامل بني كلاب مصدقا من المدينة فأول منزل ينزله يصدق عليه أريكة ثم العناقة ثم يرد مذعى لبني جعفر ثم يرد الصلوق، وعلى مذعى عظيم بني جعفر وكعب بن مالك وغاضرة بن صعصعة.

مذفار:

بالكسر ثم السكون، والفاء، وآخره راء، وهو منقول من الذفر وهو حدة الرائحة طيبة كانت أو خبيثة، وليس باسم المكان منه، ولو كان كذلك لكان مذفر، بالفتح، فهو مثل المقراض من القرض كأن شيئا من الآلة المنقولة سمي به ثم نقل إلى هذا المكان: وهو اسم موضع في قول الهذلي:

لهامهم بمذفار صياح ... يدعي بالشراب بني تميم

وهذا كقول الآخر:

يا عمرو إن لم تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤/٢٠٤

المذنب:

جبل، وقال الحفصي: المذنب قرية لبني عامر باليمامة في شعر لبيد، قال:

طرب الفؤاد، وليته لم يطرب، ... وعناه ذكرى خلة لم تصقب

سفها، ولو أني أطيع عواذلي ... فيما يشرن به بسفح المذنب

لزجرت قلبا لا يريع لزاجر، ... إن الغوي إذا غوى لم يعتب

مذود:

بالكسر ثم السكون، وفتح الواو، ودال مهملة، مذود الثور الوحشي: قرنه يذود به عن نفسه، ومذود الرجل لسانه مثله، والمذود: معلف الدابة، ومذود: جبل، قال أبو دؤاد الإيادي في ذلك يصف فرسا:

يتبعن مشترفا ترمي دوابره ... رمي الأكف بترب الهائل الخصب

كأن هاديه جذع برايته ... من نخل مذود في باق من الشذب

وهذا يدل على أنه موضع معمور فيه نخل لا جبل، فإن النخل ليس من نبات الجبال.

مذيامجكث:

بالفتح ثم السكون، وياء مثناة من تحت، وميم ساكنة، وجيم مفتوحة، وكاف مفتوحة، وثاء مثلثة: قرية من قرى كرمينية من أعمال سمرقند.

مذيانكن:

بالفتح ثم السكون، وياء مثناة من تحت، ونون ساكنة بعد الألف يلتقي فيها ساكنان، وفتح الكاف، ونون: قرية من قرى بخارى.

مذيح:

بضم أوله، وفتح ثانيه، وياء مثناة من تحت شديدة، وحاء مهملة، الذي جاء على هذا ذوح إبله إذا بددها، والذوح: السير العنيف، فقياسه مذوح فيكون **مرتجلا** على هذا: وهو ماء ببطن مسحلان، قال ابن حريق:

لقد علمت ربيعة أن بشرا ... غداة مذيح مر التقاضي

المذيخرة:

كأنه تصغير المذخرة، بالخاء معجمة، والراء: وهو اسم قلعة حصينة في رأس جبل صبر وفيها عين في رأس الجبل يصير منها نهر يسقي عدة قرى باليمن، وهي قريبة من عدن يسكنها آل ذي مناخ، وبها كان منزل أبي جعفر المناخي من حمير، قال عمارة بن أبي الحسن: المذيخرة من أعمال صنعاء وهو جبل بلغني أن أعلاه نحو عشرين فرسخا فيه المزارع والمياه ونبت الورس وفي شفيره الزعفران ولا يسلك." (١)

"الاسم علما فهو مرتجل كحمدان وعمرا ن وغطفان، وإن كان العلم **مرتجلا** فهو غير قياسي كموظب ومكوزة ومحبب وحياة. وأما الانفصال، فالحقيقي: هو ما يراد به المنع عن الجمع وعن الخلو معا كقولك كل اسم فإما أن يكون معربا وإما أن يكون مبنيا فلا شيء من الأسماء يجمع عليه الإعراب والبناء معا أو يسلبان عنه معا. وغير حقيقي: هو ما يراد به المنع عن الجمع فحسب كقولك لمن يقول في ضمير إنه منفصل مجرور: الضمير إما أن يكون منفصلا، وإما أن يكون مجرورا تريد أن الانفصال والانجرار لا يجتمعان للضمير لا أنهما لا يرتفعان عنه، كيف والمتصل المرفوع أو المنصوب في البين، أو ما يراد به المنع عن الخلو كقولك لهذا القائل الضمير إما أن لا يكون منفصلا وإما أن لا يكون مجرورا تريد أنه لا يخلو عنهما معا، أعني عدم كونه منفصلا، وعدم كونه مجرورا لأنه بتقدير خلوه عن عدمهما معا يستلزم اتصافه بوجودهما معا لامتناع الواسطة بين وجود الشيء وعدمه فيكون منفصلا مجرورا معا، ثم في كلام العرب تراكيب للحمل في غير الشرط، إذا تأملتها وجدتها تنوب مناب الشرطيات كقولك: لا يتوب المؤمن عن الخطيئة ويدخل النار ينوب بواو الصرف هذا عن الشرطي المتصل مناب إن تاب المؤمن عن الخطيئة لم يدخل، ومن المنفصل مناب إما أن لا يتوب وإما أن يدخل النار، وكقولك لا أخليك أو تؤدي إلي الحق بالنصب ينوب هذا عن الشرطي المتصل مناب إن لم أخلك أديت إلي الحق، ومن المنفصل مناب إما أن لا تكون تخلية وإما أن يكون أداء وكقولك إن شئت ليس يتوب المؤمن عن الخطيئة إلا ويدخل الجنة وفي أمثال هذه التراكيب كثرة، فمن أحب الاطلاع عليها فليخدم علم النحو وما سبق من علم المعاني،." (٢)

"وسموت للعلياء أطلب غاية ... يشقى بها الغاوي ويحظى الراجي

ومن شعره [١] :

أنا شيعي لآل المصطفى ... غير أني لا أرى سب السلف

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥/٩٠

(٢) مفتاح العلوم السكاكي ص/٤٩٤

ضأقصد الإجماع في الدين ومن ... قصد الاجماع لم يخش التلف

لي بنفسي شغل عن كل من ... للهوى قرظ قوما أو قذف

ومن شعره:

فقام يباهي غرة الشمس نوره ... وتنصف من ظلم الزمان عزائمه

أغر له في العدل شرع يقيمه ... وليس له في الفضل ند يقاومه

وقال على لسان ذلك الملك يخاطب الظاهر لاعزاز دين الله حين أمر بالختم على جميع ما له هذين البيتين، وكانا السبب في الإفراج عما أخذ منه والرضى عنه:

من شيم المولى الشريف العلي ... ألا يرى مطرحا عبده

وما جزا من جن من حبكم ... أن تسلبوه فضلكم عنده

وكان ابن خيران قد خرج إلى الجيزة متنزها ومعه جماعة من أصحابه المتقدمين في الأدب والشعر والكتابة، وقد احتفوا به يمينا وشمالا، فأدى بهم السير إلى مخاضة مخوفة، فلما رأى إحجام الجم؛عة من الفرسان عنها وظهور جزعهم منها قنع بغلته فولجها حتى قطعها، وانثنى قائلا **مرتجلا**:

ومخاضة يلقى الردى من خاضها ... كنت الغداة إلى العدا خواضها

وبذلت نفسي في مهاول خوضها ... حتى تنال من العلا أغراضها

وله أيضا:

من كان بالسيف يسطو عند قدرته ... على الأعادي ولا يبقى على أحد

ضفإن سيفي الذي أسطو به أبدا ... فعل الجميل وترك البغي والحسد

---

[١] ورد الأول من هذه الأبيات في المغرب: ٢٤٧.." (١)

"(صاحب الترجمة) فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعرا شاهدا، وأتى بحكاية تناسبها، فأعجب المنصور فقربه وقدمه.

وكان يوما [١] بمجلس المنصور أيضا فأحضرت إليه وردة في غير أوانها لم يكمل فتح ورقها فقال فيها صاعد **مرتجلا**:

أتتك أبا عامر وردة ... يذكرك المسك أنفاسها

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١/٣٨٣

كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها راسها

فسر بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى إلى مناقضته وقال للمنصور: هذان البيتان لغيره، وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر، وكان أحسن أهل زمانه بديهة، فوصف له ما جرى، فقال ابن بدر هذه الأبيات، ودس فيها بيتي صاعد:

غدوت إلى قصر عباسة ... وقد جدل النوم حراسها

فألفيتها وهي في خدرها ... وقد صدع السكر أناسها

فقالت أسرت على هجعة ... فقلت بلى فرمت كاسها

ومدت يديها إلى وردة ... يحاكي لك الطيب أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها راسها

وقالت خف الله لا تفضحن ... في ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على خجلة ... وما خنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر، ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه وقال للحاضرين: غدا أمتحنه، فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد، ولم يبق في موضع لي عليه سلطان، فلما أصبح أرسل

---

[١] الخبر في الجذوة والذخيرة ٤/١: ١٧ ونفح الطيب ٣: ٧٩ وبدائع البدائه: ٢٢٩ والريحان والريعان ١: ١٥٤ والشريشي ١: ١١٨.." (١)

"[٦١٥] طلحة بن محمد النعماني أبو محمد

وقيل أحمد بن طلحة، من أهل النعمانية: [كان] فاضلا عارفا باللغة والأدب، حسن الشعر، ورد إلى بغداد، وخرج منها إلى خراسان وأقام ببلادها مدة.

سمعت أبا عمرو عثمان بن محمد البقال بخوارزم يقول: كنت أنا والشيخ أبو محمد طلحة نمشي ذات يوم في السوق، واستقبلنا عجلة عليها حمار ميت يحمله الدباغون إلى الصحراء ليسلخوا جلده، فقلت **مرتجلا:**

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١١٦٥/٣

يا حاملا صرت محمولا على عجله

فقال أبو محمد مجيبا:

وافاك موتك منتابا على عجله

ومضت على ذلك أيام قلائل، فلقيني السيد أبو القاسم الفخر بن محمد اليزيدي «١» العلوي، فحكيت له هذه القصة، ففكر سويعة وقال:

والموت لا تتخطى الحي رميته ... ولو تباطأ عنه الحي أزعج له

ومن شعر أبي محمد طلحة:

يا ملكا في أفق الدست لاح ... فخاله الناظر ضوء الصباح

ليس على من رام نيل الغنى ... بالمدح من جودك يوما جناح

يا خاتم الحمد بأوصافه ... جد لي كما كان بك الافتتاح

ما بال حظي كلما رضته ... بالمدح أعياني بطول الجماح

---

[٦١٥] ترجمته في الخريدة (قسم العراق) ٢: ٣- ٥١ وإنباه الرواة ٢: ٩٣ ونزهة الألباء: ٢٦٧ والوافي ١٦: ٤٨٦ (وهو ينقل عن ابن النجار) والفوات ٢: ١٣٥ وبغية الوعاة ٢: ٢٠ والنعماني نسبة إلى النعمانية وهي بلدة بين بغداد وواسط (والترجمة في م موجزة كثيرا، وما ها هنا اكثره من المختصر) .." (١)

"فخر الدين محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري، وكان يوما باردا سقط فيه الثلج، فبينما الشيخ يلقي الدروس إذ سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها، فلما صارت بين الناس خاف الجارح وطار، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من الخوف والبرد، فرق لها الامام فخر الدين وأخذها بيده وحنا عليها، فأنشده ابن عنين مرتجلا «١» :

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا ... في يوم مسغبة وثلج خاشف

العاصمين إذا النفوس تطايرت ... بين الصوارم والوشيج الراعف

من نبأ الورقاء أن محلكم ... حرم وأنك ملجأ للخائف

وفدت عليك وقد تدانى حتفها ... فحبوتها ببقائها المستانف

لو أنها تحبى بمال لا نثنت ... من راحتيك بنائل متضاعف

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٤٦٠/٤

جاءت سليمان الزمان بشكوها ... والموت يلمع من جناحي خاطف

قرم يطاردها فلما استأمنت ... بجنابه ولى بقلب واجف «٢»

وله من قصيدة كتب بها إلى العادل يشكو الغربة والشوق الى الشام «٣» :

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهم لو سامحوني بالكرى

جنحوا إلى قول الوشاة وأعرضوا ... والله يعلم أن ذلك مفترى

يا معرضا عني بغير جناية ... الا لما نقل «٤» العذول وزورا

هبني أسأت كما تقول وتفتري ... وأتيت في حبيك شيئا منكرا

ما بعد بعدك والصدود عقوبة ... يا هاجري ما آن لي أن تغفرا

لا تجمعن علي عتبك والنوى ... حسب المحب عقوبة أن يهجرا." (١)

"حرف الواو

[١٢١٤] واصل بن عطاء أبو حذيفة الغزال مولى بني ضبة:

كان متكلما بليغا أديبا متفننا خطيبا، ولقب بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي. وكان بشار بن برد قبل أن يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة كثير المديح لواصل بن عطاء وفضله في الخطابة على خالد بن صفوان وشبيب بن شبة والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق، فقال في ذلك «١» :

أبا حذيفة قد أوتيت معجزة ... من خطبة بدهت من غير تقدير

وإن قولا يروق الخالدين معا ... لمسكت مخرس عن كل تحبير

وقال في ذلك أيضا «٢» :

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا ... وحبروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلي بداهته ... كمرجل القين لما حف باللهب

[١٢١٤] ترجمة واصل في الفهرست: ٢٠٢ وأمالي المرتضى ١: ١٦٣ وابن خلكان ٦: ٧ وميزان الاعتدال ٤: ٣٢٩ وسير الذهبي ٥: ٤٦٤ ومرآة الجنان ١: ٢٧٤ ولسان الميزان ٦: ٢١٤ والفرق بين الفرق: ١١٧ والنجوم الزاهرة ١: ٣١٣ والشذرات ١: ١٨٢ وفي البيان والتبيين معلومات عنه، وخطبته التي جانب

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٦/٢٦٦٢

فيها الراء وردت في نوادر المخطوطات: ١٣٤ وانظر فرق وطبقات المعتزلة (تحقيق النشار وعصام الدين علي) : ٤١- ٤٨ وخطط المقريزي ٢: ٣٤٥ ومروج الذهب ٥: ٢٢ ومقاتل الطالبيين: ٢٩٣ ورغبة الآمل ٧: ٧٨، ١١٤، ١١٦.." (١)

"- ٢٩ -

وكتب إلى بعض الأكابر وقد دخل إليه مرة وأراد الاستئذان عليه ثانيا:

العين مني لم تزل في أذى ... من نظري للهمل الماشيه

وأجمع الناس على أنها ... إذا رأتكم رأت العافيه

بالنظرة الأولى انجلى داؤها ... فلتجلها نظرتك الثانيه

ابن الشعار ٩: ٣٤٢- ٣٤٣

ملاحظات ملحقة

(١) ترجمة طلحة بن محمد النعماني

الوافي بالوفيات ١٦: ٤٨٦ والفوات ٢: ١٣٥.

قال ياقوت في معجم الأدباء: سمعت أبا عمرو عثمان بن محمد البقال بخوارزم يقول: كنت أنا والشيخ أبو محمد طلحة نمشي ذات يوم في السوق، فاستقبلنا عجلة عليه حمار ميت يحمله الدباغون إلى الصحراء ليسلخوا جلده، فقلت **مرتجلا**:

يا حاملا صرت محمولا على عجله

فقال:

وافاك موتك منتابا على عجله

ومضت على ذلك أيام قلائل، فلقيني السيد أبو القاسم الفخر بن محمد الزبيدي، فحكيت له هذه القصة، ففكر سويعة وقال:

والموت لا يتخطى الحي رميته ... ولو تباطأ عنه الحي أزعج له

(٢) ترجمة ناصر بن عبد السيد المطرزي شارح المقامات

فوات الوفيات ٤: ١٨٣/قال ياقوت في معجم الأدباء: «أنشدني المطرزي ببغداد لنفسه:

يا خليلي اسقياني بالزجاج ... حلب الكرمة من غير مزاج

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٧٩٣/٦

أنا لا ألتذ سمعا باللجاج ... فاسقنيها قبل تغريد الدجاج

قبل أن يؤذن صبحي بانبلاج." (١)

"وكان عبد الجليل منطقا بما يقول، يجري على لسانه المقول. حدثنا غير واحد من شيوخنا رحمهم الله، منهم سلطان بلنسية أبو عبد الملك بن عبد العزيز، والوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عميرة، والفقيه القاضي بجزيرة شقر أبو يوسف يعقوب بن طلحة، قالوا: حدثنا الوزير أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة قال:

لقيت الشاعر أبا محمد عبد الجليل بين لورقة والمرية، فبتنا نتناشد الأشعار، ونتذاكر الآداب والأخبار؛ فلما انفجر عمود الصباح، وحيعل داعي الفلاح؛ وكان العدو على مقربة من البلاد، والناس في ضروب من الخوف والأنكاد؛ سرنا وفؤاد عبد الجليل يطير فرقا، وفرائصه ترعد قلقا؛ فأخذت أسكن روعه بأناشيد من القريض، وهو لما داخله من الوجل كالمدنف المريض؛ لا يبدي ولا يعيد، إلى أن اطلعت لنا اليد؛ مشهدين وعليهما رأسان يخاطبان، من الحال بأفصح لسان؛ فقلت **مرتجلا**، والركب يجد السير من الفزع عجلا:

ألا رب رأس لا تزاور بينه ... وبين أخيه والمزار قريب

أناف به صلد الصفا فهو منبر ... وقام على أعلاه وهو خطيب ." (٢)

"سر حل حيث تحله النوار ... وأراد فيك مرادك الأقدار

وإذا ارتحلت فشيعتك غمامة ... أني حللت وديمة مدرار

تنفي الهجير بظلها وتنيم بالر ... ش القتام وكيف شئت تدار

وقضى الإله بأن تعود مظفرا ... وقضيت بسيفك نحبها الكفار

وقد أبدع في هذه الأبيات غاية الإبداع، وهي من ابلغ ما قيل في الوداع.

وأنشدني رحمه الله قال: أنشدني الوزير الشريف الحسيب النسيب أبو محمد عبد العزيز بن الحسن بن أبي البسام الحسيني، فريد عصره ووحيد دهره.

قال: نزلت بفندق بمدينة دانية ليلا، فرأتني امرأة كانت تعرفني في أيام السلطان أبي الطاهر تميم، وهي الحرة الفاضلة مريم بنت إبراهيم؛ والدنيا قد سحبت على من جاهها ووزارتها ذيلا، فقلت **مرتجلا**:

عاذلتي لا تفنديني ... أن صرت في منزل هجين

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٩٣٩/٧

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/١٢٢

فليس قبح المكان مما ... يقدح في منصبي وديني

الشمس علوية ولكن ... تغرب في حمأة وطين

وكان شيخا هذا رحمه الله يلقب باللص لدياثته وسكونه، وتردده خفية في جميع شؤونه؛ وكان لا ينكر هذا اللقب مع جاهه عند سلطان زمانه،." (١)

"ورفع. وذهب الفراء إلى انه لا يجوز العطف إلا على ما لا يبين فيه العمل، نحو: إنك وزيد ذاهبان، لأنه بعدم التأثير ضعفت، فجاز العطف كما لو كان على المبتدأ. وإذا كان كذلك جاز أيضا توكيد الموضع بالرفع، والله اعلم.

وأنشدني أيضا يخاطب شيخنا المحدث الفقيه اللغوي النحوي الأصولي أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف، يعرف بابن قرقول، أيام كونه بمدينة سبتة، فلما رحل منها إلى سلا، قال **مرتجلا**:

ألا فسلا عمن عهدت تحفيا ... وهل نافعي إن قلت من لوعة سلا

سلا عن سلا إن المعارف والنهي ... بها فدعا أم الرباب ومأسلا

بكيت أسى أزمان كان بسبتة ... فكيف التأسي حين منزله سلا

وقال أناس إن في البعد سلوة ... وقد طال هذا البعد والقلب ماسلا

فليت أبا إسحاق إذ شطت النوى ... تحيته الحسنى مع الريح أرسلا

فعادت دبور الريح عندي كالصبا ... لدى عمر إذ أمر زيد تبسلا

هذا البيت حكاية لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أخيه الشهيد المهاجر، وكان أسن من أخيه وأسلم قبله، وشهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قتل يوم اليمامة شهيدا.

فقد كان يهديني الحديث موصلا ... فأصبح موصول الأحاديث مرسلا." (٢)

"كالسائل من نجيع الذبيح من الأوداج؛ فأظهر السلطان التطير بذلك وجلا، فصرف ذلك عن خاطره بإنشاده على البديهية **مرتجلا**:

ومجلس بالسرور مشتمل ... لم يخل فيه الزجاج عن أرب

سرى بأعطافه ترنحنا ... فشق أثوابه من الطرب

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/٢٠١

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/٢٣٥

فسر السلطان وسرى عنه، واستحسن سماحة خاطره بهذين البيتين البديعين منه؛ وأمر له بجائزة سنية، وخلعة رائعة بهية.

وقد انتهى ما أملته من كلام مرتجل، وبديه على عجل؛ ولولا الاستنامة إلى الإغضاء، وأن المبادرة إلى امتثال أمر السلطان أقرب إلى الإرضاء؛ لما أرعفت لليراع أنفا، ولا حملت الروية على الكاتب عنفا؛ لبعد المملوك عن بلاده، وكلب العدو في البحر على كتبه وطارفه وتلاده.

فإن وافق اجتهادي أمله، ووقفت على الغرض الذي سأله، فذلك نكتة من فضله عرضت عليه، وبضاعته ردت إليه؛ ضاعف الله له وعنده مواد الإسعاد، وأخدمه النصر في كل مبدأ، وختم له بالظفر في كل معاد، واهلك أعاديه وأبعدهم إبعاد ثمود وعاد. وصلى الله على سيد ولد آدم وأمينه على وحيه الذي بعثه في أشرف زمان، وجعله من عصمته في ذمة وأمان؛ فجد في علو كلمة الله غير مقصر ولا وان، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الزيغ والعدوان:

فهاك ما شئت من نظم له نسق ... كالدر فصل فامتازت فرائده." (١)

"ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب، وهو:

"وصل كتابه فوقف منه على اللفظ الرخيم، والمعنى الذي هو في كل واد يهيم، وقال: يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم، ثم أخذ إعلاء قدره، وتنويه ذكره، ولم يستفت الملأ في الإذعان لأمره، ولا أهدى في قبالته سوى هدية لسانه وصدره، لا جرم أنها تقبل ولا ترد، ويعتد بها ولا تعد، فإنها مال لا ينفده الإنفاق، وجوهر تتحلى به الأخلاق لا الأعناق".

وهذا مأخوذ من قصة سليمان -عليه السلام- في كتابه إلى بلقيس، وهي مذكورة في سورة "النمل"١، وفي هذا من شرف الصنعة أنه خولف بين معانيه ومعاني ما أتى به في القرآن الكريم.

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن ذكر معركة حرب بين المسلمين والكفار، وهو:

"إذا خطب القلم عن الرمح الذي هو نديده قام محتفلا، وأسهب مترويا **ومرتجلا**، حتى يأتي في خطابته بالمعاني الأخائر، وأصدق القول ما صدر عن شهادة الضرائر للضرائر، وكتابنا هذا يصف معركة احمرت ضبابتها، وضاقت بالأسود غابتها، فالطعن بها محتضر، والموت محتقر، والنصر من كلا الفريقين مقتسر، وكان الإسلام هناك زجر السنيح٢، وفوز القدح المنيح٣، وليس الذي يرقب المعونة من الله الذي هو رب المسيح كمن يرقبها من المسيح، ولقد نفذت الرماح في أعداء الله حتى اعتدلت من جانبي الصدور

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/٢٤٢

والظهور، وتركت الناجي منهم وهو لا ينظر إلى الصليب إلا نظر الخائف المذعور، فليس لهم من بعدها جيش يجمع، ولا

---

١ سورة النمل: انظر الآية "٢٩" وما بعدها من الآيات.

٢ السنيح والسانح: ما ولاك ميامنه، وكانوا يتفاءلون به، ومنه قولهم: "من لي بالسانح بعد البارح" أي: بالمبارك بعد الشؤم.

٣ المنيح على وزن أمير: قدح بلا نصيب، قد يستعار تيمنا بفوزه، أو قدح له سهم "انظر القاموس المحيط ١/ ٢٥١".." (١)

"استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما الآخر.

واعلم أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة، وعلى التشبيه المضمر الأداة معا، باختلاف القرينة، وذاك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من تقدم ذكره، فينتقل عن ذلك إلى غيره، ويرتجل **ارتجالا**.

فمما جاء منه قول البحتري١:

إذا سفرت أضاءت شمس دجن ... ومالت في التعطف غصن بان٢

فلما قال: "أضاءت شمس دجن" -بنصب الشمس- كان ذلك محمولا على الضمير في قوله: "أضاءت" كأنه قال: أضاءت هي، وهذا تشبيه؛ لأن المشبه مذكور، وهو الضمير في "أضاءت" الذي نابت عنه التاء، ويجوز حمله على الاستعارة، بأن يقال: "أضاءت شمس دجن" برفع الشمس، ولا يعود الضمير حينئذ إلى من تقدم ذكره.

وإنما يكون الكلام **مرتجلا** ويكون البيت:

إذا سفرت أضاءت شمس دجن ... ومال من التعطف غصن بان

وهذا الموضع فيه دقة غموض، وحرف التشبيه يحسن في الأول دون الثاني.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١/١٤٥

١ ديوان البحتري ١/ ١٣٧ من قصيدة يمدح فيها أحمد، وإبراهيم بني المدبر ومطلعها:

عناني من صدودك ما عناني ... وعاودني هواك كما بداني

٢ رواية الديوان:

إذا انصرفت أضاءت شمس دجن ... ومال من التعطف غصن بان." (١)

"ترى فوقها نمشا للمزاج ... تباذير لا يتصلن اتصالا

كوجه العروس إذا خططت ... على كل ناحية منه حالا

ومن هذا القسم قول مسلم بن الوليد:

تلقى المنية في أمثال عدتها ... كالسيل يقذف جلمودا بجلمود١

وعلى هذا الأسلوب ورد قول العباس بن الأحنف٢:

لا جزى الله دمع عيني خيرا ... وجزى الله كل خير لساني

نم دمعي فليس يكتم شيئا ... ووجدت اللسان ذا كتمان

كنت مثل الكتاب أخفاه طي ... فاستدلوا عليه بالعنوان

وهذا من اللطيف البديع.

ويروى أن أبا نواس لما دخل مصر مادحا للخصيب جلس يوما في رهط من الأدباء، وتذكروا منازة بغداد، فأنشد مرتجلا:

ذكر الكرخ نازح الأوطان ... فصبا صبوة ولات أوان٣

ثم أتم ذلك قصيدا مدح به الخصيب، فلما عاد إلى بغداد دخل عليه العباس بن الأحنف، وقال: أنشدني شيئا من شعرك بمصر فأنشده:

ذكر الكرخ نازح الأوطان

---

١ من قصيدة له في مدح داود بن حاتم بن خالد المهلب، ومطلعها:

لا تدع بي الشوق إني غير معمود ... نهى النهي عن هوى الهيف الرعاديد

٢ هذه الأبيات منسوبة في الأمالي "١/ ٢٠٩" لأبي نواس، قال القالي: وكان أبو بكر بن دريد يستحسن قول أبي نواس في هذا المعنى: "لا جزى الله دمع عيني.... الأبيات"، وكتب بها مش أصله "هذه الأبيات

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٦٣/٢

للعباس بن الأحنف، وفي كتاب "التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه" ٦٦ ما نصه "قال أبو علي: وكان ابن دريد يستحسن قول أبي نواس: "لا جزى الله دمع عيني خيرا ... " وهذا الشعر للعباس بن الأحنف بلا اختلاف، وهو ثابت في ديوان بن الأحنف.

٣ ديوان أبي نواس ٩٧ وهو مطلع قصيدة له في مدح الخصيب بن عبد الحميد العجمي ثم المرادي، وهو دهقان من أهل المزار شريف الآباء، وليس بابن صاحب نهر أبي الخصيب، ذاك عبد للمنصور يقال له: "مرزوق"، وكان هذا رئيسا في أرضه، فانتقل إلى بغداد، وصار كاتب مهرويه الرازي، ثم انتقل إلى الإمارة، وفي الأصل "الكرج" بالجيم موضع "الكرخ"، وهو تصحيف.." (١)

"ويعتد بها ولا تعد، فإنها مال لا ينفده الإنفاق، وجوهر تتحلى به الأخلاق لا الأعناق.

وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام في كتابه إلى بلقيس، وهي مذكورة في سورة النمل، وفي هذا من شرف الصنعة أنه خولف بين معانيه ومعاني ما أتى به القرآن الكريم.

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن ذكر معركة حرب بين المسلمين والكفار، وهو: إذا خطب القلم عن الرمح الذي هو نديده قام محتفلا، وأسهب مترويا **ومرتجلا**، حتى يأتي في خطابته بالمعاني الأخائر، وأصدق القول ما صدر عن شهادة الضرائر للضرائر، وكتابنا هذا يصف معركة احمرت ضبابتها، وضاقت بالأسود غابتها، فالطعن بها محتضر، والموت محتقر، والنصر من كلا الفريقين مقتسر، وكان الإسلام هناك زجر السنيح، وفوز القدح المنيح، وليس الذي يرقب المعونة من الله الذي هو رب المسيح كمن يرقبها من المسيح، ولقد نفذت الرماح في أعداء الله تعالى حتى اعتدلت من جانبي الصدور والظهور، وتركت الناجي منهم وهو لا ينظر إلى الصليب إلا نظر الخائف المذعور، فليس لهم من بعدها جيش يجمع، ولا لواء يرفع، وقد كانت بلادهم من قبل مانعة وهي الآن لا تذب عنها ولا تمنع، وهذه معركة قلت بها الرقاب المأسورة، وكثرت النفوس المقتولة، وقربت بها القرابين التي تأكلها النار لا لأنها مقبولة.

ومعنى الآية في هذا الفصل مأخوذ من سورة آل عمران، إلا أنها تخالفه، وذاك أن القربان كان يقبل فتنزل النار تأكله وأجساد هؤلاء الكفار قربان تأكله النار لكنها لا تأكله لأنه مقبول، وباقي الفصل يتضمن معنى حسنا رقيقا.

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن الشكوى من خلق بعض الإخوان، وهو: ولقد صبرت على أخلاقه العائثة، وعاملته بالخليقة الرائثة، وعالجته بضروب المعالجات فلم تنفع فيه رقى الراقية ولا نفث

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١١٥/٢

النافثة، ولما أعيا علي إصلاحه أخذت بمقالة الخضر لموسى في المرة الثالثة.

وهذا مأخوذ من قصة موسى عليه السلام وقصة الخضر في سورة الكهف.." [1]

"فتأمل ما أشرت إليه وتدبره حتى تعلم أني ذكرت ما لم يذكره أحد غيري على هذا الوجه.

وإنما سمي هذا القسم من الكلام استعارة لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر.

واعلم أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة وعلى التشبيه المضمر الأداة معا، باختلاف القرينة، وذاك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من تقدم ذكره فينتقل عن ذلك إلى غيره ويرتجل **ارتجالا**.

فمما جاء منه قول البحتري «١» :

إذا سفرت أضاءت شمس دجن ... ومالت في التعطف غصن بان

فلما قال: «أضاءت شمس دجن» بنصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير في قوله: «أضاءت» كأنه قال أضاءت هي، وهذا تشبيه؛ لأن المشبه مذكور، وهو الضمير في «أضاءت» الذي نابت عنه التاء، ويجوز حمله على الاستعارة بأن يقال: «أضاءت شمس دجن» برفع الشمس، ولا يعود الضمير حينئذ إلى من تقدم ذكره، وإنما يكون الكلام **مرتجلا**، ويكون البيت:

إذا سفرت أضاءت شمس دجن ... ومال من التعطف غصن بان." [2]

"ومن هذا القسم قول مسلم بن الوليد «١» :

تلقى المنية في أمثال عدتها ... كالسيل يقذف جلمودا بجلمود

وعلى هذا الأسلوب ورد قول العباس بن الأحنف «٢» :

لا جزى الله دمع عيني خيرا ... وجزى الله كل خير لساني

نم دمعي فليس يكتم شيئا ... ووجدت اللسان ذا كتمان

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١/١٣٥

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١/٣٤٧

كنت مثل الكتاب أخفاه طي ... فاستدلوا عليه بالعنوان

وهذا من اللطيف البديع.

ويروى أن أبا نواس لما دخل مصر مادحا للخصيب جلس يوما في رهط من الأدباء، وتذكروا منازه بغداد، فأنشد **مرتجلا** «٣» :

ذكر الكرخ نازح الأوطان ... فصبا صبوة ولات أوان «٤»." (١)

"يا ذا الذي بجماله وكماله ... رد القلوب النافرات أوانسا

بقر العصيري بقرية يرفة ... رتعت فآذت غارسا أو دارسا

وله رعاة من بنيه خمسة ... أخنوا على شجري فأصبح يابسا

ودفعها للقاصي فأمر بهم فأحضرهم وسجنهم واشتد عليهم وكلفه القاضي ابن حسون أن يذيل له هذا البيت وأنشده له:

أترضى أن تطير بريش عز ... ومن يهواك مقصوص الجناح

فقال **مرتجلا**:

إذا هاجت من الأيام حرب ... فإن جميل رأيكم سلاحي

وإن مالت إلى الراحات نفسي ... فذكرك جنتي وهواك راحي

وقد أصبحت أنشد بيت شعر ... يلوح الغدر فيه كالصباح

أترضى أن تطير بريش عز ... ومن يهواك مقصوص الجناح

ومن كتبه رحمه الله ما كتب به في حق أحد أصهاره: المفاتحة أعزك الله خوض غمار وضرب قمار وقد ألأم الشعب وأرأب الصعب لكن تنشأ أزمات وتطرأ لمن لا يرد من القرابات عزمات يوضع لها الخد ويركب فيها الجد ويترك الأهون ويؤخذ الأشد وإني اقتضبت هذه الحروف من خطوب تنوب وحوادث مضلات لا تؤوب وكأني أنحتها من حجارة الأزارق وأستنزلها من خلب البوارق وأسألها عود الشباب المفارق ورد الليالي الحالكة على المفارق فناهيك بها عسرة وإضافة وافتقارا إلى عطائك وفاقة وحسرة لا ترجو منها الخواطر إفاقة وفلان كر على القف ولا يعرف ما في الخف قد ركب لجاجته ولم ير ما حيلة إلا حاجته ولولا ولاء

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٣٩٢/١

صادق حثه وثناء عاطر بثه وشهادة في محاسنك استحفظها ونبذ من محامدك نبذها إلي ولفظها استحق بها مني إحمادا واستوجب لمكانها اعتدادا واعتمادا إلى ما اعترف به من إكمال ناظر واهتبال خاطر عمه فضلها وعمره طولها ما تمكن لي كتب حرف ولا تنسمت من إجهاض الحوادث بعرف والله يشكر إجمالك ويحمد إخلالك ويبلغك في الدارين آمالك بمنه." (١)

"ونالها على الكمال والتمام بسببه. ومن شعره رحمه الله: [طويل]

بلنسية بيني عن القلب سلوة ... فإنك روض لا أحن لزهرك

وكيف يحب المرء دارا تقسمت ... على صارمي جوع وقتله مشرك

قال الفقيه أبو البحر صفوان بن إدريس في كتابه المسمى بزاد المسافر، وقد ذكر الكاتب أبا عبد الله بن عياش: اجتمعت به ليلة بمراكش، فقال ابن عياش مرتجلا [بسيط]

وليلة من ليالي الصفح قد جمعت ... إخوان صدق، ووصل الدهر مختلس

كانوا على سنة الأيام قد بعدوا ... فألقت شملهم لو ساعد الغلس

وله من قصيدة:

أشفارها أم صارم الحجاج ... وجفونها أم فتنة الحلاج

فإذا نظرت لأرضها وسمائها ... لم تلف غير أسنة وزجاج

وأدبه رحمه كثير، ومنصبه شهير.

ووصفه الأديب أبو عبد الله بن مرج الكحل في صدر كتابه الذي جمع فيه شعره، وطرزه باسم الكاتب أبي عبد الله المذكور، بعد أن قال: ولما جنيت ثمر الانقطاع والانحياش، من الرئيس الأوحد أبي عبد الله بن عياش. جمعت شتاته، ووصلت بتاته، فرسمته باسمه، ووسمته بوسمه، وعوذتها من نفثات المتعسفين بسور كرمه، وأمنتها نقد المنتقدين في فناء حرمه، على أني ما نظمت إلا منثوره، ولا ضمنت ألا حكمه المأثورة، عرفت فاعترفت، ونلت حين وردت بحره فاغترفت.." (٢)

---

(١) مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار ابن خميس ص/٨٧

(٢) مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار ابن خميس ص/١٥٦

"به سأملك أملاكي على ثقة ... ويرجع الحق ضخما وهو مندمج

وصار من ينكر الأملاك يثبتها ... بحجة دخلوا فيها، وكم خرجوا

أمضوا شهادتهم من أجل صحتها ... وطالما ضربوا فيها وقد مرجوا

صك كريم به الدنيا قد ابتهجت ... في مقلتي، وأحبائي قد ابتهجوا

ذكر الشهود وقاضيهم وطالبهم ... في نظم تلك السطور الغر مندمج

قد ضمنت بي إيصاء وتكرمة ... فما لهم عن طريق الحق منعرج

أمنية إن حبا نفسي القضاء بها ... قضى السقام، وجاء البر والفرج

قال الفقيه أبو عمرو بن سالم: وجلسنا يوما مع أبي الفضل في موضع مع جملة من أصحاب، وشرطنا عليه أن لا ينشد من شعره شيئا، وكان ذلك على وجه المداعبة. قال أبو عمرو: فأنشد من شعره. فما زنا نعرض له ونقول له: قد سبقت إلى هذا حتى اغتاظ من ذلك وقال:

جفوتني يا أبا عمرو برأيك في ... شعري، ومنه جميع الدر ينتظم

تعمدا كان هذا القول منك فتب ... وارجع إلى الحق، أين الفضل والكرم

من قال شبه مقال عبت أنت به ... قد استوت عنده الأنوار والظلم

قال: فلما رأيته أظهر تبرمه وشكايته، قلت ولم أقصد إلا نكايته:

عباس شعرك يا هذا قد اتفقت ... على ركاكته مذ كانت الأمم

ما زلت تنشدنيه كل آونة ... حتى حسدت، لعمري، من به صمم

هلا نخلت فلا تجعله مبتذلا ... أين المروءة والآداب والهمم

قال: فضحك رحمه الله، وذهب ما كان به من غيظ يجده.

قال أبو عمرو رحمه الله: ودخل يوما أبو الفضل في مجلس ابن خروف، فوجد فيه ظبيا وسيما، قرطبي الدار، فقال فيه **مرتجلا**:

يا أبا حسن صبرا على ما أصابك ... فإنا بما جئنا، جنينا مصابك." (١)

---

(١) مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار ابن خميس ص/٢٧٦

"قال: لما وقع الفراغ من فتح القدس دنا الحج واستقام منه المفلحون على النهج وقالوا نحرم من المسجد الأقصى إلى البيت الحرام ونفوز مع إدراك فضيلة القدس في هذا العام بأداء فريضة الجهاد وحج ركني الإسلام فاجتمع جمع من أهل ديار بكر والجزيرة والشام وسار بهم الأمير شمس الدين بن المقدم شيخ أمراء الإسلام الكرام فودعه السلطان على كره من مفارقته واستمهله ليحج في السنة الأخرى على موافقته فقال ما معناه: إن العمر قد فرغ والأمل قد بلغ والشيب قد أنذر والقدر قد حذر واغتنم فرصة الإمكان قبل أن يتعذر فمضي والسعادة تقوده والشهادة تروده حتى وصل إلى عرفات وما عرف الآفات فشاع وصوله وسالت سيوله وحالت حيوله وضربت خيامه وخفقت أعلامه واشتغلوا ليلة عرفة بالمناسك فلما أصطبحوا نقرت على العادة نقاراته ونعرت (٢٤١أ) بوقاته فغاظ ذاك أمير الحاج العراقي ففاض غيظه وغاض برد رضاه ولفح فيضه وركب إليه فـي أحرابه وكماة طعانه وضرابه فأوقع به وبأصحابه وأبلاهم بخراجه ونهابه وجرى حكم الله الذي كان ضرب الطبل أوكد أسبابه وقتل جماعة من حاج الشام وجرحوا وهتكت أستارهم ونقل طاشتكين شمس الدين بن المقدم إلى خيمته وهو مجروح وفيه روح وحمله معه إلى منى فقضى ودفن بالعلى وارتاع أمير الحاج بما اجترمه وكيف لم يراقب الله وأحل حرمه وكيف عدا على العائذ بالله وسفك دمه فكتب محضرا على ما اقترفه بعذره فيما اجترحه وألزم أعيان الحاج على ما عينه من المراد فكتبوا مكرهين ووقعوا له على الأنفس والأموال وسلكوا معه طريق السلامة في الأحوال وكان عذره أنه أنكر عليه ضرب الطبل فأبى وثبت عليه من الحرب السبا فلما انتهت إلى الغرض الأشرف تلك الحالة وان العثرة أخطأتها الأقالة أنكرها إنكارا شديدا ونسبها إلى طيش طاشتكين ولم يجد له رأيا سديدا فلا جرم وضع عنده قدره ووهى أمره حتى نكبه بعد سنين وحبسه وأطال سـجنه ثم عفا عنه بعد مدة مديدة وشدة جرت عليه شديدة وولاه حرب بلاد خوزستان وخراجها وأوضح بسياسته منهاجا ولما وصل إلى السلطان خبر استشهاد ابن المقدم وجماعته لامه على ترك الحزم وإضاعته واحتسبه عند الله غازيا شهيدا ساعيا إلى الجنة بقدمه سعيدا وأقام ابنه عز الدين إبراهيم في بلاده مقامه وأقر عليه أنعامه ووجده على سمت أبيه وسمده وهديه وهدوه وكبر قدره وعلوه ومثلث يوم الحضرة الكريمة الفاضلية فتجاذبنا أطراف العوايد وتناولا أقطاف الفوائد فوجدت بحر خاطره يتدفق لإلقاء الدرر وسنا رأيه يتألق لإبداء الغرر فتفاوضنا في همة السلطان وغزواته وعزمته وفتكاته ومعجبات كراماته ومعجزات مكرماته فارتجل الأجل الفاضل بديهيه في صفة سيوفه مقطوعا علقت بحفظي من أبياته بعض قطوفه وهي:

ماضيات على الدوام دوام ... هن في النصر نجدة الإسلام

في يمين السلطان أن جردتها ... أشبهتها صواعق في غمام

تنثر الهام كاحروف فما أشبه ... هذي السيوف بالأقلام

في محاريب حربه البيض صلت ... وركوع الظبي سجود الهام

ودعا للسلطان فقال: أدام الله استعباده الأحرار وتحريره العبيد وتبعيده من التوب القريب وتقريبه من الأمل البعيد. ووصف بحالي أنوار سعادته أثمار إرادته وقال: طلب مونعها فما مونعها ومن التحنيس قوله: فيم وقوفنا على قوم وقوفنا.

ومنه: لولا كرك بالكرك لما عدمت شوبك بالشوبك وأنشأ **مرتجلا**:

أحرق مني كبدي في ... خده الحمر الندى

قال: نكت من مكاتباته. فمنها:

أبا الاسكندر الملك أفتديتم ... فما تضعون في أرض وسادا

وإن من النصرات إلى مجرى ... الفرات إلى فريق مستزادا

والله يصون الحضرة العالية عن عدواء السكر ورعشائه ويحملها على سهل الطريق ومثابه ويمتع بأقوالها التي شفع الناس نيلها وأقوالهم ترهب ذهاب غيابه.

قال: ووصف كتب إليه ووقف منها على البلاغة المسرودة الموصوفة والجواهر الثمينة المكنونة والثمرات التي اجتنيتها من شجرة اللاغة الطيبة ومن الناس من يجتني ليجنيها من الشجرة الملعونة.." (١)

"فلما أذاع لدينا سرائ ... ر ما كان أودع فى قلبه

جلا كل معجزة من نظيم ... لآلئه وحلى عصبه

فهل جاز سمعا ولم يلهه ... ومر بقلب ولم يصبه!

فأجبته **مرتجلا**:

بدأت بفضل أتاه الكريم ... ولا غرو منك ابتداء به

لأنك مغرى بفعل الجميل ... مهين لما عز فى كسبه

أتتنى أبياتك الرائقات ... بشأو بعيد على قربه

ونظم جلا النظم فى أنقه ... وحلى له الجدى فى قطبه

فأنطقنى حسنه واجترأت ... وقلت من الشعر فى ضربه

---

(١) مختصر سنا البرق الشامي البنداري ص/١٦٢

وعولت فيه على فضله ... وما خصه الله من إربه

وذكر القاضى الموفق يوسف بن «١» الخلال كاتب الإنشاء فى الدولة القصرية بالديار المصرية أبا القاسم على بن جعفر بن على السعدى المعروف بابن القطاع هذا، قال:

مولده بجزيرة صقلية سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، ووفاته بمصر سنة خمس عشرة وخمسمائة.

نقل من خط الشيخ أبى القاسم على بن جعفر بن القطاع حكاية هذا معناها:

رأيت فى المنام كأنى جالس مع الفقيه عبد الرحمن بن أبى بكر السرقوسى إذ دخل علينا شاب ومعه غلام أسود طوال، فسلم وجلس، فقال له الفقيه: ما هذا العبد الأسود؟ فقال: اشتريته للخدمة، فقال له الفقيه: ما يصلح هذا للخدمة، فقال له الشاب: هذا هو المال، فقال الفقيه **ارتجالا**:

قد جاء عباد بعبد له." (١)

"أحرقت من كتب ارشميدس خمسة عشر حملا قال ولذلك خبر يطول شرحه ولم يذكر الخبر بطوله.

أوميرس الشاعر اليوناني كان هذا الرجل من رجال يونان الذين عانوا الصناعة الشعرية من أنواع المنطق وأجادها وجاءه أتابو الماجس فقال اهجني لأفتخر بهجائك إذ لم أكن أهلا لمذبحك فقال له لست فاعلا ذلك أبدا قال فإني أمضي إلى رؤساء اليونانيين فأشعرهم بنكولك قال أوميرس **مرتجلا** بلغنا أن كلبا حاول قتال أسد بجزيرة قبرص فامتنع عليه أنفة منه فقال له الكلب إنني أمضي فأشعر السباع بضعفك قال له الأسد لأن تعيرني السباع لتكون عني مبارزتك أحب إلي من أن ألوث شاربي بدمك.

اصطفن البابلي أحد حكماء الكلدانيين وكان عند مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عالما بتسيير الكواكب وأحكام النجوم وله كتاب جليل في أحكام النجوم.

اخريميدس حكيم يوناني رياضي بعد إقليدس علم الناس في زمنه علم إقليدس وتصدر لذلك وعرف به وصنف في فوائده وتلمذ له عالم من الروم وحكوا أقواله في فن الرياضة.

أبوسندرينوس الحكيم الرياضي في وقته كان بعد أقليدس وكان قيما يعلوم الرياضة متصدرا في تعليمها ببلاد الروم وعنه أخذ جماعة من فضلائها وكان ملوك وقته يستعينون بعلمه فيما يحدثونه من عمارة.

اقطيمن الحكيم الرياضي الفاضل الكامل في فنه من أهل الإسكندرية في أيام اليونانية كان عالما بالرياضة محققا للأرصاد خبيرا بعمل آلاتها اجتمع هو وميطن على الرصد بمدينة الإسكندرية من الديار المصرية ورصدا وأثبتا ما تحققاه وتداوله العلماء بعدهم إلى زمن بطليموس القلوذي الراصد بعدهما بالإسكندرية وكان

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ٢/٢٣٨

زمانهما قبل زمانه بخمسمائة وإحدى وسبعين سنة.

امليخون حكيم قديم العهد أظنه يونانيا وهو الذي صنف كتاب." (١)

"وكان محبا للعلوم مؤثرا للأدب مفرطا في إكرام من ينسب إلى شيء من ذلك ويفد عليه متوسلا به، بحسب حظه منه وطلبه له ومشاركته فيه. ورد عليه الأندلس في أيام إمارته أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي المذكور آنفا، فعظمت منزلته عنده ونال منه أموالا جمة. وكان وروده عليه سنة ٣٨٠؛ أظن أصله من بلاد الموصل، دخل بغداد فقرأ بها، وكان عالما باللغة والآداب والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاشرة، فكه المجالسة ممتعا؛ فأكرمه المنصور وأفرط في الإحسان إليه والإفضال عليه؛ وكان مع ذلك محسنا لظريف السؤال، حاذقا في استخراج الأموال، طبا١ بلطائف الشكر.

أخبرني بعض مشايخ الأندلس بإسناد له، أن أبا العلاء دخل على المنصور أبي عامر يوما في مجلس أنسه، وقد كان تقدم له أن اتخذ قميصا من رقاع الخرائط التي كانت تصل إليه فيها الأموال منه، فلبسه تحت ثيابه؛ فلما خلا المجلس ووجد فرصة لما أراد، تجرد وبقي في القميص المتخذ من الخرائط، فقال له: ما هذا يا أبا العلاء؟ فقال: هذه الخرائط التي وصلت إلي فيها صلات مولانا أتخذها شعارا! وبكى، وأتبع ذلك من الشكر فصلا كان رواه، فأعجب ذلك المنصور، وقال له: لك عندي مزيد! وكان كما قال.

وألف له أبو العلاء هذا كتبا، فمنها كتاب سماه: كتاب الفصوص، على نحو: كتاب النوادر لأبي علي القالي. واتفق لهذا الكتاب من عجائب الاتفاق أن أبا العلاء دفعه حين كمل لغلام له يحمله بين يديه وعبر النهر، نهر قرطبة؛ فخانت الغلام رجله فسقط في النهر هو والكتاب؛ فقال في ذلك بعض الشعراء -وهو أبو عبد الله محمد بن يحيى المعروف بابن العريف- بيتا مطبوعا بحضرة المنصور، وهو: من السريع

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيل يغوص! ٢

فضحك المنصور والحاضرون، فلم يرع ذلك صاعدا ولا هاله٣، وقال مرتجلا مجيبا لابن العريف: من السريع

عاد إلى معدنه إنما ... توجد في قعر البحار الفصوص! ٤

١- الطب: الحاذق، الماهر، الخبير.

٢- الفصوص: جمع الفص: ما يركب في الخاتم من الحجارة الكريمة وغيرها.

---

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء القفطي، جمال الدين ص/٥٨

٣- هال الأمر فلانا: أفزعه.

٤- المعدن: مكان كل شيء فيه أصله ومركزه.." (١)

"فهذه وجوه السرقات قد حدرت لك لثامها، وألقيت إليك زمامها، فقل أن تجد من يعرف أقسامها، أو يستمطر غمامها، ولا تجد إلا من إذا ظفر ببيت مسروق لم يدر أمن المحمود هو أم من المذموم، وهل شاعره بالمعذور فيه أم بالملوم، فاعرفه.

وأما التوارد فهو اتفاق الخواطر في البيت والبيتين، وإنما سموه تواردا أنفة من ذكر السرقة وتكبرا عن السمة بها. قال علقمة بن عبدة:

أم هل كبير بكى، لم يقض عبرته ... إثر الأحبة، يوم البين مشكوم

وقال أوس بن حجر:

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته ... إثر الأحبة يوم البين معذور

وقال طرفة:

فلولا ثلاث هن من حاجة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عودي

وقال نهيك:

ولولا ثلاث هن من حاجة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام رامسي

وقال مزاحم العقيلي:

تكاد مغانيها تقول من البلى ... لسائلها عن أهلها لا تعمل

وقال ضابئ:

تكاد مغانيها تقول من البلى ... لسائلها عن أهلها ولا تعملا

وقال عدي بن زيد:

وعاذلة هبت بليل تلومني ... فلما غلت في اللوم قلت لها اقصدي

وقال عمرو بن شأس:

وعاذلة هبت بليل تلومني ... فلما غلت في اللوم قلت لها مها

وقال أوس بن حجر:

حرف أخوها أبوها من مهجنة ... وعمها خالها قوداء مئشير

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المَرَّاكُشي ص/٣٢

وقال كعب بن زهير:

حرف أخوها أبوها من مهجنة ... وعمها خالها قوداء شمليل

وقال كعب الأشقري:

لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا ... فهم ثقال على أكتافها ميل

وقال جرير:

لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا ... فهم ثقال على أكتافها عزف

ومثل هذه الأبيات في أشعار العرب أكثر من أن تحصى وأعظم من أن تستقصى، وأنا لا أعد ذلك تواردا اتفقت عليه الخواطر، وتشابهت فيه الضمائر، بل أعده سرقة محضة وإغارة على الأشعار مرفضة. وقد أورد ابن السكيت قول امرئ القيس: وقوفا بها صحبي البيت، وقول طرفة في باب السرقات، والذي ذهب إليه هو الصحيح، وإنما يتفق للشاعرين معنى ويلزمان أن ينظماه على قافية واحدة فربما تواردا في بعض الكلام. من ذلك ما حكاه أبو القاسم الأندلسي وغيره في أشعار المغاربة، قال: كان بين يدي محمد بن عباد صاحب الغرب جارية في يدها كأس وهي تسقيه، فلمع البرق فارتاعت له فسقط الكأس من يدها فقال مرتجلا:

روعها البرق وفي كفها ... برق من القهوة لماع

يا ليت شعري وهي شمس الضحى ... كيف من الأنوار ترتاع

ثم قال لبعض خدمه: من على باب القصر من الشعراء؟ فقال: عبد الجليل بن وهبون، فأمه بإحضاره. فلما مثل بين يديه قص عليه القصة وأنشده البيت الأول وقال له: أجزه فأنشأ:

ولن ترى أعجب من آنس ... من مثلها ما يمسك يرتاع

ومثل هذا يمكن أن يقع ولا ينكر ولا يدفع.

وحكى الأندلسي قال: حدثني محمد بن شرف القيرواني قال: أمرني المعز بن باديس وأمر حسن بن رشيق في وقت واحد أن نصف الموز في شعر على حرف الغين، فجلس كل واحد منا بنجوة عن صاحبه بحيث لا يقف أحدنا على ما يصنعه الآخر، فلما فرغنا من الشعر عرضناه عليه، فكان الذي صنعته أنا:

يا حبذا الموز وإسعاده ... من قبل أن يمضغه الماضغ

لان فما ندرك جسا له ... فالفم ملآن به فارغ

سيان قلنا مأكل طيب ... فيه وإلا مشرب سائغ

وكان الذي صنعه ابن رشيق:

موز سريع سوغه ... من قبل مضغ الماضغ

مأكلة لآكل ... ومشرب لسائغ

فالفم من لين به ... ملآن مثل فارغ." (١)

"فتى لا يعد الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

ولا الخيل إلا كل جرداء شطبة ... وكل حصان باليدين عسوف

ثم رجعت الى خبائها تنوح وتندب أخاها مع نسائها.

وأقول: لله در ثلاثة أبيات حملت الرجل على قتل ابن عمه، وقطع رحمه، ولو كان الكلام الذي في الشعر منثورا لما هزه، ولا حمل من أجله بزه، ولا قتل ابن عمه ولا ابتزه، والله يعفو عن المذنبين.

وقال يحيى بن خالد: سألني رجل من بني أمية أن أوصله الى الرشيد، فقلت له: إن أميرض المؤمنين منحرف عن كل منتسب الى أمية، وحنقه عليهم وسوء اعتقاده فيهم مشهور، فإن كانت لك حاجة غير هذه فأنا أقضيها لك، فأبى إلا إيصاله إليه. فعرفت الرشيد ما كان من التماسه وجوابي له، فأمر بإحضاره، فلم أرتب أن يمسي مقتولا، فلما مثل بين يديه أنشده:

يا أمين الله إني قائل ... قول ذي عقل ودين وأدب

لكم الفضل علينا ولنا ... بكم الفضل علي كل العرب

عبد شمس كان يتلو هاشم ... وهم بعد لأم ولأب

فصلوا الأرحام منا إنما ... عبد شمس عم عبد المطلب

فقال له الرشيد: صدقت، متأثرا بقوله، وقد عمل الشعر في نفسه، وأمر له بأربعين ألف درهم. قال يحيى: ولولا الأبيات لأمر بأخذ رأسه.

وحكى مروان بن أبي حفصة قال: خرجت أريد معن بن زائدة، فضمني الطريق وأعرابيا فقلت له: أين تريد؟ قال: هذا الملك الشيباني، قلت: فما أهديت إليه؟ قال: بيتين، قلت: فقط! قال: إني قد جمعت فيهما ما يسره، فقلت: هاتهما، فأنشدني:

معن بن زائدة الذي زيدت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

إن عد أيام الفعال فإنما ... يوماه يوم ندى ويوم طعان

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٣٨

قال: ولي قصيدة قد حكتها بهذا الوزن، فقلت: يا هذا، تأتي رجلا قد كثرت غاشيته وكثر الشعراء ببابه، فمتى تصل إليه؟ قال: فقل، قلت: تأخذ مني بعض ما أملت بهذين البيتين وتنصرف الى رحلك، قال: فكم تبذل؟ قلت: خمسين درهما، قال ما كنت فاعلا ولا بالضعف، قال: فلم أزل أرفق به حتى بذلت له مائة وعشرين درهما فأخذها وانصرف. فقلت: إني أصدقك، قال: والصدق بك أحسن، قلت إني حكت قافية توازن هذا الشعر وإني أريد أن أضم هذين البيتين إليها، قال: سبحان الله، قد علمت ولقد خفت أمرا لا يبلغك أبدا. فأتيت معن بن زائدة وجعلت البيتين في وسط الشعر وأنشدته فأصغى نحوي، فوالله ما هو إلا أن بلغت البيتين فسمعهما فما تمالك أن خر عن فرشه حتى لصق بالأرض ثم قال: أعد البيتين، فأعدتهما، فنادى: يا غلام، ائتني بكيس فيه ألف دينار، فما كان إلا لفظه وكيسه، فقال: صبها على رأسه، ثم قال: هات عشرين ثوبا من خاص كسوتي، ودابتي الكذا وبغلي الكذا، فانصرفت بحباء الأعرابي لا حباء معن.

ولما مدح أبو تمام الطائي أحمد ولد المعتصم بكلمته التي أولها:

ما في وقوفك ساعة من باس ... تقضي ذمام الأربع الأدراس

فلما وصل الى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال له بعض الحاضرين، وهو يعقوب الكندي: كيف تشبه ولد أمير المؤمنين بأعراب أجلاف وهو أشرف منزلة وأعظم محلة؟ فانقطع وأطرق ثم رفع رأسه وأنشد **مرتجلا**:

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

فاهتز لذلك طربا وبهت له متعجبا ووقع له بالموصل إجازة.." (١)

"وألف في مشيخه جزءا مقيدا كتبته عن شيخنا أبي الربيع بن سالم وكتبت من ذلك هنا ما نسبته إليه وولي القضاء بإستيجة وكان شيخا جليلا معنيا بصناعة الحديث راوية حدث وأخذ عنه الناس وحدثني أبو الربيع بن سالم أنه حدثه قال لما أزمع القاضي أبو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع متبركا ومودعا وكنت ممن مشى معه فأنشدني لنفسه بالمسجد الجامع **مرتجلا** (أستودع الله أهل قرطبة ... حيث عهدت الحياء والكرما)

(والجامع الأعظم العتيق ولا ... زال مدى الدهر آمنا حرما) توفي بغرب العدوة بموضع يقال له الجيوب

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٦٠

صادرا عن مراكش في سنة ٥٨٥ ومولده في شوال سنة ٥١٩ قاله لي ابن سالم

٩٦ - عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري من أهل قرطبة يكنى أبا القاسم ويعرف بالشراط أخذ القراءات عن أبي الحسن الحجازي وأبي القاسم بن رضي وأبي العباس الزوزنالي وأبي الحسن شريح بن محمد وأبي عبد الله بن معمر وأبي محمد الشنتريني الكفيف وسمع الحديث من أبي القاسم بن بقي وأبي الحسن بن مغيث وأبي عبد الله بن نجاح وأبي بكر بن طاهر وأبي عبد الله بن مكي وأبي بكر بن العربي وأبي مروان بن مسرة وأبي بكر يحيى بن سعادة وغيرهم وأخذ الأدب عن أبي بكر بن فندلة وأبي الوليد بن حجاج وأبي الطاهر التميمي وأبي عبد الله بن أبي الخصال وأبي القاسم بن الرماك وسواهم وأجاز له ماروا‌ه أبو الحسن بن نافع وأبو الحجاج القضاعي وأبو الحسن بن موهب وأبو عبد الله بن وضاح وان عارفا بالقراءات." (١)

"(أهنيك بل نفسي أهني فإنني ... بلغت الذي كان اقتراحي على الدهر)

(خلاصك من أيدي المنون وغرة ... بدت للمعلى مثل دائرة البدر)

(كأني به عما قريب مملكا ... زمام المعالي نافذ النهى والأمر)

(يقود إلى الهيجاء كل غضنفر ... ويضرب من ناواه بالبيض والسمر)

(فقرت به عيني وعينك في العلا ... ولا زال أسمي في المحل من الغفر)

وجرى بمجلس أبيه قسيم في صفة القبة المسماة بسعد السعود وهي قبة بالقصر الزاهي فعجز من حضر من الشعراء عن إجازته فقال الرشيد مرتجلا

(سعد السعود يتيه فوق الزاهي ... وكلاهما في حسنه متناه)

(ومن اغتدى وطنا لمثل محمد ... قد جل في علياه عن أشباه)

(لا زال يخلد فيهما ما شاءه ... ودهت عداه من الخطوب دواه)

وله

(قالوا غدا يوم الرحيل فأمطرت ... عيناي دمعا واكف العبرات)

(لم لا وأنأي عن أحبه مهجتي ... كرها فقلبي دائم الحسرات)

(من كل بيضاء العوارض طفلة ... مثل البدور تضيء في الظلمات)

(لولا الرجاء بأن يعجل بيننا ... وشك التلاقي لاشتهيت مماتي)

---

(١) التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ٣/٣٨

وعتب عليه أبوه المعتمد في طريقه من مكناسة إلى أغمات عتبا أفرط فيه فكتب إليه يستعطفه

(يا حليف الندى ورب السماح ... وحبيب النفوس والأرواح)." (١)

"(ألا يا منتهى طربى ... ومن لم يعدها أربي)

(إذا ما كنت حاضرة ... شربت الراح بالنخب)

(ومهما غبت عن بصري ... فواحزني وواحربي)

(فجودي بالوصال على ... شريف القدر والحسب)

(وسقيه معتقة ... لها تاج من الحبب)

(مليك ملكت كفاه ... رق العجم والعرب)

وله

(ألا حبذا يومنا بالحمى ... وقد قارن القمر المشتري)

(وجاء الحبيب إلى منزلي ... بريا القرنفل والعنبر)

(وغنت لنا قينة حلوة ... بنظم من الشعر كالجوهر)

(إذا كان حبي حذا ناظري ... شربت المدام ولم أسكر)

قال أبو الصلت وكنا بين يديه في يوم من شعبان شديد البرد فقال بديها

(أما ترى القر قد وافت عساكره ... فادفعه منتصرا بالفرو والشرر)

(وقهوة عتقت في الدن صافية ... يصفو بها عيش حاسيها من الكدر)

وقال لي ولبعض كتابه أجيزا فعملنا على جهة الاشتراك وجله للكاتب

(يا من حلاه جمال الكتب والسير ... ومن ندى يده مغن عن المطر)

(ذعرت عبديك لما قلت مرتجلا ... ضربا من الشعر يعيي أشعر البشر)

أما ترى القر قد وافت عساكره البيت والذي بعده

(فطاوعاك وقالا تابعين ومن ... يجار سحبان لا يأمن من الحصر)." (٢)

"قال فكتب إلي متعتبا ووصل متقربا:

قل لعماد الدين الذي رقمت ... أقلامه في طروسه الحللا

---

(١) الحلة السيراء ابن الأبار ٢/٦٩

(٢) الحلة السيراء ابن الأبار ٢/١٩٠

تزيد أبصارنا اذا نشرت ... نورا فتجلو بحسنها المقلا

فابن هلال ونجل مقلة لو ... راما مداه في الخط ما وصلا

فكل تال لها ومستمع ... يهز عطفا من راحها ثملا

يا بحر علم عذبا لوارده ... كيف أساوى بفضله وشلا

لك اليراع الذي تفل به البي ... - ض المواضى وتعزل الأسلا

أودعه الله ذو الجلال كما ... أراد رزق العباد والأجلا

عمك عم الأنام نائله ... فصير الناس كلهم خولا

وساد كل الورى بسؤدده ... وشاد مجدا سامى به زحلا

من كنت قدما ربيب نعمته ... نشوا وغصن الشباب ماذبلا

فلو رأى حاتم مواهبه ... لصار من جود كفه خجلا

أراه مولاه ما أعدله ... في الخلد فانقاد للردى جذلا

وارتاح للراحة التي امتزجت ... بالروح فيها وعاف دار بلا

حيا الحيا قبره وأنبت ما ... عليه من روضه الأنيق حلى

تا لله ما حلت عن ولائكم ... يوما ولا اعتضت عنكم بدلا

(٢٠٨- ظ)

لكن رأيت الخمول أروح ... مما أعاني الخصام والجدلا

في دار مولى تقيم لي أبدا ... جموعه في خصومتي رسلا

يشير الى قاضي القضاة كمال الدين بن الشهرزوري، فان الجماعة كانوا يداعبونه بحضرته ويعضهونه «١»

.

من كنت ليث الشرى فغادرني ... بحمل أثقال جوره جملا

أرى نهيق الحمار يطربهم ... وينكرون الجواد ان صهلا

يجحد فضلي وكل ذي أدب ... يمتار مما أصوغ مرتجلا." (١)

"ابن الحسن «١» : اخطب يا محمد لفلان بن فلان على فلانة بنت فلان على صداق كذا في مال أمير المؤمنين، فقال محمد بن الحسن: يا أمير المؤمنين بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قدموا

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٥/٢٣٦٠

قريشا ولا تتقدموها «٢» » ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر الشافعي أن يخطب وأتبعه، فقال الرشيد: اخطب يا شافعي، فقال الشافعي مرتجلا: الحمد لله باعث الاموات، وجامع الاشتات ومنشر الرفات، ومقيل العثرات ومنجح الطلبات، ومنزل البركات، وفاطر الارض والسماوات، وخالق البريات على ألسن مختلفات اللغات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من الشهادات وكلمة اخلاص من الكلمات، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ابتعثه الله بالرسالات، ودل على صدقه بالدلالات، وأثبت حجته بالآيات المبينات، صلى الله عليه وعلى آله من المؤمنين والمؤمنات، أما بعد:

فان الله جعل النكاح زينة للبنات وسترا للعورات، وسببا للمصاهرات، جمع الله به بين الارحام المتباعدات وجعل القلوب المتباغضات متحابات والنفوس المتنافرات متآلفات، والوجوه المنكرات معروفات، فقال عز من قائل (وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا)

«٣» وهذا فلان بن فلان أتاكم خاطبا وفي مصاهرتكم راغبا يذكر فتاتكم فلانة بنت فلان، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا في مال أمير المؤمنين فأجيبوا خطبته، وشفعوا مسألته. أقول قولي هذا واستغفر الله (٢٢٤- ظ) لي ولكم، ثم قال للزوج: قبلت النكاح؟ قل:

نعم، قال: نعم، قال قد زوجتك بأمر أمير المؤمنين.

قال الرشيد: أخطب يا محمد، فقال محمد بن الحسن: الحمد لله الذي وكل بالخلق حفظته، وبالعرش حملته، وبالبيت سدنته وبالجنة والنار خزنته، واختار محمدا صلى الله عليه وسلم صفوته، وجعل الاسلام ملته والكعبة قبلته، وخير الناس أمته، وأمهات المؤمنين نسوته، وفاطمة الزهراء ابنته، والحسن والحسين." (١)

"ملك القناعة لا يخشى عليه ولا ... يحتاج فيه الى الأنصار والخول

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها ... فهل سمعت بظل غير منتقل

ويا خبيرا على الأسرار مطلعا ... اصمت ففي الصمت منجاة عن الذلل

قد رشحوك لأمر فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل «١»

قلت: وهذه القصيدة من محاسن قصائدة لا بل من محاسن شعر أهل عصره يسميها الناس لامية العجم تفضيلا لها على غيرها من أشعار العجم كما سموا قصيدة الشنفرى التي أولها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فإني الى قوم سواكم لأميل «٢»

لامية العرب تفضيلا لها على غيرها من أشعار العرب، نظمها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يفتخر فيها

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٢٣٨٤/٥

ويشكو الاغتراب وأورد فيها من الحكم ما لا يخفى على المتأمل من ذوي الألباب.

أخبرنا أبو هاشم قال: أخبرنا أبو سعد قال: سمعت اسماعيل بن أحمد بن اسماعيل الباخرزي- إملاء- يقول: دخل الأستاذ أبو اسماعيل المنشئ على بعض أكابر الدولة في مجلس الأنس فقدم إليه ثيابا رفيعة كرامة له، فكره ذلك حتى عرف فيه وأنشأ (١١٨- ظ) **مرتجلا**:

وما ساقني فقر إليك وإنما ... أبي لي عزوف النفس أن أعرف الفقرا

ولكنني أبغي التشرف إنه سجية ... نفس حرة ملئت كبرا

أخبرنا أبو هاشم الهاشمي قال: أخبرنا أبو سعد السمعاني قال: الحسين بن علي بن عبد الصمد الدئلي المنشئ أبو اسماعيل صدر العراق وشهرة الآفاق، غزير الفضل لطيف الطبع، جواد الخاطر، حسن المعرفة باللغة والأدب، أقوم أهل عصره بصنعة الشعر وإنشاء الرسائل، وكان محترما كبير الشأن جليل القدر، ورد بغداد." (١)

"قال أبو عمرو: أصيب حجر مزبور بقنسرين بالعبرانية، فترجم فإذا فيه " من الوافر ":

إذا جار الأمير وصاحباه ... وقاضي الأمريدهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

قال: وأصيب حجر مزبور بالطالقان، فترجم فإذا فيه " من البسيط ":

اليأس عما بأيدي الناس نافلة ... والمال يعجز والأخلاق تتسع

لاتجزعن على ما فات مطلبه ... هب قد جظعت فماذا ينفع الجزع

قال: وأصيب على باب مدينة من مدائن سليمان بن داود عليهما السلام حجر مزبور فإذا فيه " من الهزج ":

لاتصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء ... إذا ماهو ماشاه

وللشيء من الشيء ... علامات وأشباه

وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

قال: ووجد في زمن سليمان بن عبد الملك بدمشق حجر مكتوب فيه بالأعجمية، فترجم فإذا فيه: ياابن

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٢٦٩٤/٦

آدم، لو رأيت يسير مابقي من أجلك، لزهدت في طويل ماترجو من أملك، ولقصر بك عن حرصك وحيلك، وإنما تلقى ندمك، لو زلت بك قدمك، وفارقك أهلك وحشمك، وانصرف عنك القريب، وودعك الحبيب، فلا أنت في عملك زائد، ولا إلى أهلك عائد، فاعمل ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة! وقال: لقيت أعرابيا فقلت: من أين أنت؟ قال: من عمان. فقلت: صف لي أرضك! فقال: سيف أفيح، وفضاء صحصح، وجبل صلدح، ورجل أصبح. فقلت: فمالك؟ قال: النخل. قلت: فأين أنت عن الأبل؟ قال: إن النخل حملها غذاء، وسعفها ضياء، وجذعها بناء، وكربها صلاء، وليفها رشاء، وخوصها وعاء، وقرؤها إناء. - وقال رجل لأبي عمرو لم سميت الخيل خيلا وإنما هي الدواب؟ فلم يكن عنده جواب. فقال أعرابي حضرهم: سميت خيلا لاختيالها.

أبو عمرو عن أبيه عن أبن عباس أنه قال: إن لكل داخل دهشة فالقوه بالتحية. - وقال أبو عمرو: جنان الدنيا ثلاثة: نهر الأبلة وغوطة دمشق وسغد سمرقند؛ وحشوش الدنيا ثلاثة: هيت وأردبيل وعمان.

قال محمد بن سلام: ذاكرت معاوية بن أبي عمرو ببيت جرير: من الوافر ":

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

وقلت: أين هو من بيت الأخطل " من البسيط ":

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

فقال: بيت جرير أسهل وأيسر، وبيت الأخطل أجود وأحكم. - قال الصولي: بيت الأخطل عند من يفهم الشعر وينقده أحسن وأجود قسمة لأن قوله " شمس العداوة حتى يستقاد لهم " قسمة حسنة قائمة بنفسها، ثم قال " وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا " فقابل ورتب وقسم؛ وبيت جرير: " الستم خير من ركب المطايا " هو إلى ههنا كالكلام الفارغ، وإنما يستحسن " بطون راح ".

ولد أبو عمرو في أول خلافة عبد الملك بن مروان وهو يحارب مصعب بن الزبير. وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة وهو ابن تسعين سنة. وكان يقول في مرضه الذي مات فيه: اللهم إن أنزلت بلاء فأنزل صبرا، وإن وهبت عافية فهب شكرا! - وشخص أبو عمرو من البصرة يريد بيت المقدس، فمات بالكوفة.

ودخل يونس بن حبيب على أولاد أبي عمرو معزيا لهم، فقال " من الوافر ":

نعزيكم وأنفسنا بمن لا ... نرى شبها له أخرى الزمان

والله لو قسم علم أبي عمرو رحمه الله وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زهادا، والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ماهو عليه. فأجابه معاوية بن أبي عمرو - فإنه كان يلزم مجلسه ويأخذ عنه

كثيرا – فقال **مرتجلا** " من الرجز ":

أنت أبونا بعده وعمنا ... وأنت بعد الله مرجو لنا

قد كان قبل الموت وصاك بنا ... فأقض بإقبال علينا حقنا

فليس نشكو ما بقيت فقدنا ... عشت لنا كهفا وعشت بعدنا

ولزموا مجلس يونس فما منهم إلا عالم. – وقال معاوية بن أبي عمرو: سألت بلال بن جرير عن لكع، فقال: هو الجحش الصغير في لغتنا، وإلى هذا كان يذهب الحسن البصري.

وقعد الناس يبكون على أبي عمرو عند موته، فقال: لاتبكوا علي، أنا مامت لكني قد فنيت! وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت كما قال الربيع بن ضبع الفزاري " من المنسرح ":." (١)

"فكتبت يدي عجلا وقلت جعلت فداه **مرتجلا**:

كتاب فضضت الختم عند وصوله ... عن الفرقد العلوي لا أم فرقد

فملت كأني قد ثملت بقهوة ... أديرت على شدود الغريض ومعبد وكتب أسامة المذكور من إربل إلى أخيه أبي الحسن الآتي ذكره إن شاء الله صدر كتاب:

وإن امرءا أضحى بإربل داره ... وفي شيزر أحبابه وشجونه

لغير ملوم في احنين إليهم ... ومعذورة أن تستهل جفونه وقال وهو بمصر:

إن كنت في مصر مجهولا وقد شهرت ... فضائلي بين بدو الناس والحضر

فما على الشمس من عار تعاب به ... إذا اختفى نورها عن غير ذي بصر (آيا صوفيا: ٥٠ ب ٥١ ب)

الأسعد بن مماتي

(الترجمة رقم: ٩١، ص: ٢١٣، س: ١٩، بعد قوله: وهي فم)

وكان ابن مكنسة ينادمه، فاتفق أن سرقت نعله في بعض الليالي، وكانت حمراء، فكتب إليه:

لالكتي أثمن من عمتي ... وهمتي أكبر من قدرتي

كأنها في قدمي شعلة ... من جهة المريخ قد قدت

وزنتها [عندي] ورب العلى ... أعز من رأسي ومن قمتي

---

(١) نور القبس اليغموري ص/١٣

وأنت يا مولاي يا من به ... ومن نداه أسبغت نعمتي

متى تغافلت على أخذها ... من بعد هذا سرقت لحيتي." (١)

"فمضى وأخبر الوليد بالحال، فقالت له: كذبت يا ابن الفاعلة، ثم جاء الوليد إلى أم البنين فدخل وهي جالسة في ذلك البيت تمشط رأسها، وكان الخادم قد وصف له الصندوق، فجلس الوليد فوقه ثم قال: يا أم البنين ما أحب هذا البيت إليك دون البيوت، فلم اخترته قالت: لأنه مجمع حوائجي كلها فأنا أتناولها منه من قريب، فقال: هبي لي صندوقا من هذه الصناديق، فقالت: كلها بحكمك يا أمير المؤمنين، فقال: إنما أريد واحدا منها، فقالت: خذ أيها شئت، فقال: هذا الصندوق الذي تحتي، فقالت غيره أحب إليك منه فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها، فقال: ما أريد سواه، فقالت: خذه، فدعا بالخدم وأمرهم بحمله حتى انتهى إلى مجلس فوضعه فيه ثم دعا عبيدا له عجما وأمرهم بحفر بئر في المجلس فحفرت إلى الماء، ثم دعا بالصندوق فوضعه على شفير البئر ودنا منه وقال: يا صاحب الصندوق إنه بلغنا شيء إن كان حقا فقد دفناك ودفنا ذكرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلا فإنما دفنا الخشب وما أهون ذلك. ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط عليه، فما رؤي الوضاح بعد ذلك اليوم ولا أبصرت أم البنين في وجه الوليد غضبا حتى فرق الموت بينهما.

وقيل: حضر بساط الحجاج رجل تعين عليه القتل وحضر أهل القود بحضوره، فلما فرض النطع وسل السيف اتفق أن ملأ عينه في حالة تلك فرأى بريق السيف ولمعان برق فاستنظر ثم أنشد **مرتجلا**:

تألق البرق من نجد فقلت له ... يا أيها البرق إني عنك مشغول

يكفيك ما قد ترى من ثائر حنق ... في كفه كصبيب الماء مسلول فلما رأى الحجاج ما كان من حضوره ذهنه وجودة شعره عطف عليه إشفاقا له وعرض على طالبيه أن يؤدي عنه ديته، فجلعوا يأبون وجعل يتولج في تحليل القصة ويتدرج في تنفيس الدية حتى بذل لهم دية ملك، فلما أبوا وعتوا قال لحرسه: فكوا قيده وخلوا سبيله فإن من لم ينس أحبته في هذا المقام لجدير أن لا يقتل.." (٢)

"وهو بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب، فقام من فوره فقال **مرتجلا**:

نحلتكم يا أهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات البلاد شروب

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١/٤٦٣

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢/٤٦

فإن يك باقي إثم فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب ثم التفت إليه وقال: والله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت فاعتذر إليه وحلف: ما كنت إلا مازحا] (١) .

ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كان يقول: لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس (٢) :

ألا كل حي هالك (٣) وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق والبيت الأول ينظر إلى قول امرئ القيس (٤) :

فبعض اللوم عاذلتي فإني ... سيكفيني التجارب وانتسابي

إلى عرق الثرى وشجت عروقي ... وهذا الموت يسلبني شبابي وقد سبق في ترجمة الحسن البصري نظير هذا المعنى.

وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول (٥) :

[تكثر ما استطعت من الخطايا ... إذا كان القدوم على كريم وقال وهي من رواية أخرى:]

---

(١) زيادة من د.

(٢) ديوانه: ١٩٢.

(٣) الديوان: أرى كل حي هالكا.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٩٧ - ٩٨.

(٥) لم ترد في باب الزهد من ديوانه.." (١)

"يكلفني القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدرا بل أعز وأطول

ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ... جديرا ولكن من يودك مقبل فأجبته عنه، وقلت:

أنار ضمير من يعز نظيره ... من الناس طرا سابغ الفضل مكمل

ومن قلبه كتب العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار مشعل

تساوى له سر المعاني وجهرها ... ومعضلها باد لديه مفصل

ولما أنار الحب قاد منيعه ... أسيرا بأنواع البيان يكبل

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٩٧/٢

وقربه من كل فهم بشكفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل

وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... **ومرتجلا** من غير ما يتمهل

فيخرج من بحر ويسمو مكانه ... جلالا إلى حيث الكواكب تنزل

فهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنه والعمر فيها مطول فأجاب **مرتجلا** وأملى على الرسول:

ألا أيها القاضي الذي بدهائه ... سيوف على أهل الخلاف تسلل

فؤادك ممهور من العلم آهل ... وجدك في كل المسائل مقبل

فإن كنت بين الناس غير ممول ... فأنت من الفهم المصون ممول

إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلا ... فأنت، وهم مثل الحمائم، أجدل

كأنك من في الشافعي مخاطب ... ومن قلبه تملي فما تتمهل

وكيف يرى علم ابن إدريس دارسا ... وأنت بإيضاح الهدى متكفل

تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكر ما ... فعلت وكفي عن جوابك أجمل

لأنك في كنه الثريا فصاحة ... وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل

فعذرك في أني أجبتك واثقا ... بفضلك فالإنسان يسهو ويذهل

وأخطأت في إنفاذ رقعتك التي ... هي المجد لي منها أخير وأول

ولكن عداني أن أروم احتفاظها ... رسولك وهو الفاضل المتفضل." (١)

"وما كنت لولا أنت إلا مهاجرا ... له كل يوم بلدة وصحاب

ولكنك الدنيا إلي حبيبة ... فما عنك لي إلا إليك ذهاب وأقام المتنبي بعد إنشاده هذه القصيدة بمصر سنة لا يلقى كافورا غضبا عليه لكنه يركب في خدمته خوفا منه ولا يجتمع به، واستعد للرحيل في الباطن، وجهز جميع ما يحتاج إليه، وقال في يوم عرفة سنة خمسين وثلثمائة قبل مفارقته مصر بيوم واحد قصيدته الدالية التي هجا كافورا فيها، وفي آخر هذه القصيدة:

من علم الأسود المخصي مكرمة ... أقومه البيض أم آباؤه الصيد

[أم أذنه في يد النحاس دامية ... أم قدره وهو بالفلسين مردود] (١)

وذاك أن الفحول البيض عاجزة ... عن الجميل فكيف الخصية السود وله فيه أهاج كثيرة تضمنها ديوانه، ثم فارقه بعد ذلك، ورحل إلى عضد الدولة بن بويه بشيراز - حسبما تضمنه ترجمته (٢) .

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٥١٣/٢

ورأيت في بعض المجاميع قال بعضهم: حضرت مجلس كافور الإخشيدي، فدخل رجل ودعا له وقال في دعائه: أدام الله أيام مولانا، بكسر الميم من أيام، فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه عليه، فقام رجل من أوساط الناس وأنشد مرتجلا وهو أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن حشيش النجيرمي اللغوي الاخباري كاتب كافور (٣) ، والذي دعا لكافور ولحن هو أبو الفضل ابن عياش (٤) :

لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا ... أو غض من دهش بالريق أو بهر

فتلك هيبته حالت جلالتها ... بين الأديب وبين القول بالحصر

---

(١) ديوان المتنبي: ٤٨٧.

(٢) ورد هنا في ر عبارة: وأخبار كافور كثيرة، وستأتي بعد النص التالي.

(٣) ترد هذه الأبيات في ترجمة النجيرمي النحوي في معجم الأدباء ١: ١٩٩ وانباه الرواة ١: ١٧١ وفي البقية " جسنس " موضع " حشيش ".

(٤) في ياقون وبغية الوعاة: الفضل بن عباس؛ وأثبتنا ما في انباه الرواة ومطبوعة وستنفيلد.." [١]

"وخلف ولدين: أحدهما عز الدين المذكور والآخر شرف الدين أبو الوليد مظفر (١) .

وأما مولده فقد ذكر أبو عبد الله محمد بن القادسي في " تاريخ الوزراء " (٢) أنه ولد في سنة وتسعين وأربعمائة على ما ذكره من لفظه، رحمه الله تعالى.

قال بعضهم: رأيته في المنام بعد موته، فسألته عن حاله، فقال:

قد سئلنا عن حالنا فأجبنا ... بعد ما حال حالنا وحجبنا

فوجدنا مضاعفا ما كسبنا ... ووجدنا ممحصا ما اكتسبنا ولما بلغ خبر موته عضد الدين ابن المظفر أستاذ الدار المذكور كان بحضرته سبط ابن التعاويذي - المذكور قبل هذا - وهو من موالي بني المظفر فإن أباه كان مملوكا لبعض بني المظفر، واسمه نشتكين فسماه ابنه عبد الله، فأراد سبط بن التعاويذي أن يتقرب إلى عضد الدولة لعلمه ما بينه وبين الوزير، فأنشد مرتجلا:

قال لي، والوزير قد مات، قوم ... قم لنبكي أبا المظفر يحيى

قلت أهون عندي بذلك رزأ ... ومصابا وابن المظفر يحيا وقال آخر، ولا أذكر اسمه الآن، لكنه من الشعراء المشاهير:

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٠٢/٤

أيا رب مثل الماجد ابن هبيرة ... يموت ويحيا مثل يحيى بن جعفر

يموت بيحيى كل فضل وسؤدد ... ويحيا بيحيى كل جهل ومنكر والمقصود أن محاسنه كانت كثيرة، وقد أطلت هذه الترجمة حتى استوفيت مقاصدها.

ورأيت في كتاب " النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس " تأليف أبي الخطاب ابن دحية غلطة أحببت التنبيه عليها في هذا الكتاب كي لا يقف عليها

---

(١) ق ع س: أبو البدر ظفر.

(٢) س بر: تاريخ الوزارة.." (١)

"عندنا بالسريانية وهما مشحونتان بالالغاز والرموز. وقيل ان انلينيا [١] الماجن جاءه فقال له: اهجني لافتخر بهجائك إذ لم أكن أهلا لمديحك. فقال له: لست فاعلا ذلك ابدا قال: فاني امضي الى رؤساء اليونانيين فأشعرهم بنكولك. قال اوميروس **مرتجلا**: بلغنا ان كلبا حاول قتال اسد بجزيرة قبرص. فامتنع عليه انفة. فقال له الكلب: انني امضي الى السباع فأشعرهم بضعفك. قال له الأسد: لان تعيرني السباع بالنكول عن مبارزتك احب الي من ان ألوث شاربي بدمك.

(أحاز بن يوثم)

ملك ست عشرة سنة وأساء السيرة وقرب الذبائح للجن. حاربه فقاح بن رومليا مستنجدا برصان ملك الشام وأهلك من آل يهوذا مائة وعشرين ألفا.

ومات فقاح وملك بعده هوشع بن آلا تسع سنين. وفي سنة ثماني لملك أحاز غزاه شلمانعسر [٢] ملك بابل. وكتب أحاز نفسه عبدا له. وأخذ جميع ما وجد في بيت الرب والملك من الذهب والفضة والآنية. وحاصر مدينة شمرين ثلث سنين وفتحها وقتل هوشع وسبى العشرة الأسباط وفرقهم فيء جبال اثور واراضي بابل وبلاد الفرس. ومن أفلت من هذا السبي انضاف الى ملك السبطين يهوذا وبنيامين وبطل بذلك ملك العشرة الأسباط. وفي هذا الزمان عمرت جزيرة رودس وبقيت ألفا واربعمائة وخمس سنين الى ان اخربها المسلمون. وبنيت في بلد فونطوس مدينة طرابيزونطا.

وفي هذا الزمان اشتهر في الفلسفة ثاليس الملطي على ما ذكره اوسابيوس القيصري [٣] في تاريخه المسمى خرونيقون. وقيل هو أول يوناني صار الى ارض مصر وأخذ الحكمة من القبط ثم رجع الى ملطية. وكان أول

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢٤٢/٦

ما اظهر لقومه من الحكمة انه انذرهم بكسوف الشمس انه سيقع في ساعة معينة من نهار معين. فلما صح حكمه مثل عندهم واستطرفوا [٤] إنذاره وتلمذ له جماعة منهم. والقبط أخذوا الحكمة من الكلدانيين. ولم يكن لليونانيين قبل ثاليس شيء من الحكمة وانما كانت حالهم كحال العرب لم يعرفوا غير علم اللغة وتأليف الاشعار والأمثال والخطب. وقيل أول من قال بالاطوماطون هو ثاليس اي ان الوجود لا موجد له واحتج بما شاهد في هذا العالم من الشرور. وهكذا يعتقد اهل الهند.

[١-)] انلينيا ر انابيا.

[٢-)] شلمانعسر ر شلمانسر.- كذا في السريانية [؟] . واما في العبرانية فهي [؟] شلمناسر.

[٣-)] القيصري ر القيصراني.

[٤-)] استطرفوا ر استظرفوا.." (١)

"آماله. فلما رجع الفتيان، أمرهم الأمير عبد الرحمن برفع تلك الخرائط المبسوطة؛ فوجدوا نقصان تلك الخريطة؛ فتدافعوا فيها إذ ذاك، كل يقول لصاحبه: (أنت أخذتها من هناك!) فقال لهم الأمير: (أسكنوا عن هذا! فقد أخذها من لا يردها، وعاينه من لا يقولها!) فكان هذا مما عد من كرمه وفضله.

وكانت له جارية تسمى طروب، كان بها دنفا؛ فصدت عنه يوما، وأبدت هجرانه. فأرسل فيها؛ فامتنعت عليه، وأغلقت على نفسها بيتا. فأمر ببنيان الباب بالخرائط المملؤة من الدراهم، استرضاء لها، واستعطافا لوصلها. فلما فتحت الباب، تساقطت الخرائط من كل جانب؛ فأخذتها؛ فألفت فيها نحوا من عشرين ألفا؛ وأمر لها يعقد قيمته عشرة آلاف دينار؛ فجعل بعض من حضر من وزرائه يعظم الأمر عليه؛ فقال له الأمير عبد الرحمن: (إن لابسه أنفس منه خطرا وأرفع قدرا! ولئن راق من هذه الحصباء منظرها، ورصف في النفس جوهرها، فلقد برأ الله من خلقه جوهرا يغشى الأبصار، ويذهب بالألباب. وهل على وجه الأرض من زبرجدها وشريف جوهرها أقر لعين، وأجمع لزين، من وجه أكمل الله فيه الحسن ونضرته، وألقى عليه الجمال بهجته؟) ثم قال لعبد الله بن الشمر الشاعر وكان حاضرا: (هل يحضرك شئ في المعنى؟) فأنشد (طويل) :

أتقرن حصباء البواقيت والشذر ... بمن يتعالى عن سنا الشمس والبدر

بمن قد برت قدما يد الله خلقه ... ولم يك شيئا قبله أبدا يرى

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٣٧

فأكرم به من صنعة الله جوهرا ... تضاءل عنه جوهر البر والبحر

فأعجبت الأمير الأبيات وطرب لها طربا شديدا. وأنشد الأمير **مرتجلا** (طويل) :

فريضك يا ابن الشمر عني على الشعر ... وجل عن الأوهام والذهن والفكر

إذا شافهته الأذن أدى بسحرها ... إلى القلب إبداعا فجل عن السحر

وهل برأ الرحمن من كل ما برأ ... أقر لعين من منهمة بكر

ترى الورد فوق الياسمين بخدها ... كما فوق الروض المنعم بالزهر

فلو أنني ملكت قلبي ون ا ظري ... نظمتهما منها على الجيد والنحر." (١)

"(يا لب اهج الوزير عبد الملك بن جهور!) فامتنع عليه؛ فقال لابن جهور: (فأهجج أنت، إذ أبى هو من هجوك) . فقال: (يا أمير المؤمنين، أتوقع عرضي منه، وأصون نفسي عنه!) فقال الناصر: (فأنا أهجوه.) فقال (سريع) :

لب أبو القاسم ذو لحية ... طويلة في طولها ميل

ثم قال لابن جهور: (لا بد لك من تذييل هذا البيت؛ فدع الاعتذار.) فقال:

وعرضها ميلان إن كسرت ... والعقل مأفون ومدخول

لو أنه أحتاج إلى غسلها ... لم يكفه في غسلها السيل

فضحك الناصر، وقال للب: (إنه قد سبب لك القول؛ فقل!) فقال لب:

قال أمين الله في خلقه ... لي لحية أزرى بها الطول

وابن عبير قال قول الذي ... مأكوله القرظيل والفول

لولا حيائي من إمام الهدى ... نخشت بالمنخس (شو قول)

فلما بلغ لب إلى قوله (شو) سكت؛ فقال له الناصر: (قول) . فأتم له على نحو ما أضمر؛ فقال له: (أنت هجوته، يا مولاي!) فضحك الناصر، وأمر له بصلة.

وكان الناصر قد خرج يوما على فرس أبلق في هيئة جليلة والوزراء قد حفوا به؛ فقال ابن عبد ربه في ذلك **مرتجلا** (سريع) :

بدر بدا من تحته أبلق ... يحسد فيه المغرب المشرق

لو يعلم الأبلق من فوقه ... لاختال من عجب به الأبلق

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ٢/ ٩٢

إمام عدل باسط كفه ... يرزق منها الله من يرزق

عابه الدهر الذي قد مضى ... وجد والله به المخبلق." (١)

"قضاته: محمد بن السليم، ألقاه قاضيا لأبيه فأقره على ولايته؛ ثم أبو بكر ابن زرب؛ ثم محمد بن يحيى التميمي عرف بابن برطال، وغيرهم.

نقش خاتمه: (هشام بن الحكم، بالله يعتصم) . وتولي عقد الشهادة على الناس في البيعة بين يديه وكيله وصاحب شرطته الوسطى والسكة والمواريث أبو عامر محمد بن أبي عامر، بعدما كان قاضي الجماعة محمد بن إسحاق بن السليم يأخذها على من شهد المجلس من الأعمام وأبنائهم والوزراء وطبقات أهل الخدمة ورجالات قريش وأعلام أهل الحضرة.

فلما كان يوم السبت السادس من جلوس هشام، وهو العاشر لصفر سنة ٣٦٦، قلد الخليفة هشام حجابته وزير أبيه الأخص أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي. وفي هذا اليوم، أنهض الخليفة هشام محمد بن أبي عامر إلى خطة الوزارة، نقله إليها عن شرطته الوسطى وأجراه رسيلا لحاجبه جعفر في تدبير دولته؛ فماده محمد شأوا، وجرى إلى غاية برز فيها دونه، سابقا في الحلية، وتخلف جعفر عن مداه.

ومن أخبار جعفر بن عثمان المصحفي: هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة القيسي. كان لطيف المنزلة من الحكم المستنصر بالله، قديم الصحبة، قريب الخاصة؛ وكان أول سبب ذلك تأديب والده عثمان بن نصر للحكم في صباه، واستخدمه في أيام والده الناصر، واستكتبه، ورقاه إلى خطة الشرطة الوسطى والنظر في عدة من الأعمال والكور. فلما أفضت الخلافة إلى الحكم، قلده، بعد ثلاثة أيام من خلافته، خطة الوزارة، وأمضاه على الكتابة الخاصة؛ ثم جمع له الكتابة العليا بالخاصة، وولي ابنيه الأعمال الكبار. وكان جعفر بن عثمان أحد شعراء الأندلس المحسنين، المتصرفين في أنواع الشعر من المديح والأوصاف والغزل، غاية في كل ذلك في الرقة والإبداع والحسن. وقد تقدم قوله مرتجلا: (هنيا للإمام والأنام) وقوله مرتجلا: (تطلع البدر من حجابه) وغير ذلك.." (٢)

"حيين سنة ثمان وخمسمائة.

٥٥٣ - علي بن محمد بن أحمد بن حريق المخزومي (١) : بلنسب أبو الحسن؛ حدث عن أبي جعفر الحصار، وأبوي عبد الله: ابن حميد وابن سعادة، وأبي القاسم بن بشكوال وتأدب بابي محمد بن يحيى

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ٢/٢٢٧

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ٢/٢٥٤

الحضرمي. روى عنه أبو القاسم ابنه وابن عميرة (٢) وأبو الحجاج البياسي وأبو الحسن طاهر بن علي الشقري وآباء عبد الله: ابن أحمد بن الطراوة وابن إبراهيم الكتامي وابن عبد الله بن الآبار، وأبو العباس بن طلحة الساعدي وأبو القاسم محيي الدين محمد بن محمد بن سراقة وأبو محمد بن برطله.

وكان شاعرا مفلقا مجيدا سريع البديهة بارعا مرويا **ومرتجلا**، كاتبا بليغا مكثرا من نظم الكلام ونثره، حسن التصرف في فنونه، لم يشن كلامه قط بتضمينه ثلب أحد [٨٣ و] ولا هجوه، حافظا لأيام العرب وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار الصحابة، ذاكرا للغة، فكه المحاضرة حلو النادرة مع وقار وتؤدة، فسيح المجال في الآداب، يقر له بالتقدم فيها بلغاء عصره؛ قدم مراكش وامتدح أمراءها وكان مبرورا عندهم معروف المكانة مقربا لديهم مقضي ما يعرض له من المآرب قبلهم، وله أمداح في الأمراء بالأندلس.

وشعره كثير مدون وقفت عليه في مجلدين ضخمين و " معشرات

(١) ترجمته في صلة الصلة: ١٢٩ والتكملة رقم: ١٨٩٥ والنفحك (في مواضع متفرقة) والمغرب ٢: ٣١٨ ورايات المبرزين: ٨٦ وفوات الوفيات ٢: ٧٠ وزاد المسافر رقم: ٧.

(٢) م ط: عمرة.." (١)

"غزلية " وطمقصورة " عارض بها ابن دريد و " أرجوزة بديعة " عارض بها أبا الحسن بن سيدة على حروف المعجم في ما اسمك يا أخا العرب ومقالته المسماة: " بالرسالة الفريدة والاملوحة المفيدة " ضمنها أبيات " الحمل " موطئا لكل بيت منها بما يستدعي معناه حتى يدرجه أثناء كلامه، لم يتقدم إلى مثلها وقفت عليها بخطه وشرحها؛ وشهر عنه تجنبه النظم في الخبب من أنواع العروض فقال له السيد أبو عمران بن أبي عبد الله بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن وقد حضر عنده أول ساعات الرواح إلى الجمعة (١) :

خذ في الأشعار على الخبب ... فنكولك عنه من العجب

هذا وبنو الآداب قضوا ... بعلو مكانك في الأدب فأتاه عقب صلاة الجمعة من ذلك اليوم بقصيدة فريدة تنيف على [؟] بيتا أولها (٢) :

أبعيد الشيب هوى وصبا ... كلا لا لهو ولا لعبا ووقف على قبر أبي بحر صفوان بن إدريس فقال **مرتجلا:**

أبا بحر سلام الله يترى ... عليك وإن تكنفك الحجاب

أحوم على كنيك لست أروى ... وأقرع في سميك لا أجاب

(١) السفر الخامس من كتاب الذيل الأنصاري، المراكشي ٢٧٥/١

دنت بك شقة ونأى محل ... فسيان انتزاح واقتراب

فحسبي ان أرقرق دمع عيني ... وتسعدني السحائب والصحاب

---

(١) أنظر تحفة القادم: ٤٥.

(٢) أورد ابن الآبار في تحفة القادم: ٤٦ جملة صالحة من هذه القصيدة.." [١]

"آخر

العقل ليس بمسعد خلقا إذا ... ما عال حتى يسعد المقدور

وحكومة الأيام يسعد جاهل ... فيها ويشقى العالم النحرير

آخر

لو كانت الأرزاق يدركها الفتى ... بجلادة أو قوة وشراس

لأخذت أفضلها ببارع همتي ... وبمنطقي وبحيلتي ومراسي

لكنها قسم وليس بمدرك ... ما لم يقدره إله الناس

حدث ابن حبيب في كتابه عقلاء المجانين قال حدث سعيد بن علي بن عطاف قال كان عندنا رجل عاقل ظريف أديب يسمى عامرا وكان مع كثرة أدبه محروما فقيل لي إنه قد تحامق فجعلت أتطلبه حتى ظفرت به في بعض الطرق والصبيان حوله يضحكون منه فقلت يا عامر ما هذه الحالة فانشد عجلا **ومرتجلا**

يا عاذلي لا تلم أخا حمق ... يضحك منه فالحمق ألوان

جقت نفسي لكي أنال غنى ... فالعقل في ذا الزمان حرمان

وكان الحمدوني الشاعر يتحامق فعذله بعض أصحابه على ذلك فقال جماقة تعولني خير من عقل أعوله ثم أنشد

عذلوني على الحماقة جهلا ... وهي من عقلهم ألذ وأحلى

حمقى اليوم قائم بعيالي ... ويموتون أن تعاقلت دلا

ومن المنظوم في أن من أفعال الزمان ... الباس العقلاء أسمال الحرمان

---

(١) السفر الخامس من كتاب الذيل الأنصاري، المراكشي ٢٧٦/١

أبو يعلى بن الهبارية

الجهل أروح للفتى من عقله ... يمسي ويصبح آمنا مسرورا." (١)

"لئن جلوت للشباب حلة ... يحتمل العاقل فيها جهلة

فخذ بذا التفصيل مني جملة ... هيهات ما أشنع هاتا زلة

أطربا بعد المشيب والجلا

رجعت في الغزلان عن تغزلي ... إلى رثاء السيد الطهر الولي

به مستشفعا توسلي ... يا رب ليل جمعت قطريه لي

بنت ثمانين عروسا تجتلي

عذرا في قتلي قبلت عذرها ... شمطا لكن ما تعد عمرها

بشيعة الأكباد وقعا حرها ... لم يملك الماء عليها أمرها

ولم يدنسها الضرام المحتضى

بكر إذا ما شق عن جذورها ... يستتر الأنوار من ظهورها

أما ترى البدر اختفى من نورها ... كأن قرن الشمس في ذرورها

بفعلها في الصحن والكأس اقتدى

من كأسها الملآن ما الدهر حلا ... من عدها بأول فأولا

قد شبه يثرب مع اهل الولا ... نازعتها أروع لا تسطو على

نديمه شرته إذا انتشى

بات يراعى خاطري بلحظه ... حتى أفاد ذا الرقى من حظه

غيث ندى في ندبه ووعظه ... كأن نور الروض نظم لفظه

مرتجلا أو منشدا أو إن شدا." (٢)

"شهير الذكر به تفقه جمع كثير من زبيد وغيرها وحج فأدرك البندنيجي مقدم الذكر بمكة فأخذ عنه ذكره عمارة في مفيده وأثنى عليه وذكر أنه تفقه عليه وقال وكان معظما عند الناس وقف الشاعر المعروف بالغرنوق وقد اغتص مجلسه بالزحام من الطلبة فأحب أن يقعد بينهم فلم يجد فأنشد يخاطب الفقيه مرتجلا

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١٧٦

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٣/٣٨٢

... مجلسك الرحب من تزاحمه ... لا يسع المرء فيه مقعده

كل على قدره ينال فذا ... يلقط منه وذاك يحصده ... فقال الفقيه أفرجوا له يقعد فأفرجوا له فقعد وبه تفقه جمع كثير منهم عبد الله بن عيسى الهرمي ومحمد بن عطية وغيرهما فيمن لا يحصى وكان له مع كمال فضله شعر منه ما رأيته بخط شيخي أبي الحسن الأصبحي يقول لابن الأبار في مدح ابن الصباغ وشامله وهو ... أحيا الإمام أبو نصر بشامله ... علم ابن إدريس ذي الفخرين محتسبا

وأوضح الحجج اللاتي إذا قرعت ... سمع آمرىء قد شدا في علمه طربا

إذا تصوره ذو فطنة وذكا ... حوى علوما وحاز العلم مكتسبا

وصار صدرا إذا ما مشكل نزلت ... سمعت منه لديها منطقا عجبا

فالله يجزيه بالحسنى ويأجره ... فيما ابتغاه ويعطيه الذي طلبا ... ومنهم أبو عبد الله منصور بن مفلح الوزير الفاتكي أعني أباه ولعل يأتي من ذكره ما لاق في أعيان الدول وأما منصور فكان فقيها ذا فصاحة وصباحة وسماحة ذكره عمارة في مفيده وقال كان الناس يقولون لو كان منصور قرشيا لكملت فيه شروط الخلافة وكانت وفاته مقتولا ظلما وعدوانا سنة ثلاثين وخمسمائة تقريبا الوزير الذي وزر بعد أبيه

ومنهم عثمان بن الصفار ومحمد بن علي السهامي كانا إمامين لا سيما في علم الفرائض والدور والجبر والمقابلة قال عمارة كانوا يرون أن ابن اللبان يعني الفرضي من أتباعهم في ذلك

ومنهم أبو عبد الرحمن الحسن بن خلف بن الحسين." (١)

"وكثر عليه عند صلاح الدين فأمر بشنقه مع جملة جماعة على رأيه فسألهم أن يجيئوا به على باب القاضي الفاضل فحين أحس الفاضل بذلك أمر بإغلاق باب داره فحين مروا ورأى الباب مغلقا قال **مرتجلا**

... عبد الرحيم قد احتجب ... إن الخلاص من العجب ... ثم أتي به إلى المشنقة فشنق بدرب يعرف بخرابة السود ثاني عشر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة

ومنهم أبو عبد الله محمد بن منصور الجنيد الفتوحي نسبا المشيرقي بلدا الصمعي فالنسبة إلى المشيرق قد تقدم ذكرها وصمع بضم الصاد المهملة وخفض الميم مع التشديد ثم عين ساكنة مهملة قرية قديمة بها قرابة لهذا الفقيه يتسمون بالفقه ويشهرون الصلاح يأتي ذكر المتحقق منهم إن شاء الله ولم يذكر ابن سمرة منهم غيره

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجُنْدي، بهاء الدين ٣٢٧/١

والفتوحيون المنتسب إليهم قوم من الأصابح يعرفون ببني أبي الفتوح يسكنون شعبا من نواحي عنه سمعت الثقة يقول ذلك وكانت وفاة الفقيه قافلا من الحج بالسرين سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ومن ذريته جماعة فقهاء منهم الفقيه شرف الدين أحمد بن الجنيد صاحب يحيى الآتي ذكره وذكر من استحق منهم على ما أتحققه إن شاء الله ثم صار الفقه موجودا بجماعة منهم عبد الله بن المفضل بن عبد الملك الصرحي

تفقه بالفقيه عمرو بن عبد الله وولي قضاء ريمة وتوفي عليه سنة ستين وخمسمائة وكان له أخ اسمه عبد الرحمن ولي خطابة حرض انتهت إليه رئاسة الفقه بها

ومنهم سالم بن مهدي بن قحطان بن حمير بن حوشب الأخضري أظن مسكنه ذا عدينة تفقه بأهل تهامة أخذ المهذب عن راجح بن كهلان عن ابن عبدويه وهو أحد شيوخ ابن سمرة وتوفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

ومنهم زياد بن أسعد بن علي الخولاني كان فقيها فاضلا مسكنه وادي شقب بشين معجمة ثم قاف ثم باء موحدة على وزن فعل محرك القاف استنابه القاضي." (١)

".. طوبى لمن عاش بعض يوم ... ونفسه فيه مطمئنه

ولا له في الملا عدو ... ولا لخلق عليه منه ... وهذا هو صاحب القصة المشهورة مع الأمير علي بن يحيى وذكرتها خشية أن يقع كتابي مع من لم يكن علمها وذلك أن الأمير علي بن يحيى كان على الصفة المتقدمة من الإنسانية والمحبة للفقهاء والفضلاء وصحبتهم كما ذكرته فقدر أنه عمل طعاما لجماعة من أصحابه هذا الفقيه من جملتهم وعمل فيه ظرفا مملوءا لحوحا وزوما ووضع بموضع فيه بعد عن الفقيه فلما اجتمعوا على الطعام صار الفقيه يتناول منه فلا يناله إلا بتكلف فأنشد الأمير ... بعد اللحوح عن الفقيه الأوحد ... عثمان خير بني البرية عن يد ... فأجابه الفقيه **مرتجلا** ... ترد المراسم إن أمرت بنقله ... ويطول منك الباع إن قصرت يدي ... فقام الأمير مسرعا من مكانه واحتمل الظرف ووضعه بين يدي الفقيه ثم لما انقضى الطعام جعل الأمير يحدث الفقيه ويقول يا سيدي الفقيه إني رأيتك تحب اللحوح وقد وهبتك جربتي الفلانية تكون برسمه فقبلها الفقيه وهي جربة تساوي ألف دينار على قرب من الملحمة هي بيد ذريته إلى الآن فرحم الله علي بن يحيى ما كان ألطف شمائله وأكثر فضله وفضائله

وقد تقدم ذكره مع بني مضمون وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث بقين من رمضان سنة ثلاث وستين وستمائة

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجُنْدي، بهاء الدين ٣٦٣/١

وذلك بقرية الملحمة مع أبيه يحيى وأخوته أبي بكر وعلي فقبر الأب وأبناؤه أبو بكر وعلي في فسقية هي شرقي مسجدهم فلما دنت وفاة عثمان قيل له نقبرك مع أبيك وأخوتك قال لا إنني أخشى أن أؤذيهم هم كانوا على طريق كامل من الورع فقبر بقبر قريب منهم ثم لما توفي عثمان خلفه برئاسة أهله واشتهر بالفقه ابن له اسمه يحيى مولده آخر نهار الجمعة لخمس خلون من صفر سنة سبع عشرة وستمائة وكان خيرا ذا دين وورع نزل من بلده إلى ذي جبلة فدرس بالمدرسة الشرقية وكان." (١)

"باحثوه في العلم ومتى تغير خرجوا عنه ومن لم يفهم حاله صفقت الجارية فيعرف فيخرج فتظهر الجارية وتهيب بالضرب وربما ضربته فيسكن إذ كان يخافها

أخبرني والدي يوسف بن يعقوب نور الله حفرته قال كنت أحب هذا الفقيه ابن الحطاب على السماع وأكره أن أره على ما قد بلغني من الحال علمت أن رجلا ممن كنت أصحبه قال لي يوما اذهب معي إلى الفقيه ابن الحطاب نسلم عليه فاستحييت منه ورافقته فلما صرت معه إليه وسلمنا عليه رد علينا ردا جيدا ثم قال للرجل يا محمد هل جئتنا بشيء فقال بنفسي فأنشد الفقيه مرتجلا ... أتانا أخ من غيبة كان غابها ... وكان إذا ما غاب ننشده الركبا

فقلنا له هل جئتنا بهدية ... فقال بنفسي قلت نطعمها الكلبا ... ونحو ذلك ما أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن الشيخ الفاضل منصور بن حسن الكاتب عن أبيه قال دخلت أنا والمقرىء محمد بن علي الفقيه المذكور فسأله المقرىء عن مسألة في الحيض مشكلة فأبانها له ثم أنشد ... لو علمنا مجيئكم لبذلنا ... مهج النفس أو سواد العيون

وفرشنا على الطريق خدودا ... ليكون المرور فوق الجفون ... وله شعر رائق منه ما وجدته بوصاب عام دخلتها سنة عشرين وسبعمائة مع مقرئها يومئذ وهو محمد بن يوسف الغيثي الآتي ذكره قال أثبت إلي أن هذا الفقيه يعني ابن الحطاب كان بينه وبين الفقيه موسى بن أحمد شارح اللمع الآتي ذكره صحبة ومكاتبة وأنه كتب إليه شعرا منه لما دخل كتابه شرح اللمع إلى زبيد ما مثاله ... تربي خليلي في ربع والثمل فأرقته ... ويكفيك فضلا أدمج حطاب

وكل وعذراء بردي

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجُنْدي، بهاء الدين ١/٤٣٣

وهذا جملة ما وجدته عند المقرىء المذكور وبالجملة فأوصافه جمة وإني مقصر عن استيعابها وكانت وفاته بزبيد سنة خمس وستين وستمائة." (١)

"ميمنتهم، وكان يقصف [١] الناس قصفا منكرا، فتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه، فقال بعضهم: هو من أصحاب هاشم، أو هاشم نفسه. وقال بعض الناس: هو الخضر. وقال بعضهم: لولا أن الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا إنه ملك.

وجعل سعد يقول حين ينظر إليه وإلى الفرس: الصبر صبر البلقاء، والطعن طعن أبى محجن. وأبو محجن فى القيد، فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس، أقبل أبو محجن فدخل القصر، وأعاد رجليه فى القيد، وقال:

لقد علمت ثقيف غير فخر ... بأنا نحن أكرمهم سيوفا

وأكثرهم دروعا سابغات ... وأصبرهم إذا كرهوا الحتوفا [٢]

وأنا وفدهم فى كل يوم ... فإن عميوا فسل بهم عريفا [٣]

وليلة قادس لم يشعروا بى ... ولم أشعر بمخرجى الزحوفا

فإن أحبس فذلكم بلائى ... وإن أترك أذيقهم الحتوفا

فقالت له سلمى: فى أى شيء حبسك؟ فقال: أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته؛ ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى، فقلت مرتجلا فى ذلك أبياتا:

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى بالفلاة فإننى ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

---

[١] يقصف الناس: يضربهم ضربا منكرا.

[٢] الحتوف: القتل.

[٣] العريف: رئيس الجماعة.." (٢)

"له عجوز بالحبق «١» أبصر من ... أبصرته ضاربا ومرتجلا

نادمته مرة وكنت فتى ... ما زلت أهوى وأشتهى الغزلا

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجُنْدي، بهاء الدين ٤٧٨/١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢١٠/١٩

حتى إذا ما أمالها سكر ... يبعث «٢» فى قلبها لها مثلا

اتكأت يسرة وقد خرفت «٣» ... أشراجها كى تقوم الرملا

فلم تزل إستها تطارحنى ... اسمع إلى من يسومنى العللا

وقال محمد بن المرزبان: كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبى، وكان إذا حضر أضحك الثكلى بنوادره. فقال له أبى يوما: حدثنا ببعض نوادرك وطرائفك.

قال نعم. من طرائف أمورى أن ابنى زنى بجارية سندية لبعض جيرانى، فحبلت وولدت؛ وكانت قيمة الجارية عشرين دينارا. فقال: يا أبت، الصبى والله ابنى، فساومت فيه فقيل لى: خمسون دينارا. فقلت له: ويلك! كنت تخبرنى وهى حبلى فأشتريها بعشرين دينارا ونربح الفضل بين الثمنين! وأمسكت عن المساومة بالصبى حتى اشتريته من القوم بما أرادوا. ثم أحبلها ثانيا فولدت ابنا آخر، فجاء يسألنى أن أبتاعه؛ فقلت: عليك لعنة الله، أى شيء حملك على أن تحبل هذه، هلا عزلت عنها! فقال: إنى لا أستحل العزل. ثم أقبل على جماعة عندى فجعل يقول: شيخ كبير يأمرنى بالعزل ويستحله. فقلت له: يابن الزانية! تستحل الزنا وتتحرج من العزل! فضحكنا منه.

ذكر شيء من نوادر حمزة بن بيض الحنفى

كان شاعرا من شعراء الدولة الأموية، وهو كوفى خليع ماجن. وكان منقطعا إلى المهلب بن أبى صفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبى بردة،." (١)

"لمن الديار رسومها قفر ... لعبت بها الأرواح والقطر

وخلا لها من بعد ساكنها ... حجج مضين ثمان أو عشر

والزعفران على ترائبها ... شرق به اللبات والنحر

قال ابن الكلبى: وهو أول صوت غنى به في الإسلام من الغناء العربى المتقن الصنعة. قال: ثم اشترى عبد الله بن جعفر نشيطا بعد ذلك؛ فأخذ عنه سائب خاثر الغناء العربى، وأخذ عنه ابن سريج وجميلة ومعبد وعزة الميلاء وغيرهم. وقيل:

إنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب ويغنى **مرتجلا**. قال ابن الكلبى: وكان [سائب تاجرا «١»] موسرا يبيع الطعام بالمدينة، وكان تحته أربع نسوة. وكان انقطاعه إلى عبد الله بن جعفر، وهو مع ذلك يخالط سروات الناس وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته. وكان قد آلى على نفسه ألا يغنى أحدا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤/٦٥

سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولى عهد أو ابن خليفة؛ فكان على ذلك الى أن قتل، على ما نذكره. وأخذ عنه معبد غناء كثيرا. قال: وسمع معاوية غناء سائب خاثر مرارا، فالمرة الأولى لما وفد عبد الله بن جعفر إلى معاوية وهو معه، فسأل عنه معاوية، فأخبره عبد الله خبره واستأذنه في دخوله عليه، فأذن له.

فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته فغنى:

لمن الديار رسومها قفر ... الأبيات

فالتفت معاوية إلى عبد الله وقال: أشهد لقد حسنه. وقضى معاوية حوائجه وأحسن اليه ووصله. وقيل: أشرف معاوية ليلة على منزل يزيد، فسمع صوتا أعجبه، واستخفه السماع فاستمع حتى مل؛ ثم دعا بكرسى فجلس عليه واشتهى الاستزادة، فاستمع بقية ليلته. فلما أصبح غدا عليه يزيد؛ فقال: يا بنى، من كان." (١)

"ونقل أيضا عن ابن الكلبى أنه كان مخنثا أحول أعمش، يلقب وجه الباب.

وكان لا يغنى إلا متنقبا، مسبل القناع على وجهه. قال: وكان أحسن الناس غناء، وكان يغنى مرتجلا ويوقع بقضيب، وقيل: كان يضرب بالعود. وغنى في زمن عثمان بن عفان، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك. وقيل: كان اسمه عبيد بن سريج من أهل مكة. وقال ابن جريج: كان عبيد بن سريج مولى آل خالد بن أسيد، وقيل: كان أبوه تركيا. وقيل: كان عوده على صنعة عيدان الفرس، وهو أول من ضرب به على الغناء العربى بمكة؛ وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة، فأعجب أهل مكة غناؤهم. فقال ابن سريج: أنا أضرب به على غنائى، فضرب به فكان أحذق الناس. وأخذ الغناء عن سعيد بن مسجح، وقد تقدم ذكر ذلك. وأول ما اشتهر بالغناء في ختان ابن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين. قال ابن سريج لأم الغلام: خفضى عليك بعض المغرم والكلفة، فو الله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به. وكان معبد إذا أعجبه غناء نفسه قال: أنا اليوم سريجى.

ومن أخباره أيضا أن عطاء بن أبى رباح لقيه بذى طوى وعليه ثياب مصبغة وفي يده جرادة مشدودة الرجل بخيط يطيرها ويجذبها كلما تخلفت؛ فقال له عطاء:

يا فتان، ألا تكف عما أنت فيه! كفى الله الناس مئونتك. فقال له ابن سريج:

وما على الناس من تلوبنى ثيابى ولعبى بجرادتى! فقال: تغنيهم أغانيك الخبيثة.

فقال له ابن سريج: بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق رسول الله صلى الله

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٤٤/٤

عليه وسلم عليك إلا سمعت منى بيتا من الشعر، فإن سمعت منكرا أمرتنى بالإمساك عما أنا عليه، وأنا أقسم بالله وبحق هذه البنية إن أمرتنى." (١)

"مع شدة السلطان في الغناء ونداله فيه. فقلت له: أتردهم؟ قال: لا والله! فكيف لى بالعود؛ فقلت: أنا أخبؤه لك فشأنك. فركب وسترت العود فأردفنى. فلما كنا ببعض الطريق إذا بنافع بن علقمة قد أقبل؛ فقال لى: يابن بركة، هذا الأمير. فقلت له: لا بأس عليك! أرسل عنان البغلة وامض ولا تخف، ففعل.

فلما حاذيناه عرفنى ولم يعرف ابن سريج، فقال لى: يابن بركة، من هذا أمامك؟

قلت: من ينبغي أن يكون! هذا ابن سريج؛ فتبسم ثم تمثل:

فإن تنج منها يا أبان مسلما ... فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

ثم مضى ومضينا. فلما كنا قريبا من القوم نزل إلى شجرة يستريح. فقلت له: غننى **مرتجلا**؛ فرفع صوته فخيل إلى أن الشجرة تنطق معه، فغنى وقال:

كيف الثواء ببطن مكة بعد ما ... هم الذين تحب بالإنجاد

أم كيف قلبك إذ ثويت مخمرا ... سقما خلافهم وكربك «١» بادى

هل أنت إن ظعن الأحبة غادى ... أم «٢» قبل ذلك مدلج بسواد

قال: فقلت: أحسنت والذى فلق الحبة وبرأ النسمة! ولو أن كنانة كلها سمعتك لاستحسنتك «٣» ، فكيف بنافع بن علقمة! المغرور من غره نافع. ثم قلت: زدنى وإن كان القوم متعلقة قلوبهم بك؛ فغنى وتناول عودا من الشجرة فوقع به على الشجرة؛ فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون الضأن على العيدان إذا أخذتها عيدان الدفلى «٤» ، وغنى:

لا تجمعى هجرا على وغربة ... فالهجر في تلف المحب سريع." (٢)

"ابنتى فلانة بنت فلان وأنا فلانة بنت فلان، قم راشدا. فقال للدلال: خدعتنى.

قال: أو ما ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها وتهب مائة غلام مثل غلامك؟ قال:

أما هذا فنعم. وخرجا من عندها.

والدلال أحد من خصى من المخنثين بالمدينة لما أمر سليمان بن عبد الملك عامله على المدينة أبا بكر بن عمرو بن حزم بخصيهم.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤/٢٥٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤/٢٥٩

ذكر أخبار عطرد

هو أبو هارون «١» عطرد، مولى الأنصار [ثم مولى «٢»] بنى عمرو بن عوف، وقيل:

إنه مولى مزينة. مدنى كان ينزل قباء. وكان جميل الوجه حسن الغناء طيب الصوت جيد الصنعة حسن الزى والمروءة فقيها قارئا للقرآن. وقيل: إنه كان معدل الشهادة بالمدينة. وأدرك دولة بنى أمية وبقى إلى أول أيام الرشيد. وكان يغنى **مرتجلا**.

وحكى أبو الفرج الأصفهانى بسند رفعه قال:

لما استخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة فأمره بإشخاص عطرد المغنى إليه، ففعل. قال عطرد: فدخلت على الوليد وهو جالس في قصره على شفير بركة مرصصة مملوءة خمرا ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها [سباحة «٣»] . قال:

فو الله ما تركنى أسلم حتى قال: أعطرد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ما زلت إليك مشتاقا يا أبا هارون، غننى:." (١)

"ذكر أخبار حكم الوادى

هو أبو يحيى الحكم بن ميمون، وقيل: الحكم بن يحيى بن ميمون. مولى الوليد بن عبد الملك، كان أبوه حلاقا «١» يحلق رأس الوليد، فاشتراه فأعتقه. وكان حكم طويلا أحول، يكرى الجمال ينقل [عليها «٢»] الزيت من الشأم إلى المدينة. وقيل: كان أصله من الفرس. وكان واحد عصره في الحذق، وكان يغنى بالدف ويغنى **مرتجلا**. وعمر عمرا طويلا، غنى الوليد بن عبد الملك، وغنى الرشيد، ومات في الشطر من خلافته.

وأخذ الغناء عن عمر الوادى، وقد قيل: إن عمر أخذ عنه. قال حماد بن إسحاق قال لى أبى: أربعة بلغت في أربعة أجناس من الغناء مبلغا قصر عنه غيرهم: «معبد» فى الثقيل، و «ابن سريج» فى الرمل، و «حكم» فى الهزج، و «إبراهيم» فى الماخورى.

قال أبو الفرج الأصفهانى: وزار حكم الوادى الرشيد، فبره ووصله بثلاثمائة ألف درهم، وخيره فيمن يكتب له بها عليه؛ فقال: اكتب لى بها على إبراهيم بن المهدى- وكان إبراهيم إذ ذاك عاملا له بالشأم- فقدم عليه حكم بكتاب الرشيد؛ فأعطاه ما كتب له به، ووصله بمثل ذلك، إلا أنه نقصه ألف درهم من الثلاثمائة ألف وقال له: لا أصلك بمثل ما وصلك أمير المؤمنين. قال إبراهيم بن المهدى: وأقام عندى ثلاثين يوما أخذت

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤/٣٠٢

عنه فيها ثلاثمائة صوت، كل صوت أحب إلي من الثلاثمائة ألف التي وهبتها له. وقيل: إنه لم يشتهر بالغناء حتى صار إلى بنى العباس، فانقطع إلى محمد بن أبى العباس، وذلك في خلافة المنصور، فأعجب به واختاره على المغنين وأعجبته أهزاجه. وكان يقال: إنه أهزج الناس. ويقال: إنه غنى الأهزاج في آخر عمره؛ فلامه ابنه على ذلك وقال: أبعد الكبر تغنى غناء المخنثين! فقال له: اسكت." (١)

"ولمحمد بن الأشعث أصوات له فيها غناء. منها:

رحبت بلادك يا أمامه ... وسلمت ما سجعت حمامه

وسقى ديارك كلما ... حنت الى السقيا غمامه

إنى وإن أقصيتنى ... شفق [١] أحب لك الكرامه

وأرى أمورك طاعة ... مفروضة حتى القيامه

وله غير ذلك من الأصوات.

ذكر أخبار عمرو بن بانة

قال أبو الفرج الأصفهاني: هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد مولى ثقيف.

وكان أبوه صاحب ديوان ووجها من وجوه الكتاب، ونسب إلى أمه. وكان مغنيا محسنا، وشاعرا صالح الشعر، وصنعته صنعة متوسطة، وكان مرتجلا. قال: وكتابه فى الأغانى أصل من الأصول. وكان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدى فى الغناء، ويخالف إسحاق ويتعصب عليه تعصبا شديدا ويواجهه بنفسه. وهو معدود فى ندماء الخلفاء ومغنيهم، على ما كان به من الوضح. وفيه يقول الشاعر:

أقول لعمرو وقد مر بى ... فسلم تسليمة جافيه

لئن فضلوك بفضل الغنا ... ءفقد فضل الله بالعافيه

وقال أحمد بن حمدون: كان عمرو حسن الحكاية لمن أخذ عنه الغناء، حتى كان من يسمعه لو توارى عن عينه [عمرو [٢]] لم يشك فى أنه هو الذى أخذ عنه، لحسن حكايته. وكان محظوظا ممن يعلمه، ما علم أحدا قط إلا خرج نادرا مبرزا. وله أخبار مع الخلفاء وإنعام منهم عليه، منهم المتوكل على الله. رحمه الله.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٠٥/٤

[١] فى الأغانى: «سفها» .

[٢] زيادة عن الأغانى.." (١)

"وقال محمد بن عبد الملك:

نهنهت أولاها بضرب صادق ... هتن كما شق الرداء المعلم

وعلى سابغة الذيول كأنها ... سلخ كسانيه الشجاع الأرقم

وقال المتنبى:

تخط فيها العوالى ليس تنفذها ... كأن كل سنان فوقها قلم

وقال كلثوم:

كأن سنا الماذى فوق متونهم ... مواقد نار لم تشب بدخان

ومن الرسائل الشاملة لأوصاف السلاح- فمن ذلك ما أجابنى به المولى الفاضل تاج الدين بن عبد المجيد اليمانى، وقد كتبت إليه ألتمس رسالة من كلامه فى أوصاف السلاح، وذلك فى شهور سنة سبع وسبعمائة. كتب:

أمرتنى- أعزك الله، وأعلى فى مراتب السعود جدودك- أن أبعث اليك بشىء من كلامى يتضمن وصف سلاح متنوع الأجناس، مرهوب بالسطو [١] والباس؛ فامتثلت مرسومك وبادرت الى ذلك، لما يتجه على من حقوقك الواجبة، ومن مفترضات خدمك اللازبة؛ وأنشأت لك هذه النبذة **مرتجلا** فيها، ورتبتها على التهيؤ لمراتب القتال، وقدمت الدرع، وتلوته بالقوس وأعقبته بالرمح، وختمته بالسيف.

فمن ذلك فى وصف درع:

خليق بمثله أن يفاض عليه مثل هذه الفضفاضه، وأن يبلغ بها من نيل الأعداء أمانيه وأغراضه؛ وأن يتخذها جنة تقيه سوء المزاريق فى حومة القتال، وأن

---

[١] فى الأصل: «مرهوب بالسطا» . ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا أن سطوة تجمع على سطا، وانما تجمع على سطوات.." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢١/٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٤٥/٦

"ترجمة الخطيب:

عن الدر الكامنة لابن حجر ١، والعقد المذهب لابن الملقن، وشذرات الذهب٢.

هو قاضي القضاة أبو المعالي جلال الدين محمد بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن إمام الدين عمر القزويني الشافعي.

ولد بالموصل سنة ٦٦٦ وسكن بلاد الروم، مع والده وأخيه واشتغل بالعلم وتفقه على والده وولي قضاء نيكسار من بلاد الروم ثم قدم دمشق وسمع من العز الفاروثي وطائفة وحدث وتفقه واشتغل في الفنون وأتقن الأصول والعربية والمعاني والبيان، وكان فهما ذكيا مفوها ذا ذوق سليم حسن الإيراد والمحاضرة حلو العبارة فصيحا جميل الهيئة كبير الذهن جوادا أديبا حسن الخط، وناب عن أخيه الأكبر إمام الدين قاضي قضاة الشام إلى أن مات أخوه سنة ٦٩٩ ثم ولي خطابة جامع دمشق فأقام بها مادة طويلة ثم طلبه الملك الناصر إلى القاهرة في سنة ٧٢٤ وكان قدومه على البريد يوم الجمعة فاتفق أنه اجتمع بالناصر ساعة وصوله فأمر به أن يخطب بجامع القلعة فخطب مرتجلا مع ما هو عليه من التعب وأثر السفر فأعجب به السلطان وشكره وسأله عن حاله وكم عليه من الدين فذكر أن عليه ثلاثين ألف فأمر بوفائها عنه فشافهه بقضاء دمشق فباشرها والخطابة جميعا إلى أن ولاه قضاء الديار المصرية في سنة ٧٢٧ فعم أمره جدا وصرف مال الأوقاف على الفقراء والمحتاجين وحج مع السلطان فأعانه بمال وأحسن إلى المصريين والشاميين وكان لهم ذخرا وملجأ ولم يزل على

---

١ ص٦ ج٤ طبع الهند عام ١٣٥٠هـ - لابن حجر م٨٥٢.

٢ ١٢٣/ ٦ شذرات الذهب.." (١)

"القمي، ابن نقطة:

٥٦٥٨- القمي:

الوزير الكبير مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الكاتب.

قدم بغداد وصحب ابن القصاب، ثم ابن مهدي، فلما مات كاتب السر ابن زبادة رتب القمي مكانه، فلم يغير زيه؛ القميص والشربوش، على قاعدة العجم، ثم ناب في الوزارة، ولم يزل في ارتقاء حتى إن الناصر كتب بخطه: القمي نائبنا في البلاد والعباد، فقرئ ذلك عاما، فلما استخلف الظاهر، رفعه، وحكمه في

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ١٤/١

العباد.

وكان كاتبا، بليغا، مرتجلا، سائسا، وقورا، جبارا، شديد الوطأة.

نكب في سنة تسع وعشرين وست مائة، وسجن هو وابنه فهلكا سنة ثلاثين.

٥٦٥٩- ابن نقطة ١:

الإمام العالم الحافظ المتقن الرحال معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي نصر البغدادي، الحنبلي.

ولد بعد السبعين وخمس مائة.

وكان أبوه من الزهاد، فعني أبو بكر بالحديث، وجمع، وألف.

سمع من يحيى بن بوش، وفاته ابن كليب، ثم طلب في سنة ست مائة وبعدها. وسمع من أبي أحمد بن سكينة، وأبي الفتح المندائي، وابن طبرزد، وعبد الرزاق الجيلي، وابن

---

١ ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان "٤/ ترجمة ٦٦٠"، وتذكرة الحفاظ "٤/ ترجمة ١١٣٣"، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى "٦/ ٢٧٩"، وشذرات الذهب "٥/ ١٣٣، ١٣٤".." (١)

"تفقه به خلق، وسمع منه: سيف الدين سعيد بن مطهر الباخرزي، وشرف الدين محمد بن محمد العدوي، وجمال الدين محمد بن محمد الحسيني، والعلامة حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البخاري، وآخرون.

ترجمه لنا الفرضي، وقال: مات في جمادى الأولى، سنة ثلاثين وست مائة، وله أربع وثمانون سنة.

٢١٥ - القمي محمد بن محمد بن عبد الكريم *

الوزير الكبير، مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الكاتب.

قدم بغداد، وصحب ابن القصاب، ثم ابن مهدي، فلما مات كاتب السر ابن زبادة رتب القمي مكانه، فلم يغير زيه؛ القميص والشربوش، على قاعدة العجم، ثم ناب الوزارة، ولم يزل في ارتقاء، حتى إن الناصر كتب بخطه: القمي نائبنا في البلاد والعباد.

فقرئ ذلك عاما، فلما استخلف الظاهر، رفعه، وحكمه في العباد.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٢٥٢/١٦

وكان كاتبا بليغا، منشئا مرتجلا، سائسا، وقورا، جبارا، شديد الوطأة.

نكب في سنة تسع وعشرين وست مائة (١) ، وسجن هو و ابنه (٢) ، فهلكا سنة ثلاثين.

(*) مختصر التاريخ لظهير الدين الكازروني: ٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٤، والكتاب المسمى بالحوادث الجامعة: ١٩، ٢٠، ٣٢، ٣٣، والفخري لابن الطقطقي: ١٥٣، ٣٢٦، وتاريخ الإسلام، الورقة: ١٠٠ (أيا صوفيا ٣٠١٢) ، والوافي بالوفيات: ١ / ١٤٧.

(١) عزل بكرة السبت سابع عشر شوال سنة ٦٢٩، على ما ذكره الظهير الكازروني.

(٢) اسمه أحمد، وكان أحمد هذا قد أساء السيرة وتجبر وقطع الالسنة وسفك الدم الحرام ولم يكفه والده عن ذلك، فكان هو سبب النكبة.." (١)

"أبو المفضل الكندي، الإسكندراني، المعدل.

سمع من: الإمام أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، وروى عنه «سنن أبي داود» .

وحدث عنه: أبو البقاء صالح بن بدر الشافعي، والحسن بن ناصر المهدوي، وعلي بن محمد بن منتصر، وآخرون.

وتوفي في تاسع شوال وله اثنتان وتسعون سنة.

١٨١- عبيد الله بن هبة الله [١] .

أبو الوفاء القزويني، ثم الأصبهاني، الواعظ الحنفي، يعرف بابن شفروه [٢] .

أخو رزق الله.

له النظم والنثر، وكان فصيحا بليغا، عقد ببغداد مجلس الوعظ لما حج.

وتوفي كهلا [٣] .

[()] دون أن يترجم له.

[١] انظر عن (عبيد الله بن هبة الله) في: الجواهر المضية ٢/ ٥٠٧، ٥٠٨ رقم ٩٠٩، والطبقات السنية، رقم ١٣٩٣.

ولم يذكره الرافعي القزويني في «التدوين في أخبار قزوين» مع أنه من شرطه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢٢/٣٤٦

[٢] هكذا في الأصل بالفاء، ومثله في الجواهر المضية.

[٣] وقال ابن النجار: كان من أعيان أهل بلده فضلا وعلما وأدبا، وكان يعظ على الكرسي بكلام مليح، وله النظم والنثر الحسن، وكان فصيحا، بليغا، ظريفا، لطيفا. ذكر لي ولده أبو عبد الله الحسين أنه دخل حاجا عدة مرار، وأنه أقام ببغداد سنة، وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة التاجية.

قال ابن النجار: أنشدني أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن هبة الله القزويني بأصبهان، أنشدني والدي، ببغداد على المنبر في المدرسة التاجية، مرتجلا لنفسه، وقد دنت الشمس للغروب، وكان ساعتئذ شرع في مناقب علي رضي الله عنه:

لا تعجلي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لفضل المرتضى ولنبله

يثني عنانك إن غربت ثناؤه ... أنسيت يومك إذ رددت لأجله

إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله." (١)

"(جوابان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مضلل)

(فمن ظنه كرما فليس بكاذب ... ومن ظنه نخلا فليس يجهل)

(لحومهما الأعناب الرطب الذي ... هو الحل والدر الرحيق المسلسل)

(ولكن ثمار النخل وهي رطيبة ... تمر وغض الكرم يجنى فيؤكل)

(يكلفني القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدرا بل أعز وأطول)

(ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ... جديرا ولكن من يودك مقبل)

قال القاضي أبو الطيب: فأجبته عنه وقلت:

(أثار ضميري من يعز نظيره ... من الناس طرا سابق الفضل مكمل)

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤١/٢٢٣

(ومن قلبه كتب العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار مشعل)

(تساوى له سر المعاني وجهرها ... ومعظلها باد لديه مفصل)

(ولما أثار الخبء فار معينه ... أسيرا بأنواع البيان يكبل)

(وقر به من كل فهم بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل)

(وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... **ومرتجلا** من غير ما يتمهل)

(فيخرج من بحر ويسمو مكانه ... جلالا إلى حيث الكواكب تنزل)

(فهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنة والعمر فيها مطول)

فأملى أبو العلاء على الرسول **مرتجلا:**

(ألا أيها القاضي الذي بدهاته ... سيوف على أهل الخلاف تسلل)

(فؤادك معمور من العلم آهل ... وجدك في كل المسائل مقبل)

(فإن كنت بين الناس غير ممول ... فأنت من الفهم المصون ممول)

(إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلا ... فأنت وهم مثل الحمائم أجدل)

(كأنك من في الشافعي مخاطب ... ومن قلبه تملي فما تتمهل)

(وكيف يرى علم ابن إدريس دارسا ... وأنت بإيضاح الهدى متكفل)

(تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكر ما ... فعلت وكفي من جوابك أجمل)

(لأنك في كنه الثريا فصاحة ... وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل)

(فعذري في أني أجبتك واثقا ... بفضلك والإنسان يسهو ويذهل)

(وأخطأت في إنفاذ رقعتك التي ... هي المجد لي منها أخير وأول)

(ولكن عداني أن أروم احتفاظها ... رسولك وهو الفاضل المتفضل)

(ومن حقها أن يصبح المسك غامرا ... لها وهي في أعلى المواضع تجعل)

(فمن كان في أشعاره متمثلا ... فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل)

(تجملت الدنيا بأنك فوقها ... ومثلك حقا من به يتجمل)

فشهادة أبي الطيب في الشيخ مقدمة على شهادة الغير وحسن الظن وخصوصا بالعلماء." (١)

"حضر يوم الفراق لطاب، لو غنى للجواد الممتد في طلقه لصفن «١» ، او للميت- استغفر الله- لقام ينفض الكفن «٢» ، لا يلذ إلا به الغزل، ولا يعد أحد من طبقته إلا إذا نزل.

قال أبو الفرج، قال [ص ٣٢] إسحاق: كان جميل الوجه حسن الغناء، جيد الصنعة، طيب الصوت، حسن الرأي، فقيها قارئا للقرآن، وكان يغني **مرتجلا**، وأدرك دولة بني العباس، وبقي إلى ايام الرشيد، وكان معدل الشهادة بالمدينة.

قال إسحاق: ولي مسلمة بن عباد القضاء بالبصرة، فقصد ابنه عباد بن مسلمة عطردا وهو بها مقيم، قد قصد آل سليمان بن علي وأقام معهم، فأتى بابه ليلا فدق عليه، ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس، فخرج عطرد إليه، فلما رآه ومن معه ارتاع، فقال لا ترع «٣» : [الكامل]

إني قصدت إليك من أهلي ... في حاجة يأتي بها مثلي «٤»

قال: وما هي أصلحك الله؟ فقال:

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ١/ ٣٥٠

لا طالبا شيئا إليك سوى ... «حي الحمول بجانب العزل» «٥»

قال عطرد: [انزلوا] على بركة الله، ولم يزل يغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا.." (١)

"٣٢- محمد بن الحارث بن بسخنر «١»

رئيس طرب يشجي صوته الورقاء إذا ناحت، وذات اللفاء (؟) إذا باحت، طالما صب الدموع دما، وصد الثاكل أن يتذكر عدما، لو باكى السيل لاستوقفه إذ جرى، أو شاكى المسهد لأشغله عن الكرى، راق الخلفاء كأس عناية، واتخذوه لندماء «٢» الروح أجل غذائه، فكانوا لا يرون سرورا بغيره يتم، ولا حبورا بسواه يلم.

قال أبو الفرج: كان قديما يغني بالمعزفة «٣» [ص ٩٥] وكانت تحمل معه إلى دار الخلافة، فمر غلامه بها يوما، فقال قوم كانوا جلوسا على الطريق: مع هذا الغلام مصيدة الفأر، قال بعضهم: لا، هذه معزفة محمد بن الحارث، فحلف يومئذ بالطلاق والعتاق لا يغني بمعزفة أبدا، أنفة [من] أن تشبه التي يغني بها بمصيدة الفار، فصار يغني **مرتجلا**، وكان أحسن الناس أخذا للغناء وأحسنهم أداة.

قال أبو عبد الله الهاشمي، سمعت إسحاق المصعبي يقول للواثق، قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ما قدر أحد أن يأخذ شيئا مستويا إلا محمد بن الحارث، فقال له الواثق: حدثني إسحاق عن إسحاق الموصلي بكذا وكذا، قال: قد قال لي إسحاق مرارا، قال له الواثق: فأي شيء أحدث من صنعته أحسن عندك؟ فقال: هو يزعم أنه لم يأخذ منه أحد قط هذا الصوت كما أخذته، وهو هذا: «٤» [الطويل]." (٢)

"جليد على عتب الخطوب إذا التوت ... وليس على عتب الأخلاء بالجلد

وأما الفصل المختص بالحضرة السامية، ووقوع الأمر بحسب ما كان مولاي ذكره، فلم تزل ألمعيته تمده بالرأي الثاقب، وتكشف له ستور العواقب، والله المحمود على ما منح مولاي من صحة النظر الذي يتساوى فيه حاضر من الأمر وغائب، ومستقبل من الخطب وذاهب، وحسن الألمعية التي عناها الأول بقوله: [الكامل]

وتصيب **مرتجلا** بأول فكرة ... أعراض كل مخمر ومبيت

وأما الفلانيان، وما تجدد بينهما في هذا الوقت من الصحبة، وانتسج من المودة، فللمشابهة قضية دائمة الوجوب، وللمشاكلة حوادث تملك حبات القلوب؛ وكل نفس بعادتها صبة، وإلى ما يلائم طباعها منصبة؛

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٧٨/١٠

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٧٩/١٠

النملة تفرح بالبرة، أكثر من فرحها بالدرة؛ والضيون يرى القذارية، خيرا من اللطيمة الدارية؛ ومولاي يخالفهما بصحة ميثاقه، وكرم أخلاقه، ودماثة طبعه، وصلابة نبعه، وطيب أصله وفرعه؛ فلا غرو أن يجهدا في نقض دمرته «١» ، ويرغبا عن الاختلاط بحضرته: [السريع]

لا تنظري صدي ولا مقتي ... ما أنت من حربي ولا سلمي

وأما سؤاله عن قائل البيتين المنظومين، وهما «٢» : [مجزوء الكامل]

ويقودني لوصاله ... خرس الهوى قلق الوشاح

ينآد كالغصن النضي ... ر بمثله عبث الرياح

فقد فتح لي هذا السؤال بابا عرفت أن مولاي قد أعطى فلانا مقوده، ومد إلى." (١)

"من سحرهم أنها تسعى، وصحراء أرض ليس لمن أقام بها ظل هناك ولا مرعى؛ فاسترقينا مكانا دلنا عليه حسن الإيمان، نصبنا على أرجائه منجنيقا هدر بازله، وهثم ثغر تلك الأبنية نازله، وتجسدت عصيه حيات تلقف ما صنعوا، وفرقت ما جمعوا، وظل لنا ولهم يوم ولا كيوم ذي قار، وحرب ولكن أين حزب أهل الجنة من حزب أهل النار، سيوف مخروطة، وأيد منا ومنهم بالدعاء مبسوطة، وعجاج انعقد مثاره، وقسطل ولكن استعر بحوافر الصوافن أواره، بذلوا أنفسهم دونها، وراموا ولو بهلاكهم صونها، وعلا شرفاتها منهم أمم لا تحصى، وجمع آلت يد المنية لعددهم لابد تستقصى، ولم تزل المنايا تسخن بقوة الله ذلك الحفير، وتورد سكان تلك البقاع بعون الله سوء المصير، ثم سارت رجا فتنا، وجال النقب في أرجائها، وبلغت الأماني من النصر غاية رجائها، وصيرناها بالحديد، والطلل الدارس بعد المشيد، وحملنا عليهم بقلب رجل واحد، فانطمس محكم التثليث، واستبان طريق الواحد، وتفرق من بها بين أسير أثقلته أغلاله، وقتيل غرته بالإقدام آماله، وطريد لا يعرف له مكانا، وخائف كلما تبدى له مرأى ظنه إنسانا، وفتحناها بكرة الجمعة، وغدت أعلام الخلافة المعظمة على بقايا شرفاتها خافقة، وأطلاب الإسلام لاستئصال شأفتهم متلاحقة، وقام خطيبنا على صهوة المنبر الأقصى مرتجلا، وصاغ أوصاف المواقف المعظمة والمواطن المكرمة لجيده حلى، وذكره الحرب وكان ناسيا، وألان له بالمواعظ قلبا كان لعدم الادكار قاسيا، وأعدنا إليه ما كان يعهده من الجمع، وتقدمنا بهدم ما استحدث من البيع، وشيدنا ما دثر من مشهد، اعتمدوا تخريبه ومعبد، وأ تستنقذنا معالم الصخرة الشريفة من الإشراك، فعادت إلى أخوة الحجر الأسود، وهذا الفتح

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٢/١٣٧

وإن كان المقصود منه مكانا مخصوصا، فهو فتح يشتمل على مدن عامرة، ورباع غير عامرة، وقلاع مرفوعة، وفاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وقرى ظاهرة، ور كبان." (١)

"ويحيى، فقالوا: نحن، فقال: من منكم عبد الله؟ فيئس يحيى وطمع الاثنان، فقالا: كلانا عبد الله، فقال: أيكما ابن الحارثية؟ فيئس منها المنصور، وقال:

هذا ابن الحارثية، وأشار إلى أخيه، فقال: أكشف لي عن ظهرك حتى أرى العلامة التي فيه، فكشف له عن ظهره فرآها وقبلها، ثم قال له: امدد يدك أبايعك، فمد يده فبايعه إخوته وأهل بيته ورجاله، ثم ألبسه السواد، وركبه فرسا أشهب، وأركب أهله الخيل ملتئمين «١» بالسلاح، ثم أتى به المنبر يوم الجمعة، فمنع الخطيب الصعود، وصعد أبو العباس السفاح، ومعه عمه داود دونه بدرجة، فلما أراد السفاح الكلام أرتج عليه، فخطب عمه داود خطبة بليغة، ثم أخذ الناس بالمبايعة، وأهله حوله بالسيوف مسلولة بأيديهم، ثم أقام ثلاثة أيام، وخرج في جيش عظيم، فنزل الهاشمية، ثم فرق جيشه، فأرسل أخاه أبا جعفر مع الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة، ووجه موسى بن عيسى إلى المدائن مع حميد بن قحطبة، واستخلف عمه داود على الكوفة.

وأما ما كان من مروان، فإنه لما أتاه الخبر خرج من حران «٢» ، فنزل منزلا سأل ما اسمه؟ فقالوا: بلوى، فتطير منه، فقال: بل بشرى، ثم سار حتى أتى الموصل، فأتى السفاح الخبر، فجمع أهله وقال: من يلقى مروان دوني؟ فقال له عمه عبد الله بن علي: أنا له كفء، فقال: صدقت وبذلك أخبر الإمام إبراهيم، فعقد له لواء أسود، وألبسه السواد، وأنهده إليه، ثم أنشد السفاح **مرتجلا**:

[البسيط]

يا آل مروان إن الله مهلكم ... ومبدل منكم خوفا وتشريدا [ص ٩٨]." (٢)

"ولدت منه تميميا لا ينبو منه سيغها «١» ، ولا يجفو حلم الزابن «٢» طيفها، كفاك به، وحبك رجلا، ملأ قلوبا، وجلا، طاف البلاد، وجاء بالحديث عجلا وطاب مجناه «٣» كأنما قطف نواره «٤» بكرا، وقاله **مرتجلا**.

ولد سنة أربعين ومائتين، وارتحل به أبوه، فأدرك الأسانيد العالية، وسمع بالأقاليم خلائق لكنه لم يرحل إلى خراسان.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٥٨/١٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٧٠/٢٤

قال أبو يعلى الخليلي «٥» : أخذ علم أبيه، وأبي زرعة، وكان بحرا في العلوم، ومعرفة الرجال، صنف في الفقه، واختلاف الصحابة والتابعين، وكان زاهدا يعد من الأبدال «٦» ، «٧» وكتابه في الجرح والتعديل يقضي له بالرتبة المنيفة في الحفظ (ص ١٨٨) ، وكتابه في التفسير عدة مجلدات، وله مصنف." (١)

"الرمة والصعق وصردر وحيص بيص فهذه الأقسام الثلاثة تسمى الألقاب وإلا فهو الاسم الخاص كزيد وعمرو وهذا هو العلم وقد يكون العلم مفردا كما تقدم وقد يكون مركبا أما من فعل وفاعل كتأبط شرا وبرق نحوه وأما من مضاف ومضاف إليه كعبد الله وأما من اسمين قد ركبا وجعلا بمنزلة اسم واحد كسيبويه والمفرد قد يكون مرتجلا وهو الذي ما استعمل في غير العلمية كمذجح وأدد وقد يكون منقولا أما من مصدر كسعد وفضل أو من اسم فاعل كعامر وصالح أو من اسم مفعول كمحمد ومسعود أو من أفعل تفضيل كأحمد وأسعد أو من صفة كثقيف وهو الدرب بالأمور الظافر بالمطلوب وسلول وهو الكثير السل وقد يكون منقولا من اسم عين كأسد وصقر وقد يكون منقولا من فعل ماض كأبان وشمر أو من فعل مضارع كيزيد ويشكر) ثمرة هذا المطلوب (إذ قد عرفت العلم والكنية واللقب فسردها يكون على الترتيب تقدم اللقب على الكنية والكنية على العلم ثم النسبة إلى البلد ثم إلى الأصل ثم إلى المذهب في الفروع ثم إلى المذهب في الاعتقاد ثم إلى العلم أو الصناعة أو الخلافة أو السلطنة أو الوزارة أو القضاء أو الأمرة أو المشيخة أو الحج أو الحرفة كلها مقدم على الجميع فتقول في الخلافة أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامري أن كان ولد بسر من رأي البغدادي فرقا بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس الشافعي الأشعري إن كان يتمذهب في الفروع بفقه الشافعي ويميل في الاعتقاد إلى أبي الحسن الأشعري ثم تقول القرشي الهاشمي العباسي وتقول في السلطنة السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي نسبة إلى استاذه الملك الصالح التركي الحنفي البندقدار أو السلاح دار وتقول في الوزراء الوزير فلان الدين أبو كذا فلان وتسرد الجميع كما تقدم ثم تقول وزير فلان وتقول في القضاة كذلك القاضي فلان الدين وتسرد الباقي كما تقدم وتقول في الأمراء كذلك الأمير فلان الدين وتسرد الباقي إلى أن تجعل الآخر وظيفته التي كان يعرف بها قبل اللمرة مثل الجاشنكير أو الساقي أو غيرهما وتقول في أشياخ العلم العلامة أو الحافظ أو المسند في من عمر وأكثر الرواية أو الإمام أو الشيخ أو الفقيه وتسرد الباقي إلى أن تختم الجميع بالأصولي أو النحوي أو المنطقي وتقول في أصحاب الحرف فلان الدين وتسرد الجميع إلى أن تقول الحرفة أما البزاز أو العطار أو الخياط فإن كان النسب إلى أبي بكر)

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٦٧/٥

الصديق رضي الله عنه قلت القرشي التيمي البكري لأن قريشا أعم من أن يكون تيميا والتيمي أعم من أن يكون من ولد أبي بكر رضي الله عنه وأن كان النسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلت القرشي العدوى العمري وإن كان النسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه قلت القرشي الأموي العثماني وإن كان النسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قلت القرشي الهاشمي العلوي وإن كان النسب إلى طلحة رضي الله عنه قلت القرشي التيمي الطلحي وإن كان النسب إلى الزبير رضي الله عنه قلت القرشي الأسدي الزبيري وإن كان النسب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قلت القرشي الزهري السعدي وإن كان النسب." (١)

"عن سفين بن عيينة وغيره واختلفوا فيه توفي سنة إحدى وستين وماتين روى عنه مسلم وأبو داود ووثقه ابن حبان

محمد بن حاتم بن خزيمة أبو جعفر الأسامي بضم الهمزة وفتح السين المهملة وبعد الألف ميم من ولد أسامة بن زيد الحب الكشى المعمر توفي سنة تسع وثلثين وثلث ماية

محمد بن الحرث بن أسد أبو عبد الله الحشنى القيرواني الحافظ دخل الأندلس وتمكن من صاحبها الحكم بن الناصر وصنف له كتبا منها كتاب الإتفاق والاختلاف في مذهب مالك وكتاب الفتيا وتاريخ الأفريقيين والنسب قال ابن الفرضى بلغني أن صنف ماية ديوان وكان شاعرا بليغا لكنه يلحن وكان يعاني الكيمياء واحتاج بعد موت الحكم إلى أن جلس في حانوت يبع الأدهان وتوفي سنة إحدى وستين وثلث ماية

محمد بن الحرث بن بسخنر أبو جعفر يزعمون أنه مولى المنصور قال صاحب الأغاني)

احسبه ولاء خدمة لا ولاء عتق أصله من الري وكان يزعم أنه من ولد بهرام جوين وود بالحيرة وكان يغنى مرتجلا لأن أصل ما غنى عليه المعزفة وكانت تحمل معه إلى دار الخليفة فمر بها غلامه يوما فقال قوم كانوا جلوسا على الطريق مع هذا الغلام مصيدة الفار فقال بعضهم لا هذه معزفة محمد بن الحرث فحلف محمد بن الحرث بالطلاق والعتاق أنه لا يغنى بها أبدا وكان أحسن خلق الله أداء وسرعة أخذ للغناء وكان لأبيه الحرث جوار محسنات وكان الموصلي يرضاهن ويأمرهن أن يطرحن على جواريه

أبو معوية الضرير محمد بن حازم أبو معوية الضرير مولى بني عمرو بن سعد بن زيد مناة التيمي من الطبقة السابعة من أهل الكوفة ولد سنة ثلث عشرة وماية ذهب بصره وله أربع سنين جرى له مع هرون الرشيد

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٤٧/١

حديث منه قال هرون لا يثيب أحد خلافة علي بن أبي طالب إلا قتلته فقال ولم يا أمير المؤمنين قالت تيم منا خليفة وقالت عدى منا." (١)

"فيه صلاح وديانة وله أدب ونظم ونثر كنت في درس قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن العلامي في الصالحية فنعي لي شيخنا اللغوي الإمام رضي الدين الشاطبي فنظمت في الدرس أرثيه

(نعي لي الرضي فقلت لقد ... نعى لي شيخ العلا والأدب)

(فمن للنحاة ومن للغات ... ومن للتقاة ومن للنسب)

(لقد كان للعلم بحرا فغار ... وإن غؤور البحار العجب)

فقدس من عالم عامل أثار شجوني لما ذهب ثم أنشدتها في الدرس لقاضي القضاة فسمعها الشيخ علم الدين القمني فحفظها وأنشدنا **مرتجلا**

(نظمت كلاما يفوق اللجين ... جمالا وينسي نضار الذهب)

(فقمت بحق الرثاء الذي ... بشرع المودة فربض وجب)

(وأنشدته بشجى موجد ... لكل القلوب شجون الطرب)

(فأذكيت فينا لهيب الأسى ... وهيجت فينا جمار الحرب)
(

(بنظم رقيق رشيق إلى ... جميع القلوب الرقاق اقترب)

(فبلغك الله ما ترتضي ... وأعطاك أقصى المنى والأرب)

٣ – (ابن الشيخ العماد المقدسي)

أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور ابن الشيخ العماد المقدسي الصالحي ولد سنة ثمان

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢/٢٣٤

وست مائة وتوفي سنة ثمان وثمانين وست مائة سمع من ابن الحرستاني وابن ملاعب وأبيه والشيخ الموفق وطائفة ورحل إلى بغداذ متفرجا وسمع من عبد السلام الداهري وعمر بن كرم واشتغل ثم انخلع من ذلك وتجرد فقيرا وكان سليم الصدر عديم التكلف والتصنع فيه تعبد وزهد وله أتباع ومريدون وللناس فيه عقيدة وكان الصاحب بهاء الدين ابن حنا يزوره قال الشيخ شمس الدين إلا أنه كان يأكل عشبة الفقراء فيما قيل ويقول هي لقيمة الذكر والفكر وربما صحب الحريري سمع منه المزي والبرزالي والطلبة وأقام مدة بزاوية له يسفح قاسيون

٣ - (الشيخ عز الدين الفاروثي الشافعي)

أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج بن أحمد بن سابور بن علي بن غنيمة الإمام المقرئ الواعظ المفسر الخطيب الشيخ عز الدين أبو العباس ابن الإمام الزاهد أبي محمد المصطفوي الفاروثي الواسطي الشافعي الصوفي ولد بواسط سنة أربع." (١)

"أنك آدر إلا اليوم لما رأيت مشيك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك أبا محمد فعز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

(يا عرس أحمد إني مزمع سفرا ... فودعيني سرا من أبي عمرا)

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقبه بطلاس لأنه كان أطلس اللحية ويسمى كتاب العقد حبل الثوم فاتفق اجتماعها يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف حالك اليوم مع أبي عمر فقال **مرتجلا**

(حال طلاس لي عن رائه ... وكنت في قعدد أبنائه)

فبدر ابن عبد ربه وقال

(إن كنت في قعدد أبنائه ... فقد سقى أمك من مائه)

فانقطع القلفاط خجلا

٣ - (الصوفي)

أحمد بن محمد ن دست دادا شيخ الشيوخ النيسابوري الصوفي الزاهد صحب الزاهد أبا سعيد فضل الله أبن أبي الخير الميهني وتوفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة

٣ - (ابن مختار النحوي)

أحمد بن محمد بن جعفر بن مختار الواسطي أبو علي النحوي العدل ابن أخي أبي الفتح محمد بن محمد

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣٨/٦

بن جعفر بن مختار النحوي مات بعد الخمسمائة وله عقب بواسط فيما ذكره ياقوت
أخذ النحو عن أبي غالب ابن بشران وكان منزله مؤلفا لأهل العلم وكان من الشهود المعدلين وكان طحانا دخل في بعض الأوقات عسكر الأعاجم ونهبوا قطعة من واسط ونهبوا دكانه ونزلوا داره قال الشريف عبد الوهاب ابن أبي غالب عن الشريف أبي العلاء ابن التقي فدخلت معه إليهم نستعطفهم أن يردوا عليه بعض ما أخذوا له فلم نر لذلك وجها فخرجنا وهو يقول
(تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق)
)
ثم التفت إلي وقال ما العامل في الظرف في هذا البيت فقلت له يا سيدي ما أشغلك ما أنت فيه عن النحو والنظر فقال يا بني ما يفيدني إذا حزنت ومن شعره أنشده الحافظ السلفي
(كم جاهل متواضع ... ستر التواضع جهله)." (١)
"٣ - (السائب بن يزيد)

٣ - (بن سعيد بن ثمامة بن الأسود)
ابن أخت النمر قيل كناني وقيل هذلي وقيل أزدي وهو حليف لبني أمية ولد في السنة الثالثة من الهجرة فهو ترب ابن الزبير والنعمان بن بشير في قوله وكان عاملا على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة بن مسعود قال ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن ابن أختي وجع فدعا لي ومسح برأسي ثم توضأ فسربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه كأنه زر الحجلة
٣ - (السائب بن عبيد)

٣ - (بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف)
جد الإمام الشافعي رضه كان السائب هذا صاحب راية بني هاشم يوم بدر مع المشركين فأسر ففدى نفسه ثم أسلم
٣ - (خاثر المغني)
السائب خاثر بالخاء المعجمة وبعد الألف ثاء مثلثة وراء هو مولى لنبي ليث وكان تاجرا موسرا يبيع الطعام

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١١/٨

ولم يكن يضرب بالعود وكان يوقع بالقضيب ويغني مرتجلا وكان منقطعا إلى عبد الله بن جعفر مخالطا لسروات الناس وكان يذهب بنفسه إلى أن لا يجالس إلا الخلفاء ومن قاربهم وكان معبد يأخذ عنه غني يوما ومعاوية بني السماطين بشعر أبي دهبل من المديد

(إذهبي يا لهو فاستمعي ... خبريه بالذي فعلا)

(واسأليه فيم يصرمنا ... قد وصلناه فما وصلا)

(وتجنى حين لنت له ... ذنب صخر يبتغي العللا)

(

فلم يسمعه أحد إلا فتن به ويقال إن سائب خاثر قال لناس من أصحابه في الليلة التي كان في صبيحتها الحرة انطلقوا إلى سلع فتزودوا مني فوالله لكأنكم بي غدا وقد أدركتني الخيل في المنهزمة فقتلت فرأيتموني شائلا فكان مما غناهم من الطويل

(سألت المحبين الذين تكلفوا ... بتأريخ هذا الحب من سالف الدهر)

(فقلت لهم ما يذهب الحب بعدما ... تمكن ما بين الجوانح والصدر)." (١)

"(أثار ضميري من يعز نظيره ... من الناس طرا سابغ الفضل مكمل)

(ومن قلبه كتب العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار مشعل)

(تساوى له سر المعاني وجهرها ... ومعضلها باد لديه مفصل)

(ولما أقاد الحب قاد منيعه ... أسيرا بأنواع البيان مكبل)

(وقربه من كل فهم بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل)

(وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... ومرتجلا من غير ما يتمهل)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٥/٦٦

)

(فيخرج من بحر ويسمو مكانه ... جلالا إلى حيث الكواكب تنزل)

(فهناه الله الكريم بفضله ... محاسنه والعمر فيها مطول)

فأجاب **مرتجلا** إملاء على الرسول

(ألا أيها القاضي الذي بدهائه ... سيوف على أهل الخلاف تسلل)

(فؤادك معمور من العلم آهل ... وجدك في كل المسائل يقبل)

(فإن كنت بين الناس غير ممول ... فأنت من الفهم المصون ممول)

(إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلا ... فأنت وهم مثل الحمائم أجدل)

(كأنك من في الشافعي مخاطب ... ومن قلبه تملي فما تتمهل)

(وكيف يرى علم ابن إدريس دارسا ... وأنت بإيضاح الهدى متكفل)

(تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكر ما ... فعلت وكفي عن جوابك أجمل)

(لإنك في كنه الثريا فصاحة ... وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل)

وهو أكثر من هذا

٣ - (الأمير الخزاعي)

طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان وسيأتي ذكر والده وتقدم ذكر جده طاهر بن الحسين ولي الأمير بعد أبيه من قبل الواثق سنة ثلاثين ومائتين وتوفي في شهر رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين

٣ - (أبو الحسن ابن غلبون)

طاهر بن عبد المنعم بن غلبون أبو الحسن الحلبي ثم المصري مصنف التذكرة في القراءات وغير ذلك توفي

سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وكان من كبار المقرئين هو وأبوه أبو الطيب قرأ على والده وعلى أبي عدي عبد العزيز ابن علي." (١)

"محمد من أهل النعمانية كان فاضلا عارفا باللغة والأدب والشعر ورد إلى بغداد وخرج منها إلى خراسان وأقام ببلادها مدة قال ياقوت في معجم الأدباء سمعت أبا عمرو عثمان بن محمد البقال بخوارزم يقول كنت أنا)

والشيخ أبو محمد طلحة نمشي ذات يوم في السوق فاستقبلنا عجلة عليها حمار ميت يحمله الدباغون إلى الصحراء ليسلخوا جلده فقلت **مرتجلا** يا حاملا صرت محمولا على عجله فقال وافاك موتك منتابا على عجله ومضت على ذلك أيام قلائل فلقيني السيد أبو القاسم الفخر بن محمد الزبيدي فحكيت له هذه القصة ففكر سويعة وقالو

(والموت لا يتخطى الحي رميته ... ولو تباطأ عنه الحي أزعج له)

ومن شعر النعماني

(يا ملكا في أفق الدست لاح ... يخاله الناظر ضوء الصباح)

(ليس على من رام نيل الغنى ... بالمدح من جودك يوما جناح)

(يا خاتم الحمد بأوصافه ... جد لي كما كان بك الإفتتاح)

(ما بال حظي كلما رمته ... بالمدح عىاني بطول الجماح)

وقال محب الدين ابن النجار نقلت من خط العماد الكاتب في الخريدة له من قصيدة يمدح بها الإمام المستظهر عند عوده من اليمن والحجاز وقد كان أرجف بموته وقد هبثت أيدي نواب المواريث في أملاكه

(الفت قناع الحسن بعد شماس ... ورنت بناظرتي مهاة كناس)

(عبث الدلال بعطفها فتمايلت ... عبث النسيم بناعم مياس)

(فرأيت غصن البان تثنيه الصبا ... من فوق حقف الرملة الميعاس)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٣٢/١٦

منها في المديح
(الجاعل الأموال جنة عرضه ... والمستعان به على الإفلاس)

(عرفت فضائله بعرف نجاره ... والزند يعرف من سنا المقباس)." (١)

"جماعة من الحنابلة فسأله مكي الغراد عندك كتاب الجمال فقال يا أبله ما تراهم حولي وسأله بعض تلامذته فقال القفا يمد ويقصر فقال له يمد ثم يقصر وسأل بعض تلامذته ما بك فقال فؤادي يؤجعني فقال لو لم تهمزه لم يوجعك وقرأ عليه بعض المعلمين قول العجاج من الرجز
(أطربا وأنت قنسري ... وإنما يأتي الصبى الصبي)
فجعله الصبي بالياء فقال له هذا عندك في المكتب وكان يتعمم العمامة وتبقى على حالها مدة حتى تسود مما يلي رأسه منها وتتقطع من الوسخ وترمي العصافير عليها ذرقها وصنف الرد على الحريري في مقاماته وشرح اللمع لابن جني ولم يتمه وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو وعمل الرد على التبريزي الخطيب في تهذيب إصلاح المنطق وشرح الجمل للجرجاني وترك منه أبوابا في وسط الكتاب وتوفي سنة سبع وستين وخمسمائة ووقف كتبه ومن شعره في الشمعة من السريع
(صفراء لا من سقم مسها ... كيف وكانت أمها الشافيه)

(عريانة باطنها مكتس ... فاعجب لها كاسية عارية)
وأنشد لابن الحجاج من الخفيف
(والسعيد الرشيد من شكر النا ... س له سعيد بمال الناس)
فقال مرتجلا من الخفيف
(والشقي الشقي من ذمة النا ... س على بخله بمال الناس)
ابن الإمام القادر عبد الله أحمد القادر إسحاق بن المقتدر جعفر بن أحمد المعتضد بن محمد بن جعفر المتوكل
توفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة وصلى عليه أبو جعفر أخوه وكبر أربعا ودفن في الرصافة حيال أخيه الغالب

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٧٩/١٦

بالله وله اثنان وعشرون سنة وأربعمائة وأربعة أشهر واثنا عشر يوما

وقال الشريف المرتضي يرثيه بقصيدة بائية أولها من الكامل ...." (١)

"(إذا ظميت نفسي أقول له اسقني ... وإن لم يكن راح لديك فريق)

ومنه

(أهدت جفونك للفؤاد ... من الغرام بلا بلا)

(فالشوق منه بلا مدى ... والوجد فيه بلا بلا)

وقال به أبو القاسم الكرخي كنت ليلة عند الصاحب بن عباد ومعنا أبو العباس الصبي وقد وقف على رؤوسنا غلام كأنه فلقة قمر فقال الصاحب أين ذاك الظبي أينه)

فقال أبو العباس شادن في وصف قينه فقال الصاحب

(بلسان الدمع تشكو ... أبدا عيني عينه)

فقال أبو القاسم

(لي دين في هواه ... ليته أنجز دينه)

فزاد الأمير أبو الفضل

(لا قضى الله ببين ... أبدا بيني وبينه)

وأنشده بعض الحاضرين قول الشاعر

(أحسن من روضة حزن ناضره ... قد فتح النرجس فيها ناظره)

فقال الأمير أبو الفضل **مرتجلا**

(طلعة معشوق لديك حاضره ... ناضرة تجلو العيون الناظرة)

ومن شعره أيضا

(روض يروض هموم قلبي حسنه ... فيه لكاس اللهو أي مساغ)

(وإذا بدت قضبان ريحان به ... حيث بمثد سلاسل الأصداغ)

ومنه

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٢/١٧

(تصوغ لنا كف الربيع بدائعا ... كعقد عقيق بين سمط لآل)

(وفيهن أنوار الشقائق قد حكت ... خدود عذارى نقطت بغوال)

ومنه

(نثر السحاب على الغصون ذريرة ... أهدت لنا نورا يروق ونورا)." (١)

"(ونحن كأمثال الثريا يضمنا ... رداء على ضيق المكان رحيب)

(إلى أن تقضى الليل وامتد فجره ... وعاود قلبي للفراق وجيب)

(فيا ليت دهري كان ليلا جميعه ... وإن لم يكن لي فيه منك نصيب)

(أحبك حتى يبعث الله خلقه ... ولي منك في يوم الحساب حسيب)

(وألهج بالتذكار باسمك دائما ... وإني إذا سميت لي لطروب)

(فلو كان ذنبي أن أديم لودكم ... حياتي بذكراكم فلست أتوب)

(إذا حضرت هاجت وساوس مهجتي ... وتزداد بي الأشواق حين تغيب)

(فوا أسفا لا في الدنو ولا النوى ... أرى عيشتي يا عتب منك تطيب)

(بقلبي من حبيك نار وجنة ... ولي منك داء قاتل وطبيب)

(فأنت التي لولاك ما بت ساهرا ... ولا عاودتني زفرة ونحيب)

ومنه // (من البسيط) //

(لنا صديق يغر الأصدقاء ولا ... نراه مذ كان في ود له صدقا)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٣٥/١٩

(كأنه البحر طول الدهر تركبه ... وليس تأمن منه الخوف والغرقا)

٧٥ – المغني ابن عطايا شرف الدين محمد بن عبد القادر عطود مولى الأنصار وقيل مولى مزينة أبو هارون كان ينزل قباء وكان حسن الوجه طيب الغناء والصوت جيد الصنعة حسن الوجه والمروءة فقيها قارئا يغني **مرتجلا** أدرك دولة بني أمية وبقي إلى أول أيام الرشيد وكان معدل الشهادة بالمدينة وكان أيام بني العباس منقطعا إلى سليمان بن عجل وتوفي في خلافة المهدي أو في أول خلافة الرشيد
(عطية)

٧٦ – القرظي عطية القرظي له صحبة ورواية قليلة توفي في حدود السبعين للهجرة وروى له الأربعة وقال ابن عبد البر لا أقف على اسم أبيه كان من سبي قريظة ووجد يومئذ لم." (١)
"ويقول ابن المنجم أيضا
(قل لمن تله حين م ... ر علينا ببغله)

(بعدما كان ليس يم ... لك شسعا لنعله)

(وكسا البردة الغلا ... م جزاء بفعله)

(أكذا كل شاعر ... بعله خلف بغله)
ولابن الذروي قصيدة ذالية مليحة مدح بها مجد الدين المبارك بن منقذ وهي مذكورة في ترجمة المبارك في مكانه قال أبو موسى عمران الخندقي قاضي طنبذى دخلت وجماعة من
أصحابنا على الوجيه ابن الذروي وهو يشرب مع قوم فمزحنا معهم وداعبناهم فصفع الوجيه فقال **مرتجلا**
(ويوم قاسمتنا اللهو فيه ... أناس ليس يدرون الوقارا)

(أدرنا الصفع والكاسات فيه ... فعربدت الصحاة على السكارى)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٥٤/٢٠

٣ - (زين الدين بن السدار)

علي بن يحيى بن أحمد بن عبد العزيز الرئيس زين الدين أبو الحسن بن السدار الأنصاري المصري الكاتب المنشئ ولد بالقاهرة في الدولة العبيدية سنة خمس وخمسين وخمس مائة وتوفي سنة إحدى وأربعين وست مائة وكتب في ديوان الإنشاء في الدولة الناصرية والعادلية والكاملية وهو أخو الوجيه محمد وكتب الإنشاء للصاحب صفي الدين بن شكر

٣ - (ابن الشاطبي الشافعي المسند)

علي بن يحيى بن علي بن محمد بن أبي بكر الشيخ الفقيه المقرئ الفقيه العالم المسند علاء الدين أبو الحسن التجيبي الشاطبي الدمشقي الشافعي الشاهد ولد سنة ست وثلاثين وست مائة وتوفي سنة إحدى وعشرين وسبع مائة سمع من الرشيد بن مسلمة والمجد الإسفراييني والرشيد العراقي والنور البلخي واليلداني والجمال الصوري وعدة وأجاز له ابن الجميزي وغيره وخرج له الشيخ صلاح الدين." (١)

"وسمع من محمد بن أحمد بن رزقويه ومحمد بن محمد بن مخلد والحسن بن أحمد ابن شاذان وعبد الملك بن محمد بن بشران وغيرهم وكان رجلا صالحا فقيها ابتلي بمرض وبقي سنتين مقعدا ومولده سنة ست وأربع مائة

٣ - (بن النضير المذحجي)

عمر بن عبد الملك أبو النضير المذحجي الشاعر مولى بني جمح وقيل اسمه الفضل

انقطع إلى البرامكة وله فيهم مدائح كثيرة فأغنوه إلى أن مات ولما هلك البرامكة عاد إلى البصرة فصار يقين على جوار له

ولد للفضل بن يحيى مولود فدخل إليه أبو النضير ولم يعرف الخبر فلما رأى الناس يهنئونه قال مرتجلا

(ويفرح بالمولود من آل برمك ... بغاة الندى والسيف والرمح ذي النصل)

وتنبسط الآمال فيه لفضله ثم أرتج عليه فلم يدر ما يقول فقال له الفضل بن يحيى البرمكي يلقنه ولا سيما إن كان من ولد الفضل فاستحسن الناس بديهة الفضل وأمر للشاعر بصلة وقال الفضل يوما له يا أبا النضير أنت القائل فينا

) إذا كنت من بغداذ في رأس فرسخ ... وجدت نسيم الجود من آل برمك)

قال نعم قال لقد ضيقت علينا جدا قال فلأجل ذلك أيها الأمير ضاقت علي صلتك وضاقت عني مكافأتك

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٩٨/٢٢

وأنا الذي أقول

(تشاغل الناس ببنيانهم ... والفضل في بني العلى جاهد)

(كل ذوي الرأي وأهل النهى ... للفضل في تدبيره حامد)

وعلى ذلك فما قلت البيت الأول كما بلغ الأمير وإنما قلت)

(إذا كنت من بغداذ في مقطع الثرى ... وجدت نسيم الجود من آل برمك)

فقال له الفضل إنما أخرت ذلك لأمازحك وأمر له بثلاثة آلاف درهم

وكان أبو الفضل يزعم أن الغناء على تقطيع العروض ويقول هكذا كان الذين مضوا يقولون وكان مستهزئا بالغناء حتى تعاطى أن يغني وكان إبراهيم الموصلي يخالفه في ذلك." (١)

"وأنشد أبو إسحاق المذكور **مرتجلا**

(لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا ... وغص من دهش بالريق أو بهر)

(فتلك هيبته حالت جلالتها ... بين الأديب وبين القول بالحصر)

(وإن يكن خفض الأيام من غلط ... في موضع النصب لا عن قلة النظر)

(فقد تفاءلت من هذا لسيدنا ... والفأل نأثره عن سيد البشر)

(بأن أيامه خفض بلا نصب ... وأن أوقاته صفو بلا كدر)

وكان كافور لا يأخذ نفسه برئاسة كبيرة

يقال إنه كان يوما مارا في الكافوري بالقاهرة فصاحت امرأة يا كافور وهو غافل فالتفت)

إليها ورأى أن ذلك نقص منه وهفوة

وكان كلما مر هناك التفت ولم تزل عادته إلى ان مات

ويقال أيضا إنه مر يوما برا باب اللوق وأناس من الحرافيش السودان يضربون بالطبيلة ويرقصون فنسي روحه وهز كتفه طربا ولم يزل بعد ذلك يهزها كل قليل إلى أن مات

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣١٩/٢٢

ومدحه أبو الطيب المتنبي بقصائده الطنانة فمن ذلك قصيدته التي منها

(وخيلا مددنا بين آذانها الةنا ... فبتن خافا يتبعن العواليا)

(نجاذب منها في الصباح أعنة ... كأن على الأعناق منها أفاعيا)

(قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا)

(فجاءت بنا إنسان عين زمانه ... وخلت بياضا خلفها ومآقيا)

منها

(ويحتقر الدنيا احتقار مجرب ... يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا)

وقال فيه قصيدته التي أولها

(أغالب فيك الشوق والشوق أغلب ... وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب)

منها

(وأخلاق كافور إذا شئت مدحه ... وإن لم أشأ تملي علي وأكتب)

(إذا ترك الإنسان أهلا وراءه ... ويمم كافورا فما يتغرب)

ويقال إنه لما فرغ منها قال يعز علي أن تكون هذه في غير سيف الدولة

وحكي أنه قال كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك غلي وييش في وجهي." (١)

"أراه إن قام ذو فضل بمنصبه ... قال البيان له قم غير مطرود

أما ترسله السهل البديع فقد ... أقام في شاهق بالنجم معقود

أنسى الأنام به عبد الرحيم كما ... راح العماد بقلب غير معمود

تراه إن أعمل الأيام **مرتجلا** ... قال البيان لها يا سحبنا جودي

يملي ويكتب من رأس اليراع بلا ... فكر فيأتي بسحر غير معهود

إذا سمعنا قوافيه وقد نجزت ... تقول من طرب ألبابنا عيدي

شاعت فضائله في الناس واشتهرت ... وبات ينشدها الركبان في البيد

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٣٢/٢٤

يا من رجعت به في الناس معرفة ... من بعد ما زال تنكيري وتنكيدي

ساعدت فيك حمام الأيك نائحة ... فقصرت فيك عن تعداد تعديدي

لهفي عليك وهل يجدي التلهف أو ... يفك أسر فؤاد فيك مصفود

وحرقتي فيك لا يطفي تلهبها ... دمعي ولو سال في خدي بأخدود

فلا جفت قبرك الأنواء وانسجمت ... عليه يا خير ذي صمت وقد نودي

وكنت قد قرأت عليه المقامات الحريرية وانتهيت منها الى آخر المقامة الخامسة والعشرين في سنة ثلاثة وعشرين وسبع مئة، فكتب هو عليها: قرأ علي المولى الصدر فلان الدين، نفعه الله بالعلم ونفع به، من أول كتاب المقامات الى آخر الخامسة والعشرين قراءة تطرب السامع وتأخذ من أهواء القلوب بالمجامع، وسأل منها عن غوامض تدل على ذكاء خاطره المتقد، وصفاء ذهنه العارف منه بما ينتفي وينتقد. ورويتها له عن الشيخ الإمام مجد الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الظهير." (١)

"فمن للنحاة ومن للغات ... ومن للتقاة ومن للنسب

لقد كان للعلم بحرا فغار ... وإن غور البحار العجب

فقدس من عالم عامل ... أثار شجوني لما ذهب

ثم أنشدتها في الدرس لقاضي القضاة، فسمعها الشيخ علم الدين القمني فحفظها وأنشدنا **مرتجلا**

نظمت كلاما يفوق اللجين ... جمالا وينسى نضار الذهب

فقمت بحق الرثاء الذي ... بشرع المودة فرض وجب

وأنشدته بشجى موجد ... لكل القلوب شجون الطرب

فأذكيت فينا لهيب الأسى ... وهيجت فينا جمار الحرب

بنظم رقيق رشيق إلى ... جميع القلوب الرقاق اقترب

فبلغك الله ما ترتضي ... وأعطاك أقصى المنى والأرب

أحمد بن إبراهيم

بن عبد الواحد بن علي بن سرور ابن الشيخ العماد المقدسي الصالحي. ولد سنة ثمان وستمائة. وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وستمائة. سمع من ابن الحرستاني، وابن ملاعب، وأبيه، والشيخ الموفق،

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٥/٣٧٦

وطائفة. ورحل إلى بغداد متفرجا. وسمع من عبد السلام الداهري، وعمر بن كرم. واشتغل ثم انخلع من ذلك وتجرد فقيرا. وكان سليم الصدر عديم التكلف والتصنع، وفيه تعبد وزهد، وله أتباع ومريدون، وللناس فيه عقيدة وكان الصاحب بهاء الدين يزوره.

قال الشيخ شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى؟ إلا انه كان يأكل عشبة الفقراء فيما قيل، ويقول هي لقيمة الذكر والفكر، وربما صحب الحريري. وسمع منه الشيخ أبي جمال الدين المزي، والشيخ علم الدين البرزالي، والطلبة. وأقام مدة بزاوية له بسفح قاسيون. وكف بصره، ودفن يوم عرفة عند قبر والده رحمهما الله تعالى.." (١)

"علي بن محمد بن علي بن هذيل البنسى، قال قرأت جميع ذلك على الشيخ الفقيه المقرئ أبى داود سليمان بن نجاح الأموي، قال، قرأت جميع ذلك على الإمام الحافظ أبى عمرو وعثمان بن سعيد بن عثمان الدانى بسنده في كتاب التيسير، وقد قرأت جميعه عليه وقرأت عليه جميع القصيدة اللامية المسماة بحرز الأماني التي من نظم الإمام أبى القاسم بن فيرة الشاطبى رحمه الله قراءة تثبيت وتبيين لمعانيها وإعراب لمشكلها، وإيضاح لأسرارها، واستخراج لغوامضها وجميع عقيلة أتراب القصائد من نظم الشاطبى أيضا وحدثني بجميع ذلك عن شيخه أبى العباس البطرنى المذكور، ولشيخي هذا أسانيد غيرها، وسماع وتبتل، وانقطاع ومواصلة للقرآن واعتناء بذلك الشأن فجمع بين علو الإسناد، والسلسلة الذهبية وتوسع كثيرا في اللغة العربية. وتتبع أنواعا من هذه الطريقة الأدبية يعمر بها مجالسه أنشدني لبعض الشعراء:

أني غريب بأرض لا كرام بها ... كغربة الشعرة السوداء في الشمط

لا أطلق العين في شيء أسر به ... ولا أنال الرضى إلا على سخط

وأنشدني لبعضهم:

ان الليالي للأنام مناهل ... تطوي وتنشر بينها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

وأنشدني لبعضهم:

تمتع بالرقاد على الشمال ... فسوف يطول نومك باليمين

ومتع من يحبك باجتماع ... فأنت من الفراق على يقين

وكان رضي الله عنه رقيق الاشادات، طيع العبارات، حلو الحكايات، عالي الروايات، تبهجك طلاقته

---

(١) نكث الهميان في نكت العميان الصفدي ص/٦٧

ويرضيك بشره مع مروؤة ظاهرة، وتمام خلقة، وهدى وسمت ووقار لأكفاء له، إلى حسن البيان وعذوبة اللسان.

ملح كالرياض غازلت الشم ... س رباها وافتر عنها الربيع

فهي للعين منظر مؤلف الحس ... ن وفي النفس سئودد مجموع

ذكر لي قال دخل بعض الملوك على جارية له، وقد دهن شعره بدهن بيضه به، فقال يخاطبها:

كل البياض مليح ... لا شيء في الحسن بعده

فأجابته:

أهواه من كل شيء ... إلا من الشيب وحده

فاستحسن جوابها، وأحسن ثوابها، وأخبرني، قال دخل بعض الشعراء على بعض الكبراء مادحا له بشعر قاله فيه فوجد عنده حجاما قد قص من شعره وأجزل له في العطاء ولم يعط الشاعر فقال **مرتجلا:**

أرى من جاء بالموسى مواسي ... وراحة ذي القريض تروح صفرا

فهذا منجح ان قص شعرا ... وهذا مخفق ان نص شعرا

وأخبرني قال: مدح أبو الحسن بن الفضل أحد الوزراء بمراكش وكان أقرع فلم يثبه، فقال:

أهديت مدحي للوزير الذي ... دعا به المجد فلم يسمع

فحامل الشعر إليه كمن ... يهدي به مشطا إلى أقرع

وأخبرني قال: أهدى سالم بن قاسم من بني مهنا الحسنيين لصلاح الدين ابن أيوب مروحة بيضاء وفيها مكتوب بالأحمر بيتين وهما هذه:

أنا من نخلة تجاور قبرا ... ساد من فيه سائر الخلق طرا

شملتني سعادة القبر حتى ... صرت في راحة أبن أيوب أقرأ." (١)

"أما وحباب مبسمه المفدى ... على معسول كأس المرشفين

لقد عذبت موارده ولكن ... ندى المنصور أحلى الموردين

وقال أيضا:

وأغيد تعرف من جفنه ... علامة التأنيث بالكسرة

أرخى على أعطافه شعره ... قد جذبتني فيه للحسرة

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق خالد البلوي ص/١٣

فأعجب لمن جار عليه الضنى ... حتى غذت تجذبه شعره

فقال يطلب الأذن:

ما يقوم المقام أيده الله ... ولا زال للسعود يحوز

في ولى ببابه تركب الخلق ... ووافى يجوز أم لا يجوز

وقال:

أهواه لدن القوام منعطفا ... يسل من مقلتيه سيفين

وهبت قلبي له فقال عسى ... نومك أيضا فقلت من عيني

وقال:

لله خال على خد حبيب له ... في العاشقين كما شاء الهوى عبث

أورثته حبة القلب القتيل له ... وكان عهدي ان الخال لا يرث

وقال أيضا:

بقلت وجنة المليح وقد ولى ... زمان الصبا الذي كنت أملك

يا عذار المليح دعني فإني ... لست في ذا الزمان من خل بقلك

وقال أيضا:

رأيت في جلق غزالا ... تحار في حسنه العيون

فقلت ما الاسم قال موسى ... قلت بذا تحلق الدقون

وقال أيضا:

أهواه معسول الرضاب منعما ... ولكم يعذبني الهوى بمنعم

يا قلب هذا شعره وجفونه ... صبرا على هذا السواد الأعظم

وقال:

لا ينكر الكاسر أجفانه ... دم الشهيد الصابر المغرم

فالريح، ريح المسك في خده ... كما ترى، واللون لون الدم

وقال:

علقتها غيداء حالية الطلا ... تجني على عقل المحب وقلبه

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم ... فغدت مطوقة بما بخلت به

وقال:

بروحي معسول المراشف أغيد ... كثير التجني ما أغر وما أغرا

تثنى قضيبيا فاح مسكا رنا طلا ... سطا أسد، غنى حماما بدا بدرا

وقال:

وأغيد جارت في القلوب لحاظه ... وأسهرت الأجفان أجفانه الوسنى

أجل نظرا في حاجبيه ولحظه ... تر السحر منه قاب قوسين أو أدنى

وقال:

وضعت سلاح الصبر عنه فما له ... يقابل بالالحاظ من لا يقابله

وسأل عذار فوق خديه جائر ... على مهجتي فليتق الله سائله

وحين ودعته تأسف للفراق وأعقب بإرسال دمعة المهراق وأنشدني وهو مما يجب أن يكتب على الاحداق لا على الأوراق فقالي لي:

أودعكم وأودعكم لقلبي ... وعون الله حسبكم وحسبي

فقلت **مرتجلا**:

وأرعى حبكم ما دمت حيا ... وأرجو فضلكم رعيا لحبي

ثم تألف بتلك المدينة الركب، واشتاق إلى البقاع الكريمة القلب فأعددت الزاد. وشددت الاقتاب والاقتاد، وخرجت من مدينة القدس الشريف. في عشي يوم الأربعاء الثاني عشر لشوال من العام المذكور. وقد تضمخ حبي الأصيل بالعبير، وكادت الشمس تسقط من الغرب على شفير، فبتنا بقرب سورها، وأخذنا من الأمور بميسورها، وودعت بمنزلنا ذلك أخي محمد المذكور المتقدم الذكر وداعا استولى على الفكر. فشغلت مقل بالدموع، وأكباد بالجمر، وطالت النوى لوجدان الأسى وعدم الصبر:

ومدت اكف للوداع وصافحت ... وكادت عيون للفراق تسيل

ولا بد للألفين من دمع لوعة ... إذا ما خليل بان منه خليل

ولما غاض نهر المجرة، وابتسمت أسنان الكواكب المفترة، سرنا إلى ان خيمنا بظلال روضات الغيور، وقد استل سيوف الجداول وترشح خمائل النور معدت حينئذ في صفة الشعراء:

وتحدث الماء الزلال مع الحصا ... فجرى النسيم عليه يسمع ما جرا

وكأن فوق الماء وشيا ظاهرا ... وكأن تحت الماء درا مضمرا

فترامينا على تلك المياه بين تلك الظلال مستقين وأنشدتهم لكتاب ميا فارقين:

وقانا وقدة الرمضاء ظل ... وقاه مضاعف الظل العميم

يراعي الشمس أني قابلتنا ... فيحجبها وبأذن للنسيم

وسقانا على ظمأ زلالا ... الذمن المدام لنديم

تروع حصاه حالية الغواني ... فتلمس جانب العقد النظيم." (١)

"طال عمر الصدود دونك حتى ... كدت اقضي أسى وأعدم عقلا

قد أشاب الفراق رأسي حتى ... ظنني الناس في الشبيبة كهلا

يا ليالي الوصال لا صرم الدهر ... لنا بعد ما بلغناك حبلا

كم بكيناك بالدموع اشتياقا ... لا نبالي في ذلك لوما وعذلا

وركبنا نجائب السهر نطوي ... من قفار الأفكار وعرا وسهلا

ولعمري جميع ذلك حلو ... غير أن الوصال والله أحلا

يا جفوني لك الهناء تقضي ... زمن البعد والجفا وتخلا

فتملى بما تمنيت هذا ... ربع مي وهذه مي تجلا

فاجعلي دمعك المصون نثارا ... فهو أعلى من اللئالي وأغلا

أترى هذه منازل مي ... عن يقين وهذه مي أم لا

وهل الدهر جامع لمحب ... بك يا حلوة الشمائل شملا

لا تلومي على الجهالة صبا ... لا يرى غير شغله بك شغلا

كان قبل الهوى عزيزا فلما ... ذاق طعم الهوى استكان وذلا

فغدا يبصر الشقاء نعيما ... ويعد الملام في الحب جهلا

طاب يا ربة الستور سقامي ... عندما طاب في هواك وجلا

وأذاب البعاد جسمي نحولا ... وانقضى بالصدود عمري وولا

ثم زال الشقا وفزت بوصل ... منك أعلى من الحياة محلا

وبلغت المنى فلست أبالي ... أقبل الدهر بعد ذا أم تولى

وحين حمدنا السرى، ووصلنا إلى أم القرى وعلمنا أننا أضياف الله فدخلنا منه بأحسن القرى وتبدت لنا

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق خالد البلوي ص/٥٩

الكعبة الغراء في أستارها، وتجلت لنا المليحة في حلل أنوارها

وضعنا جباها في الثرى قد تهللت ... أساريرها منها وزاد سرورها

وطفنا بها سبعا وزفت ظلالها ... على خائف مثلي أتى يستجيرها

وحين وقع نظري عليها، ومثلت لديها، أنشدت مرتجلا بلسان الخضوع، وكتبت خجلا بماء الدموع.

الهي هذا البيت بيتك جئته ... وعادة رب البيت أن يكرم الضيفا

فهب لي قرى فيه رضاك وأنني ... من النار خوفي فلتؤمني الخوفا

وأخذنا نطوف طواف القدوم، ونعرف ما لنا من الكرامة بموجوده على المعدوم، وقضينا الانساك مهتدين في قضائها، مقتدين في شروع أدائها، وعدنا إلى البيت الحرام نطوف به ونستلم، وتقبل أركانه ونلتزم، ونصبر عند تقبيل الحجر على الاصطدام والاظطرام، نغتفر الزحام عند الورود على منهله والمنهل العذب كثير الزحام، ونستنزل الألطاف ونستلذ المقام بين الركن والمقام، ونشرب من ماء زمزم ما يروي الاوام، ويبري من السقام، والقلب يتشبت بأهداب تلك الخيام، ويوطن نفسه دون بقية الجسد على المقام، والطرف يذرف دموع المذنب الخاطئ، واللسان يردد لنجم الدين مهلل بن محمد الدمياطي:

يروق لي منظر البيت العتيق إذا ... بدا لطرفي في الاصباح والطفل

كان حلته السوداء قد نسجت ... من حبة القلب أو من أسود المقل." (١)

"بوأنا الله تعالى منزلة الكرامة، بزيارة هذا النبي الكريم، وأحلنا من فضله في جواره دار المقامة، انه ذو الفضل العظيم بمنه وكرمه، ثم رحلنا من المدينة المنورة الشريفة، في يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة المذكورة وهو غد يوم دخولنا ووصولنا، وسرنا مع الركب المصري على عادتنا من وصل السري وحث المطى وأنا أجد نسيم طيبة المكيبة أعبق من العنبر الذكي وأفتق من المسك النقي، وأحلى على قلبي الصادي من المورد العذب الشهي.

ولفخر الرؤساء الرضى الموسوي.

أيها الرائح المجد تحمل ... حاجة للمتيم المشتاق

وأقرعني السلام أهل المصلى ... وبلاغ السلام بعض التلاقي

وإذا ما مررت بالخيف فاشهد ... أن قلبي إليه بالأشواق

وأبك عنى فطالما كنت من ... قبل أعير الدموع للعشاق

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق خالد البلوي ص/٦٩

ضاع قلبي فأنشده لي بين جمع ... ومنى عند بعض تلك الحداق

إلى أن وصلنا إلى الينبوع في عشى يوم السبت السادس والعشرين لذي الحجة المذكورة وصلناها بعد مسح الجبين، والانحفار المبين فحللنا منها ببلد أثير، ذي نخل كثير، وماء غزير، عذب نمير، وخرجنا منها ضحوة يوم الاثنين الثامن والعشرين لذي الحجة المذكور وسرنا والغيظ يشتد حره، والهجير يلتظي جمره، إلى أن وردنا ماء العقبة الكبرى على ساحل البحر وهي التي تسمى عقبة أيلة يجتمع عندها الناس من الشام ومصر وغيرهما للقاء الركبان، والسؤال عن الأحباب والإخوان،

عارضا بي ركب الحجاز أسائـ ... ـه متى عهده بأيام جمع

واستملأ حديث من سكن الخيف ... ولا تكتباه إلا بدمعي

فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي

وصلنا إليها في ضحى يوم الخميس السادس عشر لشهر الله المحرم مفتتح عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة ثم تقسمت الركبان فبعض انقلب إلى الديار المصرية وبعض ذهب إلى البلاد الشامية:

ألا بلغ الله الحمى من يريده ... وبلغ أكناف اللوى من يريدها

فكنت ممن آثر زيارة تلك البقاع السامية الكريمة، واستخار الله تعالى فاختار له أفضل الغنيمة، ورحلنا من العقبة في ليلة يوم السبت الثامن عشر من شهر الله المحرم المذكور، فأول ماء لقيناه بعد العقبة المذكورة ماء غضيان ثم ماء الغمر ثم ماء التجان ثم سرنا فأتينا عقبة الصفا، وقد اشتدت جمرة القيظ، والنفوس من جواز تلك العقبة الكئود تكاد تميز من الغيظ. وما زلنا نسير فيشتد حر الشمس، ويشبه اليوم الأمس، إلى أن وصلنا إلى مدينة الخليل عليه السلام فدخلناها عند العصر من اليوم الخميس الثالث والعشرين لشهر الله المحرم المذكور، فاستراحت الأبدان وتلاقى الأخوان، وتفرق الركب، وتألف الصحب واجتمع كل بخليله ونسيبه، وأخذ من سماط أبيه الخليل عليه السلام بسهمه ونصيبه، فقضينا ما تعين من الزيارة ووجب من السلام، لقيت من امكن من أولئك الفضلاء الأعلام، وخرجت منها في عشى يوم الجمعة من غد اليوم المذكور، وسرنا والعشى قد طفل، وعطفه في الثب القصير قد رفل، والشمس قد خجلت من فراق الحاضرين، صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، فوصلنا إلى مدينة القدس الشريف في صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين من شهر الله المحرم المذكور، وبها اجتمعت بأخي محمد حيث تركته بعدما جال في أطراف بلاد الشام، وكاد يبلغ مدينة السلام. فتلاقينا بتحية الإخوان إذا التقيا بعد البين، وحظينا بعد الأثر بالعين، فكان بذلك لنوم عيني سبيل وعهدي بالنوم عهد طويل، وأقمنا بالقدس الشريف الكريم ملتمسين

البركة في ذلك الحرم العظيم إلى أن خرجت منه بالرغم، وتزودت بالغم ملتفتا إلى تلك الربوع ومكفكفا واكف الدموع فنبت عنه مرتحلا، وفيه أنشأت عاجلا وأنشدت **مرتجلا**:

خليلي في ربع الخليل مني نفسي ... وفيك فؤاد أنت يا حرم القدس

أحن إلى تلقاء هذا صبابة ... وألمح من هذا سنى البدر والشمس

مواطن لو أنصفتها جئت زائرا ... إليها على العينين والخد والر أس

ولو أنني أعطي مرادي بينها ... لما رحلت من دونها أبدا عنسي

وكيف رحيلي عن معاهد لم تزل ... على الحل والترحال لي غاية الأنس

أروح وأغدو بينها شيقا لها ... وأصبح فيها مستهاما كما أمسى

بلاد خليل الله والمسجد الذي ... صلاة به في الأجر كالمائة الخمس." (١)

"الفقيه الأجل الأفضل الأزكى العدل الرضي الأسدي، الأكمل أبو الحجاج ابن حصن وقف على النسخة الأولى من هذه الرحلة ببلده بلش في وجهتي إلى) مالقة (وإلى غريبها برسم لقاء العلماء الفضلاء وذلك في شهور ست وخمسين وسبعمائة فكتب عليها بخطه ما نصه، وعليه قرأته ومنه سمعته، لما وقف العبد الفقير إلى مولاه الغني به عمن سواه يوسف بن علي بن محمد بن علي بن محمد الخولاني ثم ابن حصن الشاطبي المحتد البلشي المولد على هذه النسخة بل الرحلة المباركة المآثر الشريفة الأوائل والأواخر، انشد بلسان المتلعثم **مرتجلا** وقريحة التقصير مستعجلا:

لاح من الشرق هلال سما ... فاق به مغربنا مشرقا

جاء من اليم بدر يضيء ... قلبا من الغم له مشرقا

رحلة الحج من حلا خالد ... حاز من المجد بها مفرقا

) الفقيه الوزير الكاتب (الماهر الناظم الناثر أبو جعفر احمد بن زرقالة وقف عليها وكلف بها ونسخ بخطه البارع الرائق العجيب نسخا منها وقرأها علي بلفظه وسمعها بلفظي وبلفظ غيري بالمرية المحروسة مرات كثيرة ونظم في مدحها مقطوعات عديدة وقصائد جملة جميلة واعتني بها غاية الاعتناء وجمع كل من نظم فيها شيئا من النظم أو النثر في مجموع رائق أنيق حافل منفرد بنفسه وعرف بهم تعريفا حسنا نفعه الله بقصده، فمما نقلت هنا من نظمه الذي كتبه على النسخة الأولى من هذه الرحلة، ما نصه مقترنا بما قبله وبعده، وذلك الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، يقول كاتب هذه بخطه عبد

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق خالد البلوي ص/٨٦

الله الراجي رحمته أحمد بن محمد بن زرقالة ختم الله له تعالى بالسعادة لما وقفت على هذه الرحلة البارعة من إنشاء شيخنا رئيس الأدباء وإمام الفصحاء البلغاء أبي البقاء أطال الله بقاءه ووالى سموه وارتقاءه نظمت بديها بتاريخ اليوم التاسع عشر لشهر ربيع الأول من سنة ست وخمسين وسبعمائة:

لله تاج وأي تاج ... حلى بالدرر والجواهر

نزهتني منه في رياض ... مختلف النور والأزاهر

جرت عليه الصبا ذيولا ... فنم عرف شذاه عاطر

ثم كتبت ونظمت بعد ذلك:

وشيت التاج يا تاج المعالي ... فجل على المفارق والرؤوس

رقمت جهاته ورشقت فيها ... بمسك الحبر كافور الطروس

فلم أر قبله في الطرس تاجا ... يرصع عاجه بالأبنوس

ومما كتبت هنا في قصائده التي نظمها في ذلك وكتبها هنالك قوله، وكتبتها هنا بما قبلها وبعدها الحمد لله حق حمده، ومما نظمه كاتب الأبيات أسفل الصفح يسرته أحمد بن محمد بن زرقالة وفقه الله وخاطب به مصنف هذه الرحلة شيخه القاضي الجليل الحسيب الفاضل ذاتا وأداوة وخلقا وبيتا أبا البقاء خالدا حفظ الله مجده وبتاريخ اليوم الثالث والعشرين لربيع الأول من سنة ست وخمسين وسبعمائة ما نصه:

توجت أهل الشرق تاج جلالة ... أزرى بتيجان بني قحطان

ونظمت ذكرهم بأسلاك العلي ... نظما كنظم الدر والمرجان

ورفعت راية كجدهم وفخارهم ... وكسوتهم حللا من الإحسان

من دونها ما دبجته يد الندا ... في الروض غب العارض الهتان

خلدت خالد من حلى آثارهم ... كجدا تقر بمثله العينان

وأتيت من بدع البديع برحلة ... بل حلة موشية الأردان

أو روضة قد جادها صوب الحيا ... فتزينت بزخارف الألوان

تهديك من نفحاتها أرج الصبا ... مسكا يضوع شذاه كل أوان

شغفت بها مهج سمت لكنها ... حلت محل الروح من جثمان

لا سيما إذ أفحصت بحديث من ... حل الحما من ساكني نعمان

سحرت محاسنها النهى فكأنها ... وكأنه كالورد للظمئان

وترى القلوب تصيخ نحو حديثها ... آذانها سبقا إلى الآذان

قد أمحضت من لؤلؤ ألفاظها ... وصفت معانيها من لعقيان

مارئ قط بمثلها فيما مضى ... من سالف الأحقاب والأزمان

ظرفا وترتيبا وحسن عبارة ... لا يحتذى منها مزيد بيان

لم لا تكون بهذه الأثر التي ... قد أشرفت شرفا على كيوان

وحللت من رتب البراعة ذروة ... بوئت منها في أعز مكان

فيمد فكرتك البيان بديمة ... لسحابها سمو يدا سحبان

ومتى رقمت الطرس أو وشيته ... أنسيت وشى أزاهر البستان." (١)

"وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ... ودون الذي أمليت منك حجاب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة ... سكوتي بيان عنهما وخطاب

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ... ضعيف هوى يبغى عليه ثواب

وما شئت إلا أن أدل عواذلي ... على أن رأيي في هواك صواب

وأعلم قوما خالفوني فشرقوا ... وغربت إني قد ظفرت وخابوا

جرى الخلف إلا فيك أنك واحد ... وأنك ليث والملوك ذباب

وأن مديح الناس حق وباطل ... ومدحك حق ليس فيه كذاب

إذا نلت منك الود فالمال هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

وما كنت لولا أنت إلا مهاجرا ... له كل يوم بلدة وصحاب

ولكنك الدنيا إليك حبيبة ... فما عنك لي إلا إليك ذهاب

وأقام المتنبي بعد إنشاد هذه القصيدة بمصر سنة لا يلقى كافورا غضبا عليه، يركب في خدمته خوفا منه، ولا يجتمع به، واستعد للرحيل في الباطن، وجهز جميع ما يحتاج إليه، وقال في يوم عرفة سنة خمسين وثلاثمائة قبل مفارقته مصر بيوم واحد قصيدته الدالية التي هجا كافورا فيها، وفي أخرها:

من علم الأسود المخصي تكرمة ... أأمه البيض أم آباؤه الصيد

وله فيه من الهجو كثير، تضمنه ديوانه، ثم فارقه، وبعد ذلك دخل إلى عضد الدولة.

وذكر بعضهم قال: حضرت مجلس كافور الإخشيذي، فدخل رجل ودعا له، فقال في دعائه: أدام الله تعالى

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق خالد البلوي ص/١٤٥

أيام مولانا " بكسر الميم " من أيام، فتكلم جماعة من الحاضرين في ذلك وعلبوه، فقام رجل من أوساط الناس، وأنشد **مرتجلا**:

لا غرو إن لحن الداعي لسيدنا ... أو غض من دهش بالريق أو نهر

فتلك هيبة حالت جلالتها ... بين الأديب وبين القول بالحصر

وإن يكن خفض الأيام من غلط ... في موضع النصب لا عن قلة النظر

فقد تفاءلت من هذا لسيدنا ... والفأل مأثورة عن سيد البشر

بأن أيامه خفض بلا نصب ... وأن أوقاته صفو بلا كدر

قوله بالحصر " بفتح الحاء والصاد المهملتين ": العي، وهو أيضا ضيق الصدر وأخبار كافور كثيرة، ولم يزل مستقلا بالأمر بعد أمور يطول شرحها إلى أن توفي يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى من السنة المذكورة بمصر على القول الصحيح، ودفن بالقرافة، وقبته هناك مشهورة، ولم تطل مدته في الاستقلال على ما ظهر من تاريخ موت علي بن." (١)

"ولكن ثمار النخل وهي غضيضة ... تراها وغض الكرم يجبى ويؤكل

يكلفني القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدرا بل أعز وأطول

فأجابه أبو الطيب:

أثار ضميري ناظما من نظيره ... من الناس طرا شائع الفضل يكمل

ومن قبله كتب العلوم بأسرها ... وخاطره في جدة النار مشعل

تساوى له سر المعاني وجهرها ... ومعضلها باد لديه مفصل

فلما أثار الخبأ قاد منيعه ... أسيرا لأنواع البيان مكمل

وقربه من كل فهم بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل

وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... **ومرتجلا** من غير ما يتمهل

فيفخر من يجر ويسمو مكانه ... جلالا له حيث الكواكب ينزل

فهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنه جم وعمر مطول

فأجابه المعري **مرتجلا** ممليا على الرسول:

ألأليها القاضي الذي بلهاته ... سيوف على أهل الخلاف تسلسل

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٢٧٦/٢

فؤادك معمور من العلم أهله ... وجدك في كل المسائل مقبل

فإن كنت بين الناس غير ممول ... فأنت من الفهم المصون مأمول

إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلا ... فأنت وهم حاكي الحمام وأجدل

كأنك من في الشافعي مخاطب ... ومن قلبه تملى فما تتمهل

وكيف بذي علم ابن ادريس دارسا ... وأنت بإيضاح الهدى متكفل

تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكر ما ... فعلت وكفي عن جوابك أجهل

لأنك في كنه الثريا مصاحب ... وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل

مع أبيات أخرى حذفتها اختصارا آخرها:

تجهلت الدنيا بإنك فوقها ... ومثلك حقا من به يتحمل

عاش القاضي أبو الطيب رحمه الله مائة وستين سنة. قلت وربما سمعت من بعض شيوخنا: وعشرين سنة، ولم يهن عظمه حتى حكى أنه أتى على نهر أو مكان يحتاج إلى طفرة كبيرة، فطفره، ثم قال: أعضاء حفظها الله تعالى في صغرها فقراها في كبرها، أو كما قال رضي الله تعالى عنه: وكذلك لم يحتل عقله ولا تغير." (١)

"وقال الإمام أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفرايني في كتابه في الملل والنحل المسمى بالتبصير في الدين وذكر مقالات المخالفين وقد أجبت عنه بهذه الأبيات

(كذبت وايم الذي حج الحجيج له ... وقد ركبت ضلالا منك بهتانا)

(لتلقين بها نارا مؤججة ... يوم القيامة لا زلفى ورضوانا)

(تبت يداه لقد خابت وقد خسرت ... وصار أبخس من في الحشر ميزانا)

(هذا جوابي في ذا النذل **مرتجلا** ... أرجو بذاك من الرحمن غفرانا)

وذكر القاضي الجليل سيف السنة ولسان الأمة أبو بكر الباقلاني رضي الله عنه في كتابه الجليل الملقب مناقب الأئمة وهو كتاب عظيم القدر حافل بين فيه أن الصحابة كلهم مأجورون على ما شجر بينهم وذكر أبيات ابن ملجم هذه وقال إن الحميري نقضها عليه بقوله

(لا در در المرادي الذي سفكت ... كفاه مهجة خير الخلق إنسانا)

(أصبح مما تعاطاه بضربته ... مما عليه ذوو الإسلام عريانا)

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٥٥/٣

(أبكى السماء لباب كان يعمره ... منها وحنت عليه الأرض تحنانا)

(طورا أقول ابن ملعونين ملتقط ... من نسل إبليس لا بل كان شيطانا)

(ويل امه أيما ذا لعنة ولدت ... لا إن كما قال عمران بن حطانا)

(عبد تحمل إثما لو تحمله ... ثهلان طرفة عين هد ثهلانا)

أخبرنا أبي تغمده الله برحمته من لفظه قال أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي بكر ابن حامد الأرموي الصوفي بقراءتي عليه أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي السبط أخبرنا جدي الحافظ أبو طاهر السلفي أخبرنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي بقراءتي أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن علي الوراق أخبرنا أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن طيفور البصري اللغوي قرأت علي." (١)

"وعف عن الفاحشة ولم يفش ذلك فمات بسبب ذلك حصل له أجر كثير. فإن صح هذا كان ذلك له نوع شهادة والله أعلم.

وروى الخطيب أيضا أن شعبة لقي أبا نواس فقال له: حدثنا من طرفك، فقال **مرتجلا**: حدثنا الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر ومسعر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عامر قالوا جميعا:

أيما طفلة علقها ذو خلق طاهر فواصلته ثم دامت له على وصال الحافظ الذاكر، كانت له الجنة مفتوحة يرتع في مرتعها الزاهر، وأي معشوق جفا عاشقا بعد وصال دائم ناصر! ففي عذاب الله بعدا له نعم وسحقا دائم ذاخر. فقال له شعبة: إنك لجميل الأخلاق، وإني لأرجو لك. وأنشد أبو نواس أيضا

يا ساحر المقلتين والجيد ... وقاتلي منك بالمواعيد

توعدني الوصل ثم تخلفني ... ويلاى من خلفك موعودى

حدثني الأزرق المحدث عن ... شهر وعوف عن ابن مسعود

ما يخلف الوعد غير كافرة ... وكافر في الجحيم مصفود

فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال: كذب عدو الله علي وعلى التابعين وعلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. وعن سليم بن منصور بن عمار قال: رأيت أبا نواس في مجلس أبي يبكي بكاء شديدا فقلت: إني لأرجو أن لا يعذبك الله بعد هذا البكاء فأنشأ يقول:

لم أبك في مجلس منصور ... شوقا إلى الجنة والحور

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٢٩٠/١

ولا من القبر وأهواله ... ولا من النفخة في الصور

ولا من النار وأغلالها ... ولا من الخذلان والجور

لكن بكائي لبكا شادن ... تقيه نفسي كل محذور

ثم قال: إنما بكيت لبكاء هذا الأمرد الذي إلى جانب أبيك- وكان صبيا حسن الصورة يسمع الوعظ فيبكي خوفا من الله عز وجل- قال: أبو نواس: دعاني يوما بعض الحاكة وألح علي ليضيفني في منزله، ولم يزل بي حتى أجبته فسار إلى منزله وسرت معه فإذا منزل لا بأس به، وقد احتفل الحائك في الطعام وجمع جمعا من الحياك، فأكلنا وشربنا ثم قال: يا سيدي أشتهي أن تقول في جاريتي شيئا من الشعر- وكان مغرما بجاريةٍ له- قال فقلت أرنيها حتى أنظم على شكلها وحسنها، فكشف عنها فإذا هي أسمج خلق الله وأوحشهم، سوداء شمطاء ديدانية يسيل لعابها على صدرها. فقلت لسيدها: ما اسمها؟ فقال تسنيم، فأنشأت أقول:

أسهر ليلي حب تسنيم ... جارية في الحسن كالبوم

كأنما نكهتها كامخ ... أو حزمة من حزم الثوم." (١)

"يعرض عليه الشيء فيقبله، فكثرت أمواله، ولبس الثياب الناعمة، وجرت له أمور، وكثرت أتباعه وأظهر أنه يريد الغزو فاتبعه نفر كثير، فعسكر بظاهر البلد، وكان يضرب له الطبل في أوقات الصلوات وسار إلى ناحية أذربيجان، فالتف عليه خلق كثير، وضاهى أمير تلك الناحية، وكانت وفاته لك في هذه السنة. قال الخطيب: وقد حدث ببغداد وكتبت عنه أحاديث يسيرة، وحدثني بعض أصحابنا عنه بشيء يدل على ضعفه، وأنشد هو لبعضهم:

إذا ما أطعت النفس في كل لذة ... نسبت إلى غير الحجى والتكرم

إذا ما أجبت الناس في كل دعوة ... دعتك إلى الأمر القبيح المحرم

المظفر بن الحسين

ابن عمر بن برهان، أبو الحسن الغزال، سمع محمد بن المظفر وغيره، وكان صدوقا.

محمد بن علي بن إبراهيم

أبو الخطاب الحنبلي الشاعر، من شعره قوله:

ما حكم الحب فهو ممتثل ... وما جناه الحبيب محتمل

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٣٠/١٠

يهوى ويشكو الضنى وكل هوى ... لا ينحل الجسم فهو منتحل

وقد سافر إلى الشام فاجتاز بمعرة النعمان فامتدحه أبو العلاء المعرى بأبيات، فأجابه مرتجلا عنها.

وقد كان حسن العينين حين سافر، فما رجع إلى بغداد إلا وهو أعمى. توفى في ذي القعدة منها ويقال إنه كان شديد الرفض فالله أعلم.

الشيخ أبو علي السنجي

الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعية في زمانه، أخذ عن أبي بكر القفال، وشرح الفروع لابن الحداد، وقد شرحها قبله شيخه، وقبله القاضي أبو الطيب الطبري، وشرح أبو علي السنجي كتاب التلخيص لابن القاص، شرحا كبيرا، وله كتاب المجموع، ومنه أخذ الغزالي في الوسيط.

قال ابن خلكان: وهو أول من جمع بين طريقة العراقيين والخراسانيين. توفى سنة بضع وثلاثين وأربعمائة

ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة

في هذه السنة توفى الملك أبو كاليجار في جمادى الأولى منها، صاحب بغداد، مرض وهو في برية، ففصد في يوم ثلاث مرات، وحمل في محفة فمات ليلة الخميس، ونهبت الغلمان الخزائن، وأحرق الجواري الخيام، سوى الخيمة التي هو فيها، وولي بعده ابنه أبو نصر، وسموه الملك الرحيم، ودخل دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع، وسوره وطوقه وجعل على رأسه التاج والعمامة السوداء، ووصاه الخليفة، ورجع إلى داره وجاء الناس ليهنئوه. وفيها دار السور على شيراز، وكان دوره اثنى عشر." (١)

"أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سالت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدهما وكانت لا تريد إذا رمدت الأخرى. وروى الدارقطني بإسناد غريب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة ابن النعمان قال: أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان. والمشهور الأول أنه أصيبت عينه الواحدة. ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له: من أنت؟ فقال له مرتجلا:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسنها عينا ويا حسن ما خد

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٥٧/١٢

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته رضي الله عنه

فصل

قال ابن هشام: وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد ابن أبي زيد الأنصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها يا خالة أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلي. قالت فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت لها من أصابك بهذا قالت ابن قمئة أقمأه الله، لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد لا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان. قال ابن إسحاق وترس أبو دجانة دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل. قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده. قال ابن إسحاق وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال فما يجلسكم قالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك. فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه." (١)

"أحد حتى سالت على خده، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها، فكانت أحسن عينيه وأحدهما، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى»

وروى الدارقطني: بإسناد غريب عن مالك، عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد، عن أخيه قتادة بن النعمان قال: «أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي، فأتيت بهما رسول

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣٤/٤

الله صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما، وبصق فيهما فعادتا تبرقان» .

والمشهور الأول ؛ أنه أصيبت إنما عينه الواحدة. ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له: من أنت؟ فقال له **مرتجلا**:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته، رضي الله عنه.." (١)

"أن يحدثه، لعل الله أن يصلحه.

قلت: وهذا الذي أنشده أبو نواس في شعره قد رواه ابن عدي في " "كامله " " عن ابن عباس موقوفا، ومرفوعا «من عشق فعف فكتم فمات مات شهيدا» ومعنى هذا أن من ابتلي بالعشق من غير اختيار منه فصبر وعف عن الفاحشة ولم يفش ذلك فمات بسبب ذلك، حصل له أجر كبير، فإن صح هذا كان ذلك له نوع شهادة، والله أعلم.

وروى الخطيب أيضا أن شعبة لقي أبا نواس فقال له: حدثنا من طرفك، فقال **مرتجلا**:

حدثنا الخفاف عن وائل ... وخالد الحذاء عن جابر

ومسعر عن بعض أصحابه ... يرفعه الشيخ إلى عامر

قالوا جميعا أيما طفلة ... علقها ذو خلق طاهر

فواصلته ثم دامت له ... على وصال الحافظ الذاكر

كانت له الجنة مفتوحة ... يرتع في مرتعها الزاهر

وأي معشوق جفا عاشقا ... بعد وصال دائم ناضر

ففي عذاب الله بعدا له ... نعم وسحق دائم داحر

فقال له شعبة: إنك لجميل الأخلاق، وإني لأرجو لك.." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٠٨/٥

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٧١/١٤

"إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله أخراكم.

فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي أبي.

قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى

قتلوه.

فقال حذيفة يغفر الله لكم.

قال عروة: فوالله ما زال في حذيفة بقية خير حتى لقي الله عز وجل.

قلت: كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا في الآطام مع النساء لكبرهما وضعفهما فقالا: إنه لم يبق من آجالنا إلا ظمء حمار فنزلا ليحضرا الحرب فجاء طريقهما ناحية المشركين فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ.

وتصدق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ولم يعاتب أحدا منهم لظهور العذر في ذلك.

فصل قال ابن إسحاق: وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سالت على خده، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدهما وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى.

وروى الدارقطني بإسناد غريب عن مالك، عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال: أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان.

والمشهور الأول أنه أصيبت عينه الواحدة.

ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له: من أنت؟ فقال له **مرتجلا**: أنا ابن الذي سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد فعادت كما كانت لأول أمرها * فيا حسنها عينا ويا حسن ما خد فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك: تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبو الا ثم وصله فأحسن جائزته رضي الله عنه.

فصل قال ابن هشام: وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد، فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا

خالة أخبريني خبرك فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلي.

قالت: فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت لها: من أصابك بهذا؟ قالت ابن قمئة، أقمأه الله، لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد لا نجوت إن نجا فاعترضت." (١)

"وروى الخطيب أيضا أن شعبة لقي أبا نواس فقال له: حدثنا من طرفك، فقال **مرتجلا**: حدثنا الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر ومسعر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عامر قالوا جميعا: أيما طفلة علقها ذو خلق طاهر فواصلته ثم دامت له على وصال الحافظ الذاكر، كانت له الجنة مفتوحة يرتع في مرتعها الزاهر، وأي معشوق جفا عاشقا بعد وصال دائم ناصر! ففي عذاب الله بعدا له نعم وسحقا دائم ذاخر.

فقال له شعبة: إنك لجميل الأخلاق، وإني لأرجو لك.

وأنشد أبو نواس أيضا: يا ساحر المقلتين والجيد * وقاتلي منك بالمواعيد توعدني الوصل ثم تخلفني * ويلاي من خلفك موعودي حدثني الأزرق المحدث عن * شهر وعوف (١) عن ابن مسعود ما يخلف الوعد غير كافرة (٢) * وكافر في الجحيم مصفود فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال: كذب عدو الله علي وعلى التابعين وعلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

وعن سليم بن منصور بن عمار قال: رأيت أبا نواس في مجلس أبي يبكي بكاء شديدا فقلت: إني لأرجو أن لا يعذبك الله بعد هذا البكاء فأنشأ يقول: لم أبك في مجلس منصور * شوقا إلى الجنة والحور ولا من القبر وأهواله * ولا من النفخة في الصور ولا من النار وأغلالها * ولا من الخذلان والجور لكن بكائي لكا شادن * تقيه نفسي كل محذور ثم قال: إنما بكيت لبكاء هذا الأمرد الذي إلى جانب أبيك - وكان صبيا حسن الصورة يسمع الوعظ فيبكي خوفا من الله عز وجل -.

قال: أبو نواس: دعاني يوما بعض الحاكة وألح علي ليضيفني في منزله، ولم يزل بي حتى أجبته فسار إلى منزله وسرت معه فإذا منزل لا بأس به، وقد احتفل الحائل في الطعام وجمع جمعا من الحياك، فأكلنا وشربنا

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٨/٤

ثم قال: يا سيدي أشتهي أن تقول في جاريتي شيئا من الشعر - وكان مغرما بجارية له -

قال فقلت أرنيها حتى أنظم على شكلها وحسنها، فكشف عنها فإذا هي أسمج خلق الله واوحشهم،

---

(١) في عيون الاخبار ٢ / ١٤٠: عن ... * عمرو بن شمر ... (٢) في عيون الاخبار: غير كافره.

أي جاحده ولعلها خافره وهو ما يتفق مع السياق بمعنى نقض العهد والغدر به.

والابيات ليست في ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م.

(*)."(١)

"محمد بن علي بن إبراهيم أبو الخطاب الحنبلي (١) الشاعر، من شعره قوله: ما حكم الحب فهو ممتثل * وما جناه الحبيب محتمل يهوى ويشكو الضنى وكل هوى * لا ينحل الجسم فهو منتحل

وقد سافر إلى الشام فاجتاز بمعرة النعمان فامتدحه أبو العلاء المعري بأبيات، فأجابه مرتجلا عنها.

وقد كان حسن العينين حين سافر، فما رجع إلى بغداد إلا وهو أعمى.

توفي في ذي القعدة منها ويقال إنه كان شديد الرفض فالله أعلم.

الشيخ أبو علي السنجي الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعية في زمانه، أخذ عن أبي بكر القفال، وشرح الفروع لابن الحداد، وقد شرحها قبله شيخه، وقبله القاضي أبو الطيب الطبري، وشرح أبو علي السنجي كتاب التلخيص لابن القاص، شرحا كبيرا، وله كتاب المجموع، ومنه أخذ الغزالي في الوسيط.

قال ابن خلكان، وهو أول من جمع بين طريقة العراقيين والخراسانيين.

توفي سنة بضع وثلاثين وأربعمائة ثم دخلت سنة أربعين و أربعمائة في هذه السنة توفي الملك أبو كاليجار في جمادى الأولى منها، صاحب بغداد، مرض وهو في برية، ففصد في يوم ثلاث مرات، وحمل في محفة فمات ليلة الخميس، ونهبت الغلمان الخزائن، وأحرق الجواري الخيام، سوى الخيمة التي هو فيها، وولي بعده ابنه أبو نصر، وسموه الملك الرحيم، ودخل دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع، وسوره وطوقه وجعل على رأسه التاج والعمامة السوداء، ووصاه الخليفة، ورجع إلى داره وجاء الناس ليهنئوه.

وفيها دار السور على شيراز، وكان دوره اثني عشرة ألف ذراع، وارتفاعه ثمانية أذرع، وعرضه ستة أذرع، وفيه أحد عشر بابا.

وفيها غزا إبراهيم بن ينال بلاد الروم فغنم مائة ألف رأس، وأربعة آلاف درع، وقيل تسع عشرة ألف درع، ولم

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٠/٢٥٠

يبق بينه وبين القسطنطينة إلا خمسة عشر يوما، وحمل ما غنم على عشرة

(١) في الكامل ٩ / ٥٤٣: الجيلي، وفي مختصر أخبار البشر ٢ / ١٦٨: الشبلي.

وفي وفيات الاعيان ٧ / ٢٤٨: الجبلي نسبة إلى جبل وهي بليدة على دجلة بين بغداد وواسط.

وفي معجم البلدان (جبل) هو محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبلي.

(*)."[١]

"بمقبرة الخيزران عند قبر أبي حنيفة رحمة الله عليهما

٩٣٤ - عبيد الله بن محمد بن عبد الجليل بن محمد بن الحسن الساوي أبو محمد بن أبي محمد بن أبي الفتح بن أبي سعيد القاضي قال الحافظ أبو عبيد الله محمد الزينبي سألته عن مولده فقال فى المحرم سنة ثلاث عشرة وخمس مائة وقال ابن النجار سالته عن موك فقال في المحرم سنة اثنتى عشرة وخمس مائة سمع من أبي القاسم ابن الحصين وعبد الوهاب الأنماطي قال ابن النجار وحدث بكتاب السنن لأبي داود وكتاب السير للزبير بن بكار عن أبي الحسين بن الفراء قال ابن الزينبي سمع منه قبلنا الحافظ عمر القرشي وسمعنا منه قال ابن النجار وكان فقيها فاضلا على مذهب أبي حنيفة عارفا بالأحكام والقضايا ورعا متدينا عفيفا نزها وتوفى سنة ست وتسعين وخمس مائة عن ثلاث وثمانين سنة

٩٣٥ - عبيد الله بن محمد بن منصور أبو القاسم المتوني روى عنه أبو نصر عبد الكريم الشيرازي فى فوائده

٩٣٦ - عبيد الله بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن حمزة بن القزويني أبو الوفاء الواعظ من أهل أصبهان قال ابن النجار يعرف بأبي مقرة وأخوه رزق الله تقدم أخوه فضل الله يأتي وولده الحسين تقدم كان من أعيان أهل بلده فضلا وعلما وأدبا وكان يعظ على الكرسي بكلام مليح وله النظم والنثر الحسن وكان فصيحا بليغا ظريفا لطيفا ذكر لي ولده أبو عبد الله الحسين إنه دخل بغداد حاجا عدة مرار وأنه أقام ببغداد سنة وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة الناجية قال ابن النجار أنشدني أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن هبة الله القزويني بأصبهان أنشدني والدي ببغداد على المنبر فى المدرسة الناجية **مرتجلا** لنفسه وقد دنت الشمس للغروب وكان ساعتئذ شرع فى مناقب علي رضي الله عنه." [٢]

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٧٢/١٢

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية عَبْد القَادِرِ القُرَشي ٣٤١/١

"ومن الملح قوله: قال: وبت بحمام الخندق من داخل ألمرية ليلة الجمعة الثامن من شهر محرم عام اثنين وثلاثين منفردا، فطفيء المصباح، وبقيت مفكرا، فخطر ببالي ما يقول الناس من تخيل الجن في الأرحاء والحمامات، وعدم إقدام كافة الناس إلا ما شذ عند دخولها منفردين بالليل، لا سيما في الظلام، واستشعرت قوة في نفسي عند ذلك، أعراض وأوهام، فقلت **مرتجلا**، رافعا بذلك صوتي: [الكامل]

زعم الذين عقولهم قدرها ... إن عرضت للبيع غير ثمين

أن الرحا معمورة بالجن وال ... حمام عندهم كذا بيقين

إن كان ما قالوه حقا فاحضروا ... للحرب هذا اليوم من صفين

فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقة ... بأني مصارع قيس المجنون

قال: ودخلت رياضا يوما، فوجدت كساء منشورا للشمس لم أعرفه من حوائجي، ولا من حوائج حارسة البستان، فسألتها فقالت: هو لجارتي، فقلت:

[الكامل]

من منصفي من جارتي جارت على ... مالي كأني كنت من أعدائها

عمدت إلى الشمس التي انتشرت على ... أرضي وأمت فيه بئس كسائها

لولا غيوم يوم تيبس الكسا ... سرت لحجب السحب جل ضيائها

لقضيت منهم الخسار لأنني ... أصبحت مزورا على بخلائها

قلت: وصرت إلى مغنى بحمة بجانة «١» ، وسار معي كلب كان يحرس رياضي اسمه قطمير، وهو، فيما يذكر، كلب أهل الكهف، في بعض الأقوال، فتبعني من ألمرية إلى الحمة، ثم من الحمة إلى ألمرية، فقلت: [المتقارب]

رحلت وقطمير كلبي رفيقي ... يونس قلبي بطول الطريق

فلما أنخت أناخ حذائي ... يلاحظني لحظ خل شفيق

ويرعى أذمة رفقي كما ... يتغنى الصديق الصدوق

على حين قومي بني آدم ... بلؤمهم لم يوفوا حقوقي

ولا فرق بين الأباعد منهم ... وبين أخ مستحب شفيق

أو ابن متى تلقاه تلقه ... هوي اشتياق بقلب خفوق." (١)

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٩٦/٢

"أبي الحجاج المنتشافري، فراقه ببشر لقائه، ونهل على الظمأ في سقائه، وكانت بينهما مخاطبات، أنشدنيها بعد إيابه، وأخبرني بما كان من ذهاب زاده وسلب ثيابه.

وخاطبني من شرح حاله في ارتحاله بما نصه: ولما دخلت رندة الأنيقة البطاح، المحتوية على الأدب والسماح، والعلم والصلاح، أبرز القدر أن لقيت بها شيخنا المعمر رئيس الأدباء، وقدوة الفقهاء، أبا الحجاج المنتشافري، وكنت لم أشاهده قبل هذا العيان، ولا سمح لي بلقائه صرف الزمان، ولم أزل أكلف بمقطوعاته العجيبة، وأولع بضرائبه الغريبة، وتأتي منه مخاطبات تزري بالعقود بهجة، وتطير لها العقود لهجة. نظم كما تنفس الصبح عن تسيمه، ونثر كما تأسس الدر بتنظيمه، فأحلني منه محل الروح من الجسد، وشهد لي أني أعز من عليه ورد، ورآني قد ظهرت على مضاضة الاكتئاب، لكوني قريب عهد بالإياب، مهزوما انهزام الأحزاب، خالي الوطاب «١» ، نزر الثياب، فقال: فيم ا لجزع، ذهب بحول الله الخوف وأمن الفزع، فأجبته عجلا، وقلت أخاطبه مرتجلا: [الكامل]

لا تجزعي، نفسي، لفقد معاشري ... وذهاب مالي في سبيل القادر

يا رندة «٢» ، ها أنت خير بلاده ... وبها أبو حجاج المنتشافري

سيريك حسن فرائد من نظمه ... فتزيل كل كآبة في الخاطر

فأجابني مرتجلا: [الكامل]

سراي، يا قلبي المشوق، وناظري، ... بمزار ذي الشرف السني الطاهر

روض المعارف زهرها الزاهي ... أوصافه «٣» أعيت ثناء «٤» الشاكر

ولواد آش من «٥» فخار لم يزل ... من كابن حزب الله نور الناظر

وافى يشرف رندة بقدومه ... فغدت به أفقا لبدر زاهر

من روضة الأدباء أبدى زهرة ... قد أينعت عن فكر حبر ماهر

جمع المآثر بالسناء «٦» وبالسنا ... أعظم به من صانع لمآثر

ما زلت أسمع من ثناه مآثرا ... كانت لسامعها معا والذاكر." (١)

"وقام فيها خطيب الطير مرتجلا ... والزهر قد رصعت منه منابره

موشي ثوب طواه الدهر آونة ... فها هو اليوم للأبصار ناشره

فالغصن من نشوة يثني معاطفه ... والطير من طرب تشدو مزاهره

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢/٢٥٠

وللكمام انشقاق عن أزاهرها ... كما بدت لك من خل ضمائره

لله يومك ما أذكى فضائله ... قامت لدين الهوى «١» فيه شعائره

فكم سريرة فضل فيك قد خبئت ... وكم جمال بدا للناس ظاهره

فافخر بحق على الأيام قاطبة ... فما لفضلك من ند يظاهره «٢»

فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا ... قيست بفخر أولي العليا مفاخره

يلتاح منه بأفق الملك نور هدى ... تضاءل الشمس مهما لاح زاهره

مجد صميم على عرش السماك سما ... طالت مبانيه واستعلت مظاهره

وزارة الدين والعلم الذي رفعت ... أعلامه والندى الفياض زاخره

وليس هذا ببدع من مكارمه ... ساوت أوائله فيه أواخره

يلقى الأمور بصدر منه منشرح ... بحر وآراؤه العظمى جواهره

راعى أمور الرعايا معملا نظرا ... كمثل علياه معدوما نظائره

والملك سير في تدبيره حكما ... تنال ما عجزت عنه عساكره

سياسة الحكم «٣» لا بطش يكدرها ... فهو المهيب وما تخشى بوادره

لا يصدر الملك إلا عن إشارته ... فالرشد لا تتعداه مصائره

تجري الأمور على أقصى إرادته ... كأنما دهره فيه يشاوره

وكم مقام له في كل مكرمة ... أنست موارده فيها مصادره

ففضلها طبق الآفاق أجمعها ... كأنه مثل قد سار سائره

فليس يجحده إلا أخو حسد ... يرى الصباح فيعشى منه ناظره

لا ملك أكبر من ملك يدبره ... لا ملك أسعد من ملك يؤازره

يا عز أمر به اشتدت مضاربه ... يا حسن ملك به ازدانت محاضره

تثني البلاد وأهلوها بما عرفوا ... ويشهد الدهر آتيه وعابره «٤»

بشرى لآمله الموصول مأمله ... تعسا لحاسده المقطوع دابره

فالعلم قد أشرقت نورا مطالعه ... والجود قد أسبلت سحا مواطره." (١)

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣١٦/٢

"هي قحة «١» وخلاف، وتهاون بالمعارف واستخفاف، غير أنه يحفظ في طريق القوم كل نادرة، وفيه رجولة «٢» ظاهرة، وعنده طلاقة لسان، وكفاية قلما تتأتى لإنسان.

فإلى الله نسأل «٣» أن يعرفنا بمقادير «٤» الأشياء، ويجعلنا بمعزل عن الأغبياء. وقد قلت **مرتجلا** عند «٥» أول نظرة، واجتزأت «٦» بقليل من كثرة: [الخفيف]

كل جار لغاية مرجوة ... فهو عندي لم يعد حد «٧» الفتوه

وأراك اقتحمت ليلا بهيما ... مولجا منك ناقة في كوه «٨»

لا اتباعا ولا اختراعا أرتنا «٩» ... إذ نظرنا عروسك المجلوه

كل ما قلته فقد قاله النا ... س مقالا آياته متلوه

لم تزد غير أن أبحت حمى الإع ... راب في كل لفظة مقروه

نسأل «١٠» الله فكرة تلزم العق ... ل إلى حشمة تحوط «١١» المروه

وعزيز علي أن كنت «١٢» يحيى ... ثم لم تأخذ «١٣» الكتاب بقوه «١٤»

ومن البرسام الذي يجري على لسانه بين الجد والقحة، والجهالة والمجانة، قوله لبعض خدام باب السلطان، وقد ضويق في شيء أضجره منقولا من خطه، بعد رد كثير منه إلى الإعراب:

الله نور السماوات من غير نار ولا غيرها، والسلطان ظلاله وسراجه في الأرض، ولكل منهما فراش مما يليق به ويتهافت عليه، فهو تعالى محرق فراشه بذاته، مغرقهم بصفاته، وسراجه وظله. وهو السلطان محرق فراشه بناره، مغرقهم بزيته ونواله. ففراش الله ينقسم إلى حامدين، ومسبحين، ومستغفرين، وأمناء وشاخصين. وفراش السلطان ينقسمون إلى أقسام، لا ينفك أحدهم عنها. وهم وزغة ابن وزغة، وكلب ابن كلب، وكلب مطلقا، وعار ابن عار، وملعون ابن ملعون، وقط." (١)

"وقلت في معنى غريب: [الكامل]

ولرب رزق غد «١» لقيت مواجها ... كفت أكفهم وقاية واق

جاورت والتفتوا إلي فخلتهم ... جعلوا ذوابلهم على الأعناق

وقلت في رمانة: [البسيط]

رمانة راق منها منظر عجيب ... تريك صورتها إبداع باريها

كأنما حبها در وظاهرها ... خد ومن شحمها قطن يواريها

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣٧٠/٤

وقلت **مرتجلا** لمن طلب ذلك على ضفة الوادي الكبير: [المتقارب]

ومنتقش المتن كالمبرد ... إذا هب عرف النسيم الندي

تدافع مسترسلا مائجا ... كما اندفع الدرع من مزود

وقلت، وقد استزاد الطلبة الحاضرون من ذلك: [الخفيف]

وطموح العباب ضافي المقيل ... حسر الروح عن حسام صقيل

كسبيك اللجين ذهبه الصا ... نع سبحانه بشمس الأصيل

واستزادوا من ذلك فقلت: [الطويل]

ومدرع ينساب في منبت الخوط «٢» ... يداعب «٣» مثوى ظله كل مغبوط

أقام شعاع الشمس يشغل فوقه ... فسال له ذوب اللجين من «٤» البوط

ثم قلت في ذلك: [السريع]

ثعبان نهر راعنا مده ... لما أتى ينساب من حجره

فاهتزت الأغصان من فوقه ... وصاحت الأطيار في إثره

ثم قلت في ذلك: [الكامل]

انظر إليه والأصيل مورس ... والشمس ترسل من عنان مسيرها

وكأنما هو زئبق مترجرج ... ألقت عليه الشمس من إكسيرها." (١)

"وله:

يقول عيسى أدميتها بالمسير ... رفقا بنا يا هاشمي

إن شئت أن تلقى الغنى والمنى ... عج بإمام من بني هاشم

فقل إذ لاح سنا قصره ... يا نوق هذا نوره هاشمي

قال ابن القطيعي: أنشدته هذه الأبيات:

من لم يعدك إذ مرضت ... فلا تعده ولا كرامة

فإن الإله أماته ... فقد استرحت من الملامة

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٤/٤٤٥

وإن الإله أقامه ... فالعذر تهنيك السلامة

فقال **مرتجلا**:." (١)

"غزالا ذكره أيام غزله، وأنهضه الى عصر التصابي بدوله، فأنشد **مرتجلا**، وفي ذلك الغزال متغزلا!

وشادن مثل وجه البدر غرته ... سبى فؤادي فما أبقى ولا تركا

جسمي له دارة والقلب مركزه ... فحيثما دار كانت مهجتي فلكا

له لحاظ تصيد العاشقين ولم ... تخف عقابا بما صادت ولا دركا

وثغره كوميض البرق تبصره ... يلوح من شفتيه كلما ضحكا!

فاعجب لظبي غدا للأسد مقتنصا ... مستعملا من ظبا ألحاظه شركا

أهوى رضاه وأهوى أن يعذبني ... فمسلكي في هواه حيثما سلكا!

وأتى يوما لدار بعض أصحابه ليستدعيه، إلى أدب يرويه، أو خبر طيب يعيه، فخرج إليه وقد اشتد نار ولوعه، وهو يؤججها بفض دموعه! فتعجب مما دهاه من الداهية الدهماء، ومن النار المتأججة بالماء، فسأله عن لوعته، فأخبره بعظيم فجعته، لما أصيب بولده محمد الملقب بأبي نور؛ الذي يحسده الغصن في تمايله ويظل البدر منه غيور (١)،

---

(١) كذا لضرورة ال سجع!." (٢)

"ولا له في الملا عدو ... ولا لخلق عليه منة

وحضر يوما جماعة من الفقهاء على طعام صنعه لهم الأمير شمس الدين علي بن يحيى العسني وكان بين ذلك الطعام صفحة مملوءة لحوحا وزوما فتاقت نفس الفقيه إليه أكثر من غيره فكان يمد يده إلى الصفحة وكانت الصفحة على بعد منه فقال الأمير:

بعد اللحوح عن الفقيه الأوحد ... عثمان بل خير البرية عن يد

فأجابه الفقيه **مرتجلا**:

ترد المراسم أن أردت بنقله ... ويطول منك الباع أن قصرت بدي

فقام الأمير مسرعا من مكانه واحتمل الصحفة بما فيها ووضعها بين يدي الفقيه ثم لما انقضى الطعام قال

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي ٥٩/٣

(٢) أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ابن الأحمر ص/٤١٥

الأمير شمس الدين للفقيه يا سيدي إني رأيتك تحب اللحوح وقد وهبت لك الحربة الفلانية تكون باسم اللحوح فاقبلها مني فقبلها وكانت تسوى ألف دينار. فرحم الله علي بن يحيى ما كان الطف شمائله واجزل نائله وأكثر فضله وفضائله. وكانت وفاة الفقيه عثمان المذكور يوم الأحد لثلاث بقين من رمضان من السنة المذكورة. ولما توفي الفقيه عثمان في التاريخ المذكور خلفه ابنه يحيى بن عثمان بن يحيى بن فضل وكان مولده يوم الجمعة لخمس خلون من صفر سنة سبع عشرة وستمائة. وكان فقيها ورعا دئبا نقالا للفروع عارفا بها نزل إلى ذي جبلة فدرس في المدرسة الشرفية. وكان يطلع بلده في كل سنة يقف فيها شهرين أيام انتقال الغلة ثم يرجع إلى جبلة وقد اجتمعت عليه وقف المدرسة المذكورة فيصرف له الناظر نفقته في السنة فيرد منها نفقة شهرين لأجل غيبته عن المدرسة فقيل له يوما أن المدرسين قبلك كانوا يغيبون أكثر مما تغيب أنت ويأخذون نفقة السنة كلها فقال لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون. وكان يصرف ما يقتضيه من النفقة على المحتجين من الطلبة وفيما يطلبه منه أهل الديوان في خراج أرضه وتوفي رحمه الله في." (١)

"ردا حسنا ثم قال للرجل يا محمد هل جئتنا بشيء فقال ما جئت إلا بنفسي فقال **مرتجلا:**

أتانا أخ من غيبة كان غلبها ... وكان إذا ما غاب تنشده الركبا

فقلنا له هل جئتنا بهدية ... فقال بنفسي قلت نطعمها الكلبا

قال الجندي ونحو ذلك ما اخبرنا الشيخ أبو الحسن علي ابن الشيخ الفاضل منصور بن حسن عن أبيه قال دخلت أنا والمقري محمد بن علي بن الفقيه محمد بن أبي بكر الحطاب فسأله المقري عن مسألة في الحيض مشكلة فأبانها له ثم انشده:

لو علمنا مجيئكم لبذلنا ... مهج النفس او سواد العيون

وفرشنا على الطريق خدودا ... ليكون المرور فوق الجفون

وأوصافه الحسنة جمة كثيرة لا يمكن استيعابها. وكانت وفاته بزبيد وقبر في مقبرة باب سهام وقبره معروف مشهور مزار وتبرك به وعند قبره قبر رجل من التابعين وقيل من الصحابة والله أعلم.

وفي هذه السنة توفي الفقه الصالح ابن إبراهيم بن صالح بن علي بن أحمد العبري وكان فقيها صالحا وعاصر الخضري المعروف بالبرهان وولي قضاء تهامة اجمع فكان قضاؤه مرضيا وكان على يد عمارة الجامع المظفري بالمهجم في أيام الملك المظفر وكان من أهل الدين والدنيا وممن يأخذها ومن وجها ويضعها في

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ١/١٣٥

مستحقها كثير البر والمعروف وله مكارم أخلاق وكان يضرب به المثل في الكرم وكان في حلقة تدريسه أكثر من مائة طالب وكانت له مروءة وشفقة على الأيتام.

ويروى أنه كان يعمل في النصف من شعبان من الحلوى شيئا كثيرا يفرقه على الأيتام وعلى الضعفاء وعلى الخواص من أصحابه ولا يدع فقيها في البلد إلا واساه بشيء من ذلك ومكارمه أكثر من أن تحصى. ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفي في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى ولما توفي رحمه الله في التاريخ المذكور صار القضاء الأكبر بعده إلى الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي وخلفه في رئاسة البيت ابن أخيه علي بن محمد ابن إبراهيم بن صالح والله أعلم.." (١)

"سيف الدين المشد ملغزا في طوافة:

لينة الأعطاف لا ... ينكر فضل قدرها

حياتها في طيها ... وموتها في نشرها

وقال ناصر الدين بن شافع في وصفها (مولده سنة تسع وأربكعين وستمائة، وتوفي سنة ثلاثين وسبعمائة) :

وشمعة قد استتم نبتها في روض الأنس حتى نور * ولا نمى بدوحة المفاكهة حتى أزهر * أومأ بنان تبلجها إلى طرق الهداية وأشار ودل على نهج التبصر وكيف لا وهي علم في رأسه نار *كأنما هي قلم امتدى بماء ليق من ذهب أو صعدة إلا أن سنانها ذهب وحسبها كرما أن جادت بنفسها وأعلنت بامتناعها على همود حسها سايلها في الجود بأمثالها مسول ودمعها بالعفو للصفو من سماحتها مطلول تحيتها عموا صباحا يتألق فجرها وتمام بدرها في أوائل شهرها قد جمعت من ماء دمعها ونار توقدها بين نقيضين ومن حسن تأثرها وعين تبصرها بين الأثر والعين.

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر: في حين ما شق ريحي الدجى عن ترائبه جيبا ونشر الظلام ظفائره وقد اشتعل رأسه من النجوم شيبا في ضوء شمعة نشرت على الورق ردء الأصيل وأخفت من الدجى سواد دجفنه الكحيل وسترت ذوائبه في معصفر أبهج من وجنتي بثينة لولا أنها في صفرة ةجه جميل.

وكتب الأديب الفاضل الكامل شرف الدين عيسى بن حجاج العالية أحد شعراء العصر بالديار المصرية أبقاه الله تعالى إلى الوزير العلامة فخر الدين بن مكانس تغمده الله بالرحمة يقبل الأرض التي شاقه ترابها المواطئ الفخرية فزاد عجابا وقال المسك يا ليتني كنت ترابا وينهي أنه أقبل على المطالعة والباقي من العشر ليال خمس واستهدى بنجوم فوائدها حين قامت الشمعة بوظيفة الشمس واستدعى أعوانا من السهر فتخاذلت

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ١٤٩/١

عنه أعوانه وخشي من غلبة النوم فتغلب عليه سلطانه ولما أغفى على وجه الكتاب لعبت الشمعة بلسانها وتناولت طرف شاشة بيد نيرانها فهب المملوك وأخمد منها ما تصاعد من الأنفاس وقابلها على حرق الشاش بقطع الرأس.

أني جلست بشمعة موقودة ... لأطالع الأسفار للتسبيح

فتناولت شاشي أوائل نارها ... وتمكنت منه بمر الريح

من قبل حرق الشاش كنت مطالعا ... في الكتب صرت مطالعا في الروح

وقد توسلت بهذه الرسالة المدونة في باب المنظوم والمنثور ومددت يد سؤلي إلى طلبي ساشا مقصورا وأرجو أن يجمع لي بين الممدود والمقصور أبقاك الله للأولياء الذين يحبون وجودك ويستمطرون كرمك وجودك.

وقال مجير الدين بن تميم وقد مر بدار بعض أصحابه ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره:

لما أزرتك شمعتي لتنيرها ... جاءت تحدث عن سراجك بالعجب

وافتك حاسرة فقبل رأسها ... فأعادها نحوي بتاج من ذهب

حكى أن مجير الدين الخياط الدمشقي كان يتعشق غلاما من أولاد الجند فشرب في بعض الليالي وسكر فوقع في الطريق فمر الغلام عليه وهو راكب فرآه في الليل مطروحا فوقف عليه بالشمعة ونزل فأقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على خده ففتح عينيه فرأى الغلام على رأسه فاستيقظ من سكرته وأنشد مرتجلا:

يا محرقا بالنار وجه محبه ... مهلا فإن مدامعي تطفيه

أحرق بها جسدي وكل جوارحي ... واحذر على قلبي فإنك فيه

وأما الفانوس فمن احسن ما سمع فيه قول مجير الدين بن تميم:

انظر إلى الفانوس تلق متميا ... ذرفت على فقد الحبيب دموعه

يبدو تلهب قلبه لنحوله ... وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال:

أبدي اعتذارا لنا النفوس حين بدا ... في حالة من هواه ليس ينكرها

رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه ... نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

وقال الوجيه المناوي:

كأنما الليل وفانوسنا ... يجلو دجى الظلمة للحس

لجة بحر قد طما موجه ... تسبح فيه كرة الشمس

وقال شهاب الدين بن أبي جحلة مضمنا:

وكأنما الفانوس نجم نير ... منع الظلام من الهجوم طلوعه

أو عاشق أجرى الدموع بحرقة ... من حر نار قد حوته ضلوعه

وله مضمنا أيضا:

وباكية من غير حزن بأدمع ... تذوب بها أحشاؤه، حيت تنهمل

دموعا إذا ردت إليها بكت بها ... ولم ار دمعا غيره رد في المقل

وله فيه مضمنا:

يحكى سناص الفانوس من بعد لنا ... برق تالق موهنا لمعانه." (١)

"الكتاب في النهر١، فأنشد أبو القاسم بن العريف٢ في ذلك:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك الحاضرون، فقال صاعد مرتجلا:

عاد إلى معدنه، إنما ... توجد في قعر البحار الفصوص٣

وكان خليعا مولعا بالشراب واللعب، فلم يؤخذ عنه العلم. مات سنة ٤١٠ ٤.

---

١ روت هذه الحادثة كثير من المصادر. ومنها بغية الملتمس ص٣١٩، وفي خزانة القرويين نسخة مخطوطة منه أصابها بقع ماء، إلا أنها نسخت سنة ٩٦٩. انظر "مجلة معهد المخطوطات. المجلد الخامس. الجزء الأول ص١٢".

٢ ترجم له المصنف برقم ١١٤.

٣ هذه الرواية توافق رواية ياقوت في معجم الأدباء.

وفي "أ": "في أقعر البحار" تصحيف.

وروايته في وفيات الأعيان وبغية الوعاة:

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٣٩

عاد إلى معدنه، إنما ... تخرج من قعر البحار الفصوص

٤ وفاته في معجم الأدباء ووفيات الأعيان سنة ٤١٧، وفي الفلاكة والمفلوكون مثل ذلك زيادة: بصقلية وعدة ابن العماد في الشذرات في وفيات الأعيان سنة ٤١٧ أيضا. وعند القفطي سنة ٤١٩.." (١)

"فعند ذلك ذهب روعي، وقوي روعي «١» ؛ وقلت: فهل له أتباع من الكتاب فأتعلق بحبالهم، وأتأسى بهم في أقوالهم وأفعالهم؟ لكي أتسم بسمة الكتاب، وأثبت في جملة غلمان الباب، قال: أجل! رأس الدست الشريف صنوه الكريم، وقسيمه في حسبه الصميم؛ به شد عضده، وقوي كتده «٢» ، فاجتمع الفضل له ولأخيه، وورثا سر أبيهما «والولد سر أبيه» ؛ ثم كتاب ديوان الإنشاء جنده وأتباعه، وأولياؤه وأشياعه؛ وكتاب الدست منهم أرفع في المقام «٣» ، وكتاب الدرج أجدر بالكتابة وصنعة الكلام.

قلت: القسم الثاني أليق بمقداري، وأقرب إلى أوطاري؛ ثم ودعت صاحبي شاكرا له على صنيعه وحامدا له على أدبه، وتركته ومضيت وكان ذلك آخر العهد به؛ ثم عدت إليه هو فرفعت إليه قصتي، وسألته الإسعاف بإجابة دعوتي، فقابلها بالقبول، وأنعم بالمسؤول، وقررني في كتابة الدرج الشريف، واكتفى بالعرف عن التعريف؛ وطابق الخبر الخبر، واستغنيت بالعيان عن الأثر؛ ثم قمت عجلا، وأنشدت مرتجلا:

إذا ما بنو الفاروق في المجد أعرقوا، ... ونالوا بفضل الله ما لا كمثله

وجلت دجى الظلماء أنوار بدرهم، ... وعمت بقاع الأرض أنواء فضله

تعالت ذرى العلياء فيهم وأنشدت: ... أبى الفضل إلا أن يكون لمثله!

ثم تشرفت بتقبيل يده، ومضيت إلى ما أنا بصدده؛ قد منعتني هيبتي من اللياذ به والقرب إليه، وصيرت عاطر مدحي وخالص أدعيتي وقفا عليه؛." (٢)

"وغبر، وشاع ذكره واشتهر، من ذوي المراتب العلية، والمناصب السنية، من يساوي هذا السيد الجليل فضلا! أو يدانيه في المعروف قولا وفعلا؛ قد لبس شرفا لا تطمع الأيام في خلعه، ولا يتطلع الزمان إلى نزعه، وانتهى إليه المجد فوقف، وعرف الكرم مكانه فانحاز إليه وعطف، وحلت الرآسة بفنائه فاستغنت به عن السوى، وأناخت السيادة بأفنائه فألقت عصاها واستقر بها النوى، فقصرت عنه خطا من يجاريه، وضاق عنه باع من يناويه، واجتمعت الألسن على تقريضه فمدح بكل لسان، وتوافقت القلوب على حبه فكان له بكل قلب مكان:

---

(١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة الفيروزآبادي ص/١٥٧

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٤٤/١٤

ولم يخل من إحسانه لفظ مخبر ... ولم يخل من تقريظه بطن دفتر!

فهو الحري بأن يكتب بأقلام الذهب جميل مناقبه، وأن يرقم على صفحات الأيام حميد مطالبه؛ فلا يذهب على ممر الزمان ذكرها، ولا يزول على توالي الدهور فخرها.

ولما تم للعلوم هذا الاجتماع الذي قارن السعد جلاله، وتفجرت ينابيع الفضل خلاله، أقبلوا بوجوههم على الشعر معاتبين، وبما يلزمه من تقريض هذا الحبر ومدحه مطالبين، وقالوا: قد أتى النثر من مدحه بقدر طاقته، وإن لم يوف بجليل قدره ورفيع مكانته، فلا بد من أن تختم هذه الرسالة بأبيات بالمقام لائقة، ولما نحن فيه من القضية الواقعة مطابقة، قائمة من مدحه بالواجب، سالكة من ذلك أحسن المسالك وأجمل المذاهب، لتكمل هذه الرسالة نظما ونثرا، وتفتن في صناعة الأدب خطابة وشعرا، فقال: سمعا وطاعة، واستكانة وضراعة؛ ثم لم يلبث أن قام عجلا، وأنشد **مرتجلا**:

بشراكم معاشر العلوم أن ... جمعتم بصدر حبر كامل!

فنونه لم تجتمع لعالم ... وفضله لم يكتمل لفاضل!

يشفي الصدور إن غدا مناظرا ... وبحثه فزينة المحافل!

كم عمرت دروسه من دارس ... وزينت بحليها من عاطل!." (١)

"الجملة الأولى (في أصل التسمية والمقصود منها، وتنويع الأسماء، وما يستحسن منها، وما يستقبح)

أما أصل التسمية فهي لا تخرج عن أمرين:

أحدهما أن يكون الاسم **مرتجلا**: بأن يضعه الواضع على المسمى ابتداء، كأدد اسم رجل، وسعاد اسم امرأة، فإنهما ليسا بمسبوقين بالوضع على غيرهما، والرجوع في معرفة ذلك إلى النقل والاستقراء.

والثاني أن يكون الاسم منقولا عن معنى آخر، كاسد إذا سمي به الرجل نقلا عن الحيوان المفترس، وزيد إذا سمي به نقلا عن معنى الزيادة وما أشبه ذلك.

وهذا هو أكثر الأسماء الأعلام وقوعا، والرجوع في معرفته إلى النقل والاستقراء أيضا كما تقدم في المرتجل.

وأما المقصود من التسمية، فتمييز المسمى عن غيره، بالاسم الموضوع عليه ليتعرف.

وأما تنويع الأسماء، فيختلف باختلاف المسمين وما يدور في خزائن خيالهم مما يألفونه ويجاورونه ويخالطونه.

فالعرب- أكثر أسمائهم منقولة عما لديهم مما يدور في خزائن خيالهم إما من أسماء الحيوان كبكر: وهو

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٦٢/١٤

ولد الناقة، وأسد: وهو الحيوان المفترس المعروف، وإما من أسماء النبات كحنظلة: وهو اسم لواحدة الحنظل الذي هو النبات المعروف من نبات البادية، وطلحة: وهو اسم لشجرة من شجر الغضى، وعوسجة: وهم اسم لشجرة من شجر البادية. وإما من أجزاء الأرض كحزن: وهو الغليظ من الأرض، وصخر: وهو الصلد من الحجارة. وإما من أسماء الزمان." (١)

"المسك في نعمه، متسرع إليه تسرع مواهبه إلى وفود حرمه. وتوضح للعلم الكريم.

الثالث- ولا زالت العفاة تلتحف بنعمائه، وتنتجع مساقط أنوائه، وتستضيء منه بأشرق شمس طلعت من الملك في سمائه؛ أصدرناها وثناؤها يسابق عجلا، ومدائحها تجيد ترويا **ومرتجلا**؛ وشكرها لو رصع مع الجواهر لأقام عذر الياقوت إذا اكتسى خده الحمرة خجلا، وتوضح للعلم الكريم.

قلت: وعلى نمط هذه الصدور يجري الكاتب فيما يكتبه إلى صاحبها مناسبا لحاله ولقبه بحسب ما يقتضيه الحال من المناسبات.

وهذه نسخة كتاب، كتب به إلى الملك «الصالح شرف الدين محمود بن «١» الصالح صالح» ، جوابا عما ورد به كتابه: من وفاة والده المنصور أحمد. نقلتها من مجموع بخط القاضي تقي الدين ابن ناظر الجيش وهو:

أعز الله تعالى نصرة المقر الكريم، إلى آخر ألقابه- ولا زال الملك باقيا في بيته الكريم، والفلك جاريا بإظهار شرفه العميم؛ وأعظم له الأجر في أكرم ملك انتقل إلى جنات النعيم، وهنأه بما أورثه من ذلك المحل الأسنى الذي هو الأولى فيه بالتقديم؛ وضاعف لسلطانه الصالح علو جده، بما منحه من ملكه الموروث عن المنصور أبيه والصالح جده، وبما خصه من إقبالنا الشريف وإحساننا المستديم. أصدرناها معربة عن الود الثابت الصميم؛ مهنئة له بقيامه بأمور مملكته التي تجملت بمحمود صفاته ومن سلف من أسلافه في الحديث والقديم، مبدية لعلمه الكريم أن مكاتبته الكريمه، ومخاطبته التي فضحت من الدر نظيمه، وردت على أبوابنا الشريفة على يد فلان فأقبلنا عليها، وألفتنا وجه الكرامة إليها، وعلمنا ما تضمنته من استمساك المقر الكريم بأسباب الوداد، وإقتفائه في ذلك سبيل الآباء والأجداد؛ وما شرحه في معنى ما قدره الله تعالى من وفاة والده طاب ثراه، مستمرا." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥/٤٠٠

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٧/٢٩٠

"{إن شانئك هو الأبتر} ١ أقول قولي هذا وأستغفر الله من الشرف وخيلائه، والفخار وكبريائه، وأتوكل على الله فيما حكم، وأسأله التدبير فيما جرى به من القلم، ثم أكتفي بما ذكره من أدواته، وجلس على كرسي دواته، متمثلا بقول القائل:

قلم يفل الجيش وهو عرموم ... والبيض ما سلت من الأغماد٢

وهبت له الآجام حين نشابها ... كرم السيول وضولة الآساد٣

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا، وتلمظ٤ لسانه للقول **مرتجلا**، وقال: {بسم الله الرحمن الرحيم ... وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز} ٥ الحمد لله الذي جعل الجنة تحت ظلال السويف، وشرع حدها في ذوي العصيان فأغصتهم بماء الحتوف، وشيد مراتب الدين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص٦ وعقد مرصوف٧، وأجناهم من ورق حديدها الأخضر ثمار نعيمها الدانية، وصلى الله على سيدنا محمد هازم الألوف، وعلى آله وصحبه الذين طالما محوا بريق بريق الصوارم سطور الصفوف، صلاة عاطرة في الأنوف، حالية بها الأسماع كالشنوف٨، وسلم.

أما بعد، فإن السيف زند الحق الوري وزنده القوي٩ وحده الفارق بين الرشيد والغوي، والنجم الهادي إلى العز وسبيله، والثغر الباسم عن تباشير فلوله، به أظهر الله الإسلام وقد جنح خفاء، وجلى شخص الدين الحنيفي وقد جمح جفاء، وأجرى سيوفه بالأباطح، فأما الحق فمكث والباطل فذهب جفاء١٠، وحملته اليد الشريفة النبوية، وخصته على الأقلام بهذه المزية، وأوضحت به للحق منهاجا، وأطلعته في ليالي النقع والشك سراجا وهاجا، وفتحت باب الدين بمصباحه حتى دخل فيه الناس أفواجا، فهو ذو

---

١ الكوثر، ١٠٨/ ٣ والأبتر: هو من لا عقب له ولا ذرية من الذكور.

٢ عرمرم: الجيش الكبير الجرار، البيض: السيوف، سلت: سحبت وهيئت للقتال. والأغماد: جمع مفرده غمد وهو موضع السيف.

٣ الآجام: جمع مفرده أجمة وهو التلة إذا كثر فيها الشجر والتف، نشا: ترخيم نشأ، الصولة: السطوة.

٤ تلمظ: اللسان، خرج من مكانه وتحرك.

٥ الحديد، ٥٧/ ٢٥.

٦ مرصوص: متماسك.

٧ مرصوف: منظم.

٨ الشنوف: الأقراط أو الحلق الذي تتزين به الفتاة.

٩ الزند: القادح للنار وموصل الذراع بالكف، الوري: الذي خرجت ناره.

١٠ الجفاء: ما يقذف به السيل من غثاء وزبد، أي لا فائدة فيه.." (١)

"تلقاه مثلي رقة ونحافة ... ولأجل قلبك لا أقول عليلا

فهو الرسول إليك مني ليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

خطاب مثل هذا الولد لمثل هذا الوالد، بقوله: ولأجل قلبك لا أقول عليلا، فيه ما يفتت الأكباد، ويحرك الجماد، سبحان المانح! إن من البيان لحسرا.

ومن غراميات والده القاضي محي الدين، في باب الانسجام:

لا آخذ الله بندك ... فكم وشى بي عندك

وقال عني بأني ... شبهت بالغصن قدك

وأنت تعظم عندي ... أن يمسي البدر عبدك

وليست والله أرضى ... أن يحكي الورد خدك

فقاتل الله طرفي ... فكم به نلت قصدك

ولا ر عى الله قلبي ... فكم رعى لك عهدك

فمن ترى أنا حتى ... جعلت صدري وكدك ١

وما عشقتك وحدي ... بل عشقتك وحدك

وكم أطعتك جهدي ... وكم تجنيت جهدك

وبعد هذا وهذا ... وذاك لا ذقت فقدك

ويعجبني في هذا الباب رشاقة ناصر الدين بن النقيب، بقوله:

سلك الشوق بقلبي ... بعدكم صعب المسالك

ورمى قلبي بنيرا ... ن ولا نيران مالك

هذه بعض صفاتي ... طالع العبد بذلك

وأظرف ما رأيت في باب الانسجام الغرامي المرتجل، ما أورده صاحب "روضة الجليس ونزهة الأنيس" ذكر أنه كان بأفريقية رجل نبيه شاعر مفلق، وكان يهوى غلاما من غلمانها جميلا، فاشتد كلفه به، وكان الغلام

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢٣٢/١

يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا، فانفرد بنفسه ليلة جمع فيها من سلاف الراح وسلاف الذكر، فتزايد به الوجد وقام على الفور، وقد غلب عليه السكر، مشى إلى أن انتهى إلى باب محبوبه ومعه قبس نار، فوضعه عند باب الغلام، فلما دارت النار بالباب بادر الناس بإطفائها واعتقلوه، فلما أصبحوا نهضوا به إلى القاضي فأعلموه بفعله. فقال له القاضي: لأي شيء أحرقت باب هذا الغلام؟ فقال **مرتجلا:**

---

١ جعله وكده: أي جعله همه وقرر أن ينفذ شيئا حياله.." (١)

"وقولي:

سجدت جفوني هيبة لما بدا ... محراب حاجبه بغير حجاب

الله أكبر وهو يغزو مهجتي ... حربا ولم أخرج عن المحراب١

وقولي:

طلبت منه قبلة فقال لي ... وقد بدا يشرع في الإعراض

نسيت فعل سيف لحظي قلت لا ... يا قاتلي وكيف أنسى الماضي

وقولي:

قيل لي لما عرتني شدة ... وتناءى فرج عني مده

يا أخا الأشواق ماذا تبتغي ... قلت أبغي فرجا من بعد شده

وقولي:

مذ جفاني ممرض القلب ولم ... ألق في الضعف وفي الكسر انجبارا

قلت للعارض يا آسي إذا ... درت داري ممرض القلب فدارا

وقولي:

طلبت تقبيل من أحب وقد ... أنكرت في الخد نقطة حسنه

فرق لي قلبه وقال إذا ... قبلت خدي لا تنكر الحسنه

وقولي موريا ومضمنا:

حثثت عزمي شوقا إليكم ... فلم أطق مكثه بأرض

وحيث لم أحظ بالتلاقي ... فغايتي أن ألوم حظي

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ١/٤٤٥

وقولي:

جاء بصبح ثغره مبتسما ... يمشي بليل الشعر في دلال

قلت له دمت لقلبي هكذا ... ما دامت الأيام والليالي

وقولي مرتجلا في جبهة دمشق، من دو بيت:

لما ملأ الجبهة بالأنوار ... لمناه على ذلك خوف العار

قال انصرفوا سئمت من بلدتكم ... والجبهة من منازل الأقمار

وقولي:

مذ أظهر ورده لنا ريحانه ... ناديت لتلك المقلة الكسلانه

قد دب عذاره على وجنته ... قومي انتبهي قالت أنا نعسانه

وقولي:

أحببته متأدبا ونظمت في ... حسن ابتدائي فيه نظم المرقص

وأشار في حسن الختام أجبته ... حسن الختام يكون بعد تخلصي

---

١ المحراب: مكان العبادة.." (١)

"رسالة القوس وهو صورة مركبة، وليس لها من تركيب النظم، إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم.

"ومن ذلك" ما أورده الشيخ جمال الدين بن نباته من الاقتباسات البديعية، في رسالة السيف والقلم، فرقى الأنامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه في خلعة سواده، والتفت إلى السيف فقال: {بسم الله الرحمن الرحيم، ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون} ١. الحمد لله الذي علم بالقلم، وشرفه بالقسم، وخط به ما قدر وقسم، وصلى الله على سيدنا محمد القائل: "جف القلم بما هو كائن"، وعلى آله وصحبه ذوي المجد البين وكل مجد بائن، صلاة واضحة السطور، فاتحة أدراج الصدور، ما نقلت عن صحائف البحار غواديها، كتبت أقلام النور على مهارق الرياض حكمة باريها.

أما بعد: فإن القلم منار الدين والدنيا، وقصبة سباق ذوي الدرجة العليا، ومفتاح باب اليمن المجرب إذا أعيى، وسفير الملك المحجب، وعذيق الملك المرجب٢، وزمام أموره السائرة، وقادمة أجنحته الطائرة،

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ٢/٢٣٣

وأنملة الهدى المشيرة إلى ذخائر الدنيا والآخرة، به رقم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل، وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– التي تهذب الخواطر والخواطل٣. فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة، وحسبه ما جرى على يده الشريفة من منه، إن نظمت فرائد العلوم فالقلم سلكها، وإن علت أسرة الكتب فإنما هو ملكها. هذا، وهو الجاري بما أمر الله به من العدل والإحسان، والمسود الناظر فكأنما هو ملكها. هذا، إنسان، طالما قاتل على البعد والصوارم في القرب، وأوتي من العجزات نوعا من النصر والرعب، لا يعاديه إلا من سفه نفسه، ولبس لبسه، وطبع على قلبه، وفل الجدال من غربه، وكيف يعادي من إذا كرع من نفسه٤. فقل: {إنا أعطيناك الكوثر} ٥ وإذا ذكر شانئه فقل: {إن شانئك هو الأبتر} ٦. فعند ذلك نهض السيف عجلا، وتلمظ لسانه للقول **مرتجلا**، وقال: {بسم الله الرحمن الرحيم ... وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز} ٧.

١ القلم: ٦٨/ ١، ٢.

٢ العذيق: الذكي اللبق. والمرجب: المبجل، المعظم والمهيب.

٣ الخواطل: جمع خاطل من الخطل وهو خطأ الرأي، والخواطر بمعنى الآراء.

٤ النقس: المداد.

٥ الكوثر: ١٠٨/ ٣.

٦ الكوثر: ١٠٨/ ١.

٧ الحديد: ٥٧/ ٢٥.." (١)

"خط حسن واقتدار على النظم وأحكام لبعض الصناعات واتصل بابن سلطان المغرب وارتسم من جملة الكتاب له فارتاش وحسنت حاله وجرت بينه وبين أبي الحجاج المتسافري مكاتبات ومطارحات لما دخل رندة قال وكان أبو الحجاج معمرا أديبا فقيها قال فخاطبته بقولي **مرتجلا**

(لا تجزعي نفسي لفقد معاشري ... وذهاب مالي في سبيل القادر)

(في رندة ما أنت حبر بلاده ... وبها أبو حجاجها المتسافري) قال فأجابني **ارتجالا**

(بشراي يا قلبي المشوق وناظري ... لمزار ذى الشرف السني الطاهر) وهي طويلة قلت ورحل المذكور إلى المشرق فحج ثم زار بيت المقدس فاستوطنه ولقيه المحدث برهان الدين ابن العجمي وحمل عنه من نثره

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٤٦٤/٢

ونظمه ومات في حدود التسعين وسبعمائة

١٨٨٩ - محمد بن محمد بن علي بن سودة أبو القاسم قال ابن الخطيب من نبهاء بيوتات الأندلس وتولع هو بالعلوم العقلية وقرأ على الشريف أبي عبد الله العلوي ومهر في الطب وتصدر للعلا ج ونظم الشعر

١٨٩٠ - محمد بن محمد بن علي بن عبد الحميد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن أحمد بن أبي بكر الحميري المقدسي الفندقي الحنبلي شمس الدين سمع من." (١)

"خديما حتى لقد سمعت بقراءته بدمشق على ابن مؤمن وابن الواسطي قطعة كبيرة من المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني وربما قرأت عليه وعلى ابن الواسطي شيئا مما اشتركا فيه من الروايات العراقيات عن عمر بن كرم والسهروردي وأمثالهما ثم قال: ولم يرزق في سماعه القديم حصولا على الغرض ولا وصولا إلى العالي بطريق العرض ومع ذلك فكانت عنده فوائد غريبة ومرويات من العوالي كثيرة، إلى أن قال: وكان في التذكير مقدما وبالمواعظ الحسنة معلما تنسلي١ إليه معاني الأدب في مواعظة وغيرها من كل حدب، سجية عراقية تمازج النسيم وتعطر أسحارها من أشجارها على كل شميم يرتجلها كيف يشاء ولا يؤجل الأشياء، ناولته يوما استدعاء إجازة ليكتب عليه فكتب مرتجلا:

أجزت لهم رواية كل شيء ... سماعا كان لي أو مستجازا

وما نوولته أيضا إذا ما ... توخوا في روايته احترازا

وما قد قلته نظما ونثرا ... فقد أضحى الجميع لهم مجازا

وكان -رحمه الله تعالى- كبير الإيثار لا يبقى معه درهم ولا دينار، بلغني أن تاجرا يعرف بابن السويقي كان يبعث إليه كل عام ألف دينار فيفرقها في أيسر زمان ينفقها قبل أن تستقر في الفقراء والإخوان، إلى أن قال: ولم يزل على منهاج ليس له من هاج حتى مضى لسبيله وقضى -ولم يترك مثله في جيله- وذلك في مستهل ذي الحجة سنة أربع وتسعين وستمائة بواسط القصب من أرض العراق -رحمه الله تعالى.

أخبرنا الشيخ المسند بدر الدين أبو عبد الله محمد بن حسن بن علي القرشي وشافهتني المسندة أم الخير رقية بنت يحيى بن عبد السلام بطابة٢ أن الحافظ أبا القاسم محمد بن محمد بن محمد أباح لهما قال: أخبرنا الإمام أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر الواسطي بقراءتي عليه قال: أخبرنا الإمام أبو حفص عمر بن محمد السهروردي وجماعة سماعا وأبو الفضل محمد بن محمد بن الحسن السباك وغيره إجازة ح وشافهنا عاليا بدرجة المعمر مسند الآفاق إبراهيم بن محمد أبو إسحاق عن أحمد بن أبي طالب٣ سماعا

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٤٦٦/٥

قال:

---

١ قال الطهطاوي: والصواب "تنسل" أي تسرع كما في قوله تعالى: {وهم من كل حدب ينسلون} أي يسرعون من موضع مرتفع.

٢ طيبة وطابة من أسماء مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم- معجم البلدان.

٣ هو المسند المشهور أبو العباس الحجار الديرمقرني نسبة إلى دير مقرن قرية على ظهر عين الفيجة بوادي بردى من أعمال دمشق لا إلى دير مقري مسجد بضواحي صالحيتها كما توهمه أبو المفاخر عبد القادر بن محمد النعيمي وضبطه بالديرمقري ثم الصالحي الحنفي الشهير بابن الشحنة ذكره الحافظ الشمس ابن طولون في سند البخاري من الفهرست الأوسط له.." (١)

"وكبر العمامة قليلا، وشهد له أهل العلم والدين بأنه من قضاء العدل، وكان ذا أوراد وعبادات، وحج مرات، فمات في آخرها بالمدينة ثالث عشر ذي القعدة، سنة ست وعشرين وسبعمائة، ودفن بالبقيع.

٤٥١ - محمد بن مسعود الماليني الهروي أبو يعلى النحوي اللغوي الأديب

قال ابن مكتوم: عارف بالنحو واللغة وكان ينتحل مذهب الكرامية - فيما قيل - ودخل عليه الفخر الرازي، فعتب عليه لانقطاعه عنه، فاعتذر **مرتجلا:**

(مجلسك البحر وإني امرؤ ... لا أحسن السبح فأخشى الغرق)

وقال ابن النجار: شيخ فاضل، حسن المعرفة باللغة والأدب، كرامي المذهب، أنشد لنفسه:

(ماذا تؤمل من زمان لم يزل ... هو راغب في خامل عن نابه)

(نلقاه ضاحكة إليه وجوهنا ... ونراه جهما كاشرا عن نابه)

(فكأنما مكروه ما هو نازل ... عنه بنا هو نازل عنا به)

قال: وأنشدني لنفسه:

(دع الحرص وانظر في تمتع قانع ... لتفريق إرث كان ذو الحرص جامعه)

---

(١) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ابن فهد ص/٦١

)وشاهد ذبابا ساقها الحرص طعمة ... إلى عنكبوت تلزم البيت قانعه)

٤٥٢ – محمد بن مصطفى بن زكريا بن خواجا بن حسن الدوركي الصلغري فخر الدين الحنفي النحوي قال أبو حيان في النضار: كان عالما بالعربية، أخذنا عنه، وكان يعرف التركية والفارسية إفرادا وتركيبا.." (١)

"وكان من المنتظر أن يكون الكتاب بهذه السرعة مرتجلا خفيف الوزن ولكنه برغم ذلك كله فإنه كتاب قيم ممتع يدل على سع إطلاع وبعد في التاريخ ولذا فلا نخشى إن ادعينا أنه من المصادر القيمة في بابه ويؤكد هذا المعنى ما قاله بعض الكتاب عنه " وظني انه لم يصنف في مثله مثله ولم يوجد في بابه نظيره " (١) ورغم أن الكتاب طبع مرة واحدة في المطبعة الوهبية بمصر في عام ١٢٨٣ هـ في مجلدين عدد صفحاته ٧١٢ صفح بقطع الوسط فقد ترجم إلى الفرنسي – نظرا لأهميته – قام بترجمته الأستاذ هنري سوفار وطبع في باريس عام ١٨٧٦ م (٢) وصرحت بعض المصادر بوجود نسخ مخطوط من هذا الكتاب في أكثر مكاتب أوروبا وكذلك توجد منه نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية تقع في ٤٤٠ صفح (٣) ولقد مر عل طبع الكتاب قرن واحد ونفذ من الأسواق في ظرف هذه المد الطويلة لهذا فكر الأخ الفاضل الشيخ محمد كاظم الكتبي أن يعيد طبعه ثاني في سلسل مطبوعات (مكتبة الحيدرية) وبصورة بسيطة ليوفره لدى المسلمين نظرا لما للكتاب من أهمي خاصة بالنسبة لمدينة القدس في الوقت الحاضر وهي تمر بدون خطير قد وضع الصهاينة الغاصبون يد الاحتلال على معالم هذه المدينة المقدسة قبلة المسلمين الأولى ومهبط الوحي ومثوى الأنبياء

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ١٦٨ / هامش

(٢) معجم المطبوعات ٣٥ {٣) تاريخ آداب اللغة العربية ١٩٨ / ٣." (٢)

"وقولهم: بضع عشر سنة. البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر. وقيل: بل هو ما دون نصف العقد. وقد انزوى القول الأول إلى النبي صلى الله عليه وسلم، في تفسير قوله تعالى: (وهم من بعد غلبهم سيغلبون* في بضع سنين) ، وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل

---

(١) بغية الوعاة السيوطي ٢٤٦/١

(٢) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٢١/١

كتاب، وكان المشركون يميلون إلى أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان، فلما بشر الله تعالى المسلمين بأن الروم سيغلبون في بضع سنين، سر المسلمون بذلك، ثم إن أبا بكر رضي الله تعالى عنه بادر إلى مشركي قريش، فأخبرهم بما له مدة الثلاث سنين، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله كم البضع، فقال، ما بين الثلاث إلى العشر. فأخبره بما خاطر به أبي بن خلف. فقال: " ما حملك على تقريب المدة؟ "، فقال: الثقة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " عد إليهم فزدهم في الخطر وازدد في الأجل ". فزادهم قلوصين، وازداد منهم في الأجل سنتين، فأظفر الله تعالى الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني، تصديقا لتقدير أبي بكر رضي الله عنه.

وكان أبي قد مات من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " تصدق به " وكانت المخاطرة بينهما قبل تحريم القمار.

وقيل: الذي خاطر أبا بكر رضي الله عنه إنما هو أبو سفيان، والأول أصح.

كذا في " الوافي بالوفيات " للصلاح الصفدي، رحمه الله تعالى.

باب

في بيان العلم، والكنية، واللقب، وكيفية ترتيب

ذلك مع النسبة على اختلافها المتنوع

اعلم أن الدال على معين مطلقا إما أن ييكون مصدرا باب أو أم كأبي بكر، وأم كلثوم، وأم سلمة، وإما أن يشعر برفعة المسمى، كملاعب الأسنة، وعروة الصعاليك، وزيد الخيل، والرشيد، والمأمون، والواثق، والمكتفي، والظاهر، والنصر، وسيف الدولة، وعضد الدولة، وجمال الدين، وعز الدين، وإمام الحرمين، وصدر الشريعة، وتاج الشريعة، وفخر الإسلام، وملك النحاة، وإما أن يشعر بضعة المسمى كجحى، وشيطان الطاق، وأبي العبر، وجحظة، وقد لا يشعر بواحد منهما، بل أجرى عليه ذلك بواقعة جرت، مثل: غسيل الملائكة، وحمى الدبر، ومطين، وصالح جزرة، والمبرد، وثابت قطنة، وذي الرمة، والصعق، وصردر، وحيص بيص.

فهذه الأقسام الثلاثة تسمى الألقاب.

وإلا فهو الاسم الخاص، كزيد وعمرو، وهذا هو العلم، وقد يكون مفردا كما تقدم، وقد يكون مركبا، إما من فعل وفاعل كتأبط شرا، وبرق نحره، وإما من مضاف ومضاف إليه كعبد الله، أو من اسمين قد ركبا وجعلا بمنزلة اسم واحد كسيبويه، والمفرد قد يكون **مرتجلا**، وهو الذي ما استعمل في غير العلمية، كمذحج وأدد،

وقد يكون منقولا، إما من مصدر؛ كسعد، وفضل، أو من اسم فاعل؛ كعامر، وصالح، أو من اسم مفعول؛ كمحمد، ومسعود، أو من أفعل تفضيل؛ كأحمد، وأسعد، أو من صفة؛ كثقيف وهو الدرب بالأمور الظافر بالمطلوب، وسلول، وهو الكثير السل، وقد يكون منقولا من اسم عين؛ كأسد، وصقر، وقد يكون منقولا من فعل ماض؛ كأبان وشمر، أو من فعل مضارع؛ كيزيد، ويشكر.

وإذ قد عرفت العلم، والكنية، واللقب، فسردها يكون على الترتيب: تقدم اللقب على الكنية، والكنية على العلم، ثم النسبة إلى البلد، ثم الأصل، ثم إلى المذهب في الفروع، ثم إلى المذهب في الاعتقاد، ثم إلى العلم، أو الصناعة، أو الخلافة، أو السلطنة، أو الوزارة، أو القضاء، أو الإمرة، أو المشيخة، أو الحج، أو الحرفة، كلها مقدم على الجميع.

فتقول في الخلافة: أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامري، إن كان بسر من رأى، البغدادي، فرقا بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس، الحنفي الأشعري، إن كان يتمذهب في الفروع بفقه أبي حنيفة، ويميل في الاعتقاد إلى أبي الحسن الأشعري، ثم تقول: القرشي، الهاشمي، العباسي.

وتقول في السلطنة: السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي - نسبة إلى أستاذه الملك الصالح - التركي الحنفي البندقدار، أو السلاح دار.

وتقول في الوزراء: الوزير فلان الدين أبو كذا، وتسرد الجميع كما تقدم، ثم تقول: وزير فلان.." (١)

"وله شعر رقيق، ولكنه قليل، منه ما أنشدنا إياه **ارتجالا**، ونحن بحضرته، وهناك مسمع حسن النغمة، قبيح الصورة، وهو:

يالقومي من مغن ... لحنه للوجد معرب

وجهه وجه قبيح ... فهو في الحالين مطرب

ومنه قوله، وقد ذكر عنده أن أناسا وجه لهم بعض المناصب العلية، وأن التوجيه كان لهم ببدلهم لا بفضلهم، فأنكر ذلك، وقال **مرتجلا** بيتا مفردا، وهو:

يقولون بالفضل المناصب أعطيت ... فقلت نعم لكن بفضل الدراهم

وقد مدحه كثير من شعراء عصره، وأطنبوا في مدحه وشكره، ومنهم بل من أجلهم، الشيخ الفاضل العلامة عماد الدين بن عماد الدين الدمشقي الحنفي، مدحه مكاتبة بقصيدة، قالها في ليلة واحدة، وأرسلها إلى حضرته الشريفة، في سنة ثمانين وتسعمائة، وهي هذه:

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٧

هل لصب قد هام فيك غراما ... رشفة من لماك تشفي السقاما

يا هلالا تحت اللثام وبدرا ... كاملا عند ما يميط اللثاما

وغزالا منه الغزالة غابت ... عند ما لاح خجلة واحتشاما

وبأوراقها الغصون توارت ... منه لما انثنى وهز قواما

لك يا فاتر اللواحظ طرف ... فتكه في القلوب فاق الحساما

ذابل وهو في الفؤاد رشيق ... ناعس أحرم الجفون المناما

ومحبا سبى بنمل عذار ... زمر الحب عند ما خط لاما

عجبا من بقاء خالك في الخد ... ونيرانه تؤج ضراما

ومن الفرع وهو فوق جبين ... مخجل الشمس كيف مد ظلاما

يا بديع الجمال يا مالك الحسن ترفق بمن غدا مستهاما

عبد رق ما حال عنك لواش ... نمق الزور في هواك ولاما

كم بكى طرفه إليك اشتياقا ... وقضى بالبكاء عاما فعاما

شاع في الناس حبه لك لما ... باح وجدا وحرقة وهياما

مثل ما شاع أن أحمد مولا ... نا بديع الزمان أضحى الإماما

واحد صح فيه جمع المعاني ... مفرد قد حوى الكمال تماما

وبه للعلوم شأو رفيع ... شامخ المجد للسماء تسامى

وهو في حلبة السباق مجل ... ومحل لكل أمر تعامى

كم جلا مشكلا وحل عويصا ... وكفى معضلا وأطفى أو ١ما

يا بديع البيان منطقك العذ ... ب المعاني فاق العقود نظاما

وإذا ما نثرت درا تمتت ... زهر الأفق أن تكون كلاما

حزت مجدا وسؤددا وعفافا ... وافتخارا ورفعة ومقاما

ألفت كفك المكارم حتى ... فقت كل الورى وفقت الكراما

فقت معنا بدلا وسحبان نطقا ... وحبيبا شعرا وسدت عصاما

وأخذت العلوم عن خير أصل ... لسماك السما غدا يتسامى

قد حوى المجد والكمال جميعا ... وامتطى غارب العلى والسناما

وهو أعلى الورى مقاما وأوفا ... هم عطاء جما وأرعى ذماما

يا رفيع الجناب يا حسن الوص ... ف ويا من فاق الورى إعظاما

عش قريرا بفرعك الشامخ الأص ... ل ولازم شكر الإله دواما

واقبلن بنت ليلة منك جاءت ... تتمنى قبولها إنعاما

وأتت تلثم التراب وتهدي ... لك مني تحية وسلاما

فتجاوز عنها بحلمك واسلم ... ما شدا بلبل وفاح خزامي." (١)

"وأنا وحبك لست أضمر سلوة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد

وألذ ما لاقيت منك منيتي ... وأقل ما بالنفس فيك أجود

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود

ومن لطيف شعره، ما كتب به إلى الملك المنصور إبراهيم، صاحب حمص، يستدعيخ إلى مجلس أنس، وذلك لما كانا نازلين ببيسان، حين كانا منفقين على حرب الصالح نجم الدين أيوب، صاحب مصر، وكان ذلك يوم عيد الفطر في زمان الربيع، وهو:

يا ملكا قد جمل العصرا ... وفاق أملاك الورى طرا

وفات في نائله حاتما ... وبت في إقدامه عمرا

وباكر العلياء فافتضها ... وكانت الناهدة البكرا

أما ترى الزهر وقد جاءنا ... مستقبلا بالبشر والبشرى

الصيد والنيروز في حالة ... والملك المنصور والنصرا

والأرض قد باهت به واغتدت ... تختال في حلتها الخضر

عبست السحب على نورها ... فراح ثغر النور مفترا

الصوم قد ولى بآلاته ... والفطر باللذات قد كرا

فانهض بلا نطل ولا فترة ... نرتشف المعسولة الخمرا

حيرية قد عتقت حقبة ... فأقبلت تخبر عن كسرى

واستجلها حمراء عانية ... تحسبها في كأسها تبرا

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٩٩

أو ذوب جمر حل في جامد ال ... ماء فألأقى فوقه درا

وبادر اللذات في حينها ... وقم بنا ننتهب العمرا

في روضة أترنجها ببانع ... يلوح في الأغصان مصفرا

كأنه قد لاح في دوحها ... وجه سماء أطلعت زهرا

واسلم ودم في عيشة رغدة ... تبلى على جدتها الدهرا

وقال شهاب الدين التلعفري الشاعر المشهور: اجتمعت ليلة بالملك الناصر داود، على شاطئ البحر بعسقلان، وقد طلع البدر وألقى شعاعه على البحر، فقال الملك الناصر **مرتجلا**:

يا ليلة قطعت عمر ظلامها ... بمدامة صفراء ذات تأجج

بالساحل النامي روائح نشره ... عن روضه المتضوع المتأرج

واليم زاه قد هدا تياره ... من بعد طول تقلق وتموج

طورا تدغدغه الشمال وتارة ... يكرى فتوقظه بنات الخزرج

والبدر قد ألقى سنا أنواره ... في لجه الم تجعد المتدبج

فكأنه إذ قد صفحة متنه ... بشعاعه المتوقد المتوهج

نهر تكون من نضار يانع ... يجري على أرض من الفيروزج

وقال أيضا:

يا راكبا من أعالي الشام يجذبه ... إلى العراقين إدلا ج وإسحار

حدثتني عن ربوع طالما قضيت ... للنفس فيها لبانات وأوطار

لدى رياض سقاها المزن ديمته ... وزانها رهر غض ونوار

شح الندى أن يسقيها مجاجته ... فجادها مفعم الشوبوب مدرار

بكت عليها الغوادي وهي ضاحكة ... وراحت الريح فيها وهي معطار

يا حسنها حين زانتها جواسقها ... وأيعنت في أعالي الدوح أثمار

فهي السماء اخضرارا في جوانبها ... كواكب زهر تبدو وأقمار

ومنها:

كرر على نازح شط المزار به ... حديثك العذب لا شطت بك الدار." (١)

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٢٧٦

"فقال هذا التشبيه لا يحسن فيه إلا عند طلوعه قبيل الفجر حالة نقصه وانتهائه فهات شيئا في ابتدائه

قلت قوله أيضا ... انظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر ...

قال فسكت ساعة خفيفة وانشد لنفسه في ذلك **مرتجلا** ... قد رأينا الهلال بالزرقاء ... ظاهرا للانام وقت العشاء

قلت للجابرى فهات مثالا ... فيه تزري بأفصح الشعراء

قال قد قيل زورق من لجين ... قد ترآى للناظرين بماء ...

ثم سكت نحو نصف ساعة وأنشد أيضا **مرتجلا** ... قال الشهاب الجابري تشبيها ... يماثل ذا الهلال السافر

فأجبته انظر إلى دورانه ... فلقد حكى في الأرض وقعة حافر ...

ثم قال الفقيه أحمد لو قال ... هو في السماء مدور ولقد حكى ... دورانه في الأرض وقعة حافر ...

لكان أحسن

قلت ولبعضهم أيضا فيه هذا التشبيه الحسن ... والبدر في وسط السماء كأنه ... وجه مضيء تحت قباء أزرق ...

وفيها أمر الوزير الكبير حسن باشا بعمارة قبة الشيخ الكبير والولي الشهير علي بن عمر الشاذلي صاحب المخا بمباشرة على شلبي أمير بندر المخا الحلبي فعمرها عمارة متقنة وجدد التابوتين وكساهما كسوة حسنة من الصوف الاخضر وكان ابتداء العمارة وختامها في سنة ألف من الهجرة النبوية ثم أمر الوزير حسن باشا بعمارة جامع كبير شرقي القبة وشاميها فبنى بناء أكيدا وتم ونصب فيه منبرا من الحجر الأخضر ثم بنيت له منارة عجيبة في غاية الطول والنحافة واللطف ثم صليت فيه الجمعة واستمرت فيه الخطبة وصلاة الجمعة والجماعة تقبل الله ذلك منه بمنه وكرمه ويمنه." (١)

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العَيْدَرُوس ص/٤١٥

"وأخذ عمن لقي هنالك من الشيوخ، فمشيخته متوافرة. وكان رفيقه في هذه الوجهة الخطيب أبو عبد الله بن رشيد، فتعاونا على هذا الغرض، وقضيا منه كل نفل ومفترض، واشتركا فيمن أخذا عنه من الأعلام، في كل مقام. وكانت له عناية بالرواية، وولوع بالأدب، وصبابة باقتناء الكتب، جمع من امهاتها العتيقة، وأصولها الرائقة الأنيقة، ما لم يجمعه في تلك الأعصر أحد سواه، ولا ظفرت به يداه.

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبي العاصي التنوخي، والخطيب أبو عبد الله بن رشيد تدبج معه، وابنه الوزير الكاتب الأديب الفاضل أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم، وغيرهم. ومدحه الكاتب العلامة أبو الحسن بن الجياب، ومن بديع ما مدحه به قصيدة رائية رائقة، يهنئه فيها بعيد الفطر، وهي قوله:

يا قادما عنت الدنيا بشائره ... أهلا بمقدمك الميمون طائره

ومرحبا بك من عيد تحف به ... من السعادة أجناد تظافره

قدمت فالخلق في نءمي وفي جذل ... أبدى بك البشر بادبه وحاضره

والأرض قد لبست أثواب سندسها ... والروض قد بسمت منه أزاهره

حاكت يد الغيث في ساحاته حللا ... لما سقا دراكا منه باكره

فلاح فيها من الأنوار باهرها ... وفاح من النوار عاطره

وأم فيها خطيب الطير مرتجلا ... والزهر قد رصعت منه منابره

موشي ثوب طواه الدهر آونة ... فها هو اليوم للأبصار ناشره." (١)

"رمى قريشا فأصمى سهم حادثه ... أبناء فهر بتفريق المقادير

فحانه الجد في أبن الجد حين قضى ... وأثر الخطب فيها أي تأثير

لله المجد ما أبقاه من أثر ... أخرى الليالي بطيب الذكر مأثور

نوارة عندما راقتبدوحتها ... أهوت إلى الترب من بين النواوير

جار الذبول عليها بعدما ملأت ... معاطس الدهر من طيب وتعطير

وسيف بأس الخطب أغمده ... صرف الحوادث فيها بعد تكسير

ثضى فوافق شهر الصيام مرتجلا ... ووافق الشهر في فضل وتطهير

واختاره خاطب الخطب الملم به ... للصهر كفئأ فأمضى العقد للحور

فسار للحين مسرورا وخلفا ... للحزن فاعجب لمجزون بمسرور

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٣٤٢/٢

نادته أنجشة الأحزان يوم حدا ... أظعان قلبي رفقا بالقوارير

فالوجد والدمع من الحزن قد اقتسما ... قلبي وجفني بمنظوم ومنثور

فالقلب بالغيظ في تصعيد مستعر ... والجفن بالفيض في تصويب ممطور

وساق الخطاب يشدو الحاملين به ... يسوقهم سوق حادي العير للعير

وللملائك في آفاقها زجل ... قد شيعته بتهليل وتكبير

أثنى المصاب على شيخ الجزيرة في ... عقد وحل وتقديم وتأخير

ز خي طويلة جدا منها:

مقدمات الليالي طالما فضحت ... نتائج الغدر منها كل مغرور

جمع السلامة معدوم الوجود بها ... وكم بها للردى من جمع تكسير

وعامل الموت فيد أحصى مهنديه ... منازل العمر عدا دون تكسير

والأرض طرس وهذا الخلق أحرفه ... والحرف ما بين نحو ومبتور." (١)

"والطير بالعيدان أب؟ دت في الغنا أحلى الطرائق

ولآلئ الأزهار حل؟ ت جيد غصن فهو رائق

ومراود الأمطار قد كحلت بها حدق الحدائق

لا زال مغناها مصو نا آمنا كل البوائق

وكما قلت **مرتجلا** أيضا مضمنا الرابع والخامس:

دمشق راقت رواء وبهجة وغضاره

فيها نسيم عليل صح فوافقت بشاره

وغوطة كعروس تزهى بأعجب شاره

يا حسنها من رياض مثل النضار نضاره

كالزهر زهرا وعنها عرف العبير عباره

والجامع الفرد منها أعلى الإله مناره

وحاصل القول فيها لمن أراد اختصاره

تذكيرها من رآها عدنا وحسبي إشاره

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٣٨١/٢

دامت تفوق سواها إنالة وإناره

وكما ارتجلت فيها أيضا:

قال لي ما تقول في الشام حبر كلما لاح بارق الحسن شامه

قلت ماذا أقول في وصف قطر هو في وجنة المحاسن شامه

وقلت أيضا:

قال لي صف دمشق مولى رئيس جمل الله خلقه واحتشامه

قلت كل اللسان في وصف قطر هو في وجنة البسيطة شامه." (١)

"كبيرهم أبو محمد مستعجلا، وأنشد **مرتجلا** يا شقيقي ... إلخ فانتبه أخوه أبو بكر لصوته، وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته، وأنبه أخاهما أبا الحسن وهو يرتجل يا أخي قم تر النسيم ... إلخ فانتبه أخوه لكلامه، دافعا لذة منامه للذة قيامه، وارتجل يا صاحبي ذرا ... إلخ انتهى.

قال الفتح (١) : ولما أمر المعتمد بن عباد أبا بكر بن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير أبي الحسين ابن سراج بلقاء ذي الوزارتين أبي الحسن ابن اليسع القائد (٢) والمشي إليه، والنزول عليه، تنويها لمقدمه (٣) ، وتنبيها على حظوته لديه وتقدمه، قصارا إلى بابه، فوجداه مقفرا من حجابه، فاستغربا خلوه من خول، وظن كل واحد منهما وتأول، ثم أجمعا على قرع الباب، ورفع ذلك الارتياب، فخرج وهو دهش، وأشار إليهما بالتحية ويده ترتعش، وأنزلهما خجلا، ومشى بين أيديهما عجلا، وأشار إلى شخص فتوارى بالحجاب، وبارى الريح سرعة في الاحتجاب، فقعدا ومقلة الخشف، ترمق من خلال السجف، فانصرفا عنه، وعزما أن يكتبا إليه بما فهما منه، فكتبا إليه:

سمعنا خشفة الخشف ... وشمنا طرفة الطرف

وصدقنا ولم نقطع ... وكذبنا ولم ننف

وأغضينا لإجلال ... ك عن أكرومة الظرف

ولم تنصف وقد جئنا ... ك ما ننهض من ضعف

وكان الحكم (٤) أن تحم ... ل أو تردف في الردف

---

(١) انظر القلائد: ١٦٨.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٦٠/١

(٢) أهله بنو اليسع كانوا أعيان حصن قولية من عمل بسطة، وكان الأمير أبو الحسن يتوى مرسية للمعتمد بن عباد فثار عليه أهلها وخلعوه، ووصفه الفتح بأنه كان صاحب بطالة وراحة (انظر ترجمته في القلائد: ١٦٧ والمغرب ٢: ٨٧ والحلة السيراء ٢: ١٧٢) .

(٣) ك: بمقدمه.

(٤) دوزي: الحق.." [1]

"عنه وصرفوه، وأجروه على إرادتهم وصرفوه، وذهبوا سقفه وفضضوها، ورخموا أرضه وروضوها، فبات به السعد يلحظه بطرفه، والروض يحييه بعرفه، فلما استنفد كافور الصباح به مسك الغسق، ورصع آبنوس الظلام نضار الشفق، قال **مرتجلا**: كل قصر بعد الدمشق يذم ... إلخ، انتهى.

[١٦ - من ترجمة ابن لبون]

وقال في ترجمة ذي الوزارتين أبي عيسى ابن لبون (١) : أخبرني الوزير أبو عامر ابن الطويل أنه كان بقصر مربيطر بالمجلس المشرف منها (٢) ، والبطحاء قد لبست زخرفها، ودبج الغمام مطرفها، وفيها حدائق ترنو عن مقل نرجسها، وتبث طيب تنفسها، والجلنار قد لبس أردية الدماء، وراع أفئدة الندماء، فقال:

قم يا نديم علي القرقفا ... أوما ترى زهر الرياض مفوفا

فتخال محبوبا مدلا وردها ... وتظن نرجسها محبا مدنفا

والجلنار دماء قتلى معرك ... والياسمين حباب ماء قد طفا إلى أن قال (٣) : وشرب مع الوزراء ببطحاء لورقة [عند أخيه، وابن اليسع غائب عنها] (٤) في عشية تجود بدمائها، ويصوب عليها دمع سمائها، والبطحاء قد خلع عليها سندسها، ودنرها (٥) نرجسها، والشمس تنفض على الربى زعفرانها، والأنوار تغمض أجفانها، فكتب إلى ابن اليسع:

---

(١) القلائد: ٩٩ وانظر المغرب ٢: ٣٧٦.

(٢) ج ق ط: المشرق منها.

(٣) القلائد: ١٠٠ والمغرب ٢: ٣٧٧.

---

[1] نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٦٣٩/١

(٤) زيادة من القلائد.

(٥) في الأصول: ودرها.." (١)

"حسين ابن الإمام العلامة جمال الدين أبي الحسن علي، ابن الإمام مفتي الأنام كمال الدين أبي منصور ظافر الأزدي الأنصاري رضي الله تعالى عنه، في رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره، بعد كلام، ما صورته: ورأيت بدمشق الشيخ الإمام العارف الوحيد محيي الدين بن عربي، وكان من أكبر علماء الطريق، جمع بين سائر العلوم الكسبية، وما وفر (١) له من العلوم الوهبية، ومنزلته شهيرة، وتصانيفه كثيرة، وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا، لا يكترث بالوجود، مقبلا كان أو معرضا، وله علماء أتباع أرباب مواجيد، وتصانيف، وكان بينه وبين سيدي الأستاذ الحرار إخاء ورفقة في السياحات، رضي الله تعالى عنهما، في الآصال والبكرات، ومن نظم سيدي الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه قوله:

يا من يراني ولا أراه ... كم ذا أراه ولا يراني قال رحمه الله تعالى: قال لي بعض إخواني لما سمع هذا البيت: كيف تقول: إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك فقلت له **مرتجلا:**

يا من يراني مجرما ... ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما ... ولا يراني لائذا قلت: من هذا وشبهه تعلم أن كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول، وأنه لا يقصد ظاهره، وإنما له محامل تليق به، وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة، فأحسن الظن به ولا تنتقد، بل اعتقد، وللناس في هذا المعنى كلام كثير، والتسليم أسلم، والله سبحانه بكلام أوليائه أعلم.

ومن النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدي محيي الدين رضي الله تعالى عنه في ضابط ليلة القدر:

---

(١) ق ط ج: وقر.." (٢)

"آلاف دينار (١) .

ومن أعجب (٢) ما جرى له أنه كان بين يدي المنصور، فأحضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتح ورقها، فقال فيها صاعد **مرتجلا:**

أتتك أبا عامر وردة ... يذكرك المسك أنفاسها

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمسانی ٦٧٢/١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٦٨/٢

كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها راسها فسر بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضرا، فحسده، وجرى إلى مناقضته، وقال لابن أبي عامر: هذان البيتان لغيره، وقد أنشد فيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف، وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر (٣) ، وكان أحسن أهل زمانه بديهة، فوصف له ما جرى، فقال هذه الأبيات ودس فيها بيتي صاعد:

عشوت إلى قصر عباسة ... وقد جدل النوم حراسها

فألفيتها وهي في خدرها ... وقد صرع السكر أناسها

فقالت: أسار على هجعة ... فقلت: بلى، فرمت كاسها

ومدت يديها إلى وردة ... يحاكي لك الطيب أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها راسها

وقالت: خف الله لا تفضح ... ن في ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على غفلة ... وما خنت ناسي ولا ناسها فطار ابن العريف بها، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر،

---

(١) زاد في ق: دراهم.

(٢) عاد إلى النقل عن الذخيرة.

(٣) جعلها دوزي " ابن برد " ونقل المقدمة صاحب بدائع البدائه ٢: ٢٨.." (١)

"علقته متعلقا ... بالخط معتكفا عليه

حمل الدواة ولا دوا ... ء لعاشق يرجى لديه

فدماء حبات القلو ... ب تلوح صبغا في يديه

لم أدر ما أشكو إلي ... ه أهجره أمقلتيه

والحب يخرسني على ... أني ألكع سيبويه

ما لي إذا أبصرته (١) ... شغل سوى نظري إليه وقد آن وقت الرجعة إلى كلام الأندلسيين الذين حلا، وأبعدنا عنه بما مر النجعة، فنقول:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٧٩

٣٣ - ذكر الفتح في قلائد العقيان، كما قال ابن ظافر، ما معناه (٢) : أخبرني الوزير أبو عامر ابن بشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى ابن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات، ونامت عنه أعين المضرات، وأظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا، وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا، وشموس الكاسات تطلع في أكفها كالورد في السوسان، وتغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الجفان، وعنده الوزير أبو الحسن ابن الحاج اللورقي، وهو يومئذ قد بذل الجهد، في التحلي بالزهد، فأمر القائد بعض السقاة أن يعرض عليه ذهب كاسه، ويحييه بزبرجد آسه، ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه، ففعل ذلك عجلا، فأنشد أبو الحسن مرتجلا:

ومهفهف مزج الفتور بشدة ... وأقام بين تبذل وتمنع

يثنيه من فعل المدامة والصبا ... سكران سكر طبيعة وتطبع

أوما إلي بكأسه فكففتها ... ورنا فشفعها بلحظ مطمع

---

(١) البدائع: قابلته.

(٢) بدائع البدائه ٢: ٨٧؛ والقلائد: ١٣٩.." (١)

"من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام:

توريد خدك للأحداق لذات ... عليه من عنبر الأصداغ لامات

نيران هجرك للعشاق نار لظى ... لكن وصالك إن واصلت جنات

كأنما الراح والراحات تحملها ... بدور تم وأيدي الشرب هالات

حشاشة ما تركنا الماء يقتلها ... إلا لتحيا بها منا حشاشات

قد كان من قبلها في كأسها ثقل ... فخف إذ ملئت منها الزجاجات وقد تبارى المشارقة والمغاربة من المتقدمين والمتأخرين في هذا الوزن والقافية، ولولا خوف السآمة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية (١).

٦٨ - ومن سرعة جواب أهل الأندلس (٢) أن ابن عبد ربه كان صديقا لأبي محمد يحيى القلفاط الشاعر، ففسد ما بينهما بسبب أن ابن عبد ربه صاحب العقد (٣) مر به يوما وكان في مشيه اضطراب، فقال: أبا عمر ما علمت أنك آدر إلا اليوم لما رأيت مشيك، فقال له ابن عبد ربه: كذبتك عرسك أبا محمد، فعز

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٥٩/٣

على القلفاظ كلامه، وقال له: أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء، ثم صنع فيه قصيدة أولها:

يا عرس أحمد إني مزمع سفرا ... فود عيني سرا من أبي عمرا ثم تهاجيا بعد ذلك، وكان القلفاظ يلقبه بطلاس لأنه كان أطلس اللحية، ويسمس كتاب العقد حبل الثوم، فاتفق اجتماعها يوما عند بعض الوزراء، فقال الوزير للقلفاظ: كيف حالك اليوم مع أبي عمر فقال **مرتجلا:**

---

(١) م: جملة كافية شافية.

(٢) بدائع البدائه ١: ٥١.

(٣) صاحب العقد: سقطت من ب.." [١]

"أنس الوحيد وصبح عين المجتلي ... ولباس من أمسى بغير لباس

حمراء ترفل في السواد كأنما ... ضربت بعرق في بني العباس وقال فيها أيضا (١) :

لابنة الزند في الكوانين جمر ... كالدراري في الليلة (٢) الظلماء

خبروني عنها ولا تكذبوني ... ألديها صناعة الكيمياء

سبكت فحمها سبائك (٣) تبر ... رصعته بالفضة البيضاء

كلما ولول النسيم عليها ... رقصت في غلالة حمراء

سفرت عن جبينها (٤) فأرتنا ... حاجب الليل طالعا بالعشاء

لو تراها من حولنا قلت يوم ... يتعاطون أكؤس الصهباء ٢٥٧ - وقال فيها الفقيه الأديب (٥) ابن لبال:

فحم ذكا في حشاه جمر ... فقلت مسك وجلنار

أو خد من قد هويت لما ... أطل من فوقه العذار ٢٥٨ - وكان أبو المطرف الزهري جالسا في باب داره مع زائر له، فخرجت عليهما من زقاق ثان جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على غفلة منها نفرت خجلة، فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفها، فقال **مرتجلا:**

---

(١) القلائد: ٢٦٦.

(٢) القلائد: كالدراري في دجى.

(٣) القلائد: صفائح.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمسانى ٣/٢٩٤

(٤) القلائد: سفرت في عشائها.

(٥) م: الأديب الفقيه؛ ولعله أبو الحسن علي بن أحمد بن البال الشريشي (- ٥٨٣) وله ترجمة في التحفة: ٧٤ والذيل والتكملة ٥: ١٦٩.." (١)

"الساقي مدودة إليه، واتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجة، فظهر من السلطان التطير من ذلك، فأنشد الفقيه **مرتجلا:**

ومجلس بالسرور مشتمل ... لم يخل فيه الزجاج من أدب

سرى بأعطافه يرنحه ... فشق أثوابه من الطرب فسر السلطان وسري عنه، واستحسن من الفقيه ما بدا منه، وأمر له بجائزة سنية، وخلعة رائقة [بهية] .

٣٦٧ - وماأحسن قول ابن البراق (١) :

يا سرحة الحي يا مطول ... شرح الذي بيننا يطول

ولي ديون عليك حلت ... لو أنه ينفع الحلول وقوله:

انظر إلى الوادي إذا ماغردت (٢) ... أطياره شق النسيم ثيابه

أتراه أطربه الهديل وزاده ... طربا وحقك أن حللت جنابه وله في الغلام على فمه أثر المداد:

يا عجبا للمداد أضحى ... على فم ضمن الزلالا

كالفار أضحى على الحميا ... والليل قد لامس الهلالا ٣٦٨ - وكتب أبو محمد عبد الله بن عذرة (٣) إلى بعض أصحابه من الأسر في طليطلة:

---

(١) المغرب: ١٤٩، ١٥٠.

(٢) المغرب: الذي مذ غردت.

(٣) في الأصول ودوزي: في معذرة؛ وفي م: بن مغدرة والتصويب عن المغرب ٢: ١٤٨ وفيه الأبيات.." (٢)

"يكفيك أنك قد نسي ... ت ولست أنسى ذكركا

ومن العجائب أنني ... أفنى وأكتم سركا

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٤٤٢

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٥٠٦

كن كيفما تختاره ... فالحب يبسط عذركا وله:

هل عندكم علم بما فعلت بنا ... تلك الجفون الفاتكات بضعفها

نصحا لكم أن تأمنوها إنها ... سحر النهى ما تبصرون بطرفها ٣٧٣ - ولابنه أبي محمد عبد المولى، وكان ماجنا، لما نعي إليه وهو على الشراب أحد أصحابه **مرتجلا:**

إنما دنياك أكل ... وشراب وقحاب

ثم من بعد صراخ ... ووداع وتراب وله:

يا نديم اشرب على أف ... ق صقيل وحديقه

واسقني ثم اسقني ث ... م اسقني خمرا وريقه

من غزال تطلع الشم ... س بخديه أنيقه

لا تفوت ساعة من ... كأس خمر وعشيقه

واجتنب ما سخرت جه ... لا له هذي الخليقه

رغبوا في باطل زو ... ر بزهد في الحقيقه

ليس إلا ما تراه ... أنا أدرى بالطريقه قال أبو عمران موسى بن سعيد: قلنا له: ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا ينبغي لأحد أن يصحبك به فقال: هذا قول لا فعل، وقد قال الله تعالى:." (١)

"فالعين دونك لاتحلى بلذتها ... والدهر بعدك لايصفو تكدره

أخفي أشتياقي وما أطويه من أسف ... عن البرية والأنفاس تظهره قال في المطمح: هو شاعر مادح وعلأيك الندى صارح ولم ينطقه إلا معن (١) أوصمادح.فلم يرم ينتجع سواهما واقتصر على المرية. واختصر قطع المهامة وخوض البرية فعكف فيها ينثر دره في ذللك المنتدى شف أبدا ثغور ذلك الندى، مع تميزه بالعلم، وتحيزه إلى فئة الوقار والحلم، وانتمائه إلى آية سلف، ومذهبه مذاهب أهل الشرف، وكان له لسن ورواء يشهدان له بالنباهة، ويقلدان كاهله ما شاء من الوجاهة، وقد أثبت له بعض ما قذفه من درره، وفاه به من محاسن غرره؛ فمن ذلك قوله:

إلى الموت رجعى بعد حين فإن أمت ... فقد خلدت خلد الزمان مناقبي

وذكري في الآفاق طار كأنه ... بكل لسان طيب عذراء كاعب

ففي أي علم لم تبرز سوابقي ... وفي أي فن لم تبرز كتائبي وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٠٩/٣

فأنشد فيه قصيدا أبرز به من عرى الإحسان ما لم ينفصم واستمر فيها يستكمل بدائعها وقوافيها، فإذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذي أوله:

عج بالحمى حيث الظباء (٢) العين ... فقال ابن الحداد **مرتجلا:**

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى ... في سلك غيري دري المكنون

---

(١) المطمح: جود معن.

(٢) المطمح: الخماص.." (١)

"وخير ما أتلفته مال أفاد موعظه

٥٨٨ - وقال أبو البركات القميحي: أنشدنا ابن العباس ابن مكنون، وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها، **مرتجلا:**

حارت عقول الناس في إبداعها ألسكرها أم لشكرها تتأود

فيقول أرباب البطالة: تنثني ويقول أرباب الحقيقة: تسجد

قال الشيخ أبو البركات القميحي: قلت لابن مكنون: ما الذي يدل على أنهما في وصف الثمار فقال: وطئ أنت لهما، فقلت:

يا من أتى متنزها في روضة أزهارها من حسنها تتوقد

انظر إلى الأشجار في دوحاتها والريح تنسف والريح تغرد

فترى الغصون تمايلت أطرافها وترى الطيور على الغصون تعربد

قال ابن رشيد: غلط المذكور في نسبته البيتين لابن مكنون، وإنما هما لأبي زيد الفازازي من قصيدة أولها:

نعم الإله بشكره تتقيد فالله يشكر في النوال ويحمد

مدت إليه أكفاننا محتاجة فأنالها من جوده ما تعهد

والبيتان في أثنائها، غير أن أولهما في ديوانه هكذا:

تاهت غقول الناس في حركاتها

انتهى.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٩/٤

ورأيت في روضة التعريف للسلن الدين بعدهما بيتا ثالثا، وهو:

وإذا أردت الجمع بينهما فقل في شكر خالقها تقوم وتقعد." [1]

"وولي ابنه يحيى، وكان أحسد من طلعت عليه الشمس، فمال على أرقم بالأذية ففر عن مملكته، وقال **مرتجلا** (١) :

لئن طبتم نفسا بتركي دياركم فنفسي عنكم بالتفرق أطيب

إذا لم يكن لي جانب في دياركم فما العذر لي أن لا يكون تجنب

زعمتم بأني لست فرعا لأصلكم فهلا علمتم أنني عنه أرغب

وحسبي إذا ما البيض لم ترع نسبة بأنني إلى سيفي ورمحي أنسب

وإن مدت الأيام عمري للعلا يشرق ذطري في الورى ويغرب

٦١٤ - وكتب الوزير الكاتب أبو محمد ابن سفيان إلى أبي أمية ابن عصام (٢) قاضي قضاة شرق الأندلس عين زمانه، فوقعت نقطة إلى العين، فتوهمها، وظن أنه أبهمها واعتقدها، وعددها وانتقدها، فقال:

لا تلزمني ما جنته يراعة طمست بريقتها عيون ثناء

حقدت علي لزامها فتحولت أفعى تمج سمامها بسحاء

غدر الزمان وأهله عرف ولم أسمع بغدر يراعة وإباء

٦١٥ - وشرب المأمون بن ذي النون مع أبي بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلي وحفل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن مثنى، فجرت مذاكرة في ملوك الطوائف في ذلك العصر، فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه، فقال ابن أرفع رأسه **ارتجالا** (٣) :

دعوا الملوك وأبناء الملوك فمن أضحى على البحر لم يشتق إلى نهر

ما في البسيطة كالمأمون ذو كرم فانظر لتصديق ما أسمعت من خبر

---

(١) المغرب ٢: ١٤.

(٢) القلائد: ١٣٩.

(٣) المغرب ٢: ١٨ والصلة رقم: ٨٧٤.." [2]

---

[1] نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤/١٢٢

[2] نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤/١٣٤

"لله منزلنا بقرية بيش كاد الهوى فيها ادكارا بي يشي

رحنا إليها والبطاح كأنها صحف مذهبة بإبريز العشي

فأجازه الوزير ابن جزي بقوله:

في فتية هزت حميا الأنس من أعطافهم فالكل منها منتشي

يأتي علاهم بالصحيح، ولفظهم بالمنتقى، وجمالهم بالمدهش

٦٨٥ - وقال السلطان أبو الحجاج النصري **مرتجلا** أيام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨١٥:

ولم يتركوا أوطانهم بمرادهم ولكن لأحوال أشابت مفارقي

أقام بها ليل التهاني تقلبا وقد سكنت جهلا نفوس الخلائق

فعوضتها ليل الصبابة بالسرى وأنس التلاقي بالحبيب المفارق

ولم يثنني طرف من النور ناعس ولا معطف للبان وسط الحدائق

ولا منهض الأشبال في عقر غيرهم ولا ملعب الغزلان فوق النمارق

وعاطيتها صبح الدياجي مدامة تميل بها الركبان فوق الأيانق

إذا ما قطعنا بالمطي تنوفة دلجنا لأخرى بالجياد السوابق

بحيث التقى موسى مع الخضر آية عسى ترجع العقبى كموسى وطارق

وله:

من عاذري من غزال زانه حور قد هام لما بدا في حسنه البشر

ألحاظه كسيوف الهند ماضية لها بقلبي وإن سالمتها أثر

٦٨٦ - وقال القاضي أبو القاسم ابن حاتم:

شكوت بما دهاك وكان سرا لمن ليست مودته صحيحه

فتلك مصيبة عادت ثلاثا لصحبتها الشماتة والفضيحه." (١)

"قدمت فالخلق في نعمى وفي جذل ... أبدى بك البشر باديه وحاضره

والارض قد لبست أثواب سندسها ... والروض قد بسمت منه أزاهره

حاكت يد الغيث في ساحاته حللا ... لما سقاها دراكا منه باكره

فلاح فيها من الأنوار باهرها ... وفاح فيها من النوار عاطره

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٠٣/٤

وقام فيها خطيب الطير مرتجلا ... والزهر قد رصعت منه منابره

موشي ثوب طواه الدهر آونة ... فها هو اليوم للأبصار ناشره

فالغصن من نشوة يثني معاطفه ... والطير من طرب تشدو مزاهره

وللكمام انشقاق عن أزاهرها ... كما بدت لك من خل ضمائره

لله يومك ما أزكى فضائله ... قامت لدين الهدى فيه شعائره

فكم سريرة فضل فيك قد خبئت ... وكم جمال بدا للناس ظاهره

فافخر بحق على الأيام قاطبة ... فما لفضلك من ند يظاهره

فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا ... قيست بفخر أولي العليا مفاخره

يلتاح منه بأفق الملك نور هدى ... تضاءل الشمس مهما لاح زاهره

مجد صميم على عرش السماك سما ... طالت مبانيه واستعلت مظاهره

وزارة الدين والعلم التي رفعت ... أعلامه والندى الفياض زاخره

وليس هذا ببدع من مكارمه ... ساوت أوائله فيه أواخره

يلقى الأمور بصدر منه منشرح ... بحر وآراؤه العظمى جواهره

راعى أمور الرعايا معملا نظرا ... كمثل علياه معدوما نظائره

والملك سير في تدبيره حكما ... تنال ما عجزت عنه عساكره

سياسة الحلم لا بطش يكدرها ... فهو المهيب وما تخشى بوادره

لا يصدر الملك إلا عن إشارته ... فالرشد لا تتعداه مصايره

تجري الأمور على أقصى إرادته ... كأنما دهره فيه يشاوره

وكم مقام له في كل مكرمة ... أنست موارده فيها مصادره." (١)

"ابن الملعون فهوالمغالط المعاند المشارك لربه المنعم عليه في كبريائه وسلطانه، وأما القط فهوالفقير مثلي المستغني عنه لكونه لا تختص به رتبة، فتارة في حجر الملك، وتارة في السنداس (١) ، وتارة في أعلى الرتب، وتارة محسن، وتارة مسيء، تغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة، إذ هومن الطواقين، متطير بقتله وإهانته، تياه في بعض الأحايين بعزة يجدها من حرمة أبقاها له الشارع، وكل ذلك لا يخفى. وأما الفراش المحرق فهوعند الدول نوعان: تارة يكون ظاهرا وحصته مسح المصباح وتصفية زيته وإصلاح فتيله وستر

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥/٥٠٠

دخانه ومسايسة ما يكون من المطلوب منه، ووجود هذا شديد الملازمة ظاهرا، وأما المحرق الباطن فهوالمشار إليه في دولته بالصلاح والزهد والورع فيعظمه الخلق ويترك لما هوبسبيله، فيكون وسيلة بينهم وبين ربهم وخليفته الذي هومصباحهم، فإذا أراد الله تعالى إهلاك المروءة وإطفاء مصباحها تولى ذلك أهل البطالة والجهالة، وكان الأمر كما رأيتم، والكل فراش متهافت، وكل يعمل على شاكلته ".

١١ – قال الوزير لسان الدين: وطلب مني الكتب عليه بمثل ذلك، فكتبت ببعض أوراقه إثارة لضجره، واستدعاء لفكاهة انزعاجه، ما نصه:

وقفت ن الكتاب المنسوب لصاحبنا أبي زكريا البرغواطي على برسام محموم، واختلاط مذموم، وانتساب زنج في روم، وكان حقه أن يتهيب طريقا لم يسلكها، ويتجنب عقيلة لم يملكها، إذ المذكور لم يتلق شيئا من علم الأصول، ولا نظر في الإعراب في فصل من الفصول، إنما هي قحة وخلاف، وتهاون بالمعارف واستخفاف، وغير أنه يحفظ في طريق القوم كل نادرة، وفيه رجولية ظاهرة، وعنده طلاقة لسان، وكفاية قلما تتأتى لإنسان، فإلى الله تضرع أن يعرفنا مقادير الأشياء، ويجعلنا بمعزل عن الأغبياء، وقد قلت مرتجلا من أول نظرة، واجتزاء بقليل من كثرة:

---

(١) السنداس: بيت الراحة.." (١)

"وصاحب سيدي محمد بن عراق. كان يحفظ القرآن العظيم، والمنهاج للنووي. وحدثني تلميذه الشيخ الصالح العارف بالله تعالى يوسف الدجاني الأربدي أن الشيخ أحمد الدجاني كان لا يعرف النحو، فبينما هو في خلوته بالأقصى إذ كوشف بروحانية النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا أحمد تعلم النحو. قال: فقلت له: يا رسول الله علمني، فألقى علي شيئا من أصول العربية، ثم انصرف قال: فلما ولى لحقته إلى بيت الخلوة، فقلت: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، وضممت اللام من رسول. قال: فعاد إلي. وقال لي: أما علمتك النحو أن لا تلحن قل: رسول الله بفتح اللام. قال: فاشتغلت في النحو، ففتح علي فيه. دخل إلى دمشق في أوائل رجب سنة إحدى وخمسين وتسعمائة بسبب قضاء حوائج للناس عند نائب الشام، وكاتب الولايات، وخطب بجامع دمشق يوم الجمعة منتصف رجب، وشكره الناس على خطبته، وزار الشيخ محيي الدين بن العربي، وأقام الذكر عنده. قال ابن طولون: وحذوه فيه حذو شيخه الشيخ محمد بن عراق، وسألته عن سنه وقت موت الشيخ محمد الجلجولي رضي الله تعالى عنه. فقال: نحو ثمان سنين

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٩٤/٦

قلت: وتقدم أن وفاته كانت سنة عشر وتسعمائة، وسافر راجعا إلى القدس الشريف مستهل شعبان صحبه الشيخ عيسى الصفوري، وكان الشيخ عيسى ذاهبا إلى مصر في قافلة. قلت: وحدثني الشيخ أحمد بن سليمان أنه لما اجتمع بصاحب الترجمة في القدس، وهو في صحبة الشيخ شهاب الدين أخي حدثهم أنهم كانوا في حضرة الشيخ علي بن ميمون، فشكوا إليه خاطرا، فطردهم، فكانوا على باب الخلوة أياما، ثم شكوا إليه فقال: تتوبون قالوا: نعم. فقال: قولوا: يا إلهي تب علينا، واعف عنا أجمعين يا رحمان يا رحيم وكرروها، ففعلوا، فردهم، ثم استحسن الشيخ أن يلازموا على ذلك في مجالس الذكر عند الختام، فصار ذلك من طريقتهم، وقال لي والد شيخنا: ورد الخبر بموت الشيخ الصالح العابد أحمد الدجاني ببيت المقدس. وأنه توفي في جمادى الأولى سنة تسع بتقديم التاء وستين وتسعمائة. قال: وصليت عليه في جامع الجديد في جمادى الآخرة رحمه الله تعالى.

أحمد الشلاح

أحمد بن عمر الشلاح، الشيخ الفاضل المقرىء المجود، الحافظ لكتاب الله تعالى شهاب الدين أحمد الضرير. كان يحضر دروس الشيخ الوالد في التقوية وغيرها، ويقرأ القرآن العظيم في المجلس. قرأ القرآن العظيم على الشيخ أحمد بن عبد القادر ابن التينة مؤدب الأطفال، وأقرأه إياها للعشر، ثم قرأ في القراءات على الشيخ شهاب الدين الطيبي، وكان الوالد، والشيخ الطيبي يقول كل منهما: من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل، فليسمعه من الشيخ أحمد الضرير، وكان يقرأ في الجامع على الكرسي بعد صلاة المغرب دون الربع من الحزب في كل ليلة يبدأ من أول القرآن إلى ختمه حالا مرتجلا ما كان." (١)

"اسمه طاووسا فلما تخنث سمي طويسا [١] وكان مجودا في المغني، وإياه عنى الشاعر في مدح معبد [٢]

تغنى طويس والسريجي [٣] بعده ... وما قصبات السبق إلا لمعبد [٤]

وضرب المثل بشؤمه [٥] ، وقيل: لأنه ولد يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم، وفطم يوم مات الصديق، وختن [٦] يوم قتل عمر، وقيل: بلغ الحلم في ذلك اليوم [٧] وتزوج يوم قتل عثمان، وقيل: ولد له ولد يوم قتل علي، وقيل يوم مات الحسن بن علي رضي الله عنهم، وهذا من عجائب الاتفاقات.

وكان مفرطا في طوله، مضطربا في خلقه، أحول العين، انتقل [٨] عن المدينة إلى السويداء على مرحلتين

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ١٠٩/٣

منها في طريق الشام، وتوفي هناك.

---

[١] انظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٥٠٦) والتعليق عليه.

[٢] هو معبد بن وهب المغني، أبو عباد المدني، نابغة الغناء في العصر الأموي، نشأ في المدينة يرعى الغنم، وربما اشتغل في التجارة، ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة، ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها، وارتفع شأنه، وكان أديبا فصيحا، مات سنة (١٢٦ هـ) .

«الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٦٤) .

[٣] في الأصل، والمطبوع: «الشريحي» وهو خطأ، والتصحيح من «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٥٠٦) ، و «تاريخ الإسلام» للذهبي (٤/ ١٦) . والسريجي هذا هو عبيد الله بن سريج، مولى بني نوفل ابن عبد مناف، أبو يحيى، من أشهر المغنين وأصحاب هذه الصناعة في صدر الإسلام، كان يغني **مرتجلا** فيأتي باللحن المبتكر، وهو من أهل مكة، وأول من ضرب على العود بالغناء العربي، مات سنة (٩٨ هـ) .

«الأعلام» للزركلي (٤/ ١٩٤) .

[٤] البيت في «وفيات الأعيان» (٣/ ٥٠٦) ، و «تاريخ الإسلام» للذهبي (٤/ ١٦) .

[٥] قال العسكري في «الأوائل» (٢/ ١٦١) : وطويس أول مشؤوم في الإسلام.

وقال ابن خلكان في «الوفيات» (٣/ ٥٠٦) : وهو الذي يضرب به المثل في الشؤم، فيقال: أشأم من طويس. وانظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٣٦٤) ، و «تاريخ الإسلام» للذهبي (٤/ ١٦)

.

[٦] وهو ما ذكره صاحب «الأغاني» ، وابن خلكان في «وفيات الأعيان» ، والزركلي في «الأعلام» .

[٧] وهو ما ذكره العسكري في «الأوائل» ، وابن خلكان في «وفيات الأعيان» ولم يجزم به، والذهبي في «تاريخ الإسلام» و «سير أعلام النبلاء» .

[٨] تحرفت لفظة «انتقل» في الأصل إلى لفظة «إلى» وأثبتنا ما جاء في المطبوع، وهو الصواب.." (١)

"ولا يخفي أنم كلام ابن سيناء كما لا يصح الاستشهاد به لا يصح التقوية به. على أنه لا يلزم من كون شيئين متفقين معنى اتفاقهما إعرابا.

وكأن الشارح المحقق لم يستحضر قول الفرزدق: البسيط ولو استحضره ما عدل عنه.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٣٦٣/١

وهو بيت من قصيدة مشهورة مدح بها الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

روى السيد الأجل علم الهدى المرتضى في أماليه: أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك أو الوليد فطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام فنصب له)

منبر فجلس عليه وأطاف به أهل الشام.

فبينا كذلك إذا أقبل زين العابدين علي بن الحسين وعليه إزار ورداء أحسن الناس وجها وأطيبهم رائحة فجعل يطوف بالبيت ولما بلغ إلى موضع

الحجر الأسود تنحى الناس عنه حتى يستلمه هيبة منه وإجلالا له فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي هابه الناس فقال هشام: لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام.

فقال الفرزدق وكان حاضرا: أنا أعرفه. قال الشامي: من هو يا أبا فراس فقال **مرتجلا**: البسيط.

(هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقي الطاهر العلم)

(هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم)

...." (١)

"من النبات والأول أجود لأنه كان عبدا أسود. وأما الحسحاس فالأشبه أن يكون

اسما **مرتجلا** مشتقا من قولهم: حسحست الشواء: إذا أزلت عنه الجمر والرماد وقد يمكن أن يكون منقولا لأنهم قالوا: ذو الحسحاس: الرجل الجواد قال الراجز: فهو قطعا منقول منه. وقوله: من حسحست الشواء. . قال في الصحاح: وحسست اللحم وحسحسته بمعنى: إذا جعلته على الجمر. . وحسست النار: إذا رددتها بالعصا على خبزة الملة أو الشواء من نواحيه لينضج. ومن كلامهم: قالت الخبزة: لولا الحس ما باليت بالدس.

فكلامه لا يوافق شيئا من هذا فتأمل.

وأنشد بعده وهو

الشاهد الخامس والتسعون وهو من أبيات سيبويه: ضربا هذاذيك وطعنا وخضا على أن هذاذيك بمعنى أسرع إسراعين أي: ضربا يقال فيه هذاذيك. أراد أن هذاذيك بمعنى أسرع وأنه بدل من فعل الأمر. ولا يخفى أنه بدل من الهذ وهو في جميع تصرفاته معناه السرعة في القطع لا السرعة مطلقا بل حكم اللحياني

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٦١/١١

في نوادره أن الهذ: القطع نفسه. وأنشد هذا البيت.

وكذلك صاحب القاموس قال: هذاذيك: قطعا بعد قطع.." (١)

"ويرجح مذهب الكوفيين عندي أمور: أحدها توارد إن المفتوحة والمكسورة على المحل الواحد والأصل التوافق وقرئ بالوجهين في قوله تعالى: أن تضل إحداهما ولا يجر منكم شنآن قوم أن صدوكم أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين. وروي بالوجهين قوله: الطويل الثاني مجيء الفاء بعدها كثيرا كقوله: أبا خراشة أما أنت ذا نفر ... ... البيت الثالث عطفها على أن المكسورة في قوله: إما أقمت وأما أنت مرتجلا ... ... البيت)

الرواية بكسر إن الأولى وفتح الثانية. فلو كانت المفتوحة مصدرية لزم عطف المفرد على الجملة. وتعسف ابن الحاجب في توجيه ذلك فقال: لما معنى

قولك إن جئتني أكرمتك وقولك أكرمك لإتيانك إياي واحدا صح عطف التعليل على الشرط في البيت. وكذلك تقول: إن جئتني وأحسنت." (٢)

"تذكرت. وهذا جائز عنهم بإجماع لأن الكلام قد تم في قوله: تذكرت أرضا بها أهلها ثم حمل ما بعده على معنى التذكر.

وأجاز بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصل أن يكون قوله: أخوالها بدلا من أرضا بدل الاشتمال. وقوله: بها أهلها الظرف لقوله أرضا وأهلها فاعل الظرف ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف قبله خبره والجملة هـ يالصفة.

والكلام على ساتيدما قد أجاد فيه ياقوت الحموي في معجم البلدان قال: ساتيدما بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثناة من تحت ودال مهملة مفتوحة وميم وألف مقصورة أصله مهمل في الاستعمال في كلام العرب فإما أن يكون مرتجلا عربيا لأنهم قد اكثروا من ذكره في شعرهم وإما أن يكون أعدجميا. قال العمراني: هو جبل بالهند لا يعدم ثلجه أبدا.

وأنشدوا: المتقارب

(أبرد من ثلج ساتيدما ... وأكثر ماء من العكرش)

وقال غيره: سمي بذلك لأنه ليس من يوم إلا ويسفك فيه دم كأنه اسمان جعلا واحدا: ساتي)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢/١٠٦

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤/٢٠

دما. وسادي وساتي بمعنى وهو من سدى الثوب فكأن الدماء تسدى فيه كما يسدى الثوب. وقد مده البحتري فقال: الطويل

(ولما أسفرت في جلولى ديارهم ... فلا الظهر من ساتيدماء ولا اللحف)." (١)

"(تبت يداه لقد خابت وقد خسرت ... وصار أبخس من في الحشر ميزانا)

(هذا جوابي في ذا النذل **مرتجلا** ... أرجو بذاك من الرحمن غفرانا)

ونقل الإمام الباقلاني أن السيد الحميري نقضها عليه بقوله: البسيط

(لا در المرادي الذي سفكت ... كفاه مهجة خير الخلق إنسانا)

(أصبح مما تعاطاه بضربته ... مما عليه ذوو الإسلام عريانا)

(أبكى السماء لباب كان يعمره ... منها وحنت عليه الأرض تحتانا)

(طورا أقول ابن ملعونين ملتقط ... من نسل إبليس لا بل كان شيطانا)

(عبد تحمل إثما لو تحمله ... ثهلان طرفة عين هد ثهلانا)

انتهى ما أورده ابن السبكي.

ونقل الذهبي في تاريخ الإسلام أن شعر عمران بن حطان المذكور لما بلغ عبد الملك بن مروان أدركته الحمية ونذر دمه ووضع عليه العيون." (٢)

"صمت: يصمت بالضم فإما أن يكون الكسر لغة فيه لم ينقل وإما أن يكون مما غير في التسمية كما قالوا: شمس بن مالك بالضم فغيروا لفظ الشمس.

وإما أن يكون **مرتجلا** وافق لفظ الأمر الذي بمعنى اسكت فلا يكون من هذا الفصل. انتهى.

وكذا قال ابن يعيش في شرح المفصل.

وأجاب ابن الحاجب في أماليه على المفصل بغير هذا قال: وقد أخذ على صاحب المفصل باستشهاده فإن العرب تقول: صمت يصمت فالأمر فيه بالضم فكيف جاء إصمت وجوابه أن يقال: إن فعل يأتي على يفعل ويفعل.

ومنهم من يقول: إن سمع للفعل مضارع اتبع وإلا فأنت فيه مخير إن شئت قلت: يفعل أو يفعل.

ومنهم من يقول: إن كثر استعمال المضارع اتبع وإلا كنت فيه بالخيار. انتهى.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٠٩/٤

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٥٤/٥

وقال في شرح المفصل: واستشهاده بالبيت مستقيم على وجهين: أن يثبت أن فعل يجيء على يفعل ويفعل. والوجه الثاني: أن يثبت صمت يصمت ولا يستقيم على غير ذلك. وقول بعضهم:)." (١)

"وإصمت منقول من فعل الأمر مجرد عن الضمير وقطعت همزته ليجري على غالب الأسماء. وهكذا جميع ما يسمى به من فعل الأمر. وكسر الهمزة في إصمت إما لغة لم تبلغنا وإما أن يكون غير في التسمية به عن أصمت بالضم الذي هو منقول في مضارع هذا الفعل وإما أن يكون مجردا **مرتجلا** وافق لفظ الأمر الذي بمعنى اسكت. وربما كان تسمية هذه الصحراء بهذا الفعل للغلبة لكثرة ما يقول الرجل لصاحبه إذا سلكها: اصمت لئلا تسمع فتهلك لشدة الخوف بها. انتهى. فهذه عدة توجيهات لكسر الهمزة والميم ولتسمية الفلاة به. وإصمته غير منصرف أيضا لكن للعلمية والتأنيث. والقول بأن إصمت مرتجل لا منقول أسلم وأسهل وحينئذ لا يحتاج إلى توجيه كسر الميم ويكون منع الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي وفي إصمتة التأنيث اللفظي على طريقة واحدة.

والعجب من ابن يعيش فإنه وجه منع الصرف في إصمت بما ذكرنا مع القول بالنقل. وكونه علم جنس أظهر م ن كونه علم شخص لبقعة معينة كما هو ظاهر من استعمالهم: والصحيح أن العلم إنما هو إصمت وإصمتة لا مجموع وحش إصمت ووحش إصمتة بدليل أنه يقال: بلد إصمت وصحراء إصمت وغير ذلك ولم يقل أحد بعملية المجموع فيه وما يضاف." (٢)

"ونم عليك الكاشحون وقبلهم ... عليك الهوى قد نم لو ينفع النم

وزادك إغراء بها طول بخلها ... عليك وأبلى لحم أعظمك الهم

وأصبحت كالنهدي إذ مات حسرة ... على أثر هند أو كمن سقي السم

وكأنه أراد: من سقيه السم فحذف الضمير.

ووردت امرأة جميلة مع ابن " لها " صغير " المدينة " فخطبت وكان ممن خطبها عبيد الله فقال فيها معرضا ببراعة الفقهاء السبعة:

أحبك حبا لا يحبك مثله ... قريب ولا في العالمين بعيد

أحبك حبا لو علمت ببعضه ... لجدت ولم يصعب عليك شديد

أحبك يا أم الوليد متيمي ... شهيدي أبو بكر وذاك شهيد

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٢٥/٧

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٢٨/٧

ويعلم وجدي قاسم بن محمد ... وعروة ما ألقى بكم وسعيد

ويعلم ما أخفي سليمان كله ... وخارجه يبدي بنا ويعيد

متى تسألي عما أقول تخبري ... فللحب عندي طارف وتليد

ويحكى أنه لقيه بعد هذا سعيد بن المسيب يوما فقال له: أما إنك قد أمنت أن تسألنا، ولو سألتنا ما شهدنا لك بزور، وهذا من فكاهة أهل الحجاز ولطافتهم رضي الله عنهم.

وكان الإمام الشافعي – رضي الله عنه – وهو القائل مخبرا عن غزارة عنصره في ذلك:

ولولا الشعر بالفقهاء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

فمن قوله:

ماذا يخبر ضيف بيتك أهله؟ ... إن سيل: كيف مراده ومعاجه؟

أيقول جاورت الفرات ولم أنل ... رفدا إليه وقد طغت أمواجه

ورقيت في درج العلى فتضاءلت ... عما أريد شعاره وفجاجه

ولتخبرن خصاصتي بتملقي ... والماء يخبر عن قذاه

عندي يواقيت القريض ودره ... وعلي إكليل الكلام وتاجه

تربي على روض الربى أزهاره ... ويرق في نادي الندى ديباجه

والشاعر المنطيق أسود سالخ ... والشعر منه لعابه ومجاجه

وعداوة الشعراء داء معضل ... ولقد يهون على الكريم علاجه

والظاهر أنه قال هذا قبل اشتغاله بالفقه، فأنه لم يشتغل به حتى الآن في البادية وتوسع في العربية والشعر.

ويحكى عن أبي القاسم بن الأزرق الشاعر أنه قال: جئت الشافعي يوما فقلت: يا أبا عبد الله لك الفقه تفوز بفوائده، ولنا الشعر، فأردت مداخلتنا فيه، فأما أفردتنا الشعر، وإما أشركتنا في الفقه، وقد أتيت بأبيات إن أتيت بمثلها تبت عن الشعر، وإن عجزت تبت عنه، فقال: هات، فأنشدته:

ما همتي إلا مقارعة العدا ... خلق الزمان وهمتي لم تخلق

والناس أعينهم إلى سلب الفتى ... لا يسألون عن الحجا والأولق

لكن من رزق الحجا حرم الغنى ... هذان مفترقان أي تفرق

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقي

فقال الشافعي: أنا أقول خيرا منه وأنشد **مرتجلا:**

إن الذي رزق اليسار ولم ينل ... حمدا ولا أجرا لغير موفق
فالجد يدني كل شيء شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق
فإذا سمعت بأن مجدودا حوى ... عودا فأثمر في يديه فحقق
وإذا سمعت بأن محروما أتى ... ماء ليشربه فغاص فصدق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ ... ذو همة يبلى برزق ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق
وقال أبو سعيد المكي: سمعت الشافعي رضي الله عنه ينشد:
رأيت نفسي تتوق إلى مصر ... ومن دونها عرض المهامه والفقر
ووالله ما أدري أللفقر والغنى ... أقاد إليها أم أقاد إلى قبري
وكان ينشد رضي الله عنه:
يا لهف نفسي على مال أفرقه ... على الفريقين من أهل المروآت
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات
وقال يونس بن عبد الأعلى: كان الشافعي يتمثل:
إذا أصبحت عندك قوت يوم ... فخل الهم عني يا سعيد
ولم تخطر هموم غد ببالي ... لأن غدا له رزق جديد
أسلم إن أراد الله أمرا ... وأترك ما أريد لما يريد
توفي رضي الله عنه بمصر آخر يوم من رجب سنة سبع ومائتين، قال الربيع: لما دفناه رأينا هلال شعبان، وعاش أربعا وخمسين سنة.." (١)

"وصرف الدهر عنه مصروف، وطرفه دون تطرف ساحته مطروف.
يترنح في الخطوة يمينا وشمالا، ويقتطف من الحظ أماني وآمالا.
والروض يحييه بمباسم زهره، ويرفع إليه رفع الحمد ببنان قضبه الناشئة عن معصم نهره.
وهو يجلو من أبكاره، وعرائس أفكاره.
ما هو أمتع من بواكير الرياحين، وأوقع في الأسماع من مطربات التلاحين.
فقرئ بحضرته أبيات غنت بها نعم الجارية بين يدي المأمون، وهي:

---
(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/١٠٠

ولقد أخذتم من فؤادي أنسه ... لا شل ربي كف ذاك الآخذ

وزعمت أني ظالم فهجرتني ... ورميت في قلبي بسهم نافذ

ونعم هجرتك فاغفري وتجاوزي ... هذا مقام المستجير العائذ

هذا مقام فتى أضر به الهوى ... قرح الجفون بحسن وجهك لائذ

فأنشد مضمنا لهذا المصراع قوله:

نقل العذول بأنني أفشيت ما ... أخفى الحفاظ من الغرام الواقذ

هبني اقترفت لما افترى فاغفره لي ... هذا مقام المستجير العائذ

فلم يبق أحد ممن تضمنه المجلس إلا وبدا وبده، وشدا وشده.

فمنهم ولده السيد عبد الرحمن، قال **مرتجلا**:

نبذ العهود مغاضبي فألم بي ... في صورة الإشفاق طيف النابذ

فسألته أن لا يفوه بما جرى ... فيحيله عني بقول نافذ

فمضى ونم علي فيما قلته ... فأتى يهددني بسيف شاحذ

رحماك قد صدق الخيال وإنما ... هذا مقام المستجير العائذ

ثم تلاه تلوه السيد عبد الكريم، فقال:

هب قادني الغرام فما الذي ... ألجاك تعذيبي بهجر واقذ

أضراعتي أم ما افترته عواذلي ... عني إليك من الكلام النافذ

رحماك بي لا ترع غير مودتي ... وحفاظ ودي لا تكن بالنابذ

فلديك منك بك استعذت وإنه ... هذا مقام المستجير العائذ

ثم اقتفى أثره شقيقهما السيد إبراهيم، فقال:

نظرت لواحظه فأقصدت الحشا ... منى بسهم في الحشاشة نافذ

مافوقت إلا وقلت لسهمها ... هذا مقام المستجير العائذ

وقال الفاضل عبد الغني النابلسي، حفظه الله تعالى:

لاحظت خالا تحت صفحة خده ... متواريا خلف اللهيب النافذ

فسألته ماذا المقام فقال لي ... هذا مقام المستجير العائذ

وقال الفاضل عبد القادر بن عبد الهادي:

وافى الحبيب بغير وعد زائرا ... يرنو بطرف بالمجامع آخذ

أربي بسكر هوى وسكر مدامة ... حتى إذا سدت علي منافذي

ناديته حسبي فديتك زائرا ... هذا مقام المستجير العائذ

وقال العالم الشيخ عبد الحي العكري:

أنزلت آمالي بواد مخصب ... وحمى منيع نعم كهف اللائذ

فلذاك ناداني يقينى معلنا ... هذا مقام المستجير العائذ

وقال الأديب زين الدين البصروي:

وأغن فتاك اللواحظ أدعج ... يرمى بنبل في القلوب نوافذ

نادته أفلاذي وقد فتكت بها ... هذا مقام المستجير العائذ

وقال البارع عبد الرحمن البعلي:

ولقد وقفت على الطلول عشية الت ... وديع يوم البين وقفة لائذ

فاستعبرت عيناي لما بان من ... أوهى بفرقته جميع مآخذي

لام العذول وقد رآني والها ... فأجبته خفض عليك منابذي

لو راعك البين المشت عذرتني ... هذا مقام المستجير العائذ

وقال الألمعي إبراهيم بن محمد السفرجلاني:

يا آل بيت المصطفى شعرى حلا ... فيكم وطابت بالمديح لذائذي

وافيتكم أبغي حماكم منشدا ... هذا مقام المستجير العائذ

وقال الكامل محمد الذهبي:." (١)

"كم رمت أخفى عن سواك صبابتي ... وبها ينم على شاهد أدمعي

يهفو لغي فيك قلبي ثم لا ... يصغى لغش الرشاد مقنع

قل للعذول عليك يترك غشه ... بالنصح لي فلذاك أذني لا تعي

لم تحف قط بشاشة لؤم الفتى ... فالطبع يفضح حالة المتطبع

إن الملام وحق وجهك في الهوى ... ما زاد غير تولهي وتولعي

قد زاد فيك تألفي بتألمي ... وتفكري فيه انتهى لتمتعي

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١٥٨/١

الأبيات الثلاثة الأول، هي بعينها ثلاثة المهيار:

أودع فؤادي حرقا أو دع ... ذاتك تؤذى أنت في أضلعي

أمسك سهام اللحظ أو فارمها ... أنت بما ترمي مصاب معي

موقعها القلب وأنت الذي ... مسكنه في ذلك الموضع

ومن مقطعاته قوله:

إذا منعت سحب العواذل وجهه ... وحجب عني نوره وهو ساطع

فمن نار أحشائي تصاعد برقها ... وهاطلها ما أمطرته المدامع

وله في الغزل:

عجبت لحسادي عليك وليتهم ... دروا أنني من نقضك العهد في ضنك

مضى ظنهم في مين وعدك صحة ... وحقق إنجازا عريا عن الشرك

فبين وعيد صادق لا تحيده ... ووعد كذوب ليس يؤذن بالشك

غدوت ولي حال كما تشتهي العدا ... وسحب دموعي أنبتت كلأ الهتك

فلله من أخلصت دهري وده ... وعذبني بالغدر والهجر والفتك

وقوله، في شخص اسمه موسى:

يناديك يا موسى فؤاد تكثرت ... عليه وشاة في هواك خصوم

وليس عجيبا أن توله في الهوى ... وأنت له بين الأنام كليم

وله في غرض:

كم ذا تظل مؤرق الأجفان ... ما عشت وثابا لنيل أماني

فبكل واد أنت رائد مطلب ... وبكل ناد أنت ناشد شان

ترد الخطوب لمورد هاعت به ... أسد الفلا مذعورة الأعيان

لا تهتدي فيه القطا لورودها ... إلا بورد الضيغم الظمآن

وكأنما ريش النواهض حوله ... وقع النبال عقيب يوم طعان

وترى المطايا عوضت من طائها ... نونا لمقتحم له ومدان

فأتيته والأسد توجس خيفة ... فيه مفارقة ثبات جنان

وحشا خطوب قد شققت ضميرها ... بيد تدق عوالي المران

وغدوت تعتسف الفلا وتجوبها ... لمطالب قد زينت وأماني

وفريت وفر ظلامها بصوارم ... وصلت عرى الإصباح باللمعان

وركبت متن مهامه متوخيا ... دار العلى فوصلتها بأمان

وبذلت شرخ العمر وهو نفيسه ... في سوق رغبات الهوى النفساني

قسما بأيام الشباب وطيبها ... وبنظم شمل شته الحدثان

وبأنة القلب الصريع إذا نأى ... عنه الأليف وأقفرته مغاني

لأشد ما يلقى أمرؤ في دهره ... شيئان صدق قلى وبعد مداني

وله مضمنا بيت الأرجاني **مرتجلا**:

لست أنسى لياليا قد تقضت ... بوصال وطيب عيش بمغنى

كم قضينا بها لبانة أنس ... وظفرنا بكل ما نتمنى

حيث غصن الشباب ريان من ما ... ء صباه في الهوى يتثنى

قد أتت بغتة وولت سراعا ... كطروق الخيال مذ زار وهنا

أترى هل تعود بالتداني ... ومحال جمعي بها أو تثنى." (١)

"بشراك ما أوتيت من أجر بما ... عاينت من وصب عداك ييمم

فتهن مأجورا ومسرورا بعا ... فية أتتك فلا عدتك تعمم

وعدتك أسقام عنتك وللعدى ال ... عادين وافت بينهم تتقسم

وبقيت في ظل التهاني سالما ... والعيش مخضرا لديك مخيم

وإليكها قسية ألفاظها ... كالدر في سلك الثناء تنظم

جادت بها مني قريحة موقن ... بجمودها إذ جاء منك مهيم

فاعذر وكن بثنائها متمتعا ... حسب المنى حيث الحوادث نوم

فكتبت إليه معتذرا عن مراجعته بقصيدة: لعارض المرض، وما أقول إلا كما قال الديباجي: كلامي في خطابه مماثل لانعكاس الناظر، ورد الفوارة ماء الغمام الماطر:

ليس فمي فيك يبلغ الشكرا ... من بعد ما قد ملأته درا

بعثت لأي بالحياة في كلم ... يزيد في العمر لطفها عمرا

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١/١٦٢

من كل لفظ في اللفظ أحسبه ... ينفث هاروت منه لي سحرا

لم تصطنع جبرك القلوب لمن ... يدعوك إلا وتقتني أجرا

يا من هو الروض في خلائقه ... يعبق من نسمة الندى نشرا

شوقي لتقبيل راحتيك لقد ... جاوز حتى لم يبق لي صبرا

لكن عذرى إليك متضح ... فاقبل حماك الإله لي عذرا

فبعث إلي بهذه الأبيات:

أيها الموسع المنى بشرا ... دمت تستنطق اللهي شكرا

ودام ثغر الواداد يبسم من ... بشر محياك لافظا درا

وحبذا منك ذا لآمله ... فهو لعمري ينافس الشحرا

لقد منحت المحب منك بما ... أثلج منه الفؤاد والصدرا

من كل لفظ في اللطف أحسبه ... ينفث هاروت منه لي سحرا

فدم لنا روضة نسر بها ... ومن رباها نستنشق العطرا

وفيك ما دامت لنا المنى أمم ... إن نلتها كان لي بها البشرى

وكتب إلي يستدعيني إلى منتزه:

أنعم الله للجناب صباحه ... وبإسعاده أراش جناحه

وحبانا حسب المنى بأمالي ... ه وآداب فضله المستباحه

وأقر العيون منا بما من ... غض آدابه أجاد اقتراحه

يا أمين الكمال وابن ذوي الفض ... ل وخدن العلى ورب الفصاحه

لا عدمت الوفاء منك بأوفى ... صدق عهد يجدي إلى نجاحه

فأجب داعيا إلى منزل القص ... ف صباحا لكي ننال رباحه

مسعدا حظه ببشر ولطف ... بهما الصدر راح يلقى انشراحه

وابق سلما خديمك السعد ما أس ... عد خل إلى خليل صباحه

فخطابته مرتجلا:

أسعد الله من تكون صباحه ... فمحياك للصباح صباحه

بأبي أنت وأمي رائشا لجناحي ... في زمان عدمت فيه نجاحه

كان قدما جواد حظي جموحا ... فلأنت الذي أزحت جماحه

قد أتتني أبياتك الغر تختا ... ل وقد أوتيت جميع الملاحه

مبدعات لا يبرح الطرف عنها ... فهى قيد النواظر اللماحه

كل لفظ منها كوسطى نظام ... زين العقد منه جيد الفصاحه

قد دعتني إلى اغتنام عهود ... أنا منها في غبطة وارتياحه

ألف سمع وطاعة ولك الأم ... ر الذي ما برحت أرجو نجاحه." (١)

"يحبوك من ثمر المنى ... غض الجنى داني الأطايب

وشمائلا عطرن أر ... دية الشمائل والجنائب

كالغيث براق المخا ... ئل وهو منهمر الصوائب

نعم بها ينشي الندى ... والروض تنشيه السحائب

ولكم له من نائل ... شمل الأقارب والأجانب

كالشمس في كبد السما ... تغشى المشارق والمغارب

مولاي أنت وأنت أن ... ت نتاج مفخرة الحقائب

يا نجل صديق النبي ... وفرع زهراء المناسب

لك من أصولك رتبة ... فخرت على كل المراتب

وهم الذين تبوءوا ... في المجد هامات الثواقب

نطق الكتاب بمدحهم ... واستفتحت بهم الكتائب

فمدائح الأقوام غي ... رهم تعد من المثالب

وعل عداهم في الورى ... رصدان للقدر المحارب

ما استيقظوا إلا رما ... هم بالمتاعب والمصاعب

وإذا غفوا أمر الحلو ... م فجردت لهم القواضب

مولاي يا من أرتجي ... ه إذا تعسرت المطالب

طوقتني نعما بها ... أثقلت ظهري والمناكب

فلأشكرنك شكر من ... جعل الثنا أسنى الرواتب

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١٧٤/١

وإليك غانية تها ... دى في مصندلة الجلائب

فاستجل منها حسن من ... عطف لأسراب السرائب

واسلم كما سلمت صفا ... ت علاك من كل المعائب

تزهو بمدحتك الورى ... بين الأعاجم والأعارب

ولك الأماني غضة ... والدهر مأمون العواقب

وكنت في أثناء الإقامة سافرت إلى رشيد، ثم عدت إليه بالرغبة، وما عدلت عنه للرهبة.

عود من عرف فضله، واستطاب ظله، ولم يحمد مباينته، ولا استوفق مجانبته.

فطاب العود والإبدا، ورجوت أن يروي تلك النوادي الأندا.

فإنه إذا كان أول من عرف تعبدي فجوده لعنان ثنائي ثاني، وإذا كان لي من ذراه مرابع فلي من خطابه مثالث ومثاني.

فرأيته في الثانية كالأولى، وحاله على أجمل ما عوده الله وأولى.

فالله يجريه على عادته الحسنى التي هي جبلة نفيسة في نفسه، ويجعل كل يوم من أيامه مبشرا بالخير عن غده وزائدا فيه على أمسه.

فخاطبته **مرتجلا** بقولي:

يا من هواهم آخذ بأعنتي ... وهم لقلبي في الورى المطلوب

ذنب الفراق وقد ظفرت بقربكم ... فعلى يديه من الزمان أتوب

وأخلق بمن جنح إلى الاعتراف والإقرار، ونزع عن التمادي والإصرار، أن تكون توبته مقبولة، وإنابته صحيحة غير معلولة.

وشتان بين المتورط الناصر لورطته، وبين النازع الراجع عن غلطته.

وقد استطار إلى المعالي مدركا ... من أنهضته لنحوه العلياء

طلب النباهة في ذراه فما له ... إلا لديه تأمل ورجاء

فكساني حلة فخار وتجمل، وحملني من آلائه ما لم يبق لي معه تحمل.

واحتاز فؤادي أجمعه، بأن لم يجعل لأحد علي يدا معه.

فأنا عارف بأن صرف الفكر لغيره عبث ولهو، فإذا سجد يراعي لمدح سواه فسجدته سجدة سهو.

وقد أخذت عنه من فضل يراعه الموشى للأوراق، ومحاسن بدائع التي تخفى خجلا منها الشموس عند

الإشراق، ما يضيق عن إحاطة وصفه نطاق الأرقام، وتنصضب عنده ليقة المحابر وتحفى أقدام الأقلام.

فمن ذلك كتاب كتبه إلى رئيس المنجمين، نادرة الفلك الدوار، وقطب فلك التحقيق الذي عليه المدار، المولى أحمد بن لطفي، حرس الله مهجته، وأدام رونقه، وبهجته:." (١)

"طرقتني نفحة من سرهم ... فكسا ضوء سناها أصغري

صيرتني منشئا مرتجلا ... كل ما أطلبه في قبضتي

أسعد الله بهم فكري فلا ... يعتريني قصر في ساعدي

واجب عندي أن أسعى على ... بصري حقا لهم لا قدمي

يا لساني أدم المدح لهم ... دائم الدهر ويا فكري تهي

أنا والله محب لكم ... صدقوني ليس بعد الله شي

مختف حبكم في مهجتي ... عن جميع الخلق إلا ملكي

لا يخفى أنه أراد المعارضة لابن الفارض، ولكنه بحكم عارض المحبة بقي تحت ذيل العارض، وبيت الفارضي:

كان لولا أدمعي أستغفر الل ... ه يخفى حبكم عن ملكي

مذ منحتم بوفا دون جفا ... فلذا أنسيتموني أبوي

وسقاني كفكم كأس ندى ... من رحيق برده وسط حشي

دام مني المدح يأتيكم على ... سائق الأظعان يطوي البيد طي

عبد الرحيم الشعراني خلاصة جيله، الواجب أمر تعظيمه وتبجيله.

وآل بيته الأخيار، رونق السير وطلاوة الأخبار.

لهم نفوس بالأسرار الروحانية عارفات، إذا كان لغيرهم منها عارفة فلهم منهم عارفات.

فما زالوا يطلعون من أخلافهم، ما يبقى به ذكر أسلافهم.

وهذا الحبر العالم، زين الله به منهم المعاهد والمعالم.

فنال حفلا به السعد اكتمل، وابتسم بمرآه ثغر المنى وامتد خطو الأمل.

وهاجر إلى الروم لأمر دعاه، فحمد عند أهل المشاهدة مسعاه.

فأقام بها راتعا من الجلالة في نضرها ولدنها، إلى ان انتقل من ظهرها إلى بطنها.

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١٥٨/٢

يملأ الصدور انشراحا، ويعم الأرجاء أفراحا.

ولا يألو وليه شكر منه الجسيم، كما شكر عارفة الروض لسان النسيم بوقار كما تشتهيه العيون، ونصح كما تقتضيه الظنون.

يلهب الوجد الذي خمد، ويذيب الدمع الذي جمد.

ووعظ يقيم الحرج، على الشيخ أبي الفرج.

وله أشعار مشتملة على حكم ووعظ، يتمتع بها القلب قبل اللفظ.

فمنها قوله في عقد كلام ينقل عن كسرى، كاتب به قيصر جوابا عن مكاتبة:

كاتب في السبق كسرى قيصر ... بما استقام ملككم والظفر

فقال قد دام لنا الولاء ... بخمسة طاب بها الهناء

إن استشرنا فذوي العقول ... وإن نولي فذوي الأصول

وليس في وعد ولا وعيد ... نخالف القول على التأبيد

وإن نعاقب فعلى قدر السبب ... من الذنوب لا على قدر الغضب

ولا نقدم الشباب مطلقا ... على الشيوخ في ولاء أطلقا

وله في التوسل:

يا سيد الرسل ومن جوده ... لكل خلق الله مسترسل

أنت الذي خصك ربي بما ... لم يحصه المزبر والمقول

وإنني عبدك من جرمه ... لفكر ذي اللب غدا يذهل

قد جئت أبغي توبة ينمحي ... عني بها الوزر الذي يثقل

والستر في ديني وأهلي ومن ... يحويه بيتي أو به ينزل

فأنت باب الله أي امرىء ... أتاه من غيرك لا يدخل

هذا البيت مضمن من قصيدة الشمس البكري، التي أولها:

ما أرسل الرحمن أو يرسل ... من رحمة تصعد أو تنزل

في ملكوت الله أو ملكه ... من كل ما يختص أو يشمل

إلا وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسل

واسطة فيها وأصل لها ... يعلم هذا كل من يعقل
ولده: أبو السعود." (١)

"ولله در القائل

(هدية العبد على قدره ... والفضل أن يقبلها السيد)

(فالعين مع تعظيم مقدارها ... تقبل ما يهدي لها المرود)

فكتب إليه الشاهيني قصيدة مطلعها

(يا سيد اشعري له ... ما أن يقاوي أو يقاوم)

منها وهو محل ذكر ما أهداه إليه

(قد جاء ما شرفتني ... بخصومه دون الأعاظم)

(من خاتم كفى به ... ورثت سليمان العزائم)

(وبسبحة شبهتها ... بالشهب في أسلاك ناظم)

(فلتحسد الجوزاء ما ... أحرزت من تلك المكارم)

(هي آلة الذكر لكن ... لي ذكرا في الحيازم)

(فهواك في قلبي وما ... في القلب جل عن الرتائم)

(ماذي رتائم سيدي ... بل إنها عندي تمائم)

(لو أنها من جنس ما ... يطوى غدت فوق النعائم)

(لكنها قد زينت ... كفى وأزرت بالخواتم)

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١٦٩/٢

واتفق للمقري مجلس في دعوة بعض الأعيان وكان المفتي العمادي والشاهيني صحبته في يتلك الدعوة فمس ثلجا وقال الماس هذا فأنشد الشاهيني **مرتجلا**

(شيخنا المقري و٥و الناس ... والذي بالأنام ليس يقاس)

(مس ثلجا وقال الماس هذا ... قلت الماس عندنا الماس)

ثم ارتجل بآخرين في الثلج

(غنيت بالثلج عن سوداء حالكة ... من قهوة لم تكن في الأعصر الأول)

(وقلت لما غدا خلى يعنفني ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل)

فقال العمادي

(يا بردها ثلجة جاءت على كبد ... حراء من فرقة الأحباب في وجل)

فقال المقري

(تحلو إذا كررت ذوقا وعادة ما ... أعيد أن يلتقي بالكره والملل)

فقال العمادي

(لعل إعلاله بالثلج ثانية ... يدب منها نسيم البرد في عللي)

فقال المقري

(إذا دعاني بمصر ذكر معهدها ... أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل)

فقال العمادي

(لو كان في مصر ماء بارد لكفى ... عن الثلوج ومن للعور بالحول)." (١)

"عروض التجار وعروض الأشعار فجاءنا بوريقة فيها خطوط أخلاط لا يدركها ولا يفهمها بقراط مشوشة المبنى مختلفة المعنى يدعى أنها تدخل في سلك النظم لا تساغ مع الكظم ولا يعمل فيها الهضم إنما هي لقمة ذات عظم لا يؤثر فيها القضم فما رأيت قدرا أكثر منها عظما ولا آكلا أكثر مني كظما كما لم أر ناظما أقبح منه نظما ثم إنه أخذ يتقاضى الجواب ولا يمنعه الحجاب ولا يعوقه البواب ولا يروعه الباب فيقف بين يدي كأن له دينا علي فيضغطني ضغطة الغريم اللئيم للمدين الكريم حتى أردت أن أقول

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣٠٧/١

بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم أمسكت اليراع وأنا ممتلىء بالصداع ونظمت هذه الأبيات والنشوة على شرف الفوات وما أنشأت هذا القريض حتى انحط طبعي للحضيض ثم لم يبرح من باب الدار حتى أمسكت بيدي الطومار فكتبت وشرخ البديهة عازب ونجم القريحة غارب ولولا ذلك لكانت كلها هجوا ولما كان بعض هجاۂها نجوى وها هي كما يراه السيد منها الرديء والجيد فقلت **مرتجلا** بديهة من غير توقف ولا تدبر

(من رام يحوي في العلى مراده ... فليصحبن صاحب السعاده)

(مهذب الرأي الذي دنياه في ... يديه لا في قلبه معاده)

(ذو همة لو جيء بالعنقاء قد ... يقول هذى عندنا جراده)

(مقتصد عدوه الأسراف في ... أموره وخلقه الزهاده)

(وربما يرفل في ديباجه ... طورا وطورا لابسا نجاده)

(ولو أتاه قس يوما حجة ... ولو غدا مستنصرا إياده)

(أو حاتم وافاه راح خجلا ... ولو بطى قد نوى استنجاده)

(يقول قس أين لي فضل فتى ... أحرز خصل الفضل مع زياده)

(وحاتم يقول إني عاجز ... عن شأو مولى غالب أضداده)

(عن الإمام المقرىء شيخنا ... رويت كلما رويت عاده)

(والمقري عند أصحاب النهى ... خزيمة في موطن الشهادة)

(يحفظه الله الذي أفادني ... إفادة تغني عن الإعادة)

(قد كثر الله معاليه كما ... قد كثر الله بها حساده)

(ـلـه ما أسعد أوقاتي به ... وطبعه الموصوف بالإجاده)." [١]

"وقوله مضمنا بيت الأرجاني مرتجلا

(لست أنسى لياليا قد تقضت ... بوصال وطيب عيش بمغنى)

(كم قضينا بها لبانة أنس ... وظفرنا بكل ما نتمنى)

(حيث غصن الشباب ريان ... من ماء صباه مع الهوى يتثنى)

(قد أتت بغتة وولت سراعا ... كطروق الخيال مذ زار وهنا)

(أترى هل تعود لي بالتداني ... ومحال جمعي بها أونثني)

(غير أني اعلل النفس عنها ... بالاماني الكذاب وهما ووهنا)

(أتمنى تلك الليالي المنيرات ... وجهد المحب أن يتمنى)

وهذا ما وقع اختياري عليه للإثبات هنا من شعره وله غير ذلك وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين وألف وتوفي في أوائل شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وألف ودفن بتربة الايجية في سفح قاسيون رحمه الله تعالى السيد حسين بن محمد البيمارستاني نقيب الاشراف بحلب وكان يكتب الحسيني تولى نقابة حلب بعد موت والده ونازعه الشمس الرامحمداني فإنه كان نقيبا قبل والد السيد حسين فتقرب السيد حسين إلى المولى يحيى بن سنان بالهدايا حتى قررها عليه وعرض له بها وكان صاحب أموال جزيلة حصلها من التجارات والمداينات وأخذ أمرا بالتقاعد عن دفتر دارية حلب وكان لا يأخذ من الاشراف مالا ولا يصادرهم بل كان يبذل لهم القرى ويقضي مهمات مصالحهم بخلاف غيره من النقباء ولما استولى خداوردي أحد جند الشام على حلب ونواحيها وامتدت يده زوج ابنته لابن خداوردي كما زوج الشيخ أبو الجود ابنته

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣٧٩/١

لخداوردي تقربا إلى جاهه ولما تولى الوزير نصوح كفالة حلب وفهم الشيخ أبو الجودانة يريد الانتقام من خداوردي وبقية أجناد دمشق المستولين على حلب فر قبل وقع الفتنة إلى دمشق والسيد حسين ثبت وكان يداري الباشا وهو في الباطن يبغضه وينوي له السوء والأمير درويش بن مطاف أحد متفرقة حلب مقبول الباشا كثير البغض للسيد حسين بواسطة أخيه السيد لطفي فإنه كان عدوا للسيد حسين مع كونه أخاه فكان السيد لطفي يثلب أخ اه بحضور الأمير درويش والأمير درويش ينقل ذلك للباشا حتى وقع الحرب بين نصوح باشا وحسين باشا ابن جانه ولاذ كما ذكرناه سابقا وانكسر نصوح باشا وعاد إلى حلب مقهور افوشي السيد لطفي أن أخاه فرح بكسر." (١)

"(وما الفخر بالأجسام والمال والعلى ... ولكن بأنواع الكمال التفاضل)

(ومن يك أعمى القلب يلزم بقوله ... كما يحذر الأعمى العصا إذ يقاتل)

(وما يصنع الإنسان يوما بنوره ... إذا عادلت فيه النجوم الجنادل)

(وفيم نضيع العمر في غير طائل ... إذا ما استوى في الناس قس وباقل)

(وأصعب ما حاولت تثقيف أعوج ... وأثقل شيء جاهل متعاقل)

(إذا جاء نقاد الرجال من الوغى ... تميز عن أهل الكمال الأراذل)

(عنيت الوزير بن الوزير الذي به ... تذل وتعنوا للشعوب القبائل)

ومدح أخاه الفاضل مصطفى بقصيدة أخرى مطلعها

(بالنفس يسمح من أراد نفيسا ... والحب أول ما يكون رسيسا)

وكلا القصيدتين قد ذكرتهما في ترجمته في كتابي النفحة فلا نطيل هنا الكلام بهما فأنا نذكر له هنا غيرهما وكل جديد له لذة وأجيز على هاتين جائزة سنية ووصل من الجزيرة المذكورة إلى سلانيك ويكى شهر والسلطان محمد ثمة فكان خاتمة مطافه أن بلغ خبره السلطان فاتخذه نديما وفاز مدة بعطاياه الطائلة ولم

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٠٨/٢

يطل أمره في المنادمة فأعطى مدرسة بقسطنطينية وأبعد عن الدولة إليها فألقى رحله بها واتخذها دار قراره ومجمع أسبابه وأحبه كبراؤها ومالوا إليه خصوصا المرحوم الأستاذ عزتي قاضي العسكر فإنه أقبل عليه بكليته وكان يمده بعطاياه وافرة ولما دخلت قسطنطينية في سنة سبع وثمانين وألف رأيته وهو مدرس الفتحية برتبة موصولة الصحن فاتحدت معها اتحادا لم يتفق لي مع أحد غيره لما كنت أشاهد منه من المحبة والصدق الذي لا مزيد عليه وأنا منذ توفي إلى الآن أذكر صنائعه من المعروف معي فلا أعرف نهايتها وأقصر عن أداء حقها بيد أني أرجو الله أن يجزيه عن حسن محبته لي أحسن جزاء وأعظمه واتفق لي معه محاورات ومخاطبات كثيرة فمن ذلك أني أنشدته يوما قولي

(ومقرطق ترف الأديم تخاله ... كالغصن قد لعب النسيم بقده)

(ويكاد أن شرب المدامة أن يرى ... م ا مر منها تحت أحمر خده)

فأنشدني مرتجلا قوله

(ومهفهف لولا جفون عيونه ... خلنا دم الوجنات من ألحاظه)

(وتكاد تقرأ من صفاء خدوده ... ما مر خلف الخد من ألفاظه)." (١)

"وسألته عن نكتة تخصيص المؤمن في قوله عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله فأجاب مرتجلا

(الجسم بيت وقنديل الفؤاد به ... والقبة الرأس فيها المقلة الجام)

(فإن غدا فيه نور الحق متقدا ... أضاء أركانه والجام نمام)

(فالعارفون بنور الله إذ نظروا ... صحت فراستهم والناس أقسام)

وركبت معه البحر يوما في زورق وتوجهنا إلى المكان المعروف ببشكطاش فأنشدته بالمناسبة قول ابن ملطية

(وزورق أبصرته عائما ... وقد تمطى ظهر دأماء)

(كأنه في شكله طائر ... مد جناحيه على الماء)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢/ ٢٧١

ثم انجرت المصاحبة إلى تعداد أنواع السفن وأسمائها حتى ذكر الغراب وهو المركب الطويل الذي يسير بالمجاديف فأنشد فيه قول ابن الساعاتي

(ولقد ركبت البحر وهو كحلبة ... والموت تحسبه جيادا تركض)

(كم من غراب للقطيعة أسود ... فيه يطير به جناح أبيض)

ثم ذكر لي أن بعض الناس توهم أن تسمية هذا النوع من السفن بالغراب مترجم عن اسمه بالتركية لأن اسمها عندهم تادرغة فظنها قارغة وهو بالتركية الغراب قال وأقام المتوهم النكير على المترجم من كونه وهم لتقارب الألفاظ اتفاقا ولم يدر أن ما قاله هو الوهم بل وجه المناسبة في التسمية أنها شبهت بالغراب لسوادها وشبه المجاديف بالأجنحة وهو حسن ثم رأيت هذا الكلام للشهاب الخفاجي في كتابه طراز المجالس فراجعه إن شئت وكتب إلي هذه الأبيات مداعبا في أيام برد العجوز

(بفض بكر وبشر العجوز ... يدفع بعض الناس برد العجوز)

(ونحن قوم ما لنا ثروة ... ولا نرى في الشرع ما لا يجوز)

(قهوتنا قهوة بن زكت ... تعيد أيام الصبا للعجوز)

(وعندنا كانون جمر لقد ... أعاد في كانون قيظا تموز)

(وصحبة طوع يدا للهولا ... تفرقهم أن خلطوا بالعنوز)

(فانهض إلينا نغتنم صحبة ... فالزمن الجاني سريع النشوز)

(وأعرف الناس به عاقل ... بلذة قبل التقضي يفوز)." (١)

"ابن زياد هو مسلم بن زياد وكان نديما ليزيد وقتيب بن مسلم هو قتيبة الباهلي وكان نديما له وكان أبوه مسلم كبير القدر عند يزيد

---

(١) خلاصة الأثر في أعيا ن القرن الحادي عشر المحبي ٢/٢٧٢

(وكمروان وابنه حين واسى ... بلذاذات عيسه سماره)

مروان هو مروان بن الحكم وكان غليظا وابنه هو عبد الملك بن مروان

(نادمته أبناء يالية اللائي ... قضى في ربوعهم أسحاره)

أبناء يالية هم أبناء يالية بن هرم بن رواحة وكان يغشى منازلهم ليلا وينادمهم وفيهم يقول من شعر

(يا خبرا دار بني ياليه ... إني أرى ليلتهم لاهيه)

(وكمثل الوليد ذي القصف إذ كان ... يغب اصطباحه وابتكاره)

(ولديه الغريض وابن سريج ... أظهرا كل صنعة مختاره)

(من غناء ألذ من نشوة الكاس ... وأشهى من صبوة مستثاره)

الغريض أحد المغنين اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد وقيل أبو مروان ذكر صاحب الأغاني أنه كان يضرب باليد وينقر بالدف ويوقع بالقضيب أخذ الغناء في أول أمره عن ابن سريج وهو أبو يحيى عبد الله بن سريج أحد المغنين ذكر صاحب الأغاني أنه كان أحسن الناس غناء وكان يغني **مرتجلا** ويوقع بالقضيب

(وسليمان ذي العتو لنحو الذلفاء ... يبدي حنينه وافتراره)

سليمان بن عبد الملك والدلفاء جارية كانت لأخيه شراؤها عليه ألف ألف درهم ثم صارت إلى سليمان وهي التي يقول فيها الشاعر

(إنما الذلفاء ياقوتة ... أخرجت من كيس دهقان)

(ويزيد بن خالد وأبو يزيد ... يجيدان في الندام سراره)

(إذ بمغني سنان كان يغالي ... ويجلي بشدوه أكداره)

يزيد هو ابن خالد التيمي وكان سليمان يخصه وينادمه سرا قبل أن يباشر الشراب وأبو زيد هو أبو زيد الأسدي وكان خاصا به يجالسه وينادمه وسنان مغن له كان يأنس به ويسكن إليه ويكثر الخلوة معه ويستمتع بحديثه وغنائه

(وابن عبد العزيز إذ راوح الكاس ... وو الاه في زمان الإماره)

(ويزيد المعمود إذ خامرته ... نشوة الراح ليله ونهاره)

(وسبت لبه حبابة واستهوته ... حتى أباح فيها اشتهاره)." (١)

"حبابة جارية كانت لابن سينا تسمى العالية أخذت عن ابن سريج وكانت مدنية

(واستمالت به سلامة حتى ... أقلق الوجد فكره وأثاره)

سلامة جارية شريت ليزيد من المدينة بعشرة آلاف دينار وكانت حسنة الوجه والغناء

(إذ يناجيه لحن معبد ... بالشجو كما شاء معملا أو تارة)

(ولكم ألف الغناء لديه ... ضرب عواده على زماره)

معبد هو معبد بن وهب أحد المغنين المشهورين وخبره في الأغاني

(وهشام إذا استبد اختيارا ... بالرساطون واستلذ اختباره)

(من شراب ظلت أفاوية ... العطر به ذات نفحة سيارة)

الرساطون شراب كان يصنع له يعني لهشام تسميه أهل الشام الرساطون يطبخ بأفاويه كثيرة فيجيء طيب الرائحة قويا صلبا وفي جامع التقرير الرساطون شراب يتخذ من الخمر والعسل أعجمية لأن فعالون من أبنية كلامهم

(والوليد المليك إذ واصل ... الكاسات واللهو جهده واقتداره)

(واغتدى في تهتك ومجون ... كان يجني قطوفه وثماره)

(ومناه ذكري سليمى لوجد ... ظل يذكي لهيبه واستعاره)

(إذا يغنيه مالك بن أبي السمح ... وعمر والوافي فينفي وقاره)

سليمى هي سليمى بنت سعيد بن خالد أخت أم عبد الملك التي كانت تحته وله فيها خبر طويل ومالك هو مالك بن أبي السمح الطائي قال صاحب العقد أخذ الغناء عن معبد وكان لا يضرب بعود إنما يغني

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣٩٨/٢

مرتجلا

(ولكم خفف ابن عائشة اللحن ... له فاستخفه واستطاره)

ابن عائشة هو محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر أخذ عن معبد ومالك وابتداؤه بالغناء كان يضرب به المثل

(وابن ميادة بن ابرد ... والقاسم كانا يحثحثان عقاره)

(بندام ألذ من زورة الحب ... وأبهى من روضة في قراره)

ابن ميادة اسمه الرماح ابن أبرد من بني غطفان كان ينادمه ويحدثه حديث الإعراب والقاسم هو القاسم الطويل العبادي وكان أقرب ندمائه إليه وأخصهم به

(وبذيح أتى بأمر عجاب ... إذ تولى على القرود والإمارة)

بذيح هو مولى عبد الله بن جعفر ملهيه." (١)

"(يا سائلى عن غزة ... ومن بها من الانام ...)

(أجبتهم مرتجلا ... ابن الغصين والسلام)

وحكى لى صاحبنا الاديب ابراهيم بن سليمان الجنينى نزيل دمشق أن شيخ الاسلام خير الدين الرملى كان توجه الى غزة فى بعض السنين لامر اقتضى قال وكنت معه فنزل عند الرئيس محمد بن الغصين المذكور فرأى بيتى المقرى مكتوبين على جدار المكان المعد للاضياف فكتب تحتهما ارتجالا

(دار الغصين محط كل مسافر ... وتكية لابن السبيل العابر)

(وبها المكارم والمفاخرة التقى ... يا رب فاعمرها ليوم الآخر)

وعلى الجملة فان محمدا صاحب الترجمة كان من أفرادالكرام والرؤساء وله مناقب فى الكرم لا تعد ومزايا لا توصف وكانت وفاته ليلة الاحد عشرى المحرم سنة اثنتين وستين وألف ودفن بغزة ولم يخلف مثله فى الكرم والنباهة رحمه الله تعالى

السيد محمد بن أحمد بن الامام الحسن بن داود بن الحسن ابن الامام الناصر ابن الامام عز الدين بن الحسن بن على بن المؤيد بن جبريل بن محمد بن على بن الامام الداعى يحيى بن المحسن بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن الامير العالم المعتضد بالله عبد الله بن الامام المنتصر لدين الله محمد بن

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢/٣٩٩

الامام المختار لدين الله القسم ابن الامام الناصر لدين الله أحمد بن الامام الهادى الى الحق يحيى بن الحسين ابن القسم السيد الباسل الشجاع الحليم عين الزمان وبهجة المحافل صاحب الآراء الثاقبة والمحامد الواسعة نشأ على العلم والصلاح بعد موت أبيه وصبر على مشاق الوقت وقاسى فى عنفوان شبابه أمورا صبر لها حتى أفضت به الى محل من الخير لا يدرك وقرأ بصنعاء وصعدة وكان كثير المذاكرة وحضرته معمورة بالفضلاء ومع ذلك فهو يقود المقانب ويشارك فى المهمات كأحد أولاد القسم بن محمد وكان لا يعد نفسه الا منهم ولا يعدونه هم الامن الا من أجلائهم ولم يزل مع السيد الحسن بن الامام القسم فى جميع المشاه د ثم ولاه العدين وهو اقليم متسع فحسنت حاله واستقامت حال خلائق معه وعلا صيته فى العلم والجاه والرياسة ثم كان أحد أعيان دولة الامام المتوكل على الله اسماعيل بن الامام القسم وكان بينهما ود أكيد وتولى فى أيامه مع العدين حيس من تهامة وبندر المخا وحينئذ ألقت اليه الدنيا أفلاذ." (١)

"(وربنا منزه عن ظلم ... اذ فعله عن حكمة وعلم)

(وما جرى فى الكون بالتقدير ... مع القضا فى سائر الامور)

(والله سمى البعض ظلما حقا ... فليس من ينكره محقا)

(وكم حوى القرآن ذم الظالمين ... وكل من خالف نهج المؤمنين)

(ويجب الايمان بالقضاء ... ولم يكن سرا بلا امتراء)

(وامتنع الرضاء بالمقضى ... اذ كان شيئا ليس بالمرضى)

(كقول أهل العلم وهو الصدق ... ان الرضا بالكفر كفر حق)

(فلا تجوز الرضا بالظلم ... أنكر ولو بالقلب يا ذا الفهم)

(هذا جواب حسن محقق ... والله مولانا هو الموفق)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣/٣٨٤

ومن نظمه ما يتعلق بأكل المكيفات من البرش مضمنا
(بالكيف تظهر اخلاق الرجال لنا ... لا بالصنائع والهيئات والحرف)

(والكيف كيفية للنفس تخبرنا ... عن خلق صاحبها اخبار معترف)

(فانه الريح ان مرت على عطر ... طابت وتخبث ان مرت على الجيف)
وفيه تضمين مع نقل وأصله
(لا تشرب الراح الا مع أخى ثقة ... واءتر لنفسك حرا طيب السلف)

(فالراح كالريح ان مرت على عطر ... طابت وتخبث ان مرت على الجيف)
قال ومما قرأته له بخطه فى طلب سفينة شعر من بعض اخوانه
(يا سيدا فى المعالى ... له أياد مبينه)

(انى بك البر فابعث ... يا بحر نحوى سفينه)

(لا زلت تهدى دواما ... لى اللآلى الثمينة)
ورحل آخر أمره الى مكة وجاور بها وكان سبب رحلته ان رجلا من أجناد دمشق أخذ له صرا بمكة المشرفة فى كل سنة ما يقرب من ثملثمائة دينار هبه فرحل اليها وتديرها وقرأت بخط البورينى قال لما عزم على الرحيل الى ذلك الجناب وصمم على ترك الاقامة باختيار الذهاب ذهبت اليه مودعا وأنشدته متوجعا مرتجلا فى نظمه مظهر الهيب الفراق بعد كتمه مضمنا البيت الاخير لابى الحسن التهامى مودعا له فى غضون كلامى فقلت
(فاز ابن فواز ففارق جلقا ... وغدا بمكة جار أكرم جار)." (١)
"واشتهرت فواضله وأكبت عليه الناس وأقبلت عليه أرباب الباس فنفذت كلمته وازدادت حرمته وله ديوان شعر مشهور وتائية فى السلوك درها منثور على النحور افتتحها بقوله تبعا لابن حبيب فى تائيته
(باسم الاله ابتدائى فى مهماتى ... فذاك حصنى فى كل الملمات)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٤/٧٥

(والحمد لله ربى دائما أبدا ... حمدا ننال به أعلى المبرات)

(ثم الصلاة على المختار سيدنا ... محمد المصطفى عز الوجودات)

(كذا سلام من المولى يضاعفه ... من اليه بأنواع التحيات)

(فى كل حين وآن لا انقضاء له ... من رحمة الله يأتى بالمسرات)

(كذاك للآل والصحب الكرام ومن ... للدين قد أيدوا فى كل حالات)
وهى كبيرة تشتمل على قواعد أهل الطريقة والحقيقة وذكره البورينى فى تاريخه وأثنى عليه ثم قال ولما كان بدمشق سرت اليه يوما من الايام وهزنى الشوق والغرام لاغتنام مصاحبته واجتلاء مكالمته فصادفت الديار خاليه والمنازل عاطلة غير حاليه لانه قد سار الى زيارة أهله فى بيت المقدس فلما رأيت وحشتها بعد انسها وظلمتها بعد أنوار شمسها أنشدت مرتجلا وكتبت عجلا على جدار الخانقاه التى كان يسكنها هذه الابيات
(أتيت ديار الحى بعد ارتحالهم ... فصادفت ربعا بعد سكانه أقوى)

(ورمت من القلب التصبر بعدهم ... فقال على بعد الاحبة لا أقوى)

(ومن نكد الدنيا على المرء ان يرى ... منازل من يهوى على غير ما يهوى)
انتهى وكانت وفاة العلمى فى سنة ثمان وثلاثين وألف ودفن بجبل الطور ظاهر القدس رحمه الله تعالى
محمد بن عمر بن أبى بكر بن يوسف بن محمد بن أبى بكر عبادة بن يوسف بن أحمد بن أبى بكر بن محمد بن اسماعيل بن محمد الاحنف مصنف كتاب الثمرة فى الفقه ابن اسماعيل بن عمر بن يحيى بن عمر بن محمد بن أحمد بن على بن الشويش بن على بن وهب بن صريف بن ذوال وقد مر تتمة النسب فى ترجمة ابراهيم عبد الله جعمان فبنو عباده وبنو جعمان يجتمعون فى عمر بن محمد كان صاحب

الترجمة فقيها عالما ورعا زاهدا قام فى محل آبائه أتم قيام فى الفتوى والتدريس ببيت الفقيه ابن عجيل وكانت وفاته فى شعبان سنة خمسين وألف." (١)

"لا يلتذ بالعيش بعدى ولا ألتذ بالعيش بعده كما قيل فى معناه

(بروحى من نادمته فوجدته ... ألذ من الشكوى وأصفى من الدمع)

(يوافقنى فى الهزل والجدد دائما ... فينظر من عينى ويسمع من سمعى)

قال وكنت فى صحبته مرة فى قرية منين من قرى الشام وهى فى الحقيقة ذات روض نسام وزهر يفوق وزه على الثغر البسام ماء جارى ونسيم سارى وواد لا ترى فيه الشمس الا من خلال الاشجار وفوقها أطيار تسبح الواحد الغفار فى الاصل والاسحار فلما دنا وقت الظهيره وحمى حر الهجيره أراد الراحه فانفرد عنا للاستراحة فما رأيت المنام غنما بل رأيته فى مثل ذلك المكان غرما فكتبت اليه **مرتجلا** وأرسلت اليه عجلا

(بحقك خلى لا تضع فرصة المنى ... وبادر الى هذا الغدير المسلسل)

(وان لم تجد زهر الرياض فاننا ... نريك زهورا من كلام مرتل)

فكتب الى وعطف بجوابه على قوله

(على غدير جلسنا فى مذاكرة ... ودوحة قام من سوق على ساق)

(فخلت أغصان ذاك الدوح باكية ... تريد تكتب ما نملى بأوراق)

ولما وصلا الى وحصلا لدى كتب اليه هذا

(جلسنا بروض فيه زهران أسقيا ... بماء افتكار والمياه الدوافق)

(فمن زهر يبديه روض كلامنا ... ومن زهر يبديه روض الحدائق)

قال وبالقرب من قرية منين قرية يقال لها التل قبل الوصول اليها من جانب دمشق فلما قفلنا من جانب منين عزم علينا أهلها أن نمكث بها عندهم يوما فأجبنا الدعوه وانتهزنا فرصة الايام الحلوه فكتب الى السيد المذكور مداعبا فقال

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٧٩/٤

(أيا روضة الآداب والفضل والحجى ... ومن فاق فى جمع الكمال على الكل)

(ترى هل يعود الدهر يوما يؤمنا ... ونرقى كما رام الفؤاد على التل)
فكتبت اليه فى الحال على سبيل الارتجال فقلت
(أيا سيد السادات يا من بنانه ... تضيف الورى بالجود فى الزمن المحل)

(اذا ساعد الحظ السعيد فاننا ... نطل على الوادى ونرقى على التل)
وكان بدمشق خطيب فى الجامع الاموى وكان أعرج أعوج متهما فى العقيدة وفى الافعال وهو شرف الدين محمود بن يونس الطبيب وكان مع جهله يتعرض للفتيا." (١)
"(ذو كرم لو شامه حاتم ... عض على أنمله لهفا)

(رب المعانى والقوافى التى ... كالدر إذ ترصفه رصفا)

(كانت كعذب الماء عند الصفا ... أو كلما أرشفه رشفا)

(أو كوصال من حبيب وقد ... أكثر فى ميعاده الخلفا)

(مضيع أرعاه بين الورى ... وشيمة الاحباب لا تخفى)

(أبيت أملى من غرامى له ... كتبا ومن اعراضه صحفا)

(يدير من ألحاظه أكؤسا ... حملها أجفانه الوطفا)

(تسقيه راحا مزجت من دما ... عينى ويسقينى الهوى صرفا)
(... مائلة عن ساعد لم يزل ... كقطعة الاصداغ ملتفا)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٥٥/٤

(أو كسوار ضاق عن عبلة ... أو كهلال كاد أن يخفى)

(لكن اذا مدت الى مرقد ... كقامة الحب اذا تلفى)

(لازلت تعطها وأمثالها ... من راحة كالديمة الوطفا)

(هاك جوابى واعف تأخيره ... اذ لم يكن ليا ولا خلفا)

(وبعد ما وصف له أحرف ... أربعة ولم يزد حرفا)

(أوله سبع لعشر حوى ... ثانيه لا زلت له حلفا)

(ان تسقط المفرد منه يعد ... جمعا وهذا منك لا يخفى)

(وفعل أمر ثم فعلا لمن ... نار غرامى فيه لا تطفا)

(ان تقلب الثاث مع رابع ... يكن لموصوف به وصفا)

(ثانيه مع ثالثه وصفه ... اذا اعتراه النوم والاغفا)

(أبنه لى لا زلت فى عزة ... لم تغض عمارمته طرفا)

(والدهر عبد لك أوقائد ... بجنب من عاديته طرفا)

ومر مع شيخه أبى العباس المقرى بالمرجة ذات الشرفين فلما تجاوزا صدر الباز والمقرى بينه وبين أخيه خاطب المقرى مرتجلا بهذه الابيات)

(بالمرج ما أشبهنا يا بدر ... نحن الجناحان وأنت الصدر)

(والبحر قد شاكلنا يا در ... اطرافه نحن وأنت البحر)

(والافق مولاى وفيه الزهر ... والشمس تحتاط به والبدر)

(ودمت فى الدهر وأنت الدهر ... اليه ينقاد الدجا والفجر)." (١)

"لله ظبي سر بهيزهو به في المحفلقنص الأسود بقالب

قيد الأوابد هيكليوله الجواري المنشئآتجوى الحشاشة للخلي

من كل بكر لحظهايسطو بحد الفصيلمشتاقها من ثغرها

وأثيثها في مشكلما قال في ظلمائهيا أيها الليل انجل

فاق الغواني حاليات عاطلا في هيكلوغدا ينض به فأزرى

الحلى بالنص الجلى

ثم من بعد أن نضد عقد هذه الأبيات. التي أصبحت إلا عليه أبيات. كتبها وكتب معها. رقعة من الروض أقتطعها. وهي: يا مولانا امتع الله ببقائك. وصير أعداءك من أوليائك. قهرا لا موده. ليذوقوا بالطاعة الفرج بعد الشده

إذا لم تجزهم دار قوم مودة ... أجاز القنا والخوف خير من الود

لي فريخه وهي غائبه وضعت لها من ضيافتها هيكلا وسمحت فيه القريحة الجامدة. والجذوة الخامدة. بهذه الأبيات ومن شانك ستر العوار. والمكافأة عن صغار الصدف بالدرر الكبار. فإن كانت مما يجوز لك أن تنشدها فأجزها وأشرف عليها القاضي تاج الدين لتكسب منه عقدا. وتتارج مسكا وندا. فإنكما فرقدا سما وزندا وغى. وبعث بها إلى سيدنا ومولانا. وصديقنا وأولانا. وحلية صدر الشريعة. المتسنم ذروتها الرفيعة. مجمع بحري المنطوق والمفهوم. منبع نهري المنثور والمنظوم. قدوة القضاة والحكام. عمدة أرباب الأحكام في الأحكام. مولانا القاضي أبي العباس شهاب الدين بن عيسى بن مرشد العمري الحنفي. عامله الله بلطفه الخفي. فكتب الجواب من غير ارتباك ولا ارتياب. فلله در تلك البديهه. وعين الله على تلك الفطرة النبيهة. وصورته: يا مولانا حرس الله على البلاغة. بل على المعالي مهجتك. وحفظ على الصياغه بل على الشرف العالي بهجتك. ان وقع مشتاق صاحبة الهيكل. بين أثيثها وثغرها في مشكل. فقد وقع

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢٧٨/٤

العبد من نظم هذه المشرفه ونثرها مرتعد الفرائص ارتعاد من جنى على السنبتي المشبل. وقبل الأرض بين يدي نظمك ونثرك. ووقف حائرا بين نهيك وأمرك. فإن أجاب المملوك ببنت شفه. عده أرباب البلاغة من المملوك غاية السفسفه. أجار الله مولانا منها بل السفه. وإن لم يجب. فما أدى بعض ما يجب. والفؤاد منه يجل ويجب. يا مولانا فالعبد يقف بين يدي بلاغتك كالذليل ويسألك أن تعفو عن مثل هذا الموقف وتقيل. فإذا قيل في الرسل الكرام. عليهم الصلاة والسلام. وكلهم من رسول الله مغترف. وكل منهم مقر بذلك ومعترف. والولد سرابيه. بشهادة كل ذي أدب نبيه. فما يكون هذا العبد الحقير. بالنسبة إلى جناب مولانا الكبير. نعم اذهب إلى رب البلاغه. ومالك أزمة الصناعة والصياغه. من ألقت إليه الفصاحة مقاليدها. وصغرت لديه جهابذتها وصناديدها. واعترف له لتقدمه الأقران. وذلك لبزوغ نيره في أسعد قران. العلامة على التحقيق. الفهامة الذي يبادر المنصف عند تصور كماله بالتصديق. مولانا أبي المعالي تاج الدين المالكي باسقاط آلة التعريف. الجامع لإحاسن محاسن التوصيف. فإنه أثبت جنانا. وأفصح مني لسانا. واستمع ما يبديه. ثم ارفعه إلى المسامع الشريفة وانهيه. إن شاء الله تعالى ثم إن المملوك ادعى الزعارة. وسولت له نفسه الأماره. بأن يخوض في هذا البحر. ويستخرج من درره ما يتحلى به جيد الدهر. فقال مرتجلا. وأجاز وجلا

أنا ربة الحسن الجليلمؤملي المتأملصدري ووجهي منية

للمجتني والمجتليالحظ بديع محاسنيمن تحت أنواع الحلي

تجد المحاسن والحلي ... م جمالها من هيكلي." (١)

"وإن يكونوا مع الأملاك في قرن ... لولا الطبيعة أعني كونهم بشرا

فخذ حديثا قديما مسندا لهم ... عنهم صحيحا صريحا واقتف الأثرا

والقط فرائد در من فوائدهم ... فإنهم بحر علم يلفظ الدررا

أما تراه بجيد الدهر منتظما ... وفي ذوي المجد والعليآء منتثرا

ولو نشاء نظمنا من جواهره ... قصائدا في معاني فضلهم غررا

تفوق نظم اللآلي من بلاغتها ... لكن يقول لسان الحال والشعرا

ومن شعره أيضا قوله في فتاة تسمي عربية مشجرا

غارت بدور التم من كاعب ... هام بها المفتون بين الأنام

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/١٣

رنت بطرف فاتر ناعس ... يرشق من ألحاظه بالسهام

بديعة الشكل ولكنها ... بعيدة الوصل على المستهام

يود لو زار حماها على ... رغم العدا مختفيا في الظلام

هذا ورؤباه إلى وجهها ... غاية ما يخطي به والسلام

وقوله في مثل ذلك أيضا

غارت غصون البان من غادة ... غابت لمرآها بدور التمام

رقت معاني لطفها مثل ما ... رقت محلا في البها لا يرام

بطلعة لوان الشمس الضحى ... بدت لها لاستترت بالظلام

يا عاذلي في حبها خلني ... يكفيك ما بي من صنوف السقام

هل شاهدت عيناك من عاشق ... هداه قلبي مثل هذا الكلام

ولما وقف على قول بعض المتأخرين في القهوة

هات أسقني قهوة قشرية فضحت ... بكر المدام وشنف لي الفناجينا

تدعو إلى نحو ما فيه البقاء ولو ... دعت إلى نحو ما فيه الفناجينا

لو أن ألفا أحاطوا حول ساحتها ... قصد النجاة رأيت الألف ناجينا

ذيله بقوله

يا ربة الأنس حلينا حماك فإن ... نطلب فجودي وإن نسأل فناجينا

وقرأت في تذكرة القاضي تاج الدين ما نصه مما اتفق لنا أنا ركبنا في صحبة الشيخ عبد الصمد بن محمد العمودي وزير مكة للأشراف على عمارة داره بمني ومعنا شخص يسمى الشيخ محمود على حصان فأجرى حصانه في أثناء الطريق مع بعض الجماعة فسقط إلى الأرض فأرخت سقطته **ارتجالا** بقولي طاح الشيخ محمود ثم جعلت لهذا التاريخ توطئة نظما فقلت

لله يوم أتينا فيه خيف منى ... لقصد دار لها بالسعد تشييد

وبيننا رب تلك الدار واسطة ... بها لنا ولعقد المجد تنضيد

سرنا على صهوات الخيل تمرح في ... مسيرها ولطير السعد تغريد

وكان في الركب محمود على فرس ... يقول إني من الفرسان معدود

فخر عند استباق الخيل منجدلا ... وما ادعى بلسان الحال مردود

فقلت مرتجلا في حال سقطته ... تاريخ ذلك طاح الشيخ محمود

ووطأ لهذا التاريخ الامام زين العابدين المذكور أيضا فقال

رام التقدم من لا يستحق علا ... فخف يطرد ركضا وهو مطرود

فخر ملقى على الرمضآء مكتئبا ... يرثيه شامته والضد موجود

فكان تاريخه إذ خر يضبطه ... حروف قولك طاح الشيخ محمود

فلما بلغت هذه الأبيات الشيخ محمودا تكدر خاطره فقال الامام ثانيا متلافيا لذلك

الشيخ محمود محمود الفعال ومن ... أهل الكمال أولى الأحوال معدود

نودي من الجانب الغربي إنك بالو ... ادي المقدس حيث الحق مشهود

فغاب عن حسه وجدا فخر على الا ... قان وهو على ما كان محسود

فشاهدت ما جرى تلك البطاح له ... فارخته بطاح الشيخ محمود

هذا هو الوجه في توجيه سقطته ... وما سواه من الأقوال مردود." (١)

"أما وروده في القرآن، فقال الحافظ السيوطي في الإتقان: أنكره ابن الأثير ورد: بأن بعضهم جعل منه فواتح السور، على القول بأن كل حرف منها، من اسم من أسمائه تعالى، وهو منقول عن ابن عباس. وادعى بعضهم: أن الباء في (وامسحوا برؤوسكم) أول كلمة (بعض) ثم حذف الباقي، ومنه قراءة بعضهم (ونادوا يا مال) بالترخيم. ولما سمعها بعض السلف قال: ما أغنى أهل النار عن الترخيم، (وأجاب) بعضهم: بأنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة.

قال: ويدخل في هذا النوع، حذف همزة (أنا) من قوله: (لكنا هو الله ربي) إذ الأصل (لكن أنا) حذفت همزة (أنا) تخفيفا، وأدغمت النون في النون.

ومثله ما قرئ (ويمسك السماء أن تقع علرض) (بما أنزليك) (فمن تعجل في يومين فلثم عليه) (إنها لحدى الكبر) . انتهى.

وأما وروده في الحديث فقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (كفى بالسيف شا) أي شاهدا، وقيل: أنه مكتفى به عن (شافي) وله وجه.

وأما وروده في كلام العرب فكثير جدا، بل قال ابن فارس في فقه اللغة: في سنن العرب، القبض محاداة للبسط، وهو النقصان من عدد الحروف، كقولهم: درس المنا، يريدون المنازل. ونار الحبا، أي الحباحب.

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣١

انتهى.

وأنشد ابن جني عليه قول الشاعر (وعدتني أم عمر وإن تاريخ) أي أن تسمح، وقول علقمة (مفدم بسبا الكتان مختوم) أي بسبائب، وقول لبيد (درس المنا بمتالع فأبان) ، وقال آخر (قواطن مكة من ورق الحما) أي الحمام، وقال آخر (ليس حي على المنون بخال) أي بخالد.

إذا علمت ذلك، بالاكتفاء ببعض الكلمة على ضربين، ضرب يكون بدون تورية كما تقدم من قول الشاعر (قواطن مكة من ورق الحما) وقوله (ليس حي على المنون بخال) .

ومنه قول القاضي الفاضل من قصيدة فريدة:

لعبت جفونك بالقلوب وحبها ... والخد ميدان وصدغك صولجا (ن)

وأول هذه القصيدة:

زار الصباح فكيف حالك يا دجى ... قم فاستند بفروعه أو ف١لنجا

رأت الغصون قوامه فتأودت ... والروض أنشر نشره فتأرجا

يا زائري من بعد يأس ربما ... تمنى المنى من بعد أرجاء الرجا

أترى الهلال ركبت منه زورقا ... أولا فكيف قطعت بحرا من دجى

أم زرتني ومن النجوم ركائب ... فأرى ثرياها تريني هودجا

ومنه قول هبة الله بن سناء الملك:

أهوى الغزالة والغزال وإنما ... نهنهت نفسي عفة وتدينا

ولقد كففت عنان عيني جاهدا ... حتى إذا أعييت أطلقت العنا (ن)

ويعجبني من هذا النوع قول الشيخ قطب الدين الحنفي المكي المتوفى سنة تسعين وتسعمائة بمكة المشرفة زادها الله شرفا وتعظيما:

رعى الله ليلة زار الحبيب ... وغاب الرقيب إلى حيث أل

يشير إلى قول الشاعر (إلى حيث ألقت رحالها أم قشعم) وأم قشعم: المنية والداهية. وهذا البيت من جملة أبيات لطيفة للشيخ المذكور لا بأس بغيرادها هنا، وهي:

ألا حلل الله سيف المقل ... فكم ذا أباد وكم ذا قتل

وما من قتيل له في الهوى ... سوى ألف راض بما قد فعل

لقد نصر الله جيش الملاح ... ببدر لنا حسنه قد كمل

إذا قتلتني عيون الظبا ... فيا فرحي قد بلغت الأمل

رعى الله ليلة زار الحبيب ... وغاب الرقيب إلى حيث أل

فأجلسته في سواد العيون ... وقد غسل الدمع ذاك المحل

وألصقت خدي بأقدامه ... وذبلت أخمصه بالقبل

وعانقته وخلعت العذار ... ومزقت ثوب الحيا والخجل

فرق ومال بأعطافه ... فديت بروحي ذاك الميل

وما زلت أشغله بالحديث ... وستر الظلام علينا انسدل

إلى أن غفا جفنه ناعسا ... وعني تغافل أو قد غفل

فحليت عن خصره نده ... وأنضيت عن معطفيه الحلل

وبت أشاهد صنع الإله ... تبارك رب البرايا وجل

فظن بي الخير أولا تظن ... فما أنت تسأل عما حصل

حكى لي بعض الأصحاب: أن الشيخ كان قد ختم هذه الأبيات بالبيت الذي قبل البيت الأخير، حتى أنشدها يوما في مجلس سلطان مكة المشرفة الشريف حسن بن أبي نمى، فقال له الشريف مداعبا: ثم م اذا؟ فإنه محل ريبة. فأنشد البيت الأخير **مرتجلا** وختم به الأبيات، والله أعلم.

ومن هذا النوع من الاكتفاء أيضا قول سيدي الوالد متع الله ببقائه:." (١)

"وبلادة في الشعر تشهد أنه ... تيس ولو نصرت بطبع البحتري

يحلو بأفواه الأنامل صفعه ... حتى كأن قذاله من سكر

وقال فيه أيضا:

سما التلعفري إلى وصالي ... ونفس الكلب تكبر عن وصاله

ينافي خلقه خلقي فتأبى ... فعالي أن تضاف إلى فعاله

فصنعتي النفيسة في لساني ... وصنعته الخسيسة في قذاله

فإن أشعر فما هو من رجالي ... وإن يصفع فما أنا من رجاله

ولم أقف على تاريخ ولادة التلعفري المذكور ولا وفاته، إلا أنه من أهل المائة الرابعة.

والشاعر الثاني، هو شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني التلعفري، الأديب البارع

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٨٦

المشهور ولد بالموصل سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، واشتغل بالأدب، ومدح الملوك والأعيان، وكان خليعا ممتحنا بالقمار، وكلما أعطاه الملك الأشرف شيئا قامر به، فطرده إلى حلب فمدح العزيز فأحسن إليه، وقرر له رسوما، فسلك ذلك المسلك في القمار، فنودي في حلب من قامر الشهاب التلءفري قطعت يده، فضاقت عليه الأرض، فارتحل من حلب إلى دمشق، ولم يزل يستجدي ويقامر حتى بقي في أتون حمام، وفي الآخر نادم صاحب حماة، وله ديوان شعر مشهور.

ومن شعره قوله:

أقلعت إلا عن العقار ... وتبت إلا عن القمار

فالكأس والزهر ليس يخلو ... منه يميني ولا يساري

ومن رقيق شعره قوله أيضا:

ألا يا صاحبي هذا المصلى ... وتلك ملاعب الظبي الرخيم

فحي وقل سلاما من سليم ... بذي سلم على الرشأ السليم

وسل غزلان وادي بان سلع ... إذا سنحت عن العهد القديم

وعرض بي فما لي من جنان ... يلاقي بي ظبا ذاك الصريم

وفي تلك الخيام هلال خدر ... غرامي في محبته غريمي

روى عن خصره جسمي وأدى ... صحيحا مسند الخبر السقيم

يخاف قضيب قامته انهصارا ... فلم يبرح يميل مع النسيم

وقوله أيضا:

يا خليلي وللخليل حقوق ... واجبات الأداء في كل حاله

سل عقيق الحمى وقل إذ تراه ... خاليا من ظبائه المختاله

أين تلك المراشف ا‌لعسليا ... ت وتلك المعاطف العسالة

وليال قضيتها كلآل ... مع غزال تغار منه الغزاله

بابلي اللحاظ والريق والأل ... فاظ كل مدامة سلساله

وسقيم الجفون والخصر والعه ... د فكل تراه يشكو اعتلاله

ونقي الجبين والخد والثغ ... ر فطوبى لمن حسا جرياله

طويل الصدود والشعر والمط ... ل ومن لي بأن يديم مطاله

وقوله أيضا:

لم أزل مكثرا عليه السؤالا ... وجوابي ما عنده لي سوى لا

كلما رمت رشف معسول فيه ... هز لي من قوامه عسالا

وتثنى عجبا وماس دلالا ... وانثنى معرضا وصال وقالا

كان عهدي بالخمر وهي حرام ... فبماذا صارت لديك حلالا

ما كأنني في الحب إلا فقيه ... جئته ابتغي لديه الجدالا

أنا قصدي تقبيله أرشادا ... كان رشفي رضابه أم ضلالا

هازئا بالغصون عطفا وبالكث ... بان ردفا وبالرماح اعتدالا

وبضوء الصباح ثغرا وبالظل ... ماء شعرا وبالبدور جمالا

ما شجاني فقدي لحبة قلبي ... عندما صاغها لخديه خالا

ما ألطف هذا المعنى وأحلاه، وله كل مقطوع لطيف، ومعنى طريف.

وكانت وفاته سنة خمس وسبعين وستمائة. وإنما آثرت إيراد هذه الفائدة هنا لأنه كان وقع في بعض المجالس ذكر الشهاب التلعفري المذكور، فلم يعرف له أحد من الحاضرين ترجمة، ولا فرقوا بينه وبين أبي الحسين التلعفري المقدم ذكره، فأحببت التنبيه على ذلك هنا عندما عن ذكر الشهاب التلعفري، والاستشهاد بشيء من شعره في التوجيه. ولنرجع إلى ما كنا بصدده من أمثلة التوجيه بقواعد النحو.

فمنه قول ابن أبي الإصبع:

أيا قمرا من حسن وجنته لنا ... وظل عذاريه الضحى والأصائل

جعلتك للتمييز نصبا لناظري ... فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

ويحكى أنه دخل رجل مجلس كافور الأخشيدي، ودعا له وقال في دعائه: أدام الله أيام مولانا – بكسر الميم – فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوا عليه.

فقام أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي اللغوي كاتب كافور و أنشد **مرتجلا**:" (١)

"ايمان حبك في قلبي يجدده ... من خدك الكتب أو من لحظك الرسل

إن كنت تنكر إني عبد دولتكم ... مرني بما شئت آتيه وأمتثل

لو أطلعت على قلبي وجدت به ... من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٢٠٥

وللمترجم

ورد العذار مياه حسن خدوده ... ورأى نعيما خالدا فأقاما

وتلا عليه خاله من جيده ... إني اتخذتك للجمال اماما

وله في القبله نامه وأجاد

عوضت عن قبلة إذ راح يشبهها ... خفوق قلب شجاني أنت قبلته

لا يستقر مدا الساعات منزعجا ... ولا لغيرك لم يعهد تلفته

ومذ حكاها ولم تحكيه ملتفتا ... اليك وجهتها كيما تشابهه

وكان المترجم جالس في بعض الحوانيت في دمشق فمر أحد الأعيان فقام المترجم تعظيما له كيما يسلم عليه فلم يلتفت نحوه ومر فاغتاظ من ذلك وأنشد **مرتجلا**

وليس لعير الشيخ إذ مر معجبا ... وقوفي توقيرا لرفعة شأنه

ولكنني أخشى يمزق شوكه ... ثيابي ولم أشعر لسلب عنانه

وله قوله

أسامر عشقا من خلائقه القتل ... وحيدا ولا وعد هناك ولا مطل

وأصبح ظمآنا وقد عقر الظمأ ... فؤادي ولا وبل يبل ولا طل

وكم أخصبت سحب الأماني مطامعي ... مجازا ويوميها من الوابل المحل

ورب عذول فيه أشقى مسامعي ... بعذل فيالله ما صنع العذل

أقول له والطرف يقذف مهجتي ... دموعا لها من كل ناحية هطل

وبي من غرام لو تجسم بعضه ... ومر بأهل الأرض لأفتتن الكل

ترقى إلى قلبي بكل دقيقه ... جميع هوى العشاق وانقطع الحبل

وكانت وفاته في سنة ثمان عشرة ومائة وألف ودفن بتربة مسجد التاريخ في ميدان الحصار عن أولادهم وهم الشيخ أحمد الذي جلس بعده مكانه خليفة والشيخ حسن والشيخ إبراهيم رحمهم الله تعالى.

عبد الرحمن بن عبد الرزاق

عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الشهير بابن عبد الرزاق الحنفي الدمشقي الشيخ العالم الفاضل الفقيه

الأديب خطيب جامع السنانية ولد في سنة خمس وسبعين وألف ودأب في طلب العلم على مشايخ عديدة منهم الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي." (١)

"ليس فمي فيك يبلغ الشكرا ... من بعد ما قد ملأته درا

بعثت لي بالحياة في كلم ... يزيد في العمر لطفها عمرا

من كل لفظ في اللطف أحسبه ... ينفث هاروت منه لي سحرا

لم تصطنع جبرك القلوب لمن ... يدعوك إلا وتقتني أجرا

يا من هو الروض في خلائقه ... يعبق من نسمة الندى نشرا

شوقي لتقبيل راحتيك لقد ... جاوز حتى لم يبق لي صبرا

لكن عذري لديك متضح ... فأقبل حماك الآله لي عذرا

فبعث إليه بهذه الأبيات

أيها الموسم المنى بشرا ... دمت تستنطق النهى شكرا

ودام ثغر الوداد يبسم من ... بشر محياك لافظا درا

وحبذا منك ذا لا تمله ... فهو لعمري ينافس السحرا

لقد منحت المحب منك بما ... أثلج منه الفؤاد والصدرا

من كل لفظ في اللطف أحسبه ... ينفث هاروت منه لي سحرا

فدم لنا روضة نسر بها ... ومن رباها نستنشق العطرا

وفيك دامت لنا المنى أمم ... إن نلتها كان لي بها البشرى

وكتب المترجم يستدعي السيد محمد أمين المذكور إلى منتزه

أنعم الله للجناب صباحه ... وبإسعاده أراش جناحه

وحبانا حسب المنى بأعا ... ليه وآداب فضله المستباحه

وأقر العيون منا بما من ... غض آدابه أجاد اقتراحه

يا أمين الكمال وابن ذوي الف ... ضل وخدن العلي ورب الفصاحه

لا عد منا الوفاء منك بأوفى ... صدق عهد يجدي إلى نجاحه

فأجب داعيا إلى منزل الق ... صف صباحا لكي تنال رياحه

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢/٢٦٦

مسعدا حظه ببشر ولطف ... بهما الصدر راح يلقي انشراحه

وابق سلما خديمك السعد ... ما أسعد خل إلى الخليل صباحه

فأجابه في طلبه الأمين **مرتجلا**

أسعد الله من تكون صباحه ... فمحياك للصباح صباحه

بأبي أنت رائشا لجناحي ... في زمان عدمت فيه نجاحه

كان قدما جواد حظي جموحا ... فلأنت الذي ألنت جماحه

قد أتتني أبياتك الغر تختال ... وقد أوتيت جميع الملاحه." (١)

"صاحبت ذلي بعد أن ... قد كان تفخر بي الكرام

والمرء يصعب جهده ... ويلين صعدته الصدام

لا تتهمن تذللي ... فالتبر معدنه الرغام

وإذا جفاني من أحب ... صبرت حتى لا أضام

فعبوس أردية الحيا ... عقباه للروض ابتسام

ولئن وهت لي عزمة ... فلربما صدئ الحسام

فعسى الذي أبلى يعي ... ن وينقضي هذا الخصام

وقوله

قد قعقعت عمد للحي وانتجعت ... كرام قطانه لم ألق من سند

مضى الألى كنت أخشى أن يلم بهم ... ريب الزمان ولا أخشى على أحد

فأفرخ الروع أن شالت نعامتهم ... فأفسد الدهر منهم بيضة البلد

وقوله

وشادن قيد العقول وجهه ... وصدغه سلسلة الآراء

شامته حبة قلب مذ بدت ... جنت بها الأحشاء بالسوداء

وقوله

لا بدع أن شاع في البرايا ... تهتكي في الرشا الربيب

عشقي عجيب فكيف يخفى ... وحسنه أعجب العجيب

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٧٣/٣

وقوله

بي من أن عاينته مقلتي ... ينمحي جسمي ويفنى طربا

أي شيء راعه حتى انثنى ... هاربا مني وولي مغضبا

وقد اتفق في مجلس بعض الأعيان أن دعى إليه صاحب الترجمة وكان به المولى علي بن إبراهيم العمادي والسيد الشريف عبد الكريم الشهير بابن حمزة وغيرهما فسقطت ثريا القناديل في ذلك المجلس فقال المترجم مرتجلا

لله مجتمع كواكبه ... تلك الوجوه وضيئة الحلك

حتى النجوم هوت له كلفا ... بنظامها من قبة الفلك

وقال

وليس سقوط الثريا لدى ... ندي الموالي من المنكرات

فإن الشموس إذا أسفرت ... فلاحظ للأنجم النيرات

وقال السيد عبد الكريم المذكور في ذلك." (١)

"العشاءين الجامع الصغير وكان ينظم الشعر فمن ذلك ما قاله مجيبا الشيخ سعدي العمري عن أبيات أرسلها إليه بقوله

حلت محل سواد العين والحور ... هيفاء تلعب بالألباب والفكر

ذات الوشاح التي أضحت فرائده ... ما قد حوى ثغرها من خالص الدرر

وغازلتنا فعدنا من لطائفها ... نجني معارف حاكت يانع الثمر

في روض أنس وثغر الزهر مبتسم ... وقد أمنا به من مظهر الغير

والريح تعبث بالأغصان مذ صدحت ... ورق الرياض بنشر طيب عطر

تحكي لطافة مولانا وسيدنا ... من فاق أهل العلا بالمنظر النضر

خليلنا الفاضل النحرير من لمعت ... أنوار فكرته في مبدا النظر

فتى القريض قوافيه إليه أتت ... تجر أذيالها بالتيه والخفر

وتطلب العفو من مولى عوائده ... جلت عن العد والاحصا بمنحصر

منها

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٨٩/٤

إن خط الطرس خلت الدر قد نظمت ... أفراده وغدا بالوشى كالحبر

وفي الأصول هو النجم الذي هديت ... به الأفاضل في بدو وفي حضر

والعذر ان ہموما طاردت فكري ... فأطول الليل عندي غاية القصر

ودم بأوفر عيش كلما صدحت ... حمامة في ظلال الدوح ذي الزهر

وقد انتقد على المترجم في شعره فأجاب الشيخ سعدي المذكور **ومرتجلا** بقوله

وذي حسد قد عاب شعرك قائلا ... به ركة حاشاه من طعن طاعن

فقلت له دع ما ادعيت فإنما ... لحظت من الأبيات بيت المحاسن

وفي المعنى أنشد ممتدحا بني محاسن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزي مفتي الشافعية بدمشق بقوله

إذا افتخر الأنام بأرض شام ... وعدوا دورها في المساكن

أقول مفاخرا قولا بديعا ... محاسن شامنا بيت المحاسن

قلت وخرج منهم علماء ورؤساء وخطباء وجدهم من جهة الأمهات عالم وقته الشيخ حسن بن محمد البوريني الدمشقي المتوفي في ثالث عشر جمادي الأولى سنة أربع وعشرين وألف وكان عالما متضلعا متطلعا فرد وقته في الفنون كلها وألف التآليف البديعة كحاشية البيضاوي والحاشية على كتاب المطول وشرح ديوان ابن الفارض وغير ذلك ولصاحب الترجمة مخمسا بيتي الإمام السنوسي بقوله

لا تشك نازلة وقدر ما جرى ... فنعيم دارك مشبه طيف الكرى." (١)

"خير الآحاد عنه في العلى ... راح يروينا عن السبع المثاني

مفرد بالفضل كم مثن له ... ما له مثلي بعرض المدح ثاني

من أناس لم يشن قدرهم ... ومعالي شأنهم ذو شنآن

طبخوا نياتهم حتى استوت ... بقدور راسيات وجفان

ذو يراع إن تبدي خافقا ... علم البرق ضروب الخفقان

هل رأيتم من شجاع قبله ... ينبري أخفق من قلب جبان

عيلم بل علم في لجة ... يقذف الدر وفي رفعة شان

لا ترى الأشراف إلا دونه ... فهي كالأنبوب منه والسنان

فليقل لله دري مغتذ ... من أفاويق المعالي بلبان

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢٢٣/٤

يا ترى هل من مدان مجده ... وهو النخبة من عبد المدان

شرفتني من علاه قطعة ... نظمت أسطرها نظم الجمان

ما وعته أذني من لفظها ... أزبورا كان أم آي قرآن

حملتني فوق وسعي يده ... آه لو قبلتها حمل امتنان

شرفي المحض لدى تعريضه ... أن يسميني في لفظ فلان

حملت أبكار فكري مدحه ... كقيان فوق راحات قيان

أنا في حملي إليه مدحي ... مثل من يحمل درا لعمان

يا نجيبا حاز فضلا وعلا ... في نجيب قلما يجتمعان

كنت قد أقرضتني مدحك لي ... فهو قرض داخل تحت ضماني

قيدتني منك قدما مدحة ... أطلقت في شكرك اليوم لساني

سوف أزجي من نجيبات الثنا ... لعلاكم كل بكر وعوان

كم عجاف لعجاف سقتها ... من معان وسمان لسمان

لا يصون الدر من يعرضه ... لمهان عرضه غير مصان

أتراني ساعة من زمني ... منه أحظى بلقاء أتراني

فعلي أني نجيب شاهد ... ما إليه من صباباتي عداني

بأني من لم يزل منذ نشأ ... خضل الراحة منهل البنان

حزت أجر الصوم والعيد إذا ... يتلقاك ببشر وتهاني

لا خلاك الله من دنيا بها ... كل شيء ما خلا مجدك فاني

هذه راحة فكر روق ال ... عقل معاناها براحات البيان

سطعت كالشمس من دون النهى ... فمحت ظل العنا باللمعان

خمرة بين الندامى بكرة ... دار أرخ) كأسها في رمضان (

) وكتب (في ذيلها مخبرا عن عمه. الذي هو أشفق عليه من أبيه وأمه. المولى المكتسبي أدبا هو من كل نقص عري. حضرة واحد الآحاد عبد الباقي أفندي العمري. ما نصه: وبعد أن تشرف نظر العم. بإمعانه فيما تفضل به المولى على عبده وأنعم. واطلع بنائرة نار حدسه الموصدة. كما تطلع نار الله الموقدة على الأفئدة. على ما نظمته بهذه الدفعة. بمدح تلك الحضرة الرفيعة المنعة المنيعة الرفعة. فأنشدني مرتجلا على

ذلك الروي والقافية. في نعت هذه الطلول العافية.) قوله (:

كم نزا عير على الزورا وما ... حيل فيما بينه والنزوان

) فكتبت (له في جواب إحدى القصيدتين. ما هو أقل في حقه إذا أنصفت من نصف الاثنين. ونصه:." (١)

"بإرجاء حينه، وتأملته فإذا هو الخزامي بعينه، فعجبت من ريائه وميه. وقلت. يا أبا ليلى: كيف تعظ الناس بما ذكرت، وتصف الناس بما أنكرت؟ فأشاح بوجهه خجلا، ثم أنشد **مرتجلا:**

وصفت الناس بالنكر ... وإني لست بالناسي

ولكن نسي الغافل ... أني أحد الناس

ثم قال: يا أبا عبادة ليس من العدل سرعة العذل. ومن لا يؤخذ بالأشعبية، فخذه بالشفربية. وإني قد أفدت من الحكم والأمثال، ما لا يعادل بدرهم ولا مثقال. فإما أن تبذل كما بذل القوم، وإلا فالسكوت عن اللوم. قال: فأمسكت عن معاذير الملفقة، وإن لم يضل دريص نفقه. ولبثت في صحبته بالعراق، إلى أن قضى الله بالفراق.." (٢)

"فإن كنت ممن يبرز المعصم، لالتماس الغراب الأعصم، فأفض علينا من روائك ونحن تحت لوائك. فلم يكن إلا كر ولا، حتى أنشد **مرتجلا:**

يدعى نقيض البطن باسم الظهر ... وذروة من جبل بالضهر

والقيظ في الصيف بمعنى حره ... والقيض في البيض لبادي قشره

والغيظ والغيض وقل فاظ إذا ... مات، وهذا الماء قد فاض كذا

ظن وضن باخل والحنظل ... للنبت والظل المديد حنضل

والظب للهاذر ثم الضب ... والظرب نبت عندهم والضرب

وقيل للروض الأثيث معظل ... وهكذا الأمر عليهم معضل

وجاض عنه حائدا حين ضلع ... وجاظ في المشي اختيالا وظلع

---

(١) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/١١٤

(٢) مجمع البحرين لليازجي = مقامات اليازجي اليازجي، ناصيف ص/١٤١

والحمض والحمظ لعصر الرطب ... والمظ للوم ومض الخطب
وقارظ على جنى الصبغ عظب ... ملازما وقارض له عضب." (١)
"وصبغت الرياض حمرا ولكن ... بمذاب من الفؤاد هتون
فهي طورا تذوي بنار زفيري ... وهي طورا تزهو بماء شئوني
يا غزالا تاقت له النفس شوقا ... لا لغيد من الظباء العين
أنت ليلاي والرصافة نجدي ... وأنا في هواك كالمجنون
ومنه قوله وأبدع فيه:
أنا إن همت صوبة بالعذار ... في الغرام العذري صح اعتذاري
فاحمرار الشقيق يزهو إذا ما ... حف من آس روضة باخضرار
فنجديه مثل ما بفؤادي ... من لهيب تذكية جذوة نار
رشأ تستعير رقته الخمر ... إذا ما مر كالنسيم الساري
كم دموع صبغت فيها أقاح ال ... رمل بعد ابيضاضه باحمرار
وإذا ما أضمرت كتم هواه ... عن عذولي لم يجدني اضماري
كيف يجدي كتمان سر غرامي ... ودموعي تنم بالأسرار
يا عذولي على التصابي دعني ... والتصابي إن التصابي شعاري
لا تزد في الهوى أواري فإني ... عن عيون الورى أواري أواري
بأبي من عصيت فيه اللواحي ... وعصاني على هواه اصطباري
ذو قوام إن مر يخطر راع ال ... صب في لدن قده الخطار
بي رفقا فلا تزدني أوارا ... إن زند الغرام في القلب واري
ومن ذلك أيضا قوله لا فض فوه:
مالقلبي تهزه الأشواق ... خبرينا أهكذا العشاق
كل يوم لنا فؤاد مذاب ... ودموع على الطلول تراق
عجبا كيف تدعي الورق وجدي ... ولدمعي بجيدها أطواق
كم لنا في الحمى معاهد أنس ... والصبا يانع الجنى رقراق

---

(١) مجمع البحرين لليازجي = مقامات اليازجي اليازجي، ناصيف ص/٣٢٧

عهد لهو به الليالي ترامت ... ماله عرست به الأحداق

يالظعن به النياق تهادى ... نهنهي السير ساعة يا نياق

فباحداجك استقلت ضياء ... آنسات بيض الخدود رقاق

فارحمي يا أميم لوعة صب ... شفه يوم ذي الأثيل الفراق

كاد يقضي من الصبابة لولا ... أن تحاماه في الوداع العناق

ومنه قوله وقد أغرب فيه:

الصبر غار وأنجد الدمع ... من ناظري فاعشوشب الربع

والقلب حيث نأى الخليط نأى ... رفقا به فله الهوى طبع

حتام ترشق باللحاظ حشا ... ما مسها لولا النوى صدع

وببانة الجرعاء ري رشأ ... باهى ذكاء بوجهه الربع

رشأ رشيق القد ذو غنج ... أهواه إن وصل وإن قطع

قمر تباهى الشمس طلعته ... إن أقض فيه هوى فلا بدع

أمناي هل من ريق فيك رقى ... فلكم لصدغك في الحشا لسع

ومن ذلك ما قاله من قصيدة وأجاد فيه:

رشاء يخيط فؤاد عاشقه ... إن خاط بالألحاظ لا الأبر

قمر إذا ما هز قامته ... أزرى بغص البان والقمر

النار في خديه موقدة ... ترمي فؤاد الصب بالشرر

يا ما أحيلا عين ذي غنج ... مكحولة الأجفان بالحور

يا سائقا ظعن الخليط ضحى ... رفقا فإن القلب في الأثر

قف بالحمول على ديارهم ... واسئل فهل بالربع من خبر

ومنه قوله مرتجلا:

أنا لم أنس بالحمى لك عهدا ... ما أحيلا عهد الحمى ما أحيلا

وبذات الأثيل قد ضاع قلبي ... مستفزا فلا عدمت الأثيلا

عرصات روضتهن بدمع ... عن دم أفعم المفاوز سيلا

فبها عرست ركائب لهو ... أركضت في حشا المتيم خيلا

خل عني ذكر الدمى وهواها ... ودع الغانيات يسحبن ذيلا

واطو يا صاح ما تقادم عهدا ... من أحاديث قيس لبني وليلى

وأعد ذكرهم فقد طال ليلي ... وحديث الغرام يعذب ليلا

ومن ذلك قوله:

أصهباء تروق لنا مزاجا ... مزاجك يا صبا نجد مزاجا

أم الروض الأريض سقاه نوء ... من الأنواء فابتهج ابتهاجا

فلو سالت برقتها طباع ... لأفعمنا برقتك الزجاجا

على أن المعاطف منك ماجت ... فكن كجدول بالبرد ماجا

مرضن بلحظك الأحشاء لكن ... رضا بك كان للمرضى علاجا

أعرت الغص لينا والحميا ... عذوبة فيك والقمر انبلاجا

فرفقا يا رشيق القد رفقا ... فقلبي فيك للزفرات هاجا

ومذ ناسبت لطف الراح كادت ... بك الأرواح تمتزج امتزاجا." (١)

"جائت تزر فويق الماء مأزرها ... وفوق مفرقها لئلاء مقباس

أعديتها داء برحائي معاكسة ... فالدمع في قلبها والنار في راس

وقال يصف مجلسا كان فيه السيد محمد سعيد والسيد عباس المتقدم ذكرهما:

حبذا مجلسا تضمن قوما ... من نسيم الصبا أشف طباعا

فهم أنجم المعالي ولكن ... تخذوا هامة النجوم رباعا

وقصار الأنساب يقصر عنهم ... من سواهم وإن تطاول باعا

نشروا من على لوي لواء ... فيه من طيب نشره الكون ضاعا

وقال مقرضا على أبيات للشريف الألمعي السيد حسين بن السيد راضي القزويني وأولها:

مابين سلع ومنى ... ريم على الخيف رنا

ماالسيف إلا طرفه ... وقده لدن القنا

إلى أن يقول:

ياسيف يمناي التي ... أرهبت فيه الزمنا

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/٥٢

ومن إذا ما زارني ... أذهب عني الحزنا

أحسنت في نظم ولا ... زلت حبيبا محسنا

قد راقني في رقة ... فيها فؤادي افتتنا

فكم تذكرت بها ... سرور عيش ظعنا

أيام آنسنا لدى ... طور الهوى نارال‍ه نا

حيث الربيع مزهر ... والبدر وقاد السنا

والقلب مرتاح بمن ... كان لقلبي سكنا

ومما قاله أيده الله:

لك طبع أرق من نفحة الورد ... ووجه من أبلج الصبح أسنى

ولحاظ من الصوارم أمضى ... وقوام فاق الرديني حسنا

كيف لا أتقيهما بفؤادي ... إن ذا مائس وهاتيك وسنا

وقال **مرتجلا** يصف محجة الحديد بين الكاظمية وبغداد:

رب مقصورة تطير كقلبي ... يوم بان الخليط لا بجناح

غضة الصفحتين تسبق طرفين ... بطرفين في عمودي صباح

فهي البرق أو براق إذا ما ... جاز في عدوه سنام الضراح

فإذا ما أويتها مستظلا ... فزت من سهمها بأعلى القداح

نعمتنا من صفوها باغتباق ... وازدهتنا من لهوها باصطباح

وانتظمنا بها نظام عقود ... رصفتها بنان ذات الوشاح

وانتسقنا بأفقها كنجوم ... ونبتنا بروضها كأقاح

وارتوينا بلطفها لا بماء ... وانتشينا بوصفها لا براح

بنت سير لدى السرى إن تغنت ... أعزبت عن ضمير ذات الجناح

وله دام ت‍وفيقه:

أعذار على الشقيقين لاحا ... أم دجى الليل قد بدا لي صباحا

أم سطور نقشنها أنمل اللهو ... على أكؤس المدام ارتياحا

أم أنيق الريحان عانق وردا ... لا بل الآس قابل التفاحا

وله أيضا:

مابين رامة والغوير أخوصبا ... لعبت صبا بقوامه فترنحا

نادمته بجماله متمنطقا ... وجذبته بدلالة متوشحا

وقال في الثغ:

وأما ولام عذار غض شبيبة ... فتن الأنام هوى بنقطة خاله

ما بت طوع يد ابن آدم خاضعا ... لكنني أصبحت طوع دلاله

وأما وصاد فم العذيب رضابه ... وبنون حاجب فاتني بجماله

لو رام مني بذل نفسي سائلا ... لوهبتها في الحب قبل سؤاله

وأما ولثغته بثا متلجلج ... وبميم مبسمه وعذب زلاله

لم يصف لي عيش ولو ملكت يدي ... جنات عدن دون يوم وصاله

ونحن قد أوردنا بعض ما يؤثر من النظم في اللثغ في هذا الكتاب عند ذكر واصل بن عطاء ونتبعه هنا نبذة أخرى: قال أبو عمرو يوسف بن هارون الكندي يشير إلى واصل وكان لثغا قد تجنب الراء:

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا ... الهجر يجمعنا فنحن سواء

فإذا خلوت كتبتها في راحتي ... وقعدت منتحبا أنا والراء

ولأبي نؤاس في الثغ ببدل السين ثاء وكان اسمه عباسا:

وشادن قلت له ما اسمه ... فقال لي بالغنج عباث

بات يعاطبني سخامية ... وقال لي قد هجع الناث

أما ترى حثن أكاليلنا ... زينها النثرين والآث

فعدت من لثغته ألثغا ... وقلت أين الطاث والكاث

وقال حرسه الله وفيه الجناس المفروق وهو مااتفق ركناه لفظا واختلفا خطا:

وكم قائل لي عش بأنس فقلت لا ... حبيب مدان أو مواس فانتعش

فقال أجل عش مستهاما فقلت لا ... أرم الحياة العاشقين فأنت عش

وقال وفيه الجناس المذكور أيضا:." (١)

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/٢٢٣

"فأجابه أبو الحسن ابن الخطيب بقوله المصيب

(لا أوحش الله ربعا أنت زائره ... يا بهجة الملك والدنيا مع الدين)

(يا أحمد الحمد أبقاك الإله لنا ... فخر الملوك وسلطان السلاطين)

ومن أخباره أيضا أن كاتبه أبا زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد المنان دخل عليه عشاء فقال له أنعم الله صباح مولانا فأنكر السلطان ذلك وظن أنه ثمل فتفطن أبو زكرياء لما صدر منه وتدارك ذلك فأنشد مرتجلا

(صبحته عند المساء فقال لي ... ماذا الكلام وظن ذلك مزاحا)

(فأجبته إشراق وجهك غرني ... حتى توهمت المساء صباحا)

الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز ابن أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله

من الاتفاق الغريب أن سلطان فاس والمغرب في هذا التاريخ كان اسمه عبد العزيز بن أحمد وسلطان تونس وإفريقية كان اسمه أيضا عبد العزيز بن أحمد وكانت ولايتهما في سنة واحدة إلا أن مدة الحفصي طالت جدا

أم هذا السلطان أم ولد اسمها جوهر صفته شاب السن ربعة من القوم أدعج العينين جميل الوجه

لما توفي السلطان أبو العباس بن أبي سالم رحمه الله بتازا كان ابنه أبو فارس هذا بتلمسان فاستدعاه رجال الدولة منها فقدم عليهم بتازا وبايعوه بها يوم السبت التاسع من محرم سنة ست وتسعين وسبعمائة ولما تم أمره أطلق أبا زيان بن أبي حمو الزياني وكان معتقلا عنده بفاس لالتجائه إلى أبيه من قبل في خبر ليس تفصيله من غرضنا وبعثه إلى تلمسان أميرا عليها من قبله فسار إليها أبو زيان وملكها وأقام فيها دعوة السلطان أبي فارس ثم." (١)

"ولي يد فيه لولا ضعف سامعه ... جعلت نظم بسيطي في مهذبه

هذا الذي قاله السبكي مرتجلا ... وللبسيط أنمى بعض أضربه

(الجواب من اليافعي)

فقال مرتجلا للحق منتصرا ... عبد يرد عليه في تأدبه

يأيها الرجل الحامي لمذهبه ... ألزمت نفسك أمرا ما أمرت به

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٤/٧٩

تقول في باغضي صحب الرسول ومن ... يريك سبهم أصلا لمذهبه

والناس في غنية عن رد إفكهم ... هذا هو الإفك لكن ما شعرت به

بل رده واجب نصحا ومعذرة ... ونصرة لسبيل الحق من شبه

إذا تقول في الصحب الكرام فما ... ذا توجبون عليه يا أولي النبه

وقد علمتم بأن الشخص داعية ... إلى الضلال بلا ترديد مشتبه

وما عزوتم إلى الشيخ الجليل أبي الـ ... عباس أحمد أمر لا يخص به

في قولكم خلط الحق المبين بما ... يشوبه كدر في صفو مشربه

يحاول الحشو أنى كان فهو له ... حثيث سير بشرق أو بمغربه

يرى حوادث لا مبدأ لأولها ... في الله سبحانه عما يظن به

لقد علتم بأن الـسادة السلف الـ ... ـماضين ما خرجوا عما أقربه

هم القرون الألى في نص سيدنا ... حازوا الفخار بأمر غير مشتبه

لئن رددت عليه في مقالته ... فقد رددت عليهم فادر وانتبه

ثم الأئمة أهل الحق كلهم ... يرون ما قاله من غير ما جبه

فودكم ليس مخصوصا بواحدهم ... بل بالجميع وهذا موضع الشبه

هلا جمعت الألى قالوا مقالته ... ليستبين خطاهم من مصوبه

فكلهم خلط الحق المبين بما ... يشوبه كدر في صفو مشربه

فكلهم كان حشويا لديك يرى ... وكلهم أنت تقفو إثر سبسبه." (١)

"وفي الجواب أمور من تدبرها ... سقى الأنام بها من صفو مشربه

ولم يكن مانعا نفس الزيارة بل ... شد الرحال إليها فوق مركبه

مستمسكا بصحيح القول متبعا ... خير القرون الألى جاءوا بمذهبه

مع الأئمة أهل الحق كلهم ... قالوا كما قال قولا غير مشتبه

وقد علمت يقينا حين وافقة ... أهل العراق على فتياه فانتبه

هذا وقد قلت فيما قلت **مرتجلا** ... فيما تقدم قولا غير منجبه

لو كان حيا يرى قولي ويسمعه ... رددت ما قال قولا غير مشتبه

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن الآلوسي ٣٤/١

فابرز ورد ترى والله أجوبة ... مثل الصواعق تردى من تمر به

عقلا ونقلا وآيات مفصلة ... من كل أروع شهم القول منبته

ماضي الجنان كحد السيف فكرته ... يريك نظما ونثرا في تأدبه

وقاد ذهن إذا جالت قريحته ... يكاد يخشى عليه من تلهبه

فمنزل القول في أعلى منازلهم ... فليس ذو منصب ينجو بمنصبه

وانظر إلى من طغى في الأرض من أمم ... ولا تكن سالكا في إثر سبسبه

إن الإله يجازي كل ذي عمل ... بمثل إحسانه أو قبح مكسبه

هذا جوابك يا هذا موازنة ... بحرا وقامية في النظم والشبه

والحمد لله حمدا لا نفاد له ... جار على مر ما يقضي وأطيبه

ثم الصلاة على خير الورى شرفا ... محمد المرسل الهادي لمذهبه

وآله والصحاب الغر قاطبة ... ما أشرق الحق من أنوار كوكبه

وانتهت - وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط هذه المباحث المجملة بالعبارات المفصلة والدلائل المكملة؛ فلا تغفل.

(ترجمة القاضي تاج الدين السبكي)

(ومنهم) - ولده تاج الدين - فهو قاضي القضاة عبد الوهاب بن علي السبكي. ولد بالقاهرة سنة سبعمائة وسبع وعشرين، وسمع بها من جماعة، ثم." (١)

"خب غداة الرهان حتى ... أجهد في إثره البوارق

ما أنس لا أنس إذ شالها ... مشربات مثل البواشق

وبدها شزبا عتاقا ... لم ترض عن خصرها العواتق

فقمن يمسحن منه رشحا ... مطيبات به المخانق

أفديه من شافع لبيض ... قد كن عن بغيتي عوائق

أنضع منه لرأي عيني ... سود عذار الفتى الغرانق

وحكي أن الحجاج كتب إلى قتيبة بن مسلم، أنه قد اجتمعت جياد خيل العرب بخراسان فاكتب إلى أهل

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن الآلوسي ٣٧/١

الكور وأمرهم بإجراء الخيل وابعث إلي بسوابقها. فبعث إليه بفرسه الأشقر والرؤاسي وهما أبناء الحميراء، فجاءت بهما رسله، فعرض لهما لص يسمى أشكاب، فسرق الأشقر وجاؤوا بالرؤاسي إلى عبد الملك بن مروان فاستوهبه منه أخوه بشر فوهبه إياه. فكانت خيل بشر من بناء الرؤاسي، وهي سوابق الخيل في العراق. وحكي أن بشرا سابق بفرسه من بنات الرؤاسي خيل يوسف بن عمر فسبقها فشق عليه ذلك. وبعد مدة قيل ليوسف بن عمر ألا تجري الخيل؟ فقال: الآن ابعثني وابعث بالسبق إلى عبد الملك، لأن بشرا حمل بعض الرؤاسي على بعض، فرققن وضعفن، والزائدية أغلظ منها وأقوى، وسمي الرؤاسي لأن رجلا من سليم يسمى عبد الملك رأس استوهب ما في بطن الحميراء من معقل بن عروة فوهبه إياه. فلما وضعته أعجب معقل، فقال لعبد الملك: دعه وأهب لك ما شئت، فأبى فقال معقل: إذن لا ألبؤه لك فقال: هاته. فأخذه واشترى له برزونة، حين وضعت فألبأه منها ثم خدمه حتى أجدع، فأرسله في الحلبة فلم يصنع شيئا ثم أثنى فأرسله في الحلبة فلم يصنع شيئا. فأعاره إلى رجل من دهاقين خراسان، فابتذله فانتسب أي رجع إلى نسبه ونزع إلى عرقه بعد ما أربع، فكان سابقا لا يجارى، وكان معقل خبيرا بالخيل، فإذا أجريت استدبرها فأيها كان أدنى سنبكا من الأرض سابق عليه، فالزائدية سوابق خيل الشام، والرؤاسية سوابق خيل العراق. وحكى المسعودي: أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان مغرما بالخيل وجمعها للحلبة؛ وكان فرسه السندي جوادا سابقا إلا أنه يقصره في الحلبة عن فرس هشام المعروف بالزائد. وربما جاء معه مصليا، فأجرى الوليد الخيل يوما بالرصافة، وكانت الحلبة ألف قارح، فوقف بها ينتظر الزائد ومعه سعيد بن العاص، وكان جواده المصباح فيها فلما طلعت الخيل قال الوليد:

خيلي ورب الكعبة المحرمة ... سبقن أفراس الرجال اللومة

كما سبقناهم وحزنا المكرمه

فأقبل فرس يسمى الوضاح أمام الخيل فلما دنا صرع فارسه وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه فقال سعيد:

نحن سبقنا اليوم خيل اللومه ... وصرف الله إلينا المكرمه

كذاك كنا في الدهور المقدمه ... أهل العلا والرتب المعظمه

فضحك الوليد لما سمعه، وخشي أن يسبق فرس سعيد فركض فرسه حتى ساوى الوضاح، فقذف بنفسه عليه ودخل سابقا. ثم عرضت على الوليد الخيل في الحلبة الثانية، فمر به فرس لسعيد فقال: لا نسابقك أبا عنيسه وأنت القائل: (نحن سبقنا اليوم خيل اللومة) فقال سعيد: ليس كذا يا أمير المؤمنين، وإنما قلت

(نحن سبقنا اليوم خيلا لومه) فضحك الوليد وضمه إلى نفسه وقال: لا عدمت قريش أخا مثلك. وقال الأصمعي: حدثني ابن قتب قال: قدم أعرابي من أهل نجد على الوليد بن عبد الملك وقد ضمر الخيل للمسابقة، فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين أريد أن أرسل خيلي مع خيلك، فقال: كيف تراها فقال: حجازية لو ضمها مضمارك ذهبت. فقال له الوليد: ما اسمك؟ قال: أسيلم بن الأحنف، فقال له: إنك لمنقوص الاسم أعوج اسم الأب. ثم أرسلت الخيل فسبق الأعرابي على فرسه حزمة. فقال له الوليد: أواهبها أنت لي؟ قال: إنها قديمة الصحبة ولها حق، ولكني أحملك على مهر لها قد سبق عاما أول، وهو في بطنها له تسعة أشهر والمهر إذا أتت عليه عشرة أشهر في بطن أمه ربض، أي: تحرك. وقال أيضا: كان ابن هشام بن عبد الملك يعتني بشأن الخيل حتى أن خيله لا تكاد تسبق فسبقت له فرس وصلت أختها ففرح بذلك، وقال: علي بالشعراء، قال أبو النجم فدعينا له فقال: قولوا في هذه الفرس وأختها. فطلب الشعراء منه المهلة، وقلت مرتجلا:

أشاع للغزاء فينا ذكرها ... قوائم عوج أطعن أمرها

وما نسينا بالطريق مهرها ... حين نقيس قدره وقدرها." (١)

"فلم يجد عند طيفي طيفها فرجا ... ولا رثى لتشكيه ولا لانا

حسبت أن خيالي لا يكون لما ... أكون من أجله غضبان غضبانا

جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا ... فلم يكن هينا منك الذي كانا

ومن قوله:

أما يغني حديثك عن جنان ... ولا تبقى على هذا اللسان

أكل الدهر قلت لها وقالت ... فكم هذا أما هذا بفان

جعلت الناس كلهم سواء ... إذا حدثت عنها في البيان

عدوك كالصديق وذا كهذا ... سواء وإلا باعد كالأداني

إذا حدثت عن شأن توالت ... عجائبه أتيتهم بشأن

فلو موهت عنها باسم أخرى ... علمنا إذ كنيت من أنت عاني

ومن ظريف ما كتبه إليها قوله:

أكثري المحو في كتابك وامحيه ... إذا ما محوته باللسان

---

(١) نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد محمد بن عبد القادر الجزائري ص/٧٧

وامرري بالمحاء بين ثناياك ... العذاب المفلجات الحسان

إنني كلما مررت بسطر ... فيه محو لطعته بلساني

تلك تقبيلة لكم من بعيد ... أهديت لي وما برحت مكاني

ورآها يوما في مأتم سيدها تندبه باكية وهي مخضبة فقال مرتجلا:

يا قمرا أبرزه مأتم ... بندب شجوا بين أتراب

يبكي فيذرى الدر من نرجس ... ويلطم الورد بعناب

لا تبكي ميتا حل في حفرة ... وابكي قتيلا لك بالباب

أبرزه المأتم لي كارها ... برغم دايات وحجاب

لازال موتا دأب أحبابه ... ولا تزل رؤيته دأبي

ودخل على أبي نواس بعض أصحابه يعودونه وهو مريض، فوجدوا به خفة قالوا: فانبسط معنا فقال: من أين جئتم؟ فقلنا من عند جنان. فقال: أو كانت عليلة؟ قلنا: نعم، وقد عوفيت الآ. فقال: والله أنكرت علتي هذه ولم أعرف لها سببا غير أني توهمت أن ذلك لعلة نالت بعض من أحب ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعا أن يكون الله عافاه منها قبلي ثم دعا بدواة وكتب إلى جنان:

إن حممت ولم أشعر بحماك ... حتى تحدث عوادي بشكواك

فقلت ما كانت الحمى لتطرقني ... من غير ما سبب إلا بحماك

وخصلة قمت فيها غير متهم ... عافاني الله منها حين عافاك

حتى إذا انقضت نفسي ونفسك في ... هذا وذاك وفي هذي وفي ذاك

وقيل: إن أبا نواس حاول مرارا أن يتزوج بها ولم ينل ذلك، وتوفي قبلها وبقيت هي في منزل سيدها معززة مكرمة إلى أن ماتت بعد أبي نواس بمدة قليلة. ويقال: إن سبب وفاتها حزنها على أبي نواس لكونها لم تتصل به.." (١)

"انتقل إلى الرهبنة المخلصية. وفي سنة ١٧٦٣ سقف على قلاية دمشق فعرف بمطران دمشق وقاسى محنا عديدة من قبل المنفصلين إلى أن توفى سنة ١٧٩٥ في دير المخلص. وكان عالما غيورا على إيمانه وله مصنفات دينية. أما بطرس كرامة ابن أخيه فولد في حمص سنة ١٧٧٤ وفيها نشأ وتأدب وله في مديح أعيانها أقوال حسنة كقوله في الشيخ عبد الرحمن الكزبري:

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٢٩

يا حبذا حمص التي ... ضاءت بأعظم نير

قد أشرق البدر بها ... وبشمس فضل الكزبري

وقال مرتجلا في الشيخ أمين الجندي الذي مر لنا ذكره:

لله نعم مهذب باهت به ... حمص ونور الفضل عنه يبين

لا غرو إذا فاق البديع أنه ... شهم على درر البديع أمين

ثم قويت شوكة أعداء الملكيين فألحقوا بالكاثوليك ضروب الأذى فاضطر بطرس أن يهجر حمص مع والده متوجهين إلى عكار. وقصد بطرس علي باشا الأسعد حاكم تلك البلاد وامتدحه بالقصائد الحسنة فأجازه ورغب فيه لبراعته ودرايته وحسن أدبه وخطه فاستخدمه في ديوانه ورفع منزلته ورتب له ما يقوم. بكفايته فأقام في خدمته نحو خمس سنوات ثم ذهب إلى لبنان واستوطن الجبل. وأتصل بطرس بنقولا الترك شاعر الأمير بشير فقربه من مولاه سنة ١٨١٣ وحظي بطرس عند الأمير الشهابي لما رآه فيه من العلم وجودة للعقل وفصاحة اللسان مع معرفته للغة التركية فعهد إليه بتهذيب ولده الأمير أمين واتخذه كاتبا للأمور الأجنبية لجودة إنشائه. ثم جعله الأمير بشير معتمدا من قبله في التوجه إلى عكا فقام بأوامر سيده أحسن قيام وحصل عنده مالا كثيرا وجاها وافرا وكان الأمير يحبه ويثق به في جميع أعماله ويعتمد عليه في مهمات أشغاله ولا ينتهي أمرا إلا برأيه. ثم سلمه الأمير تنظيم خزينة الحكومة فوضع لها قوانين استحسنها الشهابي وأمر بإجرائها ثم رفع منزلته وعمله كتخداه فصارت أمور لبنان كلها في يده يدبرها أحسن تدبير. فوقعت هيبته في القلوب وعظمت حرمته وانتشرت شهرته وعلت كلمته وابتنى دارا كبير في دير القمر واقتنى أملاكا واسعة وكان قد سافر بمعية الأمير بشير إلى الديار المصرية واجتمع بفضلائها وعلمائها وله معهم مفاوضات ومباحثات يطول شرحها. ثم رجع إلى بيت الدين وبقي." (١)

"وأنت من تكون. فأنشد على البديهة:

أنا ابن من خاض الصفوف بعزمه ... وقومها بالسيف حتى استقامت

وركباه لا نفك رجلاه منهما ... إذا الخيل في يوم الكريهة ولت

فأمسك عن الآخر وقال: لعله ابن أشجع العرب واحتفظ عليهم.

فما كان الصباح رفع أمرهم إلى أمير المؤمنين فأحضرهم وكشف عن حالهم. فإذا الأول ابن حجام. والثاني ابن فوال. والثالث ابن حاثك. فتعجب من فصاحتهم وقال لجلسائه: علموا أولادكم الأدب فوا لله لولا

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ٥٩/١

فصاحتهم لضربت أعناقهم (للنواجي)

أبو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ ألف أبو العلاء كتبا منها كتاب الفصوص. واتفق لهذا الكتاب من عجائب الاتفاق أن أبا العلاء دفعه حين كمل لغلام له يحمله بين يديه. وعبر النهر قرطبة. فحانت الغلام رجلة فسقط في النهر هو والكتاب. فقال في ذلك بعض الشعراء وهو العريف بيتا مطبوعا بحضرة المنصور وهو:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور والحاضرون. فلم يرع ذلك صاعدا ولا هال.

وقال **مرتجلا** مجيبا لابن العريف:

عاد إلى معدنه إنما ... توجد في قعر الفصوص

(كتاب المعجب لعبد الواحد المراكش)." (١)

"من معجزات النبوءة نوعا من النصر بالرعب. وبعث جحافل السطور فالقسي دالات والرماح ألفات واللامات لامات. والهمزات كواسر الطير التي تتبع الجحافل. والأتربة عجاجها المحمر من دم الكلى والمفاصل. فهو صاحب فضيلتي العلم والعمل. وساحب ذيلي الفخار في الحرب والسلم. لا يعاديه إلا من سفه نفسه. ولبس لبسه. وطبع على قلبه. وفل الجدال من غربه. وخرج في وزن المعارضة عن ضربه. وكيف يعادى من إذا كرع في نقسه. قيل إنا أعطيناك الكوثر. وإذا ذكر شانئه السيف قيل إن شانئك هو الأبتر. أقول قولي هذا وأستغفر الله من الشرف وخيلاته. والفخار وكبريائه. وأتوكل على الله فيما حكم. وأسأله التدبير فيما جرى به القلم. ثم اكتفى بما ذكره من أدواته. وجلس على كرسي دواته متمثلا بقول القائل:

قلم يفل الجيش وهو عرمرم ... والبيض ما سلت من الأغماد

وهبت له الآجام حين نشابها ... كرم السيول وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا. وتملظ لسانه للقول **مرتجلا**. وقال: بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز. الحمد لله الذي

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٥٢/٣

جعل الجنة تحت ظلال السيوف. وشرع حدها في ذوي العصيان فأغصتهم بماء الحتوف. وشيد مراتب الذين." (١)

"فأعجب لأرض كالسماء منيرة ... أضحت تضيء شموسها وبدورها

فتبسمت وتنسمت أرجاؤها ... أرجا فما الغصن النضير نظيرها

فلما أتمت جلاء هذه العروس. ورقمها سامعوها على وجنات الطروس. قال الوالي: لقد زدت وصفها. وشمخت على البلاد أنفها. وما أنطاكية لو كان عندك إنصاف. إلا طرف سكنته الأطراف. فلو أنك جمعت بين الأختين. وأرهقت العدة لنقص البيعتين. وأغلقت باب البحر. وجسرت على قطع الجسر. وسودت البيضاء. وأيبست الخضراء. لكان أهون علي من هذا النظم الأنيق. في استرقاق هذا البلد العتيق. وماذا تركت لدمشق من المنة والصفة. وقيل إنها قي الأرض هي الجنة لقد عرفت النكرة ونكرت المعرفة. ثم نظر إلي خجلا. وأنشد مرتجلا:

مدحت أنطاكية ... حتى توارى عقلها

ولم يكن عندي كما ... ذكرته محلها

لأنها دائرة ... علا عليها ذلها

فكيف لا أبغضها ... وكيف لا أملها

وعجمها أكثرها ... وعربها أقلها

لولا حبيب ساكن ... فيها ولولا ظلها

لقلت من مدن لظى ... لكنني أجلها

لكن أقول قولة ... ليس يرد عدلها." (٢)

"والنابتة، وقد رواهما الجاحظ في "الحيوان" "ج٦" وشرح منهما ما يختص بالحكمة دون النحلة؛ وكان بشر أروى المعتزلة للشعر، ولكن كل أولئك ومن حذا حذوهم لم يتخذوا الفلسفة والنحلة إلا مذهبا، وإنما كان شعرهم لسان اعتقادهم فيها ولهذا كان خيرا لهم لو كانوا على غير ذلك، بخلاف الفلاسفة من شعراء الأندلس -وسنذكرهم في موضع الكلام عليهم- وبخلاف من استعان بالحكمة اليونانية والفارسية في الشعر، كأبي العتاهية وأبان بن عبد الحميد اللاحقي شاعر البرامكة، وكالمتنبي والمعري وأبي علي بن

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٦٨/٦

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٠٨/٦

الشبل الحكيم البغدادي المتوفى سنة ٤٧٣هـ وغيرهم، فإنهم إنما وصلوا بالحكمة بين العقل والقلب، وجعلوا لها من الشعر منفذا بينهما إلى الروح، ولذلك قال بعضهم: لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكانا تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر.

وكان صالح بن عبد القدوس من الشعراء الفلاسفة، وجميع شعره في الحكمة والأمثال؛ ولذلك عابه الجاحظ عليه وقال إنه لو تفرق في أشعار كثيرة لزانها، وكان مذهبه مذهب السوفسطائية الذين يزعمون أن الأشياء لا حقيقة لها، وأن حال اليقظان كحال النائم؛ وله كتاب سماه كتاب الشكوك، قال فيه: كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان!

الشعر الإلهي:

وهو النوع الذي يكون إلهيا محضا تستخدم فيه المادة الشعرية للرمز عن الحقائق كأشعار الصوفية ومن أخذ أخذهم، والعلماء يسمون طريقة ذلك النظم "طريقة التحقيق" ويقول المتصوفة فيه:

جسوم أحرفه للسر عاملة ... إن شئت تعرفه جرب معانيه

وقد كان بعض العلماء ينكر هذه الشطحات وهو يعتقد بها، صيانة لظاهر الشرع، إلا أن الأدب لا ظاهر له دون حقيقته، فيمكن أن نقول إن هذا الشعر نوع من العلم موزون، وقد سميناه علما؛ لأنه لا بد أن يكون مؤولا لا يقصد ظاهره وإنما تكون له محامل يحمل عليها، كقول الشيخ محيي بن العربي "كان المغاربة يقولون ابن العربي واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام، فرقا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي "ص٤٠٤ ج١: نفح الطيب":

يا من يراني ولا أراه ... كم ذا أراه ولا يراني

فلو أدرت القول في هذا سنة ما عرفت وجه تأويله، ولكن بعض إخوان الشيخ سأله: كيف تقول إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك؟ فقال **مرتجلا:**

يا من يراه مجرما ... ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما ... ولا يراني لائذا!

"ص٤٠١ ج١: نفح الطيب".

وكان أصل هذا النوع من الشعر في الأندلس في أواخر القرن الثاني أيام الحكم بن هشام الملقب بالربضي، فإنه كان طاغيا مسرفا له آثار سوء قبيحة، وقد كان من قبله أهل تقوى ودين، وكان أهل." (١)

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ٨٧/٣

"غير مستطيع حلها إلا بجناية يذهب فيها نعيمه، أو بجنون يذهب فيه عقله. فإن حلها بعد ذلك فهو أحد اثنين: إما أحمق أو مجنون ما منهما بد.

ولسان الغيب ناطق في كلامها بأن أحسن حل للمشكلة هو أن تبقى بلا حل، فإن بعض الشر أهون من بعض.

والعجيبة الثالثة أن "نابغة القرن العشرين"١ جاء زائرا بعد أن قرأ مقالات "المجنون"، فرأى بين يدي هذه الكتب التي تلقيتها وأنا أعرضها وأنظر فيها لأتخير منها، فسأل فخبرته الخبر؛ فقال: إن صاحب هذه المشكلة مجنون، لو امتحنوه في الجغرافيا وقالوا له: ما هي أشهر صناعة في باريس؟ لأجابهم: أشهر ما تعرف به باريس أنها تصنع "البودرة" لوجه حبيبتي.

قلت: كيف يرتد هذا المجنون عاقلا؟ وما علاجه عندك؟

قال: وجه في طلب "ا. ش"* ليجيء، فلما جاء قال له: اكتب: جلس "نابغة القرن العشرين" مجلسه للإفتاء في حل المشكلة فأفتى **مرتجلا:**

"إن منطق الأشياء وعقلية الأشياء صريحان في أن مشكلة الحب التي يعسر حلها ويتعذر مجاز العقل فيها، ليست هي مشكلة هذا العاشق أكرهوه على الزواج بامرأة يحملها القلب أو لا يحملها، وإنما هي مشكلة إمبراطور الحبشة يريدون إرغامه أن يتزوج إيطاليا، ويذهبون يزفونها إليه بالدبابات والرشاشات والغازات السامة".

"ولو لم يكن رأس هذا العاشق المجنون فارغا من العقل الذي يعمل عمل العقل، إذن لكانت مجاري عقله مطردة في رأسه، فانحلت مشكلته بأسباب تأتي من ذات نفسها أو ذات نفسه؛ غير أن في رأسه عقل بطنه لا عقل الرأس، كذلك الشره البخيل الذي طبخ قدرا وقعد هو وامرأته يأكلان، فقال: ما أطيب هذه القدر لولا الزحام. قالت امرأته: أي زحام ههنا، إنما أنا وأنت؟! قال: كنت أحب أن أكون أنا والقدر فقط".

"فعقل النهم في رأس هذا كعقل الشهوة في رأس ذاك؛ كلاهما فاسد التقدير لا يعمل أعمال العقول السليمة؛ ويريد أحدهما أن تبطل الزوجة من أجل رطل من اللحم، ويريد الآخر مثل ذلك في رطل من الحب.

---

١ هو لقب المجنون، فانظر مقالاته في الجزء الثاني.

* هو الأديب أمين حافظ شرف، ويأتي له ذكر في مقالات المجنون.." (١)

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ١/٣٠٤

"الأصح". "ومما حفظناه" قول الأحنف بن قيس: إني لأجالس الأحمق ساعة فأتبين ذلك في "عقلي".

فلم يرعنا إلا قيام المجنون مسلحا بحذائه في يده ... وهو حذاء عتيق غليظ يقتل بضربة واحدة؛ فحلنا بينهما وأثبتناه في مكانه. وقلنا: هذا رجل قد غلب على عقله فلا يدري ما يقول؛ فإذا هو دل على أنه مجنون، أفلا تدل أنت على أنك عاقل؟ ما سألناك في انتحاره وجنونه، بل سألناك رأيك في الحب؛ وما نشك أنك قد أطلت التفكير ليكون الجواب دقيقا، فإنك "نابغة القرن العشرين"، فانظر أن يكون الجواب كذلك.

قال: نعم إن العاقل إذا ورد عليه السؤال أطال الفكر في الجواب، فاكتب يا فلان "س. ع":

"جلس نابغة القرن العشرين مجلس الإملاء مرتجلا فقال١: قصة الحب هي قصة آدم، خلق الله المرأة من ضلعه. فأول علامات الحب أن يشعر الرجل بالألم كأن المرأة التي أحبها كسرت له ضلعا ... وكل قديم في الحب هو قديم بمعنى غير معقول، وكل جديد فيه هو جديد بمعنى غير مفهوم؛ فغير المعقول وغير المفهوم هو الحب.

والجمرة الحمراء إذا قيل إنها انطفأت وبقيت جمرة فذلك أقرب إلى الصدق من بقاء الحب حيا بمعناه الأول إذا انطفأ أو برد.

والعاشق مجنون. وجنونه مجنون أيضا، فهو كالذي يرى الجمرة منطفئة، ويرى مع ذلك أنها لا تزال حمراء، ثم يمعن في خياله فيراها وردة من الورد ... وإذا سألته أن يصف الجمال الذي يهواه كان في ذلك أيضا مجنون الجنون، كالذي يرى قمر السماء أنه قد تفتت وتناثر ووقع في الروضة، فكان نثاره هو الياسمين الأبيض الجميل الذكي ...

والمجنون يرى الدنيا بجنونه والعاقل يراها بعقله؛ ولكن العاشق المخبول لا ينظر من يهواه إلا بقية من هذا وبقية من ذلك، فلا يخلص مع حبيبه إلى جنون ولا عقل.

"والمجهول" إذا أراد أن يظهر في دماغ بشري لم يسعه إلا أحد رأسين: رأس المجنون ورأس العاشق ...

---

١ هذا نص عبارته حين يريد التخليط.." (١)

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٢/٣٠٥

"في شيء ولا يحرز شيئا، وإنما طبيعته أشواقه الكونية، واتصاله بنفحات القوة الأزلية المسخرة للوجود كله. فانتشرت هذه الموجة الكهربائية الأثيرية حول الجارية من قلبها، وجاء الذئب فالتج فيها وغمرته الروحانية الغالبة، فإذا هو يفتح عينه على كون غريب قد تجلى السلام عليه، فليس فيه إلا قوة آمرة أمرها بائتلاف كل شيء مع كل شيء، واجتماع المتنافرين في حالة معروفة لا في حالة إنكار. فصار الذئب مستيقظا، ولكنه في روح النوم، وشلت فيه الذئبية الطبيعية، فإذا هو يحمل الأنياب والأظافر وقد أنسي استعمالها؛ وبقيت حركته الحيوانية، ولكن تعطلت بواعثها فبطل معناها.

ومن كل ذلك اختفى الذئب الذي هو في الذئب، وبقي الحيوان حيا ككل الأحياء، فناسب الشاة وفزع إليها إذ لم تكن العلاقة بينهما علاقة جسم الآكل بجسم الأكيلة، بل علاقة الروح الحي بروح حي مثله[١].

قال "النابغة": أما أنا فقد فهمت ولكن هذا المجنون لم يفهم. أكتب يا س. ع: جلس نابغة القرن العشرين مجلسه للفلسفة على غير إعداد ولا تمكن، وبدون كتبه ألبتة ... وكان هذا أجمع لرأيه وأذهن له وأدعى لأن يتوفر على الإملاء بكل "مواهبه العقلية"؛ ولما أن فكر النابغة أعطي النظر حقه وجمع في عقله الفذ جزالة الرأي إلى قوة التفنن والابتكار، قال **مرتجلا**: إن فلسفة الذئب والشاة حين لم

---

١ روت الصحف في هذه الأيام قصة حاكم إنجليزي كان قد اقتنص ذئبا هنغاريا وشده في سلسلة وجعله في حديقة داره إلى أن يرى فيه رأيا؛ وكان للحاكم طفل صغير أعجبه الذئب ومنظره الوحشي فتربص إلى الليل، فلما استثقل أهله نوما انسل من حجرته وهبط الحديقة وجاء إلى الذئب فوثب هذا يتحفز لافتراسه؛ ولكن الطفل لم يدرك شيئا من معنى هذه الوحشية، ولم يكن في نفسه إلا أن الذئب كالكلب فلم يضطرب ولم يخف ولم يداخله الشك؛ ومضى إلى الوحش مسرورا مطمئنا فتناوله من شعره وجعل يمسحه بيده الصغيرتين ويعبث به، والذئب مدهوش ذاهل، ثم سكن واستأنس إليه كأنه مع جرو من أجرائه لا مع طفل آدمي؛ وجذبه الطفل من رقبته حتى أضجعه ثم اتخذه وسادة ووضع رأسه على ظهره ونام ... وافتقدت الطفل مربيته فلم تجده في فراشه، فنبهت أهله وذهبوا يبحثون عنه في غرف الدار، ثم نزلوا إلى الحديقة فبصروا به نائما ورأسه على الذئب، وخافوا إزعاج الوحش فرموه بالرصاص فقتلوه وقام الطفل يبكي على صديقه الوفي ...

هذا هو أثر الروح المطمئنة الماضية على يقينها، ولكن أين مثل هذا اليقين في مثل هذه الحالة؟ وكل مروضي

الوحوش يعلمون أنه أول وآخر ما يخيفونها به هو نزع الخوف من أنفسهم، وأن هذا هو وحده سلاح النفس في النفس.." (١)

"فرغن للشجو حتى ظل كل شج ... حران في بعضه عن بعضه شغل

طلت دماء هريقت عندهن كما ... طلت دماء هدايا مكة الهمل

هانت على كل شيء فهو يفكها ... حتى المنازل والاحداج والإبل

يخزي ركام النقا ما في مآزرها ... ويفضح الكحل في أجفانها الكحل

تكاد تنتقل الارواح لو تركت ... من الجسوم إليها حين تنتقل

بالقائم الثامن المستخلف اعتدلت ... قواعد الملك ممتدا لها الطول

بيمن معتصم بالله لا أود ... بالدين مذ ضم قطريه ولا خلل

يهني الرعية أن الله مقتدرا ... أعطاهم بأبي إسحاق ما سألوا

لو كان في عاجل من آجل بدل ... لكان في وعده من رفده بدل

تغاير الشعر فيه إذ سهرت له ... حتى ظننت قوافيه ستقتتل

لولا قبولي نصح العزم **مرتجلا** ... لراكضاني إليه الرحل والجمل

له رياض ندى لم يكب زهرتها ... خلف ولم تتبختر بينها العلل

مدى العفاة فلم تحلل به قدم ... إلا ترحل عنها العثر والزلل

ما إن يبالي إذا حلى خلائقه ... بجوده أي قطريه حوى العطل

كأن أمواله والبذل يمحقها ... نهب تقسمه التبذير أو نفل

شرست بل لنت بل قانيت ذاك بذا ... فأنت لا شك فيك السهل والجبل

صلى الإله على العباس وانبجست ... على ثرى حله الوكافة الهطل

ذاك الذي كان لو أن الأنام له ... نسل لما راضهم جبن ولا بخل

أبو النجوم الذي ما ضر ثاقبها ... أن لم يكن برجه ثور ولا حمل

من كل مشتهر في كل معترك ... لم يعرف المشتري فيه ولا زحل

يحميه لألاؤه أو لوذعيته ... من أن يذال بمن أو ممن الرجل

ومشهد بين حكم الذل منقطع ... صاليه أو بحبال الموت متصل

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٣١٣/٢

ضنك إذا خرست أبطاله نطقت ... فيه الصوارم والخطية الذبل

٣لا يطمع المرء أن يجتاب غمرته=بالقول ما لم يكن جسرا له العمل

جليت والموت مبد حر صفحته ... وقد تفرعن في أفعاله الأجل

أبحت أو عاره بالضرب وهو حمى ... للموت ينبت فيه الكرب والوهل

آل النبي إذا ما ظلمة طرقت ... كانوا لها سرجا أنتم لها شعل

قوم إذا وعدوا أو واعدوا غمروا ... صدقا مذانب ما قالوا بما فعلوا

يستعذبون مناياهم كأنهم ... لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

أسد العرين إذا ما الموت صبحها ... أو صبحته ولكن غابها الأسل

تناول اغوث أيدي الموت قادرة ... إذا تناول سيفا منهم بطل

ليسقم الدهر أو تصحح مودته ... فاليوم أول يوم صح لي أمل

أدنيت رحلي لإلى مدن مكارمه ... إلي مهتبلا ما جئت اهتبل

إلى ثمال بني الدنيا الذي حليت ... بحلي معروفه الأمنية العطل

يحميه حزم لحزم البخل مهتضم ... جودا وعرض لعرض المال مبتذل

فكر إذا راضاه راض الأمور به ... رأي تفنن فيه الريث والعجل

قد جاء من وصفك التفسير معتذرا ... بالعجز إن لم يغثني الله والجمل

لقد لبست أمير المؤمنين بها ... حليا نظاماه بيت سار أو مثل

غريبة تؤنس الآداب وحشتها ... فما تحل على قوم فترتحل

وقال يمدح أبا المتسهل محمد بن شقيق الطائي

تحمل عنه الصبر يوم تحملوا ... وعادت صباه في الصبا وهي شمأل

بيوم كطول الدهر في عرض مثله ... ووجدي من هذا مقلتي وهي تهمل

تولوا فولت لوعتي تحشد الاسى ... علي وجاءت مقلتي وهي تهمل

ألا بكرت معذورة حين تعذل ... تعرفني ملعيش ما لست أجهل

أأتبع ضنك الأمر والأمر مدبر ... وأدفع في صدر الغنى وهو مقبل

محمد يا ابن المستهل تهللت ... عليك سماء من ثنائي تهطل

فكم مشهد أشهدته الجود فانقضي ... ومجدك يستحيي ومالك يقتل

بلوناك اما كعب عرضك في العلى ... فعال ولكن جد مالك أسفل

تحملت ما لو حمل الدهر شطره ... لفكر الدهر أي عبئيه أثقل." (١)

"وأيامنا إذا نحن في الدار جيرة ... واذ دهرنا بالصل غير ذميم

قال: ويقال أن أكثر المياه في الجبال من أسفلها إلا أروند فإن ماءة من أعلاه ومنابعه في ذروته. قال بعض شعرائهم يفضله على بغداد ويتشوقه:

وقالت نساء الحي اين ابن أختنا ... إلا خبرونا عنه حييتم وفدا

رعاه ضمان الله هل في بلادكم ... أخو كرم يرعى لذي حسب عهده

فإن الذي خلفتموه بأرضكم ... فتى ملأ الأحشاء هجرانه وجدا

أبغدادكم تنسيه أروند مربعا ... ألا خاب من يشري ببغداد أروند

فدتهن نفسي لو سمعن بما أرى ... رمى كل جيد من تنهده عقدا

وقال محمد بن بشير الهمذاني يصف أروند:

سقيا لظلك يا أروند من جبل ... وان رميناك بالهجران والملل

هل يعلم الناس ما كلفتني حججا ... من حب مائك إذا يشفي من العلل

لازلت تكسى من الأنواء أردية ... من ناضر أنق أو ناعم خضل

حتى تزور العذارى كل شارقة ... أفياء سفحك يستصبين ذا الغزل

وأنت في حلل و الجو في حلل ... والبيض في حلل والروض في حلل

وقال محمد بن بشير أيضا يصف أروند:

تزينت الدنيا وطابت جنانها ... وناح على أغصانها ورشانها

وأمرعت القيعان واخضر نبتها ... وقا على الوزن السواء زمانها

وجاءت جنود من قرى الهند لم تكن ... لتأتي إلا حين يأتي أوانها

مسودة دعج العيون كأنما ... لغات بنات الهند تحكي لسانها

لعمرك ما في الأرض شيء نلذه ... من العيش إلا فوقه همذانها

إذا استقبل الصيف الربيع وأعشبت ... شماريخ من أروند شم قنانها

وهاج عليهم بالعراق وأرضه ... هواجر يشوي أهلها لهبانها

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٩

سقتك ذرى أروند من سيح ذائب ... من الثلج أنهارا عذابا رعانها

ترى الماء مستنا على ظهر صخره ... ينابيع يزهي حسنها واستنانها

كأن بها شوبا من الجنة التي ... تفيض على سكانها حيوانها

فياساقي الكأس اسقينها مدامة ... على روضة يشفي المحب جنانها

مكللة بالنور تحكي مضاحكا ... شقائقها في غاية الحسن بانها

كأن عروس الحي بين خلالها ... قلائد ياقوت زهاها اقترانها

تهاويل من حمر وصفر كأنها ... ثنايا العذارى ضاحكا أقحوانها

قال طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري القاضي الشافعي رحمه الله: كتبت إلى ابي العلاء المعري حين ورد بغداد

وما ذات در لا يحل لحالب ... تناوله واللحم منها مجلل

لمن شاء في الحالين حيا وميتا ... ومن رام شرب الدر فهو مجلل

إذا طعنت في السن فاللحم طيب ... وآكله عند الجميع مغفل

وخرفانها للأكل فيها كزازة ... فما لحصيف الرأي فيهن مأكل

وما يجتني معناه إلا مبرز ... عليم بأسرار القلوب محصل

فاجابني وأملى على الرسول في الحال:

جوابان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مضلل

فمن ظنه كرما فليس بكاذب ... ومن ظنه نخلا فليس يجهل

لحومهما الأعناب والرطب الذي ... هو الحل والدر الرحيق المسلسل

ولكن ثمار النخل وهي غضيضة ... تمر وغض الكرم يجنى ويؤكل

يكلفني القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدرا بل أعز وأطول

ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ... جديرا ولكن من يودك مقبل

فاجبته بقولي:

أثار ضميري من يعز نظيره ... من الناس طرا سابغ الفضل مكمل

ومن قلبه كتب العلوم بأسرارها ... وخاطره في حدة النار مشعل

تساوى له سر المعاني وجهرها ... ومعضلها باد لديه مفصل

ولما أثار الحب قاد منيعه ... أسيرا بأنواع البيان مكبل

وقربه من كل فهم بكشفه ... وأيضاحه حتى رآه المغفل

وأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... **ومرتجلا** من غير ما يتمهل

فيخرج من بحر ويسمو مكانه ... جلالا إلى حيث الكواكب نزل

فهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنه والعمر فيها مطول

فأجاب **مرتجلاص** وأملى على الرسول:

إلا أيها القاضي الذي بدهائه ... سيوف على اهل الخلاف تسلل

فؤادك معمور من العلم آهل ... وجدك في كل المسائل مقبل." (١)

"لم يملك الماء عليها أمرها ... ولم يدنسها الضرام المحتضى

حينا هي الداء وأحيانا بها ... من دائها إذا يهيج يشتفى

قد صانها الخمار لما اختارها ... ضنا بها على سواها واختبى

فهي ترى من طول عهد أن بدت ... في كاسها الأعين الناس كلا

كأن قرن الشمس في ذرورها ... بفعلها في الصحن والكاس اقتدى

نازعتها أروع لا تسطو على ... نديمه شرته إذا انتشى

كأن نور الروض نظم لفظه ... **مرتجلا** أو منشدا أو إن شدا

من كل ما نال الفتى قد نلته ... والمرء يبقى بعده حسن الثنا

فإن أمت فقد تناهت لذتي ... وكل شيء بلغ الحد انتهى

وغن اعش صاحبت دهري عالما ... بما انطوى من صرفه وما انتشى

حاشا لما أساره في الحجا ... والحلم أن أتبع رواد الخنا

أو أن أرى لنكبة مختضعا ... أو لابتهاج فرحا ومزدهى

وقال المثقب العبدي الجاهلي المتوفى سنة ٥٨٧ م من قصيدة

لا تقولن إذا ما ترد ... أن تتم الوعد في شيء (نعم)

حسن قول (نعم (من بعد (لا) ... وقبيح قول (لا) بعد (نعم)

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٤٣

إن (لا) بعد (نعم) فاحشة ... فبلا فابدأ إذا خفت الندم

وإذا قلت نعم فاصبر لها ... بنجاز الوعد إن الخلف ذم." (١)

"شديد الغيرة على العترة النبوية وله فضائل كثيرة ومن شعره قصيدة كبيرة عارض بها الهمزية وقصيدة عارض بها البردة وأشعاره كثيرة واتفق أنه خرج من الحمام فلقيه بعض أصدقائه وسأله عن سبب دخوله الحمام فأنشده قول الشاعر

(ولم أدخل الحمام من أجل لذة ... وكيف ونار الشوق بين جوانجى)

(ولكنه لم يكفنى فيض أدمعى ... دخلت لابكى من جميع جوارحى)

وكان قد تناول الحناء واثره على يده فقال له فما هذا يشير إلى الحناء فقال مرتجلا

(وليس خصابا ما بكفى وإنما ... مسحت به أثر الدموع السوافح)

ثم صدر صاحب الترجمة البيتين وعجزهما ونقل معناهما إلى الوعظ وضم إليهما البيت الثالث فقال

(ولم أدخل الحمام من أجل لذة ... وكيف التذادى بالنيار اللواقح)

(ولا جئته ابغى اصطلاء بناره ... وكيف ونار الشوق بين جوانحي)

(ولكنه لم يكفنى فيض أدمعى ... على ماضيات من ذنوب فواضح)

(ولما رأيت العين لم يكف وبلها ... دخلت لابكى من جميع جوارحى)

(وليس خضابا ما بكفى وانما ... مسحت به أثر الدموع السوافح)

وتوفى حاكما ببندر عدن في شهر محرم سنة ١١١٦ ست وقيل سبع عشرة ومائة وألف وأرخ وفاته زيد بن على الخيوانى بقوله

(قد قضى قاضى العلا في عدن ... فعلوم الآل بالشجو تباكا)

(وباقلام الرثا ارخته ... ياابن عبد الحق قد طاب ثراكما) سنة ١١١٧." (٢)

"بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادى بن إبراهيم بن علي بن المرتضي الوزير الحسنى مولده ليلة الجمعة ٢٧ شعبان سنة ٩٤٥ خمس وأربعين وتسعمائة وأخذ عن والده وعن محمد بن يحيي حنش وغيرهما وكان خاتمة النجباء وكعبة العلماء والادباء أفضل أهل زمانه وأروعهم وأفصحهم في الكلام وأبرعهم محققا في جميع العلوم سكن حصن كوكبان ثم انتقل الى صنعاء وبقى بها عن أمر الامام القاسم بن محمد

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٤٢١/٢

(٢) الملحق التابع للبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع مُحَمَّد زَبَارَة ٤٧/٢

أيام ولاية الاتراك عليها وكان صادعا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم ومن أجل تلامذته الامام القاسم وولده الامام محمد بن القاسم والسيد محمد بن عز الدين المفتى وغيرهم من الاكابر وكان يتصل بالباشا جعفر نائب الاتراك بها فقال له في بعض الايام موجها بذكر المذاهب

(خدك ذا الاشعرى حنفنى ... وصار من أحمد المذاهب لى)

(حبك ما زال شافعي أبدا ... يا مالكي كيف صرت معتزلى)

ثم قال الباشا جعفر مداعبا أين ذكر الزيدية فقال صاحب الترجمة مرتجلا

(زاد غرامى به فزدنى ... بعدا عن المكثرين في عدلى)

فتعجب الباشا من سرعة بادرته وقال له من أفضل الصحابة يا سيد صلاح قال أبو بكر فقال أتفضله على على بن أبي طالب قال أنت سألتني عن الصحابة وأما القرابة فأمرهم آخر على يعد من القرابة فسكت الباشا وبلغه أن الامام القاسم عزر من لعب الشطرنج تعزيرا مخصوصا وأوقفه في الشمس معقولة رجله فاستغرب الباشا ذلك وظن أنه لا سلف للامام فيما يفعله وأن ذلك هفوة منه فلما دخل عليه السيد صلاح سأله فقال أصاب الامام قال الباشا من أين لك ذلك فقال هذا فعله جده أمير المؤمنين." (١)

"الحكم الخضري

(٠٠٠ - نحو ١٥٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٧٦٧ م)

الحكم بن معمر بن قنبر الخضري: شاعر، من خضر محارب. كان معاصرا لابن ميادة، وعده الأصمعي من طبقته (١) .

حكم الوادي

(٠٠٠ - نحو ١٨٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٧٩٦ م)

حكم بن ميمون، أو ابن يحيى بن ميمون: مغن، من الطبقة الأولى في عصره. أصله من الموالي، أعتق الوليد ابن عبد الملك أباه، ونشأ حكم ينقل الزيت على الجمال بالأجرة من الشام إلى المدينة.

وأولع بصناعة الغناء فكان ينقر بالدف ويغني مرتجلا، فاتصل ببني العباس في خلافة المنصور وانقطع إليهم، فاشتهر، وأصاب مالا وافرا وحظوة. وطالت مدة حياته، أدرك الوليد بن عبد الملك، وغناه، وأدرك هارون الرشيد وغناه (٢) .

---

(١) الملحق التابع للبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع مُحَمَّد زَبَارَة ١٠٥/٢

البهراني

(١٣٨ - ٢٢٢ هـ = ٧٥٥ - ٨٣٧ م)

الحكم بن نافع، أبو اليمان البهراني الحمصي: محدث راوية من شيوخ البخاري وابن حنبل.
مولده في حمص. بقيت من تصانيفه قطع بعنوان (أحاديث - خ) في ا لظاهرية (٣) .

الحكم الربضي

(١٥٤ - ٢٠٦ هـ = ٧٧١ - ٨٢٢ م)

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، الأموي، أبو العاص: من أفحل ملوك بني أمية بالأندلس، وأول من جعل للملك فيها أبهة، وأول من جند

---

(١) سمط اللآلي ١٦ وانظر الأصمعيات ٢٢.

(٢) الأغاني ٦: ٦٢.

(٣) العبر ١: ٨٤ وهو في تاريخ التراث ١: ٢٨٤ (البحراني) خطأ.." (١)

"عمل العود بالمدينة وغنى به، وأول (صوت) غني به في الإسلام، من الغناء العربي المتقن، هو الأبيات التي أولها: (لمن الديار، رسومها قفر) من صنعة سائب. وقال الأصبهاني: لم يكن يضرب بالعود، إنما كان يقرع بقضيب ويغني **مرتجلا**. وهو أستاذ (معبد) المغني المشهور، و (ابن سريج) و (عزة الميلاء) وآخرين. وسمع معاوية غناءه مرارا. وقيل في سبب تسميته (سائب خاثر) إنه غنى صوتا ثقيلا، فقال من سمعه: هذا غنا خاثر، أي غير محذوق، فلصق به لقبا. ولما قدم جيش يزيد بن معاوية، وعليه مسلم بن عقبة المري، يريد دخول المدينة، خرج أهل المدينة لقتاله في (الحرة) وكان في جملتهم (سائب خاثر) فقتل في المعركة (١) .

السائح = النعمان بن امرئ القيس

سابا زريق

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٢٦٧/٢

(١٣٠٦ - ١٣٩٤ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٧٤ م)
سابا بن قيصر بن ميخائيل زريق: مدرس شاعر. من أهل طرابلس الشام. ولد وتوفي بها. من أسرة حورانية الأصل انتقل أسلافها إلى طرابلس. تعلم بها وبمدرستها الوطنية الأرثوذكسية. وعمل

---

(١) النويري ٤: ٢٦١ والأغاني طبعة الدار ٨: ٣٢١ وتهذيب ابن عساكر ٦: ٦٢.." (١)

"وقاتله، فنشبت فتنة انتهت بفشل خالد. ثم أقبل عبد الله بن طاهر مارا بالشام حتى بلغ مصر، موفدا من قبل المأمون، فدافعه عبيد الله مدة، وجاءه أمان المأمون سنة ٢١١ هـ على الصلح بينه وبين ابن طاهر. فلما التقيا خلع عليه ابن طاهر وأمره أن يخرج إلى المأمون، فخرج، وأقام في العراق إلى أن توفي بسر من رأى. وكان حازما شجاعا (١) .

ابن سريج
(٢٠ - ٩٨ هـ = ٦٤٠ - ٧١٦ م)
عبيد الله بن سريج، مولى بني نوفل ابن عبد مناف، أبويحيى: من أشهر المغنين وأصحاب هذه الصناعة في صدر الإسلام. كان يغني **مرتجلا** فيأتي باللحن المبتكر. وهو من أهل مكة، وأول من ضرب بها على العود بالعناء العربي. قال إبراهيم الموصلي: ما كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له ما يشتهي! (٢) .

عبيد الله الزهري
(١٨٥ - ٢٦٠ هـ = ٨٠١ - ٨٧٤ م)
عبيد الله بن سعد الزهري البغدادي، نزيل سامراء، أبو الفضل: قاض، من رجال الحديث الثقات. ولي قضاء أصبهان مرتين ولم يمكث طويلا (٣) .

عبيد الله السرخسي
(٠٠٠ - ٢٤١ هـ = ٠٠٠ - ٨٥٥ م)

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٣/٦٨

عبيد الله بن سعيد بن يحيى، أبو قدامة: من حفاظ الحديث، وثقات رجاله. ولد بسرخس وسكن نيسابور. قال ابن حبان: وهو الذي أظهر السنة بسرخس ودعا إليها. روى عنه البخاري ١٣

---

(١) الولاة والقضاة ١٧٣.

(٢) الأغاني طبعة دار الكتب ١: ٢٤٨ وورد اسمه في نسخها: عبيد الله، وعبيد، وعبد الله

(٣) تهذيب التهذيب ٧: ١٥.." (١)

"وثمانين سنة فصلع فكان يلبس جمة مركبة واصل الجمة مجتمع شعر الرأس وما سقط منه علي المنكبين وفي الحديث: لعن الله المجممات من النساء وهن اللواتي يتخذن شعورهن جمة تشبها بالرجال.

لفظ الزوار واطلاقه علي طلاب المعروف:

ومن مظاهر المروءة والنبل عند البرامكة ما رواه ابو الفرج في الاغاني من قول العباس بن خالد بن برمك قال: كان الزوار يسمون من قديم الدهر الي ايام خالد بن برمك - يعني والده - بالسؤال: جمع سائل فقال خالد هذا والله اسم استثقله لطلاب الخير واني لأرفع قدر الكريم عن ان يسمي به امثال هؤلاء المؤملين لأن فيهم الاشراف والاحرار وابناء النعيم ومن لعله خير من يقصد وافضل ادبا ولكنا نسميهم الزوار: جمع زائر وكان بشار بن برد حاضرا فقال **مرتجلا** يمدحه بذلك: حذا خالد في فعله حذو برمك فمجد له مستطرف واصيل وكان ذوو الامال يدعون قبله بلفظ علي الاعدام فيه دليل يسمون بالسؤال في كل موطن وان كان فيهم نابه وجليل فسماهم الزوار سترا عليهم فأستاره في المهتدين سدول.

فأعطاه لكل بيت الف درهم.." (٢)

"الحياة الدراسية:

دراسة الشيخ رحمه الله: على هذا المنهج كانت دراسة الشيخ رحمه الله إلا أنه تميز ببعض الأمور قل أن كانت لغيره. نوجز منها الآتي:

١ - في مبدأ دراسته: تقدم أنه أتيح له في بادئ دراسته ما لم يتح لغيره حيث كان بيت أخواله مدرسته الأولى، فلم يرحل في بادئ أمره للطلب، وكان وحيد والديه فكان في مكان التدلل والعناية.

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٤/١٩٤

(٢) كناشة النوادر عبد السلام هارون ص/٣٥

٢ – قال رحمه الله كنت أميل إلى اللعب أكثر من الدراسة حتى حفظت الحروف الهجائية وبدأوا يقرئونني إياها بالحركات: با فتحة با بي كسرة بي ب ضمة بو وهكذا ث د ث. فقلت لهم أو كل الحروف هكذا قالوا نعم فقلت كفى إني أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة كي يتركونني. فقالوا اقرأها فقرأت بثلاثة حروف أو أربعة وتنقلت إلى آخرها بهذه الطريقة فعرفوا أني فهمت قاعدتها واكتفوا مني بذلك وتركوني، ومن ثم حببت إلي القراءة.

٣ – وقال رحمه الله: ولما حفظت القرآن وأخذت الرسم العثماني وتفوقت فيه على الأقران عنيت بي والدتي وأخوالي أشد عناية وعزموا على توجهي للدراسة في بقية الفنون، فجهزتني والدتي بجملين أحدهما عليه مركبي وكتبي، والآخر عليه نفقتي وزادي، وصحبني خادم ومعه عدة بقرات وقد هيئت لي مركبي كأحسن ما يكون من مركب وملابس كأحسن ما تكون فرحا بي وترغيبا لي في طلب العلم، وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل.

تقوم الحياة الدراسية على أساس منع الكلفة وتمام الألفة سواء بين الطلاب أنفسهم أو بينهم وبين شيخهم مع كمال الأدب ووقار الحشمة، وقد تتخللها الطرف الأدبية والمحاورات الشعرية ومن ذلك ما حدثنيه رحمه الله قال: قدمت على بعض المشايخ لأدرس عليه ولم يكن يعرفني من قبل فسأل عني من أكون وكان في ملإ من تلامذته فقلت **مرتجلا:**." (١)

"ودقة حكمه حين أورد أمثلة من بدائه المشارقة وشفعها **بمرتجلات** للأندلسيين ثم أكد " أن البديه والارتجال في هذه الأشعار الأندلسية لم يلحق بالأشعار المشرقية، ولا فيها كبير طائل " (١) .

ولسنا نستطيع أن نحدد عند غير ابن بسام؟ على قصور في آرائه جملة – " موقفا " نقديا ذا شمول إلا أن ابن خفاجة كان أوضح الشعراء مذهبا قي النقد حين وقف يدافع عن مذهبه الشعري؛ فهو يقرر أن الشعر، وأن جوده صاحبه، منقسم في طرفين ووسط، وأن كلال الشاعر يظهر في الطرف الثاني أي خاتمة القصيدة. ويقول: " والشعر يأتلف من معنى ولفظ وعروض وحرف روي، فقد يتعاصى في بعض الأمكنة جزء من هذه الأجزاء أو أكثر، فطورا ينظم البيت وآونة ينثر " (٢) . ويرى ابن خفاجة أن الشعر، جيدا كان أم رديئا، يجد من يطعن عليه، سواء أكان الطاعن منصفا أو متحيفا. ويذكر أن في بلده ناسا ليس لديهم مقياس نقدي سوى مقياس " الجزالة "، وأنهم يستعملون هذا المقياس وحده في كل موضوع مدحا كان أو غزلا أو مجونا، ويدافع ابن خفاجة عن الرقة التي استمدها من محاكاة عبد المحسن الصوري والشريف الرضي ومهيار

---

(١) مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله عطية سالم ص/٣٥

الديلمي، كما يقر بأنه حاكى أبا الطيب في بعض شعره، إلا أن له أشعارا أخرى أصيلة ساقها على غير مثال.

ويحاول في بعض المواقف أن يشير إلى المصدر الذي استقى منه هذا المعنى أو ذاك فيقول ان قوله: " ونزلت اعتنق الأراك مسلما " ينظر إلى قول أبي الطيب:

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) ديوان ابن خفاجة: ٩.." (١)

"أن كليهما يحسن الإجابة الحادة المسكتة ويستطيع أن يفاجئ السائل غير ما قد يتوقعه من جواب، فإذا سأل: من أين أنت؟ (مثلا) قال: من أبي وأمي (١) .

ويتصور إن البطلان الشاعر أوميرس نموذجا للطريقة اليونانية لدى الشعراء، فهو إذا هاتره أحدهم لم يهجه مباشرة وإنما رد نازعا بمثل خرافي، فقد جاءه مرة أبانو الماجن فقال: اهجني بهجائك إذا لم أكن أهلا لمديحك، فقال اوميرس: لست فاعلا ذلك أبدا، فقال له: إني أمضي إلى رؤساء اليونانيين وأشعرهم بنكولك، فقال له مرتجلا: بلغنا أن كلبا حاول قتال أسد بجزيرة قبرص، فامتنع الأسد أنفة منه، فقال له الكلب: إني لأشعر السباع بضعفك، فقال السبع: لأن تعيرني الأسد بالنكول عن مبارزتك أحب إلي من أن ألوث شاربي بدمك (٢) (وهي القصة التي تروى عن الحمار والخنزير البري عند فايدرس ١: ٢٩) (٣) .

ومرة أخرى لجأ أوميرس إلى هذه الطريقة نفسها حين افتخر عليه إبرخس (HippArchus) الشاعر بكثرة الشعر وسرعة العمل وعيره ببطء عمله وقلة شعره، فقال أوميرس: بلغنا أن خنزيرة بإنطاكية عيرت لبوة بطول زمان حملها وقلة الولد فافتخرت عليها بضد ذلك، فقالت اللبوة: لقد صدقت، إني ألد الولد بعد الولد، ولكن أسد (٤) (وتروى عن اللبوة والثعلب في قصص إيسوب (٥) وهي كذلك في الكلم الروحانية: ١٣١ وابن العبري: ٥٠) .

ويمكننا أن نرد هذا التوافق بين الشخصيتين وأقوالهما وطريقتهما إلى الأسباب العامة التي ذكرناها عند الحديث عن الاضطراب في نسبة القول الواحد إلى غير واحد من الناس، ولكن لا بد من أن نضيف هنا شيئا آخر، وهو أن المجموعة التي تعرف باسم

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) إحسان عباس ص/١٠٥

(١) منسوبة لاوميرس في مختار الحكم: ٣٠ ولايسوب عند دالي: ٤٢.

(٢) خمس رسائل، مخطوطة الموصل الورقة: ١٦٢ وتاريخ الحكماء: ٦٧ (ويبدو أنه نقلها عن ابن بطلان) .

(٣) Phaedrus، Book 1، P. 225.

(٤) خمس رسائل، مخطوطة الموصل: ١٦٢ وتاريخ الحكماء: ٧٠.

(٥) دالي رقم: ٢٥٧ ص: ٢٠٠ وتحريج المصادر الأخرى في:

Babrius، Appendix No. 257.." (١)

"اولا – مقولة الجهة الأولى حول المعنى:

وهي كون المعنى له لفظ يدل عليه أو ليس له لفظ يدل عليه.

إن المعاني التي يمكن أن يحيط بها علم الإنسان، أو يصل إليها إدراكه الذهني، أو تخيلاته، تنقسم إلى قسيمن:

القسم الأول: هي المعاني التي لها ألفاظ لغوية تدل عليها.

القسم الثاني: هي المعاني التي ليس لها ألفاظ لغوية تدل عليها.

* مثل بعض الوجدانيات والمشاعر النفسية التي لا يجد الشاعر بها ألفاظا تدل عليها.

* ومثل بعض المركبات التخيلية التي ليس لها أمثلة في الواقع.

* ومثل الغيبيات التي لم يصل إلى حس الناس أية صفة من صفاتها، ولكن أدركوا بعض آثارها، كالجاذبية قبل أن يتنبه العلماء إليها ويضعوا لها اسما.

* ومثل كثير من عناصر الأرض ونباتاتها وحشراتها وأجزاء الأجسام المركبة التي لم يحدد الناس بعد أسماء لها.

* ومثل كثير من الطعوم والروائح التي لا تحصر فروعها، وإن عرفت أصولها، وكذلك الأصوات وما بينها من فروق وما لأصول أنغامها من فروع.

* ومثل كثير من الأعمال ذات الحركات المركبة المتداخلة التي صار الناس يشاهدونها بعد اختراع الآلات واكتشاف الطاقات.

---

(١) ملامح يونانية في الأدب العربي إحسان عباس ص/٦٠

وكلنا نلاحظ أنه كلما وضح في أذهان الناس معنى من هذه المعاني، وصاروا بحاجة إلى تداوله والتعبير عنه بدأوا يضعون لفظا منقولا أو **مرتجلا** يدل عليه، ومع تداول هذا اللفظ مشيرا إلى المعنى الذي وضع له يغدو رمزا معروفا." (١)

"{القارعة * ما القارعة * ومآ أدراك ما القارعة} ؟ [الآيات: ١ - ٣] .

***

(١٠) شرح الاستفهام المستعمل في التسهيل والتخفيف:

وقد يعبر المتكلم عما يراه أمرا سهلا هينا خفيفا بأسلوب الاستفهام، وتدل قرينة الحال أو قرينة المقال على ما أراد التعبير عنه.

كأن يقول قائل لشاب رياضي معتاد صعود الجبال: أتستطيع أن تصعد هذا الجبل؟

فيقول له: وماذا في صعوده؟

ويقول قائل لخطيب مفوه معتاد أن يقف بين الجماهير خطيبا **مرتجلا**، وبأسرهم بكلامه: أتستطيع أن تخطب لنا خطبة في هذا الحفل؟

فيجيبه بالمثل: أو للبط تهددين بالشط.

أمثلة:

* قول الله عز وجل في سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) :

{وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما} [الآية: ٣٩] .

أي: إن الإيمان أمر سهل يسير هين لا ثقل فيه على النفوس.

* قول الله عز وجل في سورة (التوبة/ ٩ مصحف/ ١١٣ نزول) :

{قل هل تربصون بنآ إلا إحدى الحسنيين ... } ؟ [الآية: ٥٢] .

أي: هل تنتظرون أن ينالنا إلا إحدى الحسنيين: الشهادة وهي سهلة علينا، أو النصر وهو حبيب إلينا.

***." (٢)

"لقد ولد شبلي النعماني وتربى في مدرسة دينية صغيرة، ثم أرسله أبوه إلى شيخ يعلمه اللغة العربية، ثم تعلم الفارسية، وعندما جاء للحج وهو في التاسعة عشرة من عمره راح يبحث في مكتبات مكة المكرمة

---

(١) البلاغة العربية الميداني، عبد الرحمن حبنكة ٣٨/١

(٢) البلاغة العربية الميداني، عبد الرحمن حبنكة ٢٨٥/١

والمدينة المنورة فوجد كتبا لم تكن موجودة في الهند عن الحديث النبوي، كما أنه راح يبحث عن الكتب التي تتحدث عن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ثم انكب على الكتابة عن رحلته إلى الحج.

وفي حديث المحاضر عن شبلي النعماني أوضح أن الرجل كان سلفيا وأنه بدأ يتصل بسيد أحمد خان وزامله لمدة ١٦عاما ثم اختلف معه وتركه لانحرافه العقدي ثم ذهب إلى تركيا والشام ومصر لدراسة نظام التعليم بتلك الدول وتطبيقه في الهند.

وفي مصر مكث فترة طويلة زار فيها الأزهر وقابل الشيخ محمد عبده. ورغم أنه كتب كتابة طيبة عن مصر فإن نظام التربية في الأزهر لم يكن يعجبه –كما لم يعجب محمد عبده أيضا– كما لم يعجبه أيضا نظام التعليم، حيث لا توجد سنوات دراسة متدرجة بالأزهر، إلا أن نظام كلية دار العلوم التي أسسها علي باشا مبارك قد أعجبه، وأعجبه أكثر أن الأساتذة في تلك الكلية لم ينقلوا من كتب وإنما كانوا ينقلون من صدورهم "فكأنما العلم مطبوع في صدورهم وقلوبهم" كما زار شبلي في مصر المسرح وقال: "إن الذهاب إلى المسرح يتعارض مع الوقار والاحترام".

ثم انتقل المحاضر إلى الحديث عن أدب شبلي النعماني فأوضح أنه كما يقول شعرا **مرتجلا** باللغة العربية وكان يتحدث فيه عن الأمة الإسلامية.. وهنا يتحدث المحاضر عن أن الشعر العربي في الهند يحتاج إلى دراسة وليس في الهند." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثالث

(التشبيه (٢))

تعريف وجه الشبه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ثم أما بعد:

التشبيه باعتبار وجه الشبه الذي يمثل الركن الثالث من أركان التشبيه الأربعة المتلفظ بها، وذلك بعد أن تحدثنا فيما سبق عن الركنين الأولين المشبه والمشبه به، والأحوال والصور التي يأتي عليها كل منهما، ووجه الشبه هو المعنى الذي يشترك فيه طرفا تشبيه تحقيقا أو تخييلا.

تحقيقا يعني: على جهة التحقيق، وتخييلا أي: على جهة التخييل، نضرب بعض الأمثلة لما جاء على جهة

---

(١) التحرير الأدبي حسين على محمد ص/٢٣٩

التحقيق، كأن شبه مثلا الشعر بالليل، ويشبه الرجل الشجاع بالأسد، ويشبه مثلا الخد بالورد، إلى غير ذلك، وإنما يقع الفرق من جهة الزيادة والنقصان، والقوة والضعف، فغالبا ما يكون وجه الشبه في المشبه به أبرز وأعرف، وأقوى منه في المشبه، وقد يتساويا في اتصافهما به، وقد يكون الوجه أقوى وأكمل في المشبه، و أبرز وأشهر في المشبه به، وهنا تروى قصة طريفة ملخصها أن أبا تمام راح يمدح أحمد بن المعتصم فقال في حقه:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنث في ذكاء إياس

فالمقام هنا يقتضي أن يكون اتصاف الأمير أحمد بوجه الشبه أقوى وأتم من اتصاف هؤلاء المذكورين به، ولذا لما أخذ على أبي تمام أن الأمير أكبر من أن يشبه في ذلك بهؤلاء أنشد **مرتجلا**:

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

فشبه حاله في هذا بحال الآية الكريمة التي قال الله فيها: {الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح} (النور: ٣٥)، فالله شبه الأقل بنوره من المشكاة والنبراس، والأصل أن يكون نور الله أقوى من كل هذا.." (١)

"يبدأ على ضعف واحتباس صوت، فما يزال يعلو ويسترسل، ويرتفع ويجلجل حتى لتراه في أشد ما يكون قوة وفتاء، فكأنما لم يصبه من الداء قليل، ولا أقل من القليل.

عاد من رحلة إلى الصعيد مكدود الجسم مجهود القوى، ورأى الأطباء أن يجافي الضجة، ويؤثر الصمت والراحة، فلما حان الاحتفال بذكرى عيد الجهاد القومي ألح في أن يحضر الاحتفال فتوقف الأطباء، ثم أدنوا على غضاضة على أن يكف عن القول مهما أوجز، وعهد إلى بعض زملائه أن يروي في الحفل جانبا من حديث الرحلة وعمل الحكومة، فقام أحد محامي أسيوط ليشرح ما طلب له، ولكنه استغضب بلاغة سعد واستنفر بيانه، وحرك فيه الخواطر فاندفع إلى المنبر بين شوق والحفل وإشفاقه، وارتجل خطابا ملهما ضاقت عنه ساعات ثلاث حتى كأنه استعاد شبابه واسترد صباه، ولم يكن به أثر من علة.

وكان سعد بليغ الارتجال تفد إليه الوفود، وتفجأه المواقف فيصول ما شاء **مرتجلا** وهو الفصيح البيان، والمنطق اللسان، الخصب الذهن، القوي المنطق، ولم يعرف عنه يوما ما أن غلبه موقف أو ارتج عليه في جمع، أو خانه بيانه، وخذله لسانه.

---

(١) البلاغة ١ - البيان والبديع - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٥٧

وكان يطرب إلى الخطابة خطيبا كان أو مستمعا، وأول ما كان يتطلع في زائريه أن يستمع إلى خطيب منهم ذي فصاحة وبيان حتى ليسأل الوفد الزائر عن خطيبه حين مقدمه، فإذا لم يلق في الوفد خطيبا هز منكبيه، ولم يظفروا بترحيبه.

ذكر الأستاذ "البشري" أنه كان بحضرته، وقد مثل أمامه وفد من الوفود، فمد بصره إليهم وقال: من خطيبكم؟ فلما لم يصب فيهم خطيبا كاد يعرض عنهم لولا حاجته إلا مناصرتهم، لذلك تقربت إليه الوفود بالخطباء، وشاع في نفوس النشء حب الخطابة تشبها بسعد، فكثرت الخطباء، وفي كثرتهم." (١)

"فعلان بكسر الفاء وضمها:

ويشارك (فعلان بالفتح ما كان مكسورا الفاء أو مضمومها تقول: سرحان وسراحين وسلطان وسلاطين قال في المفصل١: أعلم أن ما كان من الأسماء على وزن فعلان فإنه يكسر على فعالين ولا فرق في ذلك بين المفتوح الأول والمضمومة والمكسورة) .

وقال الرضي٢: (كل اسم على فعلان مثلث الفاء ساكن العين كان أو متحركة كورشان والسبعان والظربان بجمع على فعالين إلا أن يكون علما **مرتجلا** كسلمان، وعثمان وعفان، وحمدان وغطفان وذلك لأن التكسير في المرتجل مستغرب بخلافه في المنقول إذ له عهد بالتكسير ولا سيما إذا كان في المرتجل ما ينبغي أن يحافظ عليه من الألف والنون لشبهه بألف التأنيث) .

---

١ انظر شرح المفصل لابن يعيش ج ٥ ص ٦٤.

٢ انظر شرح المفصل لشافية ج ٢ ص ١٧٢.." (٢)

"صيغة فعلان واستعمالاتها في اللغة العربية

لفضيلة الدكتور مصطفى أحمد النماس

فعلان في باب التصغير

ـ ٢ ـ

ما ختم بالألف والنون الزائدتين مثلث الفاء سواء تحركت عينه أم سكنت يأخذ أحكاما عند التصغير، وهاأنذا أفصلها لك تبعا لنوعية كل صيغة كالتالي: ١

---

(١) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة محمد كامل الفقي ٦٨/٢

(٢) صيغة فعلان واستعمالاتها في اللغة العربية مصطفى أحمد النماس ١١٥/٣٩

١ ــ ما ختم بألف ونون زائدتين إذا كان علما **مرتجلا** لا تقلب ألفه ياء عند التصغير تقول في تصغير مروان، عثمان، عمران، وغطفان وسلمان، مريان وعثيمان، وعميران، وغطيفان، وسليمان فلوحظ أنك فتحت ما بعد ياء التصغير ولم تقلب الألف ياء وذلك لأن علماء الصرف شبهوا ما فيه ألف ونون زائدتان بما فيه ألف التأنيث الممدودة مثل حمراء يقول الرضي٢:

وليس كل ألف ونون زائدتين تشبهان بألف التأنيث الممدودة فيمتنع قلب ألفه في التصغير ياء فإذا أردت تمييز ما يقلب ألفه ياء مما لا يقلب فاعلم أنهما أي الألف والنون المزيدتان إذا كانتا في علم مرتجل نحو: عثمان، وعمران

---

١ العلم المرتجل: ما وضع من أول أمره ولم يستعمل قبل ذلك في غير العلمية ومثاله الأعلام التي اخترعها العرب لمسميات عندهم مثل سعاد علم امرأة، وادد علم رجل، وعمران، وغطفان ومروان.. الخ.

٢ انظر شرح الشافية ج١ ص١٩٦، ص١٩٧.." (١)

"والعزة والكرامة؟!.

فعمر بن الخطاب عند ما عارض قادته في الاستمرار في الفتوحات كان يتصرف كرجل دولة مسؤول، يعرف تماما ماذا يريد وماذا يقدر عليه، ولم يكن **مرتجلا** لسياسته ولا مترددا- حاشا لله- كما تظهره بعض الروايات المتهاوية، مثل رواية استشارته لعمرو بن العاص عن البحر والسؤال عن أحواله، ومثل تردده في فتح مصر من البداية، والقصة الضعيفة التي تقول: إنه أرسل لعمرو بن العاص رسالة، وقال له فيها: إذا وصلك كتابي هذا قبل أن تدخل أرض مصر فارجع ولا تدخلها وإن وصلك وقد دخلت فلا ترجع. وأن عمرو وصله الكتاب قبل أن يصل إلى حدود مصر، ولكنه لرغبته القوية في فتح مصر لم يفتح الكتاب إلا بعد أن تجاوز العريش ودخل في أرض مصر. وأشهد على ذلك لئلا يعاقبه الخليفة على مخالفة أوامره.

هذه الرواية وأمثالها تدخل في باب الحكايات؛ لأن فتح مصر ليس أمرا سهلا حتى يؤخذ بهذه البساطة، بل عملا كبيرا وك١ن ضرورة عسكرية لتأمين الفتوحات في الشام. وترك مصر في أيدي الروم وقد انسحب إليها بقايا الجيش البيزنطي المنهزم في فلسطين يكون خطرا على المسلمين. ولو لم يفتحوا مصر لكانوا قد ارتكبوا خطأ كبيرا؛ وهم أعقل وأحصف من أن يقعوا في مثل هذا الخطأ الجسيم.

ولذلك فتح مصر تم باتفاق تام بين الخليفة عمر بن الخطاب وقائده العبقري عمرو ابن العاص، بل إن ابن

---

(١) صيغة فعلان واستعمالاتها في اللغة العربية مصطفى أحمد النماس ١٤٠/٤٠

عبد الحكم يروي عن الليث بعد سعد أن عمر بن الخطاب هو الذي أمر عمرو بن العاص بالتوجه إلى مصر لفتحها، وكتب له: «أن اندب الناس إلى السير معك إلى مصر؛ فمن خف معك فسر به» «١» .

وهذه الرواية تتفق مع تفكير عمر بن الخطاب ورؤيته للفتوحات؛ وتتفق أيضا مع سير الأحداث ويقبلها العقل، أما الرواية التي أشرنا إليها منذ قليل؛ فيجب رفضها تماما. وإذا كان علماء الحديث لا يقبلون الحديث الذي يخالف متنه مقررات الشريعة الإسلامية ومقاصدها العليا؛ فنحن ب ا لقياس نرفض روايات التاريخ التي لا تتفق مع العقل والمنطق وسياق الحوادث والنظرة الكلية للأمور.

ملاحظة أخيرة نسجلها ونحن في ختام هذا البحث؛ هي أننا نلفت نظر كل من يتحدث أو يكتب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أن يأخذ في الاعتبار الظروف التي

---

(١) فتوح مصر (ص ٥٧) .." (١)

"إنجازاته خارج الجامعة

لم يتوقف عطاء الدكتور حسين المصري عند أسوار الجامعة بل شغل نفسه بالصحافة قبل الدكتوراة وبعدها بنشر المقالات والقصائد في كثير من الصحف والمجلات المصرية والعربية مثل "اللواء الجديد" و"منبر الشرق" و"قافلة الزيت" السعودية و"الأديب" اللبنانية و"الورود" السورية و٢٥ جريدة ومجلة أخرى، وكان شغله الشاغل هو الدراسات الفارسية والتركية وعقد المقارنات بينها، وأتاحت له الصحف نشر هذا الاتجاه على نطاق أوسع على القارئ العربي غير المتخصص. وكان ذلك بمثابة تمهيد لإيقاظ الوعي بوجود تراث إسلامى لم يكن للناس إلف به من قبل، فله في ذلك الريادة، إذ صحح المفاهيم السائدة لدى المثقفين. فالكثير منهم كان يهون من قيمة الأدب التركي وينكرونه في بعض الأحيان، فأوضح أن هذا وهم، وأن الأدب التركي القديم هو الأدب الإسلامي الحق؛ لأنه تأثر في أعماقه بالأدب الفارسي الذي تأثر من قبل بالأدب العربي والتراث الإسلامي في أصوله وفروعه، كما أن الأدب التركي الحديث يقف على قدم المساواة مع الأدب الأوربي في روائعه لأنه متأثر به مستمد منه، وهذا ما يقال عن أدب اللغة الأوردية وهي لغة شبه القارة الهندية عموما وباكستان خصوصا.

ورشح الدكتور حسين مجيب المصري للتدريس في جامعة بغداد وكرمه الأساتذة الأتراك بدعوته إلى إستانبول، وأصر المرحوم البروفيسور جتين رئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة إستانبول على تقبيل يده،

---

(١) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي عبد الشافى محمد عبد اللطيف ص/٢٢٣

ودرس أيضا في جامعة أنقرة وقونية، ودعي إلى باكستان ثلاث مرات الأولى عام ١٩٧٥، وبعد ذلك بعامين دعي للاشتراك في مؤتمر عقد عن الشاعر الباكستاني محمد إقبال في مدينة لاهور، وألقى بحثا عن إقبال والقرآن، ثم دعي في سنة ١٩٨٨ مع زوجته، وكرمه وزير الإعلام، كما أقام نجل إقبال -والذي كان يشغل منصب رئيس المحكمة العليا- وليمة في داره، أما الرئيس الباكستاني ضياء الحق فقلده وساما، وعانقه أمام عدسات التلفزيون حتى ترقرق الدمع في عينيه تأثرا بالموقف، لقد قلد الرئيس غيره في هذا الحفل أوسمة واكتفى بمصافحتهم واختص الدكتور حسين بالعناق.

كما دعي إلى مدينة قرطبة بأسبانيا للاشتراك في مؤتمر أقيم عن إقبال، وكان الأوحد الذي ألقى بحثه عن "إقبال والتصوف" بالإنجليزية مرتجلا دون قراءة من الورق.

يضاف إلى ما سبق من تكريمه في الخارج أن منحته جامعة مرمرة الدكتوراة الفخرية عام ١٩٩٦ ودعته لتقدمها إليه في الجامعة إلا أنه اعتذر عن عدم السفر لأنه فقد نعمة البصر، فسلمت إليه في السفارة التركية بمصر في حفل ألقى فيه قصيدة نظمها بالتركية مع ترجمتها بالعربية.

المصدر: موقع إسلام أون لاين: www.islam-online.net." (١)

"نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية

لفضيلة العلامة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي

العلامة الشنقيطي / صاحب أضواء البيان

أكرم كساب

في وسط قارة إفريقيا وفي قرية تسمى شنقيط كانت نشأته، وبين مكة والمدينة كانت شهرته، وبرع في العلوم كلها حتى فاق أقرانه، أراد مكة حاجا وزائرا، وأراده الله معلما ومفسرا، إن تحدث في التفسير خلته الطبري، وإن أنشأ في الشعر حسبته المتنبي،وإن جال في الحديث وعلومه ظننته ابن حجر العسقلاني، مفسرا، ومحدثا، وشاعرا، وأديبا، إنه صاحب " أضواء البيان " العالم الولي الزاهد الورع العلامة الشنقيطي، فمن يا

---

(١) المعجم الجامع في تراجم المعاصرين مجموعة من المؤلفين ص/٥٩

ترى هذا الرجل؟ وأين نشأ؟ وكيف تلقى علمه؟ وكيف كانت أخلاقه؟ وما هو أضواء البيان هذا؟

أولا التعريف بالمؤلف:

اسمه ونسبه:

هو محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، ولد رحمه الله بالقطر المسمى شنقيط من دولة موريتانيا، وكان مولده في عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٥م.

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ رحمه الله يتيما فقد توفي أبوه وهو صغير يقرأ في جزء " عم " فنشأ في بيت أخواله، وكان بيت علم، فحفظ القرآن على يد خاله، وعمره عشر سنوات، وتعلم رسم المصحف على يد ابن خاله، وقرأ عليه كذلك التجويد.

وأخذ الأدب وعلوم اللغة على يد زوجة خاله، فكانت مدرسته الأولى بيت خالته، فنعم البيت كان.

أما بقية الفنون فتعلم الفقه المالكي وهو السائد في بلاده، فدرس مختصر خليل على يد الشيخ محمد بن صالح إلى قسم العبادات، ثم درس عليه أيضا ألفية بن مالك، ثم أخذ بقية العلوم على مشايخ متعددين، وكلهم من الجنكيين، وهي القبيلة التي ينتمي إليها الشيخ، وكانت معروفة بالعلم حتى قيل:" العلم جنكي " وكانت الطريقة المعهودة في بلاده هي أن يبدأ الطالب بفن واحد من الفنون، ويبدا بكتابة المتن في اللوح الخشبي فيكتب قدر ما يستطيع حفظه، ثم يمحوه ثم يكتب قدرا أخر، غير أنه ـ رحمه الله ـ تميز في طلب العلم فألزمه بعض مشايخه بأن يقرن بين كل فنين، حرصا على سرعة تحصيله، وقد انشغل ـ رحمه الله بطلب العلم حتى تأخر في الزواج، ولما كلمه البعض في أمر الزواج رد عليهم قائلا:

فقلت لهم دعوني إن قلبي من الغي الصراع اليوم صاح

الشيخ والشعر:

كان الشيخ ـ رحمه الله ـ ذا قريحة وقادة، وكانت شاعريته رقراقة، ومعانيه عذبة فياضة، وأسلوبه سهل جزل، وبالرغم من هذا كله فقد كان رحمه الله يتباعد عن قول الشعر.

سأله تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ عن سبب تركه للشعر مع قدرته عليه وإجازته فيه فقال: تذكرت قول الشافعي فيما ينسب إليه:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

ومثل هذا قاله ابنه عبد الله، وقال أيضا: وجدت شعرا لأبي عند أحد الناس فأردت حفظه، فقال لي: استأذن أباك، فاستأذنته فزجرني بشدة، ونهاني عن تعلمه ونسبته إليه.

وحدث أن قدم يوما ـ رحمه الله ـ وهو في مقتبل شبابه، ولم يكن يعرفه فسأله من يكون فأجاب الشيخ ـ رحمه الله ـ **مرتجلا**:

هذا فتى من بني جاكاني قد نزلا به الصبا عن لسان العرب قد عدلا

رمت به همة علياء نحوكم إذ شام برق علوم نوره اشتعلا

فجاء يرجو ركاما من سحائبه تكسو لسان الفتى أزهاره حللا

إذا ضاق ذرعا بجهل النحو ثم أبا ألا يميز شكل العين من فعلا

قد أتى اليوم صبا مولعا كلفا بالحمد لله لا أبغي له بدلا

أعماله وجهوده في نشر العلم قبل قدوم المملكة:

كانت أعماله ـ رحمه الله ـ كعمل غيره من العلماء: الدرس والفتيا، واشتهر ـ رحمه الله ـ بالقضاء وبالفراسة فيه، وقد كان الناس يفدون إليه من أماكن بعيدة، وكان عضوا في لجنة الدماء التي تعرض عليها أحكام القصاص من القتلى والتي كانت تتكون من عضوين للتصديق على أحكام الحاكم الفرنسي.

أخلاقه:

أما عن أخلاق الشيخ ـ رحمه الله ـ فحدث ولا حرج، فهو آية في أخلاقه، كرمه، وعفته، وشجاعته، وزهده، وترفع نفسه، فهو صاحب ميزة فيها يقول تليمذه الشيخ عطية محمد سالم: فهذا ما يستحق أن يفرد بحديث وإني لا أستطيع إلا تصويره ولا يسعني في هذا الوقت تفصيله.

لم تكن الدنيا تساوي شيئا عنده، وكان غير مكترث بها، على طول فترة إقامته بالمملكة لم يطلب عطاء ولا راتبا ولا ترفيعا لمرتبه، ولا حصولا على مكافأة، ولكن ما جاء من غير سؤال أخذه، وما حصل عليه لم يكن ليستبقيه لنسفه؛ بل يوزعه على غيره كما يقول الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ: كان كثير التغاضي عن أمور تخصه هو، وتتعلق بنفسه فإن سئل عن ذلك تمثل قول الشاعر:

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

تواضعه:

أما عن تواضعه فقل إنه صاحبه، كان إذا سئل مسألة في أخريات حياته، تباعد عن الفتيا، فإذا اضطر قال: لا أتحمل في ذمتي شيئا العلماء يقولون كذا، وكذا.

يقول الشيخ عطية محمد سالم: سألته مرة عن ذلك ـ أي تحفظه في الفتيا ـ فقال: إن الإنسان في عافية ما لم يبتلى، والسؤال ابتلاء، لأنك تقول عن الله ولا تدري أتصيب حكم الله أم لا، فما لم يكن عليه نص قاطع ـ من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وجب التحفظ فيه ويتمثل بقول الشاعر:

إذا ما قتلت الشيء علما فقل به ولا تقل الشيء الذي أنت جاهله

فمن كان يهوى أن يرى متصدرا ويكره لا أدري أصيب مقاتله

ألا ليت شعري ألا يتأمل المتعجلون في الفتوى لمثل هذا، ألا يرحم ناشئة طلاب العلم أنفسهم والناس من الفتاوى السريعة، والأجوبة الجاهزة، والأحكام الجريئة.

بل وأعجب من هذا كله أنه كان يردد على مسامع تلامذته " صار أمثالنا علماء لما مات العلماء " وكأنه كان يعلم تلامذته الإقلال من الفتوى، والتثبت من العلم.

موقف رائع:

على الرغم من أن الشيخ كان جوهرة ثمينة،وقد ملئ علما من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه، أو كما يقول عنه الاستاذ محمد المجذوب ـ رحمه الله ـ: " ثقافة موسوعية، حتى ليخيل إليك وهو يحضر تقريراته منها أنها تخصصه الذي لا يكاد يعدوه، شأنه في ذلك شأن الأسلاف الكبار ".

جهود الشيخ الدعوية في المملكة:

خرج الشيخ في رحلته إلى الحج والتي ألف فيها كتابا خاصا احتوى على نكات فقهية ودروس علمية ومحاورات أدبية، وقد كانت نيته الحج ولم يكن في خلده أن يقيم بالمملكة، ولكنه أراد أمرا وأراد الله خيرا وفيرا، فمكث الشيخ في المملكة واستقر به المقام في المدينة المنورة ورغب ـ رحمه الله ـ في هذا الجوار الكريم، وقام بتفسير القرآن مرتين وتوفي ـ رحمه الله ـ ولم يكمل الثالثة.

وفي سنة ١٣١٧ هـ افتتح معهد علمي بالرياض وكلية للشريعة وأخرى للغة، واختير الشيخ للتدريس بالمعهد والكليتين فتولى تدريس التفسير والأصول إلى سنة ١٣٨١هـ.

ومكث الشيخ بالرياض عشر سنوات وكان يقضي الإجازة بالمدينة ليكمل التفسير، وكان ـ رحمه الله ـ يدرس في مسجد الشيخ محمد آل الشيخ في الأصول،كما كان يخص بعض الطلاب بدرس آخر في بيته، وقد

كان بيته أشبه بمدرسة يؤمها الصغير والكبير والقريب والبعيد.

ولما أنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كان الشيخ ـ رحمه الله ـ علما من أعلامها ووتدا من أوتادها، يرجع إليه طلابها كما يرجع إليه شيوخها، وفي سنة ١٣٨٦هـ افتتح معهد القضاء العالي بالرياض فكان الشيخ يذهب لإلقاء المحاضرات المطلوبة في التفسير والأصول.

ولما شكلت هيئة كبار العلماء، كان ـ رحمه الله ـ عضوا من أعضائها، وكان رئيسا لإحدى دوراتها.

كما كان ـ رحمه الله ـ عضوا في رابطة العالم الإسلامي.

مؤلفاته:

خاض الشيخ ـ رحمه الله ـ غمار التأليف منذ نعومة أظفاره، فألف وهو في بلاده:

١- نظما في أنساب العرب.. وكان ذلك قبل البلوغ.

٢- رجزا في فروع مذهب مالك.

٣- ألفية في المنطق.

٤- نظما في الفرائض.

وهذه المؤلفات الأربعة مازالت مخطوطة

وألف في بلاد الحجاز:

١- منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز.

٢- دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب.

٣- مذكرة الأصول على روضة الناظر.

٤- آداب البحث والمناظرة.

٥- أضواء البيان لتفسير القرآن بالقرآن.

كما أن هناك العديد من المحاضرات.

وفاته:

توفي ـ رحمه الله ـ ضحى يوم الخميس ١٧ من ذي الحجة ١٣٩٣هـ بمكة المكرمة مرجعه من الحج ودفن بمقبرة المعلاة بريع الحجون في مكة ـ رحمه الله ـ وجمعنا به في مستقر رحمته يوم القيامة.

كتاب: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:

يقع هذا الكتاب في سبعة أجزاء، وصل فيها الشيخ إلى قوله تعالى في سورة المجادلة: (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) (المجادلة/٢٢) ووافقه المنية، فأكمل التفسير من بعده تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ..

المقصود من تأليف الشيخ لهذا التفسير:

١ – بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله.

٢ – بيان الأحكام الفقهية.

ومن ثم فإن الكتاب يصنف على أنه تفسير القرآن بالمأثور، فهو تابع فيه لمدرسة التفسير بالأثر، ويدخل

كذلك في مدرسة التفسير الفقهية، ومن هنا فقد ذكره صاحب كتاب " اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر " مرتين، الأولى في المنهج أهل السنة والجماعة، والثانية في المدرسة الفقهية.

منهجه:

بين المؤلف ـ رحمه الله ـ غرضه من تأليف هذا التفسير بقوله: " واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران:

" أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا، وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن إلا بالقراءة سبعية سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها، أو آية أخرى غيرها، ولا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذة وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهادا للبيان بقراءة سبعية، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات.

والثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة ـ بالفتح ـ في هذا الكتاب، فإننا نبين ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة وأقوال العلماء في ذلك، ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل، من غير تعصب لمذهب معين ولا لقول قائل، معين لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلامه صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيرا.

وقد تضمن هذا الكتاب أمورا زائدة على ذلك، كتحقيق بعض المسائل، اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب والاستشهاد بشعر العرب وتحقيق ما يحتاج إليه فيه من المسائل الأصولية والكلام على أسانيد الأحاديث، كما سنراه إن شاء الله تعالى " (أضواء البيان في إيضاح القرآن ١/٣.٤) .

وقال أيضا في بيان منهجه، رحمه الله تعالى: " واعلم أن مما التزمنا في هذا الكتاب المبارك أنه إن كان للآية الكريمة مبين من القرآن غير واف بالمقصود من تمام البيان فإنا نتمم البيان من السنة من حيث أنها تفسر للمبين باسم الفاعل " (أضواء البيان١/٢٤) .

وقال أيضا: " وربما كان في الآية الكريمة أقوال كلها حق وكل واحد منها يشهد له قرآن فإنا نذكرها ونذكر

القرآن، الدال عليها من غير تعرض لترجيح بعضها؛ لأن كل واحد منها صحيح " (أضواء البيان١/٢٠) .

وقد التزم ـ رحمه الله ـ بهذا فالتزم تفسير القرآن بالقرآن معتمدا على القراءات السبع مبتعدا عن القراءات الشاذة ومستندا إلى السنة النبوية الطاهرة معتبرا لأقوال العلماء الثقات، لا يتعصب الرأي، ولا يحقر قولا، بل ينظر إلى ذات القول لا إلى قائله، يستوفي الأقوال ويرجح بالدليل والبرهان، إن كنت أصوليا وجدت في تفسيره دقائقه، وإن كنت من علماء الحديث وجدت فيه بدائعه، وإن كنت فقيها وجدت فيه وفاءه، وإن كنت من علماء العقيدة وجدت فيه صفاءها ونقاءها، بل عقيدة أهل السنة والجماعة التي لا تشوبها شائبة، وإن كنت من علماء كل هذا وجدت فيه رواءك وشفاءك.

طرق تفسيره:

أولا: تفسير القرآن بالقرآن:

وهذا النوع من التفسير هو الذي أبرزه المؤلف في تفسيره وأعتني به عناية كبيرة، بل أفرده بدارسة قيمة في مقدمة تفسيره، لا أحسبك تجدها بهذا الجمع والترتيب عند سواه، ولولا أنه ذكر من أنواع بيان القرآن بالقرآن أكثر من عشرين نوعا في أكثر من عشرين صفحة لسقتها لك بحذافيرها، فهي الكنز عليك به من معدنه وتعجب حين تقرأ له بعد أن عدد هذه الأنواع قوله: " واعلم ـ وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه ـ أن هذا الكتاب المبارك ـ يعني تفسيره ـ تضمن أنواعا كثيرة جدا من بيان القرآن بالقرآن، غير ما ذكرنا تركنا ذكر غير هذا منها خوف إطالة الترجمة، والمقصود بما ذكرنا من الأمثلة مطلق بيان كثرة الأنواع التي تضمنها واختلاف جهاتها ـ وفي البعض تنبيه لطيف على الكل ـ والغرض أن يكون الناظر في الترجمة على بصيرة ما يتضمنه الكتاب في الجملة قبل الوقوف على جميع ما فيه " (أضواء البيان١/٢٦) .

ولذا فلا تثريب علي أن ذكرت بعض الأمثلة لبعض الأنواع التي جاءت بعد تفسيره ـ رحمه الله ـ فهي أنواع كثيرة وأمثلة أكثر، فمن ذلك:

بيان الإجمال:

وقد ذكر ـ رحمه الله ـ في مقدمة تفسيره أن الإجمال يكون بسبب الاشتراك سواء كان الاشتراك في اسم أو فعل أو حرف.

ومن الاشتراك في اسم قوله تعالى: (وليطوفوا بالبيت العتيق) (الحج/٢٩) ، قال ـ رحمه الله ـ في ذلك: " في المراد بالعتيق هنا للعلماء ثلاثة أقوال:

الأول: أن المراد به القديم، لأنه أقدم مواضع التعبد.

الثاني: أن الله أعتقه من الجبابرة.

الثالث: أن المراد بالعتق فيه الكرم، والعرب تسمي القديم عتيقا وعاتقا ومنه قول حسان ـ رضي الله عنه ـ:

كالمسك تخلطه بماء سحابة أو عاتق كدم الذبيح مدام

لأن مراده بالعاتق الخمر القديم التي طال مكثها في دنها زمنا طويلا وتسمي الكرم عتقا ومنه قول كعب بن زهير:

قنواء في حرتيها للبصير بها عتق مبين وفي الخدين تسهيل

فقوله عتق مبين: أي كرم ظاهر ومنه قول المتنبي:

ويبين عتق الخيل في أصواتها

أي كرمها، والعتق من الجبابرة كالعتق من الرق، وهو معروف.

وإذا علمت ذلك فاعلم: أنه قد دلت آية من كتاب الله على أن العتيق في الآية بمعنى: القديم الأول، وهي قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا) (آل عمران/٩٦) مع أن المعنيين الآخرين كلاهما حق، ولكن القرآن دل على ما ذكرنا، وخير ما يفسر به القرآن القرآن " (أضواء البيان٥/٦٨٦-٦٨٧) .

وقد يكون الإجمال بسبب إبهام في اسم جنس جمعا كان أو مفردا أو اسم جمع أو صلة موصول أو معنى حرف.

ومثال الإجمال بسبب الإبهام في اسم جنس مجموع: قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) (البقرة/٣٧) قال ـ رحمه الله ـ في ذلك: " لم يبين هنا ما هذه الكلمات، ولكنه بينها في سورة الأعراف بقوله: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (الأعراف/٢٣) (أضواء البيان١/٦٣) .

ومثال الإجمال بسبب الإبهام في اسم جنس مفرد قوله تعالى: (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) (الأعراف/١٣٧) قال ـ رحمه الله ـ في تفسيرها: " لم يبين هنا هذه الكلمة الحسنى التي تمت عليهم ولكنه بينها في القصص بقوله: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (القصص/٥، ٦) (أضواء البيان٢/٢٩٧) .

ومن أمثلة هذا النوع أعني أن يكون الإجمال بسبب الإبهام في اسم جنس مفردا، قوله تعالى: (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) (الزمر/٧١) قال ـ رحمه الله ـ: " فقد بينها بقوله: (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) (السجدة/١٣) ونحوها من الآيات " (أضواء البيان١/٨) .

ثانيا: تفسير القرآن بالسنة:

أما تفسير القرآن بالسنة ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أورد ـ رحمه الله ـ عددا كثيرا منها وهذه بعضها:

فمن ذلك: تفسيره لقوله تعالى: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (الفاتحة/٧) ، قال: " قال جماهير من علماء التفسير " المغضوب عليهم " اليهود، " الضالين " النصارى، وقد جاء الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ " (أضواء البيان١/٣٧) .

وقال في تفسير قوله تعالى: (ثلاثة قروء) (البقرة/٢٢٨) ، وأما الذين قالوا الأطهار فاحتجوا بقوله تعالى: (فطلقوهن لعدتهن) (الطلاق/١) قالوا عدتهن المأمور بطلاقهن لها الطهر لا الحيض كما هو صريح الآية.

ويزيده إيضاحا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر المتفق عليه: [فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة كما أمره الله] (البخاري ٦٧/٦، مسلم١٠٩٣/٢) .

قالوا أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح في هذا الحديث المتفق عليه بأن الطهر هو العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء، مبينا أن ذلك هو معنى قوله تعالى: (فطلقوهن لعدتهن) وهو نص من كتاب الله وسنة نبيه في محل النزاع.

قال مقيده عفا الله عنه ـ الذي يظهر لي أن دليل هؤلاء هذا فصل في محل النزاع، لأن مدار الخلاف هل القروء الحيضات أو الأطهار؟ وهذه الآية، وهذا الحديث، دلا على أنها الأطهار.

ولا يوجد في كتاب الله، ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم شيء يقاوم هذا الدليل، لا من جهة الصحة، ولا من جهة الصراحة في النزاع، لأنه حديث متفق عليه مذكور في معرض بيان معنى آية من كتاب الله تعالى " (أضواء البيان١٣٠/١) .

ومنها ما هو بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن ومنها ما هو بيان للناسخ والمنسوخ، ومنها ما هو تأكيد لما جاء في القرآن، وغير ذلك.

ثالثا: تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

والمؤلف ـ رحمه الله ـ كثيرا ما يستشهد بالتفسير الصحيح لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما يذكر لتفاسيرهم شواهد من آيات القرآن الكريم أو من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ففي تفسير قوله تعالى: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (النحل/١١٢) .

قال ـ رحمه الله ـ وقوله: (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) وقع نظيره قطعا لأهل مكة لما لجوا في الكفر والعناد ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف " (البخاري كتاب التفسير ٣٩/٦، مسلم كتاب صفات النافقين ٢١٥٧/٤) .

فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء حتى أكلوا الجيف والعلهز " وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه " وأصابهم الخوف الشديد بعد الأمن، وذلك الخوف من جيوش رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته وبعوثه وسراياه، وهذا الجوع والخوف أشار لهما القرآن على بعض التفسيرات فقد فسر ابن مسعود آية " الدخان " بما يدل على ذلك ".

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ بعض الروايات عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وعقب عليها قائلا: " وفي تفسير ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لهذه الآية الكريمة ـ ما يدل دلالة واضحة على أن ما أذيقت هذه القرية المذكورة في " سورة النحل " من لباس الجوع أذيقه أهل مكة حتى أكلوا العظام وصار الرجل منهم يتخيل له مثل الدخان من شدة الجوع، وهذا التفسير من ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ له حكم الرفع لما تقرر في علم الحديث: من أن تفسير الصحابي المتعلق بسبب النزول له حكم الرفع، كما أشار له صاحب طلعة الأنوار بقوله:

تفسير صاحب له تعلق بالسبب الرفع له تحقق

وكما هو معروف عند أهل العلم " (أضواء البيان ٣٤٠/١.٣٤٢) .

المراجع:

١ - ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: " عبد الرحمن السديس " ط دار الهجرة

٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي / ط دار الكتب العلمية.

٣ – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: " د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ".

http://www.islamweb.net/quran/shahksyyat/20/25.htm

بواسطة العضو عبد الله الخميس." (١)

"لنا طحونة في البلد ... لكن تقيله ع الحمار

علقت فيها الطور عصى ... علقت فيها المهردار

فكانت أضحوكة سارت على الألسنة، وطرب لها الخديو وأفراد حاشيته، ونال الشيخ الليثي لدى إسماعيل حظوة ومنزلة، وعرف رجال الدولة مكانته، فكان مقصد طلاب الحاجات، ولايرد له رجاء عند أولي الأمر، ولما مات إسماعيل أبقى عليه توفيق، وقربه وأكرمه، وبقي مخلصا له في أحلك أوقات الثورة، حين تنكر له كثيرون ممن أكرمهم توفيق، فأسبغ عليه من نعمه، وكافأه على إخلاصه له.

وللشيخ علي الليثي ديوان لم يطبع، بل يقال: إنه لعن من يطبعه، ولسنا ندري سببا واضحا لعزوف الشيخ عن تخليد أثره الأدبي، إلا أنه نال ثراء واسعا في أخريات حياته، وصار من سراة مصر، وليس من اللائق بسري وجيه مثله أن يكون له ديوان شعر يروى، وبه ما به من عبث ومجون وتزلف لكثيرين ممن يتسامى في حالته الأخيرة لمنزلتهم، ومن المستبعد أن يكون الشيخ قد أدرك أن شعره لا يستحق الخلود، وأنه ركيك ضعيف، فكل إنسان مهما كان شأنه يعجب بما يقوله، ولا يفطن ما به من عيوب، ثم إن الذوق الأدبي والنقد لم يكونا قد وصلا إلى منزلة تمكن الشيخ من الاطلاع على مساوئ شعره، بل على العكس، كان الشيخ محسود المكانة الأدبية، ويتهافت أدباء عصره على مكاتبته ومطارحته الشعر١، وقد طال عمر الشيخ، وتوفي سنة ١٣١٣هـ-١٨٩٦م.

وإذا نظرنا إلى ما روي لنا من شعره، لم نجده يتميز عن زميله السيد علي أبي النصر في شيء، ونجده يقول في المناسبات المختلفة شأن الندماء، وقلما يطلق نفسه على سجيتها، وينظم الشعر؛ لأنه يشعر بدافع نفساني يلهمه القول، ومن شعره على البديهة قوله، وقد كان أحد رجال الحاشية يفرغ تفاحة بمدية ليشرب فيها، فانكسرت المدية، فنظر إلى الشيخ نظرة من يسأله وصف هذه الحال، وخليق بنديم الخديو إسماعيل أن يسجل مثل هذه الحادثة، فقال الشيخ **مرتجلا:**

---

(١) المعجم الجامع في تراجم المعاصرين مجموعة من المؤلفين ص/٢٨٠

١ الآداب العربية في القرن التاسع عشر، للأب لويس شيخو.." (١)

"وهكذا بالنسبة لأخبار الفن والرياضة والدين والأدب وغيرها، وعلى نحو ما تفعله مجلة تايم ومجلة نيوزويك الأمريكيتين. وبذلك تشبه الصفحة كتابا مبوبا منسقا. ويذكر نيل سوانسون١ سبع مزايا لهذا الأسلوب في الإخراج وهي:

١- أنه أكثر مرونة من الأسلوب التقليدي لأنه يسهل عملية التصحيف بالنسبة للأخبار التي ترد متأخرة.

٢- ينظم العمل في أقسام المراجعة وسكرتارية التحرير.

٣- اقتصادي في شغل الحيز المعقول دون إسراف.

٤- اقتصادي أيضا في عملية الجمع، وكذلك في الوقت والجهد المبذولين في عملية التصحيف؛ إذ إنه لا حاجة إلى جمع البقايا، ما دامت الأخبار تخرج إخراجا نوعيا.

٥- تكون الموضوعات المترابطة تحت عنوان واحد.

٦- ييسر القرءان لأن الموضوعات تدور حول محاور متجانسة بدون بقايا.

٧- طريقة ناجحة للتعبير عن وجهتي النظر في مكان واحد، بدلا من وضع وجهة نظر في صفحة ووجهة نظر أخرى في صفحة ثانية، فقد يقرأ القارئ. واحدة منهما دون الأخرى.

أما الأسلوب الانطلاقي العشوائي فهو أسلوب ارتجالي لا يقوم على أسس تجريبية مقصودة، وإنما يهدف إلى الإثارة، بنشر العناوين الضخمة والمبالغة في التلوين والإبراز. ولا يدري المخرج الصحفي أن إعطاء الأخبار عناوين كبيرة متساوية الضخامة يؤدي إلى قتل بعضها البعض، والتشويش على القارئ، فإذا تصادمت العناوين الكبيرة والأنماط السوداء والصور الضخمة تشتت انتباه القارئ وكل بصره وشعر بالدوار من هذه الفوضى. فلا غرابة إذن أن يشبه علماء الصحافة هذا النوع من الإخراج بالسيرك! فيجب على المخرج الصحفي إدراك أن حروف الطباعة ما اخترعت إلا لتقرأ، وأن التكديس والازدحام والعناوين الثقيلة والجداول المعقدة المتراكمة والصور الداكنة القلقة، إذا ما حشدت حشدا **مرتجلا** لا تؤدي إلا إلى الملل والفوضى. ومن هنا كان على المخرج الصحفي أن يسأل نفسه عن الغرض من اتباع أسلوب معين في الإخراج وتفضيله على غيره، ومدى ملاءمته لمضمون التحرير. أما مجرد حشو الصحفحات بالعناوين والألوان والصور الضخمة دون هدف سوى الإثارة فلا ينجم عنه إلا الفشل.

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ١٢٩/١

١ neil h. swanson.." (١)

"من نعمته. وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا". وقال ابن جني١:

"ليس جميع الشعر القديم مرتجلا، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه، والملاطفة له، والتلوم على رياضته، وإحكام صنعته نحو مما يعرض لكثير من المولدين، ألا ترى إلى ما يروى عن زهير، من أنه عمل سبع قصائد في سبع سنين، فكانت تسمى حوليات زهير؛ لأنه كان يحوك القصيدة في سنة؟..".

وهذا شاعر جاهلي هو امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن حارث الكندي، ويقال له الذائد، يصف "عملية الانتخاب الفني" للألفاظ فيقول٢:

أذود القوافي عني ذيادا ... ذياد غلام غوي جرادا

فلما كثرن وأعيينني ... تنقيت منهن عشرا جيادا

فأعزل مرجانها جانبا ... وآخذ من درها المستجادا

ويقول كعب بن زهير٣:

فمن للقوافي -شأنها من يحوكها- ... إذا ما ثوى كعب وفوز جرول

يقول فلا يعيا بشيء يقوله ... ومن قائليها من يسيء ويعمل

نقومها حتى تقوم متونها ... فيقصر عنها كل ما يتمثل

كفيتك، لا نلقى من الناس واحدا ... تنخل منها مثل ما نتنخل

---

١ الخصائص ١: ٣٣٠.

٢ الآمدي: المؤتلف والمختلف: ١٠

٣ ديوانه: ٥٩-٦٠.." (٢)

"مجهولا وانطوى اسمه شأن أي إنسان ولد في الجاهلية ومات دون أن يخلف أثرا، وكثير من نقاد الأدب لم يعترف بقصيدته هذه إحدى المعلقات منهم أبو عمرو الشيباني والخطابي صاحب جمهرة أشعار

---

(١) دراسات في الفن الصحفي إبراهيم إمام ص/٢٦٣

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ناصر الدين الأسد ص/١١٩

العرب إذ لم يضعها في المعلقات وكذلك حذفها الزوزني من معلقاته ولم يوردها.رأي النقاد فيه: ١- قال أبو عمرو الشيباني لو قال الحارث هذه القصيدة في سنة لم يلم، ولكنه لم يعتبرها من المعلقات فلم يشرحها.٢- قال ابن سلام في كتابه طبقات الشعر: أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة ثلاثة مفر: عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد.٣- قال صاحب كتاب شعراء النصرانية، إنه من شعراء الطبقة الأولى.ولعله اعتبره من أوائل الشعراء زمانيا.٤- قالوا إنه ارتجل هذه القصيدة **ارتجالا** وشك في ذلك طه حسين وأنا معه في أنه لم يرتجلها أمام عمرو بن هند، وإنما بيتا ألفا قبل ذلك ثم ألقاها.٥- في القصيدة إقواء فالقافية كلها مرفوعة ما عدا:فملكنا بذاك الناس حتى ... ملك المنذرين ماء السماءوالأقواء معروف عند الشعراء الجاهليين وممن سقطوا فيه النابغة الذبياني.٦- لو أردنا الموازنة بين قصيدة الحارث وقصيدة عمرو بن كلثوم لرأينا أن قصيدة الحارث فيها الحكمة والاتزان والعقل أما قصيدة عمرو فهي قصيدة العاطفة والارتجال.هذه أهم الآراء التي يمكن أن نقولها عن الحارث.." (١)

"شنشنة أعرفها من أخزمالشعر لأبي أخزم الطائي، وهو جد أبي حاتم طيء أو جد جده، وكان له ابن يقال له أخزم فمات وترك بنين فتوثبوا يوما على جدهم أبي أخزم فأدموه، فقال:إن بني رملوني بالدم ... شنشنة أعرفها من أخزمأي أنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخلقه. وأحسبه كان به عاقا. هكذا ذكر ابن الكلبي. والشنشنة مثل الطبيعة والسجية.فأراد عمر رحمه الله أني أعرف فيك مشابه من أبيك، في رأيه وعقله.ويقال إنه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس.[داود بن علي]ومن خطباء بني هاشم أيضا: داود بن علي، ويكنى أبا سليمان، وكان أنطق الناس وأجودهم **ارتجالا** واقتضابا للقول، ويقال إنه لم يتقدم في تحبير خطبة قط. وله كلام كثير معروف محفوظ، فمن ذلك خطبته على أهل مكة:«شكرا شكرا. أما والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهرا، ولا لنبني فيكم قصرا. أظن عدو الله أن لن نظفر به أن أرخي له في زمامه، حتى عثر في فضل خطامه. فالآن عاد الأمر في نصابه، وطلعت الشمس من مطلعها، والآن أخذ القوس باريها، وعادت النبل إلى النزعة، ورجع الحق إلى مستقره، في أهل بيت نبيكم: أهل بيت الرأفة والرحمة» .[عبد الله بن الحسن بن الحسن]ومن خطباء بني هاشم: عبد الله بن الحسن بن الحسن، وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد:." (٢)

---

(١) شرح المعلقات التسع؟ أبو عمرو الشيباني ص/٣٥٣

(٢) البيان والتبيين؟ الجاحظ ٢٦٩/١

"ولا خير في عقوبة تشمت العدو المتقادم، وينادي بها العدو الحادث. والأناة أبلغ في الحزم، وأبعد من الذم، وأحمد مغبة وأبعد من خرق العجلة. وقد قال الأول: " عليك بالأناة؛ فإنك على إيقاع ما أنت موقعه أقدر منك على رد ما قد أوقعته ". فقد أخطأ من قال:وقد يدرك المتاني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزللبل لو قال: والمتأني بدرك حاجاته أحق، والمستعجل بفوت حاجاته أخلق، لكان قد وفى المعنى حقه، وإن كان القول الأول موزونا والثاني منثورا. ولولا أنه اشتق المستعجل من العجلة لما قرنه بالمتأني. وينبغي أن يكون الذي غلطه قولهم: " رب عجلة تهب ريثا ". فجعل الكلام الذي خرج جوابا عند ما يعرض من السبب، كالكلام الذي خرج **ارتجالا**، وجعله صاحبه مثلا عاما. فإذا سميت العمل عجلة وريثا فاقض على الريث بكثرة الفوت، وبقدر ذلك من العجز، وعلى العجلة بقلة النجح، وبقدر ذلك من الخرق.والريث والأناة في بلوغ الأمل وإدراك النعمة كانتهاز الفرصة واهتبال." (١)

"١- (أبو هفان قال) : دخل أبو نواس على يحيى بن خالد فقال له يحيى أنشدني بعض ما قلت، فأنشده:إني أنا الرجل الحكيم بطبعه ... ويزيد في عامي حكاية من حكىأتتبع الظرفاء أكتب عنهمو ... كيما أحدث من أحب فيضحكافقال يحيى إن زندك ليرى بأول قدحة فقال أبو نواس في معنى قول يحيى **ارتجالا**:أما وزند أبي علي إنه ... زند إذا استوريت سهل قدحكاإن الإله لعلمه بعباده ... قد صاغ جدك للسماح ومزحكاتأبى الصنائع همتي وقريحتي ... من أهلها وتعاف إلا مدحكا٢- أبو هفان: وأخبرني أبو يوسف ابن الداية قال: كان أبان اللاحقي يحسد أبا نواس وكان انقطاعه إلى جعفر بن يحيى، فعرض جعفر على أبي نواس كلبة له وقال له: انعتها باسمها أولا، فقال: قد سميتها أم أبان. فغضب جعفر وقال: تعبث بنديمي وشاعري!! فهجاه أبو نواس بقوله:أرى جعفرا يزداد لؤما ودقة ... إذا زاده الرحمن في سعة الرزقوأعظم زهوا من ذباب كناسة ... وأبخل من كلب عقور على عرقفلما قدم الفضل من خراسان سأله جعفر أن يجعل أبانا على عطاء الشعراء وتميز ما يهنأ به من الشعر ففعل، وأعطاهم على مراتبهم وطبقاتهم، فلما جاء أبو نواس لقبض جائزته أعطاه درهمين، فرفع أبو نواس يده فصفع أبانا وقال: سارق غلة أمه، قد بلغني أن أمك كسبت عشرة دراهم فخنتها، فضحك الفضل وقال لجعفر: مر أبانا ليصالحه.٣- أبو هفان قال: حدثني عبدوس الوراق أن أبا نواس احتاج حاجة شديدة، وتاقت نفسه إلى الخمر فلم تمتد يده إلى ما يشتريه، فذكر أخا له شاعرا في بعض القرى التي تقرب من بغداد، فخرج قاصدا له، فلما ورد عليه وجده أسوأ حالا منه، وأظهر له عيلة، ووجد عنده شرابا وليس عنده ما ينتقل به عليه، فاعتذر إلى ابي نواس وكشف

---

(١) الرسائل للجاحظ؟ الجاحظ ٢٤٢/١

له حاله، فقال له أبو نواس: إنها تشرب على الريق وأنشأ:اشرب على الخيري والريق ... إنا على بعد من السوقلا تطلبن الخبز في دارنا ... فإنما ںنفخ في البوقثم قال له أبو نواس: أما هاهنا من يمدح؟ قال: بلى، رجل من مضر إذا مدحته مدحني وإذا هجوته هجاني مثلا بمثل. فنظر في شعر المضري فإذا هو شعر متظرف متكلف فتناول القرطاس وكتب له:قل لأبي مالك فتى مضر ... مقال لا مفحم ولا حصرجئناك في ميت نكفنه ... ليس من الجن لا ولا البشربل هو ميت سلاحه خزف ... والجسم فان والروح من عكرليس لنا ما به نكفنه ... فكفن الميت يا أخا مضريا لك ميتا صلاة شيعته ... عليه عزف والنقر بالوترفلما قرأ المضري الشعر أقبل بحشمه وغلمانه نحوهم، فأقام عندهم يومه ينادمهم بعد أن حمل إليهم ما يقيمهم، وأمر لكل منهما بخمسة آلاف درهم.٤- أبو هفان قال: حدثني سليمان بن نيبخت قال: مر أبو نواس في غداة يوم من أيام الربيع وقد طشت السماء ساعة، فلما طلع علي من الباب أنشأ:ما مثل هذا اليوم في طيبه ... عطل من لهو ولا ضيعافما ترى فيه رماذا الذي ... تريد هذا اليوم أن تصنعاهل لك أن نغدو على قهوة ... تسرع في المرء إذا أسرعاما وجد الناس ولا جربوا ... للهم شيئا مثلها مدفعاقال: فقلت له: ما كان يساعدني على هذا اليوم غيرك. أقم فإن عندي ما يقيمك أياما عندي، فلما كان وقت العشاء وقد أخذته الخمرة فلم تدع فيه حركة إلا أزالتها عن جهتها أنشأ يقول:باح لساني بمضمر السر ... وذاك أني أقول بالدهروليس بعد الممات فادحة ... وإنما الموت بيضة العقر.قم قال لي: اكتم علي فالمجالس بالأمانة.٥- أبو هفان قال: وخبرت أن أبا نواس مر على جارية بباب قصر واقفة مع صاحبة لها فتأوه أبو نواس. فقالت الجارية لصاحبتها: أظن الفتى ذا شجن. فأنشأ أبو نواس يقول:منحت طرفي الأرض خوفا لأن ... أجعل طرفي عرضة للمحنإذ كنت لا أنظر من حيث ما ... أنظر إلا نحو وجه حسنيزرع في قلبي الهوى ثم لا ... يحصل في كفي غير الحزنأفدي التي قال لأخت لها: ... إني أرى هذا الفتى ذا شجنقلت: نعم ذو شجن عاشق ... قالت: لمن؟ قلت: لمن قال منقال عساه لك إنا كما ... أنت له، قلت: اتفقنا إذن." (١)

"٨- الحارث بن حلزة اليشكرى [١]٣١٩* هو من بنى يشكر، من بكر بن وائل. وكان أبرص، وهو القائل:آذنتنا ببينها أسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء [٢]ويقال إنه ارتجلها بين يدى عمرو بن هند **ارتجالا**، فى شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح، وكان ينشده من وراء السجف، للبرص الذى كان به، فأمر برفع السجف بينه وبينه [٣] ، استحسانا لها، وكان الحارث متوكئا على عنزة، فارتزت فى جسده وهو لا يشعر [٤] .٣٢٠* وكان له ابن يقال له: مذعور، ولمذعور ابن يقال له: شهاب بن مذعور، وكان ناسبا، وفيه

---

(١) أخبار أبي نواس؟ أبو هفان ص/١

يقول مسكين الدارمى:هلم إلى ابن مذعور شهاب ... ينبئ بالسفال وبالمعالى٣٢١* قال الأصمعى: قد أقوى الحارث بن حلزة فى قصيدته التى ارتجلها، قال:فملكنا بذلك الناس إذ ما ... ملك المنذر بن ماء السماء [٥]ـــــــــــــــــ[١] ترجمنا له فى المفضلية ٢٥. وانظر ترجمته فى الأغانى ٩: ١٧١- ١٧٤ والخزانة ١: ١٥٨ ومعاهد التنصيص ١٣٨- ١٣٩.[٢] هو صدر معلقته.[٣] س ب «وكان ينشده من وراء سبعة ستور، فأمر برفع الستور عنه» وهو يوافق نص الخزانة.[٤] العنزة، بفتح النون: عصا فى قدر نصف الرمح، فيها سنان أو زج كزج الرمح، يتوكأ عليها. وضبطت فى ل بسكون النون، وهو خطأ. ارتزت: ثبتت فى جسده مثل رز السكين فى الحائط. وفى الخزان: «وزعم الأصمعى أن الحارث قال قصيدته هذه وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة» . وكذلك فى شرح القصائد العشر ٢٤٠.[٥] فى الشرح ٢٥٤ والخزانة ٢: ٢٢٨ «حتى» بدل «إذ ما» .." (١)

"فجالت عبرة أشفقت منها ... تسيل كأن وابلها فريدفقالوا قد جزعت فقلت كلا ... وهل يبكى من الطرب الجليدولكنى أصاب سواد عينى ... عويد قذى له طرف حديدفقالوا ما لدمعهما سواء ... أكلتا مقلتيك أصاب عودلقبل دموع عينيك خبرتنا ... بما جمجمت زفرتك الصعودفقم وانظر يزدك مطال شوق ... هنالك منظر منهم بعيدمطلب حديث الجاحظ وهو مفلوج وقصيدة عوف بن محلم الخزاعي التي منها: إن الثمانين البيتوحدثنا أبو معاذ عبدان الخولى المتطبب، قال: دخلنا يوما بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل فيه فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل، ولعاب سائل؟ ثم أقبل علينا فقال: ما تقولون في رجل له شقان: أحدهما لو غرز بالمسال ما أحس، والشق الآخر يمر به الذباب فيغوث، وأكثر ما أشكوه الثمانون؟ ثم أنشدنا أبياتا من قصيدة عوف بن محلم الخزاعى.قال أبو معاذ: وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل على عبد الله بن طاهر، فسلم عليه عبد الله فلم يسمع، فأعلم بذلك، فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة **ارتجالا**، فأنشده:يا بن الذي دان له المشرقان ... طرا وقد دان له المغربانإن الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمانوبدلتني بالشطاط الانحنا ... وكنت كالصعدة تحت السنانوبدلتنى من زماع الفتى ... وهمتى هم الجبان الهدانوقاربت منى خطا لم تكن ... مقاربات وثنت من عنانوأنشأت بينى وبين الورى ... عنانة من غير نسج العنان." (٢)

(١) الشعر والشعراء؟ الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/١٩٣

(٢) أمالي القالي؟ أبو علي القالي ١/٥٠

"لهذا، على التشبيه، قوة زهرة ... وفي ذا، على التمثيل، طرف عطاردمن الأنجم اللائي جرت في بروجها ... ولم تدر ما معنى بروج الفراقدالعلوي البصري:ونظرة عين تعللتها ... خلاسا كما نظر الأحولتقسمتها بين وجه الحبيب وطرف الرقيب متى يغفلآخر:سأجتنب الدار الني أنتم بها ... ولكن طرفي نحوها سوف يعملأرى مستقيم الطرف ما الطرف أمكم ... فإن زال طرفي عنكم فهو أحولآخر:ومنقلب طرفه فاتر ... يقلب باللحظ منا القلوبافعين توهمني موعدا ... وعين تشاغل عني الرقيبايصانع خصمين في لحظه ... فلن أستريب ولن يستريباوابن الرومي قد أبدع في نظر الحبيب، وتأثيره في القلوب ما لم يذكره أحد.وكرره في مواضع من شعره فقال:نظرت فأقصدت الفؤاد بطرفها ... ثم انثنت عني فكدت أهيمويلاي إن نظرت وإن هي أعرضت ... وقع السهام ونزعهن أليمقال وزاد فيه معنى آخر:لطرفها، وهو مصروف، كموقعه ... في القلب حين يروع القلب موقعهتصد بالطرف، لا كالسهم تصرفه ... عني، ولكنه كالسهم تنزعهوقال أيضا:تشكى إذا ما أقصدتك سهامها ... وتشجى إذا نكبن عنك وتكمدإذا نكبت عنا وجدنا عدولها ... كموقعها في القلب، بل ذاك أجهدكذلك تلك النبل من وقعت به ... ومن صرفت عنه من القوم مقصدوقد التزم ابن الرومي في هذه القصيدة فتحة ما قبل حرف الروي تبرعا، إلا في بيت واحد وهو:ومرجوع وهاج المصابيح رمددوأخبرني أبو عبيد الله المرزباني أن أبا عثمان الناجم أخبره أن ابن الرومي دفع إليه هذه القصيدة وقال: اذهب بها إلى ثعلبكم وأنشده إياها، فما رد من لغتها فلا تلتفت إليه، وما رد من إعرابها فعلم عليه لأرجع فيه. وأنشده رمدد بفتح الدال التي ردفت حرف الروي؛ فلم يرده عليه.وعند علماء اللغة هو رمدد بكسر الدال الأولى. ولم يأت في العربية ما تكرر فيه حرفان على فعلل إلا رمدد ودردح للناقة المسنة، وقرقس للبعوض. وقال البن السكيت: لم يرد في اللغة فعلل بكسر الفاء وفتح اللام إلا حرفان: درهم وهجرع للطويل. وقد جاء ثالث وهو هبلع للأكول.قال الشاعر:فشحا جحافله جراف هبلعوأبو الحسن الأخفش يقول فيه شيئا ليس هذا موضعه، وفي هركولة.وابن الرومي لاقتداره وغزارته يلتزم في القوافي مالا يلزمه. وهو بالفكر والروية سهل. والصعب ما تعمله العرب بديهة وارتجالا؛ كما أنشده سيبويه.لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزرالنازلين بكل معترك ... والطيبين معاقد الأزروهذا المعنى في النظر قد غلب عليه ابن الرومي، كما غلب الطرماح على قوله:والشمس معرضة تمور كأنها ... ترس يقلبه كمي رامحوألم به أبو النجم:فهي على الأفق كعين الأحول ... صغواء قد كادت ولما تفعلوكما غلب بشار على قوله:وقالوا: قد بكيت فقلت كلا ... وهل يبكي من الطرب الجليدولكن قد أصاب سواد عيني ... عويد قذى له طرف حديدفقالوا: ما لدمعهما سواء ... أكلتا مقلتيك أصاب عودوألم به أبو العتاهية فقال:كم

من صديق لي أسا ... رقه البكاء من الحياءفإذا تأمل لامني ... فأقول: ما بي من بكاءلكن ذهبت لأرتدي ... فطرفت عيني بالرداءوكما غلب العتبي على قوله:رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عني بالخدود النواضروكن إذا أبصرنني أو سمعن بي ... سعين فرقعن الكوى بالمحاجروكما غلب أبو نواس على قوله:." (١)

"١٣٣ رسالة إلى رجل تزوجت أمهحدثني أبو الفرج الببغاء «١» ، قال:جرى بحضرة الأمير سيف الدولة»، ذكر رجل تزوجت أمه من أصحابه، وحديث الترسل والكتابة، فقال لي: اكتب الساعة على البريد، رقعة عن نفسك إلى هذا الرجل، تعزيه بتزويج أمه.فكتبت رقعة بين يديه ارتجالا وحفظتها:من سلك سبيل الانبساط، لم يستوعر مسلكا في المخاطبة فيما يحسن الانقباض في ذكر مثله، واتصل بي ما كان من أمر الواجبة الحق عليك، المنسوبة بعد نسبتك إليها، إليك، ومن الله صيانتها في اختيارها ما لولا أن الأنفس تتناكره، وشرع المروءة يحظره، لكنت في مثله بالرضا أولى، وبالاعتداد بما جدده الله من صيانتها أحرى.فلا يسخطنك من ذلك، ما رضيه موجب الشرع، وحسنه أدب الديانة «٣» فمباح الله أحق أن يتبع.وإياك أن تكون ممن إذا عدم اختياره سخط اختيار القدر له، والسلام.." (٢)

"وتمام الشعر، لابن المعتز، مشهور، وكان النميري، نديمه، صلى بحضرته، صلاة سخيفة «١» ، ثم سجد بعدها، سجدة طويلة.فقال ابن المعتز، ارتجالا، البيت الأول، وتمامه: [١٠٩]وتسجد من بعدها سجدة ... كما ختم المزود الفارغ «٢»٩٢ من بز يوما بز بهحدثني محمد بن عدي بن زحر البصري، جارنا بها، قال:رأيت أبا إسحاق ياسين، [وهو] رجل كان ينزل بالقرب من الجامع بالبصرة، وقد حدث في آخر عمره، يناظر رجلا في الجامع، وهو يقول له: قال النبي صلى الله عليه وسلم:من بز يوما بز به ... والدهر لا يغتر به»." (٣)

"٧٠ نصر الخبزأرزي، وحريق المربدوروي «١» : أن نصر بن أحمد الخبزأرزي «٢» ، دخل على أبي الحسين بن المثنى «٣» ، في أثر حريق المربد «٤» .فقال له أبو الحسين: يا أبا القاسم، ما قلت في حريق المربد؟[قال: ما قلت شيئا.فقال له: هل يحسن بك، وأنت شاعر البصرة، والمربد من أجل شوارعها، وسوقه من أجل أسواقها، ولا تقول فيه شيئا؟] «٥» .فقال: ما قلت، ولكني أنشدك ارتجالا:أتتكم شهود

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب؟ السري الرفاء ص/١٤

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة؟ التنوخي، المحسن بن علي ٢/٢٦٤

(٣) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة؟ التنوخي، المحسن بن علي ٣/١٣٥

الهوى تشهد ... فما تستطيعون أن تجحدوا[فيا مربديون ناشدتكم ... على أنني منكم مجهد] «٦»."
(١)

"١٤٦ ألا موت يباع فأشتريهومن لطائف المنقول:أن أبا محمد الوزير المهلبي، «١» كان في غاية من الأدب، والمحبة لأهله، وكان قبل اتصاله بمعز الدولة بن بويه، في شدة عظيمة من الضرورة والمضايقة، وسافر وهو على تلك الحالة، ولقي في سفره شدة عظيمة، فاشتهى اللحم، فلم يقدر عليه، فقال **ارتجالا**:ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيهألا موت لذيذ الطعم يأتي ... يخلصني من العيش الكريهإذا أبصرت قبرا من بعيد ... وددت لو انني فيما يليهألا رحم المهيمن نفس حر ... تصدق بالوفاة على أخيهوكان له رفيق، يقال له: أبو عبد الله الصوفي، وقيل: أبو الحسن العسقلاني، فلما سمع هذه الأبيات، اشترى له لحما بدرهم، وطبخه، وأطعمه، وتفارقا.وتنقلت الأحوال، وولي الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور «٢» ، وضاق الحال برفيقه الذي اشترى له اللحم في السفر، وبلغه وزارة المهلبي، فقصده، وكتب إليه:."
(٢)

"قال المأمون ليحيى بن أكثم: صف لى حالى عند الناس. فقال: يا أمير المؤمنين! قد انقادت لك الأمور بأزمتها، وملكتك الأمة فضول أعنتها؛ بالرغبة إليك والمحبة لك، والرفق منك، والعياذ بك، بعد لك فيهم، ومنك عليهم، حتى لقد أنسيتهم سلفك، وآيستهم خلفك. فالحمد لله الذى جمعنا بك بعد التقاطع، ورفعنا فى دولتك بعد التواضع.فقال: يا يحيى، أتحبيرا، أم **ارتجالا؟** قال: قلت: وهل يمتنع فيك وصف، أو يتعذر على مادحك قول، أو يفحم فيك شاعر، أو يتلجلج فيك خطيب؟وقدم على المهدى رجل من أهل خراسان، فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين؛ إنا قوم نأينا عن العرب، وشغلتنا الحروب عن الخطب، وأمير المؤمنين يعلم طاعتنا، وما فيه مصلحتنا؛ فيكتفى منا باليسير عن الكثير، ويقتصر على ما فى الضمير دون التفسير. فقال المهدى: أنت أخطب من سمعته.وأخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الكاغذى، قال: أخبرنا أبو بكر العقدى، قال: أخبرنا أبو جعفر الخراز، قال: أخبرنا المدائنى: أن أعرابيا دخل على المنصور فتكلم؛ فأعجب بكلامه، فقال له: سل حاجتك، فقال: يبقيك الله، ويزيد فى سلطانك. فقال: سل حاجتك، فليس فى كل وقت تؤمر بذاك. قال: ولم يا أمير المؤمنين؟ فو الله ما أستقصر عمرك، ولا أخاف بخلك، ولا أغتنم مالك؛ وإن سؤالك لشرف، وإن عطاءك لزين، وما بامرىء بذل وجهه إليك نقص

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة؟ التنوخي، المحسن بن علي ١١٦/٧

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة؟ التنوخي، المحسن بن علي ٢٥٣/٧

ولا شين.أخذ المعنى الأخير من أمية بن الصلت فى عبد الله بن جدعان «١» :عطاؤك زين لامرىء إن حبوته ... بسيب وما كل العطاء يزينوليس بشين لامرىء بذل وجهه ... إليك، كما بعض السؤال يشين." (١)

"عقولهم فقالت لهم إني أريد أن ترتادوا إلى مرعي فلما أتوها لقالت أحدهم ما رأيت قال رأيت بقلا وبقيلا وماء غدقا سيلا يحسبه الجاهل ليلا قالت أمرعت وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهاد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة. وقال الثالث: رأيت نبتا ثعدا معدا متراكبا جعدا كأفخاد نساء بني سعد تشبع منه الناب وهي تعدو اه. بقلا وبقيلا: يقول بقل قد طال وتحته عمير قد نشأ، والغدق الكثير يحسبه الجاهل ليلا من كثافته وشدة خضرته، والديمة المطر يدوم أياما في سكون ولين، والعهاد أول ما يصيب الأرض من المطر الواحد عهد، تشبع منه الناب قبل الغطيمة: يريد أن العشب قد اكتهل وتم فالناب وهي المسنة من الابل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلأ وهي قائمة لاتطلبه ولاتبرح موضعها والفطمية تتبع ما صغر والصغير فيه قليل. وهذه صفة بليغة. وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهي تعدو أي من طول النب ا ت وكثرته وعمومه تعدو وتأكل لا تحتاج إلى تتبعه وطأطأة رأسها له. ولا أعرف في جميع ما وصف به كثرة الكلأ أبلغ من هذا. والثعد: الرطب اللين والمعد اتباع. والثرى الجعد الذي قد كثر نداه فإذا ضممته بيدك اجتمع ودخل بعضه في بعض كالشعر الجعد، وخص نساء بني سعد لأن الأدمة فيهم فاشية. ومن أبلغ ما قيل في طول الكلأ قول الآخر أنشده ابن السكيت وثعلب:(أرعيتها أطيب أرض عودا ... الصل والصفصل واليعضيدا)(والخازباز السنم المجودا ... بحيث يدعو عامر مسعودا)يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعودا فليس يراه عامر فهو يصيح به، الصل والصفصل وخازباز ضرب من النبات. وليس ألفاظ الأبيات بالمختارة إنما اخترتها لجودة معناها. ونظر أعرابي إلى يوم دجن وإلى نبات غض فاستحسن فقال **ارتجالا:**(أنت والله من الأيام ... لدن الطرفين)." (٢)

"يحسن القراء فمضى فنظر ثم عاد فقال رأيت شيئا كرأس المحجن متصلا بحلقة صغيرة تتبعها ثلاث كأطباء الكلبة يفضي إلى هنة كأنها قطاة بلا منقار. ففهم هشام بالصفة أنها (خمسة) .أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العباس الربعي عن الطلحي عن أحمد ابن إبراهيم قال دخل أعرابي إلى الرشيد فأنشده أرجوزة وإسماعيل يكتب بين يديه كتابا وكان أحسن الناس خطا وأسرعهم يدا وخاطرا فقال الرشيد للأعرابي

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر؟ العسكري، أبو هلال ص/٤١

(٢) ديوان المعاني؟ العسكري، أبو هلال ٢/ ١٤

صف هذا الكاتب فقال ما رأيت أطيش من قلمه ولا أثبت من كلمه ثم قال **ارتجالا**:(رقيق حواشي الحلم حين تبوره ... يريك الهوينا والأمور تطير)(له قلما بؤسى ونعمى كلاهما ... سحابته في الحالتين درور)(يناجيك عما في ضميرك لحظه ... ويفتح باب الأمر وهو عسير)فقال الرشيد قد وجب لك يا أعرابي حق عليه هو يقضيك إياه وحق علينا فيه نحن نقوم به، ادفعوا إليه دية الحر، فقال إسماعيل وله على عبدك دية لعبد. قوله(رقيق حواشي الحلم)رديء لأن الحلم يوصف بالرزانة لا بالرقة، واستعمل أبو تمام هذا اللفظ فعيب به. وقوله(يريك الهوينا والأمور تطير)رويناه لمنصور النمري. وفاخر صاحب قلم صاحب سيف فقال صاحب القلم أنا أقتل بلا غرر وأنت تقتل على غرر. قال صاحب السيف القلم خادم السيف إن بلغ مراده والإفالي السيف معاده أما سمعت قول أبي تمام:(السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب)وأبي ذلك ابن الرومي فقال:(كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... إن السيوف لها مذ أرهفت خدم)." (١)

"(أحول عني وكان ينظر من ... عيني ويرمي بساعدي ويدي)(وكان لي مؤنسا وكنت له ... ليس بنا حاجة إلى أحد)(حتى إذا استرفدت يدي يده ... كنت كمسترفد يد الأسد)ومن جيد ما قيل في ذي الوجهين:(تعاشرني ضحكا كأنك ناصح ... وعينك تبدي أن قلبك لي دوي)(لسانك لي شهد وقلبك علقم ... وشرك مبسوط وخيرك ملتوي)(أراك إذا لم أهو شيئا هويته ... ولست لما أهوى من الشئ بالهوي)(عدوك يخشى صولتي إن لقيته ... وأنت عدوي ليس ذاك بمستوي)(وكم موطن لولاي طحت كما هوى ... بإجرامه من قلة النيق منهوي)(كأنك ان قيل ابن عمك غانم ... شج أو عميد أو أخو مغلة جوي)(بدا منك غش طالما قد كتمته ... كما كتمت داء ابنها أم مدوي)وقريب من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أبو ذكوان عن الرياشي قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجل الكوفة فنزل بآل عطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبينة عالية فقال **ارتجالا**:(تناهوا برفع الدور حتى كأنها ... جبال وما شدى بخير شعابها)(فليسوا بفتيان السماحة والندى ... ولكن فتيانا تسوى ثيابها)(فقد أصبحت أضياف آل عطارد ... خماصا مطاياها خفاقا عيابها)ومن ذلك قول الشاعر:(لعمري لقد أعطيت بردا وحلة ... وعراك من ثوب السماحة سالبه)(فما يك من خير فما تستطيعه ... وما يك من شر فإنك صاحبه)وقال يزيد

---

(١) ديوان المعاني؟ العسكري، أبو هلال ٢/٧٧

المهلبي:(فإذا غنيت فكلهم لي خاتل ... وإذا افتقرت فكلهم لي جافي)وما أكثر أحد في ذم الزمان إكثار إبراهيم بن العباس فمن جيد قوله:." (١)

"النبي & (يا زبير أما تركت أعرابيتك بعد) وحدثنا عنه عن يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن إسحاق قال حجبني خادم لجعفر بن يحيى يقال له نافذ فانقطعت عنه فسأل عني فعرفه سبب انقطاعي فقال قل له إن حجبك إنسان فافعل به لا يكنى قال فجئت فحجبني فكتبت إليه **ارتجالا** في الحال:(جعلت فداءك من كل سوء ... إلى حسن رأيك أشكو أناسا)(يحولون بيني وبين الدخول ... فما أن أسلم إلا اختلاسا)(وأنفذت أمرك في نافذ ... فما زاده ذاك إلا شماسا)فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلني وقال أفعلت يا أبا إسحاق فقلت بعض ذلك، وتقدم إلى نافذ وغيره أن لا أحجب متى حضرت.(دعاء المكاتبة)حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب: وقدمني الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كاسر في أخيه صقر:(أخي أنت في دين ودنيا كلاهما ... أسر بأن تبقى سليما وأفخر)(إذا ما أتى يوم يفرق بيننا ... بموت فكن أنت الذي يتأخر)فقيل له هذا يروى لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئا إلى غير قائله. فأما قولهم (وأتم نعمته عليه وزاد في إحسانه إليه) فهو من قول عدي بن الرقاع:(صلى الآله على امرئ ودعته ... وأتم نعمته عليه وزادها)قالوا وأول من قال (وأسأله أن يصلي على محمد) إسحاق بن سليمان بن علي. وأنشد للسري في ضد قولهم مت قبلك وإن الحظ عنده أن يكون هو ومن يحب يموتان في وقت واحد:(لامت قبلك يا أخي لا باخلا ... بالنفس عنك ولا تمت قبلي)(وبقيت لي وبقيت فيك ممتعا ... بالبر والنعماء والفضل)." (٢)

"(إن الليالي أسرعت في نفضي ... أخذن بعضي وتركن بعضي)(أقعدني من بعد طول نهضي ...)وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر:(يا خير إني قد جعلت أشتمر ... أرفع من ثوبي ما كنت أجر)وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال لقي بكر بن عبد الله المزني أبا تميمة الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تميمة؟ فقال أصبحت بين ذنوب قد سترها الله علي ما يقدر أحد أن يعيرني منها بذنب وبين محبة قد ألقاها الله في قلوب الناس لست لها بأهل وقد خفت أن أهلك بين هذين وأنا ضعيف الشكر. قال وقيل لقريبة الدبيرية كيف أصبحت؟ فقالت:(بخير على أن النوى مطمئنة ... بليلى وإن العين يجري معينها)وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ قال بخير أحتسب على

---

(١) ديوان المعاني؟ العسكري، أبو هلال ٢/١٩٩

(٢) ديوان المعاني؟ العسكري، أبو هلال ٢/٢٢٣

الله بالحسنة ولا أحتسب على نفسي بالسيئة. وقال رجل لأبي العيناء وقد كبر وضعف: كيف أصبحت؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم. وحدثنا عنه عن الغلابي عن إبراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت يا أبا ربيعة؟ فقال **ارتجالا** على البديه:(أصبحت لا يحمل بعضي بعضا ... أشكو العروق النابيات نبضا)(كما تشكي الأرجبي الغرضا ... كأنما كان شبابي قرضا)وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى:(أرقت وما هذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقم وما بي عشق)(ولكن أراني ما أزال بحادث ... أغادي بما لم يمس عندي وأطرق)وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيع الحاجب لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال:." (١)

"قال الأصمعي: إن رهط قيس قالوا لأبيه: لو خرجت به إلى الحج فتدعو الله لعله ينساها، فخرج به فبينا هو يرمي الجمار نادى مناد من بعض تلك الخيام: يا ليلى، فخر قيس مغشيا عليه، ثم أفاق وأنشأ يقول:وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فهيج أحزان الفؤاد وما يدريدعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بقلبي طائرا كان في صدريإذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها ... كما انتفض العصفور من بلل القطروهي قصيدة طويلة.قيل: حبس المجنون مع ليلى في السجن فقيل له اخرج فقال لا أخرج لأن أكون مع الحبيب في السجن خير من الفراق فأخرج فجاء الناس يعزونه فقال **ارتجالا**:ليل الحبيب مع الحبيب نهار ... وكذاك أيام الوصال قصاروقال أيضا:وسجني مع المحبوب فردوس جنتي ... وناري مع المحبوب في النار أنواروذكر إن سعيد بن الحاص؟ كان صديقه فعاتبه يوما فقال له فضحت نفسك وعشيرتك فقال:اريد لا نسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيلفلا تلحنني يا سعيد فانني ... وحق إلهي هالك بقليلقال كثير عزة: خرجت أريد قضاء حاجة لي فضللت الطريق فإذا أنا برجل قاعد فقلت إنسي أنت أم جني؟ فقال بل إنسي، فقلت ما أقعدك ها هنا؟ فقال إن هنا صيادا فأحببت أن أنظر إلى صيده، فأنخت راحلتي قريبا منه، فبينا نحن نتحدث إذ اضطرب الحبل فقام وقمت فإذا بظبية كأحسن ما يكون من الظباء واسمنهن، فاستخرجها برفق، وجعل يقبل خديها وعينيها ثم أرسلها وهو يقول:." (٢)

"موسوس، فسلم على الأمير، فرد عليه السلام وقال من أنت؟ فقال:إني أنا أبو الشريك الشاعر ... من سأل عني فأنا ابن الفاغرفقال الوالي ما أمدحك لنفسك! فقال:لأنني أرتجل **ارتجالا** ... ما شئت يا

---

(١) ديوان المعاني؟ العسكري، أبو هلال ٢/٢٢٦

(٢) عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري؟ النيسابوري، ابن حبيب ص/٤٩

من ألبس الجمالاقال الأصمعي فقال لي الأمير ما هذا مجنون. فألق عليه ما عندك فقلت له ما الريم؟ فقال:الريم فضل اللحم للجزار ... ينحره للفتية الأيسارفقلت ما الحلوان؟ فقال.أليس ما يعطي على الكهانة ... والحر لا يقنع بالمهانةفقلت ما الدكاع؟ فقال:إن الدكاع هو سعال الماشية ... والله لا تخفي عليه خافيةقلت فما التوله؟ فقال:عوذة عنق الطفل عندي توله ... وقد تسمى العنكبوت تولهقلت فما الرفة؟ فقال.الرفة التبن فسل ماشيتا ... لقد وجدت عالما خريتاقال الأصمعي فاستحييت من كثرة ما سألته. فقال قل لي:ما الهلقس والسحساح ... والحمل الراوح لا يراحقلت الهلقس الطمع للحريص، والسحساح الذي لا يستقر في موضع والراوح المهزول فقال:ما أنت إلا حافظ للعلم ... أحسنت ما قلت بغير فهم." (١)

"فأما الذي أنت أهل له ... فلست أرى العيش حتى أراكاوما الذي فلا عيش لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكاشيخمجنونقال أبو غسان الاسماعيلي: دخلت البصرة فرأيت شيخا مجنونا قد غلت يداه، وأحدث به الناس، فرحمته وأزحت الناس عنه، فتنفس الصعداء واستعبر ثم قال:لقد صبرت على المكروه أسمعه ... من معشر فيك لولا أنت ما نطقواوفيك داريت أقواما أجاملهم ... ولولاك ما كنت أدري انهم خلقواالحمد لله حمدا لا شريك له ... كأنني بدعة من بين من عشقوامجنونقال بعض السياح: دخلت مسجد البصرة فإذا فقير عليه أثر البؤس وهو يترنم في نفسه، فإذا هو مجنون، فلما دنوت منه سكت. فقلت له أعد ما كنت تقوله؟ فقال **ارتجالا**:أشار قلبي إليك كيما ... يرى الذي لا تراه عينيوأنت تلقي على ضميري ... حلاوة الؤل والتمنيتريد مني اختبار سري ... وقد علمت المراد منيوليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني." (٢)

"تضم عليه منقارا ونحرا ... كما خر الفجيع على الضريح - ٨٨ -وقال أيضا في أم الحسن (١)مسمعة من غير أوتار ... إلا **ارتجالا** فوق أشجاريقترح الناس عليها وما ... يقترح الناس على الطاري (٢)تبدل إن قيل لها بدلي ... طائعة من غير إصغاركأنها في حين تبديلها ... تأخذ في أهزاج أشعارعاشقة النوار ما أقبلت ... إلا بها آثار نوار - ٨٩ -وقال في أم الحسن أيضا (٣)وخرساء إلا في الربيع فإنها ... نظيرة قس في العصور الذواهبأتت تمدح النوار فوق غصونها ... كما يمدح العشاق حسن الحبائبتبدل ألحانا إذا قيل بدلي ... كما بدلت ضربا أكف الضواربتغني علينا في عروضين شعرها ... ولكن شعرا في قواف غرائبإذا ابتدأت تنشدك رجزا وإن تقل ... لها بدلي تنشدك في المتقاربوليس لها تيه الطراة بصوتها

---

(١) عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري؟ النيسابوري، ابن حبيب ص/١١٩

(٢) عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري؟ النيسابوري، ابن حبيب ص/١٤٥

... ولكن تغني كل صاح وشارب______________(١) أم الحسن: أنثى الطائر الذي يسميه المشارقة " الحسون " ويسميه أه ل الأندلس " أبا الحسن ".(٢) ص: الطار؛ والطاري هو الطارئ أي الغريب، وقد كرر هذا ف القطعة التالية فقال " وليس لها تيه الطراة بصوتها "؛ ولعل الرمادي يغمز بهذا المغنين الوافدين على الأندلس من أمثال زرياب وأبنائه وبناته في عصر سابق.(٣) الأبيات (١ - ٣) في سرور النفس: ٩٨ (ف: ٣٣٤) وذكر أن الأبيات في الهزار.." [1]

"وحدثني بديع الزمان، قال: أنشدني كاتب بكر في مجلس قوله:رق الهوا وأصبحت السماءوفي المجلس رجل من أصحاب اللغة، فقال له: لحنت، إذا قصرت الهواء وهو ممدد، فقال **ارتجالا**:لحنت وقصرت حرفا يمد ... واللحن يقبح في المجمعهفلا تعجبن فإن اللغا ... ت كصدع عجوزك فيها سعهوأعجب من كل قصر يمد ... عجوز تقام على أربعهوأنشدني عدي الجرجاني لكاتب بكر:لعزة خف مذ ثلاثون حجة ... على الدهر لا يبلى ولا يتخرقوكيف بلى خف هو الدهر كله ... على قدميها في السماء مغلقوأنشدنا أبو طاهر البخاري:محتجب دون من ألم به ... وليس للخارجات حجابلأن للخارجات منفعة ... تأتيه والداخلون طلابوقال أبو أحمد بن أبي أسامة:أتيت ابن داود في حاجة ... فطال الوقوف على بابهفلحية بوابه في استه ... ولحيته في است بوابهوقال آخر:أتيتك مشتاقا إليك مسلما ... عليك وإني باحتجابك عالمفقال لي البواب إنك نائم ... وأنت إذا استيقظت أيضا فنائموقال آخر:اغسل يديك بأشنان ونقهما ... غسل الجنابة من معروف عثمانواسلح على كل عثمان مررت به ... إلا الخليفة عثمان بن عفانقد يبتغي المدح أقوام بمالهم ... لكن عثمان يبغيه بمجانوالناس أكيس من أن يمدحوا رجلا ... حتى يروا عنده آثار إحسانيا أخت كندة ليس الرزق في يده ... الرزق في يد من لو شاء أعطانيوقال ابن المعتز:صلاتك بين الملا نقرة ... كما استلب الجرعة الوالغوتسجد من بعدها سجدة ... كما ختم المزود الفارغآخر:وصاحب سبقت منه إلي يد ... راثت عليه وكافاني فعادانيلما تيقن أن الدهر حاربني ... أبدى الندامة فيما كان أولانيأفسدت بالمن ما أسديت من نعم ... ليس الكريم إذا أسدى بمنانوقال آخر في المبرد:ويوم كحر الشوق في القلب حره ... على أنه منه أحر وأومدظللت به عند المبرد قاعدا ... فما زلت من ألفاظه أتبردوقال الطائي:لولا الإله وأنني متحرِج ... متورع للعنت قبر خليلأنشا مسائل في العروض يبينها ... من فاعل ومفاعل وفعولما كانت الشعراء تعرف قبلها ... من فاعل أبدا ولا مفعولآخر:لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ... ما كان إلا دون قبح الجاحظآخر:وجه قبيح في التبسم ... كيف يحسن في

---

(١) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس؟ محمد بن الكتاني الطبيب ص/٦٠

القطوبوقال آخر:ماذا لقينا من المستعربين ومن ... بلاء إعرابهم هذا الذي ابتدعوالقد ضربوا بين عبد الله ويحهم ... وبين عمرو فطال الضرب والوجعكم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم ... وبين قوم على إعرابه طبعواأنشدني أبو جعفر البحاث:ظل يغني فظلت أبكي ... أنتشف الدمع بالعمامهقال تعشقت قلت كلا ... لست من الحب في قلامهصوتك هذا الذي سمعنا ... ذكرنا صيحة القيامهأنشدنا عيسى بن عبد الله الأديب:ولي صاحب لا قدس الله روحه ... بغيض إلى الأخوان غير رحيبأكلت عصيبا عنده في مضيرة ... فيا لك من يوم علي عصيبوقال آخر في معربد:لا بد يوم شرابه ... لنديمه عند الندامهمن جوشن تحت الثياب ... وخوذة تحت العمامهوقال آخر في القربان:يا بخيلا ليس يدري ما الكرم ... حرم اللؤم على فيه نعم." (١)

"يجوز في نعمة الفتح على الاستفهام، والجر على الخبر، وهو أجود؛ لأنها أدل على الكثرة، ومجللة: بفتح اللام على معنى مبهمة ومعظمة، أو محكوم لها بالجلال، وبكسرها على معنى أنها تنسب إلى الجلال والتعظيم فهي مجللة.يقول: وكم من نعمة عظيمة ابتدأت بها، ثم أتبعت مثلها، وجعل ابتداءها: ولادة. وإدامتها: تربية.وقد روى: ربيتها بضم التاء، والمعنى على هذا: أني شكرتها فاستوجب لها المزيد، فكنت كالمربي لها.وكم وكم حاجة سمحت بها ... أقرب مني إلي موعدهاالموعد: وقت الوعد، لإنجاز الحاجة.يقول: كم حاجة وبغية جاد الممدوح بها وقضاها لي، وكان موعدها في الإنجاز أقرب من نفسي إلى نفسي، يريد بذلك أنه يبتدىء بالعطاء من غير تقديم وعد؛ لأن قربه على هذا الحد كناية عن فقد الوعد.أو يريد طريقة الصوفية؛ كأنه فضل نفسه، أي أن وقت حضور موعده أقرب إلي من نفسي إلى نفسي، والأول أولى. وروى: أقرب شيء إلي موعدها وهو أظهر في المعنى والأول أبلغ وأفصح.ومكرمات مشت على قدم البر ... ر إلى منزلي ترددهاالمكرمات: جمع مكرمة، وأراد بها الخلع، والهدايا، والمشي استعارة هاهنا. قد جعل للبر قدما يمشي بها.يقول: كم من مرة رددتها إلى منزلي ماشية على قدم برك وإحسانك. وقيل: دل بقوله: على قدم البر على أن الخاطئين كانوا له من جملة الهدايا، وفي خير العطايا، كأنهم كانوا غلمانا وجواري أهداهم إليه.وروى: ترددها، وترددها فالأول خبر، والثاني مصدر، والمعنى واحد.أقر جلدي بها علي فلا ... أقدر حتى الممات أجحدهايقول: أقر جلدي بها علي لكثرتها وظهور أثرها على بشرتي ونضارة وجهي بها، وحسن حالي بسببها، فلست أقدر ما عشت أن أجحدها؛ لأني إذا جحدتها شهدت علي؛ وهو مأخوذ من قوله تعالى: " تعرف في وجوههم نضرة النعيم " ومثله قول الشاعر:إذا ما جحدنا جوده

(١) حماسة الظرفاء؟ الزَّوْزَني، العبدلكاني ص/٢٥

ظل شاهدا ... جوارحنا مهما أقمنا على الجحدويحتمل أنها كانت من جملة الملبوس؛ فلهذا خص الجلد بذكره ونزل أجحدها منزلة المصدر، وتقديره فلا أقدر على جحودها، ويجوز أن يكون الأصل أن أجحدها غير أنه حذف أن فوقع الفعل بعده كقوله فيما تقدم: قبيل أفقدها.فعد بها لا عدمتها أبدا ... خير صلات الكريم أعودهاعد بها: أي أعدها لا عدمتها: دعاء، لإبقاء مكرماته، وهو حسن مليح، وأعودها: أدومها عادة.يقول: قد عودتني مكرماتك، فأعدها لا عدمتها مدى الدهر، فإن خير الجوائز ما تدام عادتها، وتعاد، وقوله: لا عدمتها أبدا: وإن كان دعاء للنعم بالبقاء، فهو يتضمن الدعاء للمدوح بدوام القدرة على الإحسان، وقوله: خير صلات الكريم أعودها. مثل له.وقيل له وهو في المكتب: ما أحسن هذه الوفرة؟! فقال **ارتجالا**:لا تحسن الشعرة حتى ترى ... منشورة الضفرين يوم القتالأراد بالشعرة هاهنا: جملة الشعر الذي كان على رأسه، ولم يرد الشعرة الواحدة. وروى مكانها الوفرة، والضفرين: الضفيرتان. وهما من ضفرت السير أي فتلته.يقول: لا تحسن هذه الوفرة حتى تنشر يوم القتال؛ لأن من عادة العرب أنهم يكشفون عند الحرب رءوسهم وينشرون شعورهم، وهو يظهر من نفسه حب الحرب؛ تنبيها على شجاعته.على فتى معتقل صعدة ... يعلها من كل وافي السبالالاعتقال: أن يضع الفارس رمحه بين ركابه وساقه، ويمسكه بفخذه. والصعدة: القناة المستوية، وقيل: هي ما صغر من الرمح، ويعلها: يسقيها من العلل وهي الشربة الثانية، والهاء في يعلها للصعدة.يقول: لا تحسن شعرتي هذه حتى تراها منشورة يوم القتال، على فتى، وهو يعني به نفسه. وقد اعتقل رمحه، يسقيه من دم وافي السبال.فكأنه يقول: إنما تحسن الوفرة على من لا سبال له، وهو أمرد؛ يقاوم الملتحي عند المقاتلة، لأن السبال لا يكون وافيا إلا إذا كان تام اللحية. ينبه بذلك على فضل قوته وشجاعته.وقيل: إن وافي السبال كناية عن الشجاع. لأن أهل الحرب كانوا لا يحفون شواربهم حتى يكون أهيب لهم عند القتال.وقيل: إنه تعريض بالمتعجب من الشعرة. وكان من أصحاب اللحية الضخمة.يقول: لا تحسن الشعرة حتى تكون علي وقد اعتقلت رمحي أسقيه من دم كل علج طويل اللحية، وافي السبال مثلك أيها المتعجب من وفرتي.." (١)

"كلا الرجلين: أي كل واحد منهما. واتلى: افتعل من الولاية، أي ولى كل واحد منهما قتله، وحر السلب: خالصه. وغل: أي خان في الغنيمة.يسخر منها، ويقول: قتلتما هذا الشجاع فأيكما خان في سلبه، ففاز به دون صاحبه، فإني لا أرى سلبه ظاهرا.وأيكما كان من خلفه ... فإن به عضة في الذنبيقول: أيكما كان من خلفه؟ فإن به عضة في ذنبه، فمن كان خلفه فهو الذي عضه! يسخر منهما بذلك.وقال أيضا في

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٨

صباه **ارتجالا** وقد أهدى إليه عبيد الله بن خراسان هدية فيها سمك من سكر، ولوز في عسل:قد شغل الناس كثرة الأمل ... وأنت بالمكرمات في شغليقول: إن الناس شغلهم كثرة الأمل. وشغل الممدوح أبدا المكرمات وإسداء الإحسان.تمثلوا حاتما ولو عقلوا ... لكنت في الجود غاية المثليقول: جعل الناس المثل في الجود لحاتم الطائي، ولو كانوا عقلاء لجعلوك غاية المثل في الجود؛ نك أسخى منه ومن سائر الناس.أهلا وسهلا بما بعثت بـه ... إيها أبا قاسم وبالرسلتقديره: أهلا وسهلا بما بعثت به، وبالرسل إيها أبا قاسم وإيها بمعنى كف.يقول: كف عن ذلك فقد عجزتني عن القيام بشكرك وأثقلت ظهري بمبارك، واستغنيت بما سلف من عطاياك، فلا حاجة إلى المبالغة.هدية ما رأيت مهديها ... إلا رأيت العباد في رجليقول: هدية ما رأيت مهديها، إلا رأيت فضائل الناس فيه مجموعة. فكأنه جميع الناس في المعنى، وهو مأخوذ من قول الحكمي:وليس لله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحروى: العباد والأنام جميعا.أقل ما في أقلها سمك ... يلعب في بركة من العسلأقل: مبتدأ وسمك: خبر. وما: بمعنى الذي، وروى: يلعب ويسبح.يقول: أقل ما في أقل هذه الهدايا: سمك من اللوز والسكر، في حوض من العسل؛ يشير إلى أن ذلك إذا كان أقل الأقل فكيف يكون ما هو أجل الأجل والأفضل؟!.كيف أكافي على أجل يد ... من لا يرى أنها يد قبلي؟!أكافي: أصله الهمز فخففه. وروي: أجازي. ولا همز فيه.يقول: كيف أجازي على أجل نعمة له عندي، وهو يستصغر العظيم من أياديه، ولا يعتد بها، ولا يراها نعمة عندي، فلا يمكنني القيام بشكره.وكتب إلى عبيد الله بن خراسان في الطيفورية وقد رد الجامة وكتب على جوانبها بالزعفران:أقصر فلست بزائدي ودا ... بلغ المدى وتجاوز الحداأقصر: أي أمسك عن الإهداء، وفاعل بلغ المدى وتجاوز الحد: ضمير الود.يقول: أقصر عن الإهداء فلست تزيدني ودا بزيادة الهدية، فإن ودك عندي قد بلغ المدى وتجاوز الحد، فلا مزيد عليه؛ والأصل فيه الحديث: " جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ".أرسلتها مملوءة كرما ... فرددتها مملوءة حمداالهاء في أرسلتها ورددتها للجامة، التي فيها الحلواء، ونصب كرما وحمدا على التمييز.يقول: بعثت بالجامة مملوءة كرما فرددتها مملوءة حمدا؛ وذلك أنه كان كتب بهذه الأبيات في جوانب الجامة وفيها حمد الممدوح.جاءتك تطفح وهي فـارغة ... مثنى به وتظنها فرداالطفح: الارتفاع، والامتلاء.يقول: جاءتك هذه الجامة فارغة من الحلاوة، وهي مع ذلك ممتلئة من حمدك، فأنت تظن الجامة فردا وهي قد انضم إليها هذه الأبيات فهي مثنى بها: أي الأبيات، وروى: مثنى به: أي بالحمد.تأبى خلائقك التي شرفت ... ألا تحن وتذكر العهدايقول: إن أخلاقك الشريفة تمتنع وتكره أن لا تشتاق إلى مثل صنيعك في إنفاذ الهدية وألا تذكر العهد بإنفاذ الهدية، فكأنه يستعيد مثل هذه الهدية التي

بعث بها إليه.وقيل: ألا تحن إلى أصدقائك.لو كنت عصرا منبتا زهرا ... كنت الربيع وكانت الورداالتاء في كانت: ضمير الهدية. وقيل: ضمير الخلائق.يقول: لو كنت زمنا من الأزمان لكنت أطيبها وهو الربيع، وكانت هديتك التي بعثت بها، وخلائقك الشريفة كالورد، في فضله على سائر الأزهار، كفضل الربيع على سائر الأعصار.وقال أيضا يمدح عبيد الله بن خراسان وابنيهأظبية الوحش لولا ظبية الأنس ... لما غدوت بجد في الهوى تعسالأنس والإنس: واحد، وهو جمع أنسي وإنسي والألف: حرف النداء، والتعس: العثور:." (١)

"يقول: فكرت فيما أهديه إليك، فلم أر شيئا يقع عند قدرك، فجعلت هديتي إليك المدح الذي تعلمته منك، ومن صفاتك، فجعلته هدية مني إليك، بعد ما كان هدية من ك إلي. ويمكن أن يكون المراد: بعثت إليك بعض ما أهديته إلي من الأموال فأهديته إليك. وقد أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومي:أي شيء أهد خى إليك وفي وج ... هك من كل ما تهوي القلوب ومعنمنك يا جنة النعيم الهدايا ... أو أهدى إليك ما منك يجنى؟!إلا أنه أخبر أنه أهدى، وابن الرومي قال: أو أهدى؟! ويحتمل أن يكون مراده: جعلت ما تريد إهداءه إلي عند ارتحالي عنك مني إليك، أي أسألك أن تمسك عنه، فتجعل إمساكك عنه بمنزلة إهدائي إليك. وقوله: وظرفها التأميلا: أي جعلت تأميلي إياك قبول هذه الهدية ظرفا لهذه الهدية ظرفا لهذه الهدية ومشتملا عليه، فجعل الأمل كالظرف له. هذا ما ذكره ابن جنى.وقال غيره: إنه لما أرد ارتحاله عنه واستقل كل هدية يبعثها إلى الممدوح جعل قبول الهدية، هدية منه إليه؛ لعلمه أن الممدوح ممن يسر بقبول المتنبي هديته، سرور من أهدي إليه الهدية، وقوله: وظرفها التأميلا: أراد به أن الأمل مشتمل على هذه الهدية ومحيط بها كإحاطة الظرف بالهدية.بر يخف على يديك قبوله ... ويكون محمله علي ثقيلامعناه على تأويل الأول: أنه لا كلفة علي فيما أهديته إليك لأني لم أتكلف منه شيئا، وإنما هو منك عاد إليك، ويكون تحمل شكرك على قبوله ثقيلا علي: وعلى المعنى الآخر الذي ذكره ابن جنى: أنك إذا أمسكت عن إهداء ما عزمت عليه فلا نقص عليك؛ لأني على كل حال لم أعطك شيئا من عندي وإنما هو مالك تركته لك.وقيل: إنما مدحي إليك بر خفيف، على يديك قبوله لجلالتك، وقصوره عن محمله: علي ثقيلا: لعظم شأن قبولك لمدحي وصغر شأنه بالنسبة إليك.وقال أيضا وقد حلف عليه صديق ليشربن كأسا بيده فأخذه وقال:وأخ لنا بعث الطلاق ألية ... لأعللن بهذه الخرطومفجعلت ردى عرسه كفارة ... عن شربها وشربت غير أثيمالخرطوم: اسم الخمر.يقول: لما حلف بالطلاق أن أشرب هذا الخمر شربت

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/١٩

غير أثيم؛ وجعلت كفارة شربي لها، ردى عليه امرأته؛ كراهة أن يحنث في يمينه! وقال أيضا في صباه **ارتجالا** وقد أصابهم المطر والريح يهجو رجلا يقال له سوار:بقية قوم آذنوا ببوار ... وأنضاء أسفار كشرب عقارآذنوا: أي أعلموا. والأنضاء: جمع نضو. وهو البعير المهزول. وأضافها إلى الأسفار، ليعلم إنما أنحلها كثرة الأسفار. والشرب: جمع شارب. والعقار: الخمر.يقول: نحن بقية قوم قد هلك أكثرهم وآذنوا بالهلاك، وبقينا نحن على شرف الهلاك ونحن أنضاء أسفار، كأنهم من تساقطهم جماعة شربوا الخمر، فصاروا سكارى. ويجوز أن يكون الأنضاء صفة لدوابهم وإبلهم فيقول: ونحن على دواب قد أهزلها كثرة الأسفار، حتى صارت كذلك.نزلنا على حكم الرياح بمسجد ... علينا لها ثوبا حصى وغبارثوبا: تثنية ثوب؛ لإضافته إلى الحصا والغبار.ويروى: بمشهد: مكان بمسجد.خليلي ما هذا مناخا لمثلنا ... فشدا عليها وارحلا بنهارالهاء في عليها: ترجع إلى أنضاء الأسفار؛ إذا جعلناها دواب.فيقول مخاطبا لصاحبه: ليس هذا المسجد مناخا لمثلنا، فشد على الدواب رحالها، وسروجها، وارحلا بنهار، قبل اجتنان الليل فيصعب الارتحال، ويحتمل أن يكون الكناية في عليها للرياح كأنه قال: شدا على الرياح أو على دواب كالرياح سرعة.ولا تنكرا عصف الرياح فإنها ... قرى كل ضيف بات عند سواريقول: لا تنكرا شدة هبوب الرياح في هذا المكان؛ لأنها طعام كل ضيف بات عند هذا الرجل الذي اسمه سوار، فإن ذلك عادته لضيوفه فليس هذا بمستنكر منه. وقيل: سوار. أي سواري المسجد، أو سواري الأمطار. والأول أولى وأظهر.وقال أيضا في صباه يمدح أبا المنتصر: شجاع بن محمد بن الرضا الأزدي:أرق على أرق ومثلي يأرق ... وجوى يزيد وعبرة تترقرقأرق: مبتدأ، وخبره محذوف. وكذلك جوى وعبرة تقديره: بي أرق وعلى هنا بمعنى مع، وأراد به دوام الأرق: وهو السهاد.يقول: بي أرق على أرق. ومثلي جدير بالأرق، وبي جوى: وهو الحزن. يزيد ولا ينقص. ولي دمعة تسيل أبدا.." (١)

"يقول: أيملك الملك من هو في ضعفه لو رآني ماء وهو ظمآن لم يمكنه أن يردني ومات عطشا! ولو رآني في النوم لزال نومه، ولا يجسر أن ينام؛ خوفا مني، ولا يستقر لعظم هيبتي في قلبه.ميعاد كل رقق الشفرتين غدا ... ومن عصى من ملوك العرب والعجمومن عصى: في موضع جر، عطفا على كل.يقول: ميعاد كل سيف رقيق الشفرتين غدان وميعاد كل من عصاني من ملوك العرب والعجم؛ أقتلهم به. وقيل: فيه إضمار تقديره هذا المذكور الذي هو لحم على وضم، ميعاد كل سيوفي ملوك العرب والعجم.فإن أجابوا فما قصدي بها لهم ... وإن تولوا فما أرضي لها بهميقول: أقصدهم بسيوفي، فإن انقادوا إلي فما قصدي بهذه

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٢٢

السيوف إليهم، وإن تولوا عني، فما أرضى لهذه السيوف بهم بل أقتل سواهم.وقال أيضا في صباه وقد عذله أبو سعيد المخيمري في تركه لقاء الملوكأبا سعيد ... جنب العتابافرب راء ... خطأ صواباراء: فاعل، وهو العامل في خطأ، وفي صواب، لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل منه.يقول: يا أبا سعيد بعد عني عتابك فأنت مخطيء فيه، فرب إنسان يرى الخطأ صوابا، وروى فرب رائي خطإ صوابا على الإضافة وحذف التنوين، طلبا للخفة، والغرض إثباته لأن الإضافة غير حقيقية، ثم بين وجه الخطأ في عذل أبي سعيد فقال:فإنهم قد ... أكثروا الحجاباواستوقفوا ... لردنا البواباستوقفوا: أي طلبوا من البواب الوقوف.يقول: إنما أترك قصدهم لأنهم أكثروا الحجاب ليمنعونا عنهم، وأقعدوا لردنا عنهم البواب على أبواب دورهم.وإن حد ... الصارم القرضاباوالذابلات ... السمر والعراباترفع فيما ... بيننا الحجاباالقرضاب: هو القاطع، وهو صفة لحد السيف. والذابلات السمر: هي الرماح. والعراب: الخيل العربية.يقول: لا أقصدهم إلا محاربا بالصارم القاطع، والرماح الذبل، والخيل العراب؛ فإن هذه الأشياء التي ذكرتها ترفع الحجاب فيما بيننا وبينهم.وقال في صباه **ارتجالا** يصف ألم الشوق والفراق على لسان إنسان سأله ذلك:شوقي إليك نفى لذيذ هجوعي ... فارقتني وأقام بين ضلوعييقول مخاطبا لحبيبه: شوقي إليك نفى نومي، ففارقتني أنت، وأقام ذلك الشوق بعدك بين ضلوعي.أوما وجدتم في الصراة ملوحة ... مما أرقرق في الفرات دموعي؟!الصراة: نهر ببغداد، مشتق من الفرات.يقول لحبيبة، وهو واحد؛ يخاطب الجماعة تعظيما له: أوما وجدتم في هذا النهر ملوحة؟ من كثرة ما صببت من دمعي في الفرات، الذي مادة هذا النهر منه؛ لأن الدمع مالح المذاق.ما زلت أحذر من وداعك جاهدا ... حتى اغتدى أسفي على التوديعيقول: مازلت أحذر من توديعك خوف الفراق، حتى وقع الفراق من دون الوداع، فصرت أأسف على ترك التوديع؛ إذ كان فيه بعض السلوة. أو يكون الفراق وقع مع الوداع. فيقول: أنا آسف على ما حصل لي من المسرة في لقائك عند الوداع، فأشتاقه وأتمنى عوده.رحل العزاء برحلتي فكأنما ... أتبعته الأنفاس للتشييعالعزاء: الصبر.يقول: رحل العزاء عند ارتحالي عنك، فكأنني أتبعته أنفاسي لتشيعه، أو للتشييع لك، ويحتمل أن يريد: أن الصبر فارقني لفراقي لك، وضعفت عن النفس، وانقطعت الأنفاس، فكأنما تبعتك مشيعة ومثله لأبي تمام.إن لم أودعهم فقد أتبعتهم ... بمشيعين: تنفسي ودموعيوقال أيضا في صباه **ارتجالا** يفتخر:أي محل أرتقي ... أي عظيم أتقي؟وكل ما خلق الله ... وما لم يخلقمحتقر في همتي ... كشعرة في مفرقييقول: أي محل أرتقي إليه؟ فلا مزيد فوق ما أنا عليه فأصبر إليه. وأي عظيم أخشى منه وأحذره؟ وكل شيء خلقه الله تعالى وما لم يخلق بعد، هو محتقر عند همتي، كشعرة في مفرق رأسي. وروى: كشعرتي في مفرق على الإضافة، ومفرق

على النكرة أي مفرق من المفارق.وقال أيضا في صباه، مجيبا لإنسان قال له: سلمت عليك فلم ترد علي السلام:أنا عاتب لتعتبك ... متعجب لتعجبكإذ كنت حين لقيتني ... متوجعا لتغيبكفشغلت عن رد السلام ... فكان شغلي عنك بك." (١)

"يقول: لو كان ما زعموا! فإن في جود كفيك لي رجاء أن تعفو عني، وتجود بنفسي وتترك قتلها، على عظم ذنبي، ولو كنت في ذنب عظيم. أشقى ثمود: الذي عقر ناقة صالح عليه السلام. واسمه قدار بن سالف.وقال إجابة لمعاذ الصيدواني وهو يعذله على تهوره:أيا عبد الإله معاذ إني ... خفي عنك في الهيجا مقاميهو: أبو عبد الله معاذ الصيدواني، وضم معاذ على نكرة الندا كأنه يقول: أيا عبد الله. يا معاذ. وكان معاذ هذا يلومه على تعرضه للحروب في الأسفار. فقال له: إنه خفي عنك مقامي في الحروب واستقلالي بها، وارتقائي إلى معالي الأمور.ذكرت جسيم ما طلبي وأنا ... نخاطر فيه بالمهج الجساميقول: ذكرت عظيم ما أطلبه من الأمور، وأنا نخاطر في جسيم ما تطلبه، بالمهج والأرواح العظام، ولم تعرف أنا لا نبال باللوم والملام.أمثلي تأخذ النكبات منه ... ويجزع من ملاقاة الحمام؟يقول: أمثلي تتناول النكبات منه، وتؤثر فيه! وهل أجزع من ملاقاة الموت؟ حتى تعذلني على بذل نفسي.ولو برز الزمان إلي شخصا ... لخضب شعر مفرقه حساميقول: لا أبالي بنكبات الزمان، فإنه لو برز إلي وكان شخصا لضربته بسيفي، وخضبت شعر وسط رأسه بدمه. والمفرق: وسط الرأس.وما بلغت مشيتها الليالي ... ولا سارت وفي يدها زماميالید والزمام: استعارة.يقول: ما بلغت أني أطيعها، ولا يمكنها أن تؤثر في.إذا امتلأت عيون الخيل مني ... فويل في التيقظ والمناميقول: إذا رأتني الخيل. يعني: أهلها. وأراد هاهنا محبها أي الفرسان ملء أعينها، فويل لهم في حالتي التيقظ والمنام؛ لأنهم إذا رأوا خيالي في المنام، يذهب نومهم خوفا مني، وإذا تعرضت لهم في اليقظة أقتلهم وأصله من قول الشاعر:على عدوك يابن عم محمد ... رصدان ضوء الصبح والإظلامفإذا تنبه رعته وإذا هدى ... سلت عليه سيوفك الأحلاموقال لرجل بلغه عن قوم كلاما فيه:أنا عين المسود الجحجاح ... هيجتني كلابكم بالنباحيقال: هذا عين الشيء. أي نفسه، وخالصه. والمسود: هو المتفق على سيادته. والجحجاح: السيد. وروى: هيجتني: أي حركتني، وأغضبتني. وهجنتني: نسبتني إلى الهجنة والعار.يقول: أنا عين المدعو سيدا، غير أن كلابكم: أي خساسكم من الشعراء وغيرهم نسبتني إلى الهجنة أو حركتني وأغضبتني بالنباح، أي بأشعارهم أو بكذبهم علي وتعيرهم لي فكأنه جعلهم كلابا.أيكون الهجان غير هجان ... أم يكون الصراح غير صراحالهجان: الكريم، الخالص. والهجين: ضده. والصراح:

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٣٣

الخالص.يقول: أنا هجان كريم، والهجان هجان أبدا، وإن دعي هجينا، والخالص خالص، وإن نسب إلى ضده، ويحتمل أن يكون غير الكريم في معنى الهجين، فيكون صفة للطاعنين فيه. ومعناه: أن من يكون غير كريم فلا يكون كريما وإن دعي كريما. يعني: أعداءه، ومن يكون خالصا فلا يكون غير خالص. وأراد به نفسه.جهلوني وإن عمرت قليلا ... نسبتنِي لهم رءوس الرماحيقول: جهلوا قدري ونسبي، ولو عشت قليلا عرفت إليهم نفسي حتى تنسبني إليهم رءوس الرماح فيعرفونني بطعني لهم بها.وقال أيضا **ارتجالا** وقد سئل الشرب ففضل معاطاة الحراب على معاطاة الشراب:ألذ من المدام الخندريس ... وأحلى من معاطاة الكئوسالمدام: الخمر. سمي به لأنها أديم في الدن. والخندريس: هي الخمر العتيقة من أعوام.معاطاة الصفائح والعوالي ... وإقحامي خميسا في خميسالصفائح: جمع الصفيحة، وهي السيف العريض. والعوالي: رءوس الرماح. والخميس: العسكر.يقول: ألذ من شرب الخمر العتيقة ومناولة الكئوس، مناولة السيوف والرماح، وسقى الدماء من الجراح، وإدخال جيش في جيش، كل ذلك ألذ وأحلى عندي من شرب الخمر العتيقة.فموتي في الوغى عيشي لأني ... رأيت العيش في أرب النفوسلما فضل الحرب على الشرب بين علة التفضيل.فقال: موتي في الحرب عيش في الحقيقة لبقاء الذكر الجميل؛ لأني رأيت العيش وكماله في حاجات النفوس، وحاجتي حصول عيش الأبد، وذلك في الموت لبقاء الذكر الجميل بعدي.." (١)

"ويجوز أن يريد أن الحرب في سبيل الله حياة لي لكوني من الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله فكنت حيا بما أنا فيه من الثواب.قال ابن جنى: قلت له كيف ذلك؟ فقال الآية: " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ".ولو سقيتها بيدي نديم ... أسر به لكان أبا ضبيسنصب أبا ضبيس؛ لأنه خبر كان، واسمه: ضمير النديم وهو صديقه الذي دعاه إلى الشرب. وقيل: إنه كان صاحب المجلس والدعوة.يقول: لو سقيت الخمر بيدي نديم لي فيه سرور وأنس لكان ذلك النديم أبا ضبيس يعني لكنت لا أشرب إلا من يده.وقال له بعض الكلابيين: أشرب هذا الكأس سرورا بك فأجابه **ارتجالا**:إذا ما شربت الخمر صرفا مهنئا ... شربنا الذي من مثله شرب الكرميقول: إذا شربت الخمر صرفا أي غير ممزوج مهنأ بشربه. شربت أنا الماء الذي شرب الكرم من مثله.وقيل: إن الكرم إذا غرس صب في مغرسه الدم فيقوى بذلك.يقول: إذا شربت أنت الخمر شربت أنا الدم الذي شرب الكرم منه، ويدل عليه ما بعده وهو:ألا حبذا قوم نداما هم القنا ... يسقونها ريا وساقيهم العزميقول حبذا قوم، نداماهم الرماح، يسقون رماحهم دماء أعدائهم ريا: أي قدر ما تروى به ويكون ساقيهم العزم.طربه لصليل السيوف لا لقرع

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٤٧

الكئوس.وقال أيضا **ارتجالا**:لأحبتي أن يملئوا ... بالصافيات الأكوباوعليهم أن يبذلوا ... وعلي ألا أشرباحتى تكون الباترا ... ت المسمعات فأطرباالأكواب: جمع الكوب، وهو الإبريق بلا عروة.يقول: لأحبائي أن يملئوا كئوسهم خمرا، ويعرضوها علي، ولكن علي ألا أشربها حتى تصير السيوف القاطعات المغنيات في العظام، فإذا سمعت هذا الغناء فأشرب وأطرب عند ذلك! ويجوز في الباترات: الرفع، على أن تجعل يكون فعلا حقيقيا، وإن جعلته ناقصا يجب رفع الباترات، ونصب المسمعات خبرا لها.وقال أيضا يصف مجلسا لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه ليلا إلى جانب المصباح:أما ترى ما أراه أيها الملك ... كأننا في سماء مالها حبكأي ما أراه أيها الملك كائنا في مجلسك، في سماء ليس لها طرائق، ولما شبه مجلسه بالسماء بين بعد ذلك وجه التشبيه فقال:الفرقد ابنك والمصباح صاحبه ... وأنت بدر الدجى والمجلس الفلكالهاء: في صاحبه للفرقد. وهما فرقدان.يقول: ابنك أحد الفرقدين، والمصباح الفرقد الثاني، وأنت بدر الدجى؛ لما لك من الفضل، والمجلس هو الفلك الذي يجوز هذه الأشياء. شبه ابنه بأحد الفرقدين والمصباح بالثاني، والأب بالبدر، والمجلس بالفلك فجمع فيه أربع تشبيهات. ومثله للمخزومي:كأن سعيدا وأبناءه ... نجوم وبدر إذا ما اتسقيفتخر بشعر على أبي بكر الطائي وكان قد نام ساعة إنشاده قال: ونام أبو بكر الطائي وأبو الطيب ينشده فأنبهه:إن القوافي لم تنمك وإنما ... محقتك حتى صرت ما لا يوجدأي أنها لم تنمك بل أهلكتك حتى صرت غير موجود! والغرض أنه لو كان من المميزين لم ينم من شعره.فكأن أذنك فوك حين سمعتها ... وكأنها مما سكرت المرقدالمرقد: الدواء المنوم، وقوله مما سكرت في معنى المصدر، كأنه قال: من سكرك.يقول: كأن أذنك حين سمعت القوافي، فوك. وكأن ما أنشدته لك من الشعر، هو الدواء المرقد، فشربته وسكرت، لأن نومك من القوافي، لا من الخمرة وروى لما سكرت.وقال يتغزل أيضا:كتمت حبك حتى منك تكرمة ... ثم استوى فيك إسراري وإعلانييقول: كتمت حبك حتى كتمته منك تكرمة لك، إذ في إظهاره فضيحة المحبوب، أو تكرمة لنفسه من الاستكانة للنساء، ثم أطلق كتمانه، فظهر بما دل عليه من الأمارات، كالبكاء والنحول وغير ذلك، فاستوى فيه إسراري وإعلاني؛ لأن السر في الظهور كالعلانية. ويجوز أن يكون المراد به أنهما استويا في الكتمان، والمقصد أنه لم يظهر قط، بل بقي كما كان من الإسرار.كأنه زاد حتى فاض عن جسدي ... فصار سقمي به في جسم كتماِنيالهاء في كأنه: ضمير الكتمان، ودل عليه قوله: كتمت. ويجوز أن يكون راجعا إلى الحب، أي زاد حبي حتى أسقم كتماني؛ فضعف عن حمل الكتمان. والكناية في به: ترجع إلى الحب.." (١)

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٤٨

"يقول: حتى أتو به قبرا، كأن ضريحه حفر في قلب كل موحد، يعني أن موته صعب على الموحدين؛ فكأنهم حفروا قبره في قلوبهم؛ لعظم تأثيره فيهم. وقيل: أراد أنه ليس يغيب ذكره عن قلوب الموحدين فكأنه دون فيها، ويجوز أن يريد بتشبيه قبره بقلوب الموحدين: إشارة إلى حصول النور فيه لما دفنه فيه كالنور الذي يكون في قلب المؤمن الموحد.بمزود كفن البلى من ملكه ... مغف وإثمد عينه الكافورمزود: صفة لمحذوف، أي برجل مزود.يقول: أتوا القبر برجل مزود عن جميع ما يملكه، كفنا يبلى وهو مغف: أي مغض عينيه. وإثمد عينيه: أي كحلهما. الكافور: أي إنه لم يحمل من ماله لنفسه إلا الكحل والكفن والحنوط.فيه السماحة والفصاحة والتقى ... والبأس أجمع والحجا والخيرأي في الجدث. أو في المرثى، والخير هنا: الكرم. والحجا: العقل فكأنه يقول: إن هذه المعاني دفنت بدفنه.كفل الثناء له برد حياته ... لما انطوى فكأنه منشورانطوى: كناية عن موته. والمنشور: عن حياته.يقول: كفل له الثناء أو الذكر برد حياته، فكأنه حي بعد الدفن والموت، يعني: أن ذكره الجميل باق بعده، فكأنه لم يمت؛ لقيام ذكره له مقام الحياة ومثله لآخر:ردت صنائعه إليه حياته ... فكأنه من نشرها منشورفكأنما عيسى بن مريم ذكره ... وكأن عازر شخصه المقبوريقول: إن ذكره الباقي بعده، أحياه فكأن ذكره، المسيح عليه السلام، وكأن شخصه المقبور، عازر. وهو: الذي أحياه الله تعالى على يد السيد المسيح.واستزاده بنو عم الميت فقال **ارتجالا:**غاضت أنامله وهن بحور ... وخبت مكايده وهن سعيريقول: كانت أنامله في الجود كالبحور، فغار ماؤها، وكانت مكايده في الحرب سعيرا، فخبت وطفئت.يبكى عليه وما استقر قراره ... في اللحد حتى صافحته الحورقراره: يرفع وينصب؛ الرفع باستقر، والنصب على الظرفية.يقول: يبكى عليه، ومن الواجب ألا يبكى عليه؛ لأنه لم يستقر قراره حتى أتاه من الكرامة والثواب، وصافحته الحور، ويجوز أن يكون على الاستفهام والتوبيخ، أي نبكي وهو لم يستقر قراره حتى صافحته الحور.صبرا بني إسحاق عنه تكرما ... إن العظيم على العظيم صبورنصب صبرا: على المصدر أي اصبروا صبرا، وتكرما: نصب لأنه مفعول له.يقول: اصبروا وترفقوا عن الجزع عن هذا الميت؛ لأن قدركم عظيم، والمفجوع به عظيم، والمصيبة بمثله عظيمة، والعظيم يصبر على العظيم، فاصبروا على عظماء.فلكل مفجوع سواكم مشبه ... ولكل مفقود سواه نظيريقول: لكل مصاب نظير غيركم فإنه لا نظير لكم، ولكل مفقود غير هذا الميت نظير، فإنه لا نظير له. أي ليس في الأحياء مثلكم ولا في الأموات مثله! وقيل: إن هذا أمر عام فلكم أمثال وله نظير؛ لأن المفجوعين والمفقودين كثير.أيام قائم سيفه في كفه ال ... يمنى وباع الموت عنه قصيرأيام: نصب بقوله لكل مفقود سواه نظير أيام.يقول: لكل مفقود نظير أيام. وقيل: تقديره اذكر، أو اذكروا أيام.يقول: كانقائم سيفه أيام

حياته في يمناه إشارة إلى شجاعته، وكان باع الموت مع طوله واقتداره، قصير عنه!ولطالما انهملت بماء أحمر ... في شفرتيه جماجم ونحورفاعل انهملت: جماجم ونحور.يقول: لطالما انهملت جماجم ونحور، بماء أحمر، وهو الدم. في شفرتيه: أي شفرتي سيفه.فأعيذ إخوته برب محمد ... أن يحزنوا ومحمد مسروريقول: أعيذ إخوة الميت، برب محمد، وهو الميت، أن يحزنوا عليه، وهو مسرور: أي بما أتاه الله من الثواب والكرامة، وأسباب المسرة. ويجوز أن يكون محمد الأول النبي صلى الله عليه وسلم، والثاني الميت.أو يرغبوا بقصورهم عن حفرة ... حياه فيها منكر ونكيريقول: وأعيذهم أن يرغبوا في قصور الدنيا عن دار الآخرة، وأن ينسوا ما يلزمهم من الأعمال الصالحة، فكنى عن الآخرة بحفرة هذا الميت، الذي حياه فيها منكر ونكير، فكأنه يحثهم على الاستعداد للموت. وقيل: أراد أعيذهم أن يتركوا زيارة قبر هذا الميت، الذي حياه فيه منكر ونكير، ويلزموا قصورهم المنيفة.نفر إذا غابت غمود سيوفهم ... عنها فآجال العداة حضور." (١)

"يقول: هم نفر، إذا سلوا سيوفهم، ففارقت غمودها حضرت آجال العباد، وقتلوا من شاءوا.وإذا لقوا جيشا تيقن أنه ... من بطن طير تنوفة محشورالضمير في لقوا: يعود إلى النفر، والتنوفة: الفاختة. وتيقن فعل الجيش. والهاء في أنه للجيش، ووحد محشور لهذا المعنى.يقول: إنهم إذا لقوا جيشا في الحرب تيقن ذلك الجيش أنهم مقتولون فتأكلهم طيور الفاختة، فيحشرهم الله تعالى يوم القيامة من بطونها.لم تثن في طلب أعنة خيلهم ... إلا وعمر طريدها مبتوريقول: إنهم لا يثنون أعنة خيلهم في طلب عدوهم، إلا أدركوه، وجعلوا عمره مبتورا: أي مقطوعا.يممت شاسع دارهم عن نية ... إن المحب على البعاد يزورعن نية: أي بعد.يقول: إني قصدت دارهم البعيدة، على بعد المسافة؛ لحبي لهم، وقد تبين ذلك. ويجوز أن يريد بقوله عن نية: أي عن قصد مني إليهم، ونية مني على زيارتهم؛ لحبي إياهم، ولم يكن ذلك اتفاقا، أو على سبيل الاجتياز بهم. ثم قال: إن المحب على البعاد يزور وهذا كقول القائل وهو:من عالج الشوق لم يستبعد الداروقريب منه قول الآخر:وما كنت زورا ولكن ذا الهوى ... إذا لم يزر لابد أن سيزورومثله قولهم:إن المحب إذا لم يستزر زاراوقنعت باللقيا وأول نظرة ... إن القليل من الحبيب كثيريقول: رضيت برؤيتهم، بل بأول نظرة ولم أطل المقام للنظر؛ لأن القليل من المحب كثير فأنا محب لهم.إن من قوله: غاضت أنامله إلى قوله: ولطالما انهملت بماء أحمر زيادة قالها **ارتجالا**، بعد أن قال القصيدة فألحقت في هذا الموضع.وسأله بنو عم الميت أن ينفي الشماتة عنهم فقال **ارتجالاك**ألآل إبراهيم بعد محمد ... إلا حنين دائم وزفيرالهمزة:

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٦١

للاستفهام، ومعناه الجحد.يقول: ما لآل إبراهيم وهم بنو عم الميت بعد موت هذا الرجل إلا الحنين الدائم، وهو الشوق إليه، وكذلك الزفير الدائم والبكاء أسفا عليه، وإنما قال ذلك: لأن بعضهم قالوا: إنهم شمتوا به، فنفى عنهم ذلك.ما شك خابر أمرهم من بعده ... أن العزاء عليهم محظوريقول: ما شك من اختبر أمرهم وتأمله، من بعد المتوفى أن الصبر عليهم ممنوع حرام؛ لما هم فيه من الغم والجزع والقلق والهلع.تدمي خدودهم الدموع وتنقضي ... ساعات ليلهم وهن دهورفاعل تدمي: الدموع، ومفعوله: خدودهم، والواو في قوله وهن واو الحال.يقول: إنهم من كثرة ما جرت دموعهم على خدودهم قرحت خدودهم حتى صارت تدمى، وإنهم من كثرة سهرهم بالليل، صارت ساعات الليل عندهم بمنزلة الدهور. وقيل: أراد، إنهم يبكون الدم مكان الدمع.أبناء عم كل ذنب لامرىء ... إلا السعاية بينهم مغفوريقول: هم أبناء عم واحد، فكل ذنب لديهم مغفور، إلا السعاية بينهم، فإن من حقهم ألا يغفروها، وأن يعاقبوا من سعى بينهم بالعداوة.طار الوشاة على صفاء ودادهم ... وكذا الذباب على الطعام يطيريقول: إن الوشاة تعرضوا ليفسدوا ما بينهم من صفاء الود، كما أن الذباب يطير على الطعام لإفساده، ولم تؤثر وشايتهم في ودادهم، إلا قدر ما أثر الذباب في إفساد الطعام، إذا طار عليه. وهذا إشارة إلى قلة الوشاة وحقارتهم، وقيل أراد بقوله: طار الوشاة، أي ذهبوا وهلكوا.ولقد منحت أبا الحسين مودة ... جودي بها لعدوه تبذيرأبو الحسين: أخ الميت. وقيل: هو المرثي.يقول: إني منحته مودة عظيمة، ولو وجدت بها لعدوه لكان تبذيرا وكنت مبذرا مسرفا؛ وذلك لنقصان عدوه فلا يستحق مودتي، أو لكثرة حقوقه وعظم مننه لدي، لو أحببت غيره كحبه، لكنت واضعا للمودة في غير موضعها.ملك تكون كيف شاء كأنما ... يجري بفضل قضائه المقدوريقول: إنه ملك تكون على مشيئته، اختيار كيف شاء، حتى كأن المقادير تجري على مراده، فلم يجر عليه شيئا يكرهه.وقال أيضا في نفي الشماتة عنهم:لأي صروف الدهر فيه نعاتب؟ ... وأي رزاياه بوتر نطالب؟اللام في لأي: يجوز أن تجعل زائدة؛ لتقديم المفعول كقوله تعالى: " للرؤيا تعبرون " وإن كان لا يقال: عبرت للرؤيا، ويجوز أن تجعل: لام الغرض. فكأنه قال: لأي أفعال الدهر في هذا نعاتب الدهر.." (١)

"يقول: يفدي هذا الشريف الجواد السيد، كل من على الأرض، أولهم أنا البادىء بالفداء له قبلهم. والغبراء: اسم الأرض.لقد حال بين الجن والإنس سيفه ... فما الظن بعد الجن بالعرب والعجميقول: حجز سيفه بين الجن والإنس؛ فمنع الجن عن قصدهم الشر للإنس، فإذا كان تأثيره في الجن! فما الظن بالإنس؛ في دفع بعضهم عن بعض. وروى بين الجن والأمن سيفه. يعني أن سيفه أخاف الجن وأزال عنهم الأمن

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٦٢

والسكون.وأرهب حتى لو تأمل درعه ... جرت جزعا من غير نار ولا فحميقول: قد أخاف كل شيء حتى الجمادات! فلو أنه أحد النظر إلى درعه لذابت؛ خوفا منه، من غير نار وفحم، وإن لم يكن لها تمييز وعقل.وجاد فلولا جوده غير شارب ... لقيل كريم هيجته ابنة الكرميقول: لولا علمنا بأنه صاح مع كثرة جود منه، لقلنا إنه لفرط جوده سكران، وإن الذي حمله على جوده هو سكره الذي حصل له من الخمر.أطعناك طوع الدهر يا ابن ابن يوسف ... بشهوتنا والحاسدو لك بالرغمالحاسدو لك: أراد بهم الحاسدون لك، غير أنه حذف النون. وروى: الحاسدون على الرغم: وهو عطف على الضمير في أطعناك الذي هو النون والألف، وحسن العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد المنفصل لطول الكلام.يقول: أطعناك طاعة الدهر لك، وأطعناك أبد الدهر، بشهوة ومحبة، والذين حسدوك أطاعوك على رغم منهم وذل.وثقنا بأن تعطى فلو لم تجد لنا ... لخلناك قد أعطيت من قوة الوهمكان حقه أن ينصب الياء من تعطى بأن، غير أنه سكنه ضرورة.يقول: لقوة ظنوننا وثقنا بأنك تعطينا، حتى لو لم تعطنا لظننا أنك قد أعطيتنا من قوة الوهم ولما شاهدنا من دوام جودك وكثرة عطاياك.دعيت بتقريظك في كل مجلس ... وظن الذي يدعو ثنائي عليك اسميروى: دعيت، أي سميت بمدحي لك، يعني صار اسمي: مدحي لك فقيل: هذا الذي مدح الأمير، وعلى الأول: صار اسمك مدحي إياك. وقيل: هذا الذي قيل فيه كذا. وظن الذي يدعوني ويسميني أن اسمي: الثناء عليك، فيدعوني به، فيقول: يا من أثنى على الأمير ويا مادح الأمير.وأطمعتني في نيل ما لا أناله ... بما نلت حتى صرت أطمع في النجمروى: أعلق بالنجم.يقول: أطمعتني في نيل ما لا أكاد أصل إليه، حتى صرت أطمع في نيل النجم الذي يعجز عن نيله كل حي.إذا ما ضربت القرن ثم أجزتني ... فكل ذهبا لي مرة منه بالكلميقول: أنت تضرب الطعنة الواسعة فإذا ضربت القرن ثم أردت أن تعطيني الجائزة فكل لي ملء الجراحة ذهبا، والهاء في منه راجعة إلى القرن.أبت لك ذمي نخوة يمنية ... ونفس بها في مأزق أبدا ترميالنخوة: الكبرياء.يقول: ابت ذمي لك نخوتك اليمنية، وأراد به وجهين: أحدهما أن الممدوح كان يمينا والمتنبي أيضا ينسب إلى كندة، وهم من اليمن. فيقول: كونك من اليمن تأبى نفسي أن تذمك مع ما كان بيننا من الرحم، أو يريد: أن نخوتك في نفسك وهمتك العالية يمنعاني عن ذمي لك وعن هجوك، وكذلك يأبى ذمي لك، نفسك التي ترمي بها في كل معركة. وقيل: إنما ذكر ذلك لأنه كان متهما بهجو ذلك الممدوح، فأراد إزالة هذه التهمة عن نفسه بهذا القول.فكم قائل: لو كان ذا الشخص نفسه ... لكان قراه مكمن العسكر الدهمالقرى: الظهر. والدهم: الكثير.يقول: كم من قائل يقول: لو كان نفس هذا الممدوح جسم! لكان ظهره مستقرا للعسكر الكثير. يصف سعة نفسه وعظمها، وأن بعضها يسع

الكثير من العسكر.وقائلة والأرض أعني تعجبا ... علي امرؤ يمشي بوقري من الحلميقول: ورب قائلة، وأعني بها الأرض على وجه التعجب: علي رجل يمشي، عليه مثلي من الحلم!عظمت فلما لم تكلم مهابة ... تواضعت وهو العظم عظما عن العظميقول: عظم قدرك، فمنعت هيبتك أن تكلم، فلما علمت أن الناس هابوك تواضعت فتعظمت بذلك التواضع عظما عن العظم، وذلك التواضع هو عين العظم. يعني: التواضع رفع النفس عن التكبر.ودخل على علي بن إبراهيم التنوخي فعرض عليه كأسا بيده، فيها شراب أسود فقال **ارتجالا**:إذا ما الكأس أرعشت اليدين ... صحوت فلم تحل بيني وبينيلم تحل: أي لم تمنع، وهو فعل الكأس.." (١)

"يقول: سبقت بالفضل كل سابق، فما يجاريك أحد؛ لعلمه بالقصور عنك. وجاوزت في العلو والقدر غاية لا يمكن لأحد أن يباريك في العلو والارتفاع، ويغلبك فيه.وأقسم لو صلحت يمين شيء ... لما صلح العباد له شمالاوروى: الأنام بدل العباد.يقول: إنك تقوم مقام الخلق كلهم وتزيد عليهم، وهم لا يقدرون على الاستقلال بما تقدر عليه وحدك؛ فضرب اليمين مثلا للقوة والأمر العظيم الذي يحتاج فيه إلى فضل القوة، وضرب الشمال مثلا للضعف وما لا يحتاج فيه إلى فضل القوة.أقلب منك طرفي في سماء ... وإن طلعت كواكبها خصالاخصالا: نصب على الحال. شبهه بالسماء، وخصاله بالكواكب.يقول: أنا أنظر منك إلى سماء من المجد، ونجوم: الخصال الجميلة.وأعجب منك كيف قدرت تنشا ... وقد أعطيت في المهد الكمالا!يقول: أعجب منك! كيف قدرت على أن تزيد وتنشأ شيئا بعد شييء، وأنت قد حويت الكمال في المهد! وهو من قوله تعالى: " وآتيناه الحكم صبيا " " قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ".وقال فيه **ارتجالا** يمدحه. وهو على الشراب وقد صفت الفاكهة والنرجس.إنما بدر ابن عمار سحاب ... هطل فيه ثواب وعقابهطل: أي كثير المطر.يقول: إن الممدوح كالسحاب الهطل، فيه شر لأعدائه وخير لأوليائه، كالسحاب الذي يرجي مطره وتخشى صواعقه.إنما بدر رزايا وعطايا ... ومنايا وطعان وضرابمعناه: أنه ذو رزايا إلى آخره. وصفه بهذه الأشياء مبالغة، من حيث أن هذه الأوصاف لما كثرت منه كأنه خلق منها، كما تقول لمن كثر منه الأكل والشرب: أنت أكل وشرب فلما كثر منه ما ذكر صار كأنه خلق منها.ما يجيل الطرف إلا حمدته ... جهدها الأيدي وذمته الرقابنصب جهدها، لأنه مصدر أقيم مقام الحال: أي حمدته جاهدة جهدها. ويروى: الطرف بكسر الطاء: وهو الفرس الكريم. يعني: ما يجيل فرسه في الحرب إلا حمدته الأيدي أي أيدي جيشه ورجاله؛ لأنه يكفيها ألم الطعن والضرب والرمي، وتولى هو بنفسه ضراب

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٦٩

أعدائه.وقيل: أراد حمدته الأيدي في تلك الحال على بذله الأموال ونشره النوال. وتذمه الرقاب: أي تذمه رقاب أعدائه، لأنه يقطها. ومعناه أنه لا يتغير. وأراد بذلك: أن الحرب لا يشغله عن الجود. ومثله قوله:فواهب والرماح تشجره ... وطاعن والهبات متصلهوقد يروى: ما يجيل الطرف بفتح الطاء: أي أنه في كل لمحة يجيل طرفه فينعم على قوم ويضرب رقاب قوم، فالأيدي تحمده على العطاء والرقاب تذمه على قطعها.ما به قتل أعاديه ولكن ... يتقي إخلاف ما ترجو الذئابيقول: إنه ليس يقتل أعداءه خوفا منهم، وما به حاجة إلى قتلهم؛ لأنهم عجزوا عنه، ولكنه عود إنالة جوده وعطائه كل شيء، حتى الذئاب، فإن عز إطعام لحوم القتلى، فيكره إخلاف ما عوده؛ لألأ يخيب رجاء الذئاب ومثله قوله:سفك الدماء بجوده لا بأسه ... كرما لأن الطير بعض عيالهفله هيبة من لا يترجى ... وله جود مرجى لا يهابلا يترجى: أي لا يرجى.يقول: إنه عظيم الهيبة واسع الجود، فمن يهابه لا يرجو عفوه، لشدة سطوته وعظم هيبته، ومن يرجوه لا يخاف سطوته لسبق جوده وعظم كرمه؛ لأنه يضع كلا موضعه، فالمسيء لا يرجو رضاه والمحسن لا يخاف سخطه.طاعن الفرسان في الأحداق شزرا ... وعجاج الحرب للشمس نقابشزرا: أي يمينا وشمالا، وقيل: هو الذي أريد به أعلى الصدر.يقول: هو يطعن الفرسان في أحداقهم حين تشتد الحرب ويرتفع الغبار، وتصير الشمس من كثرة الغبار مستترة، فكأن الغبار نقاب للشمس.وتخصيص الأحداق بالطعن؛ بيان لحذقه بالطعن، وثبات قلبه، وأنه يهتدي في مثل هذا الخوف والظلمة إلى الأحداق، أو إشارة إلى أن سائر الأبدان مغطاة بالسلاح، سوى الأحداق.باعث النفس على الهول الذي ... ما لنفس وقعت فيه إيابالهاء في فيه: للهول.يقول: إنه يطرح نفسه ويحملها على أمر مهول، بحيث أن من وقع فيه لم يسلم منه، ولا ترجع نفس وقعت في ل الأمر المهول. يصفه بالشجاعة والإقدام ومثله قوله:وأورد نفسي والمهند في يدي ... موارد لا يصدرن من لا يجالدبأبي ريحك لا نرجسا ذا ... وأحاديثك لا هذا الشراب." (١)

"ونظر أبو الطيب ثيابا مطوية إلى جانبه فسأل عنها. فقيل له: هي خلع الولاية. وكان أبو الطيب ذلك اليوم عليلا فقال **ارتجالا**:أرى حللا مطواة حسانا ... عداني أن أراك بها اعتلاليالحلة: ثوبان، إزار ورداء، ومطواة: أي مطوية وعداني. أي صرفني، وفاعله: اعتلالي.يقول: أرى حللا على جنبك حسنة مطوية، وإنما منعني أن أراك وهي عليك مرضى.وهبك طويتها وخرجت عنها ... أتطوي ما عليك من الجمال؟يقول: إنك وإن نزعتها وطويتها، فإنك في حلل من جمالك وحسنك، لا تقدر أن تخرج منه ولا أن تطويه.لقد ظلت أواخرها الأعالي ... مع الأولى بجسمك في قتالالأواخر: جمع آخر. والأعالي: جمع أعلى.جعل

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/١٢٥

الأعالي منها أواخر، لأنها تلبس بعد الشعار، فهي متأخرة عنها في البشرة. والأولى ما ولي الجسم وقرب منه، وقيل: الأعالي. ما يكون أعلى محلا؛ وأشرف الثياب. يلبس آخرا.يقول: إن الحلل التي لبستها تقاتل أعاليها التي هي أواخرها، مع التي تلي جسدك، وحسدتها وطلبت كل واحدة منهما أن تكون هي التي تلي جسدك وتقرب مك.تلاحظك العيون وأنت فيها ... كأن عليك أفئدة الرجاليقول: إن الناس كانوا ينظرون إليك، وهي عليك نظر محبة واستحسان، حتى كأن التي عليك ولبستها قلوب الناس، لتعلق القلوب بها واستحسانهم إياها عليك، ومثله قوله: كأن عليه من حدق نطاقاومثله الآخرلمقلتيها عظم الملك في المقلمتى أحصيت فضلك في كلام ... فقد أحصيت حبات الرمالروى في مديح وفي كلام يقول: لك فضائل عدد الرمل، فإن قدرت على عدها فقد أحصيت مديحك وهذا غير ممكن، فكذلك عد فضائلك.وسار بعد ذلك إلى الساحل ولم يسر معه أبو الطيب فبلغه أن الأعور بن كروس كتب إلى بدر يقول له: إنما تخلف عنك أبو الطيب رغبة عنك، ورفعا لنفسه على المسير معك. ثم عاد بدر إلى طبرية فضربت له قباب عليها أمثلة من تصاوير. فقال أبو الطيب في ذلك يمدحه ويعتذر عن تخلفه عنه.الحب ما منع الكلام الألسنا ... وألذ شكوى عاشق ما أعلناما يجوز أن تكون بمعنى الذي، ويجوز أن تكون للنفي. ومنع: يتعدى إلى مفعولين: أحدهما الكلام، والثاني الألسن، وهي جمع اللسان. وروى: الألسنا: وهو الأفصح وما في قوله: ما أعلنا بمعنى الذي، وأصله ما أعلنه، فحذف الهاء.يقول على الأول: الحب هو الذي يمنع الكلام من أن يعلن بالنطق ما في قلبه، وإذا لم يكن كذلك فليس بالحب الحقيقي. وتم الكلام ها هنا، وهذا مثل قول الآخر:وما هو إلا أن أراها فجاءة ... فأبهت حتى لا أكاد أجيبثم قال: وألذ شكوى عاشق ما أعلنا أي ألذ الشكوى للعاشق ما باح بها لكل أحد كقول أبي نواس:فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونهاستروقيل: إن أحد المصراعين متعلق بالآخر. ومعناه: الحب الحقيقي ما منع الألسن أن تبوح، في حال يلتذ العاشق فيها بالشكوى، فيدرك الإبقاء على حبيبه والخوف من إغراء العذال به، فيدع ما يشتهيه، مراعاة للحبيب كما قال الشاعر:ولست بواصف أبدا حبيبا ... أعرضه لأهواء الرجالوقوله: وألذ شكوى، على هذا. في موضع الحال. ويجوز: أن يكون ما في قوله: ما أعلنا. بمعنى المصدر، فلا يحتاج إلى الهاء العائدة إليه، أي ألذ شكوى عاشق إعلانه.وعلى الثاني: الحب لم يمنع الألسن من الكلام، كأنه يحسن عند نفسه الشكوى؛ لأن في ذلك راحته وقوله: وألذ شكوى. تأكيد للمعنى الأول، وتعليل له.ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى ... من غير جرم واصلي صلة الضننصب هجر الكرى وصلة الضنى على المصدر. أي الذي هجرني مثل هجر الكرى.يقول: ليت الحبيب الذي هجرني من غير ذنب مني، هجر

النوم عينين بهجره، وواصلني مثل مواصلتي السقم، حتى واصلني النوم وهجرني السقم.بنا: أي تباعدنا. وقوله: فلو حليتنا. أي وصفت واكتسيت حليتنا. امتقع لونه وابتقع وانتقع: إذا تغير.يقول لصاحبه: إنا لما تفرقنا تغيرت ألواننا من خوف الفراق وحزن التباعد وطول الضنى، فلو أردت وصفنا لم تقدر عليه، ولم تدر بأي شيء تصفنا؛ لكثرة ما ننتقل من لون إلى لون. وقوله: تلونا، نصب على التمييز.." (١)

"يقول: أنا أظهر لك أني أنظر إلى الشطرنج وليس كذلك، فإني أنا أتأمل فيك، وأتمتع برؤيتك، وأنظر في أفعالك، وقيامي بين يديك خدمة لك؛ لتأمرني بشيء فأمتثل أمرك.سأمضي والسلام عليك مني ... مغيبي ليلتي، وغدا إيابيروى: وعدي إيابي. يستأذنه في الانصراف.يقول أغيب ليلتي هذه لا غير، وغدا أعود إليك.قال ابن جنى: أنا اتهم هذه القطعة، ولم أقرأها عليه وكلامه عندي أجود من هذا.وأخذ الشراب من أبي الطيب، وأراد الانصراف، فلم يقدر على الكلام. فقال هذين البيتين وهو لا يدري أنه قالهما، فلما أصبح أنشده إياهما ابن الخراساني وهما قوله:نال الذي نلت منه مني ... لله ما تصنع الخموروذا انصرافي إلى محلي ... آآذن لي أيها الأمير؟تقديره: نال مني الذي نلت منه.يقول: شربت الخمر من عقلي ما شربت أنا منها. وقوله: لله ما تصنع الخمور عجبا من صنيع الخمور بالنا.ثم قال: إأذن لي أيها الأمير في الانصراف إلى منزلي، فإني رأيت الخمر تغلب الإنسان.وعرض عليه من غده الصحبة فقال ارتجالا يعتذر عن الصبوح من غد:وجدت المدامة غلابة ... تهيج للمرء أشواقهتسيء من المرء تأديبه ... ولكن تحسن أخلاقهقوله: تهيج للمرء أشواقه. أي تهيج ما سكن من أشواقه. وقوله: تسيء إلى آخره المراد به: من حيث تحمله على الجهل، وطرح الحشمة وإظهار الوقاحة، ولكن تحسن أخلاقه من حيث تورث الفرح وتحمل الإنسان على السخاء. ومع ذلك لا يفي خيرها بشرها.وأنفس ما للفتى لبه ... وذو اللب يكره إنفاقهروى: مال الفتى وما للفتى.يقول: أعز شيء في الإنسان عقله، والخمر تفسده والعاقل يكره تضييع عقله وإنفاقه.وقد مت أمس بها موتة ... وما يشتهي الموت من ذاقهيقول: لما شربتها أمس فقدت حسي وصرت إلى حال الموت! ومن ذاق الموت لا يشتهيه مرة أخرى.ذكر هذه الأبيات استعفاء من شرب الشراب.وقال يصف لعبة وكان لبدر جليس أعور يعرف بابن كروس، يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره؛ لأنه لم يكن يجري في المجلس شيء إلا ارتجل فيه شعرا، فقال لبدر: أظنه يعمل هذا قبل حضوره ويعده معه، ومثل هذا لا يجوز أن يكون، وأنا أمتحنه بشيء أحضره للوقت، فلما كمل المجلس ودارت الكئوس استخرج لعبة قد استعدها، لها شعر في طولها، تدور على لولب، إحدى رجليها مرفوعة، وفي يدها طاقة

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/١٣١

ريحان، تدار فإذا وقفت حذاء إنسان شرب ووضعها من يده، ونقرها فدارت فقال المتنبي:وجارية شعرها شطرها ... محكمة نافد أمرهاقوله: محكمة أي جعل الحكم لها. وشطر الشيء: نصفه.يقول: إن شعرها على مقدار نصفها، وهي مقبولة الحكم، وأمرها نافذ؛ لأنها كانت إذا وقفت عند إنسان شرب قدحا، فكأنها حكمت عليه بأن يشرب.تدور وفي يدها طاقة ... تضمنها مكرها شبرهاأراد بالشبر: اليد. يعني أن في يدها ريحان، وأن يدها تضمنته مكرهة؛ لأنها لا اختيار لها.فإن أسكرتنا فـفي جهلها ... بما فعلته بنا عذرهاتقديره: ففي جهلها عذرها بما فعلته بنا.يقول: إن كانت حكمت علينا بالشرب حتى سكرنا، فإن جهلها بما فعلته بنا، عذرها لنا.وأديرت فوقفت حذاء أبي الطيب فارتجل يصف اللعبة نفسها:جارية ما لجسمها روح ... بالقلب من حبها تباريحالتباريح: جمع التبريح، وهو شدة الشوق. وجارية: رفع؛ لأنها خبر ابتداء محذوف. أي هذه جارية.يقول: إنها وإن كانت غير ذات روح، فإن حبها قد برح بقلبي.في يدها طاقة تشير بها ... لكل طيب من طيبها ريحسأشرب الكأس من إشارتها ... ودمع عيني في الخد مسفوحالواو في قوله: ودمع عيني واو الحال.يقول: إن رائحة كل طيب مكتسب من هذه الطاقة التي في يدها، ثم قال: أشرب الخمر بإشارتها، ودمع عيني في تلك الحال مصبوب؛ لأن كل من شرب الخمر تذكر حبيبه فيهيج له من ذلك الذكر الحزن، فيؤدي إلى البكاء.وأدارها فوقفت حذاء بدر فقال:يا ذا المعالي ومعدن الأدب ... سيدنا وابن سيد العربأنت عليم بكل معجزة ... ولو سألنا سواك لم يجبأهذه قابلتك راقصة ... أم رفعت رجلها من التعب؟!." (١)

"وقيل على الثاني: استعمال الحديد معك لا ينفع ولا حاجة إلى الزند، مع أنك توري، ولذلك لا يلقاك أحد إلا من جعل سيفه من نفاق، وتصنع الاستماح منك دون المجاهرة بعداوتك.إلف هذا الهواء أوقع في الأن ... فس أن الحمام مر المذاقيقول: هؤلاء الذين يداجونك بالعداوة، ألفوا هذه الدنيا وتنسم هذا الهواء، ومن ألف الدنيا واستطاب حياتها، فهو يختار ما يؤدي إلى القيام بأمرها، فإلفهم لها أوقع في أنفسهم: أن الموت مر المذاق.والأسى قبل فرقة الروح عجز ... والأسى لا يكون بعد الفراقيؤكد المعنى الذي ذكره. يقول: الجزع من الموت قبل حلوله عجز وجبن، فلا معنى له والروح بعد لم تفارق، فإذا فارقت الروح بطل الجسم وزالت حياته وبطل حسه، فإذا ليس للجزع من الموت وجه.كم ثراء فرجت بالرمح عنه ... كان من بخل أهله في وثاقالثراء والثروة: المال. والوثاق: بالفتح ما يوثق به. يقول: كم مال كان في بيت بخيل قتلته واحتويت عليه وفرقته إلى أهله، وكان عندهم في وثاق البخل، ففرجت عنه وفككته من

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/١٣٨

وثاقه.والغنى في يد اللئيم قبيح ... قدر قبح الكريم في الإملاقالإملاق: الفقر.يقول: الغنى لا يحسن في يد البخيل إذ لا يفرح أحد به ولا يظهر عليه، فهو في القبح في اللئيم، كالفقر بالكريم.ليس قولي في شمس فعلك كالشم ... س ولكن في الشمس كالإشراقيقول: ليس ثنائي عليك. وضع لشمس فعلك كالشمس، لكنه دليل على فعلك، وإذاعة له وتسيير له في البلاد، كالإشراق للشمس إذ لولاه ما كانت الشمس تشمل العالم بضوئها، فكذلك لولا ثنائي لكاد لا ينشر ذكره.وقيل: معناه إن قولي ليس نظيرا لفعلك، ولكنه صادر عنه، كانتشار الضوء عن الشمس، ففعلك شمس وثنائي إشراقها.شاعر المجد خدنه شاعر اللف ... ظ كلانا رب المعاني الدقاقالخدن: الصديق، واراد به نفسه. وجعله خدنا تخصصا به وتحققا بمودته. وفيه ضرب من الكير وتطاول العنق! يقول: هو شاعر المجد يبدي فيه البدائع والغرائب، وأنا شاعر اللفظ، فكل واحد منا بديع في فنه، ويغرب في شعره، ويأتي بدقائق المعاني التي يعجز عنها غيره، فالملوك عجزوا عن مجده، والشعراء عجزوا عن شعري وهذا من قول البحتري:غربت خلائقه وأغرب شاعر ... فيه فأبدع مغرب في مغربلم تزل تسمع المديح ولكن ... صهال الجياد غير النهاقيقول: كنت أبدا تسمع المديح، ولكن لم يمدحك أحد مثلي، فشعري كصهيل الفرس الجواد، وشعر غيري كنهيق الحمار!ليت لي مثل جد ذا الدهر في الأد ... هر أو رزقه من الأرزاقأي: ليت حظي من السعادة مثل حظ هذا الدهر الذي أنت فيه في الأدهر، وليتني رزقت مثل ما رزق هذا الدهر.أنت فيه وكان كل زمان ... يشتهي بعض ذا على الخلاقمعناه: أنت في هذا الزمان، فكل زمان مضى قبله يشتهي أن يكون حصل له بعض ما حصل لهذا الزمان، لكونك فيه ومثله لمسلم:الدهر يغبط أولاه أواخره ... إذا لم يكن كان في أعصاره الأولودخل عليه يوما وهو على الشراب وبيده بطيخة من ند في غشاء من خيرزان، على رأسها قلادة لؤلؤ، فحياه بها وقال: أي شيء تشبه هذه فقال:وبنية من خيزران ضمنت ... بطيخة نبتت بنار في يدكل ما يبني: فهو بنية وبناء.يقول: هذه بنية من خيزران، جعلت فيها بطيخة نبتت من نار في يد صانعها فنباتها من النار يخالف سائر البطيخ.نظم الأمير لها قلادة لؤلؤ ... كفعاله وكلامه في المشهديقول: نظم الأمير في هذه البطيخة قلادة من لؤلؤ، وتشبه هذه القلادة فعله وكلامه في المجلس.كالكأس باشرها المزاج فأبرزت ... زبدا يدور على شراب أسودشبه هذه البطيخة بكأس فيه شراب أسود، والقلادة التي عليها بالزبد. الذي يعلو الشراب إذا مزج.وقال فيها أيضا **ارتجالا** يصف البطيخة:وسوداء منظوم عليها لآلى ... لها صورة البطيخ وهي من الندكأن بقايا عنبر فوق رأسها ... طلوع رواعي الشيب في الشعر الجعدالواو بمعنى رب. يقول: إنها في

صورة البطيخ، لكنها من الند! وقوله: رواعي: جمع راعية، وهي أول شعرة تبيض وقيل: ما انتشر منه في الرأس. وقيل: مقلوبة من رائعة، لأنها تروع.." (١)

"ويلقى كما تلقى من السلم والوغى ... ويمسى كما تمسى مليكا بلا مثلمعناه: أكله التراب قبل أن يلقى من الصلح والوغى مثل ما نلقى، وكذلك قبل أن يسمى مليكا بلا مثل، كما أنت تسمى كذلك الآن.توليه أوساط البلاد رماحه ... وتمنعه أطرافهن من العزلفاعل توليه: رماحه، ومفعوله الأول الهاء من توليه، والثاني أوساط البلاد.يقول: مات قبل أن توليه أطراف الرماح أوساط البلاد والممالك، وتمنعه أطراف الرماح من العزل. طابق بين أوساط البلاد، وأطراف الرماح، وبين الولاية، والعزل.نبكى لموتانا على غر رغبة ... تفوت من الدنيا ولا موهب جزليقول: نبكي على من مات منا، ولم يفته من هذه الدنيا حظ له خطر يوجب الأسف على مفارقته.إذا ما تأملت الزمان وصرفه ... تيقنت أن الموت ضرب من القتليقول: إذا تأملت أحوال الزمان، رأيت أنه عدو للإنسان، فلذا يحاربه، فإذا مات الإنسان فكأن الزمان قتله وظفر به.وقيل: معناه أن الموت كله قتل! وأسبابه مختلفة، فلاختلاف الأسباب اختلفت تسميته، فبعضه يسمى قتلا، وبعضه موتا: وهو ما كان على الفراش.هل الولد المحبوب إلا تعلة ... وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل؟التعلة: ما يعلل به الإنسان.يقول: السرور بالولد ليس شيئا يدوم، وإنما هو شيء يعلل به المرء نفسه ثم ينقطع! فإن الخلة بالمرأة الحسناء ليس إلا أذى البعل، من حيث يؤدي إلى أذى شديد؛ لأن غم موت الولد أكثر من السرور بهذه اللذة، فسمى تلك الخلوة بأسرها أذى لما يؤدي إليها.وقيل: معناه أن الذى فيها أكثر من حيث المؤن والكلف والغيرة عليها، والاشتغال بذلك يمنع من اكتساب المجد والأجر، فإذا كان هاتان اللذتان لا حقيقة لهما، فما سواهما أولى بذلك.وقد ذقت حلواء البنين على الصبا ... فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهلالحلواء: الحلاوة.يقول: قد ولدت في حداثة سني، وجربت حلاوة الأولاد فلا تظنن أني قلت ذلك عن جهل.وما تسع الأزمان علمي بأمرها ... وما تحسن الأيام تكتب ما أمليقول: علمي بالدهر أكثر من أحواله، فأزمانه لا تسع علمي بما أعلمه منه، ولو أمليت ما أعلم من أحوالها لم تحسن أن تكتبه.وما الدهر أهل أن يؤمل عنده ... حياة وأن يشتاق فيه إلى النسليقول: الدهر ليس بأهل أن يؤمل عنده حياة؛ لقلة وفائه! وليس بأهل أن يشتاق فيه إلى الولد.وقال يمدحه **ارتجالا**، وقد سئل عن وصف فرس يهديه إليه.موقع الخيل من نداك طفيف ... ولو أن الجياد فيها ألوفالطفيف: اليسير الحقير.يقول: الخيل عند جودك لا قدر لها، ولو وهبت منها ألوفا لاستقللتها، ولم تعتد بها.ومن اللفظ

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٢٠٠

لقطة تجمع الوص ... ف وذاك المطهم المعروفالفرس المطهم: هو الحسن التام الخلق، الذي كل عضو منه حسن على انفراده.يقول: من الألفاظ لفظ يجمع جميع الأوصاف، وهو المطهم المعروف. أتى بوصفه على وجه الإجمال، فجمع الوصف في أقل الألف ا ظ وأوجزها، ولم يذكر الوصف على سبيل التفصيل.ما لنا في الندى عليك اختيار ... كل ما يمنح الشريف شريفيقول: ما لنا في الندى اختيار: أي ليس الاختيار في ذلك إلينا فأنت كريم، وكل ما تمنحه شريف مثلك.وقال يمدحه وقد خيره بين فرسين: دهماء وكميت:اخترت دهماء تين يا مطر ... ومن له في الفضائل الخيردهماء: مضاف إلى تين أي: دهماء هاتين.يقول: اخترت الدهماء من هاتين الفرسين، وسماه مطرا على المبالغة في الجود. أي يا من له في الفضائل الاختيار. والخير: جمع خيرة.وربما فالت العيون وقد ... يصدق فيها ويكذب النظرفالت: أي أخطأت وضعفت، والهاء في فيها للدهماء المختار، أو لجملة الخيل.يقول: أنا اخترت منها هذه الدهماء؛ لأنها أحسن في عيني، وربما لم تكن كذلك بل غيرها خير منها؛ فإن العين ربما كذبت في النظر، وربما صدقت، وقد قلت ما رأيت.أنت الذي لو يعاب في ملإ ... ما عيب إلا بأنه بشرالملأ: جماعة الأشراف، والسادة.يقول: لو عابك عائب فيما بين الملأ، لم يجد لك عيبا إلا كونك من البشر، ومعناه لا عيب فيك؛ لأن هذا ليس بعيب.." (١)

"إن السلاح جميع الناس تحمله ... وليس كل ذوات المخلب السبعكل ذوات المخلب السبع: مبتدأ وخبر. في موضع نصب بخبر ليس، والاسم: مضمر وهو ضمير الأمر والشأن. وقيل: إن ليس ها هنا بمنزلة ما في لغة بني تميم لا ينصب خبرها.يقول: ليس كل من يحمل السلاح شجاعا، كما أن ليس كل ذي مخلب أسد، فقد يحمل الجبان السلاح كما يحمله الشجاع، وقد يكون لغير الأسد مخلب، كالكلب والذئب والضبع، كما يكون للأسد.وتوقف سيف الدولة في الغزاة الصائفة في جمادي الآخرة سنة أربعين وثلاث مئة ببقعة عربسوس على افتراق القرى ثم أصبح صافا يريد سمندو، وقد اتصل به أن العدو بها جامعا معد في أربعين ألفا، فتهيب جيش سيف الدولة الإقدام عليها، وأحب سيف الدولة المسير إليها، فاعترضه أبو الطيب وأنشده **ارتجالا** فلما بلغ إلى قوله:وإن كنت سيف الدولة العضب فيهمقال سيف الدولة: قل لهؤلاء وأومأ بيده إلى من حوله من العرب و العجم - يقولوا كما تقول حتى لا ينثني الجيش، فما تجمل أحد منهم بكلمة.نزور ديارا ما نحب لها مغنى ... ونسأل فيها غير سكانها الإذناالمغنى: المنزل. والضمير في لها وسكانها للديار.يقول: نحن نزور ديارا لا نحب مغانيها، لأنها ديار الأعداء، لا ديار الأحباب، وإن

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٢٣٣

كانت هذه ليست بزيارة، غير أن الصورة صورة الزيارة، لأنا لا نريد المقام بها كما يفعل الزائر، ونحن نسأل لدخول هذه الديار الإذن من غير سكانها الذين هم الروم، فنستأذن سيف الدولة، وندخلها بإذنه.نقود إليها الآخذات لنا المدى ... عليها الكماة المحسنون بها ظناالكناية في إليها ولها للديار، وفي عليها بها للآخذات، والمدى: الغاية. يقال: أخذ هذا الفرس المدى: إذا سبق.يقول: نقود إلى ديار الروم خيلا سوابق، عليها شجعان، يحسنون الظن لأنهم جربوها فعرفوها بالجودة.ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ... ونرضى الذي يسمى الإله ولا يكنيقول: نصفي الحب للذي كنيته: أبو الحسن، وهو سيف الدولة، ونرضي الله تعالى، وذلك اسمه، ولا يجوز أن يكنى.وقد علم الروم الشقيون أننا ... إذا ما تركنا أرضهم خلفنا عدنايقول: قد علم الروم الأشقياء أنا إذا ارتحلنا عن ديارهم، عدنا إليها مرة أخرى، ولا نزال نعاودهم حتى نستأصلهم.وإنا إذا ما الموت صرح في الوغى ... لبسنا إلى حاجاتنا الضرب والطعناصرح: ظهر، وانكشف.يقول: قد علموا أنا نخوض الضرب والطعن، حتى نصل إلى مرادنا ولا يردنا عنه الموت الصريح.قصدنا له قصد الحبيب لقاؤه ... إلينا، وقلنا للسيوف هلمناالضمير في له يعود إلى الموت. وفي قوله لقاؤه إلى الحبيب.يقول: إذا ظهر الموت في الحرب قصدنا إليه مسرعين. كما نقصد جيبا نشتهي لقاءه وأشهدنا علينا السيوف، وقلنا لها تعال إلينا. وهلم: اسم للفعل ومعناه: تعال، وهو مركب من فعل وحرف أصلها لم فها تنبه ولم أمر من لم. إذا أتاه والأمر: لم يا رجل. وألم يلم والأمر منه ألمم. ثم جعلا اسما واحدا. وقيل: هلم فيه لغتان: إحداهما: التسوية بين المذكر والمؤنث والتثنية والجمع.والثانية: التمييز فتقول: هلما: يا رجلان وهلموا يا رجال، وهلمي يا امرأة. وما في البيت على هذه اللغة، لأنه خطاب للسيوف وأصله هلمي يا سيوف ثم أدخلوا عليه النون الثقيلة فحذفت الياء لسكونها وسكون النون الأولى بعدها فبقي: هلمن فعلى هذا يكون بكسر الميم كما تقول: اضربن يا امرأة. وحكى عن المتنبي أنه كان ينشده بضم الميم، فعلى هذا يكون أجرى السيوف مجرى المذكرين ممن يعقل. كقوله تعالى: "كل في فلك يسبحون " ورأيتهم لي ساجدين. وكان أصله هلموا فلما أدخل عليه النون للتأكيد الثقيلة حذفوا الواو؛ لسكونها وسكون النون الأولى، لأن النون الثقيلة كالتنوين.وخيل حشوناها الأسنة بعدما ... تكدسن من هنا علينا ومن هناحشوناها الأسنة: أي طعناها، وأدخلنا الأسنة في جلودها، أي رب خيل ملأنا جلودها بالأسنة، بعدما اجتمعن علينا من ها هنا وها هنا، أي من كل جانب. أو من اليمين والشمال، حتى تفرقت عنا مدبرة بين أيدينا.ضربن إلينا بالسياط جهالة ... فلما تعارفنا ضربن بها عنا." (١)

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٢٥٩

"يقول: أنت الشجاع المشهور، في حال لا يقع حافر فرسه إلا على أجساد القتلى، ورءوسهم وسلاحهم.ورد بعض القنا بعضا مقارعة ... كأنه من نفوس القوم في جدليقول: أنت الشجاع إذا ضاق المجال، وقرع القنا بعضه بعضا، فصار الرمح يرد الآخر عن الطعن، كما يرد الخصم حجة خصمه.شبه النفوس بالمعاني، والرماح بالحجج، والاعتراضات التي تدور بين الخصمين والحرب بالجدال. وهذا البيت متصل بالذي قبله.والمعنى: يعني أنه الفارس الشجاع في جميع الأحوال.لا زلت تضرب من عاداك عن عرض ... بعاجل النصر في مستأخر الأجلعن عرض: أي عن يمنة ويسرة، وهو متعلق بقوله تضرب.يقول: لا زلت تضرب أعداءك معترضا لهم بسيفك، والله يؤيدك بنصر قد عجله لك، وأجل قد أخره الله عنك، فكأنه أخر الله أجلك، وعجل نصرك.فاستحسن سيف الدولة ومن حضره القصيدة هذه وأطنبوا في وصفها، فقال **ارتجالا**:إن هذا الشعر في الشعر ملك ... سار فهو الشمس والدنيا فلكيقول: شعري ملك الشعر، كما أنك ملكت الخلق، وهو شمس يسير في الدنيا، كما تسير الشمس في الفلك.عدل الرحمن فيه بيننا ... فقضى اللفظ لي والحمد لكيقول: عدل الله تعالى في قسمه هذا الشعر بيني وبينك، فأعطاني لفظه، وأعطاك معناه. وهو الحمد والثناء.فإذا مر بأذني حاسد ... صر ممن كان حيا فهلكيقول: إذا سمعه من يحسدك على مجدك، ومن يحسدني على فضلي، غلب على قلبه الحسد، فأهلكه، فيهلك بسببه.ولم أنشده: أقل أنل رأى قوما يعدون ألفاظه فزاد فيه وأنشده.أقل، أنل، أن، صن، احمل، عل، سل، أعد ... زد، هش بش، هب، اغفر، أدن، سر، صلأن: أمر من الأون، وهو الرفق. وصن أمر من الصيانة، والمراد به حفظ الجاه.فرآهم يستكثرون الحروف فقال. يظهر مقدرته على جمع كلمات كثيرة في بيت واحد.عش، ابق، اسم، سد، قد، جد، مر، انه، ره، فه، اسر، نل ... غظ، ارم، صب، احم، اغز، اسب، رع، زع، ده، له، اثن، بلعش: من العيش، وابق: من البقاء، واسم: من السمو. وسد: من السيادة، وقد: من قاد الجيش، وجد: من الجود، ومر: من الأمر بالشيء، وانه: من النهي، أي لا زلت آمرا ناهيا. وره: من وريته أريه، وهو داء في الجوف، أي أصب اعدو بهذه الآفة. وفه: من الوفاء بالعهد، واسر: من السرية، أي جهز الجيش إلى الأعداء.وقيل: معناه الدعاء، أي لا زلت أبدا تسري إلى أعدائك. ونل: من النيل، وهو الإدراك، أي لا زلت تدرك من أعدائك إرادتك، ويجوز نل بضم النون من نلته: أي أعطيته. وغظ: أي غظ حسادك بما يرون من إقبال دولتك وارم: من يكيدك. وصب: من صاب السهم الهدف، أي أصابه، أي لا زلت ترمي أعداءك فتصيب مقاتلهم. واحم: من حميت الرجل إذا منعته، أي احفظ حوزتك. واغز: من الغزو. واسب: من السبي أي لا زلت أبدا تغزو الأعداء، وتسبي زراريهم. ورع: أي أفزع أعداءك، أي لا زلت كذلك. زع:

أي كف شر أعدائك. ده: من وديت القتيل، إذا أعطيت ديته، أي لا زلت تحمل الدية عن القاتل لكرمك. له، من الولاية، أي لا زلت تلي الولايات. واثن: أي اصرف أضدادك عن الوصول إليك: وقيل اثن من ثنيت الفعل إذا فعل مرة بعد مرة. أي لا زلت كلما وليت ولاية ثنيتها بأخرى، وشفعتها بما هو خير منها، وبل: من الوبل. وهو المطر إذا اشتد، أي لا زلت تعطي عطاء كالوابل.وهذا البيت لم يسبقه أحد إلى مثله. ولا لحقه أحد فيه، وهو مركب من أربع وعشرين كلمة، وهي مع ذلك فصيحة، وقد قال قبله عدة من الشعراء فلم يزيدوا على عشر كلمات كقول أبو العميثل:اصدق، وعف، وبر، واصبر، واحتمل ... واحلم، ودار، وكاف، وانصر، واسمعوالأصل قول امرئ القيس:أفاد، وجاد، وساد، وحاد وقاد، وباد، وعاد، وأفضلفقال سيف الدولة: أيمكن أكثر من هذا؟! فقال: نعم ولكن يغيظ جداوهذا دعاء لو سكت كفيته ... لأني سألت الله فيك وقد فعلأي هذا الدعاء أمر زائد، لأن كلما سألت الله فيك، قد فعله الله فيك، فلو سكت كنت كفيته.." (١)

"وقال أيضا وقد حضر مجلس سيف الدولة في شوال سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة، وبين يديه طلع ونارنج، وهو يمتحن الفرسان فقال لابن جش وهو شيخ المصيصة وكان عالما: لا يتوهم أن هذا للشرب. فقال أبو الطيب **ارتجالا:**شديد البعد من شرب الشمول ... ترنج الهند أو طلع النخيلالشمول: الخمرة. وسميت بذلك لأنها تشمل عقل شاربها، وقيل: لأنها تجتمع شمل الندامى عليها. والترنج: جمع ترنجة، وهي لغة. والأصح: الأترج، والأتجة. والطلع: الثمر: أول ما يخرج وهو في كمة، وكان الذي بين يدي سيف الدولة هو نارنج فسماه أترجا، لأنه نوع من أنواعه.يقول: هذا الطلع والأرتج بعيد من الشرب عليه، لم يحضر لذلك. قوله: ترنج الهند مبتدأ، وشديد البعد خبره مقدم عليه.وقال ابن جني: في الكلام حذف. فقوله شديد البعد خبر ابتداء محذوف، أي أنت شديد البعد. وقوله: ترنج الهند: مبتدأ، وخبره محذوف: أي عندك، أو في مجلسك، أو بين يديك ترند الهند. وعلى الوجه الأول لا حذف فيه، وهو أولى وأو في قوله: أو طلعب النخيل بمعنى الواو، كما قيل في قوله تعالى: " أويزيدون ".ولكن كل شيء فيه طيب ... لديك من الدقيق إلى الجليليعني: أنك لم تحضر هذا لأجل الشرب، ولكن لأجل طيبه، وكل شيء فيه طيب دق أو جل، فهو عندك وبين يديك.وميدان الفصاحة والقوافي ... وممتحن الفوارس والخيولممتحن: يجوز أن يكون موضع الامتحان، ويجوز أن يكون مصدرا كالامتحان.يقول: عندك أيضا مجال الفصاحة، والأشعار، لمعرفتك بهما، وعندك موضع امتحان الفوارس والخيل، لأنك أعرف الناس بهذه الأشياء كلها.فلم يتبين

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٢٨٥

معنى البيت الأول لقوم حضروا فقال يرد على من أنك عليه استعمال لفظ: الترنج:أتيت بمنطق العرب الأصيل ... وكان بقدر ما عانيت قيلياالأصيل: هنا القوى المكين الذي له أصل.يقول: إنما نطقت بكلام العرب الفصيح، وكان وصفي بقدر ما شاهدته ورأيته في الحال.فءارضه كلام كان منه ... بمنزلة النساء من البعولأي تعرض له وناقضه، والهاء في منه تعود إلى منطق العرب وكذلك في قوله: فعارضه.يقول: عارض قولي الفصيح قول ركيك ضعيف لكان كلامي ذكر، وكلام من عارضني أنثى. وهذا كقول الراجز:إنى وكل شاعر من البشرشيطانه أنثى وشيطاني ذكروهذا الدر مأمون التشظي ... وأنت السيف مأمون الفلولالتشظي: التكسر، والتشقق يقول: كلامي در مخالف للدر الحقيقي؛ لأن الدر غير مأمون التشظي، وكلامي لا يقع فيه خلل. كما أنك سيف لا يخاف عليك الفلول فهو سالم عن كل عيب بخلاف سائر السيوف.وليس يصح في الأفهام شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليليعني: إنما يقام الدليل على الشيء الخفي، فأما الظاهر الجلي، فهو بمنزلة النهار الذي لا يحتاج إلى الدليل، لأن كل من رآه عرفه، ومن خفي عليه ضوء النهار، فلا فائدة لإقامة الدلالة في حقه، إذ المعاينه أقوى، والمشاهدة أولى، وهذا كقول البحتري:علي نحت القوافي من معادنها ... وما علي إذا لم تفهم البقروقال أيضا وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم، وقد ورد يلتمس الفداء، وركب الغلمان بالتجافيف، وأحضروا لبؤة مقتوله، ومعها ثلاثة أشبال أحياء، وألقوها بين يديه، فقال **ارتجالا** لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة:لقيت العفاة بآمالها ... وزرت العداة بآجالهاالعفاة: طلاب المعروف.يقول داعيا: لا زلت تلقى العفاة بآمالها، يعني إذا لقيتهم أعطيتهم وأغنيتهم، ولا زلت تقصد أعداءك وتفنيهم.وأقبلت الروم تمشي إلي ... ك بين الليوث وأشبالهاأطلق لفظ الروم جملة على رسولهم، لما كان منهم.يقول: إن الروم قصدت إليك تمشي بين الليوث المقتولة، وأولادها. وجعل الليوث: لبؤة.إذا رأت الأسد مسبية ... فأين تفر بأطفالها؟يقول: إذ رأتك الروم وأنت تقتل الليوث وتسبي أولادها، علمت أنها لا تقدر على الفرار بأولاده ا الصغار، وإنما قال: مسببه لأنها كانت أحياء.وقال أيضا يذكر الفداء الذي التمسه الرسول، وكتاب ملك الروم الوارد معه.لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي ... وللحب ما لم يبق مني وما بقي." (١)

"ودخل على سيف الدولة ليلا وقد رفع سلاح كان بين يديه، وهو في ذكره ووصفه، فقال **ارتجالا**:وصفت لنا ولم نره سلاحا ... كأنك واصف وقت النزالنصب سلاحا بوصفت وتقديره: وصفت لنا سلاحا ولم نره.يقول: وصفت لنا هذا السلاح، حتى كأنك صورت لنا وقع الحرب، فكأنك واصف وقت

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٢٨٦

النزال، فشوقتنا إلى القتال، بوصفك للسلاح.وأن البيض صف على دروع ... فشوق من رآه إلى القتالالبيض: المغافر، والفعل في شوق للبيض، ورده إلى اللفظ، وكذلك جميع التذكير راجع إليه.يعني أنك ذكرت أن كل درع جعل عليها بيضتها، وكل من في نفسه شجاعة، إذا رأى آلة القتال اشتاق إلى الطعان.فلو أطفأت نارك تالديه ... قرأت الخط في سود اللياليتا بمعنى: هذه، وهي إشارة إلى السراج يقول: لو أطفات سراجك، لأمكنك أن تقرأ الخط في الليل المظلم، لبريق السلاح ولمعه.ولو لحظ الدمستق حافتيه ... لقلب رأيه حالا لحالحافتيه: أي جانبيه، والهاء في رأيه للدمستق. أي لقلب رأيه في محاربتك، إلى الانقياد لك، والفرار منك.إن استحسنت وهو على بساط ... فأحسن ما يكون على الرجالأراد: إن استحسنته، فحذف الهاء.يقول: إن استحسنت هذا السلاح، وهو على بساطك، فأحسن ما يكون، إذا كان على الرجال، يوم القتال.وإن بها وإن به لنقصا ... وأنت لها، النهاية في الكمالإن الثانية زائدة أي: وإن به وبها لنقصا، وقيل: اسم إن الأولى محذوف. أي: إن بها لنقصا، وإن به لنقصا. فاسم الثانية دل على المحذوف. وبه: أي بالسلاح وبها: أي بالرجال. وقيل: به: للبيض، وبها: للدروع.يقول: إن جمال السلاح، وكمال الدروع والرجال بك، فما لم تكن لابسها، أو لم تكن فيها بين الرجال، لم يكن لهم غناء، فأنت غاية الكمال ونهاية الجمال.وقال وقد عرضت على سيف الدولة سيوف، فوجد فيها سيفا غير مذهب فأمر بإذهابه فقال **ارتجالا:**أحسن ما يخضب الحديد به ... وخاضبيه النجيع والغضبأحسن: مبتدأ. وما بمعنى: الذي، وهو في موضع الجر بإضافة أحسن إليه. والنجيع: خبر الابتداء، والغضب: عطف عليه. وخاضبية: جر عطفا على ما أي وأحسن خاضبيه. والهاء في به لما وفي خاضبيه للحديد.يقول: أحسن شيء يخضب الحديد به: الدم: وأحسن خاضبيه: الغضب. وقيل: أراد به صاحب الغضب. والنجيع: الدم الطري.وقيل: خاضبيه: جر على القسم، ومعناه: أحسن ما يخضب به الحديد، النجيع والغضب. وجعل الغضب خضابا له توسعا، إذا كان سببا لخضابه. وروى مكان الغضب القضب وهو جمع قضيب، وهو السيف: أي أحسن الخاصبين السيوف التي تخضب الأشياء بالدم.فلا تشيننه بالنضار فما ... يجتمع الماء فيه والذهبيقول: رونق هذا الحديد وماؤه، أحسن فيه من ماء الذهب، فإذا أذهبته ذهبت بمائه ورونقه وصار ما قصدت من زينة شينا له.وأنفذ إلى سيف الدولة أحد أهل بغداد أبياتا، يذكر أنه رآها في النوم، يشكو إليه الفقر فقال أبو الطيب:قد سمعنا ما قلت في الأحلام ... وأنلناك بدرة في المنامالبدرة: عشرة آلاف درهم. وسميت بدرة؛ لأنها تمام العدد. والبدرة أيضا: جلد السخلة، إذا رعت وفطمت. ويجوز أن تكون البدرة من هذه؛ لأن العادة جرت أن تجعل الدراهم في جلد السخلة.يقول: سمعنا أيها المتعرض لنائلنا، ما قلت من الشعر في الأحلام،

فأعطيناك – على وجه المقابلة والمكافأة – بدرة في المنام.وانتبهنا كما انتبهت بلا شي ... ء فكان النوال قدر الكلاميقول: مدحتنا في النوم، فأجزناك في النوم، فكان العطاء على قدر المدح، فلما لم يكن لنوالنا حقيقة، كذلك لم يكن لمديحك إيانا.كنت فيما كتبته نائم العي ... ن فهل كنت نائم الأقلام؟يقول: إن كنت حين قلت هذا الشعر نائم العين، فإنك حين كتبته كنت مستيقظا، يجب عليك حفظ الأدب والتحرز من الكلام الركيك، ويمكن أن يكون قرنت إلى الأبيات رسالة أخرى في معنى الاعتذار.فيقول: إن كنت في ا لأبيات نائما، فلم تكن في الرسالة نائما.أيها المشتكي إذا رقد، الإع ... دام، لا رقدة مع الإعدام." (١)

"تركت السرى خلفي لمن قل ماله ... وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدايقول: أغنيتني بعطاياك، حتى قعدت عن السرى طلبا للغنى، وتركت السرى لمن هو قليل المال، وكثر لي الذهب حتى أنعلت به خيلي. وهذا كما قيل في المثل: من كثر ذهبه طلي به استه وقيل: إن سيف الدولة كان وهب له فرسا منعلا بالذهب فذكره.وقيدت نفسي في ذراك محبة ... ومن وجد الإحسان قيدا تقيدامحبة: نصب لأنه مفعول له.يقول: أحسنت إلي، فأقمت عندك، وصار إحسانك لي قيدا يمنعني عن الأسفار.إذا سأل الإنسان أيامه الغنى ... وكنت على بعد جعلنك موعدايقول: إذا طلب أحد من الأيام أن تعينه، وكنت بعيدا عنه. قالت له الأيام: إذا بلغت سيف الدولة استغنيت. وقوله: وكنت على بعد إشارة إلى أن هذا الوعد من الأيام إنما يكون لمن بعد عنك، فأما القريب فقد أغنيته فلا يحتاج إلى السؤال.وجرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل، فقال سيف الدولة ما تقول وتحكم في هذا يا أبا الطيب؟ فقال:إن كنت عن خير الأنام سائلافخيرهم أكثرهم فضائلايقول: إن كنت تسألني عن خير الناس، فإن خيرهم من كانت فضائله أكثر، ثم بين من بعد. وفضائلا نصب على التمييز.من أنت منهم يا همام وائلاالطاعنين في الوغى أوائلالم يصرف وائل لأنه اسم القبيلة، فهي معرفة مؤنثة؛ والطاعنين، وما بعده خبر، لأنه صفة لوائل وهي في موضع جر. وقيل: نصب على المدح.يقول: خير الناس العرب الذين أنت منهم يا سيد وائل، وهم الذين يطعنون في الحرب أوائل الخيل في المعركة، فهم الشجعان لأنه يسبق إلى الطعان إلا الشجاع. وقيل: أراد بالأوائل. الوجوه والصدور، أي أنهم يطعنون وجوه الأعداء وصدورهم، فيكون نصبا على المفعولية.وقيل: معناه أنهم يطعنون الأبطال أولا. أي يتقدمون إلى الأقران. ونصبه حينئذ على الحال.والعاذلين في الندى العواذلاقد فضلوا بفضلك القبائلاالعاذلين: عطف على الط ا عنين.يقول: إذا عذلهم العواذل على السخاء عذلوهن على

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٢٩١

عذلهن، ثم بين أن قبيلته قد فضلوا سائر القبائل بسبب فضله ومآثره.وجلس سيف الدولة لرسول ملك الروم في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة فحضر أبو الطيب فوجد دونه زحمة شديدة، فثقل عليه الدخول فاستبطأه سيف الدولة فقال **ارتجالا**:ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته ... لا يصدق الوصف حتى يصدق النظرظلم نكرة مفيدة، والوصف: خبره.يقول: إن وصفت هذا اليوم قبل مشاهدة الحال فقد ظلمته، ولم أقدر على وصفه على الحقيقة إلا بعد المشاهدة، وإنما قال ذلك: تعظيما لليوم، وأنه لا يحيط به العيان.تزاحم الجيش حتى لم يجد سببا ... إلى بساطك لي سمع ولا بصرأي ازدحم الجيش عليك، حتى لم يبنك بصري من كثرة الناس في بساطك، وكثرت الأصوات حتى لم أسمع كلامك.فكنت أشهد مختص وأغيبه ... معاينا، وعياني كله خبرالمعنى: كنت حاضرا، وكأني كنت غائبا؛ للازدحام، فلم يمكنني مشاهدة الحال، وكتب معاينا، وكان عياني خبرا؛ لشدة الزحمة وكثرة الناس.اليوم يرفع ملك الروح ناظره ... لأن عفوك عنه عنده ظفريقول: إذا أجبته إلى الصلح أمن وزال منه الخوف، فيرفع طرفه؛ لأن عفوك عنه يقوم له مقام الظفر في هذه المرة.وإن أجبت بشيء عن رسالته ... فما يزال على الأملاك يفتخريقول: إن كتبت إليه جواب كتابه، افتخر بذلك على ملوك زمانه، وتشرف به على جميع أقرانه.قد استراحت إلى وقت رقابهم ... من السيوف وباقي الناس ينتظريقول: استراحت بهذا الصلح رقاب الروم عن السيوف، وانتظر سيوفك باقي الناس من الأعداء؛ لأنهم كانوا آمنين ما دمت مشتغلا بغزو الروم، فالآن يخافونك أن تقاتلهم.وقد تبدلها بالقوم غيرهم ... لكي تجم رءوس القوم والقصرالهاء في تبدلها للسيوف، والقوم. هم الروم. وغيرهم: نصب بتبدلها.يقول: تبدل سيوفك وتنقلها من رقاب الروم إلى غيرهم، لتستريح رقابهم من ضرب السيوف، وهذا عادتك إذا أدمت القتل في قوم وأقللتهم تقلب سيوفك إلى قوم آخرين لتريحهم، فإذا كثروا واجتمعوا عاودتهم القتل وأبدتهم.." (١)

"يقول: نفوس الناس مثل السباع يفرس بعضها بعضا، إما مجاهرة، وإما مخادعة، كما تفعل السباع. وجهرة واغتيالا: مصدران واقعان موقع الحال.من أطاق التماس شيء غلابا ... واغتصابا لم يلتمسه سؤالاالغلاب: المغالبة.يقول: من قدر على مراده بالغصب، لم يطلبه بالسؤال.كل غاد لحاجة يتمنى ... أن يكون الغضنفر الرئبالايقول: من يطلب أمرا يتمنى أن يكون فيه كالأسد في الشجاعة والقهر. والرئبال والغضنفر: اسمان للأسد، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين.وقيل: إن الرئبال بدل من الغضنفر، وقيل صفة له.وفزع الناس لخيل لقيت سرية سيف الدولة ببلد الروم، فركب وركب أبو الطيب معه فوجد السرية قد قتلت

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٣١٢

بعض الخيل، وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك الوقت فأنشد سيف الدولة متمثلا قول النابغة:ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائبتخيرن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جرين كل التجاربفقال أبو الطيب مجيبا له في الوقت **ارتجالا**.رأيتك توسع الشعراء نيلا ... حديثهم المولد والقديماالقديم: من كان في الجاهلة. والمخضرم: الذي أدرك الجاهلية والإسلام. والإسلامي: من ولد في الإسلام إلى وقت بشار. والمولد: من كان في وقت بشار، وهم إلى يومنا، فبشار أبو المولدين وكذلك الحديث.وقيل: القديم: البدوي. والمولد: الحضري.يقول: قد عم إحسانك الشعراء السالف منهم والباقي، وحديثهم وما كان بعده بدل من الشعراء.فتعطي من بقي مالا جسيما ... وتعطي من قضي شرفا عظيمابقي: لغة طائية.يقول: تعطي الباقي منهم الأموال الجسيمة، وتعطي الماضي الشرف العظيم وروى عميما أي ثابتا.سمعتك منشدا بيتي زياد ... نشيدا مثل منشده كريماالنشيد: الإنشاد. وزياد: اسم النابغة، وأراد بمنشده: سيف الدولة.يقول: سمعتك تنشد بيتي النابغة، وكان هذا الإنشاد كريما مثلك.فما أنكرت موضعه ولكن ... غبطت بذاك أعظمه الرميماالرميم: البالية، وإنما لم يؤنثه، وإن كان صفة لأعظمه، لأن الرميم مصدر في الأصل. يقال: رم العظم يرم رما ورميما، فلما استعمله صفة لم يؤنثه، كقولهم: رجل صؤوم وامرأة صؤوم.يقول: لم أنكر موضع النابغة في الشعراء ومحله في الفصحاء، ولكن غبطت عظامه البالية؛ حيث تشرف بإنشادك شعره، فتمنيت أن أكون مكانه.وقال أيضا يمدحه وكان قد اجتاز برأس عين سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة، وقد أوقع سيف الدولة بعمرو بن حابس من بني أسد، وبني ضبة ورباح من بني تميم، ولم ينشدها إياه، فلما لقيه دخلت في جملة مدائحه وهي من قوله في صباه:ذكر الصبا ومرابع الآرام ... جلبت حمامي قبل وقت حماميذكر: جمع ذكرى. وروى ذكر الصبا مصدر: ذكرت. والمرابع: جمع مربع، وهو المنزل في أيام الربيع، وقيل: المرعى. والآرام: جمع ريم، وهو الظبي الأبيض.يقول: تذكرت منازلنا في الربيع، ومنازل مجاورة، لنساء كالظباء البيض جلبن علي الموت قبل وقته.وإنما تذكر العرب أيام الربيع؛ لأنهم يخرجون إلى المراعي فيجتمعون مع أحبابهم، فإذا جاء الصيف، رجع كل قوم إلى دارهم، وهاجت صبابة الاشتياق، وتجرعوا مرارة الافتراق.دمن تكاثرت الهموم علي في ... عرصاتها كتكاثر اللوامدمن: خبر ابتداء محذوف، أي هذه المرابع دمن. والدمن: جمع الدمنة، وهي ما يرى من آثار الديار: من الأبوال والأبعار.يقول: لما وقفت في هذه المرابع، تذكرت أحبابي فيها، فتكاثرت علي الهموم كتكاثر اللوم في وقوفي في تلك العرصات.وكأن كل سحابة وقفت بها ... تبكي بعيني عروة بن حزامعروة بن حزام: أحد العشاق، وصاحبته عفراء.يقول: عفت آثار هذه المرابع بكثرة الأمطار حتى كأن كل سحابة كان لها

بهذه الدمن حبيب، فهي إذا وقفت عليها بكت لتذكره، كما بكي عروة على عفراء، ومثله لأبي تمام: كأن السحاب الغر غيبن تحتها ... حبيبا فم ا ترقى لهن مدامعوقد شبه غزارة المطر بغزارة دمع عروة على عادته في قلب التشبيهولطالما أفنيت ريق كعابها ... فيها، وأفنت بالعتاب كلاميالكعاب: التي كعب ثدياها.." (١)

"يخلف من لم يأت دارك غاية ... ويأتي فيدري أن ذلك جهدهالجهد: الطاقة، والجهد: المشقة، وقيل: هما واحد. يقول: من قصد غيرك من الملوك فقد خلف وراءه غاية، وإذا قصدك فقد بلغ غاية جهده وطاقته، فإنه ليس وراءك غاية يطلب الوصول إليها. فإن نلت ما أملت منك فربما ... شربت بماء يعجز الطير وردهالورد: الورود، وهو فاعل يعجز والضمير في ورده للماء والباء في قوله: شربت بماء زائدة. المعنى: إني بعيد الهمة، شريف المطلب، لا أطلب إلا غاية بعيدة؛ فلهذا قصدتك، وقاسيت الأخطار دونك، وليس هذا بمنكر مني، فإني ربما وصلت إلى ما لا يقدر الطير على الوصول إليه! يعني: وصلت إلى مطالب يعجز عنها غيري. ووعدك فعل قبل وعد لأنه ... نظير فعال الصادق القول وعدهيقول: وعد كل أحد يشبه فعله، وأنت صادق القول، فإذا وعدت فكأنك ابتدأت بالجود. قبل الوعد، فإن وعدك واقع لا محالة. فكن في اصطناعي محسنا كمجرب ... يبن لك تقريب الجواد وشدهالتقريب: ضرب من سير الفرس دون الشد. يقول: جربني في اصطناعك إياي وإحسانك إلي، ليتبين لك صغر حالي وكبرها. شبه الصغر بالتقريب، والكبر بالشد. إذا كنت في شك من السيف فابله ... فإما تنفيه وإما تعدهيقول: إن شككت في حالي فجربني، فإني مثل السيف يتبين حاله بالتجربة، فإن رضيتني جعلتني عدة لك، وإلا رميت بي. وما الصارم الهندي إلا كغيره ... إذا لم يفارقه النجاد وغمدهنجاد السيف: حمائله. يقول: لا فضل بيني وبين غيري إذا لم تجربني كما لا فضل بين السيف الهندي القاطع، وبين غيره من السيوف إذا لم يجرد من غمده. ومثله لأبي تمام: لما انتضيتك للخطوب كفيتها ... والسيف لا يكفيك حتى ينتضيوإنك للمشكور في كل حالة ... ولو لم يكن إلا البشاشة رفدهالهاء في رفده للمشكور. يقول: أنا أشكر لك في كل حال، وإن لم يكن من عطائك إلا طلاقة وجهك لكفاني ذلك. وكل نوال كان أو هو ك ائن ... فلحظة طرف منك عندي ندهيقول: كل عطاء كان منك فيما مضى أو سيكون، فنظرة منك إلي تقوم عندي مقامه. والند: المثل. والهاء في نده للنوال. وإني لفي بحر من الخير أصله ... عطاياك أرجو مدها وهي مدهيقول: أنا في بحر من الخير، وأصل هذا البحر من عطاياك، وأرجو مد عطاياك، فهي مد هذا البحر. وما رغبتي في عسجد

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٣٤٧

أستفيده ... ولكنها في مفخر أستجدهالعسجد: الذهب. وأستفيده وأستجده بمعنى واحد.يقول: ليست رغبتي في المال، ولكن رغبتي في استفادة الفخر واستجداد الشرف. وأراد به الولاية. ومثله لأبي تمام:ومن خدم الاقوام يرجو نوالهم ... فإني لم أخدمك إلا لأخدمايجود به من يفضح الجود جوده ... ويحمده من يفضح الحمد حمدهالهاء في به للمفخر.يقول: يجود بهذا المفخر، من جوده يفضح كل جود. يعني كافورا. ويحمده على هذا الجود، من حمده يفضح كل حمد. يعني به نفسه.يعني: أنت أجود الملوك وأنا أبلغ الشعراء وأفصحهم.فإنك مامر النحوس بكوكب ... وقابلته إلا ووجهك سعدهيقول: لو أن كوكبا من الكواكب أصابه نحس، وقابلته أنت، سعد ذلك النجم بسعادتك، وخرج النحس من غير أن يؤثر فيه بنحوسته.يعني: أن من أتاك سعد بقربك، وظهر عليه إقبالك، فيرجع غنيا مسرورا.وشكا إليه ابن عياش طول قيامه في مجلس الأسود وكان دسه عليه، ليعلم ما في نفسه فقال أبو الطيب يمدح كافورا **ارتجالا**:يقل له القيام على الرءوس ... وبذل المكرمات من النفوسيقول: الوقوف بين يديه يقل له، لأنه يستحق فوق ذلك، وكذلك يقل له بذل النفوس المكرمة في جنب ما يستحقه من التعظيم.إذا خانته في يوم ضحوك ... فكيف تكون في يوم عبوس؟يقول: إذا خانته في حال الرفاهية والسلم والسرور فتقصر في الخدمة والقيام بين يديه فكيف تكون في حال الشدة والحرب؟! والغرض بضحك اليوم وعبوسه: حسنه وطلاقته. وقيل: أراد في يوم يضحك فيه ويعبس فيه كما يقال: ليل نائم أي ينام فيه." (١)

"يكون مسيرة ثلاثة أيام في يومين، يعرفها من رآها من حيث رآها لأنها لا مثل لها في الدنيا، ومن جبالها جبل يعرف بإرم عظيم العلو، تزعم أهل البادية أن فيه كروما وصنوبرا - فوجد بني فزارة بها شاتين، فنزل بقوم من عدي فزارة، فيهم أولاد لاحق بن مخلب، وكان مخلب هذا خرج يطلب ناقة له فقدها، وكانت بنو فزارة قد أخذت غزيا غزتها فكانت الأسرى في القد بين البيوت، فسمعه بعض الأسرى ينشد الناقة فقال له: هي بموضع كذا وكذا وجدناها أمس وشربنا لبنها وتركناها لنعود فنأخذها. فقال مخلب: على شهادتكم يا معشر العرب، ثم عاد فلبس سلاحه وركب فرسه فقال: الغزي ضيوفي فخلصهم من القد بعد اختلاف الناس وخوف الشر، فرد عليهم كل شيء أخذ لهم وقراهم وسيرهم وميرهم فقال مخلب:فإن تك ناقتي منعت غزيا ... تجر صرارها ترعى الرحابافأي فتى أحق بذاك مني ... وأجدر في العشيرة أن يهابا؟وكانت بينه أي بين أبي الطيب وبين أمير فزارة: حسان بن حكمة مودة وصداقة. فنزل بجار للقوم ليواري عنهم، فلا يعلم ما بينه وبينهم، واسم الجار: وردان بن ربيعة من طيئ، ثم من معن ثم من بني شبيب، فاستغوى عبيده

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٣٨٤

وأفسدهم عليه، وأجلسهم مع امرأته، فكانوا يسرقون له الشيء بعد الشيء من رحله.وطابت حسمي لأبي الطيب فأقام بها شهرا، وكتب كافور إلى من حوله من العرب ووعدهم، وظهر لأبي الطيب فساد عبيده، وكان الطائي يرى عند أبي الطيب سيفا مستورا فيسأله أن يريه إياه فلا يفعل؛ لأنه كان على قائمه وفعله ذهب من مائة مثقال، وكان السيف لا ثمن له، فجعل الطائي يحتال على العبيد بامراته طمعا في السيف؛ لأن بعضهم أعطاه خبره، فلما أنكر أبو الطيب أمر العبيد ووقف على مكاتبة كافور لكل العرب التي حوله في أمره، أنفذ رسولا إلى فتى من بني فزارة، ثم من بني مازن من ولد هرم بن قطبة. بن سيار يقال له: فليتة بن محمد وفيهم يقول بعض البادية:إذا ما كنت مغتربا فجاور ... بني هرم بن قطبة أو دثاراإذا جاورت أدنى مازني ... فقد ألزمت أقصاها الجواراوكان وافقه قبل ذلك على المراسلة فسار إليه. وترك أبو الطيب عبيده نياما وتقدم إلى الجمال فشد على الإبل وحمل خوفا أن يحتبس عنه عبيده في الليل، ولم يعلموا حتى نبههم وطرحهم على الإبل وجنب الخيل، وسار تحت الليل والقوم لا يعلمون برحيله، ولا يشكون أنه يريد البياض، فلما صار برأس الصوان أنفذ فليتة بن محمد إلى عرب بين يديه وتوقف.وأخذ أحد العبيد في الليل السيف فدفعه إلى عبد آخر ودفع إليه فرسه، وجاء ليأخذ فرس مولاه فانتبه أبو الطيب فقال الغلام: أخذ العبد فرسي أخذ العبد فرسي يغالط بهذا الكلام، وعدا نحو الفرس ليقعد على ظهره، والتقى هو وأبو الطيب عند الحصان، وسل العبد السيف فضرب رسنه، فضرب أبو الطيب وجه العبد فقسمه، فخر على رتمة أنفه، وأمر الغلمان فقطعوه، وانتظر الصباح وكان هذا العبد أشد من معه وأفرسهم.فلما أصبح أتبع العبد عليا الخفاجي وعلوانا المازني، فأخذا أثره، فأدركاه عصرا، وقد قصر الفرس الذي تحته، فسألهما عن مولاه فقالا جاءك من ثم، وأشارا إلى موضع، فدنا منهما كالعائذ وهو يتبصر فقالا له: تقدم، فقال: ما أراه، فإن رأيته جئتكما وإن لم أره فما لكما عندي إلا السيف، فامتنع عنهما وعادا في غد، ووافقا عودة فليتة فقال فليتة: لقد كان فيما جرى خبرة، لأن الوقت الذي اشتغلتم بقتله فيه كانت سرب الخيل عابرة مع ذلك العلم، ولو كنتم زلتم عن موضعكم لحدث بعضكم بعضا، فقال أبو الطيب **ارتجالا:**فإن تك طيئ كانت لئاما ... فألأمها ربيعة أو بنوهيقول: إن كانت طيئ لئاما فربيعة الذي هو أبو وردان وبنوه أكثرهم لؤما. وقوله: أوبنوه معناه: وبنوه أو في معنى الواو.وإن تك طيئ كانت كراما ... فوردان لغيرهم أبوهيقول: إن كانت طيئ كراما، فأبو وردان ليس منهم، بل من غيرهم، لأنه لئيم وطيئ كرام. وكانت في البيتين زائدة، والتقدير: إن تك طيئ كراما، وإن

تك طيئ لئاما.مررنا منه في حسمي بعبد ... يمج اللوم منخره وفوهحسمي: أرض بالسماوة. ويقال: منخر: بفتح الميم وكسرها.يقول: نزلنا عليه بحسمي، فوجدناه عبدا لئيما يمج اللؤم أنفه وفوه.." (١)

"يعني: هو بمنزلة الغيث، والناس كالجراد يفسدون الزرع ويخربون البلاد، فهو أولى بالحمد من كل أحد؛ لأنه ينفع وغيره يضر. وهذا كقول أبي عينية يهجو يزيد بن خالد ويمدح أباه:أبوك لنا غيث نعيش بسيبه ... وأنت جراد لست تبقى ولا تذرمثلما أحدث النبوة في العا ... لم والبعث حين شاع فسادهالهاء في فساده للعالم.يقول: أوجدك الله تعالى في هذا الزمان بعد ما شاع فيه البخل والفساد، كما بعث الله تعالى الأنبياء حين شاع في العالم الكفر والفساد، وهذا كقول الفرزدق:جعلت لأهل الأرض عدلا ورحمة ... على فترة والناس مثل البهائمكما بعث الله النبي محمدا ... على فترة والناس مثل البهائمزانت الليل غرة القمر الطا ... لع فيه، ولم يشنها سوادهالهاء في سواده لليل. يعني: أنك زنت زمانك بمحاسنك، ولم يضرك لؤم أهله وفسادهم، كما أن البدر يزين الليل بضيائه، ولا يضره سواد الليل.كثر الفكر كيف نهدي كما ... أهدت إلى ربها الرئيس عبادهيقول: كثر فكري فيما أهديه إلى ابن العميد في يوم النيروز، كما تهدي إليه عبيده.لما جعله ربا جعل الناس عبيدا له، تفخيما وتعظيما.والذي عندنا من المال والخي ... ل فمنه هباته وقيادهيعني: فكرت فلم أجد شيئا أهديه إليه؛ لأن جميع ما عندي من المال فمن مواهبه، وجميع خيلي مما قاده إلي، فلم أدر ما أهدى إليه.فبعثنا بأربعين مهارا ... كل مهر ميدانه إنشادهيقول: فلما لم أجد ما أبعثه إليه، بعثت بأربعين بيتا، كأنها أربعون مهرا، وميدان كل بيت منها إنشاده، لأنه إذا أنشد عرف قدره، كما أن المهر إذا جرى عرق عتقه.وقوله: بأربعين مهارا ليس بحيد؛ لأن المفسر بعد مثل هذه العقود يكون بلفظ الواحد.عدد عشته يرى الجسم فيه ... أربا لا يراه فيما يزادهيعني: إنما جعلت هذه القصيدة أربعين بيتا، لأن الأربعين عدد سني الشباب، فإذا تجاوزها الإنسان تناقصت قواه، فالجسم يرى في الأربعين من استكمال القوة ما لا يراه فيما يزاد عليه.يعني: لم أزد على الأربعين لتكون القصيدة بعيدة عن النقص، حاصلة على غاية الكمال.فارتبطها فإن قلبا نماها ... مربط تسبق الجياد جيادهنماها: أي نشأها وصنعها.يقول: ارتبط هذه المهار، فإنها قيدت إليك، وقلبي الذي أنشأها وأحكمها مربط تسبق خيله سائر الخيل.لما جعل الأبيات مهارا، جعل قلبه مربطا لها، لأنها صدرت عنه. واحتفظ بشعري فإنه يفوق كل شعر.وأنفذت القصيدتان من أرجان إلى أبي الفتح ابن الأستاذ الرئيس بالري، فعاد الجواب يذكر سروره بأبي الطيب والشوق إليه، وأبياتا نظمها في وصف ما سمع من قبله، وطعن فيها على بعض المتعرضين لقول

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٤١١

الشعر، وأظهر فساد قولهم فقال أبو الطيب **ارتجالا** والكتاب في يده لموصله:بكتب الأنام كتاب ورد ... فدت يد كاتبه كل يديقول: ورد كتاب يقوم مقام الكتب كلها، ثم قال: جعل الله يد كل كاتب فداء ليده.وقيل: معنى المصراع الأول: مثل معنى المصراع الثاني. فقوله: بكتب الأنام كقوله: بنفسي أي جعل الله جميع كتب الأنام فداء لكتابه، وأيديهم فداء ليده.يعبر عما له عندنا ... ويذكر من شوقه ما نجديقول: هذا الكتاب يعبر عما عندنا من المحبة، ويذكر من الشوق مثل ما أجده في قلبي إليه.فأخرق رائيه ما رأى ... وأبرق ناقده ما انتقدأخرق وأبرق: أي حير.يقول: لما فض هذا الكتاب حير من رأى خطه، وأدهش من انتقد لفظه. وفاعل أخرق وأبرق ما.إذا سمع الناس ألفاظه ... خلقن له في القلوب الحسديقول: إن الناس إذا سمعوا ألفاظه أحدثت ألفاظه الحسد في قلب من حسده، فكل من قرأه حسده على فصاحته.فقلت وقد فرس الناطقين: ... كذا يفعل الأسد ابن الأسدفرس الناطقين: أي غلبهم وقهرهم، كما يقهر الأسد فريسته، أي لما رأيته وقد حير كل ناطق، قلت: هكذا يكون من ورث البلاغة من آبائه وأجداده.وأحضرت مجلس الأستاذ أبي الفضل مجمرة قد حشيت بنرجس وآس، حتى خفيت نارها، فكان الدخان يخرج من خلال ذلك، فأنشأ يقول:أحب امرئ حبت الأنفس ... وأطيب ما شمه معطس." (١)

"يقول: بنوك زين آبائك، يتزينون بهم وبسؤددهم وكرمهم، كما يتزين القضيب بالنور. ولم يجعل أبناءه زينا له كما جعله زين أبيه، لأنه لم يرد تفضيل أولاده عليه كما فضله على أبيه؛ لما في ذلك من الحط من منزلته. فجعلهم زينا لجدودهم. يعني: أن آباءك يتزينون ببنيك كما تزينوا بك.فخرا لدهر بت من أهله ... ومنجب أصبحت من عقبهفخرا: نصب على المصدر، بإضمار فعل. أي: فليفخر الدهر فخرا، حيث صرت من أهله، وليفخر أبوك المنجب فخرا، حيث أصبحت من عقبه.إن الأسى القرن فلا تحيه ... وسيفك الصبر فلا تنبهالهاء في تحيه للأسى، وهو الحزن. ونبا السيف ينبو: إذا لم يقطع، وأنباه صاحبه: إذا ضرب به فلم يقطع في يده.يقول: إن الحزن قرن من أقرانك، فلا تحيه. أي: لا تمكنه من قلبك، إذ ليس عادتك أن يقاومك قرن، والصبر سيفك الذي تقتل به الأسى فاقتله به ولا تنبه عنه، فليس من عادتك أن ينبوا السيف في يدك.ما كان عندي أن بدر الدجى ... يوحشه المفقود من شهبهالشهب: جمع شهاب، وهو الكوكب، والهاء للبدر، لما جعله بدرا جعل أهله كواكب فقال: إن البدر لا يستوحش من فقد كوكب، فليس ينبغي لك أن تستوحش لفقد واحد منهم.حاشاك أن تضعف عن حمل ما ... تحمل السائر في كتبهالسائر: الذي حمل الخبر إليه، والهاء في كتبه للسائر.يقول: كيف تضعف عن حمل هذا الخبر الذي

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٤٣٩

حمله الفيج الذي سار به إليك وتضمنه كتاب! وقيل: أراد بالسائر: المثل السائر. والمعنى: أن الأمثال قد سارت والأخبار قد تظاهرت بفضل الصبر على المصائب وذكر قوم تحملوا غصصها، ففضلوا بذلك على غيرهم. فقال: حاشاك أن تضعف عما قوى عليه غيرك من الصبر ممن سارت بأخبارهم الصحف والكتب حيث ذكر فيها صبر من صبر.وقد حملت الثقل من قبله ... فأغنت الشدة عن سحبهالشدة: القوة، والهاء في قلبه للمفقود.يقول: حملت ثقل الشدائد من المصائب وغيرها من الأمور العظيمة، قبل المصيبة بهذا المفقود، فأغنت القوة التي بك عن سحب ما حملته من الشدائد؛ لأن الإنسان إذا ثقل عليه شيء جره وسحبه، فيعود الضمير في سحبه على الثقل.وقيل: يرجع إلى ما ترجع إليه الهاء في قبله وهو المفقود.يدخل صبر المرء في مدحه ... ويدخل الإشفاق في ثلبهالإشفاق: الجزع.يقول: المرء يمدح على الصبر، ويذم بالجزع، فإياك أن تجزع إذ ليس من عادتك أن تأتي أمرا تذم عليه.مثلك يثنى الحزن عن صوبه ... ويسترد الدمع عن غربهالصوب: الإصابة، وقيل: الصوب: الناحية والقصد. والغرب: مجرى الدمع من العين.يقول: من كان مثلك رد الجزع عن طريقه وقصده، أو عما يريد إصابته، ويرد الدمع من عينه، ولا يسيل فيدل على جزعه.إيما لإبقاء على فضله ... إيما لتسليم على ربهإيما: معناه إما. والإبقاء: الرعاية والمحافظة. والتسليم: الرضا بالقضاء.يعني: مثلك يصبر: إما مراعاة لفضله كي لا يذم بالجزع، وإما رضاء بقضاء الله وحكمه.ولم أقل مثلك أعنى به ... سواك يا فردا بلا مشبهلما قال: مثلك يثنى الحزن أثبت له مثلا في الظاهر، فاعتذر عنه وقال: لم أرد بقولي: مثلك إنسانا سواك، وإنما أردت أنت الذي تفعل ذلك، ومثل صلة، وزيادة. وهذا مثل قوله: كفاتك. ودخول الكاف منقصة ... كالشمس قلت، وما للشمس أمثالوقال أيضا يمدحه، وقد جلس الأمير عضد الدولة ليشرب في مجلس متخذ له تدور غلمان بأعلاه وتنثر الورد على فرقه من جميع جوانبه، حتى يتورد المجلس ومن فيه، وحضر أبو الطيب فقال **ارتجالا** سنة أربع وخمسين وثلاث مئة.قد صدق الورد في الذي زعما ... أنك صيرت نثره ديماالديم: جمع ديمة، وهي المطرة تدوم أياما.يقول: صدق الورد في زعمه أنك صيرت منثوره أمطارا. شبه أوراق الورد في نزوله من أعلى السماء متفرقة بقطر الأمطار.كأنما مائج الهواء به ... بحر حوى مثل مائه عنماالعنم: نبت أحمر. وحوى: أي امتلأ. والهاء في به للورد.يقول: كأنما الهواء الذي يموج بالورد بحر ملآن بالعنم، مثل مائه. شبه الصفة بالبحر، والورد بالعنم، وشبه الورد في الهواء، وموجه فيه، ببحر ماؤه عنم.." (١)

---

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٤٥٦

"وقال عمر بن علي المطوعي: أراد الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله بن أحمد، أدام الله فضله، أيام مقامه "بجوين" أن يطلع إلى قرية من قرى ضياعه تدعى "تجاب"، على سبيل التنزه والتفرج، وكنت من جملة من استصحبه إليها، واتفق أنا وصلنا والسماء مصحية، والجو صاف، ولم يطرز ثوبه بعلم الغمام، والأفق فيروزج لم يعبق به كافور السحاب، فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع، متسقة الأوراق والغصون، قد سترت ما حولها من الأرض طولا وعرضا، فنزلنا تحتها مستظلين بسماوة أفنانها، مستترين من وهج الشمس بستارة أغصانها، وأقبلنا نتجاذب أذيال المذاكرة، ونتسالب أهداب المناشدة والمحاورة، فما شعرنا إلا بالسماء قد أرعدت وأبرقت، وأظلمت بعدما أشرقت، وجادت بمطر كأفواه القرب، فأجادت، وحكت أنامل الأجواد وأعين العشاق، بل أربت عليها وزادت، حتى كاد غيثها أن يعود عيثا، وهم وبلها [أن] يستحيل وبالا، فصبرنا على أذاها، وقلنا: "سحابة صيف عن قريب تقشع"، فإذا نحن بها قد أمطرتنا بردا كالثغور، لكنها ثغور العذاب، لا من ثغور العذاب، فأيقنا البلاء وسلمنا لأسباب القضاء، فما مرت غلا ساعة من النهار حتى سمعنا خرير الأنهار، ورأينا السيل قد بلغ الزبى، والماء قد بلغ القيعان والربا. فملنا إلى حصن القرية لائذين من السيل بأفنيتها، عائذين من القطر بأبنيتها، وأثوابنا قد صندل كافوريها ماء الوبل، وغلف طرازيها طين الوحل، ونحن نحمد الله على سلامة الأبدان، وإن فقدنا بياض الأكمام والأردان، ونشكره على نجاة الأنفس والرواح، شكر التاجر على بقاء رأس المال إذا فجع بالأرباح، فبتنا تلك الليلة في سماء تكف ولا تكف، وتبكي إلى الصباح بأدمع هوام، وأربعة سجام، فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام، وصرف بوالي الصحو عامل الغمام، رأينا صواب الرأي أن نوسع الإقامة [بها] رفضا ونتخذ الارتحال فرضا، فما زلنا نطوي الصحاري أرضا فأرضا، إلى أن وافينا المستقر ركضا، فلما نفضنا غبار ذلك المسير، الذي جمعنا في ربقة الأسير، وأفضينا معه إلى ساعة التيسير، بعدما صلينا منه [بالأمس] بالأمر [الصعب] العسير، وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة، وفي قطع ذلك الطريق، وطي تلك الشقة، أخذ [مولانا] الأمير القلم فعلق [هذه الأبيات] **ارتجالا**:دهتنا السحاب غداة التجاب ... بغيم على أفقه مسبلفجاء برعد له رنة ... كرنة ثكلى ولم يثكلوثنى بوبل عدا طوره ... فعاد وبالا على الممحلوأشرف أصحابنا من أذاه ... على خطر هائل معضلفمن لائذ بفناء الجدار ... وآو إلى نفق مهملومن مستجير ينادي: الغريق ... هناك، ومن صارخ معولوجادت علينا سماء السقوف ... بدمع من الوجد لم يهملكأن حراما لها أن ترى ... يبيسا من الأرض لم يبللوأقبل سيل له روعة ... فأدبر كل من المقبليقلع ما شاء من دوحة ... وما يلق من صخرة يحملكأن بأحشائه إذ بدا ... أجنة حمل ولم يحبلفمن عامر رده غامرا ... ومن معلم عاد كالمجهلكفانا

بليته ربنا ... وقد وجب الشكر للمفضلفقل للسماء ارعدي وابرقي ... فإنا رجعنا إلى المنزلأخذ المطوعي قوله: "فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام" من قول أبي الفتح البستي:رب ليل أغمد الأنوار إلا ... نور ثغر أو مدام أو ندامقد نعمنا بدياجيه إلى أن ... سل سيف الصبح من غمد الظلاموقوله "كاد غيثها يعود عيثا" من قوله [أيضا] :لا ترج شيئا خالصا نفعه ... فالغيث لا يخلو من العيثوقال الميكالي في بركة وقع عليها شعاع الشمس فألقته على بهو مطل عليها:أما ترى البركة الغراء قد لبست ... نورا من الشمس في حافاتها سطعاوالبهو من فوقها يلهيك منظره ... كأنه ملك في دسته ارتفعاوالماء من تحتها ألقى الشعاع على ... أعلى سماوته فارتج ملتمعاكأنه السيف مصقولا تقلبه ... كف الكمي إلى ضرب الكمي سعومن ظريف ما [في] وصف الماء قول ابن المعتز بالله، وذكر إبلا:فتبدى لهن بالنجف المقفر ماء صافي الجمام عريبتمشى على حصى يسلب الما ... ء قذاه فمتنه مجلي." (١)

"فقال له يحيى [بن خالد] : إن [أول] زندك ليورى بأول قدحة، فقال ارتجالا في معنى قول يحيى:أما وزند أبى على إنه ... زند إذا استوريت سهل قدحكاإن الإله لعلمه بعباده ... قد صاغ جدك للسماح ومنحكاتأبى الصنائع همتى وقريحتى ... من أهلها وتعاف إلا مدحكاووصف أبو عبد الله الجماز أبا نواس فقال: كان أظرف الناس منطقا، وأغزرهم أدبا، وأقدرهم على الكلام، وأسرعهم جوابا، وأكثرهم حياء، وكان أبيض اللون، جميل الوجه، مليح النغمة والإشارة، ملتف الأعضاء، بين الطويل والقصير، مسنون الوجه «١» ، قائم الأنف، حسن العينين والمضحك «٢» ، حلو الصورة، لطيف الكف والأطراف؛ وكان فصيح اللسان، جيد البيان، عذب الألفاظ، حلو الشمائل، كثير النوادر، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب، راوية للأشعار، علامة بالأخبار، كأن كلامه شعر موزون.وأقبل أبو شراعة العبسى، والجماز في حديثه، وكان أقبح الناس وجها، وكانت يد أبى شراعة كأنها كربة نخل «٣» ؛ فقال الجماز: فلو كانت أطرافه على أبى شراعة لتم حسنه؛ فغضب أبو شراعه وانصرف يشتمه.والجماز هو: أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر، وكانوا يزعمون أنهم من حمير، نالهم سباء في خلافة أبى بكر، رضي الله عنه، وهم مواليه، وسلم الخاسر عمه «٤» ، وكان الجماز من أحلى الناس حكاية، وأكثرهم نادرة.قال بعض جلساء المتوكل: كنا نكثر عند المتوكل ذكر الجماز حتى." (٢)

---

(١) نور الطرف ونور الظرف؟ الحُصري القيرواني ص/٣٨

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب؟ الحُصري القيرواني ٢٠٥/١

"أوفت عليها وزادت، حتى كاد غيثها يعود عيثا «١» ، وهم وبلها أن يستحيل ويلا فصبرنا على أذاها، وقلنا: سحابة صيف عما قليل تقشع، فإذا نحن بها قد أمطرتنا بردا كالثغور، لكنها من ثغور العذاب، لا من الثغور العذاب، فأيقنا بالبلاء، وسلمنا لأسباب القضاء؛ فما مرت إلا ساعة من النهار، حتى سمعنا خرير الأنهار، ورأينا السيل قد بلغ الزبى»، والماء قد غمر القيعان والربى «٣» ؛ فبادرنا إلى حصن القرية لائذين من السيل بأفنيتها، وعائذين من القطر بأبنيتها، وأثوابنا قد صندل كافوريها ماء الوبل، وغلف طرازيها طين الوحل، ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الأبدان، وإن فقدنا بياض الأكمام والأردان، ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح، شكر التاجر على بقاء رأس المال إذا فجع بالأرباح؛ فبتنا تلك الليلة في سماء تكف ولا تكف «٤» ، وتبكى علينا إلى الصباح بأدمع هوام «٥» ، وأربعة سجام؛ فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام، وصرف بوالى الصحو عامل الغمام، رأينا صواب الرأى أن نوسع الإقامة بها رفضا، ونتخذ الارتحال عنها فرضا؛ فما زلنا نطوى الصحارى أرضا فأرضا، إلى أن وافينا المستقر ركضا؛ فلما نفضنا غبار ذلك المسير، الذى جمعنا في ربقة الأسير، وأفضينا إلى ساحة التيسير، بعد ما أصبنا بالأمر العسير، وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة، فى قطع ذلك الطريق وطى تلك الشقة، أخذ الأمير السيد- أطال الله بقاءه! - القلم فعلق هذه الأبيات **ارتجالا:**دهتنا السماء غداة السحاب ... بغيث على أفقه مسبلفجاء برعد له رنة ... كرنة ثكلى ولم تثكل." (١)

"وأنا أحمد الله جل ذكره في وسط الطعام لشيء خطر ببالي من نعم الله التي لا تحصى، فنهض وقال: أعطى الله عهدا إن عاودت! وما معنى التحميد هنا؟كأنك تعلمنا أنا قد شبعنا. ثم مال إلى الدواة والقرطاس، وكتب **ارتجالا:**وحمد الله يحسن كل وقت ... ولكن ليس في أولى الطعاملأنك تحشم الأضياف فيه ... وتأمرهم بإسراع القياموتؤذنهم، وما شبعوا، بشبع ... وذلك ليس من خلق الكراموكتب المريمى إلى بعض إخوانه وقد ترك النبيذ:إن كنت تبت عن الصهباء تشربها ... نسكا فما تبت عن بر وإحسانتب راشدا، واسقنا منها، وإن عذلوا ... فيما فعلت فقل ما تلب إخوانوقال بعض النبيذيين، وقد ترك الشرب:تحامونى لتركى شرب راح ... أقمت مكانها الماء القراحاوما انفردوا بها دونى لفضل ... إذا ما كنت أكثرهم مراحاوأرفعهم على وتر وصنج ... وأطرفهم وأظرفهم مزاحاإذا شقوا الجيوب شققت جيبى ... وإن صاحوا علوتهم صياحافقر للنبيذيينما جمشت الدنيا بأظرف من النبيذ، ما للعقار والوقار. إنما العيش مع الطيش، الراح ترياق سم الهم. النبيذ ستر فانظر مع من تهتكه. اشرب النبيذ ما استبشعته، فإذا استطبته فدعه. لولا

(١) زهر الآداب وثمر الألباب؟ الحُصري القيرواني ١/٢٣٨

أن المخمور يعلم قصته لقدم وصيته.الصاحى بين السكارى كالحى بين الموتى: يضحك من عقلهم، ويأكل من نقلهم. أحمق ما يكون السكران إذا تعاقل. التبذل على النبيذ ظرف، والوقار عليه سخف، حد السكران أن تغرب الهموم، ويظهر السر المكتوم.." (١)

"فالآن أعطيت القوس باريها، وزناد المكارم موريها، والصمصامة مصلتها، والقناة معلمها، وحلة المجد لا بسها.وكان النجيرمى جيد الروية والبديهة فى نظمه ونثره، حلو التصريف، مليح التأليف، وكان يوما عند أبى المسك كافور الإخشيدى، فدخل عليه أبو الفضل ابن عياش فقال: أدام الله أيام سيدنا الأستاذ– بالخفض– فتبسم كافور إلى أبى إسحاق، فقال **ارتجالا:**لا غرو إن لحن الداعى لسيدنا ... وغص من هيبة بالريق والبهرفمثل سيدنا حالت مهابته ... بين البليغ وبين القول بالحصرفإن يكن خفض الأيام من دهش ... من شدة الخوف لا من قلة البصرفقد تفاءلت فى هذا لسيدنا ... والفأل مأثرة عن سيد البشربأن أيامه خفض بلا نصب ... وأن دولته صفو بلا كدرفأمر له بثلاثمائة دينار، ولابن عياش بمائتين.وقال حمدان الدمشقى يصف قلما:للأيم بعثته وشق لسانه ... وله إذا لم تجره إطراقهكالحية النضناض إلا أنه ... من حيث يجرى سمه ترياقهقال العتابى: سألنى الأصمعى فقال لى: أى الأنابيب أصلح للكتابة وعليها أصبر؟ فقلت: ما نشف بالهجير ماؤه، وستره عن تلويحه غشاؤه، من التبرية القشور الدرية الظهور، الفضية الكسور، قال: فأى نوع من البرى أكتب وأصوب؟قلت: البرية المستوية القط، عن يمين سنها، برية تأمن معها المجة عند المط «١» ،." (٢)

"ودخل على الرشيد فقال: تكلم يا عتابى! فقال: الإيناس قبل الإبساس، لا يمدح المرء بأول صوابه، ولا يذم بأول خطئه؛ لأنه بين كلام زوره، أوعى حصره.وذكر أبو هفان أن الرشيد لقيه بعد قتل جعفر بن يحيى وزوال نعمته، فقال: ما أحدثت بعد يا عتابى؟ فأنشده **ارتجالا:**تلوم على ترك الغنى باهلية ... طوى الدهر عنها كل طرف وتالدرأت حولها النسوان يرفلن فى الكسا ... منظمة أجيادها بالقلائدأسرك أنى نلت ما نال جعفر ... من الملك أو ما نال يحيى بن خالدوأن أمير المؤمنين أغصنى ... مغصهما بالمرهفات البواردفإن رفيعات المعالى مشوبة ... بمستودعات فى بطون الأساودوكان متحرفا عن البرامكة، وفيهم يقول:إن البرامك لا تنفك أبحية ... بصفحة الدين من نجواهم ندب «١»تجرمت حجج منهم ومنصلهم ... مضرج بدم الإسلام مختضب «٢»واجتاز عبد الله بن طاهر بالرقة بمنزل العتابى، فقال: أليس هذا منزل

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب؟ الحُصري القيرواني ٥٠١/٢

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب؟ الحُصري القيرواني ٦٧٣/٣

كلثوم ابن عمرو؟ قيل: نعم، فثنى رجله، ودخل إليه، فألفاه جالسا فى بيت كتبه، فحادثه وذاكره، ثم انصرف، فتحدث الناس فى ذلك، وقالوا: إن الأمير لم يقصده، وإنما اجتاز به فأخطر ذلك الزيارة، فكتب إليه:يا من أفادتنى زيارته ... بعد الخمول نباهة الذكرقالوا الزيارة خطرة خطرت ... ومجاز خطرك ليس بالخطرفادفع مقالتهم بثالثة ... تستنفد المجهود من شكرى." (١)

"كما حكى الجاحظ عن الشرقي بن القطامي أن ابن أبي عتيق لقي عائشة رضي الله عنها على بغلة. فقال: إلى أين يا أماه؟ فقالت له: أصلح بين حيين تقاتلا، فقال: عزمت عليك إلا ما رجعت، فما غسلنا أيدينا من يوم الجمل حتى نرجع إلى يوم البغلة.وهذه حكاية أوردها الشرقي لغله ودغله على وجه النادرة؛ لتحفظ ويضحك منها، ويتعلق بها من ضعف عمله، وقل عزمه؛ فيكون ذلك أنجع وأنفع لما أراد من التعرض لعرض أم المؤمنين رضي الله عنها.ومثل هذا كثير مما لو ذكرته لدخلت فيما أنكرته. فقد قيل: الراوية أحد الشاتمين، كما قيل: السامع أحد القائلين.وقد قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وقد مر به عمر بن عبد العزيز والقاسم بن محمد بن أبي بكر فلم يسلما عليه:مساء تراب الأرض منها خلقتما ... فيها المعاد والرجوع إلى الحشرولا تعجبا أن ترجعا فتسلما ... فما حشي الإنسان شرا من الكبروقال آخر:إن كنت ل؛ ترهب ذمي لما ... تعرف من صفحي عن الجاهلفاخش سكوتي إذ أنا منصت ... فيك لمسموع خنا القائلفسامع السوء شريك له ... ومطعم المأكول كالآكلومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطلمقالة السوء إلى أهلها ... أسرع من منحدر سائلوقد رام ابن قتيبة تسهيل السبيل في مثل هذا، فقال: مهما مر بك من كلام تنفر عنه نفسك، فلا تعرض عنه بوجهك، فالقول منسوب إلى قائله، والفعل عائد إلى فاعله.قلت: وليت شعري ما اللذة فيما يضحك منه من هو معرض عنه، إلا أن يدخل في حد المستهزئين، وحيز المتلاعبين. نعوذ بالله من الحور بعد الكور.وأنشد أبو نواس الجماز شعرا من أعابيثه ومجونه كفر فيه، وقال للجماز: أين أنت من أهل الطراز؟ قال: أنا لا أتعرض لمن أعضائي جنده يحرك علي منها ساكنا أو يسكن متحركا فأهلك.وقد طرد الجماز أصله في التحرز مما تعلق عليه من شناعة، أو تلزمه فيه بباعة، فقال يمدح:أقول بيت؛ واحدا أكتفي ... بذكره من دون أبياتإن علي بن أبي جعفر ... أكرم أهل الأرض من آتفقد سلم مما كاد يقع فيه أبو الخطاب عمرو بن عامر السعدي، وقد أنشد موسى الهادي:يا خير من عقدت كفاه حجزته ... وخير من قلدته أمرها مضرفانقلبت عيناه في رأسه، واحمر وجهه، وقال: إلا من؟ ويحك! ولم يكن أبو الخطاب استثنى أحدا، وإنما جرى على مذهب الشعراء

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب؟ الحُصري القيرواني ٦٧٥/٣

في تفضيل الممدوح على أهل العصر؛ فلما رأى ما بوجه الهادي من إرادة الإيقاع به قال **ارتجالا**:إلا النبي رسول الله إن له ... فخرا وأنت بذاك الفخر تفتخرفسري عنه ووصله.تدرج الكتاب ولذة الانتقال من حال إلى حالوقد جعلت ما عملت مدبجا مدرجا، لتلذ النفس بالانتقال من حال إلى حال، فقد جبلت على محبة التحول، وطبعت على اختيار التنقل.وقد قيل: إن عبد الله بن طاهر لما أسر نصر بن شبث بكيسوم، وأنفذه إلى المأمون، جلس مجلسا أنصف فيه من وجوه القواد، ومن أمراء الأجناد، وضرب الأعناق، وقطع الأيدي، ورد كبار المظالم، ثم قام وقد دلكت الشمس؛ فتلقاه الخدم، فأخذ هذا سيفه، وهذا قباءه، هذا إزاره. فلما دخل دعا بنعل رقيقة فلبسها، ثم رفع ثوبه على عاتقه وتوجه نحو البستان وهو يتغنى:النشر مسك والوجوه دنا ... نير وأطراف الأكف عنمقال عيسى بن يزيد: وكنت جريا عليه، فجذبت ثوبه من عاتقه وقلت له: أتقعد بالغداة قعود كسرى أو قيصر أو ذي القرنين، ثم تعمل الساعة عمل علويه ومخارق؟ فرد ثوبه على عاتقه وهو يقول:لا بد للنفس إن كانت مصرفة ... من أن تنقل من حال إلى حالقال أبو القاسم بن جدار: كأنه ذهب إلى ما فعله أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين قام من بعض مجالسه الجليلة التي كان يدون فيها الدواوين ويمصر الأمصار، ويقمع الأعداء، ويؤيد الإسلام، فدخل منزله ثم رفع صوته وهو يقول:وكيف ثوائي بالمدينة بعدما ... قضى وطرا منها جميل بن معمر." (١)

"ولما ظفر سليمان بن حسن الجنابي يوم الهبير بالحجاج وقتلهم فأخذ أموالهم، كان في جملة ما أخذ أحمال فيها من رفيع البز والثقل وظريف الوشي والمصمت ما أعجبه وأبهته. فقال: علي بصاحب هذه الأحمال. قال صاحبها: فأتيته فقال: ما منعك أن يكون ما جئت به أكثر من هذا؟ فقلت: لو علمت أن السوق بهذا النفاق لفعلت، فاستظرفني ودفع إلي مالا وجميع ما أخذ لي، وأرسل معي من يحفظني حتى وصلت.وكان أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات الوزير المعروف بابن حنزابة وحنزابة: أمه رومية، ولها من العقل والحزم ما نوه باسمها قد اقتطع في أيام الإخشيد قيمة مائة دينار في أمور تولاها له، فحاسب أبا زكريا النصراني، المعروف بحبوسة، وكان على الخراج، فألزمه عشرة آلاف دينار وطالبه بها، فقال: أعز الله الأمير! وهل قامت علي حجة يلزمني بها الأداء؟ قال: هو ما أقول لك يا لص! فقال: إنما هو لصيص، فضحك وتركه.الملح تبلغ المطالب وترفع من لا قدم لقومهوكم أفادت من الرغائب، وبلغت من المطالب، ورفعت من لا قدم لقومه، ولا أمس ليومه. كما حكى أبو الحسن المدائني قال: كان بالبصرة ثلاثة إخوان يتعاشرون ولا يفترقون؛ اثنان شاعران والآخر منجم لا يحسن شيئا، ففني ما بأيديهم، فخرج الشاعران إلى

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر؟ الحُصري القيرواني ص/٢

بغداد، فمدحا من بها من الأشراف؛ فرجعا وقد اعتقدا أموالا نفيسة، وبقي صاحبهما في فقره؛ فقالا له: لو ذهبت فتسببت؟ فقال: ما لي صناعة ولا عندي بضاعة. فقالا: على كل حال معك ظرف ولك لطف.فخرج إلى بغداد واتصل بيقطين بن موسى وقال: ما أتيت إليك بشيء، غير أني أكذب الناس، فضحك وخف على قلبه؛ فكان في جملة حاشيته.فغضب المهدي على عبد الله بن مالك الخزاعي؛ فأتاه الرجل وهو من المهدي في أشد السخط، وقد ألزمه داره؛ فقال للحاجب: استأذن على الأمير، وقل له: رسول الأمير يقطين بالباب، فدخل وخرج له بالإذن فدخل. وقال: الأمير يقول لك: اليوم كنت عند أمير المؤمنين فذكرته سالف حقوقك وقديم خدمتك؛ فعفا عنك، وأمرك بالركوب غدا ليخلع عليك ويجدد الرضا عنك بمحضر الناس.فسر عبد الله بذلك، ودفع إلى الرجل مالا، وبكر إلى دار المهدي، فاستأذن عليه. فلما دخل قال: ما جاء بك؟ قبحك الله! وقد أمرناك بلزوم دارك؟ قال: أوما رضيت عني يا أمير المؤمنين، وأمرت يقطينا بإحضاري؟ فقال: إذا لا رضي الله عني، ولا خطر هذا بقلبي. قال: فرسوله أتاني بذلك. قال: علي بيقطين: فأتي به فقال: أتكذب علي وتحكي علي ما لم أقله؟ قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: زعمت أني رضيت عن هذا. فقال يقطين: وأيمان البيعة يا أمير المؤمنين إن كنت سمعت بشيء من هذا أو قلته. قال عبد الله: بل أتاني رسولك فلان. فبعث خلف الرجل بحضرة المهدي، فلما حضر قال: ما هذا الذي فعلت؟ قال: يا سيدي، هذا بعض ذلك المتاع، بدأت في نشره خوفا عليه من السوس. فقال المهدي: ما يقول؟ فأخبره يقطين بأول أمره معه، فضحك المهدي وجدد الرضا عن عبد الله بن مالك، ووصل الرجل بصلة جزيلة، ووصله عبد الله بأوفر صلة؛ فانصرف إلى صاحبيه واسع النعمة عظيم المال.حاجة أهل الأدب إلى ظريف المضحكاتوهل يستغني أهل الأدب وأولو الأرب عن معرفة ظريف المضحكات، وشريف المفاكهات، إذا لاطفوا ظريفا، أو مازحوا شريفا؟ فقد قال الأصمعي: بالعلم وصلنا وبالملح نلنا.وروى أبو هفان قال: دخل أبو نواس على يحيى بن خالد فقال له: يا أبا علي؛ أنشدني بعض ما قلت؛ فأنشده:كم من حديث معجب لي عندكا ... لو قد نبذت به إليك لسركاإني أنا الرجل الحكيم بطبعه ... ويزيد في علمي حكاية من حكىأتتبع الظرفاء أكتب عنهم ... كيما أحدث من أحب فيضحكافقال له يحيى: يا أبا علي؛ إن زندك ليوري بأول قدحة. فقال ارتجالا في معنى قول يحيى:أما زند أبي علي إنه ... زند إذا استوريت سهل قد حكىإن الإله لعلمه بعباده ... قد صاغ جدك للسماح ومزحكاتأبى الصنائع همتي

وقريحتي ... من أهلها وتعاف إلا منحكاوحضر الجماز مع أبي نواس مجلس قينة، فأقبل الجماز يمالحها ويمازحها وأبو نواس ساكت؛ فمالت إليه، فقال الجماز:." (١)

"أو أقول لك: اكتب كتابا في المعنى الذي أقول وأنص عليه، وأنشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل، حتى إذا كتبت ذلك قرىء من آخره إلى أوله، وانتظمت معانيه إذا قرىء من أسفله؛ هل كنت تفوق لهذا الغرض سهما، أو تجيل قدحا، أو تصيب نجحا؟ أو قلت لك: اكتب كتابا إذا قرىء من أوله إلى آخره كان كاتبا، وإذا عكست سطوره مخالفة كان جوابا؛ هل كنت في هذا العمل واري الزند، قاصد القصد؟ أو قلت لك: اكتب كتابا على المعنى الذي أقترح، لا يكون فيه معنى متصل من واو تتقدم الكلمة، أو منفصل عنها بديهة، هل كنت تفعل؟ أو قلت لك: اكتب كتابا خاليا من الألف واللام، لا تصب معانيه إلا على قالب ألفاظه، ولا تخرجه من جهة أغراضه، هل كنت تقف من ذلك موقفا مشهورا؟ أو يبعك ربك مقاما محمودا؟ أو قلت لك: اكتب كتابا أوائل سطوره كلها ميم، وآخرها جيم، على المعنى الذي أريد، هل كنت تغلو في قوسه غلوة، أو تخطو في أرضه خطوة؟ أو أقول لك: اكتب كتابا يخلو من الحروف العواطل، هل كنت تحظى منها بطائل؟ أو تبل لهاتك بناطل؟ أو أقول لك: اكتب كتابا إذا قرىء معوجا، أو سرد معرجا، كان شعرا، هل كنت تقطع في ذلك شعرا؟ بلى، والله تصيب ولكن من بدنك، وتقطع ولكن من ذقنك.أو أقول لك: اكتب كتابا إذا فسر من وجه كان مدحا، وإذا فسر من وجه آخر كان قدحا، هل كنت تقدر على هذه العمدة؟ أو تخرج من هذه العهدة؟ أو أقول لك: اكتب كتابا كنت قد حفظته من دون أن لحظته، هل كنت تثق من نفسك به؟ بل است البائن أعلم.فقال أبو بكر: هذه الأبواب شعبذة فقلت: وهذا القول طرمذة، فما الذي تحسن أنت من الكتابة وفنونها، حتى أباحثك عن مكنونها، وأكاثرك بمخزونها، وأثير فيها قلمك، وأسبر لسانك وفمك. فقال: الكتابة التي يتعاطاها أهل الزمان، المتعارفة بين الناس.فقلت: أليس لا تحسن من الكتابة إلا هذه الطريقة الساذجة، وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم، المتناول بكل يد وفم، ولا تحسن هذه الشعبذة.فقال: نعم! فقلت: هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل، وأنابلك بهذا النبل، ثم تقاس ألفاظي بألفظاك، ويعارض إنشائي بإنشائك؛ فأقترح كتابا يكتب في النقود وفسادها، وفي التجارات وكسادها ووقوفها، والبضاعات وانقطاعها، والأسعار وغلائها.فكتب أبو بكر بما نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة؛ بهما يتوصل إلى جنات النعيم، ويخلد في نار الجحيم، قال الله تعالى: " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر؟ الحُصري القيرواني ص/١٠

بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ". وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشد الإكبار؛ وأنكرناه أعظم الإنكار، لما نراه من الصلاح للعباد، وننويه من الخير للبلاد، وتعرفنا في ذلك بما يربح الناس في الزرع والضرع إلى كلمات لم تعلق بحفظنا.فقلت: إن الإنكار والإكبار، والبلاد والعباد، وجنات النعيم ونار الجحيم، والزرع والضرع، قد نبت عن العد، وزلت عن اليد، وقد كتبت كما ترى بما ساوق فيه اللسان القلم، وسابقت اليد الفم، ولا أطالبك بمثل ما أنشأت. فاقرأه ولك اليد، وناولته الرقعة فبقي وبقيت الجماعة، وبهت وبهتت الكافة.وهذا ما كتب البديع **ارتجالا**: بسم الله الرحمن الرحيم: الله شاء أن المحاضر صدور بها وتملأ المنابر، ظهور لها وتفرع الدفاتر، وجوه بها وتمشق المحابر، بطون لها ترشق آثارا، كانت فيه، آمالنا مقتضى على أياديه، في تأييده الله أدام الأمير جرى، وإذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدين، أهل عن الكل هذا يحط أن في إليه نتضرع، ونحن واقفة، والتجارات زائفة، والنقود صيارفة، أجمع الناس صار فقد كريما نظرا إلينا لينظر شيمه، مصاب وانتجعنا كرمه، بارقة وشمنا هممه، على آمالنا رقاب وعلقنا أحوالنا، وجوه له وكشفنا آمالنا، وفود إليه بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا أن ونعماءه تأييده وأدام بقاءه الله أدام الحال الجليل الأمير رأى أن وصلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم.." (١)

"العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد.. ويستحسنون أن تكون القصيدة وترا، وأن يتجاوز بها العقد، أو توقف دونه؛ كل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة، وإلقاء البال بالشعر.وزعم الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزا وقطعا، وأنه إنما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف، وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس، وبينهما وبين مجيء الإسلام مائة ونيف وخمسون سنة. وذكر ذلك الجمحي وغيره.وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلي شيئا يسيرا، وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أتى العجاج بعد فافتن فيه؛ فالأغلب العجلي والعجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في القصيد.والشاعر إذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل؛ وقد جمع ذلك كله الفرزدق، ومن المحدثين أبو نواس، وكان ابن الرومي يقصد فيجيد، ويطيل فيأتي بكل إحسان، وربما تجاوز حتى يسرف، وخير الأمور أوساطها.. وهو القائل:وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله ... فأطال فيه فقد أراد هجاءهلو لم يقدر فيه بعد المستقى ... عند الورود لما أطال رشاءه٢٦ باب في البديهة والارتجال البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا أو من أهل عصرنا هي الارتجال، وليست به؛ لأن البديهة فيها الفكرة والتأيد، والارتجال ما كان انهمارا وتدفقا لا يتوقف فيه قائله: كالذي صنع الفرزدق وقد دفع إليه سليمان بن عبد الملك أسيرا من الروم ليقتله، فدس إليه بعض بني عبس

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر؟ الحُصري القيرواني ص/١٠٢

سيفا كهاما فنبا حين ضرب به، فضحك سليمان، فقال الفرزدق **ارتجالا** في مقامه ذلك يعتذر لنفسه، ويعير بني عبس بنبو سيف ورقاء بن زهير عن رأس خالد بن جعفر:." (١)

"فأيقنت أن الطرف قال: مرحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيب المتيمإذ كان هذا كله مما لا تحمله إشارة خائف مذعور.ولما أقام معاوية الخطباء لبيعة يزيد قام رجل من ذي الكلاع فقال: هذا أمير المؤمنين، وأشار بيده إلى معاوية، فإن مات فهذا، وأشار إلى يزيد، فمن أبى فهذا، وأشار إلى السيف، ثم قال:معاوية الخليفة لا تمارى ... فإن يهلك فسائسنا يزيدفمن غلب الشقاء عليه جهلا ... تحكم في مفارقه الحديدوقد جاء أبو نواس بإشارات أخر لم تجر العادة بمثلها، وذلك أن الأمين بن زبيدة قال له مرة: هل تصنع شعرا لا قافية له؟ قال: نعم، وصنع من فوره **ارتجالا:**ولقد قلت للمليحة قولي ... من بعيد لمن يحبك: " إشارة قبلة "فأشارت بمعصم ثم قالت ... من بعيد خلاف قولي: " " لا لا "فتنفست ساعة ثم إني ... قلت للبغل عند ذلك: " " امش "فتعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن تأتيه، وأعطاه الأمين صلة شريفة.ومن إشارات الحذف، نحو قول نعيم بن أوس يخاطب امرأته:إن شئت أشرفنا جميعا فدعا ... الله كل جهده فأسمعابالخير خيرا وإن شرا فاا ... ولا أريد الشر إلا أن تااكذا رواه أبو زيد الأنصاري، وساعده من المتأخرين علي بن سليمان الأخفش، وقال: لأن الرجز يدل عليه، إلا أن رواية النحويين " وإن شرا فا " و " إلا أن تا " قالوا: يريد إن شرا فشر، وإلا أن تشائي.. وأنشدوا:." (٢)

"وسأذكر بعد هذا الباب قطعة من أشعار الكتاب يظهر فيها مرماهم، ويستدل به على مغزاهم، ويعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب إليه من تفضيلهم، ويشهد لي بجودة الميز، وفرط التثبت والإنصاف، إن شاء الله تعالى.باب في أشعار الكتابوالكتاب أرق الناس في الشعر طبعا، وأملحهم تصنيعا، وأحلاهم ألفاظا، وألطفهم معاني، وأقدرهم على تصرف، وأبعدهم من تكلف.وقد قيل: الكتاب دهاقين الكلام، وما نزيدك على قول إبراهيم بن العباس الصولي بين يدي المتوكل حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر فقال **ارتجالا:**صد عني وصدق عني الأقوالا ... وأطاع الوشاة والعذالاأتراه يكون شهر صدود ... وعلى وجهه رأيت الهلالافطرب له المتوكل واهتز ووصله، وخلع عليه وحمله، وجدد له ولاية. وقيل له في التلطف والاستعطاف أكثر من هذا، وأي مدح أبرع وأبدع من قوله في الفضل بن سهل:لفضل بن سهل يد ... تقاصر عنها المثلفباطنها للندى ... وظاهرها للقبلونائلها للغنى ... وسطوتها للأجلأليس هذا الماء الزلال،

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه؟ ابن رشيق القيرواني ١٨٩/١

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه؟ ابن رشيق القيرواني ٣١٠/١

والسحر الحلال؟؟ ولقد أجاد ابن الرومي في تناوله هذا المعنى حين قال:مفبل ظهر الكف، وهاب بطنها ... له راحة فيها الحطيم وزمزم." (١)

"يقول لي روح تذهب وتجيء في بدن مثل الخلال في النحول والرقة إذا طيرت الريح عنه الثوب الذي عليه لم يظهر ذلك البدن لرقته أي إنما يرى لما عليه من الثوب فإذا ذهب عنه الثوب لم يظهر ويجوز أ، يكون معنى لم يبن لم يفارق أي أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لخفته ومثل الخلال صفة لموصوف محذوف تقديره في بدن مثل الخلال وأقرأني أبو الفضل العروضي في مثل الخيال قال أقرأني أبو بكر الشعراني خادم المتنبي الخيال قال لم أسمع الخلال إلا بالري فما دونه يدل على صحة هذا إن الوأواء الدمشقي سمع هذا البيت فأخذه فقال، وما أبقى الهوى والشوق مني، سوى روح تردد في الخيال، خفيت على النوائب أن تراني، كأن الروح مني في محال،كفى بجسمي نحولا أنني رجل ... لولا مخاطبتي إياك لم ترنييقول كفى بجسمي نحولا أنني رجلا لو لم أتكلم لم يقع على البصر أي إنما يستدل علي بصوتي كما قال أبو بكر الصنوبري، ذبت حتى ما يستدل على أني حي إلا ببعض كلامي، واصل هذا المعنى قولا الأول، ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت، فدل عليها صوتها حية البحر، والباء في بجسمي زائدة وهي تزاد في الكفاية في الفاعل كثيرا كقوله سبحانه وكفى بالله شهيدا كفى بالله وكيلا وقد تزاد في المفعول أيضا كقول بعض الأنصار، وكفى بناء فضلا على من غيرنا، حب النبي محمد إيانا، معناه كفانا فضلا فزاد الباء وقد قال أبو الطيب، كفى بك داء أن ترى الموت شافيا، فزاد في المفعول وقوله بجسمي معناه جسمي كما ذكرنا وانتصب نحولا على التمييز لأن المعنى كفى جسمي من النحول.وقال أيضا في صباه **ارتجالا**بأبي من وددته فافترقنا ... وقضى الله بعد ذاك اجتماعاهذه الباء تسمى باء التفدية يقول فداء بأبي من وددته أي جعل فداءص ل وتقول بنفسي أنت وبروحي أنت وهو كثير في كلامهم.فافترقنا حولا فلما التقينا ... كان تسليمه علي وداعايقول كان تسليمه علي عند الالتقاء توديعا لفراق ثان والوداع اسم بمعنى التوديع يقال ودعته توديعا ووداعا وهذا المعنى من قول الآخر، بأبي وأمي زائر متقنع، لم يخف ضوء البدر تحت قناعه، لم أستتم عناقه للقائه، حتى ابتدأت عناقه لوداعه.وقال أيضا في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلويأهلا بدار سباك أغيدها ... أبعد ما بان عنك خردهاالاغيد الناعم البدن وجمعه غيد وأراد ههنا جارية وذكر اللفظ لأنه عنى الشخص والخرد جمع الخريدة وهي البكر التي لم تمسس ويقال أيضا خرد بالتخفيف وفي قوله أبعد أوجه وروايات والذي عليه أكثر الناس الاستفهام وفيه ضربان من الفساد أحدهما في اللفظ

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه؟ ابن رشيق القيرواني ١٠٦/٢

وهو أن تمام الكلام يكون في البيت الذي بعده وذلك عيب عند الرواة ويسمونه المبتور والمضمن والمقاطل ومثله لا يصلح بيني فاعلموه ولا، بينكم ما حملت عاتقي، سيفي وما أن مريض وما، قرقر قمر الواد بالشاهق، والثاني في المعنى وهو أنه إذا قال أبعد فراقهم تهيم وتحزن كان محالا من الكلام والرواية الصحيحة أبعد ما يقول أبعد شيء فارقك جواري هذه الدار وروى قوم أبعد على أنه حال من الاغيد والعامل في الحال سباك يقول سباك أبعد ما كان منك وهذا من العجب أن السابي يسبي وهو بعيد والمعنى أنه أسرك بحبه وهو على البعد منك وانتصب أهلا بمضمر تقديره جعل الله أهلا بتلك الدار فتكون مأهولة وإنما تكون مأهولة إذا سقيت الغيث فانبتت الكلأ فيعود إليها أهلها وهو في الحقيقة دعاء لها.ظلت بها تنطوي على كبد ... نضيجة فوق خلبها يدها." (١)

"المعجب الذي يعجب بنفسه والعجيب الذي يعجب غيره وهو بمنعى المعجب أيضا كالبديع بمعنى المبدع يقول أن أعجبت بنفسي فإن عجبي عجب معجب لا يرى فوق نفسه مزيدا في الشرف أي ليس عجبي بمكرأنا ترب الندى ورب القوافي ... وسمام العدى وغيظ الحسوديقول أنا أخو الجود ولدنا معا وأنا صاحب القوافي ومنشئها لأني لم أسبق إلى مثلها وإنا قتل اعدائي كما يقتل السم وأنا سبب غيظ الحساد لأنهم يتمنون مكاني فلا يدركونه فيغتاظونأنا في أمة تداركها الل ... ه غريب تصالح في ثمودتداركها الله دعاء لها أي ادركها الله ونجاهم من لومهم ويجوز أن يكون دعاء عليهم أي أدركهم الله بالاهلاك لأنجو منهم قال ابن جنى انه بهذا البيت سمي المتنبي.وقال في صباه **ارتجالا** وقد أهدى إليه عبيد الله بين خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل.قد شغل الناس كثرة الأمل ... وأنت بالمكرمات في شغليقول الناس مشغولون بكثرة آمالهم بك واطماعهم فيما يأخذون من اموالك وأنت مشغول بتحقيق آمالهم وبتصديق اطماعهم فذلك شغل بالمكرماتتمثلوا حاتما ولو عقلوا ... لكنت في الجود غاية المثلأراد تمثلوا بحاتم أي في الجود فحذف الباء ضرورة وذلك أن المثل في الجود يضرب بحاتم فيقال أجود من حاتم وأسخى من حاتم ولو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك لأنك الغاية في الجودأهلا وسهلا بما بعثت به ... إيها أبا قاسم وبالرسليقال للشيء يسر لقاؤه أهلا بك وسهلا ومرحبا وذلك كالتحية والرسل عطف على قوله بما بعثت به أي هلا بالهدية وبالذين ارسلتهم وقوله أيها أي كف ودع فقد اكثرت من الهديةهدية ما رأيت مهديها ... ألا رأيت العباد في رجلهدية خبر ابتداء محذوف كأنه قال هديتك هدية ما رأيت صاحبها الذي أهداها يعني الممدوح إلا رأيت الناس واللوم وهذا المعنى من قول أبي نواس، وليس لله

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/٣

بمستنكر، أن يجمع العالم في واحد، وله أيضا، متى تحطي إليه الرحال سالمة، تستجمعي الخلق في تمثال إنسان، وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فقال، أم الخلق في حي شخص أعيدا، وقال، ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق،أقل ما في أقلها سمك ... يسبح في بركة من العسليقول أقل شيء في هذه الهدية سمك بهذه الصفة ويريد بالبركة الإناء الذي كان فيه العسل يعني أن هذه الهدية كانت عظيمة أقلها ما ذكرهكيف أكافي على أجل يد ... من لا يرى أنها يد قبلييقول الذي لا يعتقد في أجل نعمة له عندي أنها نعمة استحقارا لها وتصغيرا كيف اكافيه والمكافاة ان يقابل الشيء بمثله وأصلها الهمزة وكتب إليه أيضا على جوانب الجام بالزعفرانأقصر فلست بزائدي ودا ... بلغ المدى وتجاوز الحدايقال أقصر عن الشيء إذا كف عنه وهو قادر عليه وقصر عنه إذا عجز عنه وقصر فيه إذا لم يبالغ يقول كف عن البر وأمسك عنه فانك لا تزيدني بذلك ودا لن ودي إياك قد بلغ الغاية وتجاوز الحد وصار بحيث لا مزيد علهي وهذا من قول ذي الرمة، وما زال يعلوا حب مية عندنا، ويزداد حتى لم نجد ما يزيدهاأرسلتها مملوءة كرما ... فرددتها مملوءة حمدايقول أرسلت الآنية مملوءة بكرمك الذي انعمت على فصرفتها اليك مملوءة بالحمد والشكرجاءتك تطفح وهي فارغة ... مثنى بن وتظنها فردايقال طفح الاناء إذا متلأ واراد جاءتك طافحة فصرف الحال إلى لفظ الاستقبال يقول هي فارغة لا شيء فيها وهي مملوءة بالثناء وذلك أنه كتب الأبيات على جوانبها وهي مثنى بالحمد أي إثنان وأنت تظنها فردا ليس معها شيءتأبى خلائقك التي شرفت ... ألا تحن وتذكر العهداالخليقة ما خلق عليها الإنسان كالطبيعة وهي ما طبع علهيا يقول اخلاقك الشريفة تأبى عليك إن لا تحن إلى اوليائك وتذكر عهدهملو كنت عصرا منبتا زهرا ... كنت الربيع وكانت الورداالعصر الدهر والزهر واحد الازهار وهو ما ينبته الربيع من الانوار يقول لو كنت زمانا ينبت الزهر كنت زمان الربيع وكانت اخلاقك الورد أي كنت أفضل وقت وكانت أخلاقك أفضل نور وقال في اللجون ارتجالا وقد اصابهم مطر وريح." (١)

"أيملك الملك والأسياف ظامئة ... والطير جائعة لحم على وضمالوضم كل شيء يوضع عليه اللحم ويضرب اللحم على الوضم مثلا للضعيف الذي لا امتناع عنده ويقال للمرأة لحم على وضم ومنه قول السنبسي، أحاذر الفقر يوما أن يلم بها، فيهتك الستر عن لحم على وضم، وذلك أن الحيوان فيه نوع امتناع فإذا ذبح ووضع لحمه على الوضم كان عرضة لكل أحد حتى الطيور والذباب وقوله أيملك الملك استفهام معناه الإنكار يقول لا يملك الملك ضعيف لا يمنع ولا يدفع عن نفسه والإسياف عطاش إلى دمه والطير

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/١٩

لم تشبع من لحمه يعنى أنه يقتل ويلقى للطيور ولا يملكمن لو رآني ماء مات من ظمأ ... ولو مثلت له في النوم لم ينممن بدل من قوله لحم على وضم يقول الذي لو كانت ماء وكان عطشان لم يقدر أن يشرب مني لخوفه حتى يموت عطشا ولو رآني في النوم ماثلا له لهجر النوم خوفا من أن يراني في النومميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ... ومن عصى من ملوك العرب والعجمأراد كل سيف رقيق الشفرتين وهو الذي رققت شرفتاه بكثرة الصقل يعني أنه يحاربهم ويقود غليهم الجيش ومن عصى يريد ومن عصانيفإن أجابوا فما قصدي بها لهم ... وإن تولوا فما أرضى لها بهميقول إن اطاعوني وأجابوا إلى ما أدعوهم إليه فليست بسيوفي ولا اقتلهم بها وإن أدبروا عني فلا اقتصر على مثلهم بل اتعداهم إلى غيرهم قال أيضا في صباه وقد عذله أبو سعيد المخيمري في تركه لقاء الملوكأبا سعيد جنب العتابا ... فرب رآء خطأ صوابايقول بعد عني عتابك ولا تعاتبني لأنك ترى الخطأ من زيارة الملوك صوابا ويجوز رائي خطأ بالإضافة وراء خطأ كما تقول زيد ضارب عمرو وضارب عمرا إذا كان فيما يستقبل الرؤية ههنا بمعنى الظن والعلم فيجوز أن يتعدى إلى مفعولينفإنهم قد أكثروا الحجابا ... واستوقفوا لردنا البوابايقول الملوك نصبوا الحجاب الذين يحجبون عنهم الناس واستكثروا منهم وسألوا البواب وهو الذي يقف على الباب أن يقف على أبوابهم لصرف الناس عنهموإن حد الصارم القرضابا ... والذابلات السمر والعراباترفع فيما بيننا الحجاباالقرضاب السيف القاطع والذابلات الرماح اللينة والعراب الخيل العربية يريد أنه يتوصل إلى الملوك بالسلاح والخروج عليهم وقال أيضا في صباه **ارتجالا** على لسان رجل سأله ذلكشوقي إليك نفى لذيذ هجوعي ... فارقتني وأقام بين ضلوعيعني شوقي إليك منعني طيب النوم فارقتني أنت وأقام الشوق في قلبيأوما وجدتم في الصراة ملوحة ... مما أرقرق في الفرات دموعيالصراة نهر يتشعب من الفرات فيصير إلى الموصل ثم إلى الشام وكان حبيبه من جانب الصرة يقول أوما وجدتم طعم ملوحة من دموعي في مائكم لبكاءي في الفرات ويقال رقرق الماء والدمع إذا صبهما زلت أحذر من وداعك جاهدا ... حتى اغتدى أسفي على التوديعيقول لم أزل أحذر من وداعك خوف الفراق وأنا اشتاق الآن إلى التوديع واتأسف عليه لأني لقيتكعند الوداع فاتمنى ذلك لألقاك قال ابن جنى كنت أكره الوداع فلما تطاول البين أسفت على التوديع لما يصحبه من النظر والشكوى والبثرحل العزاء برحلتي فكأنما ... أتبعته الإنفاس للتشييعيقول ارتجل الصبر عني بارتحالي عنكم فكان أنفاسي تبعت العزاء مشيعة له فهي صاعدة متصلة دائمة وقال في صباه أيضا **ارتجالا**أي محل أرتقى ... أي عظيم أتقييقول لم يبق له محل ولا درجة في العلو إلا وقد بلغها وأي استفهام معناه الانكار أي وليس يخاف عظيما يتقيهوكل ما قد خلق الل ... ه وما لم يخلقمحتقر في همتي ... كشعرة في مفرقيقوله وما لم يخلق ليس معناه ما لا

يجوز أن يكون مخلوقا كذات البارىء عز وجل وصفاته لأنه لو أراد هذا للزمه الكفر بهذا القول وإنما أراد وما لم يخلقه مما سيخلقه وقال أيضا في صباهإذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعدا ... فقم واطلب الشيء الذي يبتر العمراالبتر القطع وما يبتر الفقر هو المال يقول إذا لم تجد غنى يقطع عنك الفقر فقم وأطلب ما يقطع العمر وهو الحرب أي لتصيب مالا أو تقتل فتستغني عن المال." (١)

"الكاشح العدو الذي يضمر العداوة في كشحه وهذا على ما قال لأن شهادة العدو في الشرع لا تقبل يقول لا تسمع علي قول اعداءي ولا تبال بلجاج اليهود في إساءة القول في ويروي بمحل اليهود وهو السعاية قال ابن جنى جعل خصومه يهودا ولم يكونوا في الحقيقة يهودا قال ابن فورجة هذا نفى ما اثبته قائل الشعر ولا يقبل إلا بحجة من نفس الشاعروكن فارقا بين دعوى أردت ... ودعوى فعلت بشأو بعيديقول افرق بين دعوى من يدعي علي فيقول أردت أن تفعل كذا وبين دعوى من يقول فعلت كذا أي لم يدعوا علي الفعل وإنما ادعوا أني أردت أن أفعل وبينهما بون بعيدوفي جود كفيك ما جدت لي ... بنفسي ولو كنت أشقى ثمودوما جدت بمعنى المصدر وفي جود كفيك جود لي بنفسي وأراد بأشقى ثمود عافر الناقة وقال لمعاذ وهو يعذله على تقدمه في الحربأبا عبد الإله معاذ إني ... خفي عنك في الهيجا مقاميقول يخفى عليك مقامي في الحرب لأني مختلط بالأبطال ملتبس بالأقران بحيث لا تراني أ، تذكرت جسيم ما طلبي وأنا ... نخاطر فيها بالمهج الجساميقول عاتبتني على طلب الأمور العظيمة ومخاطرتنا فيها بالأرواح وما صلةأمثلي تأخذ النكبات منه ... ويجزع من ملاقاة الحمامالنكبات الشدائد تنكب الإنسان يقول مثلي لا تصيبه النكبات إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه وإما لأنه صابر عليه فليست تؤثر فيهولو برز الزمان إلى شخصا ... لخضب شعر مفرقه حساميقول الزمان الذي هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصا ثم برز إلي في الحرب لخضب شعر مفرقه سيفيوما بلغت مشيتها الليالي ... ولا سارت وفي يدها زمانييقول لم يبلغ الزمان مراده مني ومن تغيير حالي وتوهين أمري وما انقدت له انقياد من يعطى زمامه فيقاد به هذا من قول البحتري، لعمر أبي الأيام ما جار صرفها، علي ولا أعطيتها ثني مقودي،إذا امتلأت عيون الخيل مني ... فويل في التيقظ والمنامأراد أصحاب الخيل وأراد فويل لهم في الحالتين جميعا لأنهم يخافونني اشد الخوف حتى تذهب لذة منامهم وأمنة يقظتهم وقال لرجل بلغه عن قوم كلاماأنا عين المسود الجحجاح ... هيجتني كلابكم بالنباحيقول أنا نفس السيد الذي سوده قومه أثارتني وأغضبتني سفهاؤكم بسفهها ولما سماهم كلابا سمى كلامهم نباحا ويروي هجنتني أي نسبتني إلى الهجنة ويدل على صحة هذا قولهأيكون

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/٣١

الهجان غير هجان ... أما يكون الصراح غير صراحذكر حاكمنا أبو سعيد بن دوست في تفسير هذا البيت أن الهجان جمع هجين ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة وإنما جمعوا الهجين هجنا وهجناء والهجان إنما يذكر في خلوص البياض والنسب وهو من صفات المدح حيثما استعمل يقال رجل هجان وامرأة هجان وهي الكريمة التي لم تعرق فيها الإماء وارض هجان إذا كانت تربتها بيضاء وناقة هجان خالصة اللون وخيار كل شيء هجانه وأنشد أبو الهيثم، وإذا قيل ن هـجان قريش، كنت أنت الفتي وأنت الهجان، ثم أخطأ أيضا في معنى البيت فقال أي لا يكون الهجين إلا هجينا ولا يكون الصريح إلا صريحا وإن انتسب إلى غير نسبه وليس في البيت ذكر الانتساب ولم ينتسب الصريح إلى غير نسبه وإنما يفعل ذلك الهجين وكثيرا ما يخطىء في هذا الجيوان وليس يمكن عد هفواته لكثرتها وقلة الفائدة في ذكرها وإنما ذكرنا هذا تعجبا ودلالة على أمثاله ومعنى البيت أن الكريم الخالص النسب لا يصير غير كريم وغير خالص النسب عنى بذلك أن هجو الهاجي لا يؤثر فيه لأنه ذكر في البيت الأول شكايته من السفهاء واللئام وذكر في هذا البيت أن سفههم وبهتهم لا يقدح فيه ولا يغير نسبهجهلوني وإن عمرت قليلا ... نسبتني لهم رؤوس الرماحقوله نسبتني لهم رؤوس الرماح تهديد لهم بالقتل والظاهر من الكلام إن الرماح تعرفهم نسبي ولكنه ايعاد بالقتل ويحتمل أنه أراد إذا طاعنتهم فرأوا غنائي وحسن بلاءي استدلوا بذلك على كرم نسبي وقال ارتجالا وقد سأله أبو طبيس الشربألذ من المدام الخندريس ... وأحلى من معاطاة الكؤوسمعاطاة الصفائح والعوالي ... وإقحامي خميسا في خميس." (١)

"يعني إن الحرب الذ عنده من الشرب ومعنى معاطاة الصفائح مد اليد بالسيوف إلى الأقران بالضرب كمد المتناول يده إلى من ناوله الشيء والاقحام الادخالفموتي في الوغى عيشي لأني ... رأيت العيش في أرب النفوسأي إذا قتلت في الحرب فكأني قد عشت لأن حقيقة العيش ما يكون فيما تشتهي النفس وحاجتي أن أقتل في الحرب وإذا أدركت حاجتي فكأني قد عشتولو سقيتها بيدي نديم ... أسر به لكان أبا ضبيسيعين لو أردت شربها لشربتها من يدي أبي ضبيس فإني أسر بمنادمته وقال له بعض الكلابيين أشرب هذه الكأس سرورا بك فأجابهإذا ما شربت الخمر صرفا مهنأ ... شربنا الذي ن مثله شرب الكرمالصرف الخمر الخالصة غير ممزوجة بشيء وقوله الذي من مثله شرب الكرم يعني الماء يريد أن شرابه الماء لا الخمرألا حبذا قوم نداماهم القنا ... يسقونها ريا وساقيهم العزميعني الأبطال الذي يقاتلون بالرماح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم أي كأنها ندماءهم لأنهم لا يخلون من صحبتها ويسقونها ما يرويها من

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/٤٤

الدماء فهم سقاة رماحهم وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الاعداء وقال **ارتجالا** في صباهلأحبتي أن يملؤا ... بالصافيات الأكوباوعليهم أن يبذلوا ... وعلي أن لا أشرباحتى تكون الباترات ... المسمعات فأطربايعني أنه يطرب على استماع صليل السيوف وقا لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباحأما ترى ما أراه أيها الملك ... كأننا في سماء ما لها حبكجعل مجلسه في علو قدره كالسماء في ارتفاعها غير أنه ليست له طرائق كما للسماء والحبك جمع الحبيكة وهي الطريقة ثم ذكر شبه مجلسه بالسماء فقالألفرقد ابنك والمصباح صاحبه ... وأنت بدر الدجى والمجلس الفلكجعل ابنه وهو قريب من المصباح كالفرقد وأراد بالصاحب الفرقد الآخر وهما كوكبان معروفان وقال وقد نام أبو بكر الطائي وأبو الطيب ينشد فانتبهإن القوافي لم تنمك وإنما ... محقتك حتى صرت ما لايوجديقول إن الشعر لم يكن سبب نومك ولكن كان سبب نقصانك حيث حسدتني عليه فنقصك حتى صرت كالمعدوم الذي لا يذكر ولا يكون له وجودفكأن أذنك فوك حين سمعتها ... وكأنها مما سكرت المرقدأي لم تدركها ولم تتبينها فإن الفم لا يسمع أي لم يفدك السماع فهما كأنك لم تسمع والمرقد دواء من شربه غلبه النوم يقول كأنها كانت دواء النوم حيث صرت كالسكران من النوم وقوله مما سكرت أي من سكرك يعني سكر النوم وقال ابن جنى أي نمت على الإنشاد فكأن ما سمعت منها بأذنك مرقد بفيك وهذا هو القول وقال أيضا في صباهكتمت حبك حتى منك تكرمة ... ثم استوى فيك إسراري وإعلانييقول تكرمت بكتمان حبك حتى كتمته منك أيضا ويجوز أن يكون المعنى إكراما للحب وإعظاما له حتى لا يطلع عليه ثم تغيرت الحال حتى صارت الاعلان والاسرار سواء يعني لم ينفع الإسرار وصار كالإعلان حيث ظهر الحرب بالشواهد ،الدالة عليه وبطل الكتمانكأنه زاد حتى فاض عن جسدي ... فصار سقمي به في جسم كتمانيلم يعرف الشيخان معنى هذا البيت قال أبو الفتح كأنه أي كان الكتمان ثم قال وما علمت أن أحدا ذكر استتار سقمه وأن الكتمان أخفاه غير هذا الرجل وقال أبو علي كأنه زاد يريد الكتمان وقوله فصار سقمي به في جسم كتماني يريد فصار سقمي منكتما كأنه في وعاء من الكتمان وكأنه يقول كان كتماني في جسمي فصار جسمي في كتماني وهذا مثل قول أبي الفتح سواء وإنما حكيت كلامهما لتعرف أنهما لم يقفا على معنى البيت وأخطاءا حيث جعلا الخبر عن الكتمان وإنما هو عن الحب يقول كأن الحرب زاد حتى لم أقدر على امساكه وكتمانه ثم فاض عن جسدي كما يفيض الماء إذا على ملإ الإناء وصار سقمي بالحب في جسم الكتمان أي سقم كتماني وضعف وإذا سقم الكتمان صح الإفشاء والإعلان والأستاذ أبو بكر فسر هذا التقسير وهو على ما قال وقال وقد مد إليه إنسان بكأس وحلف بالطلاق ليشربنهاوأخ لنا بعث الطلاق ألية ... لأعللن بهذه الخرطومالأليتة

القسم وجمعها الألايا والتعليل السقي مرة والخرطوم من اسماء الخمر سميت بذل لأنها إذا بزل الدن تنصب في صورة الخرطوم." (١)

"أي كأنه حفر في قلب كل مسلم لحزنه عليهبمزود كفن البلى من ملكه ... مغف واثمد عينه الكافوريعني لم يزود من ملكه وملكه إلا دفنا يبلى وجعله مغفيا لأن الميت كالنائم لإطباق جفنه يقول كحل بالكافور بدل الاثمدفيه السماحة والفصاحة والتقى ... والبأس أجمع والحجي والخيريقول في ذلك الكفن هذه الأوصاف وهذه الاخلاق التي ذكرها والخير الكرمكفل الثناء له برد حياته ... لما انطوى فكأنه منشوريقال أنشر الله الميت ومنه قوله تعالى ثم إذا شاء أنشره ويقال أيضا نشره يقول ثناء الناس عليه وذكرهم أياه بعده كفيل برد حياته لأن من بقي ذكره فكأنه لم يمت وهذا من قول الحادرة، فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم، بإحساننا إن الثناء هو الخلد، وقال التيمي أيضا، ردت صنائعه إليه حياته، فكأنه من نشرها منشور، وقال أيضا الطاءين سلفوا يرون الذكر عيشا ثانيا، ومضوا يعدون الثناء خلودا،فكأنما عيسى بن مريم ذكره ... وكأن عازر شخصه المقبورأي ذكره أبدا يحييه كما أحيي عيسى عليه السلام عازر بعد ما مات واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالاغاضت أنامله وهن بحور ... وخبت مكايده وهن سعيريقال غاض الماء إذا نقص وغار وخبت سكن لهبها والسعير تسعر النار يقول لما مات غاض بحر جوده الذي كان يفيض على الناس بالعطاء وانطفأت نار كيده وكانت سعيرا على اعدائهيبكي عليه وما استقر قراره ... في اللحد حتى صافحته الحورقال ابن جنى كان يقال قراره ويختار النصب ومن رفعه فبفعله ومن نصبه فعلى الظرف يقول ليس من حقه البكاء عليه لأنه لم يستقر في قبره حتى صافحته حور الجنة وإذا كان بهذه الصفة والمنزلة من رحمة الله تعالى لم يبك عليه بل يفرح عليه لوصوله إلى كرامة الله تعالصبرا بنى إسحاق عنه تكرما ... إن العظيم على العظيم صبوريقول اصبروا عنه واستعملوا الكرم في الصبر عنه فإن الرجل العظيم يصبر على الأمر العظيم وروى ابن جنى عن العظيم أي عن الرجل العظيمفلكل مفجوع سواكم مشبه ... ولكل مفقود سواه نظيريقول ليس في العالم مثلكم ولا مثله وكل منكم عظيمأيام قائم سيفه في كفه ال ... يمنى وباع الموت عنه قصيرأي أذكركم تلك الأيام التي كان يقاتل فيها اعداءه وهو في مهلة من أجله لا تمتد إليه يد الموتولطال ما انهملت بماء أحمر ... في شفرتيه جماجم ونحورويروي أنهمرت يقول طالما سالت الجماجم والنحور من الاعداء في حدي سيفه بالدماءفأعيد إخوته برب محمد ... أن يجزنوا ومحمد مسرورالوجه أن يكون محمد الأول النبي عليه الصلاة والسلام المرثي يقول لا ينبغي لهم أن يحزنوا علهي لأنه مسرور بما أصاره الله إليه من

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/٤٥

الكرامةأو يرغبوا بقصورهم عن حفرة ... حياه فيها منكر ونكيرقال ابن جنى وأعيذهم أن يتركوا زيارة قبره ويلزموا قصورهم وقال العروضي ما أبعد ما وقع أراد أن لا يحسبوا أن قصورهم أوفق له من الحفرة التي صارت روضة من رياض الجنة حتى حياه فيها الملكان وشرح ابن فورجة هذا القول فقال ليس معنى البيت على ما ذكره أبو الفتح لكنه يقول أعيذهم إن يظنوا إن قصورهم كانت خيرا له من قبر حياه فيه الملكان يقال رغبت بك عن هذا الأمر أي رفعتك عنه والمعنى أعيذهم أن يرفعوا قصورهم فيجعلوها في حكمهم خيرا له من قبره أي أن قبره خير له من تلك القصور ومنزله في الآخرة أشرف من منازله التي كانت في الدنيانفر إذا غابت غمود سيوفهم ... عنها فآجال العداة حصوريقول بنو اسحاق نفر أي رهط وجماعة إذا سلوا سيوفهم فغابت عن اغمادها حضرت آجال اعدائهم لأنهم يقتلونهم في تلك الحالوإذا لقوا جيشا تيقن أنه ... من بطن طير تنوفة محشورالتنوفة الأرض البعيدة يقول إذا حاربوا جيشا من الاعداء تيقن ذلك الجيش أنهم يحشرون من بطون الطير لأنهم يقتلوان فتأكلهم الطيرلم تثن في طلب أعنة خليهم ... ألا وعمر طريدها مبتوريقول لم تعطف اعنة خيل هؤلاء القوم في طلب عدو إلا وعمر ذلك العدو الذي طردته خيلهم بأن اتبعته يصير مبتورا مقطوعايممت شاسع دارهم عن نية ... إن لمحب على البعاد يزور." (١)

"يقول قصدت دراهم البعيدة للزيارة عن نية أي قصد من قولهم نويت الأمر ويجوز أن تكون النية بمنعى النوى وهي البعد وذلك لحبي أياهم لأن المحب يزور حبيبه وإن كان على البعد منه كما قال، زر من هويت وإن شطت بك الدار، وحال من دونه حجب وأستار، لايمنعنك بعد من زيارته، إن المحب لمن يهواه زوار،وقنعت باللقيا وأول نظرة ... إن القليل من الحبيب كثيرأخذ هذا من قول الموصلي، إن ما قل منك يكثر عندي، وقليل ممن تحب كثير وسأله بنو عمر الميت إن ينفي الشماتة عنهم فقال ارتجالاأألآل إبراهيم بعد محمد ... إلا حنين دائم وزفيرهذا استفهام معناه الإنكار يقول ليس لهم بعده إلا الحنين إليه والزفير على فقده وهو متلاء الجوف من النفس لشدة الكرب والغمما شك خابر أمرهم من بعده ... أن العزاء عليهم محظورالخابر العالم بالشيء مثل الخبير ويجوز أن يكون أيضا بمعنى المجرب يقال خبرت الأمر اخبره أي جربته والخبر العلم والخبرة التجربة يقول لا يشك من عرف أمرهم وجربه أن الصبر ممنوع محرم عليهم لشدة حزنهم على فقده أي أنهم لا يصبرون عنهتدمى خدودهم الدموع وتنقضي ... ساعات ليلهم وهن دهورأي إنهم يبدون عليه دما ويسهرون لفقده حتى يطول عليهم الليل فكأنه دهر لطولهأبناء عم كل ذنب لامرء ... إلا السعاية بينهم مغفوريقول كل من أذنب إليهم ذنبا فإنهم يغفرون له ذلك الذنب إلا

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/٦١

ذنب من سعى بينهم بالنميمة والإفسادطار الوشاة على صفاء ودادهم ... وكذا الذباب على الطعام يطيرقال ابن جنى معنى طار الوشاة ذهبوا وهلكوا لما لم يجدوا بينهم مدخلا قال العروضي فيما املاه علي أنه يظلم نفسه ويغر غيره من فسر شعر المتنبي بهذا النظر ألا يراه يقول وكذا الذباب على الطعام يطير أذهاب هذا أم اجتماع عليه وقال طار الوشاة على ولو اراد ما قال أبو الفتح لقال طار عنه أراد أن الوشاة نموا بينهم وتمالئوا ومشوا بالنميمة وقال أبو علي بن فورجة كيف يعني بقوله طار ذهبوا وهلكوا وقد شبه طيرانهم على صفاء الوداد بطيران الذباب على الطعام وإنما يعنى أن الوشاة تعرضوا لما بينهم وجهدوا أن يفسدوا ودهم كما أن الذباب يطير على الطعام ومثله قول الآخر، وجل قدري فاستحلوا مساجلتي، إن الذباب على الماذي وقاع، هذا كلامه والمعنى إن اجتماع الوشاة وسعيهم فيما بينهم بالنمائم دليل على ما بينهم من المودة كالذباب لا يجتمع إلا على الطعام وكذلك الوشاة إنما يتعرضون للاحبة المتوادين ولم يعرف ابن دوست هذا البيت البتة وكثيرا من أبيات هذا اللاديوانولقد منحت أبا الحسين مودة ... جودي بها لعدوه تبذيرأي حصل خلقه على ما أراد فكأن القدر يجري بمراده وعلى اختياره وقال أيضا في نفي الشماتة عنهملأي صروف الدهر فيه نعاتب ... وأي رزاياه بوتر نطالباللام في قوله لأي حشو ورفو كقوله تعالى ردف لكم وكقوله تعالى ﴿للرؤيا تعبرون يريد أي صرف من صروف الدهر نعاتب يعني أنها كثرت فليس يمكن معاتبتها ولا مطالبتها لكثرتها وكان الأستاذ أبو بكر يذهب إلى أن اللام لام أجل يريد لأجل أي صرف من صروف الدهر نعاتب اخواننا فيكون المفعول محذوفا للعلم به ويكون هذا شكاية من الدهر والاخوان جميعامضى من فقدنا صبرنا عند فقده ... وقد كان يعطي الصبر والصبر عازبيقول كان في حال حياته يصبر غيره إذا عزب الصبر عن الناس يعني في الشدائد والنوائب يعين الناس ويحسن إليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه ومن روى بفتح الطاء فمعناه أنه كان يصبر في المواطن التي يصعب فيها الصبريزور الأعدى في سماء عجاجة ... أسنته في جانبيها الكواكبجعل العجاجة المرتفعة في الهواء سماء وجعل الأسنة لامعة فيها كالكواكب كما قال بشار، كأن مثار النقع فوق رؤسنا، وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه، وقال أيضا، خلقنا سماء فوقنا بنجومنا، سيوفا ونقعا يقبض الطرف أقتما، وقال الآخر، نسجت حوافرها سماء فوقها، جعلت أسنتنا نجوم سمائها،فتسفر عنه والسيوف كأنما ... مضاربها مما انفللن ضرائب." (١)

"وكم قائل لو كان ذا الشخص نفسه ... لكان قراه مكمن العسكر الدهمالقرى الظهر والدم الكثير يقول كم من قائل يقول لشخصك لو كان على قدر نفسه وهمته لكان الجيش الكثير يكمنون وراء ظهره

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/٦٢

فيسترهم بكبرهوقائلة والأرض أعنى تعجبا ... على أمرؤ يمشي بوقري من الحلميصف رزانته وثقل حلمه يقول الأرض تقول تعجبت تعجبا يمشي على امرؤ وثقل حلمه كثقليعظمت فلما لم تكلم مهابة ... تواضعت وهو العظم عظما عن العظميقول أنت عظيم القدر والنفس والهمة فلم يكلمك الناس مهابة لك فلما هابوك تواضعت عن تلك العظمة وهي العظمة لأن تواضع الشريف عن شرفه أشرف من شرفه وقوله عظما عن العظم أي تعظما عن التعظم وتركا للتعظم ودخل على علي بن أبراهيم التنوخي فعرض عليه كأس في يده فيها شراب أسود فقال **ارتجالا**إذا ما الكأس أرعشت اليدين ... صحوت فلم تحل بيني وبينيارعشت حركت من الرعشة وهي الرعدة أي حركتهما لسكر شاربها يعني لا اشربها فأكون صاحيا لاتحول الكأس بيني وبين عقلي فحذف المضاف فجاء به من طرز كلام الصوفية كقول قائلهم، عجبت منك ومني، أفنيتني بك عني،هجرت الخمر كالذهب المصفى ... فخمري ماء مزن كاللجينأغار من الزجاجة وهي تجري ... على شفة الأمير أبي الحسينهو من قول الطاءي، أغار من القميص إذا علاه، مخافة أن يلامسه القميص، ومن قول الخبزارزي، من لطف إشفاقي ودقة غيرتي، أني اغار عليك من ملكيكا، ولو استطعت جرحت لفظك غيرة أني أراه مقبلا شفتيك، وأساء أبو الطيب لأن الأمراء لا يغار على شفاههم ويقول من يعذره إنما يغار لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس ولاخمر لأنهما للأمر والنهي والالفاظ الحسنة والأمر بالصلة ويجوز أن يريد أن الزجاجة نالت ما لم ينله أحد فهو يغار عليها حيث لا تستحق الزجاجة ذلككأن بياضها والراح فيها ... بياض محدق بسواد عينأتيناه نطالبه برفد ... فطالب نفسه منه بدينيقول إن الرفد الذي طالبناه به رآه دينا على نفسه كما قال أبو تمام، غريم للملم به وحاشا، نداه من مماطلة الغريم، وقال أيضا. إلا ندى كالدين حل قضاءه، إن الكريم لمعتفيه غريم فشربها فقال فيهمرتك ابن إبراهيم صافية الخمر ... وهنئتها من شارب مسكر السكرفي قوله مرتك نوعان من الضرورة أحدهما أنه كان يجب أن يقول أمرأتك لأنه إنما يقال مرأك إذا كان مع هنأك فإذا أفرد أمرأني الطعام والآخر أنه حذف همزة مرأتك وقوله مسكر السكر أي أنه يغلب السكر والسكر لا يغلبه وعادته أن يغلب كل شيء فكأنه قد غلبه ويجوز أن يستحسن السكر شمائله فيسكر لحسنهارأيت الحميا في الزجاج بكفه ... فشبهتها بالشمس في البدر في البحرالحميا من اسماء الخمر وهي من الأسماء التي لا تستعمل إلا مصغرة شبه الخمر بالشمس والزجاجة بالبدر وكفه بالبحرإذا ما ذكرنا جوده كان حاضرا ... ناي أو دنا يسعى على قدم الخضرأي لا نذكر جوده غلا وهو يحضر

كالخضر عليه السلام فيما يقال أنه لا يذكر في موضع إلا ويحضر وقال أيضا يمدح علي بن إبراهيم التنوخيأحاد أم سداس في أحاد ... لييلتنا المنوطة بالتنادي." (١)

"أقلب منك طرفي في سماء ... وإن طلعت كواكبها خصالايقول أنت في الرفعة سماء وإن كانت كواكب تلك السماء خصالا جعله كالسماء وخصاله في الشهرة نجومها كما قال البحتري، وبلوت منك خلائقا محمودة لو كن في فلك لكن نجوما،وأعجب منك كيف قدرت تنشا ... وقد أعطيت في المهد الكمالايقول ولدت كاملا فكيف أزددت بعد الكمال وقال فيه **ارتجالا** وهو على الشراب وقد صفت الفاكهة والنرجسإنما بدر بن عمار سحاب ... هطل فيه ثواب وعقابهذه القطعة مضطربة الوزن وهي من الرمل وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن وهو الأصل في الدائرة ولكن لم يستعمل العروض ههنا إلا محذوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد، مثل سحق البرد عفى بعدك القطر مغناه وتأديب الشمال، غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن لأنه مصرح فتبعت عروضه ضربة والمعنى أن السحاب فيه صواعق ورعد وبرق وماء كذلك هذا الممدوح فيه ثواب لأوليائه عقاب لاعدائهإنما بدر رزايا وعطايا ... ومنايا وطعان وضرابجعله هذه الأشياء لكثرة وجودها منه كما تقول العرب الشعر زهير والسخاء حاتم وكما قالت الخنساء، ترتع ما رتعت حتى إذا أذكرت، فإنما هي إقبال وإدبار، تذكر وحشية تطلب ولدها مقبلة ومدبرة فجلتها إقبالا وإدبار لكثرتهما منهاما يجيل الطرف إلا حمدته ... جهدها الأيدي وذمته الرقابيقول لا يجيل طرفه إلا على إحسان واساءة فله في كل طرفة ونظرة إحسان تحمد الأيدي جهدها لأنه يملأها بالعطاء واساءة تذمها الرقاب لأنه يوسعها قطعاما به قتل أعادية ولكن ... يتقي أخلاف ما ترجو الذئابيقول ليس له مراد في قتل الأعداء لأنه قد أمنهم بقصورهم عنه لكنه يحذر أن يخالف رجاء الذئاب وما عودها من اطعامه أياها لحوم القتلى أي فلذلك يقتلهمفله هيبة من لا يترجى ... وله جود مرجى لا يهابيعني أنه يهاب هيبة من لا يرجى العفو عنه ويجود جود من يرجى ولا يهاب يقول أنه مهيب شديد الهيبة وجواد في غاية الجودطاعن الفرسان في الأحداق شزرا ... وعجاج الحرب للشمس نقابيقول هو يطعن في الأحداق إذا أظلم المكان وصار الغبار للشمس كالنقاب يصف حذقه بالطعن وهذا كقوله، يضع السنان بحيث شاء مجاولا،باعث النفس على الهول الذي ... ما لنفس وقعت فيه إيابيحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الذي لا يتخلص من وقع فيهبأبي ريحك لا نرجسنا ذا ... وأحاديثك لا هذا الشرابيريد أن ريحه أطيب من ريح النرجس وحديثه ألذ من الشراب وهذا ليس مما يمدح به الرجال وهذا البيت من الأبيات التي قبله بعيد البون كبعد ما بين الثريا والثريليس بالمنكر

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/٧٠

إن برزت سبقا ... غير مدفوع عن السبق العرابوقال يذكر منازلة الأسدفي الخد أن عزم الخليط رحيلا ... مطر تزيد به الخدود محولايقول في الخد لأن عزم ولأجل أ، عزم الخليط وهو الحبيب الذي يخالطك مطر يعني الدمع تزيد الخدود به محولا والخدود شحوبها وتخدد لحمها وذهاب نضارتها والمطر من شأنه أن تخصب به البلاد ويخضر العشب والجمع مطر بخلاف هذا صنيعايا نظرة نفت الرقاد وغادرت ... في حد قلبي ما حييت فلولايعني نظرة إلى الحبيب عند افراق يقول نفت تلك النظرة رقادي وأذهبت حدة قلبي يعني اثرت في عقليكانت من الكحلاء سؤلي إنما ... أجلى تمثل في فؤادي سولايقول كانت هذه النظرة مرادي ومطلوبي من هذه المرأة وكانت في الحقيقة أجلي تصور مرادا في قلبي يعني أن نظرة إليها في حال التوديع أذهب روحهأجد الجفاء على سواك مروة ... والصبر إلا في نواك جميلاأراد بالجفاء النبو والامتناع ولذلك وصله بعلي يقول الامتناع من النساء مروة عندي إلا منك والصبر جميل إلا في بعدك كما قال البحتري، ما أحسن الصبر إلا عند فرقة من، ببينه صرت بين البث والحزن،وارى تدللك الكثير محببا ... وأرى قليل تدلل مملولايقول أمل دلال غيرك وإن قل واحب دلالك وإن كثر كما قال جرير، إن كان شأنكم الدلال فإنه، حسن دلالك يا أميم جميل،تشكو روادفك المطية فوقها ... شكوى التي وجدت هواك دخيلا." (١)

"يقول ما كنت حيا فلم يغب عنا أحد من هؤلاء لأن جميع محاسنهم موجودة فيك ويروي ما ماتا ولا أبواهما يعني سيارا ومكرما وتميم بن مر وأد بن طابخة قبيلتان مشهورتان من العرب إليهما ينتسب الممدوح وكان الوجه إن يقول فما ماتوا كما تقول ما دمت حيا فما احزن ولكنه حذف الفاء ضرورة كقوله، من يفعل الحسنات الله يشكرها، تقديره فالله يشكرها.فبعض الذي يبدو الذي أنا ذاكر ... وبعض الذي يخفى علي الذي يبدويقول الذي أنا ذاكر من فضائله بعض الذي يبدو بعض الذي يخفى علي أي إنما أذكر بعض ما يظهر من فضائله والذي يظهر بعض الذي يخفى يريد أن فضائله كثيرة يظهر له بعضها فيذكر منه بعضه ولا يظهر له كلها.الوم به من لامني في وداده ... وحق لخير الخلق من خيره الوديقول من لامني في وده لمته بما وصفت من فضله فيتبين أن من أحبه لا يستحق اللوم وأنه أهل لأن يحبه وحق له مني الود لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء وحقيق على أهل الخيران يود بعضهم بعضا.كذا فتنحوا عن علي وطرقه ... بنى اللؤم حتى يعبر الملك الجعديقول كذا هو أي كما وصفت فلا تنازعوه وبتاعدوا عنه حتى يمضي في طريقه إلى المعالي من غير أن تنازعوه ويجوز أن تكون الإشارة في كذا إلى التنحي الذي أمرهم به يقول

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/١١٤

قد تنحيتم وبلغتم في البعد عن غايته الغاية وكذا يجب أن يكون والقول هو الأول.فما في سجاياكم منازعة العلي ... ولا في طباع التربة المسك والنديقول أنتم منه كالتراب من المسك ولا يكون بينهما منازعة كذلك ليس في طباعكم أن تنازعوه العلى.ودع صديقا له فقال ارتجالاأما الفراق فإنه ما أعهد ... هو توأمي لو أن بينا يولديقول أما الفراق فإنه شيء اعهده وأراه دائما وهو توءمي ولد معي ن كان البيت مولودا أي لا أنفك من فراق حبيب فلو كان الفراق مولودا لقضيت عليه بأنه توأمي ويجوز أن يكون المعنى حقيقة الفراق ما أعهده من فراقك يعني أن وجد فراق هذا الحبيب فوق وجد فراق كل أحد حتى كان الفراق فراق لا فراق غيره.ولقد علمنا أننا سنطيعه ... لما علمنا أننا لا نخلدأل لما كنا نموت ونفني علمنا أننا ننقاد للفراق بمفارقة كل من الخليلين صاحبه والمعنى أن الفرقة على كل حال محتومة علينا لأنه لا يخلد أحد فنحن في طاعة الفراق أما عاجلا وإما آجلا.وإذا الجياد أبا البهي نقلننا ... عنكم فأردأ ما ركبت الأجوديقول إذا نقلتنا عنكم الخيل وباعدت بيننا صار الأجود الاردأ لأنه إذا كان اسرع كان اعجل إبعادا.من خص بالذم الفراق فإنني ... من لا يرى في الدهر شيئا يحمدوقال يمدح أبا بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب.كفرندي فرند سيفي الجراز ... لذة العين عدة للبرازالفرند جوهر السيف وهو معرب دخيل وفعل أكثر في كلام العرب من فعل والجراز السيف القاطع أي سيفي يحكيني في المضاء وهو حسن في مرأة العين عدة للمبارزة.تحسب الماء خط في لهب النا ... ر أدق الخطوط في الأحرازشبه بريق سيفه بالنار وآثار الفرند فيه ودقته بخطوط من الماء دقيقة كأدق الخطوط في الأحراز جمع حرز وهو العوذة وجرت العادة بتدقيق خط الأحراز.كلما رمت لونه منع النا ... ظر موج كأنه منك هازيأي كلما أردت أن تعرف لونه وانعمت النظر منع ناظرك من الوقوف ماؤه وبياضه الذي يتردد فيه كالموج فإنه يهزء بك لأنه لا يستقر لينفذ فيه شعاع عينيك.ودقيق قذى الهباء أنيق ... متوال في مستو هزهازودقيق بقذى كما تقولن حسن وجها لكنه أضافه إلى الهباء إشارة إلى أن الفرند في دقته يشبه الهباء شبه آثار الفرند في دقتها بقذى الهباء وجعله أنيقا لنه معجب للناظر متوال يتبع بعضه بعضا في متن مستو هزهاز متحرك مضطرب يجيء ويذهب يقال سيف هزهاز وهزاهز كان ماؤه يذهب عليه ويجيء وروى ابن جنى قدي الهباء يعني مقدار الهباء من قولهم قدي رمح وقاد رمح وقيد رمح.ورد الماء فالجوانب قدرا ... شربت والتي تليها جوازي." (١)

"المازق المضيق في الحرب والحرج الضيق وأغبر صفة مازق وهو الكثير الغبار وفرسانه ابتداء والخبر تحاماه أي تتحاماه والمضير يعود إلى الذي.أعلى قناة الحسين أوسطها ... فيه وأعلى الكمي رجلاهفيه

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/١٥٣

في ذلك المازق يعني أنه يحمله برمحه فيناطر الرمح للينه حتى يصير أوسطه أعلاه ويكون الفارس الكمي منكسا كما قال امرء القيس، أرجلهم كالخشب الشائل،تنشد اثوابنا مدائحه ... بالسن ما لهن أفواهقال ابن جنى أي تتقعقع لجدتها وقال العروضي هذا كلام من لم ينظر في معاني الشعر ولم يرو الكثير منه وكنت أربا بابي الفتح عن مثل هذا القول ألم يسمع قول نصيب، فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله، ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب، ولم يكن للحقائب قعقعة إنما أراد أنهم يرونها ممتلئة كذلك أبو الطيب أراد أنا نلبس خلعه وأثوابه فيراها الناس علينا فيعلمون أنها من هداياه فكأنها فكأنها قد أثنت عليه وأنشدت مدائحه بألسن لا تتحرك في أفواه لأنها لا تنطق في الحقيقة إنما يستدل بها على جوده فكأنها أخبرت ونطقتإذا مررنا على الأصم بها ... أغنته عن مسمعيه عيناههذا تأكيد للبيت الذي قبله وذلك أن الأصم وغيره سواء من نطق الثوب فإن الأصم يراه كما يرى غيره فإذا راى استغنى عن أن يسمع أنه أعطى كالسامعسبحان من خار للكواكب بال ... بعد ولو نلن كن جدواهخار الله له بكذا إذا اختار له ذلك يقول سبحان الله الذي اختار للكواكب البعد ولو نيلت ووجدت لوهبها فدخلت في عطاياه ونلن وزنه فعلن مثل بعن يستوي فيه فعلن وفعلن ويقال نلن بين الضم والكسر مثل قيل لئلا يلتبس فعلن بفعلنلو كان ضوء الشموس في يده ... لضاعه جوده وأفناهضاعه فرقه يقال ضعته فانضاع أي فرقته فتفرق وجمع الشمس على تقدير أن لكل يوم شمسايا راحلا كل من يودعه ... مودع دينه ودنياهيريد أنه لا دين إلا به لانه يحفظه على الناس ولا دنيا إلا معه لأنه ملك فمن ودعه فقد ودعهماإن كان فيما نراه من كرم ... فيك مزيد فزادك اللهوقيل لأبي العشائر لا تعرف إلا بكنيتك وما كناك أبو الطيبقالوا ألم تكنه فقلت لهم ... ذلك عي إذا وصفناهالإستفهام إذا دخل على النفي رده إلى التقدير كقوله تعالى أليس في جهنم مثوى للكافرين أي فيها مثوى لهم كقول جرير، ألستم خير من ركب المطايا، أي أنتم كذلك فعلى هذا قوله ألم تكنه معناه كنيته والقوم لم يريدوا هذا وإنما أرادوا نفي الكنية فكان من حقه أن يقول قالوا ولم تكنه ولا يأتي بحرف الاستفهام وابن فورجة يقول في هذا أنه استفهام صريح ليس فيه تقرير كأن واحدا من القوم سأل أبا الطيب فقال ألم تكنه أي هل كنيته هذا قوله والاستفهام الصريح لا يكون بالنفي لأنك إذا استفهمت أحدا هل فعل شيئا قلت هل فعلت كذا ولم تقل ألم تفعله وقوله ذلك عي أي أنه يعرف بصفاته لا بكنيته فإذا ذكرنا كنيته مع الاستغناء عن٥١ بخصائص صفاته كان ذلك عيالا يتوفى أبو العشائر من ... ليس معاني الورى كمعناهيقول لا يستوفي هذه الكنية وهذا اللفظ رجلا يزيد معناه على معاني جميع الورى كلهم لأن فيه من معاني الكرم والمدح ما ليس فيهم والعشائر الجماعات وهو بمعنى جميع الورى وزيادة عليهم وأقرأنا العروضي، لا يتوقى أبو العشائر من، ليس

معاني الورى بمعناه، يقول لا يحذر أن يلتبس صفاته ومعاني مدحه بصفات غيره ومعانيه لأنه منفرد من الناس بخصائص لا يشاركه فيها فإذا لا يحتاج في مدحه إلى ذكر كنيتهأفرس من تسبح الجياد به ... وليس إلا الحديد أمواهافرس من الفروسية ولما ذكر سبح الجياد جعل الحديد أمواها والمعنى أنها تسير في بحر من حديد لكثرة الأسلحة والسيوف وكل شيء كثير مجاوز الحد يشبه بالبحر وإن اضمرت خبر ليس ونصبت الحديد على أنه استثناء مقدم على تقدير وليس في الأرض أمواه إلا الحديد كان جائزا وإن لم تضمر ونصبت الحديد على أنه خبر ليس جعلت أسم ليس نكرة وخبره معرفة وذلك جائز في الضرورة وأخرج إليه أبو العشائر جوشنا حسنا فقال **ارتجالا**به وبمثله شق الصفوف ... وزلت عن مباشرها الحتوفيريد أن لابسه يشق صفوف الأعداء يوم القتال آمنا على نفسه لحصانته ولا تعمل الحتوف فيمن لبسه." (١)

"فدعه لقى فإنك من كرام ... جواشنها الأسنة والسيوفيقول ألقه ولا تلبسه فإنك تدفع عن نفسك بالرماح والسيوف ولا تحتاج إلى الجواشن.وضرب لأبي العشائر مضرب بميافارقين على الطريق وكثر سائله وغاشيه فقال **ارتجالا** فيهلام أناس أبا العشائر في ... جود يديه بالعين والورقوإنما قيل لم خلقت كذا ... وخالق الخلق خالق الخلقيقول الذي يلومه في جوده كأنه يقول له لم خلقت جوادا أي أنه طبع على الجود ولا ينفع اللوم فيما طبع عليه الإنسان لأن المطبوع على الشيء لا يقدر أن يتركه ويتغير عنه إلى غيره كما لا يقدر أن يغير خلقه.قالوا ألم تكفه سماحته ... حتى بنى بيته على الطرقكان أبو العشائر بميافارقين فضرب بيتا على الطريق لينتابه الناس فلا يرون دونه حجاجا فكذر أبو الطيب ذلك وقد قال الناس أما كفته سماحته في البلد حتى أبرز بيته إلى الطريق.فقلت إن الفتى شجاعته ... تريه في الشح صورة الفرقيريد أن الشجاع لا يكون بخيلا بل يتجنب البخل كما يتجنب الخوف وذلك أن الشح خوف الفقر والشجاع لا يفرق كما قال البخل والجبن غريزتان يجمعهما سوء الظن باللهالشمس قد حلت السماء وما ... يحجبها بعدها عن الحدقبضرب هام الكماة تم له ... كسب الذي يكسبون بالملقيريد أن كل أحد يحبه لشجاعته كما يحب من يتملق إلى الناس ويلين لهم ويتودد إليهم فتم له بضرب الهام ما يكسبه المتملق كما قال، ومن شرف الإقدام أنك فيهم، على القتل مومق كأنك شاكد، وجعل الذي جمعا أما على حذف النون وإما على لغة من جعل الذي جمع لذ.كن لجة أيها السماح فقد ... آمنه سيفه من الغرقيقول هو لا يغرق في بحر السماح وإن كان بحرا لأن سيفه آمنه من كل محذور حتى من الغرق يعني أنهن وإن كان سمحا فهو شجاع لا يخاق مهلكا حتى لو صار السماح مهلكا ما خافه لشجاعته.قال وقد انتسب إلى أبي

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/١٨٦

العشائر بعض من هم بقتله ليلا على باب سيف الدولة وذكر أنه عن أمره رماهومنتسب عندي إلى من أحبه ... وللنبل حولي من يديه حفيففهيج من شوقي وما من مذله ... حننت ولكن الكريم ألوفأي حرك شوقي لما ذكره ولم أحن في تلك الحال مهانة ولكن لكرم الطبعفكل وداج لا يدوم على الأذى ... دوام ودادي للحسين ضعيفأنتصب دوام على المصدر أي الود الذي لا يدوم على مقاساة الأذى كما دام ودادي للحسين فهو ود ضعيففإن يكن الفعل الذي ساء واحدا ... فأفعاله اللائي سررن ألوفيريد أن إحسانه أكثر من اساءته والقليل لا يعفى الكثير ولا يغلبه والمعنى أن ساءني بفعل واحد فقد سرني بأفعال كثيرةونفسي له نفسي الفداء لنفسه ... ولكن بعض المالكين عنيفأي أنا مملوك له فله نفسي ثم قال أفديه بنفسي لكنه مالك عنيف لا يرفق بي بعد أن ملكني كما قال، أريد حياته ويريد قتلي.وقال يمدح سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان عند نزوله انطاكية ومنصرفه من الظفر بحصن برزويه في جمادي الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلثمائة.وفاءكما كالربع أشجاه طاسمه ... بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه." (١)

"التعلة التعليل يقال فلان يعلل نفسه بكذا تعليلا وتعلة إذا كان يطيب به نفسه يقول الولد الذي تحبه إنما هو تعليل للنفس والحزن بسببه أكثر من السرور به وقوله وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل قال ابن جنى إذا خلت الحسناء مع بعلها أدت تلك الخلوة إلى تأذيه بها إما لشغل قلبه عما سواها أو غير ذلك من المضار التي تلحق مواصل الغواني وقال ابن فورجة معنى البيت نهى الرجل عن الخلوة بامرأته لئلا تلد يقول خلوتك بها أذى لك في الحقيقة لأنها تجلب لك ولدا تغتم من أجله وتتأذى بتربيته ولعل العاقبة إلى الثكلوقد ذقت حلواء النين على الصبا ... فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهليعني جربت حلاوة البنين وقت شبابي فوجدت الأمر على ما قلته ووصفته ولم أقل ما قلته عن جهل وغفلة يعني قوله هل الولد المحبوب إلا تعلة ويجوز أن يكون قوله على الصبا على صبي البنين أي في حال صباهم والحلواء الحلاوة ومنه قول زهير، تبدلت من حلوائها طعم علقم، وقال ابن جنى في هذا البيت أي لست اسليك إلا عما قد فجعت به فرأيت الصبر عليه احزم من الأسى عليه وهذا بعيد لأنه لم يتقدم هذا البيت ما يدل على ما قاله وإنما تقدم ما ذكرناوما تسع الأزمان علمي بأمرها ... وما تحسن الأيام تكتب ما أملييقول علمي بأمر الزمان أوسع منه فلا يسع علمي وما أمليه من الحكم والكلمات النادرة لا تحسن الأيام أن تكتبها يريد أنه يعلم ما تعجز الأيام عن مثله والعرب تنسب الحوادث إلى الزمان وتجعله يأتي بالحوادث فهو يقول الأيام مع أنها تأتي بهذه العجائب لا تحسن أن تكتب ما أمليه فتى تعلمهوما الدهر أهل أن تؤمل عنده ... حيوة

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/١٨٧

وأن يشتاق فيه إلى النسليقول الدهر خوان ليس بأهل أن ترجى عنده الحياة لأنه لا يفي بالرجاء ولا يحقق الأمل في الحياة وليس بأهل أن يشتاق فيه إلى الولد لأن الولد إذا عاش بعدك لقى من مكاره الدهر ما ينغص عيشه ويسأم معه الحياة ولأنه أيضا لا يبقي الولد بل يفجع به الوالد وقال أيضا **ارتجالا** وقد سأله عن وصف فرس ينفذه إليهموقع الخيل من نداك طفيف ... ولو أن الجياد فيها ألوفطفيف قليل حقير من قولهم طف له الشيء واطف واستطف إذا أمكن فالطفيف الممكن غير المتعذر يقول كثرة عطاياك تحقر وتصغر ما سقت من الخيل واهديته حتى كيون موقعها نزرا قليلا وإن كثرت الخيل فتكون الألوف من الجياد في الخيل التي تهبها ويروي ولو أن الجياد منها أي من الخيل.ومن اللفظ لفظة تجمع الوص ... ف وذاك المطهم المعروفيعني من الألفاظ التي توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها وذلك اللفظ هو المطهم وهو التام الجمال الذي يسحن كل شيء منه على حدته والمعنى أنك أمرتني أن أختار وصف فرس تهبه لي والذي اختاره هو المطهم وهو المعروف عند أهله وأشار بقوله وذاك إلى الوصف لأن المطهم وصف.ما لنا في الندى عليك اختيار ... كل ما يمنح الشريف شريفيريد أنك استدعيت الوصف فذكرت وصفا واحدا طاعة لأمرك فإما الذي عندي فهو أنه لا اختيار لنا عليك فيما تعطي لأن ما منحته فهو جليل شريف.وقال وقد خيره بين فرسين دهماء وكميتاخترت دهماء تين يا مطر ... ومن له في الفضائل الخيرأراد دهماء أي الدهماء منهما كما تقول اخترت فاضل هذين أي الفاضل منهما تين بمعنى هاتين وتا بمعنى هذه وتثنيتها تان وسماه مطرا لكثرة الجود وقوله ومن له أي يا من له الإختيار في الفضائل يعني تأخذ مختار الفضائل ونجيبتها فتختار منها ما تريد ويروى الخبر يعني له الاشتهار في الفضائل والخبر في الناس.وربما قالت العيون وقد ... يصدق فيها ويكذب النظريقول أنا اخترت الدهماء والعيون قد تخطيء فتستحسن ما غيره احسن منه فان النظر قد يصدق فيريك الشيء على ما هو به وقد يكذب فلا يريك حقيقة الشيء.أنت الذي لو يعاب في ملإ ... ما عيب إلا بأنه بشريقول ليس لك عيب تعاب به فلو عبت بشيء ما عبت إلا بكونك بشرا أي أنت أجل قدرا من أن تكون بشرا أدميا لأن ما فيك من الفضائل لا تكن في بشر.وأن إعطاءه الصوارم والخي ... ل وسمر الرماح والعكر." (١)

"أ – وعمرو بن كلثوم شاعر غمر البديهة رائق الأسلوب، نبيه الغرض وإن كان مقلا، لم يتقلب في فنون الشعر ولم يرخ العنان لسليقته، شغلته الرياسة وخوض الحروب وتكسب الشعراء بالشعر عن أن يفيض في الشعر ويطرق أكثر أبوابه، ولذلك لم يشتهر إلا بمعلقته التي قامت له مقام الشعر الوفير، لحسن لفظها

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/٢٠٨

وانسجام عبارتها ووضوح معناها ورشاقة أسلوبها وعلو فخرها ونباهة مقصدها، ورويت له مقطعات، لم يخرج فيها عن أغراض معلقته.. ولعل شهرته بالخطابة لا تقل عن شهرته بالشعر.ب – وأسباب شاعريته ترجع إلى: ١ – أسرة الشاعر وكثرة الشعراء منها ومن قبيلته.٢ – بيئته في الجزيرة الفراتية واتصالها بثقافات كثيرة منها ثقافة النصرانية التي انتشرت فيها، ومنها الثقافة الفارسية التي لابد أن تكون قد أحدثت آثارها في هذه النواحي الخاضعة لنفوذ الحيرة وملوكها.٣ – مجد الشاعر وحسبه فقد أنطقاه بهذا الشعر الرائع والفخر القوي البليغ.٤ –كثرة الخصومات والحروب بين تغلب وبكر، وقد شاهدها الشاعر وأججت ثورة الشاعرية في نفسه.٥ – الخصومات الأدبية بينه وبين خصمه شاعر بكر الحارث بن حلزة، إلى غير ذلك من بواعث شاعريته.ج – وأهم أغراض الشعر عند عمرو هو الفخر، ومن أولى من عمرو بن كلثوم بأن يفتخر بمجده ومجد قومه وحسبهم وشرفهم ومحتدهم الرفيع وفخره في معلقته صفحة من تاريخ قومه الحربي والسياسي.د – ومهما كان فأسلوب عمرو يمتاز بقوته وسلاسته وحلاوته، وتمتاز معانيه بالوضوح وكثرة المبالغة وبالصراحة وروح الصحراء البادية فيه.نثر الشاعر١ – قال عمرو من خطبة له: أما بعد، فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه، ولا يعبر عنه في تزكية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته وائتمانه إياهم على حرمته.٢ – وأوصى عمرو بن كلثوم التغلبي بنيه، فقال من وصية له: "زوجوا بنات العم بني العم، فإن تعديم بهن إلى الغرباء، فلا تألوا بهن الأكفاء، وأبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال، فإنه أغض للبصر، وأعف للبشر، ومتى كانت المعاينة واللقاء، ففي ذلك داء من الأدواء، ولا خير فيمن لا يغار لغيره، كما يغار لنفسه. وقل من انتهك حرمة لغيره، إلا انتهكت حرمته، وإذا حدثتم فعوا، وإذا حدثتم فأوجزوا، وموت عاجل خير من ضنى آجل وما بكيت من زمان، إلا دهاني بعده زمان وربما شجاني، من لم يكن أمره عناني، وما عجبت من أحدوثة إلا رأيت بعدها أعجوبة، واعلموا أن أشجع القوم العطوف وخير الموت تحت ظلال السيوف الخ". (والوصية بتمامها في بلوغ الأرب ج٣) .الحارث بن حلزةحياتهمن يشكر بن وائل، فارس مقدام وشاعر مجيد، وسيد من سادات بكر، كما كان عمرو بن كلثوم سيد تغلب وشاعرها، وهو أحد شعراء المعلقات، ومطلع معلقته:آذنتنا ببينها أسماء ... رب ثاو يمل منه الثواءوكان سبب إنشاده هذه القصيدة أن عمرو بن هند ملك الحيرة – وكان جبارا عظيم السلطان – جمع بين بكر وتغلب وأصلح بينهم، وأخذ من الحيين رهنا من كل حي مائة غلام. فكف بعضهم عن بعض، وكان أولئك الرهن يكونون معه في سيره يغزون معه، فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون، فقالت تغلب لبكر بن وائل: أعطونا دية غلماننا، فأبت بكر ذلك فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم واجتمعت بكر

إلى النعمان بن هرم اليشكري، واجتمع الجمع عند الملك عمرو بن هند، وتلاحى عمرو بن كلثوم والنعمان بن هرم أمام الملك فغضب عمرو بن هند، وكان يؤثر بني تغلب على بكر، واشتد غضبه على بكر والنعمان صاحبهم فقام الحارث بن حلزة وارتجل قصيدته **ارتجالا** وهو متوكئ على قوسه، وكان الملك يسمع قصيدة الحارث من وراء حجاب لأنه كان لا يحب رؤية أحد فيه سوء، وكان الحرث به وضح فلما أنشد القصيدة أدناه حتى خلص إليه.. ويقال إن الحارث عندئذ كان طاعنا في السن وك١ن فوق المائة، وترى أثر السن ونضوجها وحكمتها وحلمها ووقارها في القصيدة واضحا جليا حيث رد على تغلب في أناة وهدوء وحملها تبعة الحرب واستدرج عمرو بن هند إلى أن يكون في جانب قومه فمدحه ومدح قومه، وبها قضى عمرو لبكر على تغلب، وأطلق رهنهم وكانوا عدة فتيان من أشراف بكر. وقد بدأها بالغزل ووصف الناقة، ثم وصل إلى غرضه من الخصومة بين بكر وتغلب:." (١)

"وأتانا عن الأراقم أنبا ... ء، وخطب نعنى به ونساءويرد على عمرو بن كلثوم بقوله:أيها الناطق المرقش عنا ... عند عمرو، وهل لذاك بقاء؟ثم يأخذ في مدح عمرو بن هند:فملكنا بذلك الناس حتى ... ملك المنذر بن ماء السماءملك أضلع البرية لا يو ... جد فيها لما لديه كفاء؟وفي المعلقة بعد ذلك أبيات لها قيمة كبيرة في شرح أحداث تاريخية وسياسية، من صلح كان بين تغلب:واذكروا حلف ذي المجاز وما قد ... م فيه العهود والكنفلاءوأيام كانت بين تغلب أخرى غلبت فيها تغلب: أعلينا جناح كندة: أن يغنم غازيهم، ومنا الجزاء؟ وعداء قديم كان بين المنذر ملك الحيرة والتغلبيين لما امتنوا به من نصرته وعلى العكس من ذلك ولاء البكريين لملوك الحيرة. وينتقل من ذلك إلى مدح عمرو بن هند وآبائه:أيها الناطق المبلغ عنا ... عند عمرو، وهل لذاك انتهاء؟ملك مقسط وأفضل من يم ... شي، ومن دون ما لديه الثناء؟وطبعت المعلقة في أوربا لأول مرة عام ١٨٢٧ م.وعلى الجملة، فقد كان عمرو بن كلثوم في قوله أعز نفسا وأعلى قدرا، وضع نفسه وقومه موضع الند لعمرو بن هند وقومه.. وكان الحارث أحكم وأعقل.وضع الحارث أمام نفسه غرضا تحايل على الوصول إليه، في دهاء وإيماء وملق، حتى وصل إليه فحكم له ولقومه.شعرهيمتاز الحارث بالبديهة والارتجال وقوة الشاعرية، وبتعدد فنون الشعر في معلقته وكثرة غريبها وإحكام نظمها على طولها، واشتمالها على كثير من أيام العرب ووقائعها، حتى قال أبو عمرو الشيباني: "لو قالها في حول لم يلم".ومن شعره في غير المعلقة:من حاكم بيني وبين ... الدهر مال على عمداأودى بسادتنا وقد ... تركوا لنا حلقا وجرداخيلي وفارسها ورب ... أبيك كان أعز فقدافلو أن ما يأوي إلى ... أصاب من ثهلان

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين؟ الأعلم الشنتمري ص/٩٠

هدافضعي قناعك إن ريب ... الدهر قد أفنى معدافلكم رأيت معاشرا ... قد جمعوا مالا وولدافعش بجد ولا يضر ... ك النوك ما لاقيت جداوالعيش خير في ظلا ... ل النوك ممن عاش كدامعلقة الحارث بن حلزة١ - الحارث بن حلزة اليشكري من بكر، كان سيدا في قومه، وشاعرا مجيدا، ارتجل معلقته **ارتجالا** في مجلس عمرو بن هند، يستدني بها عطفه، ويستجلب رضاءه ويذود بها عن قومه، وكان هوى عمرو بن هند مع تغلب، فتحول إلى العطف على البكريين بسبب هذه القصيدة الرائعة. وليس للحارث إلا آثار قليلة من الشعر مع معلقته هذه.٢ - وتمتاز هذه المعلقة بإحكام نسجها وتنوع أغراضها، وبأنها أثر من آثار البديهة والارتجال.أ = بدأها بالغزل في محبوبته أسماء:آذنتنا بينها أسماء ... رب ثاو يمل منه الثواءبعد عهد لنا ببرقة شما ... ء فأدنى ديارها الخلصاءلا أرى من عهدت فيها فأب ... كي اليوم دلها وما يحير البكاءب - ثم انتقل إلى وصف ناقته، وكما يقول:أتلهى بها الهواجر إذ كل ... ابن هم بلية عمياءج - ثم يعاتب إخوانه من بني تغلب لصلفهم على قومه:إن إخواننا الأراقم يغلو ... ن علينا في قيلهم إحفاءيخلطون البريء منا بذي الذن ... ب ولا ينفع الخلي الخلاءأجمعوا أمرهم عشاء، فلما ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءمن مناد، ومن مجيب، ومن تص ... هال خيل خلال ذاك رغاءأيها الناطق المرقش عنا ... عند عمرو وهل لذاك بقاء؟فبقينا على غراتك إنما ... قبل ما قد وشى بنا الأعداءفبقينا على الشناءة تنمي ... نا حصون وعزة قعساءثم يمدح الملك عمرو بن هند حينا، ويستمر في عتاب إخوانه من تغلب حينا آخر:ملك مقسط، وأفضل من يم ... شي ومن دون ما لديه الثناءأيما خطة أردتم فأدو ... ها الينا تمشي بها الأملاءويسير على هذا النهج من المدح والعتاب.د - ثم يفتخر بقومه ومجدهم وأيامهم في صدق وجمال وقوة عاطفة:هل علمتم أيام ينتهب النا ... س غوارا لكل حي عواء." (١)

"واستفادها، فقال: سلني حاجتك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، تعطيني لحيتي أفعل بها ما أريد، فضحك المنصور، وقال: قد فعلت.[الأعراب تسلب الخليع]للخليع الشامي [١] : [٢] [السريع]أنا شاعر أنا ناثر أنا شاكر ... أنا جائع أنا راجل أنا عاريهي ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها بغياروالنار عندي كالسؤال فهل ترى ... ألا تكلفني دخول النار [٣][أبو البختري]دخل الرشيد يوما إلى دور حرمه، وهو آخذ بيد أبي البختري، وهب بن وهب [٤] ، فتوقف أبو البختري، فقال له الرشيد: ادخل، فدخل معه، فقال__________[١] الخليع الشامي: ويعرف بالخليع الأصغر، تفريقا له عن الخليع أبي علي الحسن بن الضحاك الباهلي من شعراء الدولة العباسية المتوفى سنة ٢٥٠ هـ.والخليع الأصغر هذا:

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين؟ الأعلم الشنتمري ص/٩١

هو محمد بن أحمد من ولد عبيد الله بن قيس الرقيات، شاعر من أهل مدينة (الرقة) بالشام، أورد المرزباني قطعتين من شعره، وقال: مات بعد سنة ٢٨٠ هـ أو فيها.(معجم الشعراء ص ٤١٠ تحقيق عبد الستار فراج، ط- مصر ١٩٦٠) .[٢] الأبيات في معجم الشعراء ص ٤١٠، وكان الأعراب قد قطعوا عليه الطريق بنواحي حران، فدخل على ابن الأغر السلمي، واسمه خليفة بالدهناء، فأنشده الأبيات **ارتجالا**.[٣] في معجم الشعراء برواية: (فالعار في مدحي لغيرك فاكفني بالجود منك تعرضي للعار) .[٤] أبو البختري: وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة، من بني المطلب بن أسد من قريش، قاض من العلماء بالأخبار والأنساب، ولد ونشأ في المدينة، انتقل إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي (في شرقي بغداد) ، ثم قضاء المدينة، وعزل فعاد إلى بغداد فتوفي بها، كان جوادا كثير العطاء للشعراء، صنف كتبا منها: (فضائل الأنصار) ، و (نسب ولد إسماعيل) ، و (الرايات) وغيرها." (١)

"وقول العرب: (عليك بأمر مبكياتك لا مضحكاتك) [١] ، وقولها: (إن من صدقك فأرمضك، خير لك ممن غرك فسرك) ، وإنما تلك الطائفة إخوان الخوان، وفراش الطمع، وإذا أنت ميزت قول أحدهم علمت أنه قد زاغ عن الحق وبرح، وأنه لا حق الله أدى، ولا السلطان نصح، وإنما الصديق الصدوق من لا يكف عن واجب النصح لجزع، ولا يسف بزخرف القول لطمع، والله ولي التوفيق.وإذا قد أشفينا على الإملال والإضجار، وبؤنا في الذنب في الإطالة والإكثار، فلنعد إلى التنصل والاعتذار، وأقول: إن كاتب رسالة، ومنشيء خطاب إلى مثلك، ولا مثل لك في قوة الانتقاد، وجودة الارتياد، يحتاج أن ينتقد النسخ تحكيكا وتنقيحا، ويستشرف الأدراج تسويدا وتصحيحا، فربما وصل إلى السلامة عليك دون أن يظفر بالإحماد منك، فأما إذا أبدت البديهة في إملائها **ارتجالا**، وأرسل الخاطر في إنشائها إرسالا، فقد تقدم إليك على آلة حدباء [٢] نابية، [١٠٤ ظ] الظهر، إلا أن يتيح الله منك سجية للعثرات مقبلة، وعينا عن الهفوات كليلة.وبعد فاكثاري عليك، جمع الله بك شمل الحكم، وحرس علينا وعليك ضوافي النعم، بحسب ما يبلغني عنك من لهجك برقاعي إذا وصلت إليك، وغرامك بكتبي إذا عرضت عليك، فذلك يدعوني إلى مناجاتك، ويحدوني إلى مناغاتك، فيما يختلج بفكري، فان يقع مواقع الإحماد، فالمنة لك، لأنه كسب يدك، وإن يرد لموارد الإنكار، فالسهو منك، ونفسك حيث علمك، عصمنا الله وإياك من محفظات الكلم، وصرف عنا وعنك موبقات النقم، وحسبنا الله وحده.تمت الرسالة. وعلى السادة الأخيار محمد وآله الأبرار السلام كثيرا.__________[١] هذا مثل: (أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك) جاء في: مجمع الأمثال

---

(١) المجموع اللفيف؟ ابن هبة الله ص/٢٣٠

١/٣٠، فصل المقال ص ٣١٩، المستقصى ١/٣٦٢، جمهرة الأمثال ١/٨٢.[٢] الآلة الحدباء: نعش الميت، قال كعب بن زهير في قصيدة البردة:كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول." (١)

"حمرتها من دماء من قتلت والدم في النصل شاهد عجب قال: وقد أحسن السري الرفاء في قوله يصف الرمد: [١] [الخفيف][أيهذا الأمير ما رمدت عي ... ناك حاشا لها ولا أجفانكبل حكت فعلك الكريم ليضحى ... شأنها في العلى سواء وشانكفهي تحمر مثل سيفك في الرو ... ع وتصفو كما صفا إحسانك]ومن قول الواثق: [الخفيف]بعدوا والبعاد موت الوداد ... وحموا مقلتي طيب الرقادإنما عز من هويت لأني ... صرت في حبه ذليل القيادومن مليح قوله: [٢] [الخفيف]يفرح الناس بالسماع وأبكي ... أنا حزنا إذا سمعت السماعاولها في الفؤاد صدع مقيم ... مثل صدع الزجاج أعيا الصناعاوكان جعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان على البصرة، أميرا من قبل الواثق، وكان [١٢٠ و] فصيحا بليغا، يرتجل الخطب **ارتجالا** من غير تزوير ولا استعداد، وهو آخر من كان منهم يفعل ذلك، فقال على لسان بعض شعرائه يخاطب نفسه: [الكامل]ولدت أميرك أمهات سبعة ... لطهارة بين الوصي وفاطم_____________[١] في الأصل الشعر مكانه بياض، إما من سوء التصوير أو أن الناسخ قد نسي الشعر، ونقلنا الأبيات في وصف الرمد من ديوان السري الرفاء ص ٢٠٥، قال يمدح الأمير أبا المرجى جابر بن ناصر الدولة، وقد رمدت عينه.[٢] الشعر للعباس بن الأحنف في ديوانه ص ١٨٣ ط- دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧، والغناء للواثق، وفي الأغاني: (كان الواثق أعلم الخلفاء بالغناء، وبلغت صنعته مائة صوت، وكان أحذق من غنى بضرب العود، قال: ثم ذكرها فعد منها:يفرح الناس بالسماع.... البيتان. الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء للواثق خفيف ثقيل، وفيه لأبي دلف خفيف رمل) الأغاني ٩/٣٣٤.." (٢)

"لا تسأل المرء من أبوه ورز ... خلاله ثم صله أو فاصرمفما يشين السلاف حين حلا ... مذاقها كونها ابنة الحصرمقال: فقربه الوالي لبيانه الفاتن. حتى أحله مقعد الخاتن. ثم فرض له من سيوب نيله. ما آذن بطول ذيله. وقصر ليله. فنهض عنه بردن ملآن. وقلب جذلان. وتبعته حاذيا حذوه. وقافيا خطوه. حتى إذا خرج من بابه. وفصل عن غابه. قلت له: هنئت بما أوتيت. ومليت بما أوليت! فأسفر وجهه

(١) المجموع اللفيف؟ ابن هبة الله ص/٢٨٥

(٢) المجموع اللفيف؟ ابن هبة الله ص/٣١٩

وتلالا. ووالى شكرا لله تعالى. ثم خطر اختيالا. وأنشد **ارتجالا**:من يكن نال بالحماقة حظا ... أو سما قدره لطيب الأصول." (١)

"٣٠٢٧- كالأشقر إن تقدم نحر، وإن تأخر عقرالعرب تتشاءم من الأفراس بالأشقر قالوا: كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر فجعل يقول: أشقر، إن تتقدم تنحر، وإن تتأخر تعقر، وذلك أن العرب تقول: شقر الخيل سراعها، وكمتها، صلابها، فهو يقول لفرسه: يا أشقر، إن جريت على طبعك فتقدمت إلى العدو قتلوك، وإن أسرعت فتأخرت منهزما أتوك من ورائك فعقروك، فاثبت والزم الوقار، وانف عني وعنك العار.وكان حميد الأقرط عند الحجاج، فأتى برجلين لصين من جهرم كانا مع ابن الأشعث فأقيما بين يديه، فقال لحميد: هل قلت في هذين شيئا؟ قال: نعم، قلت، ولم يكن قال شيئا، فارتجل هذه القصيدة **ارتجالا**، وأنشدها، وهي:لما رأى العبدان لصا جهرما ... صواعق الحجاج يمطرن الدماوبلا أحايين وسحاديما ... فأصبحا والحرب تغشى قحما -[١٤١]-بموقف الأشقر إن تقدما ... باشر منحوض السنان لهزماوالسيف من ورائه إن أحجماقلت: ال أصل في المثل ما ذكرته من حديث لقيت بن زرارة، ثم تداولته العرب وتصرفت فيه كما فعل حميد هذا.يضرب لما يكره من وجهين.." (٢)

"المعذرة لمن يعتقده من شرائط الساهرة. وذلك أنه أنهى ن بقرة جرت حالها على غير القياس، فنتجت حيوانا على هيئة الناس، وفي هذا مخالفة المنتوج جنس الناتج، وذلك مما يضلل الفهم ويستوقفه؛ إذ كان مما تنكره العقول ولا تعرفه. وهذا من الإنذارات المنبهة الموقظة، والإبداعات التي تضمنت بالغ الموعظة، وفيها تحذير لمن تمادى على الآثام والمعاصي، وتذكير ليوم يؤخذ المجرمون فيه بالأقدام والنواصي. فتأملوا معشر المسلمين - رحمكم الله - هذه الحادثة وما اشتملت عليه من الوعيد، وتدبروا ما خطب به لسان التخويف فيها مسمعا للقريب والبعيد، (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) وبادروا - وفقكم الله - إلى الدعاء والابتهال، واعملوا بما ندبتم إليه من صالح الأعمال، وأقلعوا عما كنتم تمسون عليه من الخطايا وتصبحون، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، وتوسلوا عنده بتعميركم مظان الخير ومواطنه، وانتهوا إلى ما أمركم به في قوله: (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) واعتقدوا الإخلاص في جميع ذلك وأضمروه، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه. فهذا إذا عكفتم عليه، واجتهدتم فيه، واعتمدتم منه ما يذهب عنكم رجز الشيطان وغيه؛ حزتم من الثواب جزيلا جسيما،

---

(١) مقامات الحريري؟ الحريري ص/٤٠٥

(٢) مجمع الأمثال؟ الميداني، أبو الفضل ١٤٠/٢

ونلتم في العاجلة حظا عظيما، وكنتم في الآجلة ممن قال الله فيهم تبيينا لصادق وعده وتفهما: (تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) وقد دعاكم إيثار أمير المؤمنين إلى ما يحييكم، ونصح الله تبارك وتعالى ولرسوله فيكم، فسارعوا إلى أمره ترشدوا، وتمسكوا بهدايته توفقوا وتسعدوا. فاعلموا هذا، واعملوا به، وانتهوا إليه انتهاء من الطاعة غاية مطلوبة إن شاء الله.من غريب الاتفاق أن أديبا أنشد المملوك بيتا لعبد الله السمطي وهو:حار طرف تأملك ... ملك أنت أم ملك؟فقال المملوك: هذا يليق بصفة مولانا وينبغي أن يكون ثانية:بل تعاليت رتبة ... فلك الأرض والفلكوكان أحد شعراء المجلس العالي - ثبت الله أيامه - ابتدأ قصيدة في ذل الوقت لما رفعت العرب رؤوسها، وسفهت نفوسها، وبطرت نعمتها، وأساءت سيرتها، فقال:ظنوا جهادك في أعدائك الروم ... يلهيك بالشام عن قوص وإخميموما دروا أنك الشمس المنيرة في الس ... بع السموات والسبع الأقاليمفاستعظم المملوك تفاوت الخاطرين في الوصف؛ واتفاقهما في الوقت. وذكر المملوك بالإجازة ما روي من أن بعض الخلفاء سأل يوما عمن ببابه من الشعراء فذكروا له، فأمر بإحضارهم، فلما صاروا بين يديه قال: قد قلت بعض بيت فهل فيكم من يكمله؟ قالوا: وما هو يا أمير المؤمنين؟ فقال: الملك لله وحده فقال أحدهم **ارتجالا**: وللخليفة بعده فقال: أحسنت، فهل من زيادة؟ فقال: وللمحب إذا ما=حبيبه بات عنده فأمر له بصلة سنية.وحكي أن أبا نواس، والعباس بن الأحنف، والحسين بن الضحاك الخليع، ومسلم بن الوليد، ويحيى بن معلى؛ خرجوا في متنزه لهم، وأدركت صلاة المغرب، فقام يحيى يصلي بهم، فنسي (الحمد) وارتج عليه في: (قل هو الله أحد) فقال أحدهم:أكثر يحيى غلطا ... في: قل هو الله أحدفقال الآخر:قام يصلي ساهيا ... حتى إذا أعيا سجدفقال الآخر:يزحر في محرابه ... زحير حبلى بولدفقال الآخر:كأنما لسانه ... شد بحبل من مسدفقال بعض المتأخرين ما جرته الحكاية، وأغفله الجماعة:ونسي (الحمد) فما ... مرت له على خلدفصلبعض العصريين:وقد كان هذا البحر ليس يجوزه ... سوى خائف من ذنبه ومخاطرفأضحى بمن ينتاب جودك عامرا ... كأن عليه محكمات القناطروفيه ملامحة لقول دعبل:وقال أناس إذ رأوا فضل مدحتي ... لعمران والنائي المكارم يمدحأتطمع في عمران والبحر دونه؟ ... فقلت: نوال البحر يحسن يسبحوهما يلتقيان من وجه، ويفترقان من آخر. فوجه التقائهما: أن البحر صراط بين ممدوحيهما، ووجه افتراقهما: أن أحدهما يسعى إلى النوال، والآخر يسعى النوال إليه، إلا أن قوله: محكمات القناطر، مما ملح فيه.فصل." (١)

(١) الأفضليات؟ علي بن منجب ص/٢٣

"وقد اتفقت المصادر على أن أسرة صاحب التذكرة كانت مشهورة بالرياسة والفضل «١» ؛ وتفرد المنذري بقوله: «بالرياسة والرواية والكتابة» «٢» ويبدو أن الفضل في تأثيل الرياسة لهذه الأسرة لا يعود إلى أبعد من والد صاحب التذكرة أعني الحسن بن محمد بن علي، إذ لا تذكر المصادر شيئا عن الجد؛ وإنما تعزو إلى الحسن المكنى بأبي سعد بداية تلك السيادة حين تتحدث كيف أنه كان من شيوخ الكتاب والعارفين بقواعد التصرف والحساب، وأنه ألف كتابا في معرفة (أو تصريف) الأعمال، مما يدل على رسوخ قدم في شؤون الدواوين، ويوم توفي أبو سعد في جمادى الأولى سنة ٥٤٦، أي في خلافة المقتفي لأمر الله (٥٣٠- ٥٥٥) كان طاعنا في السن «٣» .وقد عرفتنا المصادر بثلاثة من أبناء أبي سعد أكبرهم يسمى أيضا محمدا ويفترق عن أخيه بكنيته ولقبه؛ فهو أبو نصر غرس الدولة، ولد سنة ٤٨٨ «وكان من العمال» وكتاب الدواوين، كتب في الديوان من سنة ٥١٣- ٥٤٥ ولم يثبت كثيرا من رسائله لأنه كان يمليها **ارتجالا**، وعرف بتقريبه ومصاحبته لأهل الصلاح والخير، وكانت وفاته سنة ٥٤٥ أي قبل وفاة أبيه بنحو خمسة أشهر، وله من المؤلفات كتاب رسائل، وتاريخ الحوادث «٤» ؛ وأوسط الإخوة- فيما أقدر- هو أبو المظفر، ولعله كان يسمى محمدا أيضا، ولكن المصادر لا تتحدث عنه بشيء؛ وثالث الإخوة هو محمد أبو المعالي الذي شهر بكتاب «التذكرة» .ولد محمد أبو المعالي في رجب سنة ٤٩٥ أي في خلافة المستظهر بالله (٤٨٧- ٥١٢) وكان في حوالي الثامنة عشرة من عمره يوم توفي هذا الخليفة،." (١)

"وإن لم يدع إلا فؤادا مروعا ... به غبر باق من الخفقانتلوم تحت الحجب ينفث حكمة ... إلى أذن تصغي لنطق لسانلأعلم أني ميت عاق دفنه ... ذماء قليل في غد هو فانإذا ما تقدت [١] بي وسارت محفة ... لها أرجل يسعى بها رجلانوما كنت من فرسانها غير أنها ... وفت لي لما خانت القدمان١٧٢- وقال آخر: [من الطويل]أرى زمنا نوكاه أسعد أهله ... ولكنما يشقى به كل عاقلمشى فوقه رجلاه والرأس تحته ... فكب الأعالي بارتفاع الأسافل«١٧٣» - وقال أبو الفضل ابن العميد [٢] : [من البسيط]أشكو إليك زمانا ظل يعركني ... عرك الأديم ومن يعدي على الزمنوصاحبا كنت مغبوطا بصحبته ... دهرا فقد ردني فردا بلا سكنهبت له ريح إقبال فطار بها ... إلى السرور وألجاني إلى الحزن«١٧٤» - كانت حال أبي محمد المهلبي، وهو من ولد قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، قبل اتصاله بالسلطان، حال ضعف وقلة، وكان يقاسي منها قذى عي\u064bيه وشجى صدره، فبينا [٣] هو في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب

---

(١) التذكرة الحمدونية؟ ابن حمدون ١/٦

الجراب والمحراب، إلا أنه من أهل الأدب، إذ لقي من سفره نصبا فقال **ارتجالا**:__________[١]
م: تعدت.[٢] م: وقال ابن العميد.[٣] م: فبينما.." (١)

"قال العتبي رؤي مروان بن أبي حفصة واقفا بباب الحسن، كئيبا أسفا ينكث بسوطه على معرفة دابته فقيل له يا أبا السمط ما الذي نراه بك؟ قال أخبركم بالعجب، مدحت أمير المؤمنين فوصفت له ناقتي من خطامها إلى خفيها.ووصفت الفيافي من اليمامة إلى بابه أرضا أرضا، ورملة رملة، حتى إذا أشفيت منه على غنى الدهر جاء من بياعة الفخاخير يعنى أبا العتاهية، فأنشده بيتين فصحصح بهما شعري وسواه في الجائزة بي فقيل له، وما البيان فأنشده: [الكامل]إن المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت إليك سبابا ورمالفإذا رحلن بها رحلن مخفة ... وإذا بنا رجعن ثقالايقال لا تنجع الحكم في الطباع القاسية، كما لولا يزكو الزرع ي البقاع الجاسية، قدم أبو الجهل بي أبي حذيفة على معاوية ومعه ابن له فصيح، فلما جلس واستقر، قال له معاوية: سل حاجتك، قال: كذا وكذا، وأطال معاوية يسمعه لكل ما يسأل فأكثر، وألح، فقال له ابنه: يا أبت عن أمير المؤمنين، ولا تمlله، فقال يا بني ما وراءه مطلب، ولا عذر مذهب، ولا على كرمه لمحتد مطعن، وما مثلنا إلا، كما قال عبد المسيح الهذلي: [الوافر]نقلبه لنخبر حالتيه ... فنخبر منهما كرما ولينانميل على جوانبه كأنا ... نميل إذا تميل على أبيناكانت أم الفضل بنت الحارث الهلالية ترقص عبد الله بن العباس، وتقول:ثكلت نفسي وثكلت بكري ... إن لم يسد فهرا وغير فهرأبو النواس قال: دخلت على الأمير فقلت: يا أمير المؤمنين قد قلت فيك أبياتا، آليت أن لا آخذ لكل بيت إلا عشرة آلاف درهم، فقال: هات فأنشده: [مجزوء الكامل]قد قلت، والغيم دان ... يكاد يدفع باليديا غيم أرعد وأبرق ... محمد منك أجودعلى الأمين تمنت ... بالله رب محمدأن لا يقول لراج ... أتاه لا عن تعمدفأعطاه أربعين ألفا، يقال نعم الناصر الجواب الحاضر. ذكر الأصمعي، قال كنت مع الرشيد بالرقة، فبعث إلي وقت الصلاة العصر أجب أمير المؤمنين، فقمت مبادرا، فأدخلت عليه، وهو جالس على كرسي من الخيزران.وإلى جانبه صبية خمسية، فيلت، فلم يرد السلام، وإذا هو يخط على الأرض، ويكتب بإصبعه، ثم رفع رأسه إلي وقال: يا أصيمع فقلت لبيك يا أمير المؤمنين قال: ألا ترى إلى الدعي ابن الدعي اليهودي بن اليهودي، عبد بني حنيفة ودعي بني أمية مروان بن أبي حفصة، يقول: لمعن بن زائدة وإنما هو عبد بن عبيدي: [الوافر]أقمنا باليمامة إذ يئسنا ... مقاما لا نريد به **ارتجالا**وقلنا أين نرجل بعد معن ... وقد ذهب النوال لا نوالاوكان الناس كلهم لمعن ... إلى أن زار حفرته عيالافجعلني، وولدي وحشمي عيالا لمعن، وإذا كان قد ذهب

---

(١) التذكرة الحمدونية؟ ابن حمدون ٧٠/٥

النوال، فلا نوال فيما يصنع ابن الزانية ببابي؟ فقلت ببابك يا أمير المؤمنين، وأنت أولى به، فقال، يحضر الساعة فأحضروه من ساعته إليه فقال: السياط، فأحضرت، فقال صبوها عليه الدعي الفاجر، فجعلت تأخذه من هاهنا وهاهنا وهو يصيح، يا أمير المؤمنين ارع حرمتي بك وبأبيك، ومدائحي فيه وفيك، وهو يقول: أوجع ابن الزانية، حتى ضرب ثلاثمائة سواط، وهو يقول: اسمع بحق جدك وابن عمك ما قلته فيك، فقال هات ما قلته فأنشده:طرقتك زائرة فحي منالهاحتى أتى على آخرها، فضحك، ثم قال يعطى سبعين ألف درهم فقبضتها وانصرفت محمولا، ثم قال يا أصيمع أتدري من هذه الجويرية؟ قلت لا، والله يا أمير المؤمنين قال: هذه نواسة بنت أمير المؤمنين قم فقبل رأسها، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون، أفلت من واحدة، وأقع في أخرى، أغلظ منها أقبل رأسها فتداخله غيرة هاشمية فيقتلني فتغافلت فأخذ الحزن، ليحذفني به، فقمت فوضعت كمي على رأسها، ووضعت كفي على كمي، ثم قلت كفي، فقال، والله لو أخطأت لضربت عنقك.فقلت يا أمير المؤمنين، فما جزاء من يرافق محبتك؟ فضحك، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، ثم أخذ يعد حديثه عودا من الأرض، فقال مثل من حظ خير من جبل عظيم من العقل بلاحظ.." (١)

"الصحبة وذكر المهذب فيما حكى لي عنه أن ضرغاما قال غلط معي عمارة يوما غلطة في شهر رمضان الذي قتل فيه الصالح أنا أحفظها عليه وهي أني قلت له أخرج معي إلى الهدف الذي على باب البرقية فقال أنا أكره أن أرى البرقية ومرتفع في الاعتقال ومذ قبض عليه الصالح لم أجز بالبرقية ولعمري لقد جرى مني هذا القول ولم أعلم ما تؤول إليه الحال ولا ما في نفس بعضهم من بعض ولما داخلني الخوف من ضرغام انقطعت إلى أخيه همام ولم يكن ذلك إلا في آخر مدته ولما جاء شاور من دمشق بالغزشغل عني وعن نفسه ولما جازوا برأسه على الخليج وكنت أسكن صف الخليج بالقاهرة قلت **ارتجالا**: [وافر]أرى حنك الوزارة صار سيفا ... يجد يحده صيد الرقابكأنك رائد البلوى وإلا ... بشير بالمنية والمصاب." (٢)

"فقل لليالي قد حللت ببرزخ ... يحيط به بحران فضلهما يطميإذا اشتاق غيري ساحل اليم موردا ... وجدت جهاتي كلها ساحل اليموفي أي ظل منهما كنت نازلا ... رأيت نزول المكرمات على حكميواجتمع الصالح وأخوه وأبناه في مجلس في بعض الولائم فأمرني عز الدين أن ارتحل فيهم فقلت **ارتجالا**.[طويل]إذا نزلت أبناء رزيك منزلا ... تبتسم عن ثغر النباهة خاملهوخيم في أرجائه المجد والعلى ... وجاد به طل السماح ووابلهملوك لهم فضل بأبلج منهم ... محافله تزهى به وجحافلهتزر على الليث الغضنفر درعه ...

---

(١) سفط الملح وزوح الترح؟ ابن الدجاجي ص/٢٦

(٢) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية؟ عمارة اليمني ص/٧٧

وتلوى على الطود المنيف حمائلهيفيض علينا كل يوم وليلة ... بلا سبب إفضاله وفضائلهيثيب على أقوالنا متبرعا ... على أنها من بعض ما هو قائلهبكم شرف الإسلام وانتصر الهدى ... وقامت قناة الدين واشتد كاهلهوأصبح منكم مجده وجلاله ... وفارسه يوم الهياج وكافلهيتلوه أخباري مع عمه فارس المسلمين أخبار بدر بن." (١)

"ذكر السبق فقلت ارتجالا في المجلس.[طويل]سأحكم في أمر السباق حكومة ... تبرهن عن فصل الخطاب وتنطقرأيت الجواد الفارسي وقد أتى ... أمام الجواد الصالحي يحلقفقلت لقوم لا تظنوه سابق ... فما هو إلا حاجب ومطرقجوادان كل منهما في رهانه ... بأخلاق مولاه غدا يتخلقفقال الجماعة فتحت لنا باب لعذر بقولك حاجب ومطرق ثم اجتمعت بفارس المسلمين فأشرت عليه بحمل الفرس إلى أخيه ومحاسن المديح فيه تخجل من إحسانه أخبار الأمير عز الدين حسام وهو يضرب من خؤولة الصالح لأمة بسهم أغنته شهرته عن أبيه وعمه همته عصامية، وراحته غمامية، أول معرفتي به أني في سنة إحدى وخمسين أقبت رسولا من أمير الحرمين ووجدته واليا بعض مراكز الصعيد وقد سمع بخبري عند ناصر الدولة بقوص فأعد لي ضيافة على ساحل النيل وصلت معي لكثرتها إلى القاهرة ثم لم يلبث أن صرف فتأكدت المعرفة والصحبة وحين قدمت في الطريق." (٢)

"على ظهرها ارتجالا مع رسوله [خفيف]قد آتتني تلك اليد البيضاء ... والأماني مصونة والرجاءمنة لا يلوح من عليها ... وابتداء لا ينتديه ابتداءفتقبلتها وقبلت منها ... موضعا مسه الندى والسخاءوتخيرت في المكافاة عنها ... فإذا خير ما ملكت الثناءفبعثت المديح يشكر عني ... منة ترك شكرها فخشاءوعلى أنني وإن كنت متن ... تتحلى بشعره الجوزاءفيد الشكر والمحامد أرض ... ويد الفضل والجميل سماءومن آل رزيك الأجل سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح كانت الأخبار قد ترامي إليه بخبر وصولي إلى عيذاب وقوص فلما وصلت إلى العدوية تركت العشارى بها وركبت حمارا وأتيت على بئر الدرج والقرافة واجتمعت به في خزانته من دار الوزارة عند المغرب وأنا ضارب لثاما ومخفف عمامتي ومجرس صوتي فقلت له أنا رسول الرسول إليك وجميع حاجته أن تحمل عنه مؤونة السجود عند السلام." (٣)

---

(١) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية؟ عمارة اليمني ص/٩٨

(٢) النكت الـعصرية في أخبار الوزراء المصرية؟ عمارة اليمني ص/١٠٩

(٣) النكت العصرية في أخبار الو زراء المصرية؟ عمارة اليمني ص/١٢١

"٩ – وله في ابنه حسين أيضا يرثيه ويصف مرضة وقلة خبرة الطبيب بها [كامل]وقل للمنية لا شوى ... لم يخط سهمك إذ رمومنهاما كان إلا سبعة ... وثلاثة ثم انقضى١٠ – وقال بعد أن قدم ذكر حسام الدين محمود بن المأمون لم أشعر في غداة عيد الفطر سنة إحدى وخمسين حتى وصلتني عنه بدلة من ثياب الملوك وخاصة ما يستعمل لهم ويلبسون في المواسم من غير معرفة لى به ولا مكاثرة له ولا معاشرة ومع الغلام الواصل بها رقعة منه كتبت على ظهرها **ارتجالا** مع رسوله ١١ قال وكتب بها إلى محمد بن شمس الخلافة وقد انصرف من الاسكندرية أو دمياط وقد سير إليه خمس منجنيقات." (١)

"ما كنت ألف منزلي إلا به ... ولقد كرهت الدار بعد مصابه٣٠ – وقال من قصيدة يمدح الصالح.٣١ – وقال أيضا لم أشعر بعض الأيام حتى جاءتني منه رقعة فيها أبيات بخطه يعني الصالح ومعه ثلاثة أكياس ذهبا وفيها قوله: ٣٢ قال فأجبته مع رسوله.٣٣ – وقال أيضا **ارتجالا** وقد جازوا عليه برأس ضرغام وهو ساكن صف الخليج بالقاهرة.٣٤ – وقال يمدح سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح ويشكره على ما تجدد من جميل رأيه بعد أن كان هجره.٣٥ – وقال من قصيدة يشكر شاورا على إعفائه من عمل الشعر.." (٢)

"ترى عند نجم الدين علم بما عندي ... له من جزيل الحمد أو خالص الودوهل عنده أني خطيب لمجده ... وأني على عليائه غير معتدومنها:ومدحك عندي يا مؤيد طاعة ... تقربني من طاعة الله والمجد٧٣ – وقال فيه **ارتجالا** أيضا [طويل]لك المجد والفضل الذي ليس يجحد ... بل الحمد والمذموم من ليس يخمدومنها:وما ضم هذا الشمل وهو كما ترى ... وتسمعه إلا الأجل المؤيد٧٤ – وقال في المعظم سليمان بن شاور [رجز]يا ملكا صرف الزمان عبده ... والنائبات حين يسطو جندهإن مخض الخطب فأنت زبده ... أو حسن الذكر فأنت نده." (٣)

"وله رحلة طويلة في المشرق، تجول في خلالها في كثير من البلاد الشرقية. وعرف أخبارها ومن فيها من أهل العلم والرواية، وأخذ عنهم وخاصة عن علماء العراق. ومن شيوخه أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ الأصفهاني، وكريمة بنت أحمد السرخسية، وأبو ذر الهروي. ثم رحل إلى الأندلس ووردها سنة ٤٣٦ هـ، وتجول في بلادها، وأكثر الناس عنه السماع والرواية، وامتدت هذه الجولة إلى سنتين، وحدث

---

(١) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية؟ عمارة اليمني ص/١٦١

(٢) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية؟ عمارة اليمني ص/١٨١

(٣) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية؟ عمارة اليمني ص/٢٠٩

عنه علماء الأندلس قاطبة في كل بلد دخله من بلدانها، وهو أول من ادخل كتاب غريب الحديث للخطابي إلى الأندلس. ثم خرج منها إلى أفريقية، ومات مجاهدا في جزيرة من جزائر الروم، وذلك سنة أربعين وأربعمائة. " وكان حافظا للحديث وطرقه، وأسماء رجاله ورواته، منسوبا إلى معرفته وفهمه، وكان يملى الحديث من حفظه، ويتكلم على أسانيده ومعانيه، وكان عارفا باللغة والإعراب ذاكرا للغريب والآداب، ممن عنى بالرواية وشهر بالفهم والدراية، يجمع إلى ذلك حسن الخلق وأدب النفس وحلاوة الكلام ورقة الطبع ".وكان يجيد الشعر ويعرف جيده من رديئه معرفة الناقد البصير: فقد حكى عن نفسه. وقال: بعث إلى شعراء القيروان، حين مقامي بها، وهو ابن رشيق وابن شرف، وابن حجاج، وعبد الله العطار، يسألوني أن أرسل إليهم شعري، فقلت للرسول إنه في مسوداته، فقال كما هو، فأخذته وكتبت عليه **ارتجالا**، ثم بعثت به: " المتقارب "خطبت بناتي فأرسلهن ... إليك عواطل من كل زينةلتعلم اني ممن يجود ... بمحض الوداد ويشنأ ضنينهفقل كيف كان ثناء الجليس ... أضمخ بالمسك أم صب طينهفأجابوني عن بطء، بهذه الأبيات: " المتقارب "أننا بناتك يرفلن في ثيا ... ب من الوشى يفتن زينةفما سفرن فضحن الشموس ... وسرب الظباء وأخجلن عينهفما نطقن سحرن العقول ... وظل القرين ينادى قرينهأبو محمد الشنتجيالي المجاورهو عبد الله بن سعيد لباج الأموي أبو محمد الشنتجيالي، الطويل الجوار بمكة، شرفها الله، بهذا السبب عرف بالمجاور. قيل جاورها بضعا وثلاثين، وقيل أربعين عاما.وكان يسكن قرطبة، فسمع من علمائها، من أمثال أبي عمر الطلمنكي، ثم رحل إلى المشرق طالبا، حاجا، وذلك سنة إحدى وتسعين وثلاث مائة، فسمع بمكة من علمائها، وصحب بها أبا ذر عبد بن أحمد الهروي الحافظ، واختص به وأكثر عنه الرواية والسماع. ويقال إنه لقي أبا سعيد السجزي فسمع عنه صحيح مسلم. وكان، في خلال مجاورته للحرم المقدس يسرد الصوم، فإذا أراد أن يغوط، خرج من الحرم إلى الحل، فقضى حاجته، ثم انصرف إلى الحرم تعظيما له. وكان كثيرا ما يكتحل بالإثمد ويجلس للمسع، وكان يقول: لا تمنعوا العين قوتها فتمنعكم ضؤها.ويقال إنه حج سنة ٣٩١ هـ. حجة الفريضة عن نفسه، وأتبعها خمسا وثلاثين حجة، وزار مع كل حجة زورتين، فكلمت له اثنتان وسبعون زورة.ورجع إلى الأندلس في سنة ٤٣٠ هـ، ودخل قرطبة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت للمحرم سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وجلس للإقراء والإسماع بجامعها.فقرئ عليه صحيح ملسم، ثم خرج منها غازيا مجاهدا إلى الثغور، فرابط بيطليموس، وشلب وغيرهما وروى عنه بتلك الجهات، وكان له فرس يسميه مرزوق، فكان يقول له يا مرزوق: رزقني الله عليك الشهادة. ثم رجع إلى قرطبة وتوفي بها سنة ٤٣٦ هـ.وكان الشنتجيالي رجلا صالحا، زاهدا، متبتلا، منقطعا إلى ربه،

منفردا به، خيرا، عاقلا، فاضلا، كريما، حليما، جوادا.وله من المؤلفات " مختصر في الفقه ".أبو محمد ابن الحصار الطليطليهو عبد الرحمن بن محمد بن عباس جوشن بن إبراهيم بن شعيب بن خالد الأنصاري. المعروف بابن الحصار " أو الحطار "، صاحب الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بطليطلة.أخذ العلم ورواه عن كبار أئمة العلم والأدب في بلدة طليطلة، ثم سافر إلى قرطبة فسمع من شيوخها الأعلام، كأبي جعفر أحمد بن عون الله وغيره، ثم خرج في رحلة إلى المشرق طالبا، حاجا، وهو حديث السن، واتصل بعلماء الشرق وروى عنهم يسيرا.وكان فقيها، محدثا، راوية، مسندا، متصفا بالدين والخير والحلم الوقار وحسن النقل.." (١)

"وهم كما قال العزيز القهار ... فيهم فما أصبرهم على النارسيعلمون من له عقبى الدارأبو الفتح بن قرانكان في أيام المقتفي شيخا مطبوعا، مربوعا يختضب، خليعا يلعب ويطرب، في زي المتنسكين، وصبغ المنهتكين، حلو المنادمة والتمسخر، وقفا على اللهو والتعثر.وسمعت: أنه تاب مرة، ولبس الخرقة، ثم عاد عن التوبة في الحال، وقال:بسي من الزهد بسي ... قامت من الزهد نفسيمتى أراني صريعا ... مابين ج ... وك ...وسخفه أسقطه، وحبطه، وهبطه.أحمد بن محمد بن شميعةمن باب الأزج.رأيته ببغداد سنة إحدى وخمسين وخمس مئة في سوق الكتب، واستنشدته، ورأيت له خاطرا مطبوعا، ورأيت من دأبه نظم قصائد مختلفة الأوزان والروي في قصيدة واحدة، يمدح بها الأعيان، ويكتب ذلك بالحمرة والألوان المختلفة.أنشدني له قصيدة، علق بحفظي منها هذه الأبيات، وهي:لا أشتكيها وإن ضت بإسافي ... وإنما أشكي من طيفه الجافيومنه ا:حقف لمعتنق خمر لغتبق ... ورد لمنتشق مسك لمستافومنها:هم الأحبة إلا أن عندهم ... ما في المعادين من خلف وإخلافوأنشدني الشيخ أبو المعالي الكتبي لابن شميعة:ود أهل الزوراء زور فلا يس ... كن ذو خبرة الى ساكنيهاهي دار السلام حسب فلا مط ... مع فيها في غير ما قيل فيهاوتوفي ابن شميعة بعد سنة خمس وخمسين.وإذا جئتم ثنيات اللوى ... فلجوا ربع الحمى في خطروصفوا شوقي لسكان الحمى ... واذكروا ما عندكم من خبريوحنيني نحو أيام مضت ... بالغضى لم أقض منها وطريفاتني فيها مرادي وحلا ... لتمني القرب منها سهريكنت أخشى فوقه قبل النوى ... فرماني حذري في حذريآه وأشواقا الى من بدلوا ... صفو عيشي بعدهم بالكدركلما اشتقت تمنيتهم ... ضاع عمري بالمنى وا عمريأبو الحسن علي بن أبي الفتوح بن أحمدابن بكري الكاتبمن الحريم.والده مستعمل السقلاطون لدار الخلافة. وكان هو كاتبا في ديوان المجلس سنين، ثم صرفه الوزير.فيه فضل وأدب. وهو

---

(١) القرط على الكامل؟ ابن سعد الخير ص/٢٠

من طبقات الشطرنجيين ببغداد.أنشدني لنفسه – ببغداد – سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة، بيتين له في سوداء، وهما:يا من فؤادي فيه ... متيم ما يزالإن كان لليل بدر ... فأنت للصبح خلوأنشدني لنفسه يستعير كتابا ممن ألزم نفسه ألا يعير أحدا كتابا:يا من أناب وتابا ... ألا يعير كتاباقد رمت ذاك ولكن ... محبة الشكر تابوأنشدني أيضا لنفسه أبياتا، عملها **ارتجالا** بحماة حين كان بالشام، وكان على شاطئ النهر المعروف بالعاصي:قعدت على عاصي حماة وقد بكت ... نواعيره والماء يضحك فيهفهاج لقلبي صبوة لم أصب لها ... شبيها وهل يؤتى لها بشبيهوما زال يهتاج الفتى كل رنة ... إذا ما نوى شطت بدار أبيهوأنشدني لنفسه في بعض الأكابر، وكان بيده بنفسج:يا من علاه على السماء مطلة ... وبفضله تتحدث الأمصارإن كان يظهر للبنفسج خجلة ... من طيب نشرك راح وهو بهاروأنشدني لنفسه، وذكر لي أنها من قصيدة:أمامك أوطار وخلفك أوطان ... فعزمك ما بين البواعث حيرانإذا شملت هزتك للشوق صبوة ... وإن جنبت هزتك للإلف أشجانوأنشدني لنفسه في الاشتياق، سنة إحدى وستين وخمس مئة، قوله:الشوق ألوان وأوفاه ما ... كان الى أهل وجيرانلو قرب الشوق لإفراطه ... ناء الى ناء لأدنانيوقوله مما نظمه قديما بدمشق:." (١)

"وصل كتاب سيدنا، أرغد الله عيش الأسرة والخدم، بنضرة أيامه، وأنجد جيش العسرة والعدم، بنضرة إنعامه، ما فرع شجرة خلاف شعبا، وأوقع شجار خلاف شغبا. ولما أخذ الوداد برمته، وجبذ الفؤاد بأزمته، رحل ولم يرحل مثاله، واستقل وقل أمثاله، وسكن وما سكن خاطري من القلق، وهدأ وما أهدأ الإشفاق من الحرق.ومن أخرى إلى ابن أخيه، يحثه على الدخول بزوجته: ما دجا حبر، وداجى حبر، وأمح منهج ظلام، وانمحى نهج ظلام.ومنها: وصار كمين الوجد مكينا، وحنين الغرام جنونا، ووشيك العذر مستبعدا، والقلب بين الجوانح إليك جانح، وجوارحه لملتمسك جوارح. فاسترسل قلمه في لقمه، ورقم وصف قرمه، وحاكى ما حاك في الخلد، وكنى عما نكأ في الجلد.ووصل كتابك الشريف الموضع، اللطيف الموقع، فانتطق بشارة بشارة، ونطق بإفصاح إشارة، فسروت قناعه فأقنعني بالمسرة، وقرأت عنوانه فملأ العين قرة، وأزال بلطف نقشه ونفسه، من الطرف وحشة حسه. ولما طرأ عاد الشوق طريا، ومرى شأن الدمع فوجده مريا. وكان كالماء الفرات، أو كلم ابن الفرات، وقمت له إجلالا، وقلت **ارتجالا**:وفى إلي وفاءا ... منك الكتاب وفاءافشف قلبي، حتى ... أشفى، وكان الشفاءايا غائبا كان يروي ... صدى العيون رواءالقى تركت اصطباري ... يروم منك لقاءا" وأعذبت عنك – لا عذب قليبك – لا أعذب قلبك "، فقلت: يتبع راية آرائه، ويقع

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى؟ العماد الأصبهاني ٦٣/١

في هوة أهوائه، ورأي الفطرة فطير وخيم، وحجر الشريعة حجر لكل طبع وخيم. فمن مري خلفها غذوا، وأمر خلفها عدوا.وكنت حين طلبت سر هذا الأمر، وركبت ظهر هذا البحر، جعلت الإيمان أميني، والقرآن قريني، والشريعة ذريعتي، والسنة جنتي، مستمرا على أمرها، ومستمرئا جنى مرها، حتى انفتحت لي مغالقها، واتضحت لعيني طرائقها، وأحدقت بي حدائقها.والفقه غرس ربما حنظل شجره، ودرس ربما درس أثره. والسنة ألجأتك إلى خبط الميس، والأئمة خير من قيس.ولنشرح لك حقيقة الخلاف، في المسألة الدائرة بين الأطراف: فإن الشافعي، شافي عي، بل أحمد، الذي أنت له أحمد: التفت عن الدنيا ساليا، ونظر نظرا عاليا، ومن سلا سلم، ومن علا علم، فقال: المقصود من هذا الوجود، الاشتغال بعبادة المعبود، والإقبال على النكاح يشغل، فالتخلي للعبادة أفضل. وذاك حين تسكن نوازع الشهوة، وتمكن منافع الخلوة. وأما النعمان فأنعم النظر، وأحكم المرر، ونظر محيطا، وأفتى محتاطا.ومن تخلى لنوافل الشرع، نوى فل الجمع. ومن أذهب الفرض للنافلة، ووهب الأرض للناقلة، فقد عند، وما عبد. يسكن من الطبع ما يرى مائرا، ويمكن من الشرع ما طرأ ماطرا. ومتى أرى ظل الهوى، أضل إراءة الهدى. ويرق لمن ملك رقه، ويوفي كل ذي حق حقه، فيضرب في نوافل العبادة بسهم، ويضرب عن وجه غرض النكاح بسهم، ويكون له في كل مشروع، بالقلب شعور وبالقالب شروع، ويدق كل باب، ويذوق كل لباب، اتباعا لقول الرب الواحد: " يا بني. لا تدخلوا من باب واحد ". وآداب الأنبياء، دأب الأولياء، وأقوالهم، أقوى لهم.النفوس إذا التحف صاحبها بأخلاق من أخلاق، أو فاق في أفعال على غير وفاق، أو رفض من الشرع ما رفض، وعرض بما هو له غرض، أو سرق طبعه ذميم الأخلاق، ممن ليس له خلاق، وأخلاق السوء من القرناء، أعدى من الثؤباء، وليس بين الأعداء، شيء من الإعداء؛ فشفاؤك إشفاؤها، وجلاؤك جلاؤها. فعاد الحكيم إلى النفس، واتخذ من الطب ومنهاجا وقانونا، وقال: الحكمة في سمك الماء، كهي في سمك السماء، والنفس كالشخص، في الصحة والنقص.فاجعل العقل إماما، وقدمه أماما، وفوض إليه التأمير، والسكنى في التامور.من ند عن الكمال ندم، ومن عد من الجهال عدم. فأخلد بخلدك إلى الخلد، واستعد لورود هذا العد.وإن عدت إلى عادية عادتك، واعتددت بغادية غادتك، وإن اتسع لك المجال، وامتنع منك المحال، تخلصت زبدتك عن المخض، وخلصت إلى الحق المحض، وأطفت بملك لا يبلى.فإن أعادك إلى حبسك فلحكمته، وإن أرادك لنفع جنسك فلرحمته. وخذها طويلة غير قصيرة، ومشورة كالشهد مشورة، وعليك السلام، وأفضل التحية والإكرام.وتوفي أبو المعالي الكتبي ب بغداد في سنة ثمان وستين وخمس مئة.ابن الريفية." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى؟ العماد الأصبهاني ٨٣/١

"واها أذكرها، ولم ... أك ناسيا، فأكون ذاكرأبدا تشخصها الوسا ... وس لي، وتشخصها الخواطرفأظل حاضر لذة ... وإذا سئلت، فغير حاضروله:لا هجعت أجفان أجفانا ... ولا رقا إنسان أنسانايا جافيا، يزعم أني له ... جاف، أما تذكر ما كانا؟والله ما أظهرت غدرا، كما ... قلت، ولا أضمرت سلوانالكن وشى الواشون ما بيننا ... فغيروا ألوان ألواناوله:إني لتعجبني الفتاة إذا رأت ... أن المروءة في الهوى سلطانلا كالتي وصلت، وأكبر همها ... في خدرها النقصان والرجحانفكذاك شمس الدجن، في ابراجها ... تعلو، وبرج هبوطها الميزانوله في غلام هندي:أيحسب أنني ناج ... وبدر الهند لي شاج؟بشعر آبنوسي ... له، ومقبل عاجييريك، إذا بدا، شمس ال ... ضحى في الحندس الداجيكأن القرص في خدي ... ه ياقوت على تاجوله في غلام معذر:يا عاذل العاشق في حب من ... عذاره يعذره في المقهإن كان قدما فضة ... فقد غدا كالفضة المحرقهأو كان غصنا أجرد اللمس، من ... قبل، فسبحان الذي أورقهوله في الأصداغ:ما زلت أحسب أن وجهك مشبه ... يا فاتر اللحظات، بدر الغيهبحتى بدا، وعقارب الأصداغ قد ... أذكت شعاع جماله المتلهبفعلمت أن البدر يقصر دونه ... لما وجدت هبوطه في العقربالشيخ أبو العز القلانسي المقرئواسمه: محمد، بن الحسين، بن بندار.من أهل سط. هو الذي تفرد في زمانه بالقراءات العالية. ورحل الناس إليه من الأقطار.وقد لقيت ب واسط من مشايخ القراء من قرأ عليه.وكان مولده سنة ست وثلاثين وأربع مئة، وتوفي سنة إحدى وعشرين وخمس مئة.ولي إجازة من مشايخ، رووا عنه.وأورده السمعاني في المذيل، مسندا إليه، مدح الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين:إن من لم يقدم الصديقا ... لم يكن لي، حتى يموت، صديقاوالذي لا يقول قولي في الفا ... روق، أنوي لشخصه تفريقاولنار الجحيم باغض ذي النو ... رين يهوي من٥ا مكانا سحيقامن يوالي عندي عليا، وعادى ال ... قوم طرا، عددته زنديقاالعدل أبو علي بن بختيار الواسطيوقيل: أبو السعادات، علي، بن بختيار، بن علي.قرأت في كتابه: أنه قدم بغداد سنة ثمان وخمس مئة.وكان شاعرا، كاتبا، له معرفة بالأدب، رقيق الطبع، حسن النظم.كان من المعدلين ب واسط.أنشدني المؤدب أبو سعيد، بن سالم بها، في شهر رمضان سنة خمس وستين وخمس مئة، قال: أنشدني القاضي العدل أبو علي، بن بختيار لنفسه في البرغوث والبق، وقد اقترح عليه بمحضر من الفضلاء:ولما انتحى البرغوث والبق مضجعي ... ولم يك من أيدهما لي مخلص،زفنت بكفي، إذ مدامهما دمي، ... فزمر هذا، وابتدا ذاك يرقصوكان قد أنشدني هذين البيتين القاضي عبد المنعم، بن مقبل، الواسطي، رواية عن ابن أسلم، عنه. وذلك حين أنشدته أبياتا لي عملتها في البق والبرغوث ارتجالا، ليلة بت فيها ب

نهر دقلى، وكنت قد فارقت أصفهان على طريق عسكر مكرم والحويزة، إلى واسط، عيد النحر الواقع في سنة تسع وأربعين وخمس مئة:يا لحى الله ليلة قرصتني ... في دياجيرها البراغيث قرصا." (١)

"وكل من استشرى بقوة حده ... تجاوز في دعواه أقصى حدودهالقد ماتت النعمى التي ظفروا بها ... وفي الميتة الملقاة حظ لدودهايقولون ما سيرت ما يتقى به ... مغانيك غابات خلت من أسودهاوهل سالب العزيان إلا منبه ... على عدم الأشياء قبل وجودهاوقالوا هجرت الكتب، والعلم وجهه ... يزيد بياضا من تصفح سودهاوما الحفظ إلا كالثمار قطفتها ... وعلقتها بالخيط في غير عودهاطريق البلاغات التصرف زادها ... وفخر كفاة العصر خريت بيدهاأفاد العلى عبد الكريم محمدا ... ولم نره يعزى إلى مستفيدهافلم يرض حتى نالها باكتسابه ... طريف العلى أولى بها من تليدهاكسا رؤساء العصر دام رئيسهم ... مفاخر يجتابون أسنى برودهافتى لا تبل النعل طشة حاله ... وجدواه قد عام الورى في مدودهافصيح، إذا مد المداد حباله ... لملمومة لم يعيه صيد صيدهاأدم ذكره وانس الأوائل جملة ... مكارمه نقض لبيت لبيدهاولو لم تكن تصمي به الدولة العدى ... سما قدره عن نعته بسديدهانشرت أبا عبد الإله مناقبا ... أميتت فلاحت منك شهب سعودهاوجدت **ارتجالا**، والغمامة طالما ... تكرر يحدوها ضجيج رعودهافما يقتضي جدواك مورد مدحة ... لأسلافك الأثمان قبل ورودهاوما زلت في بغداد بالذكر خادما ... وخدمة مثلي يكتفى بزهيدهاولو سمحت أرض العراق بمسكة ... ترفهت عن جي وأكل قديدهاوما أنا إلا الطيف ينسى فلا يرى ... ومثلك من جاء العلى من وصيدهاأطال اختراعي للمعاني تأخري ... وقدم أقوام بسلخ جلودهاويكفيك مجدا أن نفس مطالبي ... بك اعتصمت من قطع حبل وريدهاوأن خيام الاهتمام بنصرتي ... يلوح عمود الفجر تحت عمودهاليهن أمير المؤمنين سعادة ... تفيض بها الأعراض بعد جمودهافلو لم يصل إلا بيمناك وحدها ... لأمكن فتح الخافقين بجودهاوله وكتبها إلى سديد الدولة ابن الأنباري وقد نقلتها من خطه أيضا يهنئه فيها بخلعة:رئيس الفضل والرؤساء إني ... كتبت إليك ما أملى ضميريولي فكر يوزعه التفاتي ... بصحته إلى أمل كسيروليس تألمي من فوت رزق ... ولا عجبا لإعراض الوزيرولكن من صلود زناد عزم ... تردد في الإقامة والمسيرهمومي لا تفي هضبات رضوى ... بهن ولا تقوم ذرى ثبيرليفدك معشر مدحوا فسنوا ... نكاح الشاردات بلا مهورمتى تجري الخواطر في مديح ... وإيغار الصدور من الصدورسديد الدولة الأمواه تثني ... على كرم المنابع بالخريرومدمن سبك عقيان المعاني ... بصير، والتأمل

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى؟ العماد الأصبهاني ١٢٨/١

للبصيركسوت الملك ثوبا من حروف ... فقابله بثوب من حريرووشي الحبر في القرطاس أبقى ... على الأيام من وشي الحبيروفي الخلع الجمال ولست أحدو ... بتهنئة بهن إليك عيري." (١)

"وحضرت عنده بعد ذلك وقرأت من مصنفاته المذهبية عليه، واستفدت منه، وأخذت عنه، وما اتفق لي استملاء شيء من نظمه، لصرف همتي إلى استفادة ما سوى ذلك من علمه، فإن زمانه أعز، وإحسانه لعطف الطالب أهز، فاستغنيت عن التماس شعره بما أنشدنيه الفقيه الشهاب محمد بن يوسف الغزنوي مما استملاه منه، فمن جملة ذلك أنه كتب إليه في الفتاوى:أيا تاج الأئمة والمرجى ... لكشف المشكلات من الأمورإذا ما الدار سهم ضاق فيها ... مع الإفراز من نفع يسيروباقيها فسهم ليس يخلو ... مع الإفراز من نفع كبيرفإن نبع الكثير فهل مكان ... لشفعة ذلك الجزء الحقيروهل تجري ولا إجبار فيها ... مع الحمام والبير الصغيرفأجاب **ارتجالا:**وثقت بخالقي في كل أمري ... ومالي غير ربي من ظهيرأرى الشقص الذي لا نفع فيه ... كبير أو كحمام صغيروفي الكل الخلاف وإن رأيي ... ليثبت شفعة السهم الحقيروترهقه المضرة حين باعوا ... فـما غير التشفع من مجيروسئل أيضا:إذا ما البيع كان بغير عقد ... وقد سكن التراضي في القلوبفهل من مأتم يخشى إذا ما ... أعاد الخلق علام الغيوبأجب عما سئلت أتيت أجرا ... من الرحمن كشاف الكروبفأجاب عنه **ارتجالا:**إذا وجد التراضي في القلوب ... ولا لفظ لداع أو مجيبفلا بيع ولا يخشى قصاص ... عليه عند علام الغيوبفخذ هذا الجواب عن ارتجال ... تنال به مرادك عن قريبثواب الله أرجو في جوابي ... وحسبي بالمهيمن من مثيبلعبد الله ناظمها ذنوب ... وعفو الله محاء الذنوبومن ذلك قوله:كل جمع إلى الشتات يصير ... أي صفو ما شابه تكديرأنت في اللهو والأماني مقيم ... والمنايا في كل وقت تسيروالذي غره بلوغ الأماني ... بسراب وخلب مغروورويك يا نفس أخلصي إن ربي ... بالذي أخفت الصدور بصيروقوله:أؤمل وصلا من حبيب وإنني ... على كمد عما قليل أفارقهتجارى بنا خيل الحمام كأنما ... يسابقني نحو الردى وأسابقهفيا ليتنا متنا معا ثم لم يذق ... مرارة فقدي لا ولا أنا ذائقهوقوله:يا سائلي كيف حالي بعد فرقته ... حاشاك مما بقلبي من تنائيكاقد أقسم الدمع لا يجفو الجفون أسى ... والنوم لا زارها حتى ألاقيكاوقوله:أمستخبري عن حنيني إليه ... وعن زفراتي وفرط اشتياقيلك الخير إن بقلبي إليك ... ظما لا يرويه غير التلاقيوقوله:وما الدهر إلا ما مضى وهو فائت ... وما سوف يأتي وهو غير محصلوعيشك فيما أنت فيه وإنه ... زمان الفتى من مجمل ومفصلوقوله:أؤمل أن أحيا وفي كل ساعة ... تمر بي الموتى تهز نعوشهاوهل أنا إلا مثلهم غير أن لي ... بقايا ليال في الزمان

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى؟ العماد الأصبهاني ٢/٢١٦

أعيشهاوقوله:كنت إذ كنت عديما ... لي خلا ونديماثم أثريت وأعرض ... ت ولم ترع قديماردك الله إلى ودي مديونا غريماالحسن بن شقاقا الموصليقال العلم الشاتاني: كان شاعرا مجيدا بالموصل، وأشعاره سائرة، وأزهاره زاهرة، توفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وله في نصير الدين أمير الموصل يعرض برجل تولى اسمه عمر بن شكلة، بعد رجل قزويني ظالم:." (١)

"لولا الأماني التي تحيي النفوس بها ... لمت من لوعة في القلب تستعرومنها في عمر الملاء:وأصدق الناس في حفظ العهود إذا ... ميزت بالفكر أحوال الورى عمرالزاهد العابد البر التقي ومن ... يزوره ويقوي أزره الخضرقال علم الدين الشاتاني: قال القاضي نجم الدين الشهرزوري قاضي الموصل: دخل إلي شاب من أهل بغداد وأنشدني هذه الأبيات:في نهر عيسى والهواء معنبر ... والماء فضي القميص صقيلوالطير إما هاتف بقرينه ... أو نادب يشكو الفراق ثكولوعرائس السرو التحفن بسندس ... ورقصن فارتفعت لهن ذيولوقال لي: اعمل على وزنها ما يناسبها فعملت في الحال:والغصن مهزوز القوام كأنما ... دارت عليه من الشمال شمولوالدهر كالليل البهيم وأنتم ... غرر تنير ظلامه وحجولوأنشدني الشاتاني لنفسه:خليلي هل من مسعد لي أبثه ... غراما له بين الضلوع لهيبوزفرة أشواق تقادم عهدها ... فليس لها حتى الممات طبيبعفا الله عمن خان عهدي وإنه ... إلي، وإن خان العهود، حبيبإلام أمني النفس منه بزورة ... فيثنيه عني عاذل ورقيبأتوب إلى الرحمن من كل ريبة ... ومن وصل من أهواه لست أتوبوأنشدني له من أبيات كتبها إلى ابن كمال الدين الشهرزوري وقد زار الجودي:جلال الدين تهنيك الزياره ... ولي بقبولها منك البشارهومنها:زها واستبشر الجودي لما ... رأى منك النزاهة والطهارهوصار الترب من ممشاك مسكا ... به وتجوهرت منه الحجارهوأنشدني له في حاسد له وثب عليه الأسد وعاد عنه ولم يفترسه، عملها ارتجالا عن غير روية، ولا فكرة قوية:قلت لليث: لم تأخرت عنه ... حين غادرته لديك صريعاقال: قدرت أنني حزت صيدا ... فتأملته فكان رجيعافأبت نفسي الأبية عنه ... أن ترى أكله وإن مت جوعاوأنشدني له في السابق المعري يستعدي عليه عند الشيخ:مولاي فخر الدين يا ذا النهى ... ما قيمة الأخرس كالناطقكلا ولا العبد المطيع الذي ... يرجو رضا مولاه كالآبقيا أروعا ترتاع أسد الشرى ... في خيسها من عزمه الصادقبهمة عالية ما لها ... عن عقوة العيوق من عائقللعبد أبيات زها حسنها ... حبرها من لفظه الرائقفاقطع لسان المفسد السابق ... أوجب من قطع يد السارقيبتز أموال الورى عنوة ... ويكفر الرزق من الرازقغذاؤه الغيبة لا غيرها ... شيمة نذل خائن ماذقوالسعي لا في الخير يبغي به ... وقوع أهل الدين في مازقخب إذا لاحت له فرصة ...

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى؟ العماد الأصبهاني ٤٤٧/٢

ينقض كالبازي والباشقما زال يؤذي الناس حتى رأى ... كساده في سوقه النافقوقوبلت أفعاله بالذي ... عاينه في نغله المارقفموته في السجن أولى به ... ورمي من رباه من حالقوإن أرحت الناس من شره ... أحرزت شكر الخلق والخالقوأجهل العالم عندي امرؤ ... يهدد الضرغام بالناهقوأنشدني لنفسه:خليلي كفا عن ملامي وعرجا ... فأنفاس نجد نشرها قد تأرجا." (١)

"فسقوني منه حتى صرت من ... سكرتي أحسب مهري أرنباومنها:إن من قد عابها من بعد ما ... عتقت في دنها لي حقبايحتسيها عند ريعان الصبا ... ويخليها إذا ما اضطرباكالتي في رمضان لم تصم ... بلها منها وصامت رجباقل لعبد القيس يا أكرم من ... مد كفا بحباء واحتبىفارس الخيل إذا ما ركبا ... أكرم الناس إذا ما وهباأصبحت نجران لي مرتبعا ... والمدانيون أما وأبافي بهاليل صحوا أو سكروا ... أكرمونا وأهانوا الذهباوقال في علي بن محمد الصليحي لما قتله سعيد بن نجاح من قصيدة، وقد **ارتجالا**:زيكرت مظلته عليه فلم ترح ... إلا على الملك الأجل سعيدهاكان أقبح وجهه في ظلها ... ما كان أحسن رأسه في عودهاسود الأراقم قاتلت أسد الشرى ... يا رحمتي لأسودها من سودهاولما طلب بسبب هذه الأبيات هرب وقال من قطعة، وعنى الصليحي:قتلته حرابة ابن نجاح ... وطلبتم بثأره العثمانيوله:ما العيش إلا كاعب وعقار ... وأكارم نادمتهم أخيارقم فاسقني بالكأس من تلك التي ... أهل النهى في وصفها قد حاروااشرب ولا يلحقك خوف عقوبة ... فيها فرب حسابها غفارخذها فإن حلت نجوت وإن تكن ... حرمت، لمحو ذنوبها استغفارلا تصرفوا عني الكبير فإن لي ... في شرب كأس كبيرها إكباروسلافة من بيت ذات سوالف ... بجفوننا وجفونها أسرارلو كان فيها ريبة ما كان في ... جناته منها لنا أنهارومن مديحها في بني عبد المدان:وأخافني ملكي فلما زرتهم ... أصبحت أقصد مثلهم وأزارالشيخ إسماعيل بن محمد المعروف بابن البوقاوزر لجياش بن نجاح ثم للملوك من أولاده من بعده وهم الفاتك والمنصور وعبد الواحد بنو جياش، وما منهم إلا من قدمه، وعظمه، وأكرمه، وكان في نفسه سيدا رئيسا جليل القدر، واسع الخير، سمحا بماله وجاهه، وما في الكرماء إلا من لم يضاهه، مأمون الغائلة ميمون الشان، طاهر المحضر والصدر واللسان، حكى عمارة أنه لقي أولاده سعيدا وسعدا وعبد المفضل وعبد المحسن بزبيد ولهم النباهة والوجاهة، وبعد الصيت الذي زينته النزاهة، وشعر أبيهم إسمعيل كثير يتغنى بغزله رشاقة، ويتمثل بجزله وثاقة، فمن غزله قوله:عند روض الربيع لي أوتار ... تقتضيها الصهباء والأوتاروله مطلع قصيدة يخلص فيها إلى مدح يحيى بن حمزة السليماني.يا طاوي الفلوات طي المدرج ... عج نحو منعرج الكثيب وعرجوشعره طيب حسن،

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى؟ العماد الأصبهاني ٢/٤٥٣

وهو كثير موجود باليمن.بنو أبي عقامةيذكر العماد في الصفحات التالية تراجم أربعة من بني أبي عقامة، وهي أسرة توارثت القضاء أجيالا في زبيد، ويرتفع نسبها إلى مالك بن طوق التغلبي، وأحد أجدادها محمد بن هارون كان أول القضاة بزبيد وقد جاءها أيام المأمون في خبر يرويه كثير من الإخباريين، هذا تفصيله:." (١)

"يا رب غانية أضر بقولها ... أني بلفظة معدم منبوزفأجبتها ما عازني نيل الغنى ... لكن مطالبة الحميد تعوزفي هذا البيت لحن، قال عازني والصحيح أعوزني وتعوز، وهذا يدل على أنه لحنةما خاب من هضم التفضل ما له ... كرما، ووافر عرضه محروزوهذا أيضا صوابه محرز.وله أيضا:لئن أنكرت مقلتاها دمه ... فمنه على وجنتيها سمهوها في أناملها في بعضه ... دعته خضابا لكي توهمههذا من قول الآخر:خذوا بدمي ذات الخضاب فإنني ... رأيت بعيني في أناملها دميإذا كان لم يجن غير الهوى ... فيقتل بالهجر ظلما لمهفقالت بما سقمه والدموع ... فأظهر من سرنا معظمهفديتك دمعي من بثه ... هواك وجسمي من أسقمهوأنشدني القاضي أبو القاسم حمزة بن علي بن عثمان وقد وفد من مصر إلى دمشق في شعبان سنة إحدى وسبعين قال: أنشدني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثماني الديباجي قال: أنشدنا ظافر الحداد لنفسه في كرسي ا النسخ:نزه لحاظك في غريب بدائعي ... وعجيب تركيبي، وحكمة صانعيفكأنني كفا محب شبكت ... يوم الفراق أصابعا بأصابعقال ابن عثمان: وأنشدنا أبو الحسين يحيى بن محمد بن الحسين الأزدي بالإسكندرية قال: أنشدنا ظافر الحداد لنفسه بمصر في العذار:أطلع الشمس من جبينك بدر ... فوق ورد من وجنتيك أطلافكأن العذار خاف على الور ... د جفافا فمد بالشعر ظلاقال: وأنشدنا أيضا لنفسه ارتجالا وقد أحضره الأمير السعيد ابن ظفر والي الإسكندرية، ليبرد خاتما في يده قد ضاق عن خنصره:قصر في أوصافك العالم ... فاعترف الناثر والناظممن كن البحر له راحة ... يضيق عن خنصره الخاتمفأمر له بعطاء، فقيل له: إن كنت ذا خاطر سمح، فأنشدنا أسرع من لمح في هذا الغزال المستأنس، يعني غزالا كان في حجر الأمير، فقال:عجبت لجرأة هذا الغزال ... وأمر تخطى له واعتمدوأعجب به إذ بدا جاثما ... فكيف اطمأن وأنت الأسدفأمر له بعطاء آخر، فقال له الرجل ممتحنا: انظم في هذه الشبكة المسدولة على هذه الدار شيئا، فقال:رأيت ببابك هذا المنيف ... شباكا فأدركني بعض شكوفكرت فيما جرى لي فقلت ... مكان البحار يكون الشبكفقال الأمير لممتحنه: دعه وإلا أخذ ما علي.وله، وقد استدعاه بعض أصحابه إلى الجيزة وقلى له سمكا يقال له الراي فاقترح على الغريزة من قريحته نظم هذه

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى؟ العماد الأصبهاني ٢/٥٥٣

الأبيات الوجيزة:أيا سيدا فقا أعلى الرتب ... وحاز الجمال بأدنى سببأمالك في الراي رأي فإن ... له صفة أوجبت أن يحبتربى مع النيل حتى ربا ... وصار من الشحم ضخما خدبولا حس للعظم في أكله ... فليس على السن منه تعبيروقك نيئا وفي قليه ... فتنظر في حالتيه العجبنصول السكاكين مصقولة ... وفي القلي تمويهها بالذهبقال: وأنشدني لنفسه:قد يقد به القلوب إذا انثنى ... ينبيك كيف تأود الأغصانكالصعدة السمراء قد أوفى بها ... من لحظ مقلته الضعيف سنانمإ خلت أن النار في وجناته ... حتى بدا في عارضيه دخانوأورد له ابن بشرون المهدوي في كتابه الموسوم بالمختار قصيدة طويلة أثبت منها ما هو في صفاء النضار وأولها:سائل الدار إن سألت خبيرا ... واستجر بالدموع تدع مجيرا." (١)

"وهو لو كان بين حجي ونسكي ... صد في بغضه عن التطويفأنت وسعت بيت مالي فوسع ... منزلي فهو منزل للضيوفوأجرني من الضنا واجرني منك ... على حسن خلقك المألوفوله يعتذر عن عثرة جرت منه في سكرة:إذا ضاق عن دنيا الفتى سعة العذر ... فبالسيف عاقب فهو أيسر من هجرركبت كميت الراح وهي جماحها ... شديد ومالي بالتفرس من خبروأرسلت ما بين الندامى عنانها ... فجالت وألقتني على وعر السكرفإن جدت بالصفح الذي أنت أهله ... تدارك ذاك الكسر مني بالجبروإلا فإني غير باق بغلة ... أضم لها عوج الضلوع على الجمروما ضاقت الدنيا على متغرب ... تحمل ثقلا أن ترحل عن مصروإن كنت قد أذنبت ثم غفرت لي ... فذاك على مقدار قدرك لا قدريوله في رمد طال بغير أمد:ما لنهاري كأنه الغسق ... وما لليلي ما شقه الفلقوما لعيني أرى بها عجبا ... تغرق في مائها وتحترقولي طبيب تشكو مراوده ... وتستغيث الجفون والحدقشيافه تطرد الشفاء إذا ... مر بعيني وكحله الأرقوإن تمادى علي زرتكم ... وقائداي العصي والحلقلم يبق من صيغة المدام سوى ... جفون عين كأنها الشفقوبي من الداء ما حكايته ... لا بد منها وتركها خرقطبعي ووجه البخيل في قرن ... هذا وهذاك ليس ينطلقيا عين حتام أنت باكية ... قد نفذ العين فيك والورقوله في صفة روضة:ذات غدير خلته ... صرح زجاج مرداثم انثنى منعطفا ... مرتعشا مردداخاف من الريح وقد ... هبت به فارتعداكأنما يد الصبا ... مدت عليه زردا ومنها:واحسرتا حتى متى ... أنهض حظا مقعداوله في المديح:ولم ير كالمدائح فيه تسري ... خفافا تحمل المنن الثقالاوننشده مدائحه اقتضابا ... فيعطينا منائحه ارتجالاوقال أبو الطاهر من قصيدة، وقد عزم عيه بعض الأمراء في المسير معه إلى الشام لقتال الغز، أولها:غير عاس عليك تقويم عودي ... فانقضي من ملامتي أو فزيديقل لمولاي إذ دعاني لأمر ... قمت فيه له مقام العبيدضعفت حيلتي وقل غنائي ... ودنت

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى؟ العماد الأصبهاني ٢/٧٢٢

غايتي ورث جديديأنا ما لي وللشآم وإني ... لأرى نار حربها في وقودبلد جنه عفارية الغز ... وأرض وحوشها من أسودوالجفار التي تقول إذا ما ... قيل هلا امتلأت هل من مزيدوكأن بي على بعير تراني ... آخر الناس في لفيف الحشودأسود الوجه ناظرا في أمور ... معضلات من الحوادث سودوإذا قيل في غد يلتقي النا ... س فلا تنس فهو بيت القصيدحين لا ناظري تراه ححديدا ... حين يبدو له بريق الحديدحين لا يتقى لساني ولا ... يثني زمام البعير عني نشيديإن رأيي إذا تسدد نحوي ... سهم رام لغير رأي سديدوإذا ما قتلت كنت خليقا ... بدخولي جهنما في خلودفأقلني عثارها وابق للحمد ... وكبت العدا وغيظ الحسود." (١)

"ويا من قده غصن ... نماه الدل والزهولقدأصبحت ذا جور ... على من جسمه نضووقد طالت مواعيدي ... أهذا منك بي لهووفإن كنت أخا ذنب ... أما عندك لي عفووله قد غني بين يديه بقول ابن أخي عتاب الجوهري:إذا لم أطق صبرا رجعت الى الشكوى ... وناديت جنح الليل يا عالم النجوىفعمل **ارتجالا**:أيا قلب كم حذرتك البث والبلوى ... أليس قصارى العاشقين الى الشكوىفإن قلت إن الطرف أصل بليتي ... فأنت الذي تصبو وأنت الذي تهوىلعمري لقد بالغتما في نكايتي ... وحملتماني في الهوى فوق ما أهوىبليت بقاسي القلب في غاية المنى ... فصيرني في الحب في الغاية القصوىولا يقبل الأيمان إن جئت حالفا ... ولا يرحم الشكوى ولا يسمع النجوىوله:إن نظرت مقلتي لمقلتها ... تعلم مما أريد فحواهكأنها في الفؤاد ناظرة ... تكشف أسراره ونجواهوله:وكأس مثل عين الديك صرف ... وماء المزن بالشهد الجنيبيطوف بها مليح ذو دلال ... مريض الطرف ذو خلق رضيأقام عقارب الأصداغ تيها ... ليمنع بهجة الوجه الوضيشربت على لواحظه مداما ... كماء المزن والمسك الذكيوله من أخرى:وإذا حرك المثاني عنيد ... وسمعنا زمرا ولحنا شجياوسعى بالكؤوس بدر منير ... وسقانا الرحيق صرفا وحياما أبالي إذا شربت ثلاثا ... أي قاض بالجور يقضي علياحميد بن سعيد بن يحيى الخزرجيمن ندماء تميم بن المعز بن باديس بالمهدية، وشعرائه المجيدين في البديهة والروية، وهو الذي جمع شعر الملك تميم، ونظم في عقد سلكه كل در يتيم، ومما أورده لنفسه فيه أبيات عملها على وزن شعر لتميم قال: حضرنا ليلة بين يديه فأملى علي، يعني تميما:يا باعث السكر من كأس ومن مقل ... يسبي الحليم بتكسير وتخنيثوحامل البدر فوق الغصن منتصبا ... وخالط الدر تذكيرا بتأنيثعاهدتني عهد من للعهد ينكثه ... فصرت تأخذ في طرق المناكيثحدثتني بأحاديث منمقة ... فما حصلت على غير الأحاديثفالوعد ينشرني والخلف يقتلني ... فصرت ما بين مقتول

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى؟ العماد الأصبهاني ٢/٧٩٢

ومبعوثقال حميد وسأل الحاضرين إجازته فأنشدته:يا من حرمت وصالا منه ينعشني ... وصرت أقنع منه بالأحاديثتشبث السقم بي لما هجرت فما ... بغير طول الأسى والهجر تشبيثياالله في هجر مقتول أضر به ... وجد عليك وميت غير مبعوثقال ثم أنشده الحصيبي:يا ساقي الكأس ليس الكأس تسكرني ... السكر من مقلة أغرت بتخنيثيوهذا الحصيبي من شعراء العصر ويستغنى بذكره هاهنا عن ذكره في موضع آخر.ثم أنشده الكفيف:بثثت حبك إذ ضاق الفؤاد به ... فمن يلوم لسر فيك مبثوثنفثت في القلب سحرا لا طيب له ... فيا لسحر من الألحاظ منفوثوقد حلفت يمينا لا يكلمني ... والشوق يقضي على رغمي بتحنيثفقال له تميم: أنا انتقدت على الحصيبي، فانتقد أنت على الكفيف، فقلت: كلامه كله مختل، لأنه ذكر ضيق صدره بمحبوبه، ومن كان صحيح المحبة فما يضيق فؤاده، ثم قال: فمن يلوم لسر فيك مبثوث، والبهائم لو نطقت، تلومه، وإنما الصواب: فلا تلمني لسر فيك منثوث، والمبثوث لا وجه له، فإن المبثوث بمعنى المفرق وكيف يبث حبه بمعنى يفرقه، وإنما أراد أن يقول نثثت حبك بالنون أي ذكرته بعد ما كان مكتوما.قال حميد الخزرجي: وعملت بيتين ابتداء لأبيات وهما:وغانية محياها ... به يغنى عن السرج." (١)

"أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه وعن آبائه، الذي نطقت بشرفه السور، وأرخت بفضيلته السير، ووضحت حجول أيامه والغرر، وتسنى في زمانه للإسلام الظفر.أما شرفه، فهو أوضح من ذكاء. وأما مناقبه، فهي بعدد أنجم السماء.بويع له بالخلافة يوم الأحد، ثاني ربيع الأول، سنة خمس وخمسين وخمس مئة يوم وفاة المقتفي، وتوفي تاسع شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمس مئة.وكان يحب الفضل وذويه، ويستخدمهم، ويقربهم.وله شعر حسن، فمنم ذلك ما ذكره الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة في كتاب صنفه له يشرح أبياته، ويقول: وإنما غرض كتابنا هذا شرح أبيات سمح بها خاطره **ارتجالا**، وأنا قائم بين يديه، في شخص لا أعلمه في الحقيقة إلا هو.سهل التعطف في الصواب دراية ... بمآله متوقف في ضدهمتأيد في رأيه لسداده ... طلاع أنجده بواري زندهوالسيف يفري الهام من إفرنده ... لا ما يقال مضاؤه في حده." (٢)

"ويحسب أني مادح، وكأنني ... لصدق مديح الزينبي مسبحمكارمه أدنى من الغيث للغنى ... وغرته من رونق الصبح أوضحيعاف إباء فيه أدنى خسيفة ... ويغتفر الجرم الجليل ويصفحويهتز عطفاه لأحدوثة العلى ... كما مال للكأس النزيف المرنحإذا طاشت الأحلام يوما فحلمه ... من الأورق العادي ذي النيق

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى؟ العماد الأصبهاني ٨٣٩/٢

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق جـ ١؟ العماد الأصبهاني ص/١٩

أرجحوإن ضاق قلب بالصغيرة لامريء ... فقلب علي بالكبيرة أسمحوقوله **ارتجالا** في أول لقية الأمير دبيس بن صدقة:إني لأفكر في علاك فأنثني ... حيران لا أدري بماذا أمدحإن قلت: ليث كنت أقتل سطوة ... أو قلت: بحر ندى فكفك أسمحالدال وقوله في وصف الخال واللمى والعذار:وليس اللمى والخال زينة نظرة ... ولكنها قلب المتيم ذي الوجدنهبت سويداء الفؤاد بنظرة ... فقسمتها بين المقبل والخدوقوله من قصيدة في الوزير الزينبي:." (١)

"ما ظن ولا حسب، وأخذت منه خمس مئة دينار مصادرة، وكانت قصصه عن غصصه إلى العرض الأشرف واردة صادرة، حتى يئس وانحدر، وأقام بواسط يذم القاسط.وبدأني بالمكاتبة نظما ونثرا وعمل في شعرا، يبغي التعارف بيننا، فأجبت عن شعره بمثله، ثم حضر فحاورته، فكان غصن حواره حلو الجنى.ومما أنشاه وحبره ووشاه، كلمات منثورة، عكسها منظوم، وهي: (الأيام تنزع، ما فيها المرء يجمع. آثام مجموعها، دار الضر منفوعها. أصنام أربابها، حتى عز ثوابها. إجرام مكسوبها، لكن عم مسلوبها. إظلام صباحها، دنيا قل فلاحها، أغتام قوامها، لما نيل حطامها) .ومقلوبها نظما:حطامها نيل لما ... قوامها أغتامفلاحها قل دنيا ... صباحها إظلامسلوبها عم لكن ... مكسوبها إجرامثوابها عز حتى ... أربابها أصنامنفوعها الضر دار ... مجموعها آثاميجمع المرء فيها ... ما تنزع الأيامفعملت **ارتجالا** في فنها، وما يكاد ينظم إلا تكلفا، ويجد الخاطر فيه تعسفا، وهي أيضا تقرأ مقلوبا:." (٢)

"ترحلت عن بغداد أشكر فضله ... وإحسانه شكرا يزيد على الحدسأشكره شكرا يفوح ثناؤه ... فتلحظه يوفي على المسك والندتلاف عماد الدين إصلاح ما مضى ... ولاتك ممن لا يعيد ولا يبديفبيتك معروف وفعلك صالح ... وعرضك موفور عن الذم بالحمدفكتبت جوابها إليه **ارتجالا**، فأنفذته إليه:أعيذك يا ذا الفضل مما يشينه ... وذا المجد مما لا يليق بذي المجدتفردني بالعتب دون عصابة ... تفرد عني بالإجابة والردومن نائبات الدهر أني نائب ... وما لي يد في حل أمر ولا عقدإذا لم يكن يوما لدى البأس لي يد ... فلا حملت كفي لمكرمة زنديوإن لم أكن أقضي حقوق ذوي النهى ... فمن ذا الذي يقضي حقوقهم بعدي." (٣)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق ج ١؟ العماد الأصبهاني ص/٢٢٤

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق ج ٤ المجلد الثاني ٢؟ العماد الأصبهاني ص/٥٨٦

(٣) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق ج ٤ المجلد الثاني ٢؟ العماد الأصبهاني ص/٥٩١

"ومخرجه من بني هاشم ... كما الأنف يخرج منه النغفقال: وكان له زرع فقام يجمع السماد بنفسه فمر به الحسن بن سدي متقدم نهر عمران، فلامه على ذلك وعنفه، فأنشد **ارتجالا**: كساد الدر من لفظي كساني ... ثياب الذل من نسج المحيفوسوء الحظ أحوجني وفقري ... وحرماني إلى كنس الكنيف." (١)

"تبكي عليه حمائم ... ورق ترنح في قضيبلما سمعت بكاءها ... وحنينها عند المغيبعلق الغرام بأضلعي ... والداء يعلق بالطبيبوقال في وصف مصلوب. قال ابن بشرون وأظنه لغيره:وسنان لا قرة الظلماء توقظه ... ولا الهجيرة في البيداء تؤذيهأغفى فيا ليت شعري هل يلم به ... إذا دجا الليل طيف كان يأتيهخط السنان كتابا بين أضلعه ... فمال يقرأه سرا ويخفيهكأنه مصقع من فوق منبره ... يبدي الخشوع لرب كان باريهوله:إذا وجدت أوار الحب في كبدي ... أقبلت نحو سقاء القوم أبترده‍بني بردت ببرد الماء طاهره ... فمن لحر على الأحشاء يتقدالبيتان عليهما تشطيب بغير خط هما لبعض الصحابة:ابن الفخار المالقي الأندلسيالفقيه المشاور، هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن كامل المعروف بابن الفخار. أنشدني الشيخ الصالح أبو علي الحسن بن علي بن صالح الأندلسي وقد قدم البصرة في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وخمسمائة قال: أنشدني الفقيه المشاور هذا لنفسه، وذكر أنه عمله **ارتجالا** يخاطب شاعرا جاره في التوحيد وهو موشح العروض:رويدك أيها الرجل المعنى ... فإن الرفق أجمل باللبيبولا تجعل فرب فتى تأنى ... فأدرك غاية القرم النجيب." (٢)

"ماذا تقولين فيمن ... يريد منك نظيره؟فكتبت تحتها عجلة:إياي تعنى بهذا! ... عليك فاجلد عميرهثم ناولته الرقعة، فكتب تحتها عجلا:أريد هذا وأخشى ... على يدي منك غيرهفخجلت، وقالت: تعست وتعس من يغار عليك!وروى الجماز أنه دخل عليها قبل تعارفهمافأنشد:إن لي أيرا خبيثا ... عارم الرأس فلوتالو رأى الحر ببحر ... عاد للغلمة حوتاأو رآه فوق جو ... لنزى حتى يموتاأو رآه جوف بيت ... صار فيه عنكبوتافقالت **ارتجالا**:زوجوا هذا بألف ... وأظن الألف قوتاإنني أخشى عليه ... إن تمادى أن يموتابادروا ما حل بالمسكين خوفا أن يفوتاقبل أن ينعكس الحا ... ل فلا يأتي ويوتفعجب الحاضرون منهما؛ واستظرف كل منهما صاحبه، ودامت صحبتهما بعد ذلك.وروى المدائنيقال: اجتمع أبو نواس وإسماعيل بن نوبخت وأبو الشمقمق في بيت أذين – قال علي بن ظافر: هو عبد الله الجماز – فبينما هم عنده؛ إذ جاء أبو العتاهية يسأل عن ابن أذين – وكان بينه وبين أبي الشمقمق شر، فخبئوه من أبي العتاهية

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء العراق ج ٤ المجلد الثاني ٢؟ العماد الأصبهاني ص/٧٣٧

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس ج ٢؟ العماد الأصبهاني ص/٣٣٤

في بيت، ودخل أبو العتاهية، فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث، فظنه جارية، فقال لابن أذين: متى استطرفت هذه؟ فقال: قريبا يا أبا إسحاق، فقل فيها شيئا، فمد أبو العتاهية يده إلى الغلام، وقال:مددت كفي نحوكم سائلا ... ماذا تردون على السائل؟فصاح أبو الشمقمق من داخل البيت قائلا:يرد في كفك ذا فيشة ... تشفي جوى في استك من داخلفقام أبو العتاهية مغضبا، وهو يطلب الباب، ويقول: أبو الشمقمق والله! وضحك القوم." (١)

"الشنتريني – عرف بابن الأبرش – عن أبي الحسن بن بسام في كتاب الذخيرة؛ أن قائل القسيم الأول الأستاذ أبو الوليد ضابط، وأن عبد المجيد أجازه **ارتجالا**، وهو ابن ثلاث عشرة سنة.وبهذا الإسناد قال ابن بسامذكر أبو علي الحسين بن الغليظ المالقي، قال: قلت يوما للأديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على جرية ماء، أجز:شربنا على ماء كأن خريرهفقال مبادرا:بكاء محب بان عنه حبيبهفمن كان مشغوفا كئيبا بإلفه ... فإني مشغوف به وكئيبهوبه أيضاما ذكر ابن بسام في كتاب الذخيرة قالاجتمع ابن عبادة وعبد الله ابن القابلة السبتي بالمرية فنظر إلى غلام وسيم يسبح في البحر، وقد تعلق بسكان بعض المراكب، فقال: ابن عبادة: أجز:انظر إلى البدر الذي لاح لكفقال ابن القابلة:في وسط اللجة تحت الحلكقد جعل الماء سماء له ... وصير الفلك مكان الفلكقال علي بن ظافر: وكل ما أسنده إلى ابن بسام فبهذا الإسناد.ومنها إجازة قسيم بقسيم وأكثر من بيتأنبأني الشيخان تاج الدين أبو اليمن الكندي وجمال الدين بن الخراساني عن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر سماعا عليه، أخبرنا أبو بكر بن المرزوقي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز العسكري، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الصلت المحبر، حدثنا أبو الفرج الأصبهاني، أخبرني جعفر بن قدامة، حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: دخلت يوما على نبت جارية مخفرانة – وكانت حسنة الوجه والغناء – فقلت لها: قد قلت مصراعا فأجيزيه، فقالت لي: قل، فقلت:يا نبت حسنك يعشي بهجة القمرفقالت:قد كاد حسنك أن يبتزني بصريثم وقفت أفكر، فسبقتني، فقالت:وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت ... ريا الرياض عليه في دجى السحرفزاد فكري، فبادرتني، فقالت:فهل لنا منك حظ في مواصلة ... أو لا فإني راض منك بالنظرفقمت عنها خجلا، ثم عرضت بعد ذلك على المعتمد؛ فاشتراها بمشورة علي بن يحيى

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢٤

بثلاثين ألفا.وذكر أحمد بن الطيب، عن بعض الكتاب، أنها عرضت بعد ذلك على المعتمد فامتحنها في الغناء، فرضي بما ظهر منها، وكان أول ما غنته." (١)

"ثم قلت لرزين: أجز: فقال:في مضغ أعراضهم من خبزهم عوض ... بنو النفاق وآباء الملاعينقال ابن الأشعث: وكان هذا أقوى الأسباب في مهاجاته لأبي سعيد المخزومي.وروي لنا أن العباس بن الأحنفدخل على الذلفاء جارية ابن طرخان فقال لها: أجيزي:أهدى له أصحابه أترجة ... فبكى وأشفق من عيافة زاجرفقالت **ارتجالا**:خاف التلون في الوداد لأنها ... لونان باطنها خلاف الظاهرفجن استحسانا، وحلف لها – وكانت تعزه – إن ادعته ما دخل دارها. فتركته له فاستلحقه.وذكر ابن القمي في كتاب النباهة قالدخل أبو السمراء على نخاس، فسمع بكاء من داخل البيت وقائلة تقول:وكنا كزوج من قطا في مفازة ... لدى خفض عيش مونق معجب رغدأصابهما ريب الزمان فأفردا ... ولم نر شيئا قط أوحش من فردفقال للنخاس: أخرجها، فقال: إن صاحبها مات، وهي شعثة مغبرة.قال: فخرجت فقال لها: قولي في معنى هذا، قالت: أي معنى؟ قال: في مءنى هذين البيتين اللذين تمثلت بهما، فقالت:وكنا كغضى بانة وسط روضة ... نشم جنى الجنات في عيشة رغدفأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع ... فيا فردة باتت تحن إلى فرد!فكتب الأمير أبو السمراء عبد الله بن طاهر بخبرها، فكتب: إن أجازت هذا البيت فاشترها، وهو:بعيد وصل بديع صد ... جعلته في الهوى ملاذافقالت مسرعة:فعاتبوه فزاد شوقا ... فمات عشقا، فكان ماذا؟فاشتراها أبو السمراء، فماتت من الغد.وروى إبراهيم بن محمد اليزيدي، قالكنت عند المأمون يوما وبحضرته عريب، فقالت لي – على سبيل الولع والعبث – ياسعلوس – وكانت جواري المأمون يلقبنني بها عبثا – فقلت:فقل لعريب لا تكوني مسعلسه ... وكوني كتتريف وكوني كمؤنسهقال: فبدرني المأمون فارتجل:فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن ... هنالك شك أن ذا منك وسوسه." (٢)

"يا جعفر، إني ربما قلت البيت الواحد، فإذا جاوزته توقفت وقد قلت:تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فعزيت نفسي بالنبي محمدقال: فأجازه بعض من حضر المجلس، فقال:وقلنا لها إن المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غدقال الصولي: فظننا أن جعفر بن محمد بن عبد الواحد قائل البيت.قال مروان بن الجنوبدخلت على المتوكل، فرمى إلي برقعة فيها بيت شعر، وهو:أدرت الهوى حتى إذا صار كالرحى ... جعلت محل القلب في موضع القطبوتحت البيت: أجز يا مروان، فكتبت تحته:فلما جعلت

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٤٢

(٢) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٤٩

القلب تحت رحى الهوى ... ندمت وصار القلب في موضع صعبوذكر يزيد بن محمد المهلبي، قالكان ابن المعتز يشرب يوما في بستان مملوء بالنمام وشقائق النعمان، فدخل عليه يونس بن بغا، وعليه قباء أخضر، فقال ابن المعتز لما رآه **ارتجالا**:شبهت حمرة خده في ثوبه ... بشقائق النعمان في النمامثم قال: أجيزو، فبدر بنان المغني - وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت - فقال:والقد منه وقد بدا في قرطق ... بالغصن في لين وحسن قوامفطرب ابن المعتز، وقال له: إن فيه الآن، فصنع فيه لحنا.وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر في تاريخه قالحدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن المنجم، قال: صرت إلى أبي زيد عمر بن شبة، فقال لي: قد قلت بيتا تعذر على ثان له، فأحب أن تجيزه، فقلت: وما هو؟ قال:كبرت وغالتني خطوب تتابعت ... ومن يصحب الأيام لابد يهرمفقلت:ومن يصحب الأيام تنقص خطوبها ... قواه، ويجهل بعض ما كان يعلمفأعجب به، وحدث الناس بما بيننا، فكتبوه عنه.أنبأني الفقيه النبيهأبو الحسن بن المقدسي عن أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد السرقسطي، عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي، قال: حدثني أبو محمد علي بن أحمد، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الأعلى بن هاشم القاضي المعروف بابن الغليظ، أن صهيب بن منيع - قال." (١)

"ثم أكدى، فمر به النابغة الذبياني فقال له: أجز يا أبا أمامة، وأنشده فأكدى لنابغة، وأقبل كعب بن زهير، وإنه لغلام، فقال له أبوه: أجز يا بني، فقال: وما أجيز؟ فأنشده فقال:وتمنع جانبيها أن يزولافضمه زهير إليه وقال له: أنت ابني حقاومن ذلك، ما رواه إسحاق الموصليقال: ولد للفضل بن يحيى بن خالد مولود، فدخل عليه أبو النضير عمر بن عبد الملك ولم يكن علم الخبر، فلما مثل بين يديه ورأى الناس يهنئونه نثرا ونظما وقف وأنشد **ارتجالا**:ويفرح بالمولود من آل برمك ... بغاة الندى والسيف والرمح والنصلوتنبسط الآمال فيه لفضلهثم أرتج عليه، فلم يدر ما يقول، فقال الفضل يلقنه:ولا سيما إن كان من ولد الفضلفاستحسن الناس بديهته، وأمر لأبي النضير بصلة.أنبأني الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن علي بن الفضل المقدسيقال: أنبأني الفقيه أبو القاسم مخلوف بن علي القيرواني، عن أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد السرقسطي عن أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، قال: أخبرني أبو زكريا يحيى بن علي الأنصاري فيما أظن، وقد كتبت منه - قال: أخبرني عمر بن الصيرفي المقري، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله عن أبيه، أنه سمع أبا عمرو الكلبي قال: كنت جالسا عند أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، فأتاه

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٥١

من بعض إخوانه طبق فيه أنابيب من قصب السكر، وكتاب معه، فحول ابن عبد ربه الكتاب، وجاوبه بديهة وكتب في الجواب:بعثت يا سيدي حلو الأنابيب ... عذب المذاقة مخضر الجلابيبكأنما العسل الماذي شيب بهقال الكلبي: ثم توقف، فقال: يا كلبي، أجز هذا البيت فإني لا أجد له تماما، فقلت:لا بل يزيد على المازي في الطيبفقال: أحسنت يا كلبي، ثم أخذ القلم وأراد أن يكتبه على ما قلت، ثم كره الاستعارة فأطرق قليلا ثم قال:أو ريق محبوبة جادت لمحبوبقال الكلبي: فقمنا وقبلنا رأسه سرورا منا بقوله.وأخبرني القاضي السعيد ابن سناء الملكقال: صنعت:قد كان لي منديل كم ساذج ... ما جاز مسح يدي به في مذهبيفاعتضت عنه بخد من أحببته." (١)

"فنظر إلى الغلام وتبسم، فعلمت أن الشعر له، وكدت – والله – أن أطير طربا وفرحا لملاحة خلقه وجودة ضربه، وعذوبة منطقه، وتكامل حسنه. فاستدعيت كيزانا، فأحضر الغلام عدة قطع من البلور وجيد الجام المحكم فشربت سرورا بوجهه، وشرب بمثل ما شربت به. ثم قال: أنا – والله – يا سيدي أحب ترفيهك، ألا أقطعك عما أنت متوفر عليه، ولكن حيث عرف الاسم والنسب والصناعة واللقب، فلا بد أن تسم ليلتنا هذه بشيء يكون لها طرازا، ولذكرها علما. فجذبت الدواة وكتبت **ارتجالا**، وقد أخذ الشراب مني:وليلة أوسعتني ... لهوا وحسنا وأنسا ما زلت ألثم بدرا ... بها، وأشرب شمساإذ أطاع الدير سعدا ... لم يبق مذآب نحسافصار للروح مني ... روحا وللنفس نفسافطرب لقولي: ألثم بدرا وأشرب شمسا، وجذب غلامه فقبله، وقال: لم أجهل يا سيدي ما يجب لك من التوقير، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته، فبحياتي إلا فعلت مثل ذلك بغلامك، فاتبعت آثاره خوفا من احتشامه، ثم أخذ الأبيات وجعل يرددها، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها:ولم أكن لغريمي ... والله أبذل فلسالو ارتضى لي غريمي ... بدير مران حبسافقلت له: إذا – والله – ما كان أحد يؤدي حقا ولا باطلا.وداعبته في هذا المعنى بما حضرني، وعرفت في الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه، فقال لي: يا سيدي، قد خرج لك أكثر الحديث، فإن عذرت وإلا ذكرت لك القصة. فآثرت مراده في كتمان أمره. فقلت يا سيدي! كل ما لا يتعرف بك نكرة، وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار، ونابت الخبرة عن الاستخبار، وجعل يشرب وينتخب من غير إكراه ولا إبطاء، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه، وأكب على محادثة غلامه والفطنة تثنيه في الوقت بعد الوقت، فأظهرت السكر وحاولت النوم، وجاء الغلام ببرذعة ففرشها بإزاء برذعته، فنهضت إليها، فقام وتفقد أمري

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٦٤

بنفسه، فقلت له: إن لي مذهبا في تقريب غلامي مني، واعتمدت في ذلك تسهيل ما يختاره من غلامه في هذه الحال، فتبسم وقال لي بسكره: وجمع الله لك المسرة كما جمعه لي بك.." (١)

"غنى لنا يوما بعض القوالين هذين البيتين، وهما لأبي العلاء الأسدي من شعراء اليتيمة:لا لعمري ما أنصفوا حين بانوا ... حلفوا لي ألا يخونوا فخانواشتتوا بالفراق شمل اتصالي ... جمع الله شملهم أين كانواقال: فأجزتهما بقولي بديها:أنا ممن يدبن في الرجعة الآ ... ن تراهم بمذهب الصب دانواقال علي بن ظافروما هو من هذا الباب إلا أن الإجازة فيه لسد فرجة بين البيتين ما ذكره صاحب المقتبس من أن أبا الحسن زريابا المغني مولى المهدي المرواني غنى يوما بين يدي الأمير عبد الرحمن الداخل ملك الأندلس بهذين البيتين:قالت ظلوم سمية الظلم: ... مالي رأيتك ناحل الجسم!يا من رمى قلبي فأقصده ... أنت الخبير بموقع السهمفقال عبد الرحمن: هذان البيتان منقطعان، فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع، فقال عبد الحمن بن قزمان بديها:فأجبتها والدمع منحدر ... مثل الجمان هوى من النظمفاستحسنه وأمر له بجائزة.ومما يجري مجرى الطرفما أخبرني به الأديب أبو القاسم ابن نفطويه، أنه جلس أيام اشتغاله على الشيخ الأستاذ العلامة أبي محمد بن بري مع جماعة من تلامذته، فتذاكروا ما يعانيه الشيخ من بلادة بعض طلبته - وهو رجل كرهت ذكره مع فرط اعتنائه بتعليمه وشدة عنائه في تفهيمه - فأنشد أحدهم قول أبي العباس المبرد:أقسم بالمبتسم العذب ... ومشتكى الصب إلى الصبلو قرأ النحو على الرب ... ما زاده إلا عمى القلبقال: فقلت **ارتجالا**:قد عذب الله به شيخنا ... في هذه الدنيا بلا ذنبفضحك الجماعة واستطرفوا البيت.ومنه ما تكون الإجازة فيه بأكثر من بيت لأكثر من بيتفمن ذلك ما ذكره إسحاق الموصلي قال: أنشدني شداد بن عقبة لجميل:بثين سليني بعض مالي فإنه ... يبين عند المال كل بخيل." (٢)

"فقال:يفتح عينيه ثم يطبقهافقلت:فعل امرئ في جفونه رمدفقال:فابتزه الدهر نور واحدةفقلت:وهل نجا من صروفه أحد!فاستحسن ذلك، وأمر لي بجائزة سنية، وألزمني خدمته.وأخبرني رجل من التجار بمصر يعرف بأبي الفضل ابن فتوح المصريقال: سكنت بدار في الخطة المعروفة بدويرة خلف، فرأيت جميع جدران المنزل مكتوبة بأخبار بديعة، وأشعار مستحسنة السبك، ووجدت في جملتها: لما دخلت بجاية عند عبوري، اجتزت في بعض الأيام بصديق لي من المعلمين وهو في مكتبه، وصبيانه قد حفوا به، فأحضر صبيا منهم، وقال لي: اختبره فإنه يقول الشعر الجيد، فقلت له: أجز:وشادن ذي شططفقال:حجي له

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٧٥

(٢) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٨٩

ورباطيفقلت:موكل بضميريفقال:معلق بنياطيفعجبت من سرعة بديهته مع صغر سنه، ثم تمادى الأمر، فاشتهر بقول الشعر، فنمي إلى السلطان تميم بن المعز أنه هجاه، وأنه قال فيه:بلد مظلم وملك ظلوم ... وهما فيح حمة وتميمهو فيها كم الك والمقيمو ... ن بها المجرمون وهي الجحيمفاستحضره السلطان، واستخبره عما قال فيه، فأنكره وقال: إنما قلت:عرجا بي فذا مناخ كريم ... هذه حمنة وهذا تميمهذه الجنة التي وعد الل ... ه وهذا صراطه المستقيمفاستظرفه تميم واستلطفه وأكرمه ثم صرفه.قال المخبر بهذه الحكاية: ثم تقصيت عن المنزل، فقيا لي: إنه كان منزل أبي الصلت حين قدومه إلى مصر.قرأت في بعض المجاميع أن شاعرا من أهل تنس من بلاد إفريقيةقصد المعتمد على الله بن عباد؛ وهو بسبته أيام جوازه للقاء أمير المؤمنين ابن تاشفين للاستنجاد به، فوصف له، فحضر، فأنشده، فقال: هذا يصلح لمنادمتنا الليلة، وأمر بإمساكه، فسقى، وجرى في المجلس حديث فرس أدهم كان مشهورا بالأندلس، وعزيز المحل عند المعتمد.واتفق أن الرجل سكر ونام، فخرج منه ريح بصوت شديد؛ فقال المعتمد **ارتجالا:**فيا عجبا من ضعيف القوى ... تزلزلت الأرض من ضرطتهثم قال ر ندمائه: لا يشعره أحد بما جرى، واستيقظ الرجل فقال كالمعتذر من نومه: إن هذا النوم سلطان؛ فقال بعض الندماء الحاضرين: صدقت، قد سمعنا طبله؛ فجعل الرجل يقول: رأيت في منامي كأن السلطان أعزه الله قد حملني على فرس." (١)

"فقلت:رأى ذاك الجمال فهابه ... فحط خضوعا مثل ما خضع العبدفقلت: أحسنت، ولكن اسمع، وأنشدت:حبذا الخال كامنا منه بين الجيد والخد رقبة وحذراراام تقبيله اختلاسا ولكن ... خاف من سيف لحظه فتواريفقال: فضحتني، قطع الله لسانك، واشتد ضجره.وذكر الباخرزي في كتاب الدميةأنه اجتمع هو وأبو عاصم الفضل بن محمد الفضيلي الهري في مجلس الإمام عبد الله الأنصاري – قال: وكان غاية في الكلام على المنبر، فتعاطينا القول، فقال الفضيلي:عيون الناس لا تلقى ... من الناس كعبد اللهولا ينكر هذا غير من مال عن الملهفقال الباخرزي:مجلس الأستاذ عبد الله روض العارفيناألحق الفخر بنا بعد احتكام العارفينا!قال علي بن ظافروذكر الفتح بن خاقان، قال: ركب عبد الجليل بن وهبون المرسي وأبو الحسن الحكم بن محمد المعروف بغلام البكري زورقا بنهر إشبيلية في ليلة أظلم من قلب الكافر، وأشد سوادا من طرف الظافر، ومعهما غلام وضيء قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه، على غصن بان من قوامه، وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء، ومزقتا رداء الظلماء، وموهتا بذهب نورهما لجين الماء، فقال عبد الجليل **ارتجالا:** كأنما الشمعتان إذا سمتا ... خدا غلام مجانس الغيدوفي حشا النهر من شعاعهما ... طريق نار

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٩٨

الهوى إلى كبديفقال غلام البكري:أحبب بمنظر ليلة ليلاء ... تجنى بها اللذات فوق الماءفي زورق يزهى بغرة أغيد ... يختال مثل البانة الغناءقرنت يداه الشمعتين بوجهه ... كالبدر بين النسر والجوزاءوالتاج فوق الماء ضوء منهما ... كالبرق يخفق في أديم سماءوبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسامقال: دخل الأديبان أبو جعفر ابن هريرة التطيلي المعروف بالأعيمي، وأبو بكر بن بقي الحمام، فتعاطيا العمل فيه،." (١)

"وأطلس الخد من بالمسك صور في ... محمره حبة بالمسك مقتدرهيا حسنه أفعوانا لا يعض وإن ... أضحى على عضه لعاشقين شرهفلا تظننه رقشاء لاسعة ... تنساب من وجهها في روضة نضرهبل نفث ألحاظها بالسحر خيل ثعبانا على خدها يلهى الذي نظرهيا ليت شعري مع أني الكليم هوى ... لم أظهرت آيتي ألحاظها السحرة!قال: وقلت أيضا:وغادة رقمت في خدها صورا ... لتسلب الناس ألبابا وأذهاناهل عقرب الصدغ خافت فيك أعيننا ... فاستنجدت عقربا أخرى وثعبانا!أم العقارب والحيات قد ألفت ... من وجنتيها بحكم الطبع بستاناالباب الخامسفي بقية بدائع البدائهوفيه فصلانأحدهما ما كان من البدائه باقتراح مقترح كما تقدم في أول الباب الرابعوثانيهما ما ليس باقتراح مقترحالفصل الأولفيما كان باقتراح مقترحفمن ذلك ما روىأن جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة؛ وهو مرثد بن عمرو بن عامر بن ماء السماء، وهو آخر ملوك جفنة بالشام قال لحسان: حب هذا المدامة، قد استحوذ على فبغضها إلى، فصنع حسان ارتجالا:ولولا ثلاث هن في الكأس لم يكن ... لها ثمن من شارب حين يشربلما نزق مثل الجنون ومصرع ... دنى وأن العقل ينأى ويذهبفقال: حرمتني لذتها، فحببها إلي، فارتجل وقال:ولولا ثلاث هن في الكأس أصبحت ... من أكسد شي يستفاد ويجلبأمانيها والكأس يظهر طيبها ... على حزنها، والهم ينأى ويذهبفأمر له جبلة بجائزة وحلة من حلله.ومن ذلك ما روىأن الفرزدق دخل على عبد الملك في بعض وفاداته عليه، فامتدحه فحباه وأكرمه وأحسن جائزته، فلما خرج من عنده ركب راحلته، وأنشد:ما حملت ناقة من معشر رجلا ... مثلي إذا الريح ألقتني على الكورفأنهى ذلك إلى عبد الملك، فأرسل وراءه من رده، فلما دخل عليه قال: إيه يا فرزدق! أنت الذي تقول: ما حملت ناقة ... البيت.؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: لتخرجن منها." (٢)

"هذا! فقال: قل فيه شيئا وهو لك، فقال أبو الفرج في الحال:كم منة للظلام في عنقي ... بجمع شمل وضم معتنقوكم صباح للراح أسلمني ... من فلق ساطع إلى فلقفعاطنيها بكرا مشعشعة ... كأنها في

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/١٣٥

(٢) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/١٥٥

صفائها خلقيفي أزرق كالهواء يخرقه اللح ... ظ وإن كان غير منخرقكأن أجزاءه مركبة ... حسنا ولطفا من زرقة الحدقما زلت منه منادما لعبا ... مذ أسكرتها المدام لم تفقتختال قبل المزاج في أزرق ال ... فجر وبعد المزاج في شفقأدهشها سكرنا فإن يكن الصم ... ت حديثا فذاك عن فرقتغرق في أبحر المدام فيس ... تنقذها شر بنا من الغرقونحن باللهو بين مصطبح ... يمرح أمنا وبين مغتبقفلو ترى راحتي وصبغتها ... في لونها في معصفر شرقلخلت أن الهوا لاطفني ... بالشمس في قطعة من الأفقفاستحسنها سيف الدولة وأعطاه إياه.وذكر أن السرى الرفاء الموصليدخل على أبي الحسن باروخ بن عبد الله صاحب ناصر الدولة بن حمدان، وبين يديه ستارة تستر من يجلس برسم الغناء، فأمره أن يصنع ما يكتب عليها، فصنع بديها:تبين لي سبق الأمير إلى العلا ... وما زال سباقا إلى الفضل منعمافصيرني بين القيان إذا شدت ... وبين نداماه حجابا مكرمالأظهر من حسن الغناء محللا ... وأستر من حسن الوجوه محرماوذكر العميد الباخرزي في كتاب دمية القصر، أن أبا الحسن أحمد بن علي البستي أمره بهاء الدولة أن يعمل ما يكتب على تكة إبريسم، فقال **ارتجالا**:لم لا أتيه ومضجعي ... بين الروادف والخصوروإذا انسجمت فإنني ... بين الترائب والنحورولقد نشأت صغيرة ... بأكف ربات الخدورومن ذلك ما روى ابن بسام في كتاب الذخيرةورويته بالإسناد المتقدم." (١)

"من ليس يقعده عن سؤدد قدم ... ولا تقوم له في سوءة ساقوروى أيضاقال: دخل صاعد اللغوي على بعض أصحابه في مجلس شراب، فملأ الساقي قدحا من إبريق، فتكونت قطرة من الراح في فم الإبريق ووقفت ولم تبرح، فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك، فقال بديها:وقهوة من فم الإبريق صافية ... كدمع مفجوعة بالإلف معباركأن إبريقنا والراح في فمه ... طير تزقق ياقوتا بمنقاروقد أخذه من قول الشريف أبي البركات علي بن الحسن العلوي:كأن ريح الروض لما أتت ... فتت علينا مسك عطاركأنما إبريقنا طائر ... يحمل ياقوتا بمنقاروذكر ابن بسام أيضاأن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب بن أبي عامر المظفر بن المنصور بن أبي عامر بقرطبة، فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ظريفة الخلق، ولم تزل تسهر في خدمتهم إلى أن هم جند الليل بالانهزام، وأخذ في تقويض خيام الظلام، وكانت تسمى أسيماء، فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلها على صغر سنها، فسأله المظفر وصفها، فصنع **ارتجالا**:أفدي أسيماء من نديم ... ملازم للكئوس راتبقد عجبوا في السهاد منها ... وهي لعمري من العجائبكيف تجافى الرقاد عنها ... فقلت لاترقد الكواكبوذكر ابن بسام أيضاأنه كان يوما مع جماعة من الأدباء عند القاضي ابن ذكوان،

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/١٦٢

فجئ بباكورة باقلاء، فقال ابن ذكوان: لا ينفرد بها إلا من وصفها، فقال ابن شهيد: أنا لهما، وارتجل:إن لآليك أحدثت صلفا ... فاتخذت من زمرد صدفاتسكن ضراتها البحور وذي ... تسكن للحسن روضة أنفاهامت بلحف الجبال فاتخذت ... من سندس في جنانها لحفاشبهتها بالثغور في لطف ... حسبك هذا من زمر من لطفاحاز ابن ذكوان في مكارمه ... حدود كعب وما به وصفاقدم در الرياض منتخبا ... منه لأفراس مدحه علفاأكل ظريف وطعم ذي أدب ... والفول يهواه كل من ظرفا." (١)

"طول المدة وحصول الأمن لكانت عظيمة، فكيف بالبديهة في هذه الساعة التي يحول فيها الجريض دون القريض، وحسبك بحال لم يقدر عبيد بن الأبرص فيها على الروية. وكذلك على بن الجهم قال **ارتجالا** وقد صلب:لم يغصبوا بالشاذياخ عشيةال ... إثنين مسبوقا ولا مجهولانصبوا بحمد الله ملء عيونهم ... حسنا وملء قلوبهم تبجيلاما ضره أن بز عنه ثيابه ... فالسيف أهول ما يرى مسلولاوهذا من أحسن شعره وأبدعه.وروى عن خالد الكاتب أنهقال: دخلت الدير يوما فإذا أنا بشاب مغلول مربوط إلى سارية، فملت إليه وسلمت عليه، فقال: من تكون؟ قلت: خالد الكاتب، قال: صاحب المقطعات؟ قلت: نعم، قال: أنشدني، فأنشدته:ترشفت من شفتيه عقارا ... وقبلت من خده جلناراوعانت منه قضيبا رطيبا ... وردفا مهيلا وبدرا أناراوعاينت من حسنه في الظلام ... إذا ما تبدى نهارا جهارافأطرق ثم أنشد:رب ليل أمد من نفس العا ... شق طولا قطعته بانتخابونعيم ألذ من وصل معشو ... ق تبدلته بيوم عتابقال خالد: فوالله إني منذ ثلاثين سنة لا أحسن إجازتهما.وروى أبو الفرجأن شحنة بغداد كسر نبيذا كثيرا حتى ملأ الطريق، فمر به بكر بن خارجة، فلما رآه جلس يبكي فمر عليه بعض أصحابه، فسأله عن سبب بكائه، فقال بديها:يا لقومي لما جنى السلطان ... لم يكن للذي أهان هوانصبها في الطريق من حلب الكر ... م عقارا كأنها زعفرانصبها في مكان سوء لقد أد ... رك سعد السعود ذاك المكانقال الكرماني: أنشدتها الجاحظ فقال: إن من حق الفتوة والمروءة ألا أكتبها إلا قائما، فعمدته لأنه كان مفلوجا حتى كتبها.وذكر ابن العباس بن إبراهيم الصوليكان قد ولى بعض النواحي للمتوكل، فأخرج إليه أحمد بن المدبر جملة كبيرة، وجلسا للمناظرة بين يدي المتوكل، ولم يكن إبراهيم من رجال أحمد في كتابة الخراج، ولا واحد من رجاله في البلاغة والشعر؛ فكاد يفتضح، فوقعت." (٢)

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/١٦٥

(٢) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/١٩٠

"قضية للمتوكل أوجبت أن ارتجل إبراهيم:صد عني وصدق الأقوالا ... وأطاع الوشاة والعذالاأتراه يكون شهر صدود ... وعلى وجهه رأيت الهلالافطرب المتوكل، وأقره على عمله، وسوغه ما عليه.وذكر أبو الفرج في كتاب القيان والمغنينانه كان يعشق جارية لبعض الهاشميين يقال لها أمل، فدعا إخوانا له من أجلاء الكتاب، ودعاها ودعا قيانا غيرها، فحضروا وتأخرت، فتنغص عليه يومه من أجلها، ثم جاءت فسرى عنه، وطرب وشرب، وكتب **ارتجالا**:ألم تريا يومنا إذ نأت ... فلم تأت من بين أترابهاوقد غمرتنا دواعي السرور ... بإلهائها وبإطرابهاومدت علينا خيام النعيم ... وكان المني بعض أطنابهاونحن فتور إلى أن دنت ... وبدر الدجى بين أثوابهافلما نأت كيف كنا لها ... ولما دنت كيف صرنا بهاوقرئت عليها الأبيات، فقالت: ليس الأمر كذلك، قد كنتم قبلي في لذة، وإنما تجملتم بهذا لما حضرت، فقال:يامن حنيني إليه ... ومن فؤادي لديهومن إذا غاب من بي ... نهم أسفت عليهمن غاب غيرك منهم ... فإذنه في يديهفرضيت عنهم، وأتموا يومهم.وحكى أن علي بن الجهمقال: كنت بين يدي المتوكل، وقد أتاه رسول برأس إسحاق بن إسماعيل، فقال علي بن الجهم يخطر بين يدي الرسول، وهو يرتجز:أهلا وسهلا بك من رسول ... جئت بما يشفى من الغليلبرأس إسحاق بن إسماعيلفقال المتوكل: التقطوا هذا الجوهر لا يضيع.قال علي بن ظافر: إسحاق بن إسماعيل هذا مولى لبني أمية، خرج بتفليس في سنة سبع وثلاثين ومائتين، حين وثب أهل أرمينية بعاملهم من جهة المتوكل يوسف بن محمد بن يوسف. وتولى قتل إسحاق هذا بغا الكبير في سنة سبع وثلاثين؛ ولم يكن بين اغتباط المتوكل بعلى هذا الاغتباط وبين نفيه إلا نحو سنة، لأنه نفاه إلى خرسان في سنة ثمان وثلاثين.وذكر ابن أبي طاهر في أخبار بغدادعن محمد بن عبدوس الفارسي." (١)

"كنا في دعوة أبي علي الحسن بن مروان الكاتب، وحضر فيها الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي، وهو إذ ذاك يخلف أبا جعفر الصيمري على الأمر ببغداد، فغنت الرقية زوج أبي علي صوتا من وراء الستارة أحسنت فيه، فأخذ المهلبي الدواة، فكتب في الحال بديها وأنشدها لنفسه:ذات غني في الغناء من نغم ... تنفق في الصوت منه إسرافاكأنها فارس على فرس ... ينظر في الجرى منه أعطافاوروى أن نصر بن أحمد الخبز أرزي دخل على أبي الحسن ابن المثني في أثر حريق المربدفقال له: هل قلت في هذا شيئا؟ فقال: ما قلت، ولكن أنشدك **ارتجالا**.أتتكم شهود الهوى تشهد ... فما تستطيعون أن تجحدواجرى نفسي صعدا بينكم ... فأحرق من ذلك المربدوهاجت رياح حنيني لكم ... فظلت بها ناره توقدولولا أدمعي

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/١٩١

لم يكن ... حريقكم أبدا يخمدومثل هذا ما رويناه بالإسناد المتقدم عن ابن بسام في كتاب الذخيرةقال: ذكر سليمان بن محمد الصقلي، قال: كان بسوسة إفريقية رجل ظريف يهوى غلاما، فتجنى الغلام عليه، فبينما هو ذات ليلة يشرب منفردا، وقد غلب عليه السكر، خطر بباله أن يأخذ قبس نار فيحرق به داره، ففعل، ووضع النار في الباب فاحترق، فاتفق أن رآه بعض الجيران، فخرج أهل الدار فأطفئوا الحريق، ولما أصبحوا حملوه إلى القاضي، فسأله: لم فعل؟ فأنشأ يقول:لما تمادى على بعادي ... وأضرم النار في فؤاديولم أجد من هواه بدا ... ولا معينا على السهادحملت نفسي على وقوفي ... ببابه حملة الجوادفطار من بعض نار قلبي ... أقل من لمعة الزنادفأحرق الباب دون علمي ... ولم يكن ذاك في مراديفاستظرفه القاضي واستلطفه، وغرم عنه أرش ما أتلفه.أنبأني الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن علي المقدسيعن أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني، عن عبد الله محمد بن أبي عبد الله الحافظ الحميدي، قال أخبرني أحمد بن قاسم، جار لنا كان بالمغرب، أن عبد الملك بن إدريس الحريري." (١)

"وقلت متى أراك أبا حسين؟ ... فجاوبني: إذا اتسخت ثيابيفإن يكن التقذر فيه فخر ... فلم يكنى الوصي أبا تراب!وذكر الباخرزي في كتاب دمية القصرقال: حدثني أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ببغداد، قال: أنشدت أبا القاسم الصوري بيتين، كان أبوعبد الله عمر بن يحيى ادعاهما لنفسه في مجلس المهلبي الوزير، فأنكر أبو الفرج الأصبهاني ذلك، وأخرجهما في أناشيد ثعلب وهما:أقول لها إذ بت في أسر قومها ... وجامعتي عن منكبي تضيقلما سرني أن بت عني بعيدة ... وأني من هذا الإسار طليقثم قلت له: أهما أحسن أم بيتان عملتهما في المعنى، وهما:أقول لها والحي قد نذروا بنا ... ومالي متأثر المنون براحلما ساءني أن وشحتني سيوفهم ... وأنك لي دون الوشاح وشاحفأمسك ساعة ولم يجب، ثم عمل في الحال وأنشدنيه:ألا مرحبا بالأسر يا أم مالك ... وجامعتي والقد منه قرينيإذا كنت في كسر الخباء قريبة ... تحسين مني لوعتي وأنينيوعمل أيضا في الحال وأنشدنيه:أقول وقد هز القنالي قوامها ... ومالي من بين الأسنة مذهبألا ليت نحري للأسنة ملعب ... وكفي في بحر ابنة القوم يلعبقال وحدثني أبو إسحاق النجيرميعند كافور الإخشيدي، فدخل عليه أبو الفضل بن عياش فقال: أدام الله أيام مولانا، وكسر الميم فتبسم كافور إلى أبي إسحاق، ففطن لذلك، فقال ارتجالا:لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا ... وغص من دهش بالريق والبهرفمثل سيدنا حالت مهابته ... بين الأديب وبين القول بالحصروإن يكن خفض الأيام من دهش ... في موضع النصب لا من قلة البصرفقد تفاءلت من هذا لسيدنا ... والفأل مأثوره عن سيد

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/١٩٦

البشربأن أيامه خفض بلا نصب ... وأن دولته صفو بلا كدرفأمر له بثلمائة دينار وللنجيرمي بمائتين.وذكر صاحب اليتيمةوقد ذكرنا الإسناد إليه فيما سبق من الكتاب – أنه قدم." (١)

"إلى عضد الدولة فنا خسرو جام بهطة بيضاء عليها لوز منصف، وكان ينادمه رجل من أهل الأدب، قلما يحضر شيء على المائدة إلا قال فيه شعرا له أو لغيره، فاستدعى منه عضد الدولة أن يصفها فأرتج عليه، فارتجل عضد الدولة:بهطة تعجز عن وصفها ... يا مدعي الأوصاف بالزوركأنها في الجام غذ زينت ... لآلي في ماء كافوروشرب السري الموصلي يوما مع جماعة من أصحابهبالقفص في حانة لبعض الخمارين، فأقاموا نهارهم يديرون من الكئوس شعلا يلهبها الماء ويزول برشفها الظماء، وبين أيديهم أسد قد نظم من الورد، فقال السري بديها:رب أيام على القفص لنا ... لانرى مثلها طول الأبدغيضة ريحاننا الغض بها ... أسد من غابة الورد وردما رأى الناس ندامي قبلنا ... شربوا الراح على وجه الأسدقال علي بن ظافر: ذكرت بهذا قول ابن الخياط الدمشقي بديها في مثله:لنا أسد ورد سبانا به الهوى ... وما كان يهوى قبله الأسد الورد له وردة حمراء في فيه غضة ... يرى عاديا منها وإن كان لايعدوكليث قريب بالفريسة عهده ... فباقي دم المفروس في فمه يبدووحكى أبو الفضل الهمذانيقال: قال الصاحب يوما لجلسائه وأنا فيهم، وقد جرى ذكر أبي فراس: لايقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعرا، فقلت: ومن يقدر أن يزور عليه وهو الذي يقول – وارتجلت:رويدك لا تصل يدها بباعك ... ولا تعن السباع على رباعكولا تعن العدو على إني ... يمين إن قطعت، فمن ذراعكفقال الصاحب: صدقت، فقلت: أيد الله مولانا، قد فعلت.وروى ابن الصابي في كتاب الوزراءقال: كان في مجلس الصاحب متكلم يعرف بابن الحضيري، فغلبه النوم يوما في المجلس، فكانت منه فلتة، فقام خجلا، فقال فيه الصاحب **ارتجالا**:يا ابن الحضيري لا تذهب على خجل ... من ضرطة أشبهت نايا على عودفإنها الريح لا تسطيع تحبسها ... إذ أنت لست سليمان بن داودوأنبأني ذو النسبتين الحافظ أبو الخطاب بن دحيةعن الأستاذ المفيد أبي." (٢)

"وبهذا الإسناد قال الحميديوذكر أبو بكر المرواني أنه شاهد محبوبا الأديب الشاعر النحوي قال بديهة في وصف ناعورة.وذات حنين ما تغيض جفونها ... من اللجج الخضر الصوافي على شطوتبكي فتحي من دموع عيونها ... لآلي رياض بالأزهر في بسطفمن أحمر قان وأصفر فاقع ... وأزهر مبيض وأدكن مشمطكأن ظروف الماء من فوق متنها ... لآلي جمان قد نظمن على قرطأنبأني ذو النسبتين الحافظأن

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/١٩٨

(٢) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/١٩٩

دحية، عن الأستاذ المفيد أبي بكر محمد بن خبر بقراءته عليه، عن الفقيه الحافظ أبي القاسم خلف الشنتريني عرف بابن الأبرش – بقراءته على أبي الحسن على بن بسام، قال: أمر الحاجب المنذر بن يحيى النجيبي صاحب سرقسطة بعرض الجند في بعض الأيام، وأميرهم مملوك له رومي يقال له خيار في نهاية الجمال، فجعل ينفخ في القرن ليجتمع أصحابه على عادتهم في ذلك، فقال ابن هند الداني فيه **ارتجالا**:أعن بابل أجفان عينيك تنفث ... ومن قوم موسى أنت للعهد تنكثأفي الحق أن تحكى إسرافيل نافخا ... وأمكث في رمس الصدود وألبثعساك خيار الناس تأتي بآية ... فتنفخ في ميت الغرام فيبعثقال وكان بقرطبة غلام وسيم فمر عليه ابن فرج الجياني ومعه صاحب لهفقال صاحبه: إنه لصبيح لولا صفرة فيه، فقال ابن فرج **ارتجالا**:قالوا به صفرة عابت محاسنه ... فقلت: ما ذاك من عيب به نزلاعيناه تطلب في آثار من قتلت ... فلست تلقاه إلا خائفا وجلاقال وكان يوما مع لمة من أهل الأدب في مجلس أنسفاحتاج رب المنزل إلى دينار، فوجه من يأتيه به من السوق، فدخل غلام من الصيارف في نهاية الجمال، فرمى بالدينار إليهم من فيه مماجنا، فقال ابن فرج بديها:أبصرت دينارا بكف مهفهف ... يزهى به من كثرة الإعجابأومى به من فيه ثم رمى به ... فكأنه بدر رمى بشهابوذكر الفرج بن إبراهيم الكاتب في سريرة الألباب وذخيرة الكتابقال: دخلت يوما ديوان الإنشاء بمصر، ومتوليه ولي الدولة ابن خيران، فلم أجده في الديوان، إلا أني وجدت الكتاب على رسمهم، والناس على جارى عاداتهم،." (١)

"وخرفانها للأكل فيها كراهة ... فما لحصيف الرأي فيهن مأكلوما يجتني معناه إلا مبرز ... عليم بأسرار القلوب محصلفأجابني وأملي على الرسول في الحال **ارتجالا**:جوابان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مضللفمن ظنه كرما فليس بكاذب ... ومن ظنه بخلا فليس يجهللحومهما الأعناب والرطب الذي ... هو الحل والدار الرحيق المسلسلولكن ثمار النخل وهي غضيضة ... تعاف وغصن الكرم يجنى ويؤكليكلفنا القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدرا بل أعز وأطولولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ... جديرا ولكن من يجيبك يقبلفأجبته ثانيا بقولي:أثار ضميري من يعز نظيره ... من الناس طرا بل أعز وأفضلتساوي له سر المعاني وجهرها ... وسائرها باد لديه مفصلومن قلبه كل العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار تشعلولما أثار الحب قاد صنيعه ... أسيرا بأنواع البيان يكبلوقربة من كل فهم بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفلوأعجب منه نظمه الدر مسرعا ... ومرتجلا من غير ما يتمهلفيخرج من بحر ويسمو مكانه ... جلالا إلى حيث الكواكب تنزلفهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنه والعمر منها مطولفأجابني مرتجلا

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢٠٣

وأملاه في الحال:ألا أيها القاضي الذي بدهائه ... سيوف على أهل الضلال تسللفؤادك معمور من العلم آهل ... وجدك في كل المسائل مقبلفإن كنت بين الناس غير ممول ... فأنت من الفهم المصون ممولإذا أنت خاصمت الخصوم مجادلا ... فأنت وهم مثل الحمائم أجدلكأنك علم الشافعي مخاطبا ... ومن قلبه تملي فما تتمهلوكيف يرى علم ابن إدريس دارسا ... وأنت بإيضاح الهدى متكفلتفضلت حتى ضاق ذرعي تكرما ... فقلت وكفى عن جوابك أجمللأنك في كنه الثريا فصاحة ... وأعلى، ومن يبغى مكانك أسفل." (١)

"ما ضر أن قيل إسحاق وموصله ... ها أنت، وذي حمص وإسحاقأنت الرشيد فدع من قد سمعت به ... وإن تشابه أخلاق وأعراقلله درك داركها مشعشة ... واحفر فساقك ما قامت به ساققال وساير ابن عمار في بعض أسفارهوكان معه غلامان من بني جهور أحدهما أشقر العذار، والآخر أخضره، فجعل يميل بحديثه إلى المخضر العذار، فقال **ارتجالا**:تعلقته جهوري النجار ... وحلو اللمي جوهري الثنايامن النفر البيض جرد الزمان ... رقاق الحواشي كرام السجاياولا غرو أن تغرب الشارقات ... وتبقى محاسنها بالعشاياولا وصل إلا جمان الحديث ... تساقطه من ظهور المطاياشنئت المثلث للزعفران ... وملت إلى خضرة في التفاياقال علي بن ظافر: ومعنى هذا البيت أنه أبغض المثلث، لدخول لزعفران فيه، لشبهه بعذار الأشقر منهما، وأحب خضرة التفايا، وهي لون من طعام يعمل بالكزبرة، لشبهها بعذار الأخضر منهما.قال علي بن ظافروذكر صاحب قلائد العقبان ما معناه أن ابن عمار تنزه بالدمشق بقرطبة، وهو قصر شيده خلفاء بني أمية وزخرفوه، ودفعوا صرف الدهر عنه وصرفوه، وأجروه على إرادتهم وصرفوه، وذهبوا سقفه وفضضوها، ورخموا أرضه وروضوها، فبات به والسعد يلحظه بطرفه، والروض يحييه بعرفه، فلما استنفد كافور الصبح مسك الغسق، ورصع أبنوس الظلام نضار الشفق، قال مرتجلا:كل قصر غير الدمشق يذم ... فيه طاب الحيا وفاح المشممنظر رائق وماء نمير ... وثرى عاطر وقصر أشمبت فيه والفجر والليل عندي ... عنبر أشهب ومسك أحموقال علي بن ظافروأخبرني الفقيه أبو العرب إسماعيل ابن معوشة الكناني السبتي، قال: أخبرني شيخ من أهل إشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد، وكان عليه من آثار كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق، وينطق بأن قوله الحق. قال: كنت في صباي حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحني عين أحد إلا ملكت قلبه، وخلست خلبه، وسلبت لبه، وأطلت كربه، فبينا أنا واقف على." (٢)

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢٠٥

(٢) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢١٠

"ومشعلين من الأضواء قد قرنا ... بالماء والماء بالدولاب منزوفلاحا لعيني كالنجمين، بينهما ... خط المجرة ممدود ومعطوفوقال أيضا:كأنما النار فوق الشمعتين سنا ... والماء من نافذ الأنبوب منسكبغمامة تحت جنح الليل هامعة ... في جانبيها حفاف البرق يضطربوقال أيضا:وأنبوب ماء بين نارين ضمنا ... هوى لكئوس الراح تحت الغياهبكأن اندفاع الماء بالماء حية ... يحركها في الماء لمع الحباحبوقال أيضا:كأن سراجي شربهم في التظائها ... وأنبوب ماء الفيل في سيلانهكريم تولى كبره من كليهما ... لئيمان في إنفاقه يعذلانهقال علي بن ظافرخرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما إلى بعض منزهاته فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج، وتنفست من مسكها الأريج، وماست معاطف أغصانها، وتكللت بلآلئ الطل أجياد قضبانها، فتشوق إلى الوزير أبي طالب بن غانم أحد وزراء دولته، وسيوف صولته، يكتب إليه بديها في وريقة كرنب بعود من شجرة:أقبل أبا طالب إلينا ... واسقط سقوط الندى علينافنحن عقد بغير وسطى ... ما لم تكن حاضرا لديناوجلس يوما وبين يديه ساقيةقد أخمدت ببردها حر الأوار، والتوى ماؤها التواء السوار، فقال **ارتجالا**:انظر إلى الماء كيف انحط في صببه ... كأنه أرقش قد جد في هربهوقال علي بن ظافروذكر الفتح ما معناه، قال: خرج الوزراء بنو القبطرنة إلى المنية المسماة بالبديع، وهو روض قد اخضرت مسارح نباته، واخضلت مساري هباته، ودمعت بماء الطل عيون أزهاره، وذاب على زبرجده بلور أنهاره، وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة، وأضحت مقل الحوادث عنه مطرقة، فخيول النسيم تركض في ميادينه فلا تكبو، ونصول السواقي تصول لحسم أدواء الشجر فلا تنبو، والزروع قد ثقبت وجه الثرى، وحجبت الأرض عن العيون." (١)

"فقلت: – وقد أعجبت بها جدا، وأثنى عليها كثيرا: أحسن ما في القطمة سياقة الأعداد والاستنزال، لكنه قد استرسل فلم يقابل بين أطراف البيت الأخير، والبيت الذي قبله، فينزل بإزاء كل واحد مناه ما يلائمه، وهل يحسن أن ينزل بإزاء قوله: وإذا نطق قوله شغل الحدق، وكأنه نازعني القول في أن هذا غاية الجهل، فقلت بديها:ومهفهف طاوي الحشى ... خنث المعاطف والنظرملأ العيون بصورة ... تليت محاسنها سورفإذا رنا وإذا مشى ... وإذا شدا وإذا سفرفضح الغزالة والنعا ... مة والحمامة والقمرفجن بها.قال علي بن ظافر: والقطعة الأولى ليست لابن رشيق، هي لأبي الحسين بن علي بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة.وبالإسناد المتقدم ذكر ابن بسامأن أبا عبد الله بن أبي الخصال وقف ببعض القضاة، واستأذن عليه فحجبه، فكتب إليه بديها:جئناك للحاجة الممطول صاحبها ... وأنت تنعم، والإخوان في بوسوقد

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢١٣

وقفنا طويلا عند بابكم ... ثم افترقنا على رأي ابن عبدوسأشار بهذا القول إلى قول الوزير أبي عامر بن عبدوس:لنا قاض له خلق ... أقل ذميمه النزقإذا جئناه يحجبنا ... فنلعنة ونفترققال ابن بسامكان أبو عبد الله بن عائشة البلنسي مع ابن خفاجة في جماعة مع أهل الأدب، تحت دوحة خوخ منورة، فهبت ريح أسقطت عليهم بعض زهر، فقال ابن عائشة **ارتجالا**:ودوحة قد علت سماء ... تطلع أزهارها نجوماهفا نسيم الصبا عليها ... فخلتها أرسلت رجوماكأنما الجو غار لما ... بدت فأغرى بها النسيماوأخبرني أبو عبد الله محمد القرموني المقدم ذكره يدمشققال: كان بين السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية شيء لمدح مدحه به فلم يجزه عليه، فصنع ذلك الممدوح دعوة للمعتصم بالله أبي يحيى بن صمادح، واحتفل فيها بما يحتفل مثله في دعوة السلطان مثل المعتصم، فصبر السميسر إلى أن ركب." (١)

"أنبأني الشيخانتاج الدين بن اليمن الكنديوقاضي القضاة جمال الدين أبو القاسم بن الحرستاني إجازة، عن الحافظ أبي القاسم ابن عساكر، قال: وقد ذكر إبراهيم بن سعيد الإسكندري المعروف بالسديد، وذكره لنا أبو عبد الله بن المحلي فيمن لقيه من أهل الأدب قال: كان صاعد قد عمل شخص حديد ينفخ النار ساعات، فأراد السديد اختباره كما يجب، فأطفأ النار، فقال صاعد بديها:نار تيممها السديد فردها ... بردا وكانت قبل وهي جحيمفكأنما المفتاح آية ربه ... وكأن إبراهيم إبراهيموأنبأني جميعا عن الشيخ الحافظ أبي القاسمقال: أنشدنا أبو بكر عبد الله بن منصور، قال: أنشدنا أبو الحسن محمد بن علي بن الصفراء الواسطي لنفسه **ارتجالا**، وقد دخل عزاء لصبي، وهو في عصر المائة، وبه ارتعاش، فتغامز عليه الحاضرون فقال:إذا دخل الشيخ بين الشباب ... عزاء وقد مات طفل صغيررأيت اعتراضا على الله إذ ... توفى الصغير وعاش الكبيرفقل لابن شهر وقل لابن ألف ... وما بين ذلك: هذا المصيروبهذا الإسناد قال الجاحظأخبرني أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد بن أحمد الغساني قال: سمعت أبي ينشد لنفسه يديها في صفة نهر ثوراء بحضرة أبي عبد الله محمد بن الخياط الشاعر:دمشق دار رعاها الله من بلد ... ونهر ثورا سقاه الله من وادكأنه ونسيم الريح خمشه ... نقش البارد في سلسساله الهاديمزجت بالراح منه الراح فاكتسبت ... لونا وطعما غريبا غير معتادفي روضة من رياض الخلد باكرها ... صوب الغمام بإبراق وإرعادظللت فيها رخى البال مع رشاء ... مهفهف كقضيب البان ميادقالا وأخبرنا الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقيقال: أنشدني أبو البركات الخضر بن هبة الله بن أبي الهمام لنفسه، وكتب لي بخطه مما أنشده، وقد حضر بين يدي أمير المؤمنين الراشد بالله بن المسترشد على البديهة:ولما شأوت الحاسدين

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢١٦

إلى مدى ... رفيع يزل العصم دون مرامهورفعت الأستارلي دون ماجد ... شفا غلتي من بشره وسلامه." (١)

"قال: فلما أذن له قال له: إذا كنت غنيا عن مالنا فانكف عنا، فقال: كلا، أنت شافعي المذهب، وقد جئتك لمذهبك لا لذهبك.وأنبأني العماد أيضاقال: ذكر عمارة في كتابه في أشعار أهل اليمن قال: وهب الداعي محمد بن سبالا بن سلمان – رجل من قومه – ألف دينار، والقاضي يحيى بن أحمد بن يحيى حاضر – وبنو يحيى بيت كبير بصنعاء – فارتجل القاضي لوقته:لا فخر إلا إذا أقبلت مستلما ... كف المكين ظهير الدين مولاناهي لتي تهب الآلاف وافية ... إن كنت غرا فسل عنها ابن سلمانافقال الداعي: أنا أبو عبد الله، أما ابن سلمان فهو ابن عمتي، وإنما المسئول عنها أنت. ثم أمر له بألف دينار، فقبضها في الحال.وذكر عبد الرحمن بن نصر الدمشقي في كتابه المسمى بالتحفة والطرفةأن الوزير المزدقاني خرج للتنزه، فرأى امرأة في بعض القصور فأعجبته، فوقف متأملا لها، فأشارت إليه، وآنس منها قبولا، فأرسل إليها رسولا يعلمها بشدة شوقه ووجده بها، فردت رسوله ومعه تفاحة عنبر، فيها زر من ذهب ولم تكلمه بشيء، فلم يفطن هو ومن حضره لتأويل ذلك، فقال له ابنه أحمدك قد فهمت ما أرادت، ونظمه في الحال في بيتين وأنشد:أهدت لك العنبر في جوفه ... زر من التبر خفى اللحامفالزر في العنبر معناهما: ... زر هكذا، مختفيا في الظلاموأنبأني الفقيه أبو الحسن بن المفضل المقدسيقال: أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي الأنصاري قال: عمل والدي محملا للكتب من قضبان شبه سلما، فدخل عليه أبو عبد الله محمد بن مفيد فرآه، فقال **ارتجالا** مخبرا عن لسان حال السلم:أيها السيد الذكي الجنان ... لا تقسني بسلم البنيانفضل شكلي على السلالم أني ... محمل للعلوم والقرآنحزت من حلية المحبين ضعفي ... واصفراري ورقة الأبدانفادع للصانع المفيد بفوز ... ثم وال الدعاء للإخوانثم عمل أيضا:أيها السيد الكريم المساعي ... التقت صنعتي وحسن ابتداعيأنا للكتب محمل خف حملي ... أنا في الشكل سلم الإطلاع." (٢)

"وأنبأني الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكيقال: أنشدني تاج الدين المسعودي أبو سعيد عبد الرحمن قال: أنشدني ظهير الدين أبو النجيب الحسن بن شهراسوب القاضي أبو بكر الأرجاني، وقد دخل عليه من طمع في طيلسانه، فقال **ارتجالا**:حسبك مني يا فتى خلعة ... أمسك عن نشر مساويكافي

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢١٩

(٢) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢٢٢

طيلساني لا تكن طامعا ... طي لساني عنك يكفيكاوقد أخبرني العماد أبو حامد، أنه سمع جميع شعر القاضي أبي بكر على ابنه عنه، وطلب مني قراءته عليه، فلم أتفرغ له، وأجازنيه في جملة ما أجازني روايته عنه.وأخبرني القاضي الوجيه الحسين أبي منصور بن حران الواسطيقال: كنت مع خالي نجم الدين بن أبي الغنائم بن المعلم الهرني على طعام، فأنهى إليه أن ظهير الدين محمود بن محمد بن بردامسيا ضامن بلاد واسط، قد طرح على قرى كانت في ملكه عدة أكرار أرز، فناولني درجا، ثم قال لي: اكتب، فكتب:إيه ظهير الدين إنك في ندى ... ووغى كغيث جدا وليث عرينوإذا امرؤ ضاقت عليه أموره ... وكأنه في حلقة التسعينودعا بك انفرجت سجون صعابها ... عنه بأبلج شامخ العرنينثم أتبعها رسالة أملاها لي إليه وأرسلها.وأنبأنا العماد الأصفهاني إجازةقال: اجتمعت أنا والمرتضى ابن أبي المؤيد الجعفري الأصفهاني، فجرى بيننا في المحاورة ذكر رجل يقال له ابن عمرو، وكان ينسب إلى كبر، فنظم الجعفري بديهة يخاطب جمال الدين ابن الخجندي فقال:أيها الصدر كم تشيع فينا ... من تخيرته بما ليس فيهوإذا ما عددت أبناء فضل ... فابن عمرو كمثل واو أبيهوأنبأني أيضاقال: أخبرني أكرم الدين أبو سهيل خازن دار الكتب بالنظامية قال: دخل علي عزيز بن محمد الشلمكي دار الكتب وبيده عصا، فقلت: إن العصا للشيخ رجل ثالثة، فقال بديها:ضعف جسمي لمشيبي ... لم يضع مني وقاراصار حالي عبرة العا ... قل إن رام اعتباراالعصا صارت حماري ... ولها صرت حمارا." (١)

"كالبدر خلف غمامه، قال: فصنع بديها:سلمت من فتنة العيون ... فارحم فتى هام بالفتونقلبي بلي، من بلى بظني ... يختلس الليث في العرين!مذ عقد القاف حل مني ... عقدة عزمي وعقد دينييقول والقلب في هواه ... بلا مجير ولا معينإن كنت فردا بحسن وجه ... وكنت من ذا على يقينفاخلع ثيابي وانظر تشاهد ... عساكر الحسن في الكمينوأنبأني العماد أبو حامدقال: أنشدني أبو السعادات علي بن بختيار لنفسه في البرغوث والبق، وقد اقترح عليه بحضرة جماعة من الفضلاء، فقال بديها:ولما انتحى البرغوث والبق مضجعي ... ولم يك من أيديهما لي مخلصصفقت بكفي إذ مدامتها دمي ... فزمر هذا وابتدا ذاك يرقصقال العماد: وقد كنت عملت أبياتا **ارتجالا** لأصف بها ليلة بتها بنهر دقلا، فقلت:يالحا الله ليلة قرصتني ... في دياجيرها البراغيث قرصاشربت بقها دمي فتغنت ... وبراغيثها تواجدن رقصاقد تعريت من ثيابي لقرصي ... غير أني لبست منهن قمصاكلما زدت منعهن بحرص ... عن فراشي شربن فازددن حرصامن براغيث خلتها طافرات ... طائرات جناحها قد قصاعرضت جيشها الفريقان حولي ... وهي أوفى

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢٢٣

من أن تعد وتحصلو غزا سنجر بها الغز يوما ... لم يدع منهم على الأرض شخصاومثل هذا ما أنشدنيه الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب بن دحية الحصري:ضاقت بلنسية بي ... وذاد عني غموضيرقص البراغيث فيها ... على غناء البعوضومما أنشدنيه أيضا للسميسير:بعوض شربن دمي قهوة ... وغنيني بضروب الأغانكأن عروقي أوتارهن ... وجسمي الرباب وهن القنانوأحسن من هذا كله قول ابن رشيق القيرواني:لك مجلس كملت بشارة لهونا ... فيه ولكن تحت ذاك حديث." (١)

"وعلى جماعة كانوا على بابه من الشعراء أن يعمل في سرج ما يكتب عليه، فصنعوا وصنعت بديها:فقت السروج فمسكي المسك رائحة ... بغير شك كما عودي هو العودتحتي البراق متى رمت اللحاق ومن ... فوقي خليفة هذا العصر محمودقال: فاستحسنه وأجازني.وأخبرني موفق الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله البغدادي بحرانقال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن جمل صاحب الجرمي لنفسه **ارتجالا**:وعروس خدر حين نبرزها ... تسطو كأن فؤادها لهبخلع المزاج على معاطفها ... ثوبا كأن شعاعه الذهبوأراد يجلوها فصاغ لها ... تاجا ورصع تاجها الحببوأخبرني موفق الدين أبو الحسن علي بن محمد البغدادي الساكن برأس العينقال: كنت في خدمة السلطان الملك الأشرف - أبقاه الله - بدمشق، فدخل عليه الرشيد عبد الرحمن النابلسي الشاعر الملقب مدلويه، وعلى عينه خرقة، فجرت بيني وبينه معاتبة، فقلت بديها:إن أظلمت عين مدلويه فمن ... كثرة نقص العهود والذمميقسم ألا يخون صاحبه ... وهو يصر الفجور في القسملو خلق الشعر قيل مسترق ... واللص يمنى بكثرة التهمأو شرب المسكرين في حلب ... كرسمه بعض ليله لعميولو يكون المجير بعد بها ... حيا لرمى بالعمى وبالصممقال علي بن ظافر: المسكران المشار إليهما. النبيذ والصفع، والمجير رجل من ندماء الملك الظاهر، كان كثير العبث بالمذكور في مجلس الملك الظاهر، وهو الذي عناه الأديب شرف الدين الحلي صاحبنا ببيتين من قوله، وكتب بهما إلى الرشيد المذكور إلى دمشق؛ أنشد فيهما الموفق عنه، وهما قوله:قدم العزم يا رشيد وبادر ... فلقد آن من نواك الحضورما تبقى على قذالك نطع ... تاب سلطاننا ومات المجيروأخبرني الشهاب ابن أخت نجم الدين بن المجاور المقدم ذكرهقال: حضر ابن عنين الشاعر الدمشقي وابن الرومي البسام عند خالي، فتذاكرت معه في تشبيه." (٢)

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢٢٦

(٢) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢٣٢

"قلنا صدقت فما الذي ... أطفاك حتى صرت فحماوأرسل إلى اليمن ولقب علم المهتدين، فقال فيه بعض الشعراء من قطعة يخاطب الخليفة:بعثت لنا علم المهتدين ... ولكنه علم أسوديعني أن الأعلام السود إنما تكون للعباسيين، وأعلام تلك الدولة بيض. وتولى مطابخ الخليفة، فقال فيه بعض الشعراء يخاطب الخليفة:تولى على الشيء أشكاله ... فتحسب هذا لهذا أخاتولى على المطبخ ابن الزبير ... تولى على مطبخ مطبخاوكان ينافر في سوق الشعر ويسرق المعاني، فقال فيه ابن فادوس:سلخت أشعار الورى جملة ... حتى دعوك الأسود السالخافأخذ الأسعد الخطير يستحسن هذه القطعة، فقلت له: كما تقول، إلا أنه لحن في قوله: الأسود سالخ، وسام أبرص، فاللحن يقيم الوزن، والصواب يكسره، فهو بين خطتي خسف. فأخذ في المشاغبة إلى أن قال: من أين نقلت هذا؟ فقلت أحضر شاهدي عندك الساعة، كتاب الحيات من كتاب الحيوان للجاحظ، فقال: الجاحظ ليس من أهل اللغة، ونقله في هذا الموضع لا يسمع، فقال الأجل الفاضل: دع هذا، فالصواب معه، وهذا مجمع عليه، ولكن عرفنا كيف يصنع حتى ينظم المعنى؟ فقلت يترك هذا الوزن وينظمه في وزن يستقيم عليه الصواب، فقال: انظمه لنا، فقلت **ارتجالا**:وسلخت أشعار البرية كلها ... حتى دعيت لذاك أسود سالخافقال: مثلك يقول لذاك: فقلت: حتى دعاك الناس، فقال: إنما كنت أريد أن تنظمه أخصر من بيته.ودخل عليه من انقطع طلبه لدخوله، فلما سكن المجلس قال: تعرف له وجها يذهب النقد عنه، ويخلصه من الطعن عليه؟ قلت: مولانا أعلم، فقال: إنه حكى عن الناس تلقيبهم إياه بالأسود السالخ، فكأنه لحن على الحكاية، لا لأنه حكى عنه هذا. فاستحسناه وإن لم يكن صحيحا من الأعذار. ثم خرجت فلقيت الأسعد بن عبد الرحمن بن شيث فحكيت له الحكاية، فقال: لما طلب منك اختصاره كنت تقول – وقال على الفور:وسلخت أشعار الورى ... فدعوك أسود سالخا." (١)

"– الشطرنج معرب والأجود أن تكسر منه الشين ليكون على وزن فعلل مثل جرد حل وهو الضخم من الإبل وليس فى كلام العرب فعلل وهو معرب من سدرنج يعنى أن من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا المعنى يقول إنما أتأمل فى حسن معانيك لا فى الشطرنج وانتصابى جالسا لأراك لا للشطرنج واللعب وقال أبو الفتح هذه القطعة لم أقرأها عليه وشعره عندى أجود منها وقال غيره هى مقروءة عليه بمصر وبغداد٤ – المعنى يريد أنه يغيب عنه ليلة ثم يعود إليه٢٧– ١ – الغريب المعالى جمع معلاة مفعلة من العلو والعلاء٢ – المعنى يريد بكل مسئلة يعجز الناس عن بيانها والجواب عنها حتى لو سئل عنها غيره انقطع٣ – المعنى

---

(١) بدائع البدائه؟ ابن ظافر الأزدي ص/٢٣٤

يريد أن هذه اللعبة وقفت ثم قابلتك تدور أو رفعت رجلها وهذه كلها أبيات // رديئة // عملها **ارتجالا** فى معان ناقصة." (١)

"- ١ - المعنى كان المتنبى يتهم أنه لا يقدر على عمل الشعر **ارتجالا** فأراد بدر أن ينفى عنه هذه التهمة٢ - المعنى يقول أنا كالذهب الذى يخبر الناس جوهره بالسبك فتزيد قيمته على ما كانت قبل فقال البدر والله(للدينار قنطارا ...)قال ابن القطاع أخذ عليه فى هذا وقالوا ليس يوجد ذهب يزيد فى السبك فقيل معناه أنا الإكسير الذى يطرح على الدينار من الفضة فيعود ذهبا والصحيح من المعنى أنه أراد بالذهب الإبريز الخالص الذى يزيد فى السبك يريد إذا فويست وجودلت زاد علمى وتضاعف فضلى فضرب السبك مثلا للجدال والاختبار١١٤- ١ - المعنى يقول إذا رجونا جودك ذهب الفقر عنا لأنه فى أيدينا فبه يطرد الفقر وإن عودينا فنى عمر من يعاديك لأنه عرض نفسه للتب٢ - المعنى الكئوس تفخر بشربك فيها والخمر تنكر وتعيب على عافها٣ - المعنى أنك تشرب وتسلم من غوائل الخمر وهى تسكر كل من شربها فكأنها من هيبتها منك لا تقدر على أن تسكرك خوفا من سطوتك." (٢)

"قال: دخلت على السلطان المعتمد على الله أبي القاسم محمد بن المعتضد بالله، حين مات أبوه، فأنشدته **ارتجالا**:مات عباد ولكن ... بقي الفرع الكريمفكأن الميت حي ... غير أن الضاد ميمونسبه: محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو ابن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم. وعطاف ونعيم هما الداخلان بالأندلس:من بني المنذرين وهو انتساب ... زاد في فخره بنو عبادفئة لم تلد سواها المعالي ... والمعالي قليلة الأولادوهذا النسب يطرد اطراد الشآبيب، ويتسق اتساق الأنابيب، إلى مركز الدائرة من لخم، وإلى قنص بن معد من ابنه عجم. ولد رحمه الله بمدينة باجة، سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة. وولي سنة إحدى وستين، وخلع سنة أربع وثمانين، وتوفي رحمه الله في شوال لإحدى عشرة ليلة خلت منه سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. وخلع عن ثمانمائة امرأة، أمهات أولاد، جواري متعة، وإماء تصرف. وملك من البلاد بين مدن وحصون مائتي مسور، وإحدى." (٣)

"قال ذو النسبين رضي الله عنه: وهذا عندي من قول أبي إسحاق الصابي:لما وضعت صحيفتي ... في بطن كف رسولهاقبلتها لتمسها ... يمناك عند وصولهاوتود عيني أنها ... قرنت ببعض فصولهاحتى ترى

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري؟ العكبري، أبو البقاء ١/١٣٦

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري؟ العكبري، أبو البقاء ٢/١٤٠

(٣) المطرب من أشعار أهل المغرب؟ ابن دحية ص/١٤

من وجهك ال ... ميمون غاية سولهاالملك الراضي بالله أبو خالديزيد ابن المعتمد على الله بن أبي القاسم عباد، وقد مرت عليه هوادج وقباب، فيها له أخدان وأحباب؛ وجهوا على وجه الهدية إلى بر العدوة، وقد كان يلم بهن في صباه إلمام قريش بدار الندوة؛ فقال **ارتجالا**، وأنشد سحرا حلالا:مروا بنا أصلا من غير ميعاد ... فأوقدوا نار شوقي أي إيقادوأذكروني أياما لهوت بهم ... فيها ففازوا بإيثاري وإحماديلا غرو أن زاد في وجدي مرورهم ... فرؤية الماء تذكي غلة الصاديصدى يصدي، فهو صاد وصيد، إذا عطش. ورجل صديان: عطشان. الغلة، واللواب، بفتح اللام؛ واللوح، بضم اللام؛ والجواد، بضم الجيم بلا همز: كل ذلك من أسماء العطش. وقد جمعناها في غير موضع.." (١)

"ودخلت على سلطان بلنسية – كان – العالم أبي عبد الملك مروان بن عبد الله، ابن عبد العزيز في بستانه بحضرة مراكش وهو يتوضأ للصلاة، فنظر إلى لحيته، وقداشتعلت بالشيب اشتعالا فأنشدني لنفسه **ارتجالا**:ولما رأيت الشيب أيقنت أنه ... نذير لجسمي بانهدام بنائهإذا ابيض مخضر النبات فإنه ... دليل على استحصاده وفنائهوأنشدني الوزير بليغ شرق الأندلس أبو بكر بن مغاور في منزلة بمدينة شاطبة، قال: سمعت القاضي الشهيد الإمام أبا علي حسين بن محمد الصدفييقول: سمعت الفقيه الإمام الأديب أبا زيد عبد الرحمن بن شاطر السرقسطي ينشدنا لنفسه:قد كنت لا أدري لأية علة ... صار البياض لباس كل مصابحتى كساني الدهر سحق ملاءة ... بيضاء من شيبي لفقد شبابيفبذا تبين لي إصابة من رأى ... لبس البياض على نوى الأحباب." (٢)

"تنحصر، ولو انحصرت لكان منها ما يدخل في الاستعمال ومنها ما لا يدخل، ولا بد من بيان يمكن الإحاطة به، والوقوف عنده.قلت في الجواب عن هذا: إنك أول ما تحفظه من الأخبار هو كتاب الشهاب؛ فإنه كتاب مختصر، وجميع ما فيه يستعمل؛ لأنه يتضمن حكما وآدابا؛ فإذا حفظته وتدربت باستعماله كما أريتك ههنا حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخله، وعند ذلك تتصفح كتاب صحيح البخاري ومسلم والموطأ والترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وغيرها من كتب الحديث، وتأخذ ما يحتاج إليه، وأهل مكة أخبر بشعابها، والذي تأخذه إن أمكنك حفظه والدرس عليه فهو المراد؛ لأن ما لا تحفظه فلست منه على ثقة، وإن كان لك محفوظات كثيرة كالقرآن الكريم ودواوين كثيرة من الشعر وما ورد من الأمثال السائرة وغير ذلك مما أشرنا إليه فعليك بمداومة المطالعة

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب؟ ابن دحية ص/٣٨

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب؟ ابن دحية ص/٨٠

للأخبار والإكثار من استعمالها في كلامك حتى ترقم على خاطرك، فتكون إذا احتجت منها إلى شيء وجدته، وسهل عليك أن تأتي به **ارتجالا**، فتأمل ما أوردته عليك واعمل به.وكنت جردت من الأخبار النبوية كتابا يشتمل على ثلاثة آلاف خبر كلها تدخل في الاستعمال، وما زلت أواظب [على] مطالعته مدة تزيد على عشر سنين فكنت أنهي مطالعته في كل أسبوع مرة، حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة، وصار محفوظا لا يشذ عني منه شيء، وهذا الذي أوردته ههنا في حل معاني الأخبار هو من هناك.وسأذكر ما دار بيني وبين بعض علماء الأدب في هذا الأسلوب الذي أنا بصدده ههنا، وذاك أنه استوعره وأنكره، وقال: هذا لا يتهيأ إلا في الشيء اليسير من الأخبار النبوية، فقلت: لا، بل يتهيأ في الأكثر منها؛ فقال: قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اختصم إليه في جنين فقضى على من أسقطه بغرة عبد أو أمة، فأين يستعمل هذا؟ فأفكرت فيما ذكره، ثم أنشأت هذا الفصل من الكلام، وأودعته فيه: قد كثر الجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان جاهل، وضرب المثل بباقل وكم في هذه الصورة الممثلة من باقل، ولو عرف كل إنسان قدره لما مشى بدن إلا تحت رأسه ولا انتصب رأس إلا على بدنه، ولكان صاحب العمامة [أحق] بعمامته وصاحب." (١)

"فتأمل ما أشرت إليه وتدبره حتى تعلم أني ذكرت ما لم يذكره أحد غيري على هذا الوجه.وإنما سمي هذا القسم من الكلام استعارة لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر.واعلم أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة وعلى التشبيه المضمر الأداة معا، باختلاف القرينة، وذاك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من تقدم ذكره فينتقل عن ذلك إلى غيره ويرتجل **ارتجالا**.فمما جاء منه قول البحتري «١» :إذا سفرت أضاءت شمس دجن ... ومالت في التعطف غصن بانفلما قال: «أضاءت شمس دجن» بنصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير في قوله: «أضاءت» كأنه قال أضاءت هي، وهذا تشبيه؛ لأن المشبه مذكور، وهو الضمير في «أضاءت» الذي نابت عنه التاء، ويجوز حمله على الاستعارة بأن يقال: «أضاءت شمس دجن» برفع

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد؟ ابن الأثير، ضياء الدين ١/ ١٣٨

الشمس، ولا يعود الضمير حينئذ إلى من تقدم ذكره، وإنما يكون الكلام مرتجلا، ويكون البيت:إذا سفرت أضاءت شمس دجن ... ومال من التعطف غصن بان." (١)

"النوع الثاني والعشرون في المبادي والافتتاحاتهذا النوع هو أحد الأركان الخمسة البلاغية المشار إليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب.وحقيقة هذا النوع: أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام: إن كان فتحا ففتحا، وإن كان هناء فهناء، أو كان عزاء فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني.وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به ولم هذا النوع.والقاعدة التي يبني عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيدا أن ينظر؛ فإن كانت مديحا صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل، بل يرتجل المديح **ارتجالا** من أولها، كقول القائل:إن حارت الألباب كيف تقول ... في ذا المقام فعذرها مقبولسامح بفضلك مادحيك فما لهم ... أبدا إلى ما تستحق سبيلإن كان لا يرضيك إلا محسن ... فالمحسنون إذا لديك قليلفإن هذا الشاعر ارتجل المديح من أول القصيدة فأتى به كما ترى حسنا لائقا.وأما إذا كان القصيد في حادثة من الحوادث؛ كفتح مقفل أو هزيمة جيش أو غير ذلك؛ فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيها بغزل، وإن فعل ذلك دل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية، أو على جهله بوضع الكلام في مواضعه.فإن قيل: إنك قلت: يجب على الشاعر كذا وكذا، فلم ذلك؟." (٢)

"استهداء الرطب، وجعلت بعضه آخذا برقاب بعض، حتى كأنه أفرغ في قالب واحد؟ وكذلك فليكن التخلص من معنى إلى معنى.وهذا القدر من الأمثلة كاف للمتعلم.ومما أستظرف من هذا النوع في الشعر قول ابن الزمكرم الموصلي، وهو:وليل كوجه البرقعيدي مظلم ... وبرد أغانيه وطول قرونهسريت ونومي فيه نوم مشرد ... كعقل سليمان بن فهد ودينهعلى أولق فيه التفات كأنه ... أبو جابر في خبطه وجنونهإلى أن بدا ضوء الصباح كأنه ... سنا وجه قرواش وضوء جبينهوهذه الأبيات لها حكاية، وذاك أن هذا الممدوح، وهو شرف الدولة قرواش ملك العرب، وكان صاحب الموصل؛ فاتفق أنه كان جالسا مع ندمائه في ليلة من ليالي الشتاء، وفي جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر، وكان البرقعيدي مغنيا، وسليمان بن فهد وزيرا، وأبو جابر حاجبا، فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه؛ فأنشد هذه الأبيات **ارتجالا**، وهي غريبة في بابها: لم يسمع بمثلها، ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها، حتى رقي في

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد؟ ابن الأثير، ضياء الدين ١/٣٤٧

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد؟ ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٢٢٣

معانيه المقصودة إلى أعلى منزلة، فابتدأ البيت الأول يهجو البرقعيدي؛ فجاءه في ضمن مراده ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها، وهي الظلمة والبرد والطول، ثم إن هذه الأوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شبهت به مطابقة له، وكذلك البيت الثاني والثالث، ثم خرج إلى المديح بألطف وجه، وأدق صنعة، وهذا يسمى الاستطراد، وما سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الأبيات.ومما يجري على هذا الأسلوب ما ورد لابن الحجاج البغدادي، وهي أبيات لطيفة جدا «١» :ألا يا ماء دجلة لست تدري ... بأني حاسد لك طول عمري." (١)

"حل الأخبار النبوية:وأما الأخبار النبوية فكالقرآن العزيز في حل معانيها.فإن قلت: إن الأخبار النبوية لا يجري فيها الأمر مجرى القرآن، إذ القرآن له حاصر وضابط، وكل آياته تدخل في الاستعمال، كما قال بعضهم: لو ضاع مني عقال لوجدته في القرآن الكريم، وأما الأخبار فليست كذلك؛ لأنها كثيرة لا تنحصر، ولو انحصرت لكان منها ما يدخل في الاستعمال ومنها ما لا يدخل، ولا بد من بيان يمكن الإحاطة به، والوقوف عنده.قلت في الجواب عن هذا: إنك أول ما تحفظه من الأخبار هو كتاب "الشهاب"، فإنه كتاب مختصر، وجميع ما فيه يستعمل؛ لأنه يتضمن حكما وآدابا، فإذا حفظته وتدربت باستعماله كما أريتك ههنا حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخله، وعند ذلك تتصفح كتاب صحيح البخاري ومسلم والموطأ والترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي، وغيرها من كتب الحديث، وتأخذ ما يحتاج إليه، وأه ل مكة أخبر بشعابها، والذي تأخذه إن أمكنك حفظه والدرس عليه فهو المراد؛ لأن ما لا تحفظه فلست منه على ثقة، وإن كان لك محفوظات كثيرة كالقرآن الكريم، ودواوين كثيرة من الشعر، وما ورد من الأمثال السائرة، وغير ذلك مما أشرنا إليه، فعليك بمداومة المطالعة للأخبار، والإكثار من استعمالها في كلامك حتى ترقم على خاطرك، فتكون إذا احتجت منها إلى شيء وجدته، وسهل عليك أن تأتي به **ارتجالا**، فتأمل ما أوردته عليك، واعمل به.." (٢)

"استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما الآخر.واعلم أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة، وعلى

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد؟ ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٢٥٦

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي؟ ابن الأثير، ضياء الدين ١/١٤٩

التشبيه المضمر الأداة معا، باختلاف القرينة، وذاك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من تقدم ذكره، فينتقل عن ذلك إلى غيره، ويرتجل **ارتجالا**.فمما جاء منه قول البحتري١:إذا سفرت أضاءت شمس دجن ... ومالت في التعطف غصن بان٢فلما قال: "أضاءت شمس دجن" -بنصب الشمس- كان ذلك محمولا على الضمير في قوله: "أضاءت"كأنه قال: أضاءت هي، وهذا تشبيه؛ لأن المشبه مذكور، وهو الضمير في "أضاءت" الذي نابت عنه التاء، ويجوز حمله على الاستعارة، بأن يقال: "أضاءت شمس دجن" برفع الشمس، ولا يعود الضمير حينئذ إلى من تقدم ذكره.وإنما يكون الكلام مرتجلا ويكون البيت:إذا سفرت أضاءت شمس دجن ... ومال من التعطف غصن بانوهذا الموضع فيه دقة غموض، وحرف التشبيه يحسن في الأول دون الثاني.ـــــــــــــــــ١ ديوان البحتري ١/ ١٣٧ من قصيدة يمدح فيها أحمد، وإبراهيم بني المدبر ومطلعها:عناني من صدودك ما عناني ... وعاودني هواك كما بداني٢ رواية الديوان:إذا انصرفت أضاءت شمس دجن ... ومال من التعطف غصن بان." (١)

"النوع الثاني والعشرون: في المبادئ والافتتاحاتهذا النوع هو أحد الأركان الخمسة البلاغية المشار إليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب.وحقيقة هذا النوع: أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من هذا الكلام إن كان فتحا ففتحا، وإن كان هناء فهناء، أو كان عزاء فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني.وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به ولم هذا النوع؟والقاعدة التي يبني عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيدا أن ينظر، فإن كان مديحا صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل، بل يرتجل المديح **ارتجالا** من أولها كقول القائل:." (٢)

"وسليمان بن فهد وزيرا، وأبو جابر حاجبا، فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجوه المذكورين ويمدحه، فأنشد هذه الأبيات **ارتجالا**، وهي غريبة في بابها: لم يسمع بمثلها، ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها، حتى رقي في معانيه المقصودة إلى أعلى منزلة، فابتدأ البيت الأول يهجو البرقعيدي، فجاءه في ضمن مراده ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها، وهي الظلمة والبرد والطول، ثم إن هذه الأوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شبهت به مطابقة له، وكذلك البيت الثاني والثالث، ثم خرج إلى المديح بألطف وجه، وأدق صنعة، وهذا يسمى الاستطراد، وما سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الأبيات.ومما يجري

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي؟ ابن الأثير، ضياء الدين ٦٣/٢

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي؟ ابن الأثير، ضياء الدين ٩٦/٣

على هذا الأسلوب ما ورد لابن الحجاج البغدادي، وهي أبيات لطيفة جدا:ألا يا ماء دجلة لست أدري ... بأني حاسد لك طول عمريولو أني استطعت سكرت سكرا ... عليك فلم تكن يا ماء تجريفقال الماء ما هذا عجيب ... بم استوجبته يا ليت شعريفقلت له لأنك كل يوم ... تمر على أبي الفضل بن بشرتراه ولا أراه وذاك شيء ... يضيق عن احتمالك فيه صبري١وما علمت معنى في هذا المقصد ألطف ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا اللفظ، ويكفي ابن الحجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الأبيات.__________١ معاهد التنصيص ٤/ ٢٥٣ وفيه البيت الثالث هكذا:فقال الماء قل لي كل هذا ... بم استوجبته ياليت شعريوفي البيت الأخير كلمة صدري بدلا من صبري.." (١)

"ولا رويه من أي الحروف، ولا حركة رويه من أي الحركات، فاستخراج عجزه **ارتجالا** في غاية العسر ونهاية الصعوبة، لولا ما أمد الله تعالى به هؤلاء القوم من المواد التي فضلوا بها غيرهم، ومن حذق عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ودقيق معرفته باختيار الكلام، جعله قافية للعجز الذي أتى بعد " أبعد " ولم يجعلها " أنزح " وكان ذلك ممكنا له، لكون " أبعد " أسرع ولوجا في السمع، وأسبق إلى الذهن، وأدخل في القلب، وأكثر استعمالا وأعرف عند الكافة، وبها جاء القرآن العزيز دون " أنزح " وهي أخف على اللسان، وأولى بالبيان، وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما يدل صدره على عجزه.والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية، ودلالة التوشيح معنوية.والفرق بين التوشيح والتمكين أن التوشيح لا بد أن تتقدم القافية معنى يدل عليها، ولا كذلك التمكين، ولا تكون كلمة التوشيح إلا في أول الصدر، وإن لم تكن كذلك فلا توشيح والله أعلم.." (٢)

"معارض أرباب الخواطر فيها، وتواردهم عليها، وميز في فكرك محط الرسالة، ومصب القصيدة قبل العمل، فإن ذلك أسهل عليك، وأشعرها أولا، ونقحها ثانيا، وكرر التنقيح، وعاود التهذيب، ولا تخرجها عنك إلا بعد تدقيق النقد وإنعام النظر، وقد كان الحطيئة يعمل القصيدة في شهرين، وينقحها في شهرين اقتداء بزهير، فإنه كان راويته، وقد كان زهير يعمل القصيدة في شهر واحد وينقحها في حول كامل، حتى قيل لشعره: المنقح الحولي، والحولي المحكك. وفي ذلك يقول عدي بن الرقاع كامل:وقصيدة قد بت أجمع بينها ... حتى أقوم ميلها وسنادهانظر المثقف في كعوب قناته ... حتى يقيم ثقافه منآدهاوفي الناس من رزق بديهة حسنة، وحدة خاطر، ونفاذ طبع؛ وسرعة نظم، يرتجل القول **ارتجالا**، ويأتي به عفوا صفوا،

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي؟ ابن الأثير، ضياء الدين ٣/١٣٦

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر؟ ابن أبي الأصبع ص/٢٣١

فلا تقعد به عن قوم قد أتعبوا خواطرهم، وكدوا نفوسهم في التهذيب، وبذلوا جهدهم في التنقيح والتأديب واحذر إذا كاتبت من الإسراف في الشكر، فإنه إبرام يوجب للكلام ثقلا، ولا تطل الدعاء فإنه يورث مللا، ولا تجعل كلامك مبنيا على السجع كله، فتظهر عليه الكلفة، ويبين فيه أثر المشقة، ويتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط، واللفظ النازل،." (١)

"آرائه سهاما أهدافها الصدور والظهور ويجرد من أوامره أسيافا أغمادها الجفون والنحور وزياد وابنه عبد الله وأحمد بن طولون ومن أظرف ما يحكى أن البحتري شرب مع أبي هفان عند بعض الرؤساء فلما خرجا ركب البحتري بغلته وأردف أبا هفان خلفه فلما كان ببعض الطريق قال أبو هفان أبا عبادة من الذي يقوليلبس للحرب أثوابها ... وقال أنا الشاعر البحتريفلما رأى الخيل قد أقبلت ... إذا هو في سرجه قد خربفدفعه البحتري من خلفه وقال يا ماص بظر أمه تتنادر وأنت فهد والشعر لأبي هفان **ارتجالا** قاله على سبيل المداعبة ومن هنا أخذ المتنبي قولهوإذا ما خلا الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزالاومن نوادر أخبار الجبناء ... في مواطن الحروب والبلاءحكى أن عمرو بن معد يكرب مربحي من أحياء العرب وإذا هو بفرس مشدود ورمح مركوز وإذا صاحبهما في وهدة من الأرض يقضي حاجته فقال له عمرو خذ حذرك فإني قاتلك لا محالة فالتفت إليه وقال له من أنت قال أبو ثور عمرو بن معد يكرب قال أنا أبو الحرث ولكن ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا في وهدة فأعطني عهدك أن لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري فأعطاه عهدا على ذلك فخرج من الوهدة التي كان فيها وجلس محتبيا بحمائل سيفه فقال له عمرو ما هذا الجلوس قال ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك فإن كنت نكثت العهد فأنت أعلم ما يلقى الناكث فتركه ومضى وقال هذا أجبن من رأيت وقال روح بن حاتم لأبي دلامة اخرج معي فقاتل وهذه عشرة آلاف درهم فقالإني أعوذ بروح أن يقربني ... إلى الحمام فيشتفي بنو أسد." (٢)

"عشر ثلثا، أكل منها ثمانية وتبقى [له] [١] سبعة، وأكل لك واحدا من تسعة، فلك واحد بواحدك، وله سبعة [بسبعته] [٢] . فقال له الرجل: رضيت الآن!.وأتته امرأة وهو على المنبر فقالت: ترك أخى ستمائة دينار وأعطيت دينارا! (وتظلمت من ذلك) فقال: لعل أخاك ترك زوجة وأما وبنتين واثنى عشر أخا وأنت. قالت: نعم. فقال: قد أستوفيت حقك [٣] . وهذه المسألة مشهورة مسطورة فى كتب الفقه، وتسمى «الديناريه» و «المنبرية» [٤] وهو- رضى الله عنه- ممن جمع القرآن على عهد النبى صلى الله عليه

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر؟ ابن أبي الأصبع ص/٤١٤

(٢) غرر الخصائص الواضحة؟ الوطواط ص/٤٥٧

وسلم، هو وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة [٥] .وعن [٥] محمد بن سيرين قال: لما بويع أبو بكر الصديق رضى_____________[١] زيادة من الاستيعاب.[٢] زيادة من الاستيعاب.[٣] للزوجة خمسة وسبعون دينارا (الثمن) وللأم مائة دينار (السدس) وللبنتين أربعمائة دينار (الثلثان) .فلم يبق إلا خمسة وعشرون دينارا، لإخوتها أربعه وعشرون- كل منهم ديناران- ولها دينار واحد.[٤] تطلق «المنبرية» فى كتب الفقه والميراث على مسألة أخرى للإمام على أيضا وقد كان يخطب على منبر الكوفة، قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٦: «وهو الذى قال فى المنبرية صار ثمنها تسعا، وهذه المسألة لو أفكر الفرضى فيها فكرا طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهة واقتضبة **ارتجالا؟!»** .[٥] كان سالم بن معقل من الفرس، وأعتقته مولاته زوجة أبى حذيفة، فتولى أبا حذيفة، وتبناه أبو حذيفة إلى أن جاء حكم التبنى.» وقد صار سالم من خيار الصحابة وقرائهم المعروفين.[٦] روى صاحب الاستيعاب ج ٢ ص ٢٥٣٤ هذا الخبر بسنده. وذكره ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٦ والسيوطى فى الإتقان ج ١ ص ٥٩ وصاحب الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٨.." (١)

"فأتى إلى خادمها فقال له: «إن مولاتك صرفتنى ونقمت على مدحى لامرأة سير. ولو علمت أن ذلك يغضبها ما قلته. وقد نفدت نفقتى، وأردت بيع هذا المهر، وعز على أن يصير فى يد من لا يستحقه، وأنا أحب أن تعطينى مثقالين أتزود بهما إلى أهلى. وخذ المهر فأنت أحق به» . فسر الخادم وأعطاه مثقالين وأخذ المهر.ودخل على مولاته زينب وهو فرحان. فقالت له: «ما شأنك؟» فأخبرها الخبر. فرقت للقاضى وندمت على ما فعلت به. وقالت:«اذهب فأتنى به الساعة» . فأحضره إليها. فقالت له: «تمدح زوجة سير وتفضلها على سائر النساء، وخرجت فى وصفك لها عن الحد، وزعمت أن ليس فى الأرض أجمل منها، وما هذه منزلة القضاء «١» ولا يليق بك أن تنزل «٢» نفسك فى هذه المنزلة» . فقال **ارتجالا:**أنت بالشمس لا حقه ... وهى بالأرض لاصقهفمتى ما مدحتها ... فهى من سير طالقهفقالت له: «يا قاضى، طلقتها منه؟» قال: «نعم، ثلاثة وثلاثة وثلاثة» . فضحكت حتى افتضحت وقالت له: «والله، لا شم «٣» لها قفا أبدا» . وكتبت إلى يوسف برده إلى القضاء، فرده.." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب؟ النويري ٨/٢٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب؟ النويري ٢٦٦/٢٤

"وبعث مع الكتاب غفارة «١» ريدا فرنس إلى الأمير جمال الدين، فلبسها. وهى اسقلاط «٢» أحمر، تحته سنجاب «٣» ، وفيها شكل يكلة «٤» ذهب. فنظم الشيخ نجم الدين محمد، بن الخضر بن إسرائيل، مقطعات ثلاثا، ارتجالا، وهى:إن غفارة الفرنسيس التى جا ... ءت حباء لسيد الأمراءكبياض القرطاس لونا، ولكن ... صبغتها سيوفنا بالدماءوقال- يخاطب الأمير جمال الدين:يا واحد العصر الذى لم يزل ... يجوز فى نيل المعالى المدالا زلت فى عز وفى رفعة ... تلبس أسلاب ملوك العدا." (١)

"أنى كنت فى ذلك كمن شد خلة، واستشفى من علة بعلة، فما ظنك بمن يصطلى نار الأشواق، وقد قنع من أخيه بالأوراق، فضن عليه بالأوراق. فبينا هو يتكلم فى وصف البرد إذ خرج إلى وصف الأشواق. ومما ورد فى التخلص من المنظوم قول أبى الطيب المتنبى فى بعض قصائد:خليلى إنى لا أرى غير شاعر ... فلم منهم الدعوى ومنى القصائدفلا تعجبا إن السيوف كثيرة ... ولكن سيف الدولة اليوم واحد «١»فانظر كيف تخلص من الغزل إلى المديح بأحسن خلاص وأعجبه. كما ترى، ومن عجيب ما جاء به فى كلامه هذا، هو أنه جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة فى بيت واحد، وهو من بدائعه المأثورة عنه فى غير موضع، ومن ذلك ما قاله أبو تمام فى بعض قصائده:خلق أطل من الربيع كأنه ... خلق الإمام وهديه المتيسرفى الأرض من عدل الإمام وجوده ... ومن الشباب الغض شرح يزهرينسى الرياض وما يروض فعله ... أبدا على مر الليالى يذكرفهذا وأمثاره من لطائف التخليصات وأعجبها، والشعراء يتفاوتون فى هذا الباب، فربما اختص بعض الشعراء بالإجادة فى شعره من جزالة ألفاظه، ودقة معانيه، لكنه مع هذا لم يفق فى التخليص كما فاق غيره من الشعراء كما يحكى عن البحترى، فإن مكانه فى الشعراء لا يجهل، وشعره هو السهل الممتنع الذى تراه كالشمس قريبا ضوءها، بعيدا مكانها، أو يكون كالقناة، لينا مسها، خشنا سنانها، وقالوا أيضا إنه فى الحقيقة قينة الشعراء فى الإطراب، وعنقاؤهم فى الإغراب، ومع ما حكيناه فإنه لم يجد فى التخليص من الغزل إلى المديح بل اقتضبه اقتضابا على وجه لا ملائمة بينه وبين الأول، وله مواضع قليلة أحسن فيها التخلص، لكنها حقيرة بالإضافة إلى ما أساء فيها الخلاص. ومن أعجب ما يذكر فى مثال التخلص ما حكاه ابن الأثير: أن قرواشا الملقب بشرف الدولة ملك العرب صاحب الموصل، اتفق أنه كان جالسا مع ندمائه فى ليلة من ليالى الشتاء، وفى جملتهم رجال منهم البرقعيدى وكان مغنيا وسليمان

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب؟ النويري ٣٥٨/٢٩

بن فهد، وكان وزيرا، وأبو جابر، وكان حاجبا، فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجو هؤلاء ويمدحه فأنشد هذه الأبيات ارتجالا قال فيها:." (١)

"سعى إلى فيه يطلب القبلا ... والنمل مازال إن رأى العسلايزحفيا شادنا سل سيف مقلتهوهز قد القنا بخطرتهوأخجل البدر حسن طلعتهوجهك يزداد بالجمال علا ... والبدر في تمه إذا كملايخسفتبدو فترمى الغصون بالخجلفلم يمس عطفها من الكسلوأنت مغرى الأعطاف بالميلوقدك اللدن كلما اعتدلا ... أخشى عليه إن مال وانفتلايقصفشعرك ليل ووجهك القمروالريق شهد في ضمنه دررواالقد غصن ووجهك الزهرخد زها الورد فيه واشتعلا ... وعقرب الصدغ فيه قد نزلاوالتف-٢٥-ومن ذلك قول ابن زهر المغربي، وهو:قلبي من الحب غير صاح ... صاحوإن لحاني على الملاح ... لاحوإنما بغية اقتراحي ... راحيوإن درى قصتي وشاني ... شانوبي من الحب قد تسلسل ... سل سلفي صورة الدمع بعدما انهل ... منهلوالعود عندي لمن تأول ... أولوالحسن فيه على المثاني ... ثانييا أم سعد باسم السعود ... عوديوبعد حين من الهجود ... ءوديعلى مليك تحت البنود ... نوديفقال إني بمن دعاني ... عانيوناظري ناضر المحيا ... حياأراك من قوله إليا ... ليافأنشدته لمن تهيا ... هياواحد هو يا أمي من جيراني ... رانيوناطق بالذي كفاها ... فاهاوبعدما راغبا أتاها ... تاهاوبالجمال الذي سباها ... باهقالت على الحسن من سباني ... باني-٢٦-هكذا رأيته وهو غير مرتبط المعاني، ولا ملتئم الألفاظ، ولكن أعجبني هذا المقصد، وما فيه من الجناس، فآثرت أن انظم على هذا الأسلوب، فقلت:يا فاضح البدر في الكمال ... ماليأراك لما ترى انتحالي ... حاليوأنت إن ملت لانتقال ... قالتجد حمام الحمى رثاني ... ثانيكم مغرم في هوى العقائل ... قائلوالدمع من أكبر الوسائل ... سائليا حسنه أهيف الشمائل ... مائلساق من الترك ما سقاني ... قانطرفي إذا طاف بالمدام ... داميوطرفه بالغ المرام ... راميوهو على مضرب الحسام ... ساميإني وإن صد أو جفاني ... فانيليس لصب قد ارتجاه ... جاهولا درى من جنى لماه ... ما هولو لاح للناس مقلتاه ... تاهواكيف أرى عنه في أوان ... وانيوغادة شفني هواها ... واهاكم قال قلبي لما رآها ... آهاتقول لما رأت فتاها ... تاهالو كان عويقل في مهرجاني ... جاني-٢٧-ووقف عليه بعض الأصحاب الأعزة، فقال: لو زدته توشيحة أخرى، فزدته في الوقت الحاضر ارتجالا، وقلت:يا فاضح البدر في الكمال ... ماليبلا منامأراك لما ترى انتحالي ... حاليبالابتساموأنت إن ملت لانتقال ... قالخوف التئامتجد حمام الحمى رثاني ... ثانيبعد الأنامكم مغرم في هوى العقائل ... قائلمن الجوىوالدمع من أكبر الوسائل ... سائليوم النويا حسنه

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز؟ المُؤَيَّد العلوي ١٨٠/٢

أهيف الشمائل ... مائلمع الهوساق من الترك ما سقاني ... قانلدن القوامطرفي إذا طاف بالمدام ... داميلما أبوطرفه بالغ المرام ... راميتغلباوهو على مضرب الحسام ... ساميفلا نباإني وإن صد أو جفاني ... قانيمن السقامليس لصب قد ارتجاه ... جاهيوم اللقاولا درى من جنى لماه ... ما هوإن حققالو لاح للناس مقلتاه ... تاهوامن الشقاكيف أرى عنه في أوان ... وانيمن الغراموغادة شفني هواها ... واهامن فتنتيكم قال قلبي لما رآها ... آهامن محنتي." (١)

"لاعتلال العشية في فرش الربيع الموشية، ثم تعداها إلى وصف الصبوح، وأجهز على الزق المجروح، وأشار إلى نغمات الورق يرفلن في الحلل الزرق، وقد اشتعلت في عنبر الليل نار البرق، وطلعت بنود الصباح في شرفات الشرق سلب الحليم وقاره، وذكر الخليع كأسه وعقاره، وحرك الأشواق بعد سكونها وأخرجها من وكونها، بلسان يتزاحم على مورده الخيال، ويتدفق من حافاته الأدب السيال، وبيان يقيم أود المعاني، ويشيد مصانع اللفظ محكمة المباني، ويكسو حلل الإحسان جسوم المثالث والمثاني، إلى نادرة لمثلها يشار، ومحاضرة يجتني بها الشهد ويشار. وقد اثبت من شعره، وإن كان لا يتعاطاه إلا قليلا، ولا يجاوزه إلا تعليلا، أبياتا لا تخلو من مسحة جمال على صفحاتها، وهبة طيب تنم في نفحاتها.ومن ذلك في وصف أبي القاسم الشريف الحسنماشيت من قدرة وأيد، ليس من عمرو ولا زيد، أكرم من عمر البلاغة مجالا [ولعب بأطراف الكلام المشقق روية **وارتجالا]** ، وأطوع من دعا أبيات المعاني فجاءت عجالا [وأبدع من أدار أكواس البيان المعتق] ، وأجل من أشار إليه الشاعر بقوله " وخير الشعر أكرمه رجالا " قدم على الحضرة هذا القاضي الشريف، وقذف بدرته النفسية لها الريف، روضة أدب وظرف لما شيت من حسن وعرف، يدير المحاضرة جريالا، ويسحب البديع الروايع أذيالا، ذا نفس كريمة، وأخلاق كالروض غب انسكاب ديمه، وقعد بمسجدها فدرس وحلق، وسطع نوره في أفقها وتألق، واستأثرت به الكتابة السلطانية لأول وروده، وسحبت." (٢)

"وغير من نبأ جليل ... يرويه جيل قد مضى عن جيلبحق مر عيد الشفيق الناصح ... بحق لوقاذي الفعال الصالحبحق تمليخا الحكيم الراجح ... والشهداء بالفلا الصحاصحبحق معمودية الأرواح ... والمذبح المشهور في النواحيومن به لابس الأمساح ... وعابد باك ومن سياحبحق تقريبك في الأعياد ... وشربك القهوة كالفرصادوطول تفتيتك للأكباد ... بما بعينيك من السوادبحق ما قدس سعيا فيه ... بالحمد

(١) توشيع التوشيح؟ الصفدي ص/١٣

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب؟ لسان الدين بن الخطيب ٢/٣٩٩

لله وبالتنزيهبحق نسطور وما يرويه ... عن كل ناموس له فقيهبحق جمع من شيوخ العلم ... وبعض أركان التقى والحلملم ينطقوا قط بغير فهم ... موتهم كان حياة الخصمبحرمة الأسقف والمطران ... والجائليق العالم الربانيوالقس والشماس والديراني ... والبطرك الأكبر والرهبانبكل ناموس له مقدم ... يعلم الناس ولما يعلمبحرمة الصوم الكبير الأعظم ... وما حوى مفرق رأس مريمبحق يوم الذبح في الإشراق ... وليلة الميلاد والتلاقيبالذهب الأبر يزفي الأوراق ... بالفصح يا مهذب الأخلاقألا رغبت في رضا أديب ... باعده الحب عن الحبيبقد ذاب من شوق إلي المذيب ... أعلى مناه أيسر القريبفانظر أميري في صلاح أمري ... محتسبا في عظيم الأجرمكتسيا في جميل الشكر ... في نثر ألفاظ ونظم درقيل إنه ضعف وسل جسمه وذهب عقله وانقطع عن إخوانه ولزم الفراش قال حسان بن محمد بن عيسى فحضرته عائدا مع جماعة من أصحابه فقال ألست صاحبكم القديم العشرة لكم فما منكم أحد يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو قال فمضينا بأجمعنا إلى عمرو وقلنا له أن كان قتل هذا الرجل ديننا فإن أحياءه مروءة قال وما فعل قلنا قد صار إلى حال ما نحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو أخذ بيده وقال كيف تجدك يا سيدي فنظر إليه ثم أغمي عليه ثم أفاق وهو يقول:أنا في عافية إلا ... من الشوق إليكاأيها العائد ما بي ... منك لا يخفى عليكالا تعد جسما وعد قلبا ... رهينا في يديكاكيف لا يهلك مرشو ... ق بسهمي مقلتيكاثم أنه شهق فارق فيها الدنيا فما برحنا حتى دفناه رحمه الله تعالى. ومنهم قتيل قال العلامة أبو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزي في كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب وشاهدت امرأة كانت من أهل شيرز تزوجت رجلا جنديا أعجميا وكانت تجد به وجدا شديدا حتى كانت لا تصبر عنه لحظة وكان إذا مشى إلى نوبته إلى القلعة تاتزر وتظل قائمة قبالته حتى ينصرف فإذا دخل عليها لاعبها وقبلها فيسكن بعض ما تجده فدخل عليها يوما مغضبا من كلام جرى بينه وبين مقدمه فلما دخل أرادت منه العادة فلم يلتفت إليها فظنت أن ذلك لسبب حدث منها فارتاعت وجزعت فمكث ساعة عنها لم يرفع طرفة إليها فقوى عندها التخيل فلما خرج خرجت خلفه كعادتها فانتهرها فلم تشك أن غضبه لأجلها فرجعت وجعلت في رقبتها حبلا وشدته في السقف فاختنقت به وماتت.ومنهم شهيد قال الوداعي حكى الأمير شهاب الدين أحمد العقيلي أن شرف العلا هوى غلاما نصرانيا وتهتك فيه حتى لبس المسح وتزيا بزي الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه فاتفق أن الملك الظاهر صلاح الدين سمع بحاله فبينما هو يتصيد في نواحي حلب قيل له أن شرف العلا في هذه الأرض فأرسل إليه من يحضره على هيئته فلما حضر وكان السطان في مجلس الشراب قال لبعض ندمائه املأ قدحا كبيرا والق شرف العلا به فلما رأى القدح أخذه

بيده وشربه وأنشد في الحال ارتجالا يخاطب الملك الظاهر.جمعت بالكاس شملي ... فالله يجمع شملك." (١)

"قال لنا الشيخ القاضي الكبير الشهير أبو القاسم الحسني يوما، وقد جرى ذكر حتى التي للابتداء وأن معناها التي يقع بعدها الكلام سواء كان ذلك متعلقا بما قبله لم يتم دونه أو لا يكون الأمر كذلك. فقال حدثني بعض الأصحاب أنه سمع بمالقة رجلا يصلي أشفاع رمضان فقرأ من سورة الكهف إلى قوله تعالى " ثم ابتع سببا " فوقف هناك وركع وسجد، قال ظننت أنه نسي ما بعده ثم ركع وسجد حتى يتذكر بعد ذلك ويعيد أول الكلام، فلما قام من السجود ابتدأ القراءة بقوله تعالى " حتى إذا بلغ " فلما أتم الصلاة قلت له في ذلك أليست حتى الابتدائية؟ قال القاضي فيجب أن يفهم أن الاصطلاح في حتى وفي غيرها من حروف الابتداء ما ذكر.؟؟ إنشادةلأبي عبد الله بن بقيأنشدني الفقيه الفاضل أبو عبد الله بن بقي لنفسه، قال ونظمتها ارتجالا وقد دعيت إلى نزهة إثر تشييع جنازة الرملكم أرى مدمن لهو ودعه ... لست أخلو ساعة من تبعه كان لي عذر لدى عصر الصبا ... وأنا آمل في العمر سعهأوما يوقظنا من حالنا ... ألف لقبره قد شيعهسيما وقد بدا بمفرقي ... ما إخال الموت قد جاء معهفدعوني ساعة أبكي على ... عمر أمسيت ممن ضيعهإفادةتخصيص العام المؤكد بمنفصلحضرت يوما مجلسا بالمسجد الجامع بغرناطة مقدم الأستاذ القاضي أبي عبد الله المقري في أواخر ربيع الأول عام سبعة وخمسين وسبعمائة، وقد جمع ذلك المجلس القاضي أبا عبد الله والقاضي أبا القاسم الشريف شيخنا والأستاذ أبا سعيد بن لب والأستاذ أبا عبد الله البلنسي وذا الوزارتين أبا عبد الله بن الخطيب وجماعة من الطلبة، فكان من جملة ما جرى أن قال القاضي أبو عبد الله المقري سئلت عن مسألة من الأصول لم أجد لأحد فيها نصا، وهي تخصيص العام المؤكد بمنفصل فأجبته بالجواز محتجا بقوله تعالى " قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن " فهذا عام مؤكد، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لم يحل الله من الفواحش إلا مسألة الناس ".إنشادةلأبي القاسم بن أبي العافيةرواها أبو بكر بن القرشيأنشدني الفقيه القاضي أبو بكر بن القرشي في شوال عام تسعة وخمسين وسبعمائة، قال أنشدني القاضي الأجل العالم المتفنن المحقق أبو القاسم بن أبي العافية لنفسه خفيفلي دين على الليالي قديم ... ثابت الرسم منذ خمسين حجةأفأعدى بالحكم بعد عليها ... أم لها من تقادم العهد حجةإفادةالزوائد في أول المضارعحدثنا الأستاذ الكبير أبو عبد الله بن الفخار، قال جلس بعض الطلبة إلى بعض الشيوخ المقرئين فأتى المقري بمسألة الزوائد الأربع في أول الفعل المضارع،

---

(١) ديوان الصبابة؟ ابن أبي حجلة ص/٩٦

وقال يجمعها قولك نأيت، فقال له الطالب لو جمعتها بقولك أنيت لكان أملح ليكون كل حرف تضعيف ما قبله، فالهمزة لواحد وهو المتكلم، والنون للاثنين وهما الواحد ومعه غيره، والواحد المعظم نفسه؛ والياء للأربعة للغائب الواحد وللغائبين والغائبات، والتاء الثمانية للمخاطب وللمخاطبين وللمخاطبة وللمخاطبتين وللمخاطبات وللغائبة وللغائبتين فاستحسن الشيخ ذلك منه.إنشادةلأبي عبد الله بن بقيأنشدني الفقيه الفاضل أبو عبد الله بن بقي قال أنشدت في النوم مقطوعة منها هذان البيتان مجزؤ الخفيفقم إذا القوم ذكروا ... وابتكر حين بكرواإن في كل لمحة ... نفحات تكررقال ومنشدها لي رجل من مؤذني ربض البيازين يقوم بالتذكير في نصف الليل.إفادةلغز منظومسألنا الأستاذ أبو عبد الله المقري رحمه الله قال سألني الأديب أبو الحسن بن فرحون عن نسب المجيب في هذا البيتومهفهف الأعطاف قلت له انتسب ... فأجاب ما قتل المحب محرمفأجبنا للحين إنه تميمي لإلغائه ما النافية، وهي لغة تميم.إنشادةلأبي جعفر بن عبد العظيمأنشدني الفقيه أبو جعفر أحمد بن عبد العظيم، لنفسه كاململا تجزعن لما يهولك فقده ... فالدهر منك ولست منه آخذ." (١)

"وناعورة قد ألبستها حبالها ... من الشمس ثوبا فورق أوراقها الخضركطاوس بستان يدور وينجلي ... وينفض عن أرياشه بلل القطروله:ايدت لنا بالعذر ناعورة ... أدمعها في غاية السكبتقول لما غاب قلبي ... وقد ضعفت بالنوح وبالندبصيرت جسمي كله أعينا ... تدور في الماء على قلبيوقال الشيخ زين الدين بن الوردي:ناعورة مذعورة ... للبين ثكلى حائرةالماء فوق كتفها ... وهي عليه دائرةوله:حالة الدولاب دلت ... أنه في فرط حزنكان يسقي ويغني ... صار يسقى ويغنيوقال مؤلف الكتاب في مرثيته التي رثى بها دمشق وغيرها عند حلول الواقعة المشهورة من التتار:أعروسنا لك أسوة بحماتنا ... في ذا المصاب فأنتما أختانغابت بدور الحسن عن هالالتها ... فاستبدلت من عزها بهواننانحت نواعير الرياض لفقدهم ... فكأنها الأفلاك في الدورانوقال ابن تميم:أيا حسنها من روضة ضاع نشرها ... فنادت عليه من الرياض طيور ودولابها كادت تذوب ضلوعه ... لكثرة ما يبكي بها ويدوروقال جمال الدين بن نباتة:وناعورة قسمت حسنها ... على واصف وعلى سامعوقد ضاع نشر الربا فاغتدت ... تدور وتبكي على الضائعوقال مؤلفه ارتجالا جسيما اقترح عليه والحالة كذا:كأن البحر إذ يزهو صفاه ... ونور البدر يشرق والسواقيدموعي ثم وجهك يا حبيبي ... وقلبي إذ شكا ألم الفراققلت ومن المداعبات اللطيفة ما كتب به المرحوم القاضي فخر الدين بن مكانس إلى الشيخ بدر الدين البشتكي سلمه الله تعالى (ومولده سنة ثمان وأربعين وسبعمائة) وقد دار قي ساقية

(١) الإفادات والإنشادات؟ الشاطبي، إبراهيم بن موسى ص/١٠

الهمائل وهو:دورة الابدر في سواقي الهمائل ... تركت أدمع العيون هواملآه من للرياض نور أديب ... مظهر من كلامه سحر بابلفاق سعيا على بني عجل في ال؟ ... ؟جود وأغنى عن الولي الهاطلزاد علما على أبي ثور لكن ... قال بالدور ماؤه والسلاسلقد أعاد الجناس حسن نوار ... واتته ثورية فهو كامليا سعيد أثرى من النظم والنث؟ ... ؟ر فأنسى الورى زمان الفاضلقد سقيت الرياض يا شيخ بالدو ... ر فها غصنها من السكر مائللم تدع من نباتة لم تجدها ... أنها بالثنا عليك تواصلوابن قادوس كان طالع في خد ... متك اليوم بالأوامر نازلوغدا بالظلال كل أديب ... في هجير الرمضاء بفضلك قائلوبروحي عيون نرجس روض ... يغزل الحسن بالندا ويغازلأنت شنفتها بشعرك زهرا ... وبعثت المياه فيها خلاخلكم غضون أينعتها فعليها ... هاج الطير والمحب بلابلأنت في الحالتين تصريفك الأح؟ ... ؟رف أو كيمياء ذهنك واصلأنت لو لم تكن بحار علوم ... ما جرت في الرياض منك جداولكنت عندي أجلى قدرا وقد در ... ت في الثور للوجود الحاملوغدا قس بين لفظك والرو_ض على الحالتين عندك باقلأنت يا بدر فقت بلدر الدياجي ... فلهذا تبدو وذاك آفليا خليا أبثه الشجو إن لم ... يك عني كدمع عيني سائلوالأديب المحب يشكو هواه ... للأديب المحب عند النوازلأنا مغرى بحب أحور اللمى ... نافثي يزري بغصن الخمائلمن بني الترك قده اللدن واللح؟ ... ؟ظ كلا الفاتنين أصبح ذابلأعين الزهر والغصون تراها ... شاخصات إذا مشى ومواثللا تقل بي الأعراب تحكم حسنا ... ما ترى للأعراب هذي العواملماس عجبا وقصده يقتل الخل؟ ... ؟ق دلالا وللدلال دلائللا تلم في عذاره هتك شيبي ... أنا قد بعت آجلي بالعاجلولعمري أنت الذكي وكلن ... أنت والله عن غرامي غافلولئن كنت عاقلا إنني من ... صبوتي في الهوى عن العقل عاقلهاك حالي شرحته فاغنني ... إن تكن يا أخي لهمي حاملوأطرح غتبها فعيش المحبي؟ ... ؟ين محبون والعيش كالظل زائلدمت يا جامع المحاسن والشم؟ ... ؟ل ولا زال غيث فضلك شامل." (١)

"فلقد ظفرت من نفسه بالعنبر وعوذته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد وتأملت بفتور قريحتي نكتة برد الأماني وانعقد لساني بسحر هذا البيان ونفثات تلك المعاني وتيقنت أنه لا يقوى لفهم هذا البرد إلا كل حديد النظر ووجدت تصحيف هذه الكلمة يا شمس الفضائل للعقول فمر وعلمت إن الفكر لا يجاري من بديهيته من بحار الفضل روية وإن الخاطر الذي هو من ضعفة رعايا الأدب لا يقوى على سلطان هذا اللغز لأن شوكته قوية وقلت للذهن رد بعضه لتنهل شرابا سائغا وزد تصحيفه ليكون في التعريف بمعناه مبالغا وتمتعت من ورده الوارد بالشموم ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم فاستقطر البين ماء الورد في حدقي

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور؟ الغزولي ص/١٨

ولمولانا المنة في الصفح عن مقابلة الدر بالسقط وتمر هجر بهذا الحشف الملتقط وله الفضل في إجابة المملوك إلى ما سأله أولا من الاتحاف بما تيسر من آداب المقر الفخري الوالد نور الله ضريحه وتعاهد بعهاد الرحمة بمنه وكرمه.ولبعضهم في الورد القحابي:ووردة جمعت لونين خلتهما ... خدي حبيب وخدي هائم عشقاتعانقا فبدا واش فراعهما ... فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقاوظرف من قال كأنه وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بدينار انظر إلى هذا وجنة وحبيب ودينار وأين هذا من قول ابن الرومي (مولده سنة إحدى وعشرين ومائتين، ووفاته سنة أربع وثمانين وسبعمائه) :كأنه سرم بغل حين سكرجه ... بعد البراز وباقي الروث في وسطهونقلت من خط شيخنا شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الشهير بابن سمنديار الذهبي لنفسه:إذا الربيع جيشت أزهاره ... فورده ذو الشوكة السلطانوأنشدني من لفظه لنفسه **ارتجالا** الشيخ الأديب الفاضل بقية المتأخرين شمس الدين محمد بن بركة الرئيس فسح الله في مدته:شاب ورد الرياض من ... ورد خديك وانفركفله الناس أثبتوا ... وانتقى الورد للكركالنرجس قال أبقراط كل شيء يغدو الجسم والنرجس يغدو العقل.وقال جالينوس من كان له رغيف فليجعل نصفه في النرجس فإنه راع الدماغ والدماغ راعي العقل.ويروى عن علي كرم الله وجهه أنه قال تشمموا النرجس ولو في اليوم مرة فإنه في القلب داء لا يبرئه إلا شم النرجس.وقال الحسن بن سهل من أدمن شم النرجس في الشتاء أمن من البرسام في الصيف، وكان كسرى أنوشروان مغرما بالنرجس ويقول هو ياقوت اصفر بين در أبيض علي زمرد أخضر.وقال إني لاستحي أن أباضع في مجلس فيه النرجس لأنه أشبه شيء بالعيون الناظرة، ومن هنا أخذ من قال:غضى جفونك يا عيون النرجس ... لعسى أفوز بنظرة من مؤنسيفلقد تحير إذا أراك شواخصا ... تروينه بلواحظ المتغرسحتى كأنك لن ترى قمر الدجا ... بين الأحبة طالعا في مجلسنادرة: تحدث رجل مع خاطبة في أن تخطب له امرأة يتزوجها فقالت له عندي امرأة كأنها طاقة نرجس فتاقت نفس الرجل إليها فتزوجها فلما زفت إليه وكشف القناع لقي عجوزا مكمشة الوجه بيضاء الشعر دقيقة الساقين صفراء الوجه مخضرة الساقين بالشعر فلم يقربها وعاد باللوم على الخاطبة وقال لها كذبتيني وغريتيني فقالت له ما كذبتك ولا غررتك وإنما أنت رجل جاهل قلت لك عندي امرأة كأنها طاقة نرجس فرغبت وماهي طاقة النرجس غلا هكذا.خواصه حار يابس ينفع من سائر أوجاع العصب من برد وكذلك النسرين ويصدع النرجس الرؤوس الحارة وفعلهما أقل من فعل الياسمين وينفعان من وجع الأرحام من برد ويفتح سدد الدماغ وينفع من الصداع البارد الرطب والسوداوي ودهنه ينفع من أوجاع المفاصل. انتهى كلام ابن المحلي في النور.." (١)

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور؟ الغزولي ص/٤٥

"وقال سعيد بن هاشم الخالدي يفضل النوعين:أيحب النرجس البلدي ودي ... وما لي باجتناب الورد طاقةكلا الأخوين معشوق وغني ... أرى التفضيل بينهما حماقةهما في عسكر الإزهار هذا ... مقدمة يسير وذاك ساقهوقال أبو العلاء المعري الشروي يهجو النرجس:انظر إلى نرجس تبدت ... صيحا لعينيك منه طاقةواكتب أسامي مشبه به ... بالعين في دفتر الحماقةكراثة ركبت عليها ... صفرة بيض على رقاقةوقال ابن الشلبي البغدادي فيهما:ونرجس قابل في مجلس ... ورد غلا في نعته الناعتفخذ ذا يخجل من لحظ ذا ... وطرف ذا في وجه ذا باهتوقال منصور الهروي يصفه مع البنفسج:قرن الزمان إلى البنفسج نرجسا ... متبرجا في حلة الإعجابكخدود عشاق غدت ملطومة ... نظرت إليها أعين الأحبابولما دخل الأديب الفاضل المؤرخ الرحال نور الدين علي بن سعيد إلى القاهرة المحروسة صنع له أدباؤها صيغا في بعض منتزهاتها وانتهت بهم الفرجة إلى روض نرجس وكان فيهم أبو الحسين الجزار فجعل يدوس النرجس برجليه فقال ناصر الدين حسن بن النقيب:يا وطئ النرجس ما تستحي ... أن تطئ الأعين بالأرجلفتهافتوا بهذا البيت وارموا إجارته فقال زكي الدين بن أبي الإصبع:فقال دعني لم أزل محنقا ... على لحاظ الرشاء الأكحلثم أبوه أن يجيزه غيره أعني ابن سعيد فقال:قابل جفونا بجفون ولا ... تبتذل الأرفع بالأسفلثم استدعاه ابن سابق إلى مجلس على النيل مبسوط بالورد قامت به شمامة نرجس فقال في ذلك:من فضل النرجس فهو الذي ... يرضي بحكم الورد إذ يرأسأما ترى الورد غدا قاعدا ... وقام في خدمته النرجسوقال مجد الدين بن سحنون خطيب النيرب وقد أهدى نرجسا:لما تحجبت عن طرفي وارقني ... بعد ولم تحظ عيني منك بالنظرأرسلت مشبهها من نرجس عطؤر ... كيما أراك بأحداق من الزهروقال صفي الدين الحلي رحمه الله تعالى:أقول وطرف النرجس الغض شاخص ... إلي وللنمام حولي المامأيا رب حتى في الحدائق أعين ... علينا وحتى في الرياحين نماموما أحسن قول بدير المجنوي رحمه الله تعالى:وكأن نرجسه المضاعف خائض ... في الماء لف ثيابه في رأسهوأظرف من قال:يغض من فرط الحيا طرفه ... ما أحسن الغض من النرجسونقلت من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس لنفسه:بعدك شمس الدين ياما جرى ... من أدمع الطل بخد الشقيقوالنرجس الغض غدا شاخصا ... فلا تخلي عنه للطريقزاد على البيتين المتقدمين وأجاد:ليس جلوس الورد في مجلس ... قام به نرجسه يوكسوإنما الورد غدا باسطا ... خدا ليمشي فوقه النرجسقول أمين الدين الجوتان توفي سنة ثلاث وستين وستمائة:نفش غض البان أذنابه ... وماس عند الصبح زهوا وفاحوقال هل في الروض مثلي وقد ... تعزى إلى غصني قدود الملاحفحدق النرجس يهزو به ... وقال حقا قلت ذا أم مزاحبل أنت بالطول تحامقت يا ... مقصوف عجبا بالدعاوي القباحفقال غصن

البان من تيهه ... ما هذه إلا عيون وقاحوأنشدني من لفظه لنفسه **ارتجالا** بحضوري ونحن نتنزه بجزيرة الفيل وقد مررنا بقطعة نرجس نسقي سيدنا المقر المجدي فضل الله ابن مكانس أبقاه الله:وجدول الماء يجري بين نرجسه ... لذي البصائر جرى الطيف في المقلوقال القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتابه مسالك أبصار في ترجمة ابن تميم وحكى أنه حضر في مجلس بعض الأكابر وقد غض المجلس وبهتت فيه عيون النرجس وقمعت فيه أصابع المنثور وأعطى فيه أمير الحسن ذؤابة شعره المنشور وطال أعمال الكئوس حتى غمضت الجفون ولم يبق دور الكاس خال من الجنون وأن أمنية ابن تميم قد تركه السكر ملقى وخلا خده المصرج محلقا فنهض غير مرة لتقبيله ثم خاف أعين قتيله فقعد بعد اللجاج ورجع رجوع الصادي والماء يجلي عليه في الزجاج فقال:كيف السبيل لأن أقبل خد من ... أهوى وقد نامت عيون الحرس." (١)

"فخلعت عن عطفيه حلة قهوة ... وشربتها فغدوت في سلطانهوقال الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى:ومشمولة قد هام كسرى بكأسها ... فأضحى ينادي وهو فيها مصوروقفت لشوقي من وراء زجاجة ... إلى الدار من فرط الصبابة أنظروقال المرحوم فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى:إذا ما أدبرت في حشا عسجدية ... بها كل ذي ملك وتاج تصورافحسبك نيلا في السيادة أن ترى ... نديمك في الكاسات كسرىقلت: والسبب الموجب لتصويرها ما ذكره الفقيه الكاتب أبو مروان عبد الملك بن بدرون في شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون وهو أن سابور بن هرمز الملقب بذي الأكتاف لما رجع من قتال بني تميم قصد الروم والدخول إلى القسطنطينية متنكرا فاستشار قومه فحذروه التغرير بنفسه فلم يقبل قولهم وسار متنكرا إلى القسطنطينية فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل في جملتهم وجلس على بعض موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أتى عسكر سابور فصوره فلما جاء قيصر بالصور أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأتى بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدام إلى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل لها على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشبهين فقام إلى الملك فأخبره فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور وهربت منه لأمر خفته فيه فلم يقبلوا ذلك منه وقدم إلى السيف فأقر بنفسه وجعل في جلد بقرة وتمام حكايته إلى أن خلص وعاد إلى ملكه في كتاب سلوان المطاع في السلوانة الثانية منه وهي حكاية غريبة مشتملة على أنواع من الحكم.وقال صلاح الدين الصفدي رحمه الله:كئوس المدام تحث الصفا ... فكن

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور؟ الغزولي ص/٤٧

لتصاويرها مبطلاودعها سواذج من نقشها ... فاحسن ما ذهبت بالطلاوقال زين بن الوردي رحمه الله تعالى:دع الكأس من من نقشها ... وصاف بصاف أحبإذا ذهبت بالمطلا ... فقد طليت بالذهبوقال: شمس الدين بن العفيف فيما يكتب على كأس:أدور لتقبيل الثنايا ولم أزل ... أجود بنفسي للندامى وأنفاسيوأكسو أكف الشرب ثوبا مذهبا ... فمن أجل هذا لقبوني بالكاسيالشيء بالشيء يذكر قال شهاب الدين بن أبي جحلة مضمنا:يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي ... وحظيت بعد الهجر بالائيناسوكسى العذار الخد حسنا فاسقني ... واجعل حديثك كله في الكأسوقال إبراهيم بن الحاج الغرناطي (ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى) :يا رب كأس لم يشح شمولها ... فاعجب لها جسما بغير مزاجيلما رأينا السحر من أشكالها ... جملا نسبناه إلى الزجاجيوقال الأديب أبو بكر بن مجير وقد اقترح عليه حسود وصف كأس أسود فقال **ارتجالا**:سأشكو إلى الندمان أمر زجاجة ... تردت بلون حالك اللون أسجمتصب بها شمس المدامة بيننا ... فتغرب في جنح من الليل مظلموتجحد أنوار الحميا بلونها ... كقلب حسود جاحد يد منعم." (١)

"يمالكي وهو ملمي ... وسالبي ثوب نسكينزه يقين الهوى في-ك عن تعرض الشكلولا ما كنت أبكي ... إلى الصباح وأبكي فنظر إلى الغلام وتبسم فعلمت أن الشعر له فكدت والله أطيرفرحا بملاحة خلقه وحسن خلقه وقوة حذقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه فاسندعيت كثيرا فأحضر الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم فشربت سرورا بوجهه وشرب بمثل ما شربت ثم قال لي أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ولكن إذا عرفت الإسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن نشى ليلتنابشيىء يكون لها طراز ولذكرها معلما فجذبت الدواة وكتبت **ارتجالاوقد** أخذ الشراب مني هذه الأبيات:وليلة أوسعتني ... حسنا ولهوا وأنساما زلت الثم بدرا ... بها واشرب شمساإذ أطلع الدبر سعدا ... لم يبك مذ كان نحسافصار للروح روحا ... وصار للنفس نفسافطرب على قولي ألثم بدرا وأشرب شما وجذب غلامه فقبله وقال ما جهلت ما يجب لكمن التوقير وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته فبحياتي إلا ما فعلت ذلك بغلامك فاتبعت ايثاره خوفا من احتشامه وأخذ الأبيات زجعل يرددها ثم أخذ الدواة وكتب اجازتها:ولم أكن لغرمي والله أبذل فلسا ... لو ارتضى لي غريمي بدير مران حبسافقلت والله إذا ما كان يؤذي أحد حقا ولا باطلا وداعبته في هذا المعنى بما حضر وعرفت في الجملة أنه متستر من دين وقال لي قد خرج إليك أكثر الحديث فإن عذرت وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها إلى صورتها فبنيت ما

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور؟ الغزولي ص/٦٢

يؤثره من كتمان أمره فقلت له يا سيدي كل من لا يتعرف بك نكرة وقد اغنت المشاهدة عن الإعتذار وبانت الخبرة عن الإستخبار وجعل يشرب وينتحب من غير استكراه ولا حث ولا استبطاء إلى أن رأيت الشرب قد دب فيه وأكب إلى مجاذبة غلامه والفطنةتثنيه في الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام بفرش حسن ففرش لي بإزاء فرشه فنهض إليه وقام يتفقد أمري بنفسه فقلت له أن لي مذهبا في تقريب غلامي مني واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذا الحال في غلامه فتبسم وقال لي بسكره جمع الله لك شمل المسرة كما جمع جمعه لي بك وأظهر ت النوم وعاد إلى محادثة غلامه وعاتبه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ويمزج ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه وغلبتني عيناي إلى أن أيقظني هواء السحر وانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس فأردت توديعه فخفت انتباهه وإزعاجه فخرجت فلقيني الخادم يريد ايقاظه وتعريفه بإنصرافي فأقسمت عليه ألا يفعل ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته فركبت منصرفا وعاملا على العودة إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ منه في معاشرته ومتوهما أن الذي كنت فيه مناما لطيبه وقرب أوله من آخره واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة فسرت إلى أتم حسرة لما فإنني من معاودة لقائه وقلت في ذلك هذه الأبيات:ويوم كان الدهر سامحني به ... فصار يسمى بيننا هبة الدهرجرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا ... إلى دير مران المعظم ذي القدرفمن روضة بالحسن توقد روضه ... ومن نهر بالفيض يجري إلى نهروفي الهيكل المعمور منه اقترعها ... وصحبي حلالا بعد توفية المهرونزهت عن غير الدنانير قدرها ... فما زلت منها أشرب التبر بالتبروحل لنا ما كان منها محرما ... وهل يحظر المحظور في بلد الكفر٣فأهديت لي الأيام فيه مودة ... دعتني في ستر فلبيت في سترأتى من الشريف الطبع أصدق رغبة ... فخاطبني من معدن النظم والنثروكان جوابي طاعة لا مقالة ... ومنذا الذي لا يستجيب إلى اليسرفلاقيت من العينين نبلا وهمة ... محلى السجايا بالطلاقة والبشروأحشمني بالبر حتى حسبته ... يريد اختداعي عن حياتي ولا أدريونزه عن غير الصفاء اجتمعنا ... وكنت وإياه كقلبين في صدروشاء السرور أن يلينا بثالث ... فلا طفنا بالبدر أو بأخى البدريمعط العيون ما أسهمت من جماله ... ومضت القلوب بالتحبى وبالهجرجنينا جنى الورد في غير حينه ... وزهر الربا من روض خديه والثغر." (١)

"صفة شربة نافعة للهوى وعليل النوى: باسم الله اللطيف الحكيم يؤخذ على بركة الله ولطفه: ثلاثة مثاقيل من صافي وصال الحبيب، منقاة من عيدان الجفا وخوف الرقيب، وثلاث مثاقيل من برز الاجتماع،

(١) مطالع البدور ومنازل السرور؟ الغزولي ص/١٢٦

منخولة من غلت الهجران والانقطاع، وأوقيتين من خالص الود والكتمان، منزوعة من عيدان الصدر والهجران، ويؤخذ من عطر البخور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان، ويؤخذ مائة بوسة رمانية محكومة مرضوضة منها خمسون صغار سكريه، وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيرية ويؤخذ غنج حلبي وشخير عراقي من كل واحد مثقالان ويؤخذ أوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الوجنتين، ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن ثلاثة دراهم غلمة مصرية، ويضاف إليها قرص الإعكان المطوية ويغلي بماء المحبة على شراب الشوق وخطب الطرب في مرحل العجلة ويصفي الجميع على ديبقي سلطاني ويحل فيه أوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق من ثغور ال أحباب ويكون الغذاء مزورة يقطين الاشتياق ويضاف إليها قلب لوز العناق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة أرطال من المدام ثلاثة أيام ويتبعه برطلين من شيل الساقين ويدخل الحمام، نافع مجرب والسلام.بعث بعض الظرفاء إلى محبوبة له مروحة وبأوقة زهر وسكر نبات وشرابه وعود ففهمت مراده وبعثت إليه خيطا أحمر من صباره وثلاث كمونات سود وغاسول وزر ففهم مقصودها وصبر، والمراد من فعله أنه أراد بالمروحة نزوح وبالزهر البستان وبالسكر النبات نبات وبالشرابة نشرب وبالعوذ نسمع الغناء، مقصودها أنها عرضت بالخيط الأحمر أنها حائض وبالصبارة أصبر وبالثلاث الكمونات ثلاث ليال والغاسول أغتسل وأزورك.وأهدت بعض القينات إلى الملك العزيز بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف في بعض الأيام كرة من العنبر فكسرها فإذا في وسطها زر ذهب وكانا يكتمان أمرهما خوفا من السلطان فلم يفهم معنى ذلك فأرسل إلى القاضي الفاضل يسأله عن ذلك فقال **ارتجالا**:أهدت لك العنبر في وسطه ... زر من التبر دقيق اللحامفالزر في العنبر معناهما ... زر هكذا مستترا في الظلامكتبت بعضهم على عصابتها أصعد وتمكن على بطن معكن.وكتبت أم القاسم بنت بلبل العطار وكانت من كبار المساحقات على خاتمها مل من الباطل فرجع إلى الحق.وأين هذا من قول بعضهن وقد قيل لها ارجعي إلى الحق فقالت الحق بعض مرادي.وهذا من الأجوبة اللطيفة وما أحقها بقول القائل شعرا:مغرمة بالسحاق أضحت ... تبكي عليه بكل عينكما اتقنت من الهيول إلا ... تصنيف اسحق في حسينيوحكى أ، رجلا دخل إلى بيت فوجد امرأتين وهما يتساحقان فجذب التي هي فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج إلى حبال ورجال.وقال آخر:جرح يريد الفتيلة ... أيش تنفعه اللزقاقوقال الشيخ زين الدين الوردي:قولوا لمن تهوى السحاق الذي ... حرمه الله فما فيه خيرأخطأت يا كاملة الحسن إذ ... أقمت اسحق مقام الزبيرحكى أن جدة بنت زياد المؤدب ذكرها المؤرخ الترحال نور الدين بن سعيد في كتابه المغرب وقال وهي من خنساء المغرب من نظمها وقد خرجت إلى وادي مدينة واد بالقرب مع جوار

لها فسبحت معهن وكان لها فيهن هوى:أباح الدمع أسراري بواد ... له في الحسن آثار بواديفمن نهر يطوف بكل روض ... ومن روض يطوف بكل واديومن بين الظباء مهاة أنس ... لها لبي وقد سلبت فؤاديلها لحظ ترقده لأمر وذا ... ك الأمر يمنعني رقاديإذا سدلت ذوائبها عليها ... رأيت البدر في أفق السوادكأن الصبح مات له شقيق ... فمن حزن تسربل بالحدادوقالت ماجنة لمسحاقة ما في الدنيا أطيب من الموز قالت نعم إلا أنه ينفخ البطن.." (١)

"الباب الأربعون في خزائن السلاح والكنائنسأل عمر بن الخطاب (عمرو بن معدي كرب عن السلاح فقال ما تقول في الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف، قال فما تقول في الترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر، قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب، قال فما تقول في الدرع قال مفشلة للراجل مغلة للفارس وإنها لحصن حصين، قال فما تقول في السيف قال هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال له تقول لا أم لك قال الحمى أصرعتني.القاضي الفاضل من قصيدة:تمد إلى الأعداء منا معاصما ... فترجع من ماء الكلى بأساوروله:ولرب هاتفة دعتهم للوغى ... جعلوا صليل المرهفات صداهاهو في بحار يديه أمواج ترى ... نفوس من قتلته من غرقاهاالعنوي:كأن على انفراده موج لجة ... تعاصر في حافاته وتجولكأن عيون الذر كسرن حوله ... عيون جراد بينهن دخولحسام غداة الروح حتى كأنه ... من الله في قبض النفوس رسولأبو العلاء المعري:ودبت فوقه حمر المنايا ... ولكن بعدما مسخت نمالاغراره لسانا مشرفي ... يقول غرائب الموت **ارتجالا**يذيب الرعب منه كل عضب ... فلولا الغمد يمسكه لسالاالنامي:ذي مدمع من غير ما مستعبر ... وتبسم من ثغره متواليويريك في لألأته متواقدا ... حنق المنون به على الآجالوقال أعلم الرؤساء ابن الصيرفي أبو القاسم علي بن منجب من نشره على طريق اللغز يبالغ في شكره إذا أفسد وبرح ويقبل في تزكية شهادة المجرح.ابن قلاقس:أسرتهم وشهرته فجموعهم ... مذ أحرمت في راحتيك حراموكلاهما جفن منعت غراره ... لكن ذا عضب وذاك ناماابن سناء الملك:له منصل لا ينقضي فرض حجه ... فبالضرب لبى وهو بالسل محرماتنسك الإسلام لما رأيته ... يحل له في الشرع أن يشرب الدمافكم سل لما سل من بطن غمده ... لسان دم من ضربة خلقت فماوقال وجيه الدين بن الدروي:فنقت بأجساد الأسود لواحظا ... رنت المنايا عن عيوب الثعالبوأنطفت أفواها على فم العدى ... بألسنة البيض الرقاق المضاربحيث الوغى روض تغنى ذبابه ... وسال على نور الطلى كالمذائبوقد نشقت ورد الكلوم صعاده ... وما شربت إلا دماء الترائبوله:سكران من شره خمر الدما فإن ... حياه نور

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور؟ الغزولي ص/١٣٤

الطلى غنى له هزجاذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب الأندلسي:وخليج هند راق حسن صفائه ... حتى يكاد يعود فيه الصيقلغرقت بصفحته النمال وأوشكت ... تبغي النجاة فأوثقتها الأرجلفالصرح منه ممرد والصفح من ... ه مورد والشط منه مهدلوقال مجير الدين بن تميم:لما اقتنيت من الصوارم أعوجا ... يجري القضاء بنهره المتموججبت القفار وما حملت أداوة ... للماء من ثقتي بنهر الأعوجابن نباتة:وصارم كعباب الموج ملتطم ... يكاد يغرق رابية ويحترقلما إذا جدولا تسقي المنون به ... أضحى يشف على حافاته العلقالشريف البياضي:وإنا إذا الأرواح ذابت مخافة ... فتحنا بأشطان الرماح ركاياهامتى ما أردنا أن يذاق حديدنا ... خلعنا بحد المشرفية أفواهاومن كلام تقي الدين بن حجة في معنى سكون الحرب: واعتقل الرمح بسجن السلم بعد أن كان على رأسه لواء الحرب معقود وهجعت مقل السيوف في أجفانها لما علمت أن الزيادة في الحد نقص في المحدود.وللشيخ برهان الدين القيراطي:قوم مناديلهم بيض فكم مسحت ... رقاب أعدائهم تلك المناديلالغزي وأجاد:وقد سلب الطعن الأسنة لونها ... فعصفر في اللبات ما كان أزرقوأسيادنا في السابغات كأنها ... جداول تجري بين زهر تفتقاابن خفاجة:موسد تحت ظل السيف تحسبه ... مستلقيا فوق شاطئ جدول ثملا." (١)

"وإنما ذكر الجمل؛ لأن الروم لا تعرفه إلا إذا غزاها المسلمون، فهم أشد شيء فرقا منه ونفارا عنه.أبو تمام:شاب رأسي وما رأيت مشيب الر ... أس إلا من فضل شيب الفؤادوهو مما استقبح من استعاراته، وزعموا أنه لما أنشد ذلك بحضرة أحمد بن أبي دؤاد قال من حضر: وكيف يشيب الفؤاد؟ فقال **ارتجالا**:وكذاك القلوب في كل بؤس ... ونعيم طلائع الأجسادفقال أبو الطيب - ونقل شيب الفؤاد الى الكبد:إلا يشب فلقد شابت له كبد ... شيبا إذا خضبته سلوة نصلاقال أبو نواس:وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحدوكره فقال:متى تحطي إليه الرحل سالمة ... تستجمعي الخلق في تمثال إنسانقال أبو الطيب:هدية ما رأيت مهديها ... إلا رأيت العباد في رجلثم كرره فقال:." (٢)

"بها لفاتوا الحصر وخرجوا عن الحد. وهذا الوزير المهلبي «١» ؛ كان في أول أمره في شدة عظيمة من الفقر والضائقة، وكان قد سافر مرة ولقي في سفره ضيقة حتى اشتهى اللحم ولم يقدر عليه، فقال **ارتجالا**:ألا موت يباع فأشتريه! ... فهذا العيش ما لا خير فيه!ألا موت لذيذ الطعم يأتي ... يخلصني من الموت الكريه!ألا رحم المهيمن نفس حر ... تصدق بالوفاة على أخيه!وكان معه رفيق له فاشترى لحما

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور؟ الغزولي ص/٢٢٩

(٢) الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره؟ الجرجاني، الشريف ص/٢٥٤

وأطعمه. ثم ترقى بالكتابة حتى وزر لمعز الدولة بن بويه الديلمي في جلالة قدره. وهذا القاضي الفاضل «٢» أصله من بيسان من غير بيت الوزارة، رفعته الكتابة حتى وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وعلت رتبته عند، حتى بلغ من رتبته لديه أن كان يكتب في كتب السلطان صلاح الدين عن نفسه بما أحب، فكتب مرة: السلام على الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين في كتاب عن أبيه؛ ثم كتب شعرا منه:وغريبة قد جئت فيها أولا ... ومن اقتفاها كان بعدي الثانيفرسولي السلطان في إرسالها ... والناس رسلهم إلى السلطانوأبلغ من ذلك كله أبو إسحاق الصابي صاحب الرسائل المشهورة؛ كان على دين الصابئة مشددا في دينه، وبلغت به الكتابة إلى أن تولى ديوان الرسائل عن الطائع والمطيع وعز الدولة بن بويه، وجهد فيه عز الدولة أن." (١)

"أشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به في الكتابة والاقتباس من معانيه. قال في «المثل السائر» : وينبغي أن يكون أول ما يحفظه من الأخبار ما تضمنه كتاب «الشهاب في المواعظ والآداب» للقضاعي «١» ، فإنه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لأنه يتضمن حكما وآدابا، فإذا حفظته وتدربت باستعماله، حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل، وعند ذلك تتصفح كتاب صحيح البخاري، ومسلم، والموطأ، والترمذي، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وغيرها من كتب الحديث؛ وتأخذ ما تحتاج إليه «وأهل مكة أخبر بشعابها» . قال: والذي تأخذه إن أمكنك درسه وحفظه فهو المراد لأن ما لا تحفظه فلست منه على ثقة؛ وإن كان لك محفوظات كثيرة: كالقرآن الكريم، ودواوين كثيرة من الشعر، وما ورد من الأمثال السائرة، وغير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه وما يأتي ذكره، فعليك بمداومة المطالعة للأخبار، والإكثار من استءمالها في كلامك، حتى ترتقم على خاطرك فتكون إذا احتجت منها إلى شيء وجدته، وسهل عليك أن تأتي به **ارتجالا**، فتأمل ذلك واعمل به. ثم قال: وكنت جردت من الأخبار النبوية كتابا يشتمل على ثلاثة آلاف خبر تدخل كلها في الاستعمال، وما زلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين، فكنت أنهي مطالعته في كل أسبوع مرة حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشذ منه عني شيء.المقصد الثاني في بيان كيفية استعمال الأحاديث والآثار في الكتابةقال الوزير ضياء الدين بن الأثير «واعلم أن أكثر الأحاديث، تدخل في الاستعمال، ولا يخرج عنه إلا القليل النادر، ولقد دار بيني وبين بعض علماء." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء؟ القلقشندي ٧٠/١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء؟ القلقشندي ٢٤٦/١

"الصنف الثالث- أرباب الوظائف الديوانيةوهذه نسخة توقيع بوزارة، من إنشاء بعض بني الأثير «١» ، وهي:الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده، وأغنانا بمزيد عطائه عن ازدياده، وجعلنا ممن استخلفه في الأرض فشكر عواقب إصداره ومباديء إيراده.نحمده- ولسان أنعمه أفصح مقالا وأفسح مجالا، وإذا اختلفت خواطر الحامدين روية كاثرها **ارتجالا-** ونسأله أن يوفقنا لتلقي أوامره ونواهيه بالاتباع، وأن يصغي بقلوبنا إلى إجابة داعي العدل الذي هو خير داع، وينقذنا من تبعات ما استرعاناه يوم يسأل عن رعيته كل راع.أما بعد، فإن الله قرن استخارته برشده، وجعلها نورا يهتدى به في سلوك جدده «٢» ، ويستمد من يمن صوابه ما يغني عن الرأي ومدده، ومن شأننا أن نتأدب بآداب الله في جليل الأمر ودقيقه، وإذا دل التوفيق امرءا على عمله دل عملنا على توفيقه، فمن عنوان ذلك أنا اصطفينا لوزارتنا من تحمدنا الأيام من أجله. وتحسدنا الملوك على مثله، ويعلم من أتى في عصره أنه فات السابقين من قبله، وهو الوزير الأجل السيد الصدر الكبير، جلال الدين، شرف الإسلام،." (١)

"والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ... ننصفك منه، وإلا المجلس الأحدفجلس يوم الأحد، فكانت أول من تقدم إليه، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: وعليك السلام، أين الخصم؟ قالت: واقف على رأسك، وأشارت إلى ابنه العباس، فقال: يا أحمد بن أبي خالد، أجلسه معها للخصومة، فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها أحمد: يا أمة الله، أنت بين يدي أمير المؤمنين وتكلمين الأمير، فاخفضي من صوتك، فقال المأمون: دعها يا أحمد؛ فالحق أنطقها، والباطل أخرسه، ثم قضى لها برد ضياعها، وأمر لها بنفقة، وكتاب إلى عامل بلدها؛ بحسن معاملتها.وحكى الأصمعي قال: كان أعرابيان متآخيين بالبادية، ثم إن أحدهما استوطن الريف، واختلف إلى باب الحجاج، فولاه أصبهان، فسمع أخوه خبره، فسار إليه فأقام ببابه حينا لا يصل إليه، ثم أذن له في الدخول، فأخذه الحاجب، فمشى به وهو يقول: سلم على الأمير، فلم يلتفت إليه، ثم أنشأ يقول:فلست مسلما ما دمت حيا ... على زيد بتسليم الأميرفقال زيد: لا أبالي، فقال الأعرابي:أتذكر إذ لحافك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعيرقال: نعم، فقال الأعرابي:فسبحان الذي أعطاك ملكا ... وعلمك القعود على السريروقدم أعرابي البصرة، فنزل على ابن عم له، فلما رأى البصري شعث الأعرابي، فأراد أن ينظفه، فقال: أن الناس يتطهرون للجمعة، وينتظفون، ويلبسون أحسن الثياب، فتعال: أدخلك الحمام؛ لتتنظف، وتتطهر للصلاة، فدخل معه الحمام، فلما وطئ الأعرابي فرش أول بيت في الحمام، ولم يحسن المشي عليه لشدة ملامسته فزلق وسقط على وجهه، فشج

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء؟ القلقشندي ١١/٣٥

شجة منكرة، فخرج وهو ينشد:وقالوا: تطهر؛ إنه يوم جمعة ... فأبت من الحمام غير مطهرتزودت منه شجة فوق حاجبي ... بغير جهاد، بئس ما كان متجريوما تعرف الأعراب مشيا بأرضها ... فكيف ببيت ذي رخام ومرمروقال محمد بن سكرة: دخلت حماما، فخرجت وقد سرقت نعري، فعدت إلى داري حافيا وأنا أقول:إليك أزف حمام ابن موسى ... وإن فاق المنى طيبا وحراتكاثرت اللصوص عليه، حتى ... ليحفى من يطيب به ويعربولم أفقد به ثوبا، ولكن ... دخلت "محمدا" وخرجت "بشرا"يريد: بشر الحافي، وكان من كباد الزهاد، لزم المشي حافيا، فلقب: الحافي.وقال بشار لراويته: أنشدني ما قال حماد في، فقال:دعيت إلى برد، وأنت لغيره ... وهبك ابن بردنكت أمكمن برد؟فقال بشار: أها هنا أحد؟ قال: لا، قال: أحسن، والله، ابن الزانية، ولقد تبين له علي في بيت واحد خمسة معان في الهجو وهي: دعيت إلى برد معي، وأنت لغيره. ثان، وهبك ابن برد معنى ثالث، ونكت أمك، شتم واستخفاف مجرد وهو معنى رابع، ثم ختمها بقوله: من برد؟ فأتى بالطامة الكبرى.وكان الحطيئة قبيح المنظر، كثير الشر، فالتمس يوما إنسانا يهجوه، فلم يجده، فوقف على ماء، وجعل يقول:أبت شفتاي اليوم إلا تكلما ... بشر ولا أدري لمن أنا قائلهثم نظر إلى الماء، فرأى وجهه، فقال:أرى لي وجها قبح الله خلقه ... فقبح من وجه، وقبح حاملهوقال أبو القاسم بن الأزرق: دخلت على الشافعي – رحمه الله – فقلت: يا أبا عبد الله، ما تنصفنا، لك هذا الفقه تفوز بفوائده. ولنا هذا الشعر، وقد جئت تداخلنا فيه، فإما أفردتنا بالشعر، أو أشركتنا في الفقه، وقد جئت بأبيات إن أجزتنا بمثلها تبت من الشعر، وإن أعجزت عنها تبت، فقال لي: إيه يا هذا، فأنشدته:ما همتي إلا مقارعة العدا ... خلق الزمان، وهمتي لم تخلقوالناس أعينهم إلى سلب الفتى ... لا يسألون عن الحجى والأولقلكن من رزق الحجى حرم الغنى ... ضدان مفترقان، أي تفرقلو كان بالحيل الغنى، لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقيفقال الشافعي: ألا قلت، كما أقول، **ارتجالا**:إن الذي رزق اليسار، فلم يصب ... حمدا ولا أجرا، لغير موفقفالجد يدني كل شيء شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلقفإذا سمعت بأن مجدودا حوى ... عودا، فأثمر في يديه، فحققوإذا سمعت بأن محروما أتى ... ماء ليشربه، فغاض، فصدق." (١)

"مجردة مطلقة رويها النون، وحرف إطلاقها الألف، ورأى في صدر البيت ذكر الزنة، تحقق أن تكون القافية رزينا ليس إلا.ومن عجائب أمثلة هذا النوع ما حكي عن عمر بن أبي ربيعة أنه أنشد عبد الله بن العباس رضي الله عنهما:تشط١ غدا دار جيراننا. فقال له عبد الله: وللدار بعد غد أبعدفقال عمر: هكذا

---

(١) حدائق الأزاهر؟ ابن عاصم الغرناطي ص/١٠٥

والله قلت: فقال عبد الله بن العباس: وهكذا يكون.ويقرب من هذه القصة قصة عدي بن الرقاع، حين أنشد الوليد بن عبد الملك، بحضرة جرير والفرزدق، قصيدته التي مطلعها: "عرف الديار توهما فاعتادها" حتى انتهى إلى قوله: "تزجي أغن كأن إبرة روقه٢". ثم شغل الوليد عن الاستماع، فقطع عدي الإنشاد، فقال الفرزدق لجرير: ما تراه يقول! فقال جرير: أراه يستلب بها مثلا. فقال الفرزدق: إنه سيقول: قلم أصاب من الدواة مدادها. فلما عاد الوليد إلى الاستماع، وعاد عدي إلى الإنشاء، قال البيت: فقال الفرزدق: والله لما سمعت صدر بيته رحمته، فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا.قال زكي الدين بن أبي الأصبع: الذي أقوله إن بين ابن العباس وبين الفرزدق، في استخراجهما العجزين، كما بينهما في مطلق الفضل، وفضل ابن عباس رضي الله عنهما معلوم، وأنا أذكر الفرق: فإن بيت عدي بن الرقاع من جملة قصيدة تقدم مطلعها مع معظمها، وعلم أنها دالية مردفة بألف، وهي من وزن قد عرف، ثم تقدم في صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفا لها، قد أخذ الشاعر في تشبيه طرف قرنه بالقلم في سواده، وهذه القرائن لا تخفى على أهل الذوق الصحيح أن فيها ما يدل على عجز البيت، بحيث يسبق إليه من هو دون الفرزدق من حذاق الشعراء، وبيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته من أي ضرب هي من القوافي، ولا رويه من أي الحروف، ولا حركة رويه من أي الحركات، فاستخراج عجزه **ارتجالا** في غاية العسر ونهاية الصعوبة، لولا ما أمد الله تعالى به هؤلاء الأقوام من المواد التي فضلوا بها عن غيرهم، انتهى كلام ابن أبي الأصبع.وبين التوشيح والتصدير فرق ظاهرمثل الصبح، ولم يحصل الالتباس إلا لكون كل منهما يدل صدره على عجزه، والفرق أن دلالة التصدير لفظية، ودلالة التوشيح معنوية،_____________١ تشط: تبعد.٢ تزجى تسوق، الأغن: الخشف وهو ولد الظبية ذي الصوت الذي به غنة، الإبرة: الطرف، روقه: قرنه.." (١)

"ومثله قول الشيخ شمس الدين بن العفيفرأى رضابا عن تسليه ... أولو العشق سلواما ذاقه وشاقه ... هذا وما كيف ولو١ومن لطائف الصاحب بهاء الدين زهير في هذا النوع قوله من أبيات:فما كان أحسن من مجلسي ... فحدث بما شئت عن ليلتيبشمس الضحى وببدر الدجى ... على يمنتي وعلى يسرتيوبت وعن خبري لا تسل ... بذاك الذي وبتلك التي٢ومن لطائفه أيضا أنه كتب إلى بعض أصحابه وكان اسمه يحيى، وقد بلغه أنه شرب دواء أبياتا أولهاسلمت من كل ألم ... ودمت موفور النعمفي صحة لا ينتهي ... شبابها إلى الهرميحيا بك الجود كما ... يموت يا يحيى العدموبعد ذا قل لي ما ... كان من الأمر وكمأظرف منه ولم يخرج عما نحن فيه من بديع الاكتفاء وزيادة التورية ما وقع لشهاب الدين التلعفري، مع

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي؟ الحموي، ابن حجة ٢٢٣/١

شمس الدين الشيرجي بين يدي الملك الناصر، وما ذاك إلا أنهما حضرا بين يديه في ليلة أنس، فاتفق أن شمس الدين الشيرجي ذهب إلى ضرورة وعاد، فأشار إليه الملك الناصر أن يصفع التلعفري، وكان شمس الدين رجلا ألحى٤ فلما صفع التلعفري نهض على الفور وقبض على لحية الشيرجي وأنشد **ارتجالا** ويده فيها:قد صفعنا في ذا المحل الشريف ... وهو إن كنت ترتضي تشريفيفارث للعبد من مصيف صفاع ... يا ربيع الندى وإلا خريفيوما أحلى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في هذا النوع مع زيادة اللف والنشر والاكتفاء في البيتين:______________١ هكذا ورد؟ والأصح على ما نرى: "هذا وما وكيف لو" أي بتقديم الواو. وتقدير الكلام: هذا وما ذاقه، وكيف لو ذاقه.٢ بذاك الذي على يمنتي وبتلك التي على يسرتي.٣ وكم كان.٤ ألحى: ملتحيا، أي صاحب لحية.." (١)

"ومن الأراجيز المرتجلة، التي سارت الركبان ببلاغة ارتجالها ولطف انسجامها، أرجوزة الشيخ زين الدين عمر بن المظفر الوردي، سقى الله ثراه، التي ارتجلها بدمشق المحروسة عند الامتحان المفحم. فقد ذكر الشيخ الإمام العلامة إمام المحدثين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، أن الشيخ زين الدين المشار إليه قدم دمشق المحروسة، في أيام القاضي نجم الدين بن صصري تغمده الله برحمته ورضوانه، فأجلسه في الصفة المعروفة بالشباك في جملة الشهود، وكان يومئذ زري١ الحال، فاستخف به الشهود، فحضر يوما كتابة مشتري ملك، فقال بعضهم: أعطو المعري يكتبه على سبيل الاستهزاء فقال الشيخ: ارسموا لي أكتبه، نظما ونثرا. فزاد استهزاؤهم به فقالوا: بل نظما. فأخذ الطرس وكتب **ارتجالا** ما صورته:باسم إله الخلق هذا ما اشترى ... محمد بن يونس بن سنقرامن مالك بن أحمد بن الأزرق ... كلاهما قد عرفا من جلقفباعه قطعة أرض واقعة ... بكورة الغوطة وهي جامعة٢لشجر مختلف الأجناس ... والرض في البيع مع الغراسوذرع ذي الأرض بالذراع ... عشرون في الطول بلا نزاعوذرعها في العرض أيضا عشره ... وهو ذراع باليد المعتبرهوحدها من قبلة ملك التقى ... وحائز الرومي حد المشرق٣ومن شمال ملك أولاد علي ... والغرب ملك عامر بن جهبلوهذه تعرف من قديم ... بأنها قطعة بنت الروميبيعت صحيحا لازما شرعيا ... ثم شراء قاطعا مرعيابثمن مبلغه من فضه ... وازنة جيدة مبيضهجارية للناس في المعامله ... ألفان منها النصف ألف كاملةقبضها البائع منه وافيه ... فعادت الذمة منها خاليهوسلم الأرض إلى من اشترى ... فقبض القطعة منه وجربينهما بالبدن التفرق ... طوعا فما لأحد تعلق______________١ زري الحال: سيئ الحال،

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي؟ الحموي، ابن حجة ٢٨٥/١

أزرى به الفقر وضايقه.٢ الكورة: الناحية.٣ قبلة: الجهة الجنوبية. وسميت القبلة لأنها الجهة التي فيها القبلة التي نوليها إلي١٠ وجوهنا في الصلاة.." (١)

"ومن اختراعاته قوله:على وجنتيه جنة ذات بهجة ... ترى لعيون الناس فيها تزاحماحمى ورد خديه حماة عذاره ... فيا حسن ريحان العار حماحما١ "حمى حمى"ومثله قوله:أرسلت عيني بدمعيهما ... بين يدي من قد تمادى جفاهاأسأله في فمه قبلة ... فلم يميلاه ولم يعطفاه "يعط فاه"ومثله قوله:سألتها رشف ريق ... مستعذب الطعم حلوقالت فصفني ارتجالا ... فقلت بعد التروي٢ومن لطائف نكته في هذا الباب، قوله:ازداد خدك شعرا ... فازداد قلبي حباإذ كان وردك جمري ... فيه فصار مربى٣ومن لطائفه قوله:ألا لا تلوموني فلست بمقلع ... إذا انحدرت من كأسها الراح في حلقيسآوي إلى بحر من الخمر مترع ... أحط المراسي عنده فأمل لي واسقي "وسقي"٤وقوله:ذكرك لي في اللوم مستحسن ... واللوم عندي غير مستحسنكم قلت للمعرب في لومه ... إن جئت نحوي قط لا تلحن "ني"٥ومن لطائف مجونه مع حسن التضمين:وخل سمته صفعا بمال ... فقال توازعوه يا صحابي٦إذا الحمل الثقيل توازعته ... أكف القوم هان على الرقاب____________١ الحماحم: الحبق، نبات طيب الرائحة.٢ التروي: الشبع والتأني.٣ مربى: من الحلويات وذو تربية.٤ الوسق: مكيال مقداره ستون صاعا والصاع خمسة أرطال وثلث، والرطل كيلوان ونصف، وعن هذا يكون الوسق: سبعماية وخمسون كيلو أو لترا. وتجمع على أوسق.٥ تلحن: تخطئ في النحو وتلومني.٦ سام: طلب الشراء.." (٢)

"حجة.وذكر قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في ترجمة أبي علي الفارسي أنه كان يوما يساير عضد الدولة بن بويه في ميدان سيران فقال له لم انتصب المستثنى في قولنا قام القوم إلا زيدا فقال الشيخ بفعل مقدر تقديره استثنى زيدا فقال له عضد الدولة هل رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد فانقطع وقال هذا الجواب ميداني ثم إنه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاما حسنا وحمل إليه فاستحسنه وحكى أبو القاسم أحمد الأندلسي قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي الفارسي وأنا حاضر فقال إني لأغبطكم على قول الشعر فإن خاطري لا يوافقني إلى ذلك مع تحقيق العلوم التي هي من معادنه فقال له رجل فما قلت قط شيئا منه قال ما أعلم أن لي شعرا غير ثلاثة أبيات في الشيب وهو قولي:خضبت الشيب لما كان عيبا ... وخضب الشيب أولى أن يعاباولم أخضب مخافة هجر خل ... ولا عيبا خشيت ولا عتاباولكن المشيب

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي؟ الحموي، ابن حجة ٤٧٣/١

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي؟ الحموي، ابن حجة ٢٢٢/٢

بدا ذميما ... فصيرت الخضاب له عقاباومن لطائف المنقول أن أبا محمد الوزير المهلبي كان في غاية من الأدب والمحبة لأهله وكان قبل اتصاله بمعز الدولة بن بويه في شدة عظيمة من الضرورة والمضايقة وسافر وهو على تلك الحالة ولقي في سفره شدة عظيمة فاشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال **ارتجالا:**إلا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه." (١)

"منشئه وكان يقول الخبر ليومه والطبيخ لساعته والنبيذ لسنته.ومن بديع نثره ما كتبه عن أمير المؤمنين إلى بعض الخارجين يتهددهم ويتوعدهم أما بعد فإن لأمير المؤمنين أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمه والسلام. وهذا الكلام وجازته في غاية الإبداع وينشأ منه بيت شعر وهو:أناة فإن لم تغن عقب بعدها ... وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمهوكان يقول ما اتكلت في مكاتيبي إلا على ما يتخيله خاطري ولا يجلس في صدري إلا قولي وصار ما يحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم وقولي من أخرى فانزلوه من معقل إلى عقال وبدلوه آجالا من آمال فإني ألممته بقولي آجالا من آمال بقول مسلم بن الوليد الإنصاري المعروف بصريع الغواني:موف على مهج في يوم ذي وهج ... كأنه أجل يسعى إلى أملوفي المعقل والعقال بقول أبي تمامفإن باشر الأضحى فبالبيض والقنا ... قراه وأحواض المنايا مناهلهوإن تبن حيطانا عليه فإنما ... أولئك عقالاته لا معاقلهوإلا فأعلمه ساخط ... عليه فإن الخوف لا شك قاتلهومن رقيق شعره حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر فقال **ارتجالا:**صد عني وصدق الأقوال ... وأطاع الوشاة والعذالا." (٢)

"في الدرع قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وأنها حصن حصين قال فما تقول في السيف قال هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال: لم تقل لا أم لك، قال: الحمى أصرعتني يا أمير المؤمنين: الشريف البياضي:إنا إذا الأرواح ذابت مخافة ... فتحنا باشطان الرماح ركابهامتى ما أردنا أني ذاق حديدنا ... خلقنا بحد المشرفية فاههاوقال أبو العلاء المعري:غراراه لسانا مشرفي ... يقول غرائب الموت **ارتجالا**وديث فوقه حمر المنايا ... ولكن بعدما مسخت نمالايذيب الرعب منه كل عضب ... فلولا الغمد يملكه لسالاوقال النامي:ذو مدمع من غير ما مستعير ... وتبسم من ثغره متواليبريك من لألآئه متوقدا ... حنق المنون به على الآجالوقال الغنوي:كأن على إفرنده موج لجة ... تقاطر في حافاته وتجولحسام غذاء

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات؟ الحموي، ابن حجة ٨٠/١

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات؟ الحموي، ابن حجة ٥١/٢

الروح حتى كأنه ... من الله في قبض النفوس رسولوقال وحيد الدين بن الذروري:فتقت بأجساد الأسود لواحظا ... رنت للمنايا عن عيون الثعالبوأنطقت أفواها إلى قمم العدا." (١)

"يا شيخ أما تستحي كلما تراني جالسا تجيء تركب أكتافي وأنت لست تعرف ما أطالعه ولا لك شعور به فلما أخجله بهذا التعنيف قال له يا سيدي الشيخ ما هذا الذي تطالع فيه من العلوم فقال شيء في الأقتباس فقال له أنشدني منه شيئا ففكر ابن كثير ساعة واقتبس في مطالعة الحال وقال:كيد حسودي وهنا ... ولي سرور وهناالحمد لله الذي ... أذهب عنا الحزنافلما فرغ من إنشاده قال له هذا الذي أفكرت فيه وتتكثر به أسمع ما أقول فأنشد **ارتجالا** من غير وقفة:قلبي إلى الرشد يسير ... وعنده النظم يسيرالحمد لله الذي ... فضلنا على كثيرواعتذر له وقال له إياك أن تزدري بأحد فإن مواهب الله تعالى في الصدور لا في الثياب انتهى.ومن اللطائف ما حكي أن بعض الملوك حاصر ملكا وأطال في حصاره فلما اشتد به المحاصرة استدعى بوزرائه فقال ما ترون وقد تأخرت بنا هذه الحال هل نسلمه أم نخرج عليه ليلا ويفعل الله بنا ما يشاء فقال بعض وزرائه قد بدا لي رأي أرى أنهم ينصرفون به عنا من غير قتال فقال ما هو قال يجمع مولاي ما في خزانته من الذهب ويحضره فلما أحضره استدعى بالصياغ وأمرهم أن يصوغوه جميعه سهاما زنة كل سهم قدر معلوم فعملت على الأمر المذكور فكتب الوزير على كل نصل سطرين ثم أمر أن." (٢)

"تركب السهام فلما ركبت أمر حاشية الملك بأن يأخذ كل واحد سهما وأمرهم أن يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فتلألأ لمعان نصالها حتى أدهش العيون فأمر الملك أن تجمع فلما جمعت بين يديه أمر أن يقرأ ما عليها فإذا هو مكتوب:ومن جوده يرمي العفاة بأسهم ... من الذهب الابريز صيغت نصولهالينفقها مجروحها في دوائه ... ويشتري الأكفان منها قتيلهافلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا لا يحاصر ولا يقاتل.ومن ذلك ما يحكي أن الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوي رحمه الله تعالى كان يتعشق مليحا فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلع في دبره فسأله فقال دمل في ذلك المحل فضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال ما رأيت أعجب من هذا الدمل فقال له الشاب ولم قال الدمامل تطلع في أضيق المواضع وهذا على غير القياس جاء في أوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى انتهى.لطيفة يحكى أن نقيب الأشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقة فأخذه ابن المنير الطرابلسي

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات؟ الحموي، ابن حجة ٢/١٢٦

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات؟ الحموي، ابن حجة ٢/٢٢٣

يوما وأضافه وجلس في طبقة له فذهب إليهم على خفية وقال:يا من هم في الطبقة ... هل عندكم من شفقةلسائل متيم ... يطلب منكم صدقةفأجابه ابن المنير **ارتجالا** في الحال بقوله:يا من أتانا سرقة ... بمهجة محترقةجدك يا ذا لم يجز ... أخذك منا صدقة." (١)

"وكان في المجلس النواجي الشاعر فأنشد **ارتجالا**:وغنت فظل الجنك يطرق نفسه ... وجادت لها بالروح منها المزامرومن لحظها الهندي في غمده اختفى ... وظبي الفلا في لفتة وهو نافرومن وجنتيها الورد راح بخجلة ... ألست تراه أحمرا وهو فاترومن ريقها الصهبا شكت نار شوقها ... فاطفأها بالماء ساق مسامرذكر ابن شاكر الكتبي في تاريخه في ترجمة شمس الدين بن عفيف الدين التلمساني أن جماعة من أهل الأدب اجتمعوا وعملوا سماعا وفيهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاما مليحا إلى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده:أرسلتما لي رسولا في رسالته ... حلو المراشف والأعطاف والهيفوقد تمادى يسيرا ذاك أنكما ... أوقدتما النار في أحشاء ذي دنففلما حضر والده شمس الدين وأخبره بالقضية كتب إلى ولده:مولاي كيف انثنى عنك الرسول ولم ... تكن لوردة خديه بمقتطفجاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة ... فكيف ردت بلا ثقب إلى الصدفومما نقلته من التاريخ المذكور أن علية بنت المهدي العباسية أخت أمير المؤمنين هارون الرشيد كانت من أحسن خلق الله وجها وأظرف النساء وأعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى بن عيسى العباسي وكان الرشيد يبالغ في إكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها إلى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها في خادمين اسم الواحد طل والآخر رشاء فمن قولها في طل وصحفت اسمه:أيا سروة البستان طال تشوقي ... فهل إلى ظل لديك سبيلمتى يلتقي من ليس يقضى خروجه ... وليس لمن يهوى إليه وصولفبلغ الرشيد ذلك فحلف أنها لا تذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما فوجدها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فإن لم يصيبها وابل فقالت فإن لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبتك طلا ولا منعتك بعد هذا عما تريدين وكانت من أعف الناس كانت إذا طهرت لازمت المحراب وإن لم تكن طاهرة غنت ولما خرج الرشيد إلى

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات؟ الحموي، ابن حجة ٢/٢٢٤

الري أخذها معه فلما وصل إلى المرج نظمت قولها:ومغترب بالمرج يبكي لشجوه ... وقد غاب عنه المسعدون على الحب." (١)

"فقام أبو نصر، وقبل الأرض واستأذن في إجارتها، فأذن له فقال:وليلتنا هذه ليلة ... تشاكل أشكال إقليدسفيا ربة العود حتى الغنا ... ويا حامل الكأس لا تحبسفخلع عليه وعلى جميع من حضر مجلسه، وحمل إليه حلة سنية.ولله در الأديب مظفر بن محاسن الدلال، أحد شعراء دمشق في الأيام الناصرية يوسف بن غازى صاحب حلب، حيث يقول:كن محسنا مهما استطعت فهذه الد ... نيا وإن طالت قصير عمرهاإن المآثر في الورى دراته ... يفنى مؤثرها، ويبقى ذكرهافترى الكريم كشمعة من عنبر ... ضاءت، فإن طفيت تضوع نشرهاوما أحسن قول أبي الحسين عمر بن يعقوب الأنبارى «١» - أحد عدول بغداد- وقد رثى الوزير محمد بن محمد بن بقية، الملقب بنصر الدولة، وزير عز الدولة بختيار ابن معز الدولة أحمد بن بويه لما قتله عضد الدولة أبو شجاع فنا خسره ابن ركن الدولة أبي الحسن بن بويه، وصلبه بقوله:علو في الحياة، وفي الممات............... الأبيات التى لم يقل في مصلوب مثلها، فلم يزل عضد الدولة يطلبه مدة سنة حتى أتاه بأمان فقال له:«ما حملك على رثاء عدوى؟» .فقال: «حقوق وجبت، وأياد سلفت، فجاش الحزن في قلبى، فرثيت» .وكان بين يدى عضد الدولة شموع تزهر فقال: «هل يحضرك في هذه الشموع شيء» فأنشد **ارتجالا:** كأن الشموع وقد أطهرت ... من النار في كل رأس سناناأصابع أعدائك الخائفين ... تضرع تطلب منك الأمانافخلع عليه، وأعطاه فرسا وبدرة.." (٢)

"ناديتها ودموعها ... تحكى سوابق عبرتنوالنار من زفراتها ... تحمى تلهب زفرتماذا التجنب والبكا ... ءفأعربت عن قصتقالت: فجعت بمن هوي ... ت فمحنتى من منحتبالنار فرق بيننا ... وبها أفرق حملتوقال أيضا:إذا صال البلى وسطا عليها ... تلقته بذل في التوانىإذا خضعت تقط بحسن مس ... فتحنى في المقام بلا توانكأنى مثلها في كل حال ... أمرت بكم، وتحببنى الأمانوقال الفتح بن خاقان «١» في كتاب العقيان: «ركب عبد الجليل بن وهبون وأبو الحسن غلام البكرى نهر إشبيلية في ليلة أظلم من قلب الكافر، وأشد سوادا من طرف الظبى، ومعهما غلام وضى قد أطلع وجه البدر ليلة تمامه، على غصن بان من قوامه، وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء، ومزقتا رداء الظلماء، وموهتا بذهب، ونورهما لجين الماء، فقال عبد الجليل **ارتجالا:** كأنما الشمعتان إذ سمتا ... خد غلام محسن الغيدوفي

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات؟ الحموي، ابن حجة ٢/ ٢٧٧

(٢) رسائل المقريزي؟ المقريزي ص/٣٣٦

حشا النهر من شعاعهما ... طريق نار الهوى إلى كبدوقال غلام البكرى:أحبب بمنظر ليلة ليلاء ... تجنى بها اللذات فوق الماءفى زورق يزهو بغرة أغيد ... يختال مثل البانة الغناءقرنت يداه الشمعتين بوجهه ... كالبدر بين النسر والجوزاءوالتاج فوق الماء ضوء منهما ... كالبرق يخفق في غمام سماء." (١)

"واعلم بأنك ما ابتليت بحادث ... إلا به دفع الذي هو أعظمقال ابن حبان في كتاب روضة العقلاء: حدثني أبو طلحة محمد بن محمد البغدادي، حدثنا محمد بن الوليد بن أبان، حدثنا نعيم بن حماد قال: أنشدنا ابن المبارك:ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ... ولن ترى قانعا ما عاش مفتقراالعرف من يأته يحمد عواقبه ... ما ضاع عرف ولو أوليته حجراوقال القاضي أبو الحسن هبة الله بن عبد الله السني، أسنده ابن النجار:سألت الثمانين من خالقي ... لما جاء فيها عن المصطففبلغنيها وشكرا له ... وزاد عليها وقد نيفاوأخرج ابن عساكر في تاريخه عن أبي الفرج علي ابن الحسين الأصبهاني الكاتب، قال: أنشدنا علي بن سليمان الأخفش لأيمن بن خريم، قال: وأخذ معناه من قول ابن عباس: إذا بلغ المرء أربعين سنة ولم يتب أخذ إبليس بناصيته وقال: حبذا من لا يفلح أبدا:إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يأتي حياء ولا سترفدعه ولا تنفس عليه الذي أتى ... ولو مد أسباب الحياة له العمروقال ابن النجار: أنبأنا أبو القاسم الأزجي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عمر السمرقندي قال: أنشدنا الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف صاحب التنبيه الفيروز أبادي لنفسه:يحذرنا قوم حدوث شدائد ... فقلت لهم مهلا فذلك لا يدريفلا تجزعوا مما يقال فإنه ... إذا أنزل الله البلا أنزل الصبراوأخرج ابن النجار من طريق الصولي قال: حدثني الحسين بن علي الباقطابي قال: سمعت أبا جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري الكاتب ينشد:لا يكون السري مثل الدني ... لا ولا ذو الذكاء مثل الغبيقيمة المرء مثل ما يحسن المر ... ء قضاء من الإمام عليوقال بعضهم أورده الخطيب:الناس في صورة التمثال أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواءفإن يكن منهم في أصله شرف ... يفاخرون به فالطين والماءما الفضل إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاءوقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداءوقال بعضهم، أورده ابن النجار:من شاء عيشا رخيا يستفيد به ... في دينه ثم في دنياه إقبالافلينظرن إلى من فوقه أدبا ... ولينظرن إلى من دونه مالاوأخرج ابن النجار عن أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي قال أنشدنا ابن الوراق النحوي ببغداد:وإذا تكامل للفتى من عمره ... خمسون وهو إلى التقى لا يجنحعكفت عليه المخزيات فما له ... متأخر عنها ولا متزحزحوإذا رأى الشيطان غرة وجهه ... حيا وقال فديت من لا يفلحوقال سهل بن حنظلة

---

(١) رسائل المقريزي؟ المقريزي ص/٣٤١

الغنوي، أورده ابن النجار:ولو أن رزق العبد في رأس صخرة ... من الصم في طود من الشم صاقبإذن لأتاه العبد حتى يناله ... ولو كان مضياعا له غير طالبوقال بعضهم، أورده ابن النجار:ولو كانت الدنيا ثوابا لمحسن ... إذن لم يكن فيها معاش لظالملقد جاع فيها الأنبياء كرامة ... وقد شبعت فيها بطون البهائموقال ابن عساكر: أنشدني الأكفاني عن ابن الكتاني عن أحمد بن يحيى بن سهل المنبجي، أنشدني أحمد بن فارس الأديب، أنشدني القاسم بن محمد بن القاسم الشريف الحسني المعروف بابن طباطبا الأديب الشاعر:حسود مريض القلب يخفي أنينه ... ويضحي كئيب البال عندي حزينهيلوم على أن رحت في العلم راغبا ... أجمع من عند الرواة فنونهوأعرف أبكار الكلام وعونه ... وأحفظ مما أستفيد عيونهويزعم أن العلم لا يجلب الغنى ... ويحسن بالجهل الذميم فنونهفيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمة كل الناس ما يحسنونهقال بعضهم: حضرت مجلس كافور، فدخل رجل ودعا له وقال: أدام الله أيام مولانا، فكسر الميم من أيام، فتحدث الحاضرون في ذلك وعابوه عليه، فقال أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حشيش اللغوي، وكان حاضرا، **ارتجالا**:." (١)

"وأورد لها ابن الأنبار في تحفة القادم، والملاحي في تاريخه، وابن سعيد في المغرب مما قالته للملك الأعظم عبد المؤمن بن علي **ارتجالا** بين يديه:يا سيد الناس يا من ... يؤمل الناس رفدهامنن علي بصك ... يكون للدهر عدهتخط يمناك فيه ... والحمد لله وحدهوقال ابن دحية في كتاب المطرب من أشعار أهل المغرب حفصة بنت الحاج من أشراف غرناطة. رخيمة الشعر، رقيقة النظم والنثر، وأنشدني لها غير واحد من أهل غرناطة:." (٢)

"فشرحوه حتى قيل إنه وجد له ما يزيد على أربعين شرحاومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندي بسند صحيح متصل بيتان وهما(أبعين مفتقر إليك نظرتني ... فأهنتني وقذفتني من حالق)(لست الملوم أنا الملوم لأنني ... أنزلت آمالي بغير الخالق) // الكامل //ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي بقوله(لا رعى الله سرب هذا الزمان ... إذ دهانا في مثل ذاك اللسان)(ما رأى الناس ثاني المتنبي ... أي ثان يرى لبكر الزمان)(كان من نفسه الكبيرة في جيش ... وفي كبرياء ذي سلطان)(هو في شعره نبي ولكن ... ظهرت معجزاته في المعاني) // الخفيف //ويحكى أن المعتمد بن عباد اللخمي صاحب قرطبة وإشبيلية أنشد يوما في مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته

---

(١) الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار؟ السيوطي ص/٧

(٢) نزهة الجلساء في أشعار النساء؟ السيوطي ص/٤١

المشهورة وهو(إذا ظفرت منك العيون بنظرة ... أثاب بها معيي المطي ورازمه) // الطويل //وجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسي فأنشد **ارتجالا**(لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما ... تجيد العطايا واللها تفتح اللها)." (١)

"والحارث بن حلزة هو من بني يشكر من بكر بن وائل وكان أبرص وهو القائل(آذنتنا ببينها أسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء) // الخفيف //ويقال إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند **ارتجالا** في شيء كان بين بكر وتغلب في الصلح وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذي كان به فأمر برفع السجف بينه وبينه استحسانا له وكان الحارث متوكئا على عنزة فأثرت في جسده وهو لا يشعر وكان له ابن يقال له مذعور ولمذعور ابن يقال له شهاب ابن مذعور وكان ناسبا وفيه يقول مسكين الدارمي(هلم إلى ابن مذعور شهاب ... ينبئ بالسفال وبالمعالي) // الوافر //قال الأصمعي قد أقوى الحارث بن حلزة في قصيدته التي ارتجلها(فملكنا بذلك الناس إذ ما ... ملك المنذر بن ماء السماء)قال أبو محمد ولن يضر ذلك في هذه القصيدة لأنه ارتجلها فكانت كالخطبة٥٩ - (وألفى قولها كذبا ومينا ...) هو من الوافر وصدره." (٢)

"٨٠ - (يقعي جلوس البدوي المصطلى ...)قائله المتنبي من أرجوزة قالها **ارتجالا** في مجلسه يصف كلبا أخذ ظبيا وحده بغير صقر وأولها(ومنزل ليس لنا بمنزل ... ولا لغير الغاديات الهطل)(ندى الخزامى ذفر القرنفل ... محلل ملوحش لم يحلل)(عن لنا فيه مراعي مغزل ... محين النفس بعيد الموئل)(كأنه مضمخ بصندل ... معترضا بمثل قرن الأيل)(يحول بين الكلب والتأمل ... فحل كلابي وثاق الأحبل)(عن أشدق مسوجر مسلسل ... أقب ساط شرس شمردل)(منها إذا يثغ له لا يغزل ... مؤجد الفقرة رخو المفصل)(له إذا أدبر لحظ المقبل ... يعدو إذا أحزن عدو المسهل)(إذا تلا جاء المدى وقد تلي ...)وبعده البيت وبعده." (٣)

"لا بد من ميتة في صرفها غير ... والدهر في صرفه حول وأطواريا صخر وراد ماء قد تبادره ... أهل الموارد ما في ورده عاريمشي السبنتي إلى هيجاء معضلة ... له سلاحان أنياب وأظفاروأن صخرا لمولانا وسيدنا ... وإن صخرا إذا يشتو لنحاروأن صخر التأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نارلم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلي بيته الجارولا تراه وما في البيت ياكله ... لكنه بارز بالصخر مهمارطلق اليدين

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص؟ أبو الفتح العباسي ٣١/١

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص؟ أبو الفتح العباسي ٣١٠/١

(٣) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص؟ أبو الفتح العباسي ٤٨/٢

بفعل الخير ذو فخر ... ضخم الدسيعة بالخيرات اماروقالت أيضا:ألا يا صخر إن أبكيت عيني ... فقد ضحكتني زمنا طويلابكيتك في نساء معولات ... وكنت أحق من أبدى العويلارفعت بك الخطوب وأنت حي ... فمن ذا يرفع الخطب الجليلاإذا قبح البكاء على قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلاوأدركت الخنساء الاسلام، وحسن إسلامها، فقالت لها عائشة يوما أتبكين صخرا وهو في النار، فقالت هو أشد لجزعي عليه وادعي للبكاء فعد من الأجوبة المسكتة.ومنهم هدبة بن الخشرموكان معروفا بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروءة، وله أخ اسمه حوط وأخت اسمها سلمى تزوج بها زيادة بن اليزيد الذبياني، وهو رئيس قومه فراهنه أخو هدبة يوما على اطلاق جملين يوما وليلة في القيظ وحملوا الماء، فأخذت أخت هدبة ماء زوجها إلى أخيها فقصرت لذلك ابل زيادة فسبها فغضب حوط فثار بينهما شر.وعلم هدبة فبيت زيادة فقتله ورفع الأمر إلى سعيد بن العاص عامر معاوية على المدينة وقد هرب هدبة فحبس عمه، فجاء وسلم نفسه ومضى أخو زيادة فشكا إلى معاوية فأرسل إلى سعيد أن يقود هدبة إن قامت البينة، فكره الحكم وأرسلهم إلى معاوية فسال هدبة عن الخبر فقال تريده نثرا أو نظما فقال نظما فأنشد:ألا يا قومي للنوائب والدهر ... للمرء يردي نفسه وهو لا يدريوللأرض كم من صالح قد ترا ... كمت عليه فوارته بلماعة قفرإلى أن ذكر القصة التي ذكرناها، وأنه قتله. فقال معاوية قد أقررت فهل للمقتول ولد قالوا نعم. قال ردوه حتى يبلغ فحبس ثلاث سنين. فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها أرسل إلى زوجته، وكانت من أجمل النساء وكان بها مغرما، فحضرت إليه في طيب وثياب فاخرة، فحادثها ليلة، وراودها عن نفسها فأجابت فحين تمكن وسمعت الحديد اضطربت فتنحى عنها وأنشد:أأدنيتني حتى إذا ما جعلتني ... لدى الخصر أو أدنى استقلك راجفرأت ساعدي غول وتحت ثيابه ... جآجيء يدمي حزها والحراقفوحين أخرج للقتل مر على زوجة مالك بن عوف، فقالت في سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك فأنشد **ارتجالا:**تعجب حبي من أسير مكبل ... صليب العصا باق على الرسفانفلا تعجبي مني حليلة مالك ... كذلك يأتي الدهر بالحدثانونظر إلى زوجته فجزع وأنشد:أقلي علي اللوم يا أم بو زعا ... ولا تجزعي مما أصاب فاوجعاولا تنكحي إن فرق الدهر بيننا ... اغم القفا والوجه ليس بانزعاكليلا سوى ما كان من حد ضرسه ... لدى الزاد مبطان العشيات أروعاضروبا بلحييه على عظم زوره ... إذا الناس هشوا للفعال مقنعاوتحلى بذي أكرومة وحمية ... وصبرا إذا ما الدهر عض فأسرعاوكوني حبيبا أو لأروع جاهد ... إذا ضن أعشاش الرجال تبرعاوجعل الناس يستخبرون خبره وهو يجيب كلا عن سؤاله وينشد الأشعار وهم يتعجبون، فقال له عبد الرحمن بن حسان أتزوج هذه بعدك يريد زوجته فقال إن كنت بالشروط التي ذكرتها

لها وأنشد أقلى على اللوم الأبيات ثم نظر إلى زوجة مالك وقد قالت له كيف تصبر عن هذه فأنشد:وجدت بها ما لم تجد أم واحد ... ولا وجد حبي بابن أم كلاب." (١)

"تحنو الضلوع على القلوب وإنني ... ضلع ثوى فيها بأعضل داء وله وقد أهدى وردا:خذها إليك أبا عبد الإله فقد ... جاءتك مثل خدود زانها الخفرأتتك تحكي سجايا منك قد عذبت ... لكن تغير هذا دونه الغيرإن شمت منها بروق الغيث لامعة ... فسوف يأتيك من ماء لها مطر قال: وكتب إلي مع تحفة أهداها مكافئا عن مثلها:يا واحد الأدب الذي قد زانه ... بمناقب جعلته فارس مقنبه (١)بالفضل في الهبة ابتدأت فإن تعر ... طرف القبول لما وهبت ختمت به قال: وله **ارتجالا** بعصر الإماة من بلنسية وأنا حاضر في صبيحة بعض الجمع، وقد حجم صاحب لنا من أهل النظم والنثر، وأحسن إلى الحجام المخصوص (٢) :أرى من جاء بالموسى مواسى ... وراحة ذي القريض تعود صفرافهذا مخفق إن قص شعرا ... وهذا منجح إن قص شعرا وله أيضا:هو ما علمت من الأمير، فما الذي ... تزداد منه وفيه لا يرتاب؟لا تتقي الأجناد في أيامه ... فقرا، ولا يرجو الغنى الكتاب وله بعد انفصاله من بلنسية عن وحشة في ذي القعدة سنة ٦٢٨:أسير بأرجاء الرجاء، وإنما ... حديث طريقي طارق الحدثان______________(١) ك: منصبه.(٢) ك: بالخصوص.." (٢)

"ثم قال شعرا منه:عجبت لمن أبقى على خمر دنه ... غداة رأى لوز الحديقة نورا ولا أذكر بقية الأبيات، قال جدي: ثم اجتمعت به بعد ذلك بغرناطة، فذكرته باجتماعه في منية الزبير، فتنهد وفكر ساعة وقال: اكتبوا عني، فكتبنا:سقى الله بستان الزبير، ودام في ... مجاريه سيل (١) النهر ما غنت الورقفكائن لنا من نعمة في جنابه ... كبزته الخضراء طالعها طلقهو الموضع الزاهي على كل موضع ... أما ظله ضاف أما ماؤه دفقأهيم به في حالة القرب والنوى ... وحق له مني التذكر والعشقومن ذلك النهر الخفوق فؤاده ... بقلبي ما غيبت عن وجهه خفق قال: فقلت له: جمع الله بينك وبينه على الحالة التي تشتهي، قال: ذلك لك، قلت: وكيف ذلك؟ قال: تدفع لي هذا السيف الذي تقلدت به أتزود به إليه، وأنفق الباقي فيه على ما تعلم، قال: فقلت له: هذا سيف شرفني به السلطان أبو زكرياء ابن غانية، وما لعطائه سبيل، ولكن أعطيك قيمته، فخرج وأبى بشخص يعرف قيمة السيوف، فقدره وجعل يقول: إنه سيف السلطان ابن غانية، ليعظم قدره في عينه فيزيد في قيمته، ثم قبض ما قدر به، وأنشد **ارتجالا**:أطال الله عمر فتى سعيد

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق؟ داود الأنطاكي ص/١٢٧

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣١٦/١

... وبقاه ورقته السعودغدا لي جوده سببا لعودي ... إلى وطين فها أنا ذا أعودوألثم كفه شكرا ويتلو ... طريقي آي نعماه النشيد______________(١) ك ج ط: ذراه مسيل.." (١)

"وأنت فيها كسيف ... قد حل في غمدان (١) فقام صاعد، وكان مناقضا له، فقال: أسعد الله تعالى الحاجب الأجل، ومكن سلطانه؛ هذا الشعر الذي قاله (٢) قد أعده وروى (٣) فيه أقدر أن أقول أحسن منه **ارتجالا**، فقال له المنصور: قل ليظهر صدق دعواك، فجعل يقول من غير فكرة طويلة (٤) :يا أيها الحاجب المع ... تلي على كيوانومن به قد تناهى ... فخار كل يمان (٥)العامرية أضحت ... كجنة الرضوانفريدة لفريد ... ما بين أهل الزمان ثم مر في الشعر إلى أن قال في وصفها:انظر إلى النهر فيها ... ينساب كالثعبانوالطير يخطب شكرا ... على ذرا الأغصانوالقضب تلتف سكرا ... بميس القضبانوالروض يفتر زهوا ... عن مبسم الأقحوانوالنرجس الغض يرنو ... بوجنة النعمانوراحة الريح تمتا ... ر نفحة الريحانفدم مدى الدهر فيها ... في غبطة وأمان فاستحسن المنصور ارتجاله، وقال لابن العريف: ما لك فائدة في مناقضة___________(١) يعني سيف بن ذي يزن وقصره " غمدان " باليمن.(٢) قاله: سقطت من ك.(٣) ك: وتروى.(٤) ك: كثيرة.(٥) ق: في الحسن كل يمان.." (٢)

"له ومن اعترض، فإن ترجمة المذكور مما سطره أفسح مجالا، وأفصح روية **وارتجالا**، وبالجملة فهو أحد أعلام الأندلس، وهو سليمان بن خلف ابن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي، وذكره ابن بسام في الذخيرة وابن خلكان وغير واحد، وأصله من بطليوس، وانتقل جده إلى باجة قرب إشبيلية، وليس هو من باجة القيروان، ومولده سنة ٤٠٣، ورحل سنة ٤٢٦، فقدم مصر، وسمع بها، وأجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب، وكان لما رجع إلى الأندلس يضرب ورق الذهب، ويعقد الوثائق، إلى أن فشا علمه، وتهيأت له الدنيا، وشهرته تغني عن وصفه.ومن نظمه قوله:ما طال عهدي بالديار، وإنما ... أنسى معاهدها أسى وتبلدلو كنت أنبأت الديار صبابتي ... رق الصفا بفنائها والجلمد وله في المعتضد بن عباد والد المعتمد:عباد استعبد البرايا ... بأنعم تبلغ النعائممديحه ضمن كل قلب ... حتى تغنت به الحمائم ومن أشهر نظمه قوله:إذا كنت أعلم – البيتين، وقد سبقاومن ذكره أيضا الحجاري في المسهب، وابن بشكوال في الصلة، وأنه حج أربع حجج، رحمه الله تعالى، وتوفي في المرية لإحدى عشرة بقيت من رجب، وقيل:

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٤٧٢/١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٥٨٣/١

ليلة الخميس تاسع رجب، وقيل (١) : تاسع عشر صفر،______________(١) تاسع رجب، وقيل: سقطت من دوزي.." (١)

"وهو أبو محمد علي بن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن مزيد، القرطبي. قال ابنه أبو رافع الفضل: اجتمع عندي بخط أبي من تواليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة، انتهى.أبوه الوزير أبو عمر المذكور كان من وزراء المنصور بن أبي عامر، وتوفي - كما قال ابن حيان - بذي القعدة سنة اثنتين وأربعمائة، وكان منشؤه ومولده بقرية تعرف بالزاوية.وحكي أن الحافظ أبا محمد ابن حزم قصد أبا عامر ابن شهيد في يوم غزير المطر والوحل شديد الريح، فلقيه أبو عامر، وأعظم قصده على تلك الحال، وقال له: يا سيدي، مثلك يقصدني في مثل هذا اليوم! فأنشده أبو محمد ابن حزم بديها:فلو كانت الدنيا دوينك لجة ... وفي الجو صعق دائم وحريقلسهل ودي فيك نحوك مسلكا ... ولم يتعذر لي إليك طريق قال الحافظ ابن حزم (١) : أنشدني الوزير أبي في بعض وصاياه لي:إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن ... عرى حالة إلا رضيت بدونها وهذا كاف في فضل الفرع والأصل، سامح الله الجميع.قال ابن حزم في " طوق الحمامة " (٢) : إنه مر يوما هو وأبو عمر ابن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطابين من مدينة إشبيلية، فلقيهما شاب حسن الوجه، فقال أبو محمد: هذه صورة حسنة، فقال له أبو عمر: لم نر إلا الوجه، فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك، فقال ابن حزم **ارتجالا**:______________(١) انظر الجذوة: ١١٨ في ترجمة أحمد بن سعيد والد الفقيه أبي محمد ابن حزم.(٢) لم يرد هذا في طوق الحمامة.." (٢)

"ما كنت أحسب أن أضيع وأنت في ال ... دنيا وأن أمسي غريبا معسراأنا مثل سهم سوف يرجع بعدما ... أقصاه راميه المجيد ليخبرا وقوله سامحه الله تعالى:وافى علي لنا بسيف ... والبين قد حان والوداعفقال شبه فقلت شمس ... قد مد من نورها شعاع وقوله من قصيدة في ملك إشبيلية الباجي، وقد هزم ابن هود (١) :لله فرسان غدت راياتهم ... مثل الطيور على عداك تحلقالسمر تنقط ما تسطر بيضهم ... والنقع يترب والدماء تخلق وقال **ارتجالا** بمحضر زكي الدين بن أبي الإصبع وجمال الدين أبي الحسين الجزار المصري الشاعر ونجم الدين بن إسرائيل الدمشقي بظاهر القاهرة، وقد مشى أحدهم على بسيط نرجس:يا واطئ النرجس ما تستحي ... أن تطأ الأعين بالأرجل فتهافتوا بهذا البيت، وراموا إجازته، فقال

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٧٦/٢

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٨٣/٢

ابن أبي الإصبع مجيزا:فقلت دعني لم أزل محرجا ... على لحاظ الرشإ الأكحل وكان أمثل ما حضرهم، ثم أبوا أن يجيزه غيره، فقال:ق ا بل جفونا بجفون ولا ... تتبذل الأرفع بالأسفل وقوله في الجزيرة الصالحية بمصر، وهي الشهيرة الآن بالروضة:تأمل لحسن الصالحية إذ بدت ... مناظرها مثل النجوم تلالا______________(١) المغرب ٢: ١٧٧.." (١)

"تعود حر لهيب به ... فليس به من أوار ألم وأنشد في المغرب للغساني المذكور في خسوف القمر مما قاله **ارتجالا**:كأن البدر لما أن علاه ... خسوف لم يكن يعتاد غيرهسجنجل غادة قلبته لما ... أراها شبهها حسدا وغيره وخاطبه المذكور برسالة يقول في آخرها: وعند حامل هذه الأحرف – سلمه الله تعالى – كنه خبري، واستيعاب ما قصر عنه قلمي فضاقت بحمله أسطري، لتعلم ما أجده وأفقده من تشوقي وتصبري، وأني لا أزال أنشد حيث تذكري وتفكري:يا نائيا قد نأى عني بمصطبري ... وثاويا في سواد القلب والبصرإذا تناسيت عهدا من أخي ثقة ... فاذكر عهودي فما أخليك من فكريواردد علي تحياتي بأحسنها ... تردد علي حياتي آخر العمر ولنمسك العنان عن الجري في ميدان أخبار ابن سعيد، فإنها لا يشق غبارها، ومنها قوله رحمه الله تعالى: سمعت كثيرا من السماع المشرقي، فلم يهزني مثل قول الشريف الشمسي المكي (١) :مقل بالدمع غرقى ... وفؤاد طار خفقاوتجن وتئن ... شق جيب الصبر شقايا ثقاتي خبروني ... عن حديث اليوم حقاأكذا كل محب ... فارق الأحباب يشقىلا وعيش قد تقضى ... وغرام قد تبقونعيم في ذراكم ... قد صفا دهرا ورقا_______________(١) وردت الأبيات في المقتطفات (الورقة: ٢٨) .." (٢)

"ومن فوائد الرضي الشاطبي المذكور ما ذكره أبو حيان في البحر قال: وهو من غريب ما أنشدنا الإمام اللغوي رضي الدين أبو عبد الله محمد بن علي ابن يوسف الأنصاري الشاطبي لزينب بنت إسحاق النصراني الرسعني:عدي وتيم لا أحاول ذكرهم ... بسوء، ولكني محب لهاشمواما يعتريني في علي ورهطه ... إذا ذكروا في الله لومة لائميقولون: ما بال النصارى تحبهم ... وأهل النهى من أعرب وأعاجمفقلت لهم: إني لأحسب حبهم ... سرى في قلوب الخلق حتى البهائم ومن نظم الرضي المذكور:منغص العيش لا يأوي إلى دعة ... من كان ذا بلد أو كان ذا ولدوالساكن النفس من لم ترض همته ... سكنى بلاد ولم يسكن إلى أحد وله:لولا بناتي وسيئاتي ... لطرت شوقا إلى المماتلأنني في جوار قوم ... بغضني قربهم

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٢/٢٦٩

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٢/٣٦٧

حياتي وقرأ عليه أبو حيان كتاب التيسير وأثنى عليه، ولما توفي أنشد **ارتجالا**:نعوا لي الرضي فقلت لقد ... نعي لي شيخ العلا وال‌أد بفمن للغات للثقات ... ومن للنحاة ومن للنسبلقد كان للعلم بحرا فغار ... وإن غؤور البحار العجبفقدس من عالم عامل ... أثار لشجوي لما ذهب وتحاكم إلى رضي الدين المذكور الجزار والسراج والوراق أيهما أشعر، وأرسل إليه الجزار شيئا، فقال: هذا شعر جزل، من نمط شعر العرب، فبلغ ذلك الوراق، فأرسل إليه شيئا فقال: هذا شعر سلس، وآخر الأمر قال:." (١)

"المصرية، وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية، انتهت إليه رئاسه التبريز في علم العربية واللغة والحديث، سمعت عليه وقرأت، وأنشدني الكثير، وإذا أنشدني شيئا ولم أقيده استعاده مني فلم أحفظه، فأنشدني وكنت أظنه لنفسه **ارتجالا** إلى أنأخبرني أحد أصحابنا عنه أنه أخبره أنهما لأبي الحسن التجاني أنشدهما له ببيته بالمدرسة الصالحية رحمه الله تعالى:إن الذي يروي ولكنه يحفظ ما يروي ولا يكتبكصخرة تنبع أمواجها تسقي الأراضي وهي لا تشربقال: ورويت عنه تواليف ابن أبي الأحوص: منها التبيان في أحكام القرآن والمعرب المفهم في شرح مسلم ولم أقف عليه، والوسامة في أحكام القسامة، والمشرع السلسل في الحديث المسلسل وغير ذلك. وحدثني بسنن أبي داود عن ابن خطيب المزة عن أبي حفص ابن طبرزد عن أبي البدر الكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر ابن ثابت الخطيب عن أبي عمر الهاشمي عن اللؤلؤي عن أبي داود، وبسنن ال‌ن‌سائي عن جماعة عن ابن باقا عن أبي زرعة عن ابن حميد الدوسي عن أبي نصر الكسار عن ابن السني عن النسائي، وبالموطإ عن أبي جعفر ابن الطباع بسنده.وشكوت إليه يوما ما يلقاه الغريب من أذاة العداة، فأنشدني لنفسه:عداتي لهم فضل علي ومنة فلا أذهب الرحمن عن الأعادياهم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهو نافسوني فاكتسبت المعالياوأنشدني أيضا من مداعباته، وله في ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله:علقته سبجي اللون قادحه ما ابيض منه سوى ثغر حكى الدرراقد صاغه من سواد العين خالقه فكل عين إليه تدمن النظرا." (٢)

"ستشرب الروح راح الوقت كارهة ويذهب الجسم بين الترب في الدودوله رحمه الله تعالى قصيدة سماها بالمورد العذب في معرضة قصيدة كعب وقصيدة في مدح الإمام الشافعي مطلعها:غذيت بعلم النحو إذ در لي ثدياوله رحمه الله تعالى من قصيدة في مدح أم ولده حيان:جننت بها سوداء لون وناظر ويا طالما كان الجنون بسوداءوجدت بها برد النعيم وإن يكن فؤادي منها في جحيم ولأواءوشاهدت معنى الحسن

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣٧٧/٢

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٥٣٦/٢

فيها مجسدا فأعجب لمعنى صار جوهر أشياءأطاعنة من قده بمثقف أصبت وما أغنى الفتى لبس حصداءلقد طعنت والقلب ساه فمادرى أبالقد منها أم بصعدة سمراءثم غير البيت الأول، وأنشد:جننت بها سوداء شعر وناظر وسمراء لون تزدري كل بيضاءوقال يهنئ، قال ابن جماعة: خاطبني به **ارتجالا** عند ولادة ابني عمر بعد بنتين:حبيت بريحانتي روضة وبعدهما جاء نجل أغروسميته اسم إمام إذا رآه أبو مرة منه فرولا عجب منك عبد العزيز إذا كان نجلك يسمى عمرتفرعتما من إمام الهدى وبدر الدجى ورئيس البشرفلا زال يوضح سبل الهدى ولا زلتما تقفوان الأثر." (١)

"قوله، فسكت متفكرا، وأطرقت متأدبا، فلما رأى ذلك مني قال: وإن لم تطق حمل هذه المشاق كلها فعليك بالفقه، يمكنك تعلمه وأنت في بيتك قار ساكن لا تحتاج إلى بعد الأسفار، ووطء الديار، وركوب البحار، وهو ذا ثمرة الحديث، وليس ثواب الفقه دون ثواب المحدث في الآخرة، ولا عزه بأقل من عز المحدث، فلما سمعت ذلك نقض عزمي في طلب الحديث، وأقبلت على دراسة الفقه وتعلمه إلى أن صرت فيه متقدما، ووقفت منه على معرفة ما أمكنني من علمه بتوفيق الله تعالى ومنته، فلذلك لم يكن عندي ما أمليه لذا الصبي يا أبا إبراهيم، فقال له أبو إبراهيم: إن هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من ألف حديث يجده عند غيرك، انتهى. وركوب البحار، وهو ذا ثمرة الحديث، وليس ثواب الفقه دون ثواب المحدث في الآخرة، ولا عزه بأقل من عز المحدث، فلما سمعت ذلك نقض عزمي في طلب الحديث، وأقبلت على دراسة الفقه وتعلمه إلى أن صرت فيه متقدما، ووقفت منه على معرفة ما أمكنني من علمه بتوفيق الله تعالى ومنته، فلذلك لم يكن عندي ما أمليه لذا الصبي يا أبا إبراهيم، فقال له أبو إبراهيم: إن هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من ألف حديث يجده عند غيرك، انتهى.وجاء أبو حيان إلى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه **ارتجالا**:لما أتينا تقي الدين لاح لنا داع إلى الله فرد ما له وزرعلى محياه من سيما الألى صحبوا خير البرية نور دونه القمرحبر تسربل منه دهره حبرا بحر تقاذف من أمواجه الدررقام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم إذ عصت مضرفأظهر الحق إذ آثاره درست وأخمد الشر إ طارت له الشرركنا نحدث عن حبر يجيء فها أنت الإمام الذي قد كان ينتظرثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية، ومات وهو على انحرافه، ولذلك أسباب: منها أنه قال له يوما: كذا قال سيبويه، فقال: يكذب سيبويه، فانحرف عنه. رحم الله تعالى الجميع.وحضرا لشيخ

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٢/٥٦٩

أبو حيان مع ابن بنت الأعز في الروضة فكتب إلى أبي حيان ووجهه مع بعض غلمانه:حييت أثير الدين شيخ الأدبا أقضي له حقا كما قد وجباحييت فتى يطاق آس نضر كالقد بدا ملئت منه طربا." (١)

"رجع إلى أخبار صاعد اللغوي البغدادي:حكي (١) أنه دخل على المنصور يوم عيد، وعليه ثياب جدد وخف جديد، فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصحن، فزلق فسقط في الماء، فضحك المنصور، وأمر بإخراجه، وقد كاد البرد أن يأتي عليه، فخلع عليه، وأدنى مجلسه، وقال له: هل حضرك شيء فقال:شيئان كانا في الزمان عجيبة ... ضرط ابن وهب ثم وقعة (٢) صاعد فاستبرد ما أتى به فقال أبو مروان الكاتب الجزيري: هلا قلت:سروري بغرتك المشرقه ... وديمة راحتك المغدقهثناني نشوان حتى غرق ... ت في لجة البركة المطبقهلئن ظل عبدك فيها الغريق ... فجودك من قبلها أغرقه فقال له المنصور: لله درك يا أبا مروان، قسناك بأهل بغداد ففضلتهم، فبمن نقيسك بعد انتهى. وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد (٣) : وفد على المنصور نجما من المشرق غرب، ولسانا عن العرب، وأراد المنصور أن يعفي به آثار أبي علي القالي فألفى سيفه كهاما، وسحابه جهاما، من رجل يتكلم بملء فيه، ولا يوثق بكل ما يذره، ولا ما يأتيه، انتهى باختصار.وأصل صاعد من ديار الموصل، وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان:لم أدر قبل ترنجان عبثت به ... أن الزمرد أغصان وأوراق__________(١) انظر الذخيرة ٤ / ١: ٢٣.(٢) الذخيرة: زلقة.(٣) الذخيرة ٤ / ١؛ وبدائع البدائه ٢: ٣١.." (٢)

"الوجه من مخلق بقبيح ما ... يأتيه فهم من آجله يتلثم وهل منكم من هجا أشتر العين بمثل قول أبي العباس ابن حنون (١) الإشبيلي:يا طلعة أبدت قبائح جمة ... فالكل منها إن نظرت قبيحأبعينك الشتراء عين ثرة ... منها ترقرق دمعها المسفوحشترت فقلنا: زورق في لجة ... مالت بإحدى دفتيه الريحوكأنما إنسنها ملاحها ... قد خاف منغرق فظل يميح وهل منكم من حضر مع عدو له جاحد لما فعله معه من الخير، وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر، فقال له الحسود المذكور: إن كنت شاعرا فقل في هذه، فقال ارتجالا، وهو ابن مجبر (٢) :سأشكو إلى الندمان أمر زجاجة ... تردت بثوب حالك اللون أسحمنصب بها شمس المدامة بيننا ... فتغرب في جنح من الليل مظلموتجحد أنوار الحميا بلونها ... كقلب حسود جاحد يد منعم وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل، وهو أبو جعفر الذهبي (٣) :__________(١) أبو العباس أحمد بن حنون (عنوان المرقصات: حيون) الإشبيلي، أهله من

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٢/٥٧٨

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣/٩٥

أغنياء إشبيلية اتهم بالقيام على الموحدين، ثم عفي عنه مدة منصور بني عبد المؤمن (راجع ترجمته في المغرب ١: ٢٤٤ وزاد المسافر: ٥٠ وشعره فيهما وفي عنوان المرقصات: ٤٤) .(٢) يحيى بن مجبر أبو بكر من بلش (Velz Malaga) ، توفي سنة ٥٨٨ بمراكش؛ ترجمته في زاد المسافر: وبغية الملتمس رقم: ١٤٩٣ وله شعر كثير سيرد في النفح؛ وفي شرح المقصورة والجزء الثالث من البيتان المغرب.(٣) هو أبو جعفر أحمد بن عتيق بن جرج المعروف بابن الذهبي من أعيان بلنسية غلبت عليه الفلسفة، وهو من أصحاب ابن رشد، إلا أنه اختفى حين طلب أستاذه إلى أن صدر العفو عنه (انظر المغرب ٢: ٣٢١ وابن أبي أصيبعة ٢: ٨١ والديباج: ٦٩ وبغية الوعاة: ١٤٤ والغصون اليانعة: ٣٦ والتكملة: ٩٥ وأبياته في المغرب) .." (١)

"سيرين بالبصرة، وهما قد ذهبا مثلا في التورع، وسلك سبيلهما في ذلك أحمد ابن حنبل وأهل الزهد والورع والتقشف، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.والزهد في الدنيا من أفضل الفضائل، ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها أن يحرم ما أباح الله تعالى منها، والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات وهم يستحلون المحرمات، ومثالهم عندي كالذين سألوا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة، فقال للسائلين له: من أنتم فقالوا: من أهل الكوفة، فقال: تسألونني عن هذا وأنتم قتلتم الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ما أتاك من غير مسألة فكله وتموله "، وروي هذا الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما " ما أتاك من غير مسألة فكله وتموله "، وروى أبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه، وفي حديث أحدهما " إنما هو رزق رزقكه الله تعالى "، وفي لفظ بعض الرواة " ولا ترد على الله رزقه "، وهذا كله مركب مبني على ما أجمعوا عليه، وهو الحق، فمن عرف الشيء المحرم بعينه فإنه لا يحل له، فهذه المسألة من كلام ابن عبد البر، انتهى.٢٠ - وحضر ابن مجبر مع عدو له جاحد لمعروفه، وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر، فقال له الحسود: إن كنت شاعرا فقل في هذه، فقال **ارتجالا**: " سأشكوا إلى الندمان "، إلى آخر الحكاية، وقد تقدمت في رسالة الشقندي (١) رحمه الله تعالى.[ترجمة ابن مجبر وشعره]وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحم بن مجبر الفهري،__________(١) انظر ما تقدم ص: ٢٠٦.." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٢٠٦/٣

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٢٣٧/٣

"كان في وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التي صارت مثالا، وبعدت على قربها منالا، وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت، واتصل بالأمير أبي عبد الله ابن سعد ابن مردنيش، وله فيه أمداح، وأنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح:إن خير الفتوح ما جاء عفوا ... مثل ما يخطب الخطيب **ارتجالا** وكان أبو العباس الحراوي حاضرا، فقطع عليه لحسادة وجدها، وقال: يا سيدنا اهتدم بيت وضاح:خير شراب ما كان عفوا ... كأنه خطبة ارتجال فبدر (١) المنصور، وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قريب العشرين، وقال: إن كان اهتدمه فقد استحقه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف، فسر أبوه بجوابه، وعجب الحاضرون.ومر المنصور أيام إمرته بأونبة (٢) من أرض شلب، فوقف على قبر الحافظ أبي محمد ابن حزم، وقال: عجبا لهذا الموضع، يخرج منه مثل هذا العالم، ثم قال: كل العلماء عيال على ابن حزم، ثم رفع رأسه وقال: كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر، يخاطب ابن مجبر.ومن شعر ابن مجبر يصف خيل المنصور من قصيدة في مدحه:له حلبة الخيل العتاق كأنها ... نشاوى تهاوت تطلب العزف والقصفاعرائس أغنتها الحجول عن الحلى ... فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفافمن يقق كالطرس تحسب أنه ... وإن جردوه في ملاءته التفا______________(١) م: فنطق.(٢) ق: بأوقية؛ ب: بأوقبة.." (١)

"فقال ابن عمار:هما فخارتا راح وروح ... تكسرتا فأشقاف (١) وجيفه انتهى.٢٨ - وذكر ابن بسام ما معناه (٢) أن أبا عامر ابن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبي عامر المظفر ابن المنصور ابن أبي عامر بقرطبة، فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق (٣) ، ولم تزل تسهر في خدمتهم إلى أ، هم جند الليل بالانهزام، وأخذ في تقويض خيام الظلام، وكانت تسمى أسيماء، فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها (٤) على صغر سنها، فسأله المظفر وصفها، فصنع **ارتجالا**:أفدي أسيماء من نديم ... ملازم للكؤوس راتبقد عجبوا في السهاد منها ... وهي لعمري من العجائبقالوا: تجافى الرقاد عنها ... فقلت: لا ترقد الكواكب ٢٩ - وحكى ابن بسام (٥) ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الأدباء عند القاضي ابن ذكوان، فجيء بباكورة باقلا، فقال ابن ذكوران: لا ينفرد بها إلا من وصفها، فقال ابن شهيد: أنا لها، وارتجل:إن لآليك أحدثت صلفا ... فاتخذت من زمرد صدفاتسكن ضراتها البحور وذي ... تسكن للحسن روضة أنفاهامت بلحف الجبال فاتخذت ... من سندس في جنانها

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣/٢٣٨

لحفا______________(١) البدائع: فشقفات.(٢) بدائع البدائه ٢: ٣٢.(٣) البدائع: وصيفة صغيرة ظريفة الخلق.(٤) البدائع: ليلها.(٥) بدائع البدائه ٢: ٣٣؛ وانظر الذخيرة ٤ / ١: ٢٨.." (١)

"وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم، فأمر بإحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء، وأحضر ابن شهيد في محفة لنقرس كان يعتاده، وأخذوا في شأنهم، فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله، ووقت لم يعهدوا نظيره، وطما الطرب وسما بهم، حتى تهايج القوم ورقصوا، وجعلوا يرقصون بالنوبة، حتى انتهى الدور إلى ابن شهيد، فأقامه الوزير أبو عبد الله ابن عباس، فجعل يرقص وهو متوكئ عليه، ويرتجل ويومئ إلى المنصور، وقد غلب عليه السكر (١) :هاك شيخا قاده عذر لكا ... قام في رقصته مستهلكالم يطق يرقصها مستثبتا ... فانثنى يرقصها مستمسكاعاقه عن هزها منفردا ... نقرس أخنى عليه فاتكامن وزير فيهم رقاصة ... قام للسكر يناغي ملكاأنا لو كنت كما تعرفني ... قمت إجلالا على رأسي لكاقهقه الإبريق مني ضاحكا ... ورأى رعشة رجلي فبكى قال ابن ظافر: وهذه قطعة مطبوعة، وطرفها الأخير واسطتها، وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل بغدادي يعرف بالفكيك، حسن النادر سريعها، وكان ابن شهيد استحضره إلى المنصور فاستطبعه، فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع ألم المرض الذي كان يمنعه من الحركة قال: لله درك يا وزير! ترقص بالقائمة، وتصلي بالقاعدة، فضحك المنصور، وأمر لابن شهيد بمال جزيل، ولسائر الجماعة، وللبغدادي.٣٦ - وقال ابن بسام (٢) : حدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن______________(١) الذخيرة ٤ / ١: ١٧؛ وزاد في م: وقال **ارتجالا**.(٢) بدائع البدائه ٢: ١٠٦.." (٢)

"٤١ - قال (١) : ودخل الأديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة، فوسع له على ضيق كان في المجلس، فقال بديها:صير فؤادك للمحبوب منزلة ... سم الخياط مجال للمحبينولا تسامح بغيضا في معاشرة ... فقلما تتسع الدنيا بغيضين وأخذه من قول الخليل " ما تضايق سم الخياط بمتحابين، ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين " (٢) . وكان الخليل على نمرقة صغيرة، والمجلس متضايق، فدخل عليه بعض أصحابه، فرحب به وأجلسه معه على النمرقة، فقال له الرجل: إنها لا تسعنا، فقال ما ذكر.٤٢ - وقال ابن بسام أيضا (٣) : أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند في بعض الأيام، ورئيسهم مملوك له رومي يقال له خيار في نهاية الجمال، فجعل ينفخ في القرن ليجتمع أصحابه على عادة

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣/٢٤٤

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣/٢٦١

لهم في ذلك، فقال ابن هندو الداني فيه **ارتجالا**:أعن بابل أجفان عينيك تنفث ... ومن قوم موسى أنت للعهد تنكثأفي الحق أن تحكي سرافيل ن ١فخا ... وأمكث في رمث الصدود وألبثعساك، نبي الحسن، تأتي بآية ... فتنفخ في ميت الصدود فيبعث ٤٣ - قال: وكان بقرطبة غلام وسيم فمر عليه ابن فرج الجياني ومعه صاحب له، فقال صاحبه: إنه لصبيح لولا صفرة فيه، فقال ابن فرج **ارتجالا** (٤) :____________(١) المصدر نفسه: ١٢٣.(٢) ب: بمتباغضين.(٣) الذخير (٣: ٢٨٢) .(٤) الذخيرة (٣: ٢٨٠) .." (١)

"١٠١ - ولما أفرط أبو [بكر] يحيى اليكي (١) في هجاء أهل فاس تعسفوا عليه، وساعدهم واليهم مظفر الخصي من قبل أمير المسلمين (٢) علي بن يوسف، والقائد عبد الله بن خيار الجياني (٣) ، وكان يتولى أموراً سلطانية بها، فقدموا رجلا ادعى عليه بدين، وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتي، ورجل آخر يكنى بأبي الحسين من مشايخ البلد، فأثبت الحق عليه، وأمر به إلى السجن، فرفع إليه، وسيق سوقا عنيفا، فلما وصل إلى بابه طلب ورقة من كاتبه، وكتب فيها، وأنفذها إلى مظفر مع العون الذي أوصله إلى السجن، فكان ما كتب:ارشوا الزناتي الفقيه ببيضة ... يشهد بأن مظفرا ذو بيضتينواهدوا إليه دجاجة يحلف لكم ... ما ناك عبد الله عرس أبي الحسين ١٠٢ - وقال أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي الأنصاري: عمل والدي محملا للكتب من قضبان تشبه سلما، فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد، فرآه، فقال **ارتجالا**:أيها الس١يد الذكي الجنان ... لا تقسني بسلم البنيانفضل شكل على السلالم أني ... محمل للعلوم والقرآنحزت من حلية المحبين ضعفي ... واصفراري ورقة الأبدانفادع للصانع المجيد بفوز ... ثم وال الدعاء للإخوان ثم عمل أيضا:أيها السيد الكريم المساعي ... التفت صنعتي وحسن ابتداعي____________(١) البدائع ٢: ١٥٧؛ وانظر بعض أهاجيه في أهل فارس في زاد المسافر.(٢) ب: المؤمنين؛ وهو غير دقيق.(٣) راجع ترجمة ابن خيار الجياني في الحلة ٢: ٢٣٥.." (٢)

"بني جهور أحدهما أشقر العذار والآخر أخضره.فجعل يميل بحديثه لمخضر العذار. ثم قال **ارتجالا**:تعلقته جهوري النجار ... حلي (١) اللمى جوهري الثناياامن النفر البيض أسد الزمان ... رقاق الحواشي كرام السجاياولا غرو أن تغرب الشارقات ... وتبقى محاسنها بالعشاياولا وصل إلا جمان الحديث ... نساقطه من ظهور المطاياشنأت المثلث للزعفران ... وملت إلى خضرة في التفايا ومعناه أن ابن عمار

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣/٢٦٥

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣/٣٢٤

أبغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الأشقر منهما، وأحب خضرة التفايا (٢) ، وهو لون طعام يعمل بالكزبرة، لشبهها بعذار الأخضر منهما.١٠٧ - وقال أبو العرب ابن معيشة الكناني السبتي (٣) : أخبرني شيخ من أهل إشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد، وكان عليه من أثر كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق، وينطق بأن قوله الحق، قال: كنت في صباي حسن الصورة، بديع الخلقة، لا تلمحني عين أحد إلا ملكت قلبه، وغلبت خلبه، وسلبت لبه، وأطلت كربه، فبينا أنا واقف على باب دارنا إذا بالوزير أبي بكر ابن عمار قد أقبل في موكب زجل، على فرس كالصخرة الصماء قدت من قنة الجبل، فحين حاذاني ورآني اشرأب إلي ينظرني وبهت يتأملني ثم دفع بمخصرة كانت بيده في صدري، وأنشد:ـــــــــــــــــ(١) ب: حلو.(٢) راجع شرح التفايا ج ٣ ص: ١٢٧ الحاشية: ٢.(٣) بدائع البدائه ٢: ١٣٢ وفيه " ابن معوشة "." (١)

"أقبل أبا طالب إلينا ... واسقط سقوط الندى علينا ١١٠ - وجلس المعتصم بن صمادح المذكور يوما وبين يديه ساقية قد أخمدت ببردها حر الأوار، والتوى ماؤها فيها التواء فضة السوار، فقال **ارتجالا**:انظر إلى الماء كيف انحط من صببه ... كأنه أرقم قد جد في هربه ١١١ - وقال السميسر (١) :بعوض شربن دمي قهوة ... وغنينني بضروب الأغانكأن عروقي أوتارهن ... وجسمي الرباب وهن القيان (٢) ١١٢ - وأحسن منه قول ابن شرف القيرواني (٣) :لك مجلس كملت بشارة لهونا ... فيه، ولكن تحت ذلك حديثغنى الذباب فظل يزمر حوله ... فيه البعوض ويرقص البرغوث ١١٣ - والسابق إلى هذا المعنى أبو [الحسن] أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة إذ قال (٤) :لا أعذل الليل في تطاوله ... لو كان يدري ما نحن فيه نقصلي والبراغيث والبعوض إذا ... أجننا (٥) حندس الظلام قصصإذا تغنى بعوضه طربا ... أطرب (٦) برغوثه الغنا فرقصـــــــــــــــــ(١) البدائع ٢: ١٧٦.(٢) زاد في مطبوعة التجارية بعد هذين البيتين مقطوعتين في البرغوث والبعوض يظهر أنهما من زيادات النساخ.(٣) البدائع ٢: ١٧٦ والمطرب: ٧٠ ومعجم الأدباء: ١٩: ٣٨.(٤) بدائع البدائه ٢: ١٧٦ واليتيمة ٤: ٣٨٣، ومنه تصويب الاسم.(٥) اليتيمة: ألحفنا.(٦) اليتيمة: ساعد.." (٢)

"تعجبوا (١) ، فاختاروا القاف، فابتدأ من أول الليل إلى أن طلع الفجر، وهو ينشد وزن:أرق على أرق ومثلي يأرق ... وسماره قد نام بعض وضل بعض، وهو ما فارق قافية القاف.وقال أبو عمران ابن سعيد:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣/٣٢٦

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣/٣٢٩

دخلت عليه يوما بدار الأشراف بإشبيلية، وحوله أدباء ينظرون في كتب منها ديوان ذي الرمة، فمد الهيثم يده (٢) إلى الديوان المذكور، فمنعه منه أحد الأدباء، فقال: يا أبا عمران، أواجب أن يمنعه مني وما يحفظ منه بيتا، وأنا أحفظه فأكذبته الجماعة، فقال: اسمعوني وأمسكوه، فابتدأ من أوله حتى قارب نصفه، فأقسمنا عليه أن يكف، وشهدنا له بالحفظ.وكان آية في سرعة البديهة، مشهورا بذلك، قال أبو الحسن ابن سعيد: عهدي به في إشبيلية يملي على أحد الطلبة شعرا، وعلى ثان موشحه، وعلى ثالث زجلا، كل ذلك **ارتجالا**.ولما أخذ الحصار بمخنق إشبيلية في مدة الباجي خرج خروج القارظين (٣) ، ولا يدري حيث ولا أين.ومن شعره وقد نزل بداره عبيد السلطان، وكتب به إلى صاحب الأنزال:كم من يد لك لا أقوم بشكرها ... وبها أشير إليك إن خرست فميوقد استشرتك في الحديث فهل ترى ... أن يدخل الغربان وكر الهيثم____________(١) ق ب: تعجبوا.(٢) ب: فمد يده الهيثم.(٣) يعني خرج ولم يعد، فعل القارظين المضروب بهما المثل في عدم الأوبة.." (١)

"وله (١) :يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة ... باب الغني، كذا حكم المقاديروإنما الناس أمثال الفراش فهم ... بحيث تبدو مصابيح الدنانير وله:عندي لفقدك أوجال أبيت بها ... كأنني واضع كفي على قبسولا ملامة إن لم أهد نيره ... حتى تمد إليها كف مقتبسقد كنت أودع سر الشوق في طرس ... لكنني خفت أن يعدو على الطرس وأنشد له أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة في إملائه:قف بالكثيب لغيرك التأنيب ... إن الكثيب هوى لنا محبوبيا راحلين لنا عليكم وقفة ... ولكم علينا دمعنا المسكوبتخلى الديار من المحبة والهوى ... أبدا وتعمر أضلع وقلوب وقال **ارتجالا** في صفة فرس أصفر:أطرف فات طرفي أم شهاب ... هفا كالبرق ضرمه التهابأعار الصبح صفحته نقابا ... ففر به وصح له النقابفمهما حث خال الصبح وافى ... ليطلب ما استعار فما يصابإذا ما انقض كل النجم عنه ... وضلت عن مسالكه السحابفيا عجبا له فضل الدراري ... فكيف أذال أربعه الترابسل الأرواح عن أقصى مداه ... فعند الريح قد يلفى الجواب ١٦٣ - وقال أبو عمر الطلمنكي: دخلت مرسية، فتشبث بي أهلها____________(١) القدح: ١٥٩ والمغرب؛ ٢٥٨ وقد تأخر موضعهما في ب بعد وصف الفرس.." (٢)

"وهو القائل:سل بحمامنا الذي ... كل عن شكره ثميكم أراني بقربه ... جنة في جهنم ١٨٧ - وكان يحضر حلقة الإمام السهيلي وضيء الوجه من تلامذته، فانقطع لعارض، فخرج السهيلي مارا في الطريق

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣٧٨/٣

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣٧٩/٣

الذي جرت عادته بالمشي فيه، فوجد قناة تصلح، فمنعته من المرور، فرجع وسلك طريقا آخر، فمر على دار تلميذه الوضيء، فقال له بعض أصحابه ممازحا بعبوره على منزله، فقال: نعم، وأنشد **ارتجالا**:جعلت طريقي على بابه ... وما لي على بابه من طريقوعاديت من أجله جيرتي ... وآخيت من لم يكن لي صديقفإن كان قتلي حلالا لكم ... فسيروا بروحي سيرا رفيق وأبو القاسم السهيلي مشهور، عرف به ابن خلكان وغيره، ويكنى أيضا بأبي زيد، وهو صاحب كتاب " الروض الأنف " وغيره.واجتاز على سهيل وقد خربه العدو لما أغار عليه وقتلوا أهله وأقاربه، وكان غائبا عنهم، فاستأجر من أركبه دابة، وأتى به إليه، فوقف بإزائه، وأنشد (١) :يا دار أين البيض والآرام ... أم أين جيران علي كرامراب المحب من المنازل أنه ... حيا فلم يرجع غليه سلاملما أجابني الصدى عنهم ولم ... يلج المسامع للحبيب كلامطارحت ورق حمامها مترنما ... بمقال صب والدموع سجام" يادار ما فعلت بك الأيام ... ضامتك والأيام ليس تضام "ــــــــــــــــــــ(١) الأبيات في المغرب ١: ٣٧٠.." (1)

"فإن بلغت مأمولا فإني ... جهدت ولم أقصر في الطلابوإن أنا لم أفز بمراد سعيي ... فكم من حسرة تحت التراب ٢٠٠ - وقال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لما ولي مكانه من لا يساويه:ولا غرو بعدي أن يسود معشر ... فيضحي لهم يوم وليس لهم أمسكذاك نجوم الجو تبدو زواهرا ... إذا ما توارت في مغاربها الشمس وقال ابن دحية: دخلت عليه وهو يتوضأ، فنظر إلى لحيته وقد اشتعلت بالشيب اشتعالا، فأنشدني لنفسه **ارتجالا** (١) :ولما رأيت الشيب أيقنت أنه ... نذير لجسمي بانهدام بنائهإذا ابيض مخضر النبات فإنه ... دليل على استحصاده وفنائه ٢٠١ - واعتل ابن ذي الوزارتين أبي عامر ابن الفرج (٢) وزير المأمون بن ذي النون، وهو من رجال الذخيرة والقلائد (٣) ، فوصف له أن يتداوى بالخمر العتيق، وبلغه أن عند بعض الغلمان منها شيئا، فكتب إليه يستهديه (٤) :ابعث بها مثل ودك ... أرق من ماء خدكشقيقة النفس، فانضح ... بها جوى ابني وعبدك وهو القائل معتذرا عن تخلفه عمن جاءه منذرا (٥) :ــــــــــــــــــــ(١) المطرب: ٨٠.(٢) ترجم له صاحب المطمح: ١٥ وانظر الذخيرة (القسم الثالث والمغرب ٢: ٣٠٣ والحلة ٢: ١٧١.(٣) كذا قال ابن سعيد أيضا ولكن ليست لابن فرج ترجمة في القلائد المطبوع، وإنما ترجمته في المطمح.(٤) البيتان في المطمح والحلة.(٥) انظر المصدرين السابقين.." (2)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣/٤٠٠

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٣/٤٠٨

"وهذا الوزير المذكور كان يصرف شعره في أوصاف الغزلان ومخاطبات الإخوان، وكتب إلى الشريشي – شارح المقامات (١) – يستدعي منه كتاب العقد:أيا من غدا سلكا لجيد معارفه ... ومن لفظه زهر أيق لقاطفهمحبك أضحى عاطل الجيد فلتجد ... بعقد على لباته وسوالفه ووعك في بعض الأعياد، فعاده من أعيان الطلبة جملة، فلما هموا بالانصراف أنشدهم **ارتجالا**:لله در أفاضل (٢) أمجاد ... شرف الندي بقصدهم والناديلما أشاروا بالسلام وأزمعوا ... أنشدتهم وصدقت في الإنشادفي العيد عدتم وهو يوم عروبة ... يا فرحتي بثلاثة الأعياد قال الشريشي في شرح المقامات: ولقد زرته في مرضه الذي توفي فيه رحمه الله تعالى أنا وثلاثة فتيان من الطلبة، فسألني عنهم وعن آبائهم، فلما أرادوا الانصراف ناول أحدهم محبرة، وقال له: اكتب، وأملى عليه **ارتجالا**:ثلاثة فتيان يؤلف بينهم ... ندي كريم لا أرى الله بينهمتشابه خلق منهم وخليقة ... فإن قلت أين الحسن فانظره أين هموزينهم أستاذهم إذ غدا لهم ... معلم آيات فتمم زينهمفإن خفت من عين ففي الكل فل تقل ... وقى الله رب الناس للكل عينهم ٢٦٧ – وقال الشريشي (٣) : حدثنا شيخنا أبو الحسين ابن زرقون، عن أبيه أبي عبد الله، أنه قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش____________(١) م: صاحب كتاب شرح المقامات.(٢) الشريشي: در عصابة.(٣) الشريشي ١: ٣٦٥.." (١)

"٢٩٨ – وحضر الفقيه أبو بكر ابن جبيش ليلة مع بعض الجلة وطفئ السراج، فقال **ارتجالا**:أذك السراج يرينا غرة سفرت ... فباتت الشمس تستحيي وتستترأو خله فكانا وجه سيدنا ... لا يطلب النجم من في بيته (١) القمر ٢٩٩ – وقصد أحد الأدباء بمرسية أحد السادات من بني عبد المؤمن، فأمر له بصلة خرجت على يد ابن له صغير، فقال المذكور **ارتجالا**:تبرك بنجل جاء باليمن والسعد ... يبشر بالتأييد طائفة المهديتكلم روح الله في المهد قبله ... وهذا براء بدل اللام في المهد ٣٠٠ – وخرج الأستاذ أبو الحسن ابن جابر الدباج (٢) ، يوما مع طلبته للنزهة بخارج إشبيلية، وأحضرت مجبنات ما خبا نارها (٣) ، ولا هدأ أوراها، فما خام عنها ولا كف، ولا صرف حرها عن اختضابها البنان ولا الكف، فقال:أحلى مواقعها إذا قربتها ... وبخارها فوق الموائد سامإن أحرقت لمسا فإن أوراها ... في داخل الأحشاء برد سلام ٣٠١ – وقال أبو بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلي يتهكم برجل زعم أنه ينال الخلافة (٤) :أمير المؤمنين نداء شيخ ... أفادك من نصائحه اللطيفة____________(١) م: في وجهه.(٢) القصة

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٤٤٦/٣

والبيتان في القدح: ١٥٦ وانظر المغرب ١: ٢٥٦.(٣) كانت عادة أهل إشبيلية أكل هذه المجبنات يوم خميس إبريل.(٤) زاد المسافر: ٦٩.." (١)

"ومنها في المديح:يشفع تنويله بود ... شفع القياسات بالنصوص وقال:الله أكبر أنت بدر طالع ... والنقع دجن والكماة نجوموالجود أفلاك وأنت مديرها ... وعدوك الغاوي وهن رجوم وقال:نزلت في آل مكحول وضيفهم ... كنازل بين سمع الأرض والبصرلا تستضيء بضوء في بيوتهم ... ما لم يكن لك تطفيل على القمر وسببهما أنه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا.٣٨١ -[شعراء اليهود] ١ - وقال نسيم الإسرائيلي:يا ليتني كنت طيرا ... أطير حتى أراكابمن تبدلت غيري ... أو لم تحل عن هواكا هو شاعر وشاحمن أهل إشبيلية، وذكره الحجاري في المسهب.٢ - وقال إبراهيم بن سهل الإسرائيلي في أصفر **ارتجالا** (١) :كان محياك له بهجة ... حتى إذا جاءك ماحي الجمال__________(١) انظر دراسة عنه في مقدمة ديوانه (ط. دار صادر ١٩٦٧) وفيها إلمام بمصادر ترجمته. وهذه الأبيات الواردة هنا مثبتة في ديوانه.." (٢)

"فتى صغير السن، فوفاه من بره ماأوجب تغيرهم، ففطن لذلك وأنشد **ارتجالا**:تكثر من الإخوان للدهر عدة ... فكثرة در العقد من شرف العقدوعظم صغير القوم وابدأ بحقه ... فمن خنصري كفيك تبدأ بالعقد [ثم نظر إليهم وأنشدهم **ارتجالا** قوله:مغيث أيوب والكافي لذي النون ... يحلني فرجا بالكاف والنونكم كربة من كروب الدهر فرجها ... عني ولم ينكشف وجهي لمن دوني] (١) ٤٣٠ - وقال القاضي أبو موسى ابن عمران:ما للتجارب من مدى ... والمرء منها في ازديادقد كنت أحب ذا العلا ... من حاز علما واستفادفإذا الفقيه بغير ما ... ل كالخباء بلا عمادشرف الفتى بنضاره ... إن الفقير أخو الجمادما العلم إلا جوهر ... قد بيع في سوق الكساد ٤٣١ - وقال أبو بكر ابن الجزار السرقسطي:إياك من زلل اللسان فإنما ... عقل الفتى في لفظه المسموعوالمرء يختبر الإناء بنقره ... ليرى الصحيح به من المصدوع ٤٣٢ - وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد (٢) : تناول بعض أصحابنا نرجسة، فركبها في وردة، ثم دفعها إلي وإلى صاعد، وقال: قولا،__________(١) ما بين معقفين زيادة من م.(٢) راجع هذه القصة فيما تقدم: ٧٦، والزهيري قد اضطربت في الأصول، وقد تقرأ " الزميري " في م.." (٣)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٤٦١/٣

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٥٢٢/٣

(٣) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٥٩٨/٣

"٤٦٠ – وبلغني أيضا أنه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطي، فمر عليه، ولحم خرفانه بين يديه، فأشار ابن عمار إلى اللحم، وقال (١) :لحم سباط الخرفان مهزول ... فقال:" يقول يا مشترين (٢) مه زولوا " ... ٤٦١ – ولما صنع المتوكل (٣) على الله بن الأفطس صاحب بطليوس هذا القسيم:الشعر خطة خسف ... أرتج عليه، فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التي أولها:الدهر يفجع بعد العين بالأثر ... وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب، وهو أحد وزراء دولته، وخواص حضرته، فاستجازه إياه، فقال:لكل طالب عرف ...للشيخ عيبة عيب ... وللفتى ظرف وذكر ابن بسام في الذخيرة أن قائل القسيم الأول الأستاذ أبو الوليد ابن ضابط، وأن عبد المجيد أجازه **ارتجالا**، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقد ذكرنا ما يقرب من ذلك في هذا الكتاب.____________(١) انظر ما تقدم ص: ٤٠٤.(٢) البدائع: للمفلسين.(٣) البدائع ١: ٧٢، وقد مرت الحكاية ص: ٣٩٧.." (١)

"ماذا على حلل الشقيق لو أنها ... عن لابسيها في الخدود تبينلأعطشن الروض بعدهم ولا ... يرويه لي دمع عليه هتونأأعير لحظ العين بهجة منظر ... وأخونهم أني إذا لخؤونلا الجو جو مشرق وإن اكتسى ... زهوا، ولا الماء المعين معينلا يبعدن إذ العبير له ثرى ... والبان روح، والشموس قطينالظل لا متنقل، والحوض لا ... متكدر، والأمن لا ممنون ٥٣٤ – وقال القسطلي في أسطول أنشأه المنصور بن أبي عامر من قصيدة (١) :تحمل منه البحر بحرا من القنا ... يروع بها أمواجه ويهولبكل ممالات الشراع كأنها ... وقد حملت أسد الحقائق غيلإذا سابقت شأو الرياح تخيلت ... خيولا مدى فرسانهن خيولسحائب تجزيها الرياح فإن وفت ... أطافت بأجياد النعام فيولظباء سمام مالهن مفاحص ... وزرق حمام ما لهن هديلسواكن في أوطانهن كأن سما ... بها الموج حيث الراسيات نزولكما رفع الآل الهوادج بالضحى ... غداة استقلت بالخريط حمولأراقم تحوي ناقع السم ما لها ... بما حملت دون العداة مقيل وقد أطنب الناس في وصف السفن وأطابوا، وقرطسوا القريض وأصابوا، ووقد ذكرنا نبذة في ذلك من هذا الكتاب.٥٣٥ – وقال أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي: حدثني بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوي كان في حانوت وراق بتونس، وهناك فتى يميل إليه، فتناول الفتى سوسنة صفراء، وأومأ بها إلى خديه مشيرا، وقال: أين الشعراء تحريكا للجراوي، فقال **ارتجالا**:____________(١) ديوان ابن دراج: ٥.." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٦٠٩/٣

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٨٧/٤

"تطلع في أقماعه فكأنه ... قلوب نعاج في مخاليب عقبان ٥٣٧ – وقال ابن خروف، ويقال أنها في وصف دمشق:إذا رحلت عروبة عن حماها ... تأوه كل أواه حليمإلى سبت حكى فرعون موسى ... يجمع كل سحار عليمفتبصر كل أملود قويم ... يميس بكل ثعبان عظيمإذا انسابت أراقمها عليها ... تذكرنا بها ليل السليموشاهدنا بها في كل حين ... حبالا ألقيت نحو الكليم ٥٣٨ – وقال أبو القاسم ابن هشام (١) **ارتجالا** في وسيم عض وردة ثم رمى بها، وسئل ذلك منه امتحانا:ومعجز الأوصاف والوصاف في ... بردي جمال طرزا بالتيهوسان أنمله تناول وردة ... فغدا يمزقها أقاحي فيهفكأنني شبهت وجنته بها ... فرما بها غضبا على التشبيه وقال أيضا (٢) فيمن عض كلب وجنته:وأغيد وضاح المحاسن باسم ... إذا قامر الأسياف ناظره قمرتعمد كلب عض وجنته التي ... هي الورد إيناعا وأبقى بها أثرافقلت لشهب الأفق كيف صماتكم ... وقد أثر العواء في صفحة القمر ٥٣٩ – وقال آخر يصف شجة في خد وسيم:عذيري من ذي صفحة يوسفية ... بها شجة جلت عن اللثم واللمس___________(١) ترجمة أبي القاسم ابن هشام في زاد المسافر: ٦٢.(٢) م: وقال آخر.." (١)

"فالبخل بين الحادثين، وإنما مال البخيل لحادث او وارث١٩ – ودخل ابو محمد الطائي القرطبي على القاضي أبي الوليد ابن رشد فأنشده **ارتجالا** (١) :قام لي السيد الهمام قاضي قضاةالورى الإمامفقلت قم بي ولاتقم لي فقلما يؤكل القيام٢٠ – وقال الحافظ ابو محمد ابن حزم (٢) :لاتلمني لأن سبقت لحظ فات إدراكه ذوي الألبابيسبق الكلب وثبة الليث في العد ويعلو النخال فوق اللباب٢١ – وقال أبو عبد الله الجبلي الطبيب القرطبي (٣) :اشدد يديك على كلب ظفرت به ولا تدعه فإن الناس قد ماتوقلت: تذكرت بهذا قول الآخر:اشدد يديك بكلب إن ظفرت به فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا٢٢ – وقال محمد ابن عبد الله الحضرمي مولى بني أمية:عاشر الناس بالجمي ل وسدد وقاربواحترس من أذى الكرا م وجد بالمواهبلايسود الجميع من لم يقم بالنوائبيحوط الاذبوير عى ذمام الاقارب___________(١) التكملة: ٨٢٤.(٢) التكملة: ٥٦٨ ومر البيتان ج ٢: ٨٤.(٣) التكملة: ٩٠٩.." (٢)

"وولي ابنه يحيى، وكان أحسد من طلعت عليه الشمس، فمال على أرقم بالأذية ففر عن مملكته، وقال مرتجلا (١) :لئن طبتم نفسا بتركي دياركم فنفسي عنكم بالتفرق أطيبإذا لم يكن لي جانب في دياركم فما العذر لي أن لا يكون تجنبزعمتم بأني لست فرعا لأصلكم فهلا علمتم أنني عنه أرغبوحسبي إذا ما

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٨٩/٤

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ١١٨/٤

البيض لم ترع نسبة بأنني إلى سيفي ورمحي أنسبوإن مدت الأيام عمري للعلا يشرق ذطري في الورى ويغرب٦١٤ – وكتب الوزير الكاتب أبو محمد ابن سفيان إلى أبي أمية ابن عصام (٢) قاضي قضاة شرق الأندلس عين زمانه، فوقعت نقطة إلى العين، فتوهمها، وظن أنه أبهمها واعتقدها، وعددها وانتقدها، فقال:لا تلزمني ما جنته يراعة طمست بريقتها عيون ثناءحقدت علي لزامها فتحولت أفعى تمج سمامها بسحاءغدر الزمان وأهله عرف ولم أسمع بغدر يراعة وإباء٦١٥ – وشرب المأمون بن ذي النون مع أبي بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلي وحفل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن مثنى، فجرت مذاكرة في ملوك الطوائف في ذلك العصر، فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه، فقال ابن أرفع رأسه **ارتجالا** (٣) :دعوا الملوك وأبناء الملوك فمن أضحى على البحر لم يشتق إلى نهرما في البسيطة كالمأمون ذو كرم فانظر لتصديق ما أسمعت من خبر__________(١) المغرب ٢: ١٤.(٢) القلائد: ١٣٩.(٣) المغرب ٢: ١٨ والصلة رقم: ٨٧٤.." (١)

"عهدتهم والعيش في ظل وصلهم أنيق وروض الوصل أخضر فينانليالي سعد لا يخاف على الهوى عتاب ولا يخشى على الوصل هجران٧ – ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب.سكنت بلنسية، وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة، لكنها فاقته في ذلك، وبرعت في العروض، وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما، قال أبو داود سليمان بن نجاح: قرأت عليها الكتابين، وأخذت عنها العروض، وتوفيت بدانية بعد سيدها في حدود الخمسين والأربعمائة، رحمها الله تعالى.٨ – ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية (١) الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال، والحسب والمال.ذكرها الملاحي في تاريخه، وأنشد لها مما قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي **ارتجالا** بين يديه:يا سيد الناس يا من يؤمل الناس رفدهامنن علي بطرس يكون للدهر عدهتخط يمناك فيه: الحمد لله وحدهوأشارت بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين، فإنها كانت أن يكتب السلطان بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده.٦٦٥ – استطراد بقصتينوتذكرت بذلك، والشيء بالشيء يذكر، أنه لما قفل السلطان الناصر أمير__________(١) ترجمة حفصة الركونية في الإحاطة ١: ٤٩٩ والمغرب ٢: ١٣٨ والمطرب: ١٠ والسيوطي: ٤٠ والتحفة: ١٦٧ ومعجم الأدباء ١٠: ٢١٩.." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ١٣٤/٤

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ١٧١/٤

"وله في غلام أسود ساق ارتجالاأدار علينا الكاس ظبي مهفهف غدا نشره واللون للعنبر الشحريوزاد لنا حسنا بزهر كؤوسه وحسن ظلام الليل بالانجم الزهروقوله فيه وقد لبس ابيض:وغصن من ألابنوس ارتدى بعاج كليل علاه فلقيحاكي لنا الكأس في كفه صباح بجنح علاه شفوقوله مما كتب به إلى أخيه محمد وقد ورد منه كتاب بإنعام:وافى كتابك ينبي عن سابغ الانعامفقلت در ودر من زاخر وغماموقوله يذم حماما:يا رب حمام لعنا بما أبدى إلينا كل حمامأفق له قطر حميم كما أصمت سهام من يدي راميبخرق سحبا للدخان الذي لاح لغيم العارض الهاميوقيم يجذبني جذبة وتارة يكسر إبهاميوجمع الأوساخ من لؤمه في عضدي قصدا لإعلاميوازدحم الأنذال فيه وقد ضجوا ضجيجا دون إفهاموجملة الأمر دخلنا بني سام وعدنا كبني حاموله في ضد ذلك، والنصف الأخير لابن بقي:لا أنس ما عشت حماما ظفرت به وكان عندي أحلى من جني الظفرنعمت ‍ج‍سمي في ضدين مغتنما تنعم الغصن بين الشمس والمطر." (١)

"يحتاج من مزاحهم إلى صلة بأحسن منزع وأنبل مقصد، فأنشده أبو جعفر ارتجالا:يا سيدا قد ضمه مجلس حل به للمزح إخوانلم نلق من فجأته خجلة ولا ثنانا عنه كتمانكأنه من جمعنا واحد لم ينب منا عنه إنسانولم نكن ندريه لكن بدا في وجهه للظرف عنوانوله وقد لقي أحد إخوانه وكان قد أطال الغيبة عنه، فدار بينهما ما أوجب أن قال:إن لحت لم تلمح سواك الأعين أو غبت لم تذكر سواك الألسنأنت الذي ما إن يمل حضوره ومغيبه السلوان عنه يؤمنوله وهو من آياته:إني لأحمد طيفها وألومها والفرق بينهما لدي كبيرهي إن بدت لي شيبة في جفوة والطيف في حين المشيب يزوروإذا توالى صدها أو بينها وافى على أن المزار عسيروله وقد سافر بعض الأرذال بماله، فنكب في سفره، وعاد فقيرا بأسوإ أحواله:اغد (١) ولا يغن عنك القيل والقال ... فالجود مبتسم والفضل يختال قالوا فلان رماه الله في سفر رآه رأيا بما حالت به الحالف‍آب منه سليبا مثل مولده عليه ذل وتفجيع وإقلالفقلت لا خفف الرحمن عنه، فلم يكن لديه على القصاد إقبالفقل له: دام في ذل ومسغبة ولا أعيدت له في المال آمال______________(١) ق م: أعد.." (٢)

"ومن نظم أبي الحكم:إذا ضاقت عليك فول عنها وسر في الأرض واختبر العباداولا تمسك رحالك في بلاد غدوت بأهلها خبرا معادا٦٦٨ - أخيل الرنديولما مدح أبو القاسم أخيل بن إدريس الرندي عبد المؤمن في جبل الفتح بقصيدة أولها:ما الفخر إلا فخر عبد المؤمن أثنى عليه كل عبد مؤمنقال أبو جعفر ابن سعيد: دعاه التجنيس إلى الضعف والخروج عن المقصود، والأولى أن لو قال " شاد الخلافة وهو أول

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ١٨٢/٤

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ١٨٧/٤

مبتني ".ومن هذه القصيدة:أما ابن سعد فهو أول مارق يا ليته بأبيه سعد يكتنيما قدر مرسية وحكمك نافذ إن شئت من عدن لأرض المعدنفلما أكملها قال له عبد المؤمن: أجدت، فقال **ارتجالا**:من لي أمير المؤمنين بموقفي هذا وقولك لي أجدت ولم تنفلقد مدحتك خائفا أن لا يفي لسني بما يعيي جميع الألسنولابن إدريس المذكور:أيها البدر هل علمت بأني لم أبت راعيا محياك وداأنا لو بات من حكيت بجنبي لم يكن عنه ناظري يتعدى." (١)

"ولنقتصر على هذا المقدار، ونرجع إلى أحوال لسان الدين رحمه الله تعالى وارتحاله، والاعتبار بحاله، فنقول:ومما يناسب أن نذكره في هذا المحل ونثبته فيه ما حكاه العالم العلامة بلدينا سيدي أبو الفضل ابن الإمام التلمساني رحمه الله تعالى عن جدي الإمام قاضي القضاة سيدي أبي عبد الله المقري التلمساني رحمه الله تعالى، وهو أحد أشياخ لسان الدين كما يأتي إن شاء الله ذلك في محله، قال: كنت مع ذي الوزارتين أبي عبد الله ابن الخطيب في جامع إلبيرة من الأندلس إذ مر بنا الاعتبار، في تلك الآثار، فأنشد ابن الخطيب **ارتجالا** (١) :أقمنا برهة ثم ارتحلنا ... كذلك الدهر حال بعد حالوكل بداية فإلى انتهاء ... وكل إقامة فإلى ارتحالومن سام الزمان دوام حال ... فقد وقف الرجاء على المحال انتهى.وحكى لسان الدين في الإحاطة عن نفسه أنه خطط هذه الأبيات في مرحلة نزلها رحمه الله تعالى حسبما يأتي ذلك في شعره.وما أحسن قوله رحمه الله تعالى:لبسنا فلم نبل الزمان وأبلانا ... يتابع أخرانا على الغي أولاناونغتر بالآمال والعمر ينقضي ... فما كان بالرجعى إلى الله أولاناوماذا عسى أن ينظر الدهر من عسا ... فما انقاد للزجر الحثيث ولا لاناجزينا صنيع الله شر جزائه ... فلم نرع ما من سابق الفضل أولانافيا رب عاملنا بما أنت أهله ... من العفو واجبر صدعنا أنت مولانا______________(١) انظر أزهار الرياض ١: ٢٧١.." (٢)

"ومنها في المديح:مستحييا من أبي العشائر أن ... أسحب في غير أرضه حللهأسحبها عنده لدى ملك ... ثيابه من جليسه خجلهوأراد أبو العشائر سفرا فقال عند وداعه **ارتجالا** قصيدة أولها:الناس ما لم يروك أشباه ... والدهر لفظ وأنت معناهوالجود عين وفيك ناظره ... والناس باع وفيك يمناهومنها:تنشد أثوابنا مدائحه ... بألسن ما لهن أفواهإذا مررنا على الأصم بها ... أغنته عن مسمعه عيناهوأصل هذا المعنى

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ٤/٢٠٢

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس؟ المقري التلمساني ١٦٦/٥

لنصيب حيث قال:فعادوا وأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبوتبعه معوج الرقي في قوله: قد أتتني من أبي العب – اس يوم المهرجان." (١)

"وما حاجة الركب السراة إذا بدا ... لهم وجهه ليلا إلى طلعة البدروأنشد في مجلس المعتمد بن عباد اللخمي صاحب إشبيلية أعادها الله كما كانت قوله منها:إذا ظفرت منك العيون بنظرة ... أثاب بها معي المطي ورازمهفجعل المعتمد يردده استحسانا له، وكان في مجلسه أبو محمد عبد الجليل ابن وهبون الأندلسي فأنشد **ارتجالا**:لئن حاد شعر ابن الحسين فإنما ... تجيد العطاياتنبأ عجبا بالقريض ولو درى ... بأنك تروي شعره لتألهاومنها في المديح:له عسكرا خيل وطير إذا رمى ... بها عسكرا لم تبق إلا جماجمهأجلتها من كل طاغ ثيابه ... وموطئها من كل باغ ملاغمه." (٢)

"ممالكيه وهما بالسيوف والمناطق، وكان لا يجلس في مجلس كافور، فأرسل إليه من قال له قد طال قيامك يا أبا الطيب في مجلسه؛ يريد أن يعلم ما في نفسه.فقال **ارتجالا**:يقل له القيام على الرءوس ... وبذا المكرمات من النفوسإذا خانته في يوم ضحوك ... فكيف تكون في يوم عبوسقلت: ينبغي التعجب! لا يرضى أبو الطيب أن ينشد قائما عند سيف الدولة وهو على ما كان عليه، وبعد اشتهار في أقطار الأرض، ومعرفة ملوكها بفضله.." (٣)

"المتعرضين لقول الشعر، فقال أبو الطيب والكتاب بيده **ارتجالا**:بكتب الأنام كتاب ورد ... فدت يد كاتبه كل يديعبر عمالنا عنده ... ويذكر من شوقه ما نجدفأخرق رائيه ما رأى ... وأبرق ناقده ما انتقدإذا سمع الناس ألفاظه ... خلقن له في القلوب الحسدفقلت وقد فرس الناطقين ... كذا يفعل الأسد ابن الأسدوأبو الفضل بن العميد هذا هو الذي ورد عليه أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي." (٤)

"إذا كان الأمر على هذا فاعذر المتنبي على مثله، ولا تبادر إلى الحط عليه، ولا المؤاخذة له، والمعاني يستدعي بعضها بعضا.قال ياقوت: كان المتنبي يوما جالسا بواسط فدخل عليه بعض الناس، فقال أريد أن تجيز لنا هذا البيت، وهو:زارنا في الظلام يطلب سترا ... فافتضحنا بنوره في الظلامفرفع رأسه، وكان ابنه

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي؟ يوسف البديعي ٤٥/١

(٢) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي؟ يوسف البديعي ٥٠/١

(٣) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي؟ يوسف البديعي ١١٤/١

(٤) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي؟ يوسف البديعي ١٩٧/١

المحسد واقفا بين يديه، وقال له: يا محسد: قد جاءك بالشمال، فأنه باليمين، فقال ارتجالا:فالتجأ إلى حنادس شعر ... سترتنا عن أعين اللوام." (١)

"ارتجالا، وهي غريبة في بابها، لم يسمع بمثلها، ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها، حتى رقي في معانيه المقصودة إلى أعلى منزلة، فابتدأ البيت الأول بهجو البرقعيدي، فهجاه في ضمن مراده، وذكر أوصاف ليالي الشتاء جميعها، وهي الظلمة، والبرودة، والطول، وكذلك البيت الثاني والثالث، ثم خرج إلى المديح بألطف." (٢)

"وفيه أربعة أوجه: أحدها: أن يكون مجراها بدلا من الكأس وهو مصدر لا مكان. واليمين: ظرف خبر كان.الثاني: أن اليمين خبر كان لا ظرف لكن على حذف مضاف أي: مجرى اليمين. الثالث: مجراها مبتدأ واليمين ظرف خبره والجملة خبر كان. الرابع: ان يجعل المجرى مكانا بدلا من الكأس واليمين خبر كان لا ظرف. وأم عمرو منادى.قال ابن خلف: هي أم الشاعر وكان هو جالسا مع أبيه وأبي أمه وكانت تسقي أباها وزوجها وتعرض عنه استصغارا له فقال لها: إذا سقيت إنسانا كأسا اجعلي الكأس بعده للذي على يمينه حتى ينقضي الدور ولا ينبغي أن تحقريني فلست بشر الثلاثة يعني: نفسه وأباه وأباها اه وهذا بعيد.قال شراح المعلقات: وبضعهم يروي هذين البيتين لعمرو ابن أخت جذيمة الأبرش: وذلك أنه لما)وجده مالك وعقيل في البرية وكانا يشربان وأم عمرو هذه تصد عنه الكأس فلما قال هذا وقوله: إنا سوف تدركنا الخ معنى هذا البيت في اتصاله بما قبله أنه لما قال لها هبي بصحنك حثها على ذلك. والمعنى: فاصبحينا من قبل حضور الأجلفإن الموت مقدر لنا ونحن مقدرون له.وهذه القصيدة أنشدها عمرو بن كلثوم في حضرة الملك عمرو بن هند وهو ابن المنذر وهند امه ارتجالا يذكر فيها أيام بني تغلب." (٣)

"قوله ورجز هو بأخته وكانت أخت زيادة غائبة لا تسمع قوله فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشائرهما.وجعل هدبة وزيادة يتهاديان الأشعار. ولم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فقتله وهرب وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلص عمه وأهله فلم يزل محبوسا حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيده منه إذا قامت البينة.فكره سعيد الحكم بينهما

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي؟ يوسف البديعي ٤١٨/١

(٢) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي؟ يوسف البديعي ٢٢٦/٢

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي؟ عبد القادر البغدادي ١٨٠/٣

فحملهما إلى معاوية فلما صاروا بين يديه قال له معاوية: قل يا هدبة.فقال: إن هذا الرجل سجاعة فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاما أو شعرا فعلت. قال: بل شعرا.فقل هدبة هذه القصدية **ارتجالا**: الطويل(ألا يا لقومي للنوائب والدهر ... وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري)(وللأرض كم من صالح قد تأكمت ... عليه فوارته بلماعة ةفر)(فلا تتقي ذا هيبة لجلاله ... ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر)حتى قال:(رمينا فرامينا فصادف رمينا ... منايا رجال في كتاب وفي قدر)(وأنت أمير المؤمنين فما لنا ... وراءك من معدى ولا عنك من قصر)وهذا البيت الأخير من شواهد النحويين. وتأكمت: صارت أكمة. وروى بدله: قد توأدت قد تلمأت وتلأمت أي: وارته.)." (١)

"إلا إنه جعله في مطر الدموع، وأنا جعلته في مطر الأحزان؛ وجعله في المضجع، وأنا جعلته في وسط الفؤاد، وإليك ارتياد الإبلاغ!تقسم منك الترب قومي وجيرتي: ففي الظاهر إحيائي وفي البطن أمواتيوتقدم كثير مما قيل في ذكر الوطن، وسيأتي مزيد فيه، إن شاء الله تعالى.وقلت أنا في قوم غشوا لئيما فجعل جائزتهم الازدراء:لأن تهملوا أو يزدرى بوجوهكم ... فذوا ورطات خاضها الطين بابتهومن يستبل يوما حميرا ينلنه ... فلا يشجعه من بولهن إصابتهولو كان حلم لأدري المرء إنه ... من النوك أن تمتد للصخر راحتهإلا إن برقا خلبا غير ممطر ... وشائمة الحرمان والغم غايته!ودخلت يوما عليه للتسليم عليه، فرأيت من لقياه ما أكره، فقلت في نفسي **ارتجالا** أو شبه ارتجال:أتكبر يا أبن اللؤم بالكبر والخنا ... ولؤم لديه ما درى كرم الخلق؟وتلتمس ركن المعالي براحة ... مغللة منها البنان إلى العنق؟وتستقبلن وجه الsسيادة مسفرا ... بوجه كوجه الضفدع التف في سحق؟وترقى سرير الملك يوما بأحمص ... لو أعتسفت خضر الصوح بالمحق؟ولو خاضت العذاب الفرات غدابها ... زعاقا يغص الشاربين وذا رنقوتجري تصريف الرعايا جميعها ... على مسكة العصفور ذي الطيش الخرقوتقدم في دفع الملمات عنهم ... بقلب هيوب يستفز من الوقفهيهات منك المجد إن كنت عاقلا ... فدعه وإن كنت المهوس فأسترق!فلا خير فيه غير أن لقاءه ... يعلمك الهجو البليغ على صدقوإن هجا الناس ليس يسوؤه ... وهل ساء من على العرض يستبقي؟دخلت عليه زائرا فإذا أنا ... بكلب مطير عابس مائل الشدقواحسن إذا أخطأت إن زرت مثله ... فيعاقبني بالتيه أو سيئ الخلقوأنا أستغفر الله العظيم من هجو المسلمين، وثلب أعراض الغافلين. ولولا أن اغتياب." (٢)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي؟ عبد القادر البغدادي ٣٣٧/٩

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم؟ الحسن اليوسي ٣٥٦/١

"فوق خديه للعذار طريق ... قد بدا تحته بياض وحمرهقيل ماذا؟ فقلت: أشكال حسن ... تقتضني أن أبيع قلبي بنظرهواعلم أن معظم ما نشدنا، لك إن تجعله من باب الإيهام تورية أو توجهها لا من باب الاقتباس والخطب سهل.ومما جمع ثلاثة فنون مما مر قول بعضهم:دارست قلبي الصبر أعتده ... عن عاصم لي منك أو نافعفلم يكن يرفع ما حل بي ... ورب فعل ليس بالرافعضل بي المذهب يا مالكي ... فهل لذلك الوجه من شافع؟ومثل هذا قول الآخر:من شافع لي عند مالك مهجتي؟ ... مالي سوى حبي وليس بنافعيفمن المحقق أن مذهب مالك ... لا تستقيم لديه حجه شافعيوهذا الباب أكثر من أن يأتي عليه الحصر.وقال أبن العربي، وقد وقف عليه مليح وهو في مجلس فهز ومحا بيده، **ارتجالا**:يهز علي الرمح ظبي مهفهف ... لعوب بألباب البرية عابثفلو كان رمحا واحدا لا تقينه ... ولكنه رمح وثان وثالث!وهذا غاية في القوة العارضة أنسجاما وحسن سبك وصحة معنى، الارتجال وصعوبة القافية. وقد وقع إشكال لجماعة من الأدباء في الشعر وما أريد فيه، وذلك من حيث لم يعتد استعمال الرمح في العيون؛ وإلا فهو بين واضح.وقلت أنا:لا يلهينك من فتى سرباله ... وبهاء منظره ورونق نفثهأو تقتحمه من رثاثة زيه ... فتجول في إطرائه أو مغثهحتى تبين قدره عن فره ... ولجينه عن بحثهوتميز عن طول الزمان هشيمه ... من غضه وسمينه من غثهونفاذه غرض النوائب إن دجت ... من طيشه ووفاء من ملثهومقام ما أستودعه من كامن ... الأسرار في كتمانه أو نثه." (١)

"صبحته عند المساء فقال لي: ... ماذا الصباح وظن ذاك مزاحافأجبته: إشراق وجهك غرني ... حتى توهمت المساء صباحاوسبب قوله هذا الشعر إنه دخل وهو ثمل على السلطان أحمد المريني عشية فصبحه. فنظر السلطان إليه نظر منكر، وقال له: أي وقت هذا؟ وأي معنى للصباح فيه؟ فأفاق من سكره وانشد ما مر **ارتجالا**، وهذه بديهة لا بأس بها.ومثله ما يحكى إنه وقع ليحيي بن أكثم، وكان الأمين بن الرشيد شرب يوما مع عبد الله بن ظاهر، ومعهما يحيى. فتغامزا عليه، وأمر الساقي فأكثر له حتى أسكره. وكان بين أيديهم ردم من رياحين. فأمر يحيى فدفن فيه، وأمر قينة أن تغني عند رأسه بيتين علمهما. فغنت:ناديته وهو ميت لا حراك به ... مكفن في ثياب من رياحينفقلت: قم؟ قال: رجلي لا تطاوعني ... وقلت: خذ! قال: كفي لا تواتينيفأنتبه يحيى لصوت العود وصوت الجارية، فأخذ العود منها وغنى:يا سيدي وأمير الناس كلهم ... قد جار في حكمه من كان يسقينيإني غفلت عن الساقي فصيرني ... كما رأيت سليب العقل والدينلا أستطيع نهوضا قد وهى بدني ... ولا أجيب لداع حين يدعوني!وقال أبو الفتح

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم؟ الحسن اليوسي ٢/٣٣

البستي:أفد طبعك المكدود بالجد راحة ... يجم وعلله بشيء من المزحولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بقدر الذي يعطى الطعام من الملحوقال آخر في معناه:ممازحة الصديق تزيد ودا ... إذا كانت تضاف إلى الملاحهفمازح من تحب وتصطفيه ... فمزحك مع صديق في راحهوقال الآخر في المدح:إذا نزل الضيف ليلا بهم ... رأى أوجها لاح منها الصباحكرام الوجوه لمن أمهم ... وعند وجوه الكرام السماحوهذا من العكس، وهو عند أهل البديع قسمان: تعاكس الكلم وتعاكس الحروف.فمن الأول في النثر قولهم: عادات السادات سادات العادات: وقولهم عقول الملوك." (١)

"مقربها مقصى ومرفوعها لقى ... ومنهلها مظما ومكسوها معربوقولي فيها:وإن أبصروا بالمملق اهتزأوا به ... ومدوا إليه طرفهم نظرا شزراوقالوا بغيض إن نأى ومتى دنا ... يقولون ثقيل مبرم " أدبر الفقرا "فإن غاب لم يفقد، وإن عل لم يعد ... وإن مات لم يشهد، وإن ضاف لم يقراوهذا الباب لا ينحصر، وقد أودعنا منه "كتاب الأمثال والحكم " قدرا صالحا، ولنقتصر على هذا القدر هنا خوفا من الملل.لله الأمر من قبل ومن بعدروايات المؤلف عن محمد الحاج الدلائيحدثني الرئيس الأجل أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي رحمه الله قال: لما نزلنا في طلعتنا إلى الحجاز بمصر المحروسة خرج للقائنا الفقيه النبيه أبو العباس أحمد بن محمد المقري قال: وكنت أعرفه عند والدي لم يشب، فوجدته قد شاب، فقلت له: شبت يا سيدي فاستضحك ثم قال:شيبتني غرندل ويحار ... وبحار فيها اللبيب يحارقال: وحدث أنهم كانوا ركبوا بحر سويس فهال بهم مدة من نحو ستة أشهر، وهم يدورون دورانا، وأنه ألف في تلك المدة موضوعا في علم الهيئة وسارت به البركان، فلما خرج من البحر وتصفحه وجد فيه الخطأ الفاحش، وقد فات تداركه، وذلك مما وقع له من الهول. قال: وإذا هو قد خرج معه برجل ضرير البصر فقال: هذا الضرير من أعاجيب الزمان في بديهة الشعر، فألق عليه أي بيت شئت يأت عليه **ارتجالا** بما شئت من الشعر، ثم عهده به أن يقوله فلا يبقى شيء منه في حفظه، فأتيتكم به لتشاهدوا من عجائب هذه البلاد ونوادرها وتذهبوا بخبر ذلك إلى بلادكم قال: فاقترحوا مني بيتا يقول عليه، فحضر في لساني بيت ابن الفارض:سائق الأظعان يطوي البيد ... مسرعا عرج على كثبان طيقال: فذكرته فاندفع على هذا الروي مع صعوبته حتى أتى بنحو مائة بيت **ارتجالا**.قلت وهذا غريب، فإن هذا القدر كله يعز وقوعه من العرب المطبوعين فكيف بالمولدين؟ فكيف بآخر الزمان الذي غلبت فيه العجمة على الألسن؟ ولكن رب الأولين والآخرين واحد، تبارك الله أحسن الخالقين! وحدثني أن الفقيه أبا العباس المذكور كان أيام مقامه

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم؟ الحسن اليوسي ١٧١/٢

بمصر قد اتخذ رجلا عنده بنفقته وكسوته وما يحتاج على أن يكون كلما أصبح ذهب يقتري البلد أسواقا ومساجد ورحابا وأزقة، وكل ما رأى من أمر واقع أو سمع يريحه عليه بالليل فيقصه عليه.قلت: وهذا اعتناء الأخبار والنوادر والتواريخ.وقد كان نحو هذا لشيخ مشايخنا أبي عبد الله محمد العربي ابن أبي المحاسن يوسف الفاسي، فكان من دأبه أنه متى لقي إنسانا يسأله من أي بلد هو؟ فإذا أخبره قال: من عندكم من أهل العلم؟ من عندكم من أهل الصلاح؟ ومن الأعيان؟ فإذا أخبره بشيء من ذلك كله سجله، وهذا الاعتناء بالأخبار والوقائع والمساند ضعيف جدا في المغاربة، فغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية، وفيما سوى ذلك لا همة لهم.وكان أبو عبد الله المذكور يذكر في كتابه " مرآة المحاسن " أنه كم في المغرب من فاضل ضاع من قلة اعتنائهم، وهو كذلك.وقد سألت شيخنا الأستاذ أبا عبد الله ابن ناصر رحمه الله ورضي عنه يوما عن السند في بعض ما كنت آخذه عنه فقال لي: إنا لم تكن لنا رواية في هذا، وما كنا نعتني بذلك. قال: وقد قضيت العجب من المشارقة واعتنائهم أمثال هذا حتى إني لما دخلت مصر كان كل من يأخذ عني عهد الشاذلية يكتب الورد والرواية والزمان والمكان الذي وقع فيه ذلك.منافسة علماء مصر لأحمد المقري." (١)

"وفي " الحكم العطائية ": ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه وذكر شارحها ابن عباد رضي الله عنه أنه حمل لبعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير، ففرح الملك به فرحا شديدا، فقال لبعض الحكماء عنده: كيف ترى هذا؟ فقال: أراه مصيبة وفقرا، قال: وكيف ذلك؟ قال: إن انكسر مصيبة " لا جبر لها " وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تجد مثله، وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر، فاتفق أن انكسر القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال: صدق الحكيم، ليته لم يحمل إلينا، وقال الشاعر:ومن يحمد الدنيا لشيء يسره ... فسوف لعمري عن قريب يلومهاإذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيرا همومهاوفي " الحكم " أيضا: إن أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك. وهذا صادق في الولاية نفسها، ولذا قال صلى الله عليه وسلم فيها: " نعمت المرضعة وبئست الفاطمة " وفي غيرها من كل ما يتناول الإنسان من الدنيا زائدا على قدر الضرورة أو يصحبه من أهلها، فكل ذلك لا يخلو من علاقة بالنفس، ثم هو لا يدوم إما أن تفارقه او يفارقك، فمآله إلى الحسرة والأسف.وكنت في سفرتي إلى السوس الأقصى لقيني فقير من شبانه فصحبني أياما قلائل وأنس بي، فلما بلغنا المحل ودعته فرأيته يبكي على فراقي، وسمعته يقول: لا تعرف أحدا، ويكرر هذا الكلام، أي إذا كنت أيها العاقل تعلم

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب؟ الحسن اليوسي ص/٣٥

أن الذي دخل في قلبك سوف تفارقه فيتألم قلبك عليه فلا تسع في دخول أحد فيه بمعرفتك له، ولا تعرف أحدا، واترك قلبك خاليا مستريحا.رأى الأمر يفضي إلى آخر ... فصير آخره أولاوهذا كله واد واحد والكلام فيه يتسع.نعم إن أمكنك أن تدخل في قلبك من لا يخشى عليه الزوال والهلاك والفناء فافعل، وليس ذلك إلا الحق تعالى، فمن أحبه فهو جدير أن يدوم محبوبه، ومن أنس به فهو جدير أن يدوم أنسه، ومن استعز به دام عزه، ومن استغنى به دام غناه، كما قيل:ليكن بربك عز نف ... سك يستقر ويثبتوإن اعتززت بمن يمو ... ت فإن عزك ميتلله الأمر من قبل ومن بعدالمقامة الحافظةدخلت مدينة فاس - حرسها الله تعالى - سنة تسع وسبعين وألف، إذ خربت الزاوية البكرية، فأقبلت طلبة العلم للأخذ عني، وتخلفت جماعة من المشاهير، وهم أو جهلهم محتاجون إلى المجلس، وكأنهم غلبهم ما هو المألوف من الطبع الآدمي في أمثالهم، وكنت آنست ذلك فيهم، فاتفق أن خرجنا لزيارة صلحاء الساحل، فلما انتهينا إلى مقام الشيخ أبي سلهام جلسنا على شاطئ البحر:في عشي كأنما اختلسته ... من نعيم الفردوس نفحة لطفقد قطفنا به جنى جنتي أن ... س وعلم أشهى اجتذاب وقطفوارتضعنا ألذ من كأس وصل ... بعد هجر من ذي وداد وعطفولقد كان في الحشا جذوة الوجد فكان منه لذلك مطففحصل للنفس ارتياح وانبساط، وتجدد لها عزم ونشاط، فكتبت **ارتجالا** ما صورته: حافظته لما انقدح في الفكرة من الشعر، أذكره بحسب ما اتفق غثا وسمينا، " ورخيصا وثمينا " وجدا وهزلا، وصدقا وإزلا حتى إذا آن لمضروبه الترويج، وبلغت بناته أوان التزويج، دفع الخالص الإبريز، وأحظيت الحسان بالتبريز، وكان الردي أولى أن يكسر أو يعطل، والدميمة منه أحق أن توأد أو تعضل، هذا وليت شعري، ماذا أكتب اليوم؟ وقد ضاع أكثر شعري:ليالي كان القلب في موكب الهوى ... على متن يعبوب من اللهو سابقوكان الشباب الغض فينان مورقا ... فكانت رياض الغي أزهى الحدائقوللنفس إذ ذاك أقدر على القيل والقال، وأعرف بالسحر الحلال، فكنت إذ ذاك أقول الفذ والنتفة والقصيدة عن نشاط إلى القول وارتياح ثم ادع ذلك يذهب مدرج الرياح، ولم أستفق لتقييد، إلا وقد كدت أراهق التفنيد ويقصر من وسواس النفس باطله، ويعرى أفراس الصبا ورواحله:والقلب يرجو أن ترق شفاره ... وتطول في سبل الهدى أسفارهويبين عن شرك الغرور نواره ... وتلوح في رتب العلى أنوارهفيقل في سوق الصبا أوطاره ... ويشط عن وطن الهوى أقطاره." (١)

"فجعلت تنوه بذكرهن وتستميل إليهن قلوب السفهاء أمثالهن حتى اشتهر أن عند فلانة البنات الحسان، فجاء مغرور فخطب إليها فأنكحته واحدة منهن فانقلب جذلان لا يبالي ما أنفق ولا ما أهدى

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب؟ الحسن اليوسي ص/٤٣

منشدا بلسان حاله:ومن طلب الحسناء لم يغله المهروجعلت للدخول موعدا فلما دخل أخفق فأصبح بئسا خاسر الصفقة، وحين أحست العجوز بذلك تنكرت وتعيبت حتى نسي ذلك فرجعت تذكر بناتها أيضا فيجيء أحمق آخر خاطبا فإذا قال له النصحاء ويحك أليس لك فيما وقع لفلان مع هذه الفاجرة عبرة؟ يقول من فرط شغفه بما سمع من الحسن: ذلك أمر قد يتفق، ولعله في تلك البنت فقط لا في غيرها، فيتقدم ويقع له كما وقع للآخر، ثم يجيء مغرور آخر لا علم له بما كان وهكذا إلى أن يتفق لواحد أن يجد الأمر كما يجب فتخرج وتطيل لسانها وتقول: من عنده في الوجود مثل بناتي؟ ويقول الناس: والله إن فلانا تزوج منها بنتا فوجدها كما يحب وتذهب تلك المساوي كلها في هذه الحسنة الواحدة، فما أظرف هؤلاء الحمقى إذ يحكمون بأن الحسنات وإن قلت يذهبن السيئات وإن كثرت، وهكذا الفقير المدعي يتظاهر بإخبارات وتصرفات هي حسنة لذيذة عند العوام لموافقتها لشهواتهم وحاجاتهم وهي فاسدة لبطلانها وانبنائها على غير أساس، فإذا ظهر كذبه في الواحدة قالوا: سبحان الفاعل لما يشاء، والقادر يحنث عبد القادر، وبهذا أيضا يعتذر هو.وكنت تحدثت مع بعض الأصحاب في هذا المنزع فقلت لهم: إن المدعين لا يدخلون في الإسلام حتى يفتضحوا فاستعجبوا من ذلك وسألوا عن تأويله فقلت لهم: إن المدعي حين تهيج له الظنون الكاذبة والوساويس الباطلة يحكم بوقوع أمور ولا يذكر الله تعالى ولا يعرج على مشيته وسعة علمه وعظيم قهره، حتى إذا افتضح ببطلان ما قال رجع إلى الحق وجعل يقول: الأمر أمر الله والحكم حكمه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.فهلا تلا حاميم قبل التقدمومنهم من يتظاهر بالوجد والسكر وأول ما يقول في ذلك، فإن كذب وليم يقول: والله ما أدري " حين تكلمت " ما أقول، وما لي اختيار، ويظن أنه يتخلص بهذا من الملامة، وهيهات ذلك! فإنه إن كان نطقه عن عمد فهو افتراء للكذب، وإلا فالشيطان يلعب به ترقيصا وضربا واستنطاقا، وناهيك بها نقيصة.ودخل ذات مرة علي الأديب الفاضل أبو عبد الله محمد الصالح بن المعطي وأنا إذ ذاك بمدينة مراكش حرسها الله ومعه رجل أسود من ناحية المشرق، فتحدث الأسود وقال: إنه من وادي العباس، وزعم أنه كان ذهب إلى بغداد زائرا للشيخ عبد القادر رضي الله عنه، وأنه بقي في مقامه أياما، وأنه رآه فاستتابه ثم أمره بالتوجه إلى شيخ من أهل الوقت في نهر تيرا يقال له أبو عبد الله، وأن بين بغداد وبين ذلك البلد نحو عشرين مرحلة، كلها قفار معاطش لا يعمرها إلا الحيات والثعابين، وأنه قال له: إنك ستبلغ في ثلاث ولا ترى بأسا، فبلغ في ذلك سالما، وأنه بقي عند الشيخ الآخر أياما فرده إلى بغداد وبلغها في ذلك أيضا، وأنه أمره الشيخ عبد القادر بالتوجه إلى بلاد المغرب لزيارة الصالحين، فلما رأيت ذلك طمعت أن تكون له رائحة، وكانت لي حاجة فأردت استنجاده فيها،

فحركت الصالح وكانت تعتريه هزة فتحرك وصاح، فلما تحرك " تحرك " ذلك الرجل وكثر اضطرابه وزعيقه " ثم " وعد بالحاجة لأمد قريب، وزعم أن الشيخ عبد القادر أو الحاكم بذلك، فلم يلبث أن حل الأجل ولم يقع ذلك، وروجع فلم يوجد عنده حاصل، فعلم أن الشيطان استفزه، فقلت للصالح **ارتجالا** مطايبة ونصحا:أين الذي قد قال يا صالح ... من هو عند زعمه صالحوإذ بدا ما قاله زائفا ... فهو لعمري الكاذب الطالحيلعب شيطان به جهرة ... فهو إلى وسواسه جانحيحسبه القطب الذي يدعي ... والقطب لا يكذب يا صالحأنصحه كي يقلع عن غيه ... فحسبه المنتهجتقوى الإله واعتصام به ... في سنة والعمل الصالحهذا لعمري غنية المغتني ... وذا لعمري التجر الرابحيا أيها الناس اعلموا إنما ... عبد الإله الظافر الناجحمن يعبد المولى ويعنى بما ... يعنيه لا وان ولا مازحولا أخو دعوى ولا مفتر ... ولا بمرتع الهوى سارحولا عنود عن سبيل التقى ... يوما ولا عن الهدى جانح." (١)

"ومن غريب ما اتفق لي في هذا البلد أنني مررت به حين سافرت إلى ناحية مراكش في طلب العلم فأصابتني الحمى منه، وذلك أول حمى أصابتني في عمري ثم بقيت في تلك النواحي عدة سنين فلما رجعت ومررت به أصابتني أيضا، وكأنها كانت تنتظرني، ولذا كان من جملة التمني أن أترك هذه البلدة وأمراضها ورائي بالمجاوزة إلى وطني.وكنا ذات مرة في بساتين خارج الحضرة المراكشية، ثم سرينا ليلة لقصد زيارة بعض الصالحين وركبت فرسا، فما استويت " عنه " وبرد الليل وكنت أستحب السري فانبسطت نفسي وتمنيت أن لو كنت على أعتق من ذلك الفرس، وذكرت الأوطان فقلت **ارتجالا** أو شبه ارتجال:يا سرية لو كنت أسريها على ... نهد أغر محجل يعبوبينساب من تحتي كأن ذميله ... جريان ماء في الصفا مصبوبما بين خلاد فخوخات إلى ... نهر الرمال فمقطع فجبوبفإذا فصلت من السلام عليكم ... وهفت صبا في الجو ذات هبوبفهناك تنشقني الحجاز وشيحه ... وتتم عرفا من شذا محبوبصلى الإله عليه ما وكف الحيا ... في الروض من وبل ومن شؤبوبوعلى الأماجد آله وصحابه ... ما حن محبوب إلى محبوبيا رب أنت رجاؤنا في نيل ما ... نرجو فكن لعبيدك المربوبلا رب نرجوه سواك أممكن ... وجدان آلهة لنا وربوب؟فامنن عليها واسقنا إنا لفي ... ظمأ على شحط النوى وذبوبواجمع بصفوتك الأجلة شملنا ... مع اخوة ومعارف وحبوبواختم لنا معهم بدين قيم ... يتعلق وتشوق مشبوبفالدين والخرات أعود مقتنى ... أبدا لكل مشمر ملبوبوجرى " يوما " ذكر قصيدة ابن الخطيب التي أولها:سلا هل لديها من مخبرة خبر ... وهل أعشب الوادي ونم به الزهرفسما أيضا شوق وحزن، وعاود الفؤاد ذكر الوطن والسكن فقلت:شم برقها أعلى أجارع

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب؟ الحسن اليوسي ص/٦٧

ذي أضا ... وكفت فأترعت الجداول والأضاواحجب علي وميضه فلقد حشا ... وسط الحشا جمر الغضا لما أضافكأنه مذ لاح في تلك الربا ... ما بين أحشائي حس١م منتضما زال يذكرني معاهد جيرتي ... وعشيرتي ومعارفي مذ أومضا" هذا على أن لست قط بمغفل ... لعهودهم ما حان منها أو مضى "أم ساقها لجيوب ذروة سحرة ... فسقى بها قيصومها والعرمضاوأدار فوق نجودها كاس الحيا ... وهنا فأصبح كل نشز مبرضا" خلعت أكف السحب أردية الكلا ... ومطارف الزهر النضير على الفضا "وأفاضت الغدران حتى عاقرت ... أيدي الروابي الشم جريال الفضاما شئت من روض تراه مذهبا ... فيها ومن روض تراه مفضضابلد صحبت العيش فيه أخضرا ... نضرا ووجه الدهر أبيضادرت علي به الأماني حفلا ... وهمت علي غيوث بر فيضاولبست فضفاض النباهة سابغا ... وركبت صهوة كل فضل ريضاوأسمت سرحي في المطايب ممرعا ... ورميت صيدي في المآرب معرضافي فتية قد كان شربي فيهم ... صفو الوداد وكل خلق مرتضىتخذوا المروءة والسماحة والندا ... والبر والإكرام دينا مقتضوتألفوا كالماء والصهباء في ... ﻙأس وكل ذو سجايا ترتضىلله الأمر من قبل ومن بعدالاعتزال عن الخلق طلبا للسلامةحدثني الأخ الفاضل أبو عبد الله محمد بن مسعود العيسوي العرفاوي قال: سافرت إلى بلاد القبلة ذات مرة فمررت بالمرابط الخير أبي عبد الله محمد بن أبي بكر العياشي فدخلت لأزوره فلما قعد مني قريبا ثم أنشدني " متمثلا " قول الشاعر:جفوت أناسا كنت آلف وصلهم ... وما بالجفا عند الضرورة من باسفلا تعذلوني في الجفاء فإنني ... وجدت جميع الشر في خلطة الناسوالمراد من الشعر ومن التمثل به الاعتزال عن الخلق طلبا للسلامة لا ما يفهم من لفظ الجفاء، وفي الحديث: " خير الناس منزلة يوم القيامة رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه وفي رواية: حتى يموت أو يقتل ". والذي يليه رجل معتزل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور الناس.." (١)

"أغرت جفونك بالهوى ... من كان يعرفه ومن لالم تبق غير حشاشة ... في مهجتي وأخاف أن لاورسوم قلب لم يدع ... منه الهوى إلا الأقلاوبمهجتي من لا أسمي ... ه وأكتمه لئلاعانقت منه الغصن في ... حركاته قدا وشكلاوكشفت فضل قناعه ... بيدي عن قمر تجلىفلثمته في خده ... تسعين أو تسعين إلاومنه قول جمال الدين بن نباتة:ولقد كملت فلا يقال لقد ... حزت الجمال جميع إلاوقول ابن مكانس مع التورية:من شرطنا أن أكسرتنا الطلا ... صرفا تداوينا بشرب اللمانعاف مزج الماء في كأسها ... لا وأخذ الله الندامى بماوقول صدر الدين بن عبد الحق مع زيادة التورية والاقتباس:جهنم حمامكم نارها ... تقطع

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب؟ الحسن اليوسي ص/٧٧

أكبادنا بالظماوفيها عصاة لهم ضجة ... وإن يستغيثوا يغاثوا بماومثله قول الشيخ برهان الدين القيراطي:بأبي شامات حسن ... قد أطالت حسراتيكلما ساءت فعالا ... قلت إن الحسناتوقول ابن أبي حجلة مع التضمين:شمس الضحى بعد العشا ... زارت فزال تلهفيواستقبلت قمر السما ... فأرتني القمرين فيوقوله يرثي أخا له:أخي تركتني فقضيت نجا ... فدمعي قد ملا حزنا وسهلاوكل أخ مفارقه أخوه ... كذا قالوا لعمر أبيك إلايشير إلى قول الشاعر:وكل أخ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك إلا الفرقدانومن بديع الاكتفاء مع زيادة التورية ما اتفق للشيخ شهاب الدين التلعفي مع شمس الدين الشيرجي، وذلك أنهما حضرا بين يدي الملك الناصر في ليلة أنس، فاتفق أن الشيرجي ذهب لضرورة وعاد، فأشار إليه الملك الناصر بصفع التلعفري (فصفعه، فنهض) التلعفري على الفور، وقبض على لحية الشيرجي – وكان رجلا ألحى _.وأنشد ارتجالا ويده فيها:قد صفعنا في ذا المقام الشريف ... وهو إن كنت ترتضي تشريفيفارث للعبد من مصيف صفاع ... يا ربيع الندى وإلا خري فيومنه قول الأديب لاعبده من أدباء العصر بالمدينة المنورة على ساكنها وآله الصلاة والسلام مؤرخا دارا بناها بعض قضاة تلك الديار:صاح بين النقا وبين المصلى ... منزل في حلى المفاخر يجلمجلس من أتاه يسمع منه ... مرحبا مرحبا وأهلا وسهلافيه حبر وهمت بل فيه بحر ... جامع للعلوم عقلا ونقلاجاء سهل التاريخ من غير عيب ... هكذا من أراد يبني وإلاوقلت أنا في ذلك:يا عاذلي في الأماني ... أكثرت في العذل قولادعني أعلل نفسي ... ما أضيق العيش لولاوهو من قول الطغرائي في لامية العجم:أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأملتنبيه – قد تبين من الأمثلة المذكورة أن الاكتفاء قد يكون بحذف المستثنى، ومعمول الجوازم، والجار، والصلة، من غير دلالة صلة أخرى عليها، وكل ذلك عند النحويين ضرورة.قال الحافظ السيوطي في جمع الجوامع: واستحسن أهل البديع بعض ما سماه النحاة ضرورة، كحذف معمول الجوازم المسمى بالاكتفاء، فإن اشتمل على تورية تصرفه عنه – أي عن الاكتفاء – فأحسن. انتهى.وقيل على هذا: يرد على البديعيين أن المحسنات البديعية إنما تعد محسنة بعد رعاية الفصاحة، فما خالفها يعد قبيحا، فكيف تعد الضرورة من المحسنات؟.وأما النوع الثاني من الاكتفاء وهو الذي يكون ببعض الكلمة.فهو حذف بعض حروف القافية من آخرها لدلالة الباقي عليه. واحترزنا (بالقافية) عن غيرها.كقوله:فنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره ... طريف بن مال ليلة الجوع والحصرأي ابن مالك. وبقولنا (من آخرها) عن مثل قوله (غرثى الوشاحين صموت الخلخل) أي الخلخال، فلا يسمى ذلك كله اكتفاء عند البديعين. وقد يسمى في غير هذا العلم بالاقتطاع، ولا يختص بالقافية.وسماه ابن جني في كتاب التعاقب بالإيماء وعقد له بابا، فقال باب الإيماء وهو الاكتفاء عن

الكلمة بحرف من أولها.وسماه ابن فارس في فقه اللغة بالقبض. وهو وارد في القرآن والحديث وكلام العرب.." (١)

"يا أحمد الرازي قم صاغرا ... عزلت عن أحكامك المسرفهما فيك إلا الوزن والوزن لا ... يمنعك الصرف بلا معرفهومثله قول ابن عنين فيمن عزل عن وظيفته وكانت سيرته غير مشكورة:شكى ابن المؤيد من عزله ... وذم الزمان وأبدى السفهفقلت له لا تذم الزمان ... فتظلم أيامه المنصفهولا تغضبن إذا ما صرفت ... فلا عدل فيك ولا معرفةوقال الغزي:غيري له المجد والأيام تقسم بي ... وهي الجديرة بالضيزى من القسمأظنها أقسمت باسمي لتخفضني ... ولم يكن غير فضلي أحرف القسمومن أحسن ما يقع في هذا الباب ما وافقت ألفاظه صفاتها، كأن يكون الموصوف بأسماء أدوات الإعراب لفظة معربة بها.قال الصلاح الصفدي: لم أر من استعمل هذا المعنى وأتى به كاملا غير الشهاب التلعفري في قوله:وإذا الثنية أشرقت وشممت من ... أرجائها أرجا كنشر عبيرسل هضبها المنصوب أين حد ... يثها المرفوع عن ذيل الصبا المجرورفانظر كيف نصب الهضب، ورفع الحديث، وجر ذيل الصبا. وهذا في غاية الحسن مع كمال الانسجام وعدم التكلف في التركيب.وقد نظم هذا المعنى التلعفري أيضا فقصر عن هذه الغاية في قوله:قل للصبا سرا فإن لها شذى ... يضحى لما يفضي إليه مذيعايا ذيلها المجرور عن هضب الحمى ال ... منصوب هات حديثها المرفوعاقلت: وقد شن الغارة الشيخ صفي الدين الحلي على الشهاب التلعفري حيث قال في رياض الميطور بدمشق:إن جزت بالميطور مبتهجا به ... ونظرت ناضر دوحه الممطوروأراك بالآصال خفق هوائه ال ... ممدود تحريك الهوى المقصورسل بأنه المنصوب أين حديثه ال ... مرفوع عن ذيل الصبا المجروروالشهاب التلعفري أقدم أم الصفي الحلي، لأن التلعفري توفي قبل أن يولد الصفي بسنتين.وممن نظم هذا المعنى وقصر فيه ابن حجة حيث يقول:رفعتم قبابا نصب عيني ونحوها ... تجر ذيول الشوق والقلب يجزمفيا عرب الوادي المنيع جنابه ... وأعني به قليب الذي فيه خيموافائدة: - التلعفري نسبة إلى تلعفر - بفتح التاء المثناة من فوق وتشديد اللام، وسكون العين المهملة، وبعدها راء مهملة - قرية من أعمال الشام، ويعرف بهذه النسبة شاعران.أحدهما أبو الحسن علي بن أحمد التلعفري، كان شاعرا مطبوعا مقتدرا، من أقران أبي الفرج الببغاء وأبي عثمان الخالدي، ونحوهما من مذكوري الشعراء.ومن شعره ما أنشده له الثعالبي في يتيمة الدهر:يا راكب العيس قف وعرج ... واقرأ سلامي على بني طيوقل لهم ظبيكم جفاني ... لما رآني وما معي شيوأنشد له من قصيدة:من ذا يدل على الرقاد جفوني

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع؟ ابن معصوم الحسني ص/١٨٥

... قد ضاع بين صبابتي وشجونيأما النجوم فقد ألفن رعايتي ... والعائدات فقد مللن أنينيوللسلامي فيه هجاء كثير، وسبب ذلك: أن السلامي لما خرج من مدينة السلام ورد الموصل وهو صبي حين راهق. فوجد بها أبا عثمان الخالدي، وأبا الحسين التلعفري المذكور، وأبا الفرج الببغاء، وغيرهم من شيوخ الشعر فلما رأوه عجبوا منه واتهموه بأن الشعر ليس له.فقال الخالدي: أنا أكفيكم أمره، فاتخذ دعوة جمع الشعراء فيها، وحصل السلامي معهم، فلما توسطوا الشراب، أخذوا في ملاحاته والتفتيش عن قدر بضاعته، فلم يلبثوا أن جاء مطر شديد، وبرد ستر الأرض كثرة، فألقى أبو عثمان نارنجا كان بين أيديهم على ذلك البرد وقال: ي أصحابنا هل لكم في أن نصف هذا؟ فقال السلامي **ارتجالا**:لله در الخالدي الأوحد الندب الخطيرأهدى لماء المزن عن ... د جموده نار السعيرحتى إذا صدر العتا ... ب إليه عن حنق الصدوربعثت إليه بعذره ... مع خاطري أيدي السرورلا تعذلوه فإنه ... أهدى الخدود إلى الثغورفلما رأوا ذلك أمسكوا عنه وأخذوا يصفونه بالفضل، ويعترفون له بالحذق إلا التلعفري فإنه أقام على قوله الأول، حتى قال فيه السلامي:يا شاعرا بسقوطه لم يشعر ... ما كنت أول طامع لم يظفرلو كنت تعرف والدا تسمو به ... لم تنتسب ضعة إلى تلعفرتاه ابن نابغة الفوق على الورى ... بقذال صفعان ونكهة أبخر." (١)

"قال الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى: في هذا البيت أراد أن يزيد على الشعراء في ذكر المطايا فأتى بأخزى الخزايا، ومن الناس أمه، فهل ينشط لركوبها، وللمدوح أيضا عصبة لا يجب أن يركبوا إليه. فهل في الأرض أفحش من هذا التسحب، وأوضع من هذا التبسط.ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله:فالعيس أعقل من قوم رأيتهم ... عما يراه من الإحسان عمياناوإذا انتقل الشاعر مما ابتدأ به الكلام إلى المدح ونحوه من غير ملائمة سمي اقتضابا، وافتطاما، **وارتجالا**، وهو مذهب العرب الجاهلية والمخضرمين الذين أدركوا الإسلام؛ كلبيد؛ وحسان، وكثير من الإسلاميين ومن المولدين يتبعونهم في ذلك، ويجرون على مذهبهم فيه.كقول أبي تمام:لو رأى الله أن في الشيب خيرا ... جاورته الأبرار في الخلد شيباثم قال بعده من غير ملائمة:كل يوم تبدي صروف الليالي ... خلقا من أبي سعيد رغيباوقوله من أخرى يمدح المعتصم بالله العباسي:وقد طوى الشوق في أحشائنا بقر ... عين طوتهن في أحشائها الكلليخزي ركان النقا ما في مآزرها ... ويفضح الكحل في أجفانها الكحلتكاد تنتقل الأرواح لو تركت ... من الجسوم إليها حيث تنتقلطلت دماء هريقت عندهن كما ... طلت دماء هدايا مكة الهملهانت على كل شيء فهو يسفكها ... حتى المنازل والأحداج والإبلثم قال بعده من غير مناسبة، ولا تقريب:بالقائم الثامن المستخلف أطأدت ...

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع؟ ابن معصوم الحسني ص/٢٠٤

قواعد الملك ممتدا لها الطولوهو في شعره كثير.وكقول البحتري:تمادت عقابيل الهوى وتطاولت ... لجاجة معتوب عليه وعاتبإذا قلت قضيت الصبابة ردها ... خيال ملم من حبيب مجانبيجود وقد ضن الألى شغفي بهم ... ويدنو وقد شطت ديار الحبائبترينيك أحلام النيام وبيننا ... مفاوز يستفرغن جهد الركائبثم قال بعده بلا مناسبة:لبسنا من المعتز بالله نعمة ... هي الروض موليا بغزر السحائبوقوله من أخرى في الفتح بن خاقان: ويوم تثنت للوداع وسلمت ... بعينين موصول بلحظيهما السحرتوهمتها ألوى بأجفانها الكرى ... كرى النوم أو مالت بأعطافها الخمرثم قال بعده:لعمرك ما الدنيا بنا قصة الجدا ... إذا بقي الفتح بن خاقان والبحروهو في شعره: أكثر، حتى أن السليماني الشاعر عرض به في قوله:يغتابني فإذا التفت أبان عن محض صحيحوثبا كوثب البحتري ... من النسيب إلى المديحوهو في شعر الشريف الرضي كثير جدا، ولا فائدة في إيراد شيء منه هنا، لأنه خارج عن البديع وما كان الغرض من إيراد هذه الجملة منه إلا بيانه بالتمثيل، والله أعلم.تنبيه – ذهب أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي إلى أنه لم يقع في القرآن شيء من التخلص لما فيه من التكلف، وقال: إن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم وقد أنكر عليه جماعة من العلماء ذلك، وغلطوه في قوله هذا، وقالوا: إن في القرآن من التخلصات العجيبة ما يحير العقول. فانظر إلى سورة الأعراف، كيف ذكر فيها الأنبياء، والقرون الماضية، والأمم السالفة؛ ثم ذكر موسى؛ إلى أن قص حكاية السبعين رجلا ودعائه لهم ولسائر أمته بقوله: (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) وجوابه تعالى عنه، ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله: (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين) من صفاتهم كيت وكيت، وهم (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) ، وأخذ في صفاته الكريمة، وفضائله العظيمة. وفي سورية الكهف حكى قول ذي القرنين في السد (فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا) ، فتخلص منه إلى وصف حالهم بعد دكه الذين هو من أشراط الساعة، ثم بالنفخ في الصور، ثم ذكر الحشر، ووصف مآل الكفار والمؤمنين؛ ومثل ذلك في القرآن كثير، والله أعلم.وقد طال الكلام في هذا النوع، فلنتخلص إلى إثبات أبيات البديعيات.فبيت بديعية الشيخ صفي الدين الحلي قوله:من كل معربة الألفاظ معجمة ... يزينها مدح خير العرب والعجم." (١)

"إذا القوم مدوا بأيديهم ... إلى المجد مد إليه يدافنال الذي فوق أيديهم ... من المجد ثم مضى مصعدايحمله القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولداترى الحمد يهوي إلى بيته ... يرى أفضل الكسب

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع؟ ابن معصوم الحسني ص/٢٤٨

أن يحمداإذا ذكر المجد ألفيته ... تأزر بالمجد ثم أرتدوأما ما وقع من الانسجام في أشعار الإسلاميين، فمنه قول الفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهي قصيدة مشهورة لا يسقط منها بيت واحد. وأما انسجامها فغاية لا تدرك، وعقيلة لا تملك، وقد جنبها حوشي الكلام، وجاء فيها ببديع الانسجام. ومن رأى سائر شعر الفرزدق، ورأى هذه القصيدة ملك نفسه العجب، فإنه لا مناسبة بينها وبين سائر قوله، نسيبا ومدحا وهجاء، على أنه نظمها بديهة **وارتجالا،** ولا شك أن الله سبحانه أيده في مقالها، وسدده حال ارتجالها، ومع شهرة هذه القصيدة فقد آثرنا إيرادها هنا تبركا بها وبممدوحها عليه السلام، لئلا يخلو هذا الكتاب منها. ولنذكرها برواية الشيخ الأجل السيد الإمام العالم الحافظ الفقيه الزاهد جمال الدين شيخ الإسلام أوحد الأنام فخر الأئمة مسند العصر أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي الأصبهاني وهي: بسم الله الرحمن الرحيم أخبرنا الشيخ حسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي رحمه الله بقراءتي عليه، في جمادى الأخرى من سنة خمس وتسعين وأربعمائة ببغداد، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن علي الوراق قراءة عليه، قال: أخبرنا أبوا أحمد عبه السلام بن الحسين بن محمد بن عبد الله طيفور البصري اللغوي، قال: قرأت على أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب المتوثي بالبصرة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة على باب داره، وكتبه عن كتاب إملاء أملاه من أصله، ثم قرأته بعد ذلك بعشر سنية عشية الجمعة لست بقين من شعبان سنة أربع وستين وثلاثمائة على أبي الحسين محمد ابن محمد بن جعفر بن لنكك اللغوي على باب داره، ولم يكن له أصل يرجع إليه، وذكر أنه قد سمعه، قالا: حدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد – يعني بن عائشة – قال: حدثني أبي وغيره، قال: حج هشام بن عبد الملك في زمن عبد الملك أو الوليد، فطاف بالبيت، فجهد إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه أهل الشام، إذ أقبل علي بن الحسين بن علي عليهم السلام من أحسن الناس وجها، وأطيبهم ريحا، فطاف بالبيت، فكلما بلغ إلى الحجر تنحى له الناس حتى يستلمه. فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضرا فقال الفرزدق: لكني أعرفه، قال الشامي: من هو يا أبا فراس؟.فقال الفرزدق:هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرمهذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلمروى ابن لنكك (الظاهر) بظاء معجمة، وروى المتوثي بطاء غير المعجمة.إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمينمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجميكاد يمسكه عرفان

راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلميغضي حياء ويغضي من مهابته ... ولا يكلم إلا حين يتسممن جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأممينشق نور الهدى عن نور غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها القتممشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيمهذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختمواالله شرفه قدما وفضله ... جرى بذاك له في لوحه القلمفليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجمليس هذا البيت في رواية المتوثي، وعرفه ابن لنككككلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستو كفان ولا يعروهما العدمسهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والكرمحمال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعملا يخلف الوعد ميمون نقيبته ... رحب النفاء أريب حين يعتزم." (١)

"الثاني، ما دلالته معنوية، وأحسن شواهدها، ما روي أنه حين بلغت قراءته صلى الله عليه وآله وسلم في سورة المؤمنين إلى قوله تعالى (ثم أنشأناه خلقا آخر) قال عبد الله بن أبي سرح: (فتبارك الله أحسن الخالقين) فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: أكتب هكذا نزل، فقال: إن كان محمد نبيا يوحى إليه، فأنا نبي يوحى إلي، ولحق مرتدا بمكة. فلما كان يوم الفتح أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه، فأستأمن له عثمان (وكان أخاه من الرضاعة) فأمنه وأسلم يومئذ.ومن غريب أمثلة هذا النوع – لأنوع التوشيح كما زعم ابن حجة وغيره لما عرفته في وجوه الفرق بينهما – ما حكى جعفر بن سعيد بن عبيدة العماري قال: أتى عمر بن أبي ربيعة عبد الله بن العباس رضي الله عنهما وهو في حلقة في المسجد الحرام قال: أمتعني الله بك، إن نفسي قد تاقت إلى قول الشعر وقد أكثر الناس في الشعر، فجئت حتى أنشدك. فأقبل عليه عبد اللہ بن عباس فقال: هات، فأنشده: – (تشط غد دار جيراننا) فقال ابن عباس: – (وللدار بعد غد أبعد) فقال عمر: والله ما قلت إلا كذا، فقال ابن عباس: وهكذا يكون.وقريب من ذلك ما يحكى أن عدي بن الرقاع أنشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق قصيدته التي مطلعها: (عرف الديار توهما فأعتادها) حتى انتهى إلى قوله فيها: – (تزجي أغن كأن إبرة روقه) ثم شغل الوليد عن الاستماع بأمر عرض له فقطع عدي الإنشاد، فقال الفرزدق لجرير – في خلال ذلك –: ما تراه قائلا؟ فقال جرير: أراه يستلهب بها مثلا، فقال الفرزدق: إنه سيقول: – (قلم أصاب من الدواة مدادها) . فلما عاد الوليد إلى الاستماع، وعاد إلى الإنشاد قال كما قال الفرزدق. فقال الفرزدق: فو الله لقد سمعت صدر البيت فرحمته، فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا.قال زكي الدين بن أبي الأصبع: الذي أقول: أن بين ابن العباس وبين الفرزدق في

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع؟ ابن معصوم الحسني ص/٢٦٨

استخراجهما العجزين كما بينهما في مطلق الفضل، وفضل ابن العباس معلوم، وأنا أذكر الفرق. فإن بيت عدي بن الرقاع من جملة قصيدة تقدم سماع مطلعها مع معظمها، وعلم أنها دالية مردفة بألف، وهي من وزن قد عرف، ثم تقدم في صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفا لها قد أخذ الشاعر في تشبيه طرف قرنه، مع العلم بسواده، وهذه القرائن لا تخفى على أهل الذوق الصحيح، أن فيها ما يدل على عجز البيت، بحيث يسبق إليه من هو دون الفرزدق من حذاق الشعراء. وبيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته من أي ضرب هي القوافي، ولا رويه من أي الحروف، ولا حركة رويه من أي ضرب هي من القوافي، ولا رويه من أي الحروف، ولا حركة رويه من أي الحركات، فاستخرج عجزه **ارتجالا** في غاية العسر، ونهاية الصعوبة، لولا ما أمد الله به هؤلاء الأقوام من المواد التي فضلوا بها غيرهم. انتهى كلام ابن أبي الإصبع. وإنما قال: إن بيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته ولا رويه، لأنه هو مطلع القصيدة ولم يتقدمه شيء يعلم به ذلك.ومثل ذلك ما روي عن أبي عبيدة قال: أقبل راكب من اليمامة فمر بالفرزدق، فقال له: هل رأيت ابن المراغة؟ قال: نعم، قال: فأي شيء أحدث بعدي؟ فأنشده:هاج الهوى بفؤادك المهتاج ... فقال الفرزدقفانظر بتوضح باكر الأحداج ... فأنشد الرجلهذا هوى شغف الفؤاد مبرح ... فقال الفرزدقونوى تقاذف غير ذات خداج ... فأنشد الرجلإن الغراب بما كرهت لمولع ... فقال الفرزدقبنوى الأحبة دائم التشحاج ... فقال الرجل: هكذا والله قال أفسمعتها من غيري؟ قال: لا ولكن هكذا ينبغي أن يقال.وحكي أن جريرا لما أنشد الراعي النميري قصيدته التي هجاه بها كان الفرزدق حاضرا، فلما وصل إلى قوله: (ترى برصا بمجمع إسكتيها) غطى الفرزدق عنفقته فقال جرير: (كعنفقة الفرزدق حين شابا) فقال له الفرزدق: أخزاك الله، والله لقد علمت أنك لا تقول غيرها.ومدح أبو الرخاء الأهوازي الصاحب بن عباد لما ورد الأهواز بقصيدة منها:إلى ابن عباد أبي القاسم ال ... صاحب إسماعيل كفاي الكفاةفاستحسن جمعه بين اسمه وكنيته لقبه واسم أبيه في بيت واحد. ثم ذكر وصوله إلى بغداد، وملكه إياها إلى أن قال: (ويشرب الخيل هنيئا بها) فقال له: أمسك، ثم قال: تريد أن تقول:." (١)

"ومن لطائف الشيخ أبي الفضل بن أبي الوفاء:عبدك الصب المعنى ... عرف الفقر وذاقهفلكم فاخر محتا ... جا شكا فقرا وفاقهومن مخترعاته في باب التورية مع بديع التضمين:ما خادم واسمه في در مبسمه ... إلا أغن غضيض الطرف مكحولوريقه مع ثناياه التي انتظمت ... كأنه منهل بالراح معلولوقوله:سألتها رشف ريق ... مستعذب الطعم حلوقالت فصفني **ارتجالا** ... فقلت بعد الترويوقوله:ذكرك لي في اللوم

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع؟ ابن معصوم الحسني ص/٣٤٨

مستحسن ... واللوم عندي غير مستحسنكم قلت للمعرب في لومه ... إن جئت نحوي قط لا تلحنيوقوله:تعنت دهر لج فينا بخطبه ... وذللنا من بعد عز وأنكاناقسا وانثنى يختال في جبروته ... وجرر أذيالا علينا وأرداناومن محاسن الشيخ بدر الدين الدماميني:قلت له والدجى مول ... ونحن في مجلس التلاقد عطس الصبح يا حبيبي ... فلا تشمته بالفراقوقوله:يا عذولي في مغن مطرب ... حرك الأوتار لما سفراكم تهز العطف به طربا ... عندما تسمع منه وتراوقوله:بدا وقد كان اختفى ... وخاف من مراقبهفقلت هذا قاتلي ... بعينه وحاجبهوقوله:أمنيتي أنت يا مليحا ... ما مثله في الزمان ثانفكيف يبدي جفاك خوفا ... وأنت لي غاية الأمانوقوله:وعزيز الجمال أوجب ذلي ... وهواه علي أصبح فرضافهو في الحسن والجمال سماء ... صرت يا صاح منه بالذل أرضاوقوله:تناسبت أوصاف من وصله ... ينفي عن القلب جميع الكربفي الخد تسهيل ومن ثغره ... يطيب للصب ارتشاف الضربوقوله:لا ما عذاريك هما أوقعا ... قلب المحب الصب في الحينفجد له بالوصل واسمح به ... ففيك قد هام بلامينوقوله:في ليلة البدر أتى ... حبي فقرت مقلتيوقال لي يا بدر قم ... فقلت هذي ليلتيوقوله:قم بنا نركب طرف الل ... هو سبقا للمداماوثن يا صاح عناني ... لكميت ولجامومن مختارات الشيخ الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني:سألوا عن عاشق في ... قمر باد سناهأسرقته مقلتاه=قلت لا بل شفتاه وقوله:أتى من أحبائي رسول فقال لي ... ترفق وهن واخضع تفز برضانافكم عاشق قاسى الهوى إن يحبنا ... فصار عزيزا حين ذاق هواناوقوله:خاض العواذل في حديث مدامعي ... لما رأو كالبحر سرعة سيرهفحبسته لأصون سر هواكم ... حتى يخوضوا في حديث غيرهوقوله:يا عاذلي وسهام اللحظ ترشقني ... عن قوس حاجب بدر خده قبسيأن تستطع لنجاتي في الهوى سببا ... فاستنبط العلم لي من أسهم وقسوقوله:ولم أنس إذ زار الحبيب بروضة ... فغارت من المحبوب أعينها المرضىولاحت بخد الورد حمرة خجلة ... حياء رأينا طرف نرجسها غضاوقوله:نحن أهل الهوى بلوناه قدما ... بين خوف من أهله وأمانوشربنا خمر الهوى كل حين ... بكؤوس قد أترعت وأوانوقوله:سرت وخلفتني غريبا ... في الربع أصلي جوى بنازكأغث حشا أحرقت غراما ... في ربعك المعتلي وداركوقوله:وبدر تم جميل ... محجب بالدلالإذا همست بأني ... أسلو هواه بداليوقوله:نهاني حبيبي أن أطيع عواذلي ... لكي أتهنا بالوصال الذي سرافقلت فدتك النفس سمعا وطاعة ... فلم أر نهيا منه أهنأ ولا أمراوقوله:وأهيف حياني بطيب وصاله ... ومن ريقه الخمر الحرام حلاليأدار لي الكأسين خمرا وريقة ... ونزهني عن جفوة وملال (لي)وقوله:تجرد من أحب فقال لي من ... يلوم وأظهر الحسد المكتمأجاد لك الحبيب بلمس جسم ... له كالخز قلت نعم وأنعموقوله:تيه فلان الدين مع فقره ... أقوى دليل أنه

جاهللثوبه بالصقل من فوقه ... قعاقع ما تحتها طائلوقوله:يا أيها الشيخ المطيع هواه دع ... هذي الدعابة قد أتى داعي الردى." (١)

"عم الورى بيد سحنا يرشحها ... عطاؤه ليس يخشى فاقة النهم.قال في شرحه: الشاهد فيه قولي: سحا عطاؤه، لأنهما رشحا باليد للنعمة دون الجارحة. انتهى، وفيه نظر ظاهر.وبيت بديعيتي قولي:إذا أتيت بترشح لمدحهم ... حلى لساني وجيدي فضل ذكرهم.فذكر الجيد رشح وأهل لفظة حلى لاستخدامها بمعنى ألبسة الحلي، ولولاه لانحصرت في معنى جعله حلوا، والله أعلم.الحذف.حذفت ود سوى آل الرسول ولم ... أمدح سواهم ولم أحمد ولم أرم.هذا النوع من مستخرجات الإمام أبي المعالي عز الدين بن الوهاب بن إبراهيم الزنجاني صاحب معيار النظار، وهو عبارة عن أن يحذف المتكلم من كلامه حرفا فأكثر من حروف الهجاء أو جميع الحروف المهملة، أو جميع المعجمة، بشرط عدم التكلف.فالأول كالخطبة المعروفة بالمونقة لأمير المؤمنين (ع) إذ أخلاها من حرف الألف الذي هو أدخل في سائر الحروف في الكلام.روى هشام بن محمد السائب الكلبي عن أبي صالح، أنه اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكروا، أي الحروف أدخل في الكلام؟ فأجمعوا أن الألف أكثر دخولا، فخطب علي عليه السلام بهذه الخطبة **ارتجالا**، وسماها المونقة وهي: حمدت من عظمت منيته، وسبقت رحمته، وتمت كلمته؛ ونفذت مشيته: وبلغت حجته، وعدلت قضيته.حمدته حمد مقر بربوبيته، متخضع لعبوديته، متنصل من خطيئته، معترف بتوحيده، مؤمل من ربه مغفرة تنجيه، يوم يشغل عن فصيلته وبنيه.ونستعينه ونسترشده ونؤمن به ونتوكل عليه، وشهدت له بضمير مخلص مؤمن موقن، وفردته تفريد مؤمن متيقن، ووحدته توحيد عبد مذعن، ليس له شريك في ملكه، ولم يكن له ولي في صنعه، جل عن مشير ووزير، وتنزه عن مثل ونظير.علم فستر، وبطن فخبر، وملك فقهر، وعصي فغفر، وحكم فعدل. لم يزل ولن يزول وليس كمثله شيء، وهو (قبل كل شيء و) وبعد كل شيء، رب متفرد بعزته، متملك بقوته، متقدس بعلوه، متكبر بسموه؛ ليس يدركه بصر، ولم يحط به نظر، قوي منيع بصير سميع، علي حكيم، رؤوف رحيم.عجز عن وصفه من يصفه، وضل في نعته من يعرفه. قرب فبعد، وبعد فقرب، يجيب دعوة من يدعوه، ويرزق عبده ويحبوه، ذو لطف خفي، وبطش قوي؛ ورحمة موسعة، وعقوبة موجعة، رحمته جنة عريضة مونقة، وعقوبته جحيم موصدة موبقة.شهدت ببعث محمد عبده ورسوله، صفيه وحبيبه وخليله، بعثه خير عصر، وفي حين فترة وكفر، رحمة لعبيده، ومنة لمزيده، ختم به نبوته؛ وقوى به حجته، فوعظ ونصح، وبلغ وكدح، رؤوف بكل مؤمن، ولي

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع؟ ابن معصوم الحسني ص/٣٧٤

سخي زكي رضي؛ عليه رحمة وتسليم، وبركة وتكريم، من رب غفور رحيم، قريب مجيب.وصيتكم معشر من حضرني بوصية ربكم، وذكرتكم بسنة نبيكم. فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، وخشية تذري دموعكم، وتقية تنجيكم قبل يوم يذهلكم ويبليكم، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، وخف وزن سيئته، ولتكن مسألتكم مسألة ذل وخضوع، وشكر وخشوع، (بتوبة ونزوع) وندم ورجوع. وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه، وشبيبته قبل هرمه، وسعته قبل عدمه، وخلوته قبل شغله، وحضره قبل سفره، قبل هو يكبر ويهرم، ويمرض ويسقم، ويمله طبيبه، ويعرض عنه حبيبه، ويتغير عقله (وينقطع عمره ٦) ثم قيل هو موعوك، وجسمه منهوك، ثم جد في نزع شديد، وحضره كل قريب وبعيد، فشخص ببصره، وطمح بنظره، ورشح جبينه، وسكن حنينه، وجذبت نفسه، ونكبت عرسه؛ وحفر رمسه؛ ويتم ولده، وتفرق عنه عدده، وقسم جمعه، وذهب بصره وسمعه، وغمض ومدد، ووجه وجرد، وغسل ونشف، وسجي وبسط له، وهيئ، ونشر عليه كفنه وشد منه ذقنه، وقمص وعمم، (ولف) وودع وسلم، وحمل فوق سرير، وصلي عليه بتكبير، ونقل من دور مزخرفة، وقصور مشيدة، وحجر منجدة، فجعل في ضريح ملحود، ولحد ضيق مرصود، بلبن منضود، مسقف بجلمود. وهيل عليه حفرة، وحثي عليه مدره، فتحقق حذره، ونسي خبره، ورجع عنه وليه ونسيبه، وتبدل به قريبه وحبيبه (وصفيه ونديمه) . فهو حشو قبر ورهين، يسعى في جسمه دود قبره، ويسيل صديده من منخره، ويسحق بدنه ولحمه، وينشف دمه، ويرمي عظمه حتى يوم حشره، فينشر من قبره، حين ينفخ في صور، ويدعى لحشر ونشور.." (١)

"الخنفقيق. فلما أبعد نحو غلوة، إلى خلوة. قال: موعدنا الخان يا سهيل، والليل أخفى للويل. قال: فلما جن الظلام أتيته في الخان، وإذا ليلى بجانبه وقد لبست ملابس الغلمان. فقال: هذه بضاعتنا ردت إلينا، وقد حق صفع المانويه علينا. فهل ذلك في السفر، قبل السحر؟ قلت: إني لك أتبع من الصفة للموصوف، وألزم من العاطف للمعطوف. وأخذت ليلى تحدثنا باختلاس نفسها بعد ثقة القاضي بأنسها. فقلت: الله أكبر، إنها من بنات أوبر فتاه الشيخ دلالا وأنشد **ارتجالا**:عرج على القاضي وقل ولا حرج ... جمعت مالا بالرياء والعوجمن كل من دب وكل من درج ... والمال لا يخرج حينما خرجإلا من الباب الذي منه ولجقال سهيل: ثم هممنا بالزيال، وخرجنا نزف كالرئال فما." (٢)

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع؟ ابن معصوم الحسني ص/٤٧٦

(٢) مجمع البحرين لليازجي = مقامات اليازجي؟ اليازجي، ناصيف ص/٢٥٩

"قال: قد أجدت الوشي، فهل لك في قيود مطلق المشي؟ فخازر جفنيه وأتلع جيده إليه. وأنشد:قد درج الصبي والشيخ دلف ... وخطر الفتى وذو القيد رسفومشت المرأة والمرء سعى ... وقد حبا الرضيع يبغي المرضعاودرم الذي علاه الثقل ... وفرس جرى وسار الجملوهدج الظليم والغراب ... يحجل حيث حية تنسابونقز العصفور حيث العقرب ... دبت، وكلها قيود تكتبقال: وهل تعرف ما يذكر، من ترتيب جماعات العسكر؟ فروأ ريثما تفكر. ثم أنشد:أقل جمع العسكر الجريدة ... وبعدها السرية المزيدةوفوقها كتيبة تميس ... فالجيش فالفيلق فالخميسقال: ما أرك في البادية بالدخيل، ولا في الإفادة بالبخيل، فهل تعرف مراتب النخيل؟ فاستطال اختيالا، وأنشد **ارتجالا**:فسيلة قيل لصغرى النخل ... وفوقها قاعدة تستعليجبارة عيدانة والباسقة ... فوقهما ثم السحوق الشاهقةقال: أحياك الله السمر والقمر، فهل لك في ترتيب ما للنخل من الثمر؟." (١)

"لما ورد أخوه المصطفى إلى الحلة الفيحاء مع قطب دائرة الولاية المنصور المؤيد "عاكف باشا" ونزلا دار رئيس علمائها وزعيم فضلائها السيد مهدي القزويني دام علاه، فكتب المصطفى بيتين قالهما على لسانه **ارتجالا** علم العلم المشهور السيد محمد بن السيد مهدي المذكور وأرسلها إلى أخيه مع البرق "التلغراف" وهما:ببابل طاب عيشي ... مابين روض أنيقفصرت نعمان دهري ... لو أن عندي شقيقيفأجابه الجناب الحاج محمد حسن في الحال على سبيل الإرتجال وأرسلهما إليه في التلغراف وفيهما التورية:رصافتي رصفتها ... مدامعي بالعقيقبها صبغت الأفاحي ... لكي تريني شقيقيفأجابه جناب السيد المذكور عن لسان جناب الحاج مصطفى أيضا وذلك في التلغراف أيضا وفيها التضمين:لقد سحرتني بابل فاستمالني ... هواها عن الزوراء من حيث لا أدريولو لم يكن فيها هجرت لأجلها ... "عيون المها بين الرصافة والجسر"فأجابه الحاج محمد حسن في الحال بلسان البرق "التلغراف":أتسحر مثل المصطفى أرض بابل ... وإن حل فيها ثالث الشمس والبدروهذي عصا موسى أخيه بكفه ... ترآئت فما أبقت لبابل من سحروكتب أيضا إلى أخيه المذكور هذين البيتين بالتلغراف جوابا عن تلغراف كتبه إليه:وافت الوكة سيد شفت كما ... شف النسيم وخلقه والماءتحكي هلال العيد عن متيم ... هو والتصبر واصل والراءولما وصل جناب الحاج مصطفى إلى بغداد بعث إلى الحلة للشريف أبي موسى الميرزا جعفر نجل علامة العلماء السيد مهدي القزويني الحسيني هذين البيتين وأرسلهما مع البرق والإنشاء لأخيه الحسن:لم أنس عهد مغان فيك مزهزة ... قد أنستني فأنستني بك الوطنافما تجاوزت ميلا عنك مرتحلا ... حتى اكتحلت بسهد

---

(١) مجمع البحرين لليازجي = مقامات اليازجي؟ اليازجي، ناصيف ص/٢٦٦

يطرد الوسنافأجابه الميرزا المذكور برقيا أيضا وفيها التورية باسمه واسم أخيه جناب الحاج محمد حسن وهما:على محاني بابل ... من بعد مسراك العفاياحسنا في فءله ... أنت لقلبي مصطفوكتب حرسه الله إلى علم العلم والفضل السيد سلمان نقيب الأشراف وأرسلها على لسان البرق "التلغراف" وهو إذ ذاك في دمشق الشام متوجها إلى وطنه دارالسلام:ما زلت تولي أولياك الهنا ... بعزمة ترغم حسادكمرتقيا في كل آن على ... على السهى ترفع بغدادكوكتب أيده الله وأعز علياه بهذه الرسالة إلى حضرة السيد عبد الرحمن أفندي نجل المرحوم نقيب الأشراف السيد علي الأفندي تغمده الله برضوانه وكان قد أراد كتاب نهج البلاغة ومقصورة السيد الرضي في رثا الحسين عليه السلام وكلف بذلك حضرة الحاج مصطفى فأرسلهما إليه وكتب معهما جناب الحاج محمد حسن عن لسانه:ريحانة المجد المؤثل من رأت ... عين المكارم أنه إنسانهاشرفا أخوك من النقابة سيفها ... الماضي وأنت لدى الخصام لسانهانور حدقة الشرف الباذخ، ونور حديقة العلم الراسخ، من انتهج من البلاغة نهجها القويم، وتسنم من النجابة برجها الكريم، سلالة النسب القصير، وغرة الحسب الواضح المستنير، الذي تعطرت العلياء بارج فخره الندي، السيد عبد الرحمن أفندي، مد الله عليه رواق العز والتخليد، وأضفى جلابيب الإقبال والتأبيد.أما بعد؛ فقد سيرنا إليك ما أمرت به من النهج الواضح، والمقصورة في خيام الأحزان المشجيه في ذلك المصاب الفادح، امتثالا لأمرك، وطوعا لإرادتك، والسلام.ومما قاله دام مجده في مدح الشريف العلوي السيد محمد سعيد النجفي الملقب بحبوبي:لعبت للطلا به نشوات ... فتثنى واحمرت الوجناتطعنتني أعطافه الميد لما ... فتكت بي ألحاظه الفاتراتغير بدع إذا أصاب فؤادي ... إنما أسهم الهوى صائباتتلك في معرك الغرام علينا ... مشرعا وهذه ماضياتفإذا جال فاللحاظ سيوف ... وإذا مال فالقوام قناةهي أمضى من أنصل ورماح ... حملتها يوم الكفاح كماةراع غزلان عالج والمصلى ... منه جيد ومقلة والتفاتفهو ما أنفك بالفؤاد ولكن ... هي سرب في عالج سانحات." (١)

"فلما سمع الأمير بذلك استاء جدا وقال لأخيه. تالله لقد جاء أخوك آمرا فريا. كيف يهجونا وهو ضيفنا وقد أنزلناه منزلا كريما. وسقنا إليه رزقا عميما. لعمر الله لئن لم يتدارك هجوه بقصيدة مدح لأغيظنه. وكان هذا الأمير متصفا بصفات العرب في الفروسية والنجدة. وفي شراء الحمد جهده غير إنه كان يكل الأمور إلى المقدور. ولا يهمه ترتيب حاله. والنظر في ماله. ثم خشي من أن يكون هذا الوعيد أدعى إلى زيارة الهجوم إذا فصل عنه الفارياق وهو مغيظ. فرأى أن الإغضاء أجلب للإرضاء. وإن التملق أوفق للتلفق.

---

(١) العقد المفصل؟ حيدر الحلي ص/٢٠٤

فمن ثم سار صديقا له من علماء ملته وفضلاء نحلته إن يصنع مأدبة ويدعوه إليها والفارياق وأخاه. فلما جمعهم النادي. وجيء بالحلواء على أطباق كالهوادي. أقسم الأمير قائلا والله لا أذوقن من هذا شيئا أو ينظم أبو دلامة يعني الفارياق بيتي مديح ارتجالا. فأبتدر وقال بديها.قد كان طبع أبي دلامة إنه ... يهجو لأن الهجو وفق جنانهلكنما هذا الخبيص نهاه إذ ... مزجت حلاوته بمر لسانهفجن الحاضرون استحسانا لهما. حتى الأمير لم يتمالك إن صافح الفارياق وقبله بين عينيه فانعقدت بذلك المواعدة ورجع كل راضيا. وقفل صاحبنا إلى بيته. وآلى إن لا يعقد فيما بعد ناصيته بذنب أحد من كبراء الناس. وإن يسد أذنيه عن صوت صيتهم غلب على الأجراس.حمار نهاق وسفر وإخفاق." (١)

"قد تفلت الفارياق من ناديكم. وانملص من بين أياديكم. وعنجر في وجوهكم جميعا وأصبح لا يخاف لكم وعيدا وبقي الآن أن أذكركم ما أشططتم به من الظلم والطغيان والجور والعدوان على أخي المرحوم أسعد. إذ أودعتموه السجن في داركم الوزيرية بقنوبين نحو ست سنين. وبعد أن أذقتموه جميع ضروب الذل والهوان والبؤس والضنك في صومعة صغيرة لزمها فلم يكن يخرج منها إلى موضع يبصر فيه النور أو يستنشق الهواء اللذين يمن بهما الخالق على الأبرار والفجار من عباده قضى نحبه وما كان سجنكم له إلا لمخالفته لكم في أشياء لا تقتضي عذابا ولا عتابا. وما كان لكم عليه من سلطان ديني ولا مدني. أما الدين فإن المسيح ورسله لم يأمروا بسجن من كان يخالف كلامهم وإنما كانوا يعتزلونهم فقط. ولو كان دين النصارى نشأ على هذه القساوة الوحشية التي اتصفتم بها الآن أنتم رعاة التائهين وهداة الضالين لما آمن به أحد، إذ لا أحد من الناس يصبو إلا إذا كان يرى الدين الذي خرج إليه خيرا من الذي خرج منه. وكل إنسان في الدنيا يعلم أن السجن والتجويع والإذلال والتوعد والتأويق والتشنيع ليس من الخير في شيء. وناهيك أن المسيح ورسله أقروا ذوي السيادة على سيادتهم وأمرتهم. ولم يكن دأبهم إلا الحض على مكارم الأخلاق والأمر بالبر والدعة والسلم والأناة والحلم. فأنها هي المراد من كل دين عرف بين الناس. وأما المدني فلان أخي أسعد لم يأت منكرا ولا ارتكب خيانة في حق جاره أو أميره أو في حق الدولة. ولو فعل ذلك لوجب محاكمته لدى حاكم شرعي. فإساءة البطرك إليه إنما هي إساءة إلى ذات مولانا السلطان. لأننا جميعا عبيد له مستأمنون في أمانه وحكمه. وكلنا في الحقوق سواء إذ البطرك ليس له حق في أن يخطف من بيتي درهما واحدا لو شاءه فإني له أن يخطف الأرواح وهب أن أخي جادل في الدين وناظر وقال أنكم على ضلال فليس لكم أن تميتموه بسبب هذا. وإنما كان يجب عليكم أن تنقضوا أدلته وتدحضوا

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق؟ الشدياق ص/٢١

حجته بالكلام أو الكتابة إذا أنزلتموه منزلة عالم تخشون تبعته. وإلا فكان الأولى لكم أن تنفوه من البلاد كما كان هو يطلب ذلك. بل أصررتم على عتوكم في تنكيله وزعمتم إن فراره من داركم مرة لنجاة نفسه كان زيادة في جناية وجريرته فزتم تجبرا عليه وظلما. وكأني بكم معاشر السفهاء تقولون أن إهلاك نفس واحدة لسلامة نفوس كثيرة محمدة يندب إليها. ولكن لو كان لكم بصيرة ورشد لعلمتم أن الاضطهاد والإجبار على شيء لا يزيد المضطهد وشيعته إلا كلفا بما اضطهد عليه. ولاسيما إذا علم نفسه إنه على الحق وإن خصمه القاهر له على ضلال. أو أنه متحل بالعلم والفضائل وقرينه عطل عنها فقد فاتكم على هذا العلم الديني والسياسي. وعرضتم عرضكم للقذف والتسويد. وذكركم للمقت والتنفيذ. ما دامت السماء والأرض أرضا. وإن أخي رحمه الله وأن يكن قد مات فذكره لن يموت. وكلما ذكره ذاكر من أهل الرشد والبصيرة ذكر معه أيضا سوء فعلكم وأفحاشكم وغلو وجهلكم وشناعتكم وقد لعمري أخرج عنكم بموته من شيعتكم هذه المتوحمة على سفك الدم أكثر مما لو بقي حيا. وحسبك بالخواجه ميخائيل ميشاقه الأكرم وبغيره من ذوي الفضل والبراعة مثالا. ألم تأخذكم يا غلاظ الأعناق رأفة في شبابه وجماله. ألم تتأثر قلوبكم التارزة لصفرة وجهه حين حجبتموه عن النور والهواء. وحين ذوت غضاضة جسمه وبضاضته. وحين لم يبق ترارته غير الجلد والعظم وبخلتم عليه أيضا أن تطلقوه بهما. ألم تشفقوا عليه إذ رأيتم أنامله قد ضنيت لعوز ما كان يتمتع به حمر ديركم ولقد طالما والله أخذت القلم فخطت ما يعجب به الملوك. ولقد طالما والله صعد المنبر فخطب فيكم ارتجالا والعرق يتصبب من جبينه ذاك الصليت. ولا شد ما ابكي سامعيه تذكيرا وتزهيدا. وطالما ألف وعرب لكم كتبا ركيكة وعلم حمقى رهبانكم وأخرجهم من ظلمات الجهل. ألم يغز وجوهكم الصفيقة ما كان يترقرق في وجهه من ماء الحياة فكان أشد خفرا من مخدرة. وإنه كان عزيزا في أهله مكرما عند الأمراء محببا إلى الخاصة والعامة. نزيه النفس. كريم الخلق فصيح اللهجة. أنيس المحضة أمثله يحبس ست سنين ويذل وينكل ويموت والله يعلم بأي شيء مات. ما بال الكنائس الفرنسوية والنمساوية والإنكليزية والمسكوبية والرومية الأرثوذكسية والرومية الملكية والقبطية واليعقوبية والنصطوية والدرزية." (١)

"وأنواعه خمسة: أدهم حالك وأحوى وأحم وأصدى وأخضر. فالأدهم الحالك أشد هذه الأنواع سوادا وأصفاها. والأحوى ما علا سواده حمرة. والأحم ما شابه الأحوى، إلا أنه أقل حمرة، والأصدى ما خالط سواده شقرة، والأخضر ما خالط سواده غبرة.روي عن يزيد بن حبيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخير في الأدهم الأقرح الأرثم محجل الثلاث طلق اليمنى" (القرحة في وجه الفرس بياض دون

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق؟ الشدياق ص/٦٣

الغرة) . وعن عتبة عنه صلى الله عليه وسلم: "إذا أردت أن تغزو فاشتر فرسا أدهم محجل الثلاث مطلق اليمنى، فإنك تغنم وتسلم، فإن لم يكن أدهم فكميتا على هذه الشية" أي على هذه الصفة. وعن أبي قتادة الأنصاري عنه صلى الله عليه وسلم: "خير الخيل الأدهم الأقرح الأرثم ثم الأقرح المحجل طلق اليمين فإن لم يكن أدهم فكميتا على هذه الشية" وعن أبي وهب الجشمي عنه صلى الله عليه وسلم "تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة، واربطوا الخيل، وامسحوا بنواصيها وأكفالها، وعليكم بكل كميت أغر محجل، أو أشقر أغر محجل، أو أدهم أغر محجل"، وذكر الخيل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "خضرها أحبلها، وكمتها ديباجها وشقرها حيادها اللهم بارك في الأخضر اللهم بارك في الأشقر".وحكى ابن بسام في الذخيرة: كان للمتوكل ابن الأفطس الأندلسي فرس أدهم محجل، على كفله ست نقط بيض، فندب الشعراء لوصفه فقال أبو الوليد البجلي ارتجالا:ركب البدر جوادا سابحا ... تقف الريح لأدنى مهلهلبس الليل قميصا سابغا ... والثريا نقط في كفلهوغدير الصبح قد خيض به ... فبدا تحجيله من بللهكل مطلوب وإن طالت به ... رجله من أجله في أجلهوقال ابن اللبانة فيه:لله طرف جال يا ابن محمد ... فجنت به حوباؤه التأميلالما رأى أن الظلام أديمه ... أهدى لأربعه الهدى تحجيلاوكأنما في الردف منه مباسم ... تبغي هناك لرجله تقبيلاوقال ابن نباتة:وأدهم اللون حندسي ... في جريه للورى عجائبتقصر سعي الرياح عنه ... فكلها خلفه جنائبوقال الصفي الحلي:ولقد أروح إلى القنيص وأغتدي ... في متن أدهم كالظلام محجلرام الصباح من الدجى استنقاذه ... حسدا فلم يظفر بغير الأرجلفكأنه صبغ الشباب إهابه ... وخط المشيب فجاءه من أسفلوقال الطاهر الجزولي:وأدهم كالليل البهيم مطهم ... فقد عز من يعلو بساحة عرفهيفوت هبوب الريح سبقا إذا جرى ... تراهن رجليه مواقع طرفهوقال غيره:قد سابق الطرف بطرف سابق ... كأنه يريد إدراك القدردهمته تبدي سوادا حالكا ... كأنها ليل إذا الليل اعتكرصهيله يطرب من يسمعه ... كأنه رعد إذا الرعد زجرأو سابق الريح جرى من قبلها ... والبرق لا يسبقه إذا ظهروقال ابن خفاجة:وأدهم نم آل الوجيه ولاحق ... له الليل لون والصباح حجولترقرق ماء الحسن فوق أديمه ... فلولا التهاب الخصر ظل يسيلكأن هلال الفطر لاح بوجهه ... فأعيننا شوقا إليه تميلكأن الرياح العاصفات تقله ... إذا ابتل منه مخرم وتليلاإذا عابد الرحمن في متنه علا ... بدا الزهو في العطفين منه يجولفمن رام تشبيها له قال موجزا ... وإن كان وصف الحسن منه يطولهو الفلك الدوار في صهواته ... لبدر الدياجي مطلع وأفولوامتدح ابن دنينير اللخمي القابوس الملك المنصور مستمنحا منه فرسا بقوله:ملك الورى دعوة مني على مضض ... من الزمان الذي أخنى بلا سببأودى

تلادي وولى بعده تبعا ... حتى طريفي وما جمعت من نشبوكان قد غفلت عني حوادثه ... في بغلة كنت أقضي فوقها أربيحتى ألم بها منه الردى فغدا ... قلبي قتيل الأسى والهم والنصبولم أجد سببا يجني الزمان به ... على ذوي الفضل إلا حرفة الأدبفاكبت عداي بأخرى مثلها فلقد ... قصرت عن كل ما أهوى من التعبأولا فأدهم تفري الليل غرته ... نهد القصير شديد العظم والعصب." (١)

"وأنت أجل من أن تقاضيني كما يقاضي الدائن مدينه؛ لأنك كريم والكريم يرتجل المنحة **ارتجالا**، ولا يقرضها قرضا، ويسبغ نعمته حتى على العصاة والمذنبين.وأحيانا يستشعر قلبه الرحمة بالعباد، فيبكي أحياءهم وأمواتهم ويقول مخاطبا فتاته: رويدا أيتها الفتاة في خطواتك على هذه الأعشاب، فلعل جذورها تستمد حياتها من كبد فتاة مثلك كان لها قلب مثل قلبك، ووجدان مثل وجدانك، وجمال ورواء مثل جمالك وروائك، ثم ضرب الدهر ضرباته فإذا أنت في غلالة هذه الأشعة البيضاء، وإذا هي في دجنة تلك الأعماق السوداء، فارفقي بها واسكبي هذه الفضلة من كأسك على تربتها، علها تتسرب إلى نفسها فتطفئ ذلك اللاعج الذي يتأجج بين جوانحها.ثم يتخيل أحيانا كأنه واقف أمام رجل خزاف يحرق آنيته في تنوره فيقول له: رحمة أيها الخزاف بهذه الحمأة التي تقلبها في هذه النار، فقد كانت بالأمس إنسانا مثلك، وستكون في مستقبل الأيام حمأة مثلها، وربما ساقك الدهر إلى يدي خزاف تحتاج إلى رحمته ورفقه، فارفق بها اليوم يرفق بك خزافك غدا.وآونة يلبس ثوب الواعظ المنذر، فينعي على السعداء سعاداتهم ويذكرهم بما آلت إليه حال الملوك السالفين، والأقيال الماضين،." (٢)

"بحر تدفق ماؤه ... لكنه عذب الورودبقريحة سالت على ... أرجائها سيل العهودكم أنجبت نخبا له ... فكأنها الأم الولودأبدا توقد بالذكا ... ء فليس يعروها خمودنشبت مخالبها المني ... ة فيه وهو من الأسودلا غرو إن صعد السما ... بين الملائكة السجودفبنات نعش قد حمل ... ن سريره لمن الشهودالحاج حسين بيهموفي آخر هذه الجبقة في صفر من سنة ١٢٩٨ (٢٣ ك٢ ١٨٨١) فقدت الآداب أحد أركانها في بيروت وهو الحاج حسين ابن السيد عمر بيهم كان والده عمر من أعيان المدينة وأدبائها رثاه الشيخ ناصيف اليازجي سنة وفاته ١٢٧٦ (١٨٥٩) بقصيدة مطلعها:زر تربة في الحمى يا أبها المطر ... وقل عليك سلام الله يا عمرومنها:في شخصه الدين والدنيا قد اجتمعا ... وذاك يندر أن تحظى به البشرولد حسين ابنه سنة ١٢٤٩ (١٨٣٣) ونشأ حريصا على تحصيل مسائل العلم وفنون الأدب فأخذ عن علماء

---

(١) نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد؟ محمد بن عبد القادر الجزائري ص/١٥

(٢) النظرات؟ المنفلوطي ٢/١٤٠

ملته كالشيخ محمد الحوت والشيخ عبد الله خالد. وبعد أن تعاطى التجارة زمنا يسيرا انقطع إلى العلم ونال به شهرة ثم نظم الشعر فصارت له به ملكة راسخة بحيث كان يقوله **ارتجالا** في المحافل ويخرجه على صور مبتكرة تطرب له الأسماع. وقد ولته الحكومة عدة مناصب كنظارة الخارجية ورئاسة الأحكام العدلية ثم أعيدت إليه الخارجية فقال في ذلك:إن الفؤاد له في الملك معرفة ... فالخارجية لم تترك نظارتهلذاك سلطاننا المنصور رد له ... مع حسن أنظاره أرخ بضاعتهولما وضع القانون الأساسي وفتح للمرة الأولى مجلس النواب انتخبه مواطنوه ليمثلهم فيه فحضر في الآستانة جلساته ثم عاد إلى وطنه واعتزل المأموريات وانقطع إلى الآداب. وكان حاضر الجواب ثاقب الرأي كريم الأخلاق على الهمة محبوبا عند." (١)

"فمعزى. ثم أضاف إليه ما جد عليه من النظم فطبعه مفضلا القليل المقبول على الكثير المرذول. والحق يقال أن شعره رائق منسجم ومواضيعه مبتكرة أقرب إلى المنظومات العصرية. ومن شعره ما قاله **ارتجالا** فمدح يوحنا بك البحري وكان الشاعر في الرابعة عشرة من سنه فأحب البحري أن يسمع نظمه:أمرت لك الأمر المطاع بأن ترى ... فرائد شعري وهي أغزر من شعريفوا خجلي من فقد در أصوغه ... لديك وكل الدر بعض حصى البحرومن مدحه قصيدة طويلة قالها في فقيد القطر المصري الوزير بطرس باشا غالي منها:رجل وحسبك إنه الرجل الذي ... نجت البلاد به من الإقلالأحيا الندى وأمات بالكمد العدى ... ونفى الصدى بسماحه الهطالتبدو الغيوب لدى لواحظ حذقه ... غررا مجردة من الإشكالوتناولت منه المجالس حكمة ... سادت على الماضي بها والتالينظر العزيز به فطافة يوسف ... فأحله منه المحل العاليوأمده بالرتبة العظمى التي ... ما نالها قيل من الأقيالفأفاد مجد القبط مجدا ثانيا ... مترفعا لثبيره المتعاليوالناس حول ندى يمينه أرخت ... نيل الهناء يمين بطرس غاليوله عدة مراثي حسنة قالها في إبراهيم المتوفى سنة ١٨٨٣ وابنته السيدة ليلى. فما قاله في ليلى:يا ليلة غادرت ليلى بلا نفس ... وغادرتني أقاسي حر أنفاسيلولاك لم يدج نور الشمس في بصري ... ولا تبطن حوف اللحد نبراسيولا جفا الراح راحي والكرى بصري ... وصار دمعي سلافي والجوى كاسيأين التي كنت إن غابت أقول لها ... ما قاله شاعر من آل عباس:ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم ... إذا نظرت ولم ألقاك في الناسقالوا: نسيت بها إبراهيم قلت لهم: ... لا عشت أن كنت يا ناس له ناسولا رست بين أرباب العلى قدمي ... أن كان غيرهما في خاطري رأسي." (٢)

---

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين؟ لويس شيخو ١٤٧/١

(٢) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين؟ لويس شيخو ٢٩٠/١

"لم تجب صاحبك. فو الله ما سمعت تجاولا في نحو ما تجاولتما فيه أعجب إلي من تجاولكما. فقال ابن الزبير: إني خفت عوار القول فكففت جلس أبو إسحاق النجيرمي عند كافور الإخشيدي فدخل عليه أبو الفضل بن عياش فقال: أدام الله أيام مولانا (وكسر ميم أيام) فتبسم كافور إلى أبي إسحاق. فقطن لذلك فقال **ارتجالا:**لاغرو أن لحن الداعي لسيدنا ... وغص من دهش بالريق أو بهرفمثل سيدنا حالت مهابته ... بين الأديب وبين الفتح بالحصروإن يكن خفض الأيام عن غلط ... في موضع النصب لا عن قلة البصرفإن أيامه خفض بلا نصب ... وإن دولته صفو بلا كدرفأمر له بثلاثمائة دينار وللنجيرمي بمائتين أخبر الشيخ تاج الدين العلامة أبو اليمن الكندي قال: بلغني أن علقمة بن عبد الرزاق العليمي لما قصد بدرا الجمالي بمصر رأى على بابه أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم. فسألهم عن حالهم فكل أخبره عن طول مقامه ببابه وتعذر لقائه ره. وسألوه عن حاله فأخبرهم بقدومه قاصدا له. فكل أيسه من لقائه. فبينا هم كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد. فلما رآه مقبلا علا نشزا من الأرض ثم جعل في عمامته ريشة نعام يشهر بها نفسه. فلما قرب إليه أو مأ برقعة كانت معه وأنشأ يقول:نحن التجار وهذه أعلاقنا ... درر وجود يمينك المبتاع." (١)

"إلى ساعة من النهار. حتى سمعنا خرير الأنهار. ورأينا السيل قد بلغ الزبى. والماء قد غمر لا قيعان ولا ربي. فبادرنا إلى حصن القرية لائذين من السيل بأفنيتها. وعائذين من لا قطر بأبنيتها. وأثوابنا قد صندل كافوريها ماء الوبل. وغلف طرازيها طين الوحل. ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الأبدان. وإن فقدنا بياض الأكمام والأردان. فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام. وصرف بوالي الصحو عامل الغمام. رأينا صواب الرأي أن نوسع الإقامة بها رفضا. ونتخذ الارتحال عنها فرضا. فما زلنا نطوي الصحاري أرضا فأرضا. غلى أن وافينا المستقر ركضا. فلما نفضنا غبار ذلك المسير. الذي جمعنا في ربقة الأسير. وأفضينا إلى ساحة التيسير. بعد ما أصبنا بالأمر العسير. وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة. في قطع ذلك الطريق وطي تلك الشقة. أخذ الأمير السيد القلم فعلق هذه الأبيات **ارتجالا:**دهتنا السماء غداة السحاب ... بغيث على افقه مسبلواشرف أصحابنا من أذاه ... على خطر هائل معضلفمن لائذ بفناء الجدار ... وآو إلى نفق مهملومن مستجير ينادي الغريق ... هناك ومن صارخ معولوجادت علينا سماء السقوف ... بدمع

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب؟ لويس شيخو ٥/ ١٢٠

من الوجد لم يهملكأن حراما لها أن ترى ... يبيسا من الأرض لم يبللوأقبل سيل له روعة ... فأدبر كل عن المقبل." (١)

"وما تنشق نشر الشكر ذو الكرم ... إلا وأزرى بنشر المسك مفتوتاوالحمد والبخل لم يقض اجتماعهما ... حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتاوالسمح في الناس محبوب خلائقه ... والجامد الكف ما ينفك ممقوتاوللشحيح على أمواله علل ... يوسعنه أبدا ذما وتبكيتافجد بما جمعت كفاك من نشب ... حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتافقال له الوالي: تالله لقد أحسنت. فأي ولد الرجل أنت. فنظر إليه عن عرض. وأنشد وهو مغضض:لا تسأل المرء من أبوه ورز ... خلاله ثم صله أو فاصرمفما يشين السلاف حين حلا ... مذاقها كونها ابنة الحصرمقال: فقربه الوالي لبيانه الفاتن. حتى أحله مقعد الخاتن. ثم فرض له من سيوب نيله. ما آذن بطول ذيله وقصر ليله. فنهض عنه يردن ملآن. وقلب جذلان. وتبعته حاذيا حذوه. وقافيا خطوه. حتى إذا خرج من بابه. وفصل عن غابه. قلت له: هنئت بما أوتيت. ومليت بما أوليت. فأسفر وجهه وتلالا. ووالى شكرا لله تعالى. ثم خطر اختيالا. وأنشد **ارتجالا:**من يكن نال بالحماقة حظا ... أو سما قدره لطيب الأصولفبفضلي انتفعت لا بفضولي ... وبقولي ارتفعت لا بقيوليثم قال: تعسا لمن جدب الأدب. وطوبى لمن جد فيه ودأب. ثم ودعني وذهب. وأودعني اللهب.." (٢)

"فهبه تسمى اسمي وسميت باسمه ... فأين له صبري على معظم الخطبوأين له بأس كبأسي وسورتي ... وأين له في كل فادحة قلبيوقتل تأبط شرا في بلاد هذيل. ورمي به في غار يقال له رخمان (الأغاني)حارث بن حلزة (٥٦٠ م)هو ابن مكروه بن يزيد اليشكري البكري صاحب المعلقة. وكان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث إلى قولها أن عمرو بن هند الملك وكان جبارا عظيم الشأن والملك لما جمع بكرا وتغلب ابني وائل وأصلح بينهما أخذ من الحيين رهنا من كل حي مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض. فكان أولئك الرهن يكونون معه في مسيره ويغزون معه. فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون. فقالت تغلب لبكر: أعطونا ديات أبنائنا فإن ذلك لكم لازم. فأبت بكر بن وائل. فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة. فقال عمرو: أرى والله الأمر سينجلي عن أحمر أصلح أصم من بني يشكر. فجاءت بكر بالحارث بن حلزة وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم. فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للحارث بن حلزة: يا أصم جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب؟ لويس شيخو ٥/٢٠٧

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب؟ لويس شيخو ٦/١٤١

عليك. فقال الحارث: وعلى من أظلت السماء كلها يفخرون ثم لا ينكر ذلك. وقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدته هذه **ارتجالا**. توكأ على قوسه وأنشدها واقتطم كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها. قال ابن الكلب: أنشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضح فقيل لعمرو بن هند إن به وسحا. فأمر أن يجعل بينه وبينه ستر. فلما تكلم أعجب بمنطقه فلم يزل عمرو يقول: أدنوه أدنوه حتى أمر بطر الستر وأقعده معه قريبا منه لإعجابه به. وعمر الحارث طويلا وابنه ظليم من فحول شعراء العرب (شعراء الجاهلية لأبي عبيدة)دريد بن الصمة (٦٣٠ م)هو معاوية بن الحارث فارس شجاع وشاعر فحل. وكان أطول الفرسان الشعراء غزوا وأبعدهم وأكثرهم ظفرا. وأيمنهم نقيبة عند الءعرب يقال أنه غزا مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها. فأدرك الإسلام فلم يسلم. وخرج مع قومه يوم حنين مظاهرا للمشركين ول فضل فيه للحرب. وإنما أخرجوه تيمنا به ليقبسوا من ورائه. فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورته. وقتل دريد في ذلك اليوم على شركه. وله في أخيه عبد الله مراث أجاد فيها ما أراد. وأخبر أبو عبيدة قال: هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جدعان التيمي تيم قريش فقال:هل بالحوادث والأيام من عجب ... أم بابن جدعان عبد الله من كلبقال فلقيه عبد الله بن جدعان بعكاظ فحياه وقال له: هل تعرفني يا دريد. قال: لا.." (١)

"سماع ذلك منه أحد ... أو شيئا ارتجله؛ فإن العربي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبق إليه، فقد حكي عن رؤبة وأبيه١، أنهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعها ولا سبقا إليها. أما لو جاء ذلك عن متهم أو من لم ترق به فصاحته ولا سبقت إلى الأنفس ثقته، فإنه يرد ولا يقول" ا. هـ.ومهما يكن من ذلك فإن الارتجال أمر مفروغ منه؛ لأن تاريخ الشباب كله لا يقع فيه يوم واحد من عهد الطفولة.الاشتقاق:كل ما يوضع من اللغة **ارتجالا** فإنها وضع لمناسبة بين الدال والمدلول على وجه من الوجوه؛ ولولا تحقق هذه المناسبة ما تأتى للواضع أن يشتق لفظا من لفظ؛ لأن الأصل في الاشتقاق المناسبة في المعنى والمادة؛ فلولا اعتيادهم مراعاة المناسبة في الوضع الأول ما تنبهوا إليه في الوضع الثاني؛ لأن بعض الأشياء يدعو إلى بعض، والارتقاء سنة لا بد فيها من اطراد النسبة.وعلى هذا أمكنهم أن يجعلوا كل مقطع من المقاطع الثنائية أصلا في الدلالة، ثم يفرعون عنه بالاشتقاق معانيه الجزئية المختلفة التي ترجع في أصل الدلالة إليه؛ فكأن المعاني سلائل مرتبة تنحصر كل طائفة منها تحت جنس معلوم، على ما قرروه في مذهب النشوء والارتقاء. ولا يزال هذا التسلسل متحققا في اللغات السامية الباقية إلى اليوم، وهو أظهر في العربية منه في أخواتها؛ حتى ذهب بعض العلماء الذين استقروا تراكيب اللغة إلى أن هذا الأصل

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب؟ لويس شيخو ٢٨٩/٦

مستصحب في كل تركيب، بحيث لا يخلو مما يرجعه إليه ولو تأويلا من طريق المجاز، إلا ما تخلف عن سلسلته لأمر طارئ على أصل الوضع، كأن يكون مبدلا من لفظ آخر، أو مقلوبا عنه، أو داخلا في تركيب المادة من لغة أخرى؛ لأن العلماء الذين دونوا هذه اللغة جمعوها من لغات كثيرة بعد أن تدخلت هذه اللغات بعضها في بعض، لتعاور العرب ألفاظها جميعا؛ فخفي بهذا التداخل كثير من وجوه الوضع الاشتقاقي؛ أوضاع النقل كثيرا من ألفاظ اللغة مما انثلمت به سلسلة أوضاعها فأصبحت بحيث لا يمكن أن يدل فيها على تحقق التسلسل إلا باعتبار الأغلب الأعم.وقد نقلوا عن بعض المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع؛ وكأن بعض من يرى هذا الرأي يقول: إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل: ما مسمى "إذغاغ"؟ وهو بالفارسية الحجر؛ فقال: أجد فيها يبسا شديدا، وأراه الحجر.أما خواص أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطيقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني، وقد عقد لها ابن جني بابا في "الخصائص" سنشير إليه عند الكلام على التمدن اللغوي.وأول من ابتدع القول بأن المعاني سلائل مرتبة، وأن الألفاظ المختلفة ترد في الاشتقاق إلى قدر____________١ رؤبة بن العجاج هو وأبوه راجزان مشهوران من العرب، وكان رؤبة خاصة بصيرا باللغة قيما بحوشيها وغريبها، حتى لا يرون في التشبيه أن في معد بن عدنان أفصح منه؛ وتوفي رؤبة بالبادية سنة ١٤٥هـ عن سن عالية.." (١)

"المشجر والمسلسل:وقد استخرج اللغويون من الاشتراك في اللغة ومداخلة الكلام للمعاني المختلفة نوعا سموه المشجر، وبعضهم يسميه المسلسل، متابعة لرواة الحديث فيما يناظر هذا النوع عندهم؛ وذلك أن يجيئوا بالكلمة المشتركة فيعتبرونها شجرة يفرعون من معانيها المختلفة فروعا ويسترسلون في تفسير الكلام على الوجه المشترك حتى تبلغ الشجرة مائة كلمة أو أكثر، وكلها متسلسلة من كلمة واحدة.تاريخ هذا النوع:وأول من وضع كتابا ففي ذلك أبو عمرو المطرز الراوية المتوفى سنة ٣٤٥هـ فقد عمل عليه كتابه الذي سماه "المداخل في اللغة" وكان يعاصره أبو الطيب اللغوي المتوفى بعد سنة ٣٥٠هـ بقليل، فعمل كتابا سماه "شجر الدر" وجعل كل شجرة مائة كلمة، إلا شجرة ختم بها الكتاب عدد كلماتها ٥٠٠ وقال في كتابه: إنما سمينا الباب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض، أي: تداخله. فأخذ وضع المطرز وزاد فيه وابتدع له تسمية جديدة، ثم جاء أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي المتوفى بمدينة قرطبة سنة ٥٣٨هـ فوضع كتابه الذي سماه "المسلسل" وقال في مقدمته: "كان سمع علي كتاب المداخل في

---

(١) تاريخ آداب العرب؟ الرافعي ، مصطفى صادق ١/١١٦

اللغة لأبي عمرو المطرز رحمه الله، فاستنزرته لقدره، ولم أحظ بهلاله فيه ولا بدره، فرأيت أنه رأى لم تستوف تمامه، وغرض لم تقرطسه سهامه، ولعله إنما ارتجله **ارتجالا**، وجرت ركائبه فيه عجالا، فلم يدمث خزنه، ولا أقام وزنه، ولا استوفى غرره، ولا استقصى درره، فحركني ذلك إلى صلة ما ابتدأ، وتمكين ما رسم فيه وأنشأ".وقد ضمن كتابه خمسين بابا افتتح كل باب منها بشعر عربي وختمه بمثل ذلك.أمثلة:من أمثلة كتاب أبي الطيب:"شجرة": العين عين الوجه، والوجه القصد، والقصد الكسر، والكسر جانب الخباء، والخباء مصدر خابأت الرجل إذا خبأت له خبءا وخبأ لك مثله، والخبء السحاب.ثم انسحب على هذا الأثر بعد "العين". وقد نقل السيوطي هذه الشجرة في مزهره في النوع الحادي والثلاثين.ومن أمثلة المسلسل هذا الفصل فيه وقد حذفنا شواهده اختصارا، قال:أنشد أبو عبيدة لصبيان الأعراب، وتروى لامرئ القيس:لمن زحلوقة زل ... بها العينان تنهلينادي الآخر الأل ... ألا حلوا ألا حلواالأل الأول، وأول يوم الأحد، والأحد هو الوحد، والوحد الفرد، والفرد الثور، والثور الظهور، والظهور الغلبة، والغلبة جمع غالب، وغالب أبو لؤي، ولؤي تصغير اللأي، واللأي الثور،." (١)

"القوافي الحسية:هذا نوع عجيب، تنوب فيه الحركة أو الإشارة عن اللفظ في موضع القافية موقعة على عروضها، وهو نهاية في الظرف والملاحة؛ لأن من المعاني ما قد تكون الحركة أو الإشارة فيه أبلغ من اللفظ دلالة وأبدع موقعا وأحسن إطرابا، وإنما يكون لها ذلك إذا كان فيها معنى من معاني القلب، فكأن القلب هو الذي ينطق؛ ولذلك لا يعدو أن يصيب مواقع الهوى ويحرك في النفوس العجب والاستحسان؛ وذلك كقول بعضهم:ظفرت بمعشوق له الحسن حلة ... فقبلته شفعا وقلت له.....فقال أتهواني فقلت له نعم ... فقال ومن غيري فقلت له.....البيتان من الطويل، وقد جعل قافية الأول صوت القبلة مكررا مرتين كما يدل عليه قوله: "شفعا" وقافية الثاني الصوت الدال على النفي مكررا أيضا، وهو ينشأ عن القرع بطرف اللسان على أطراف الثنيتين المتقدمتين من أعلى الثغر، وليس في البيتين من الحسن أكثر من هذه الحركة كما ترى، ولما كانت مما لا سبيل إلى تصوير حروفه بالخط كانت إلى الطبيعة أقرب وكانت لذلك أملح.وللعرب في بعض ذلك تعبير يؤدي معنى الإشارة اصطلاحا، كتعبيرهم عن صوت النفي في البيت الثاني بقولهم مض، قال في لسان العرب: هو أن يقول الإنسان بطرف لسانه شبه لا، وأنشد:سألتها الوصل فقالت مض ... وحركت لي رأسها بالنغضومن هذه القوافي قول الآخر:ولقد قلت للمليحة قولي ... من بعيد لمن يحبكفأشارت بمعصم وبنان ... أيها العاشق المتيم.....والبيتان من الخفيف، وعجز كل منهما

(١) تاريخ آداب العرب؟ الرافعي ، مصطفى صادق ١٢٨/١

ينقص سببين خفيفين، فجعل تمام الأول حركة اليد التي يشار بها بمعنى "أقبل" مكررة، وهي توازن السببين في امتداد الزمن، وجعل تمام الثاني الحركة التي يشار بها بمعنى "اذهب" مكررة كذلك، والقافيتان مما يتناول بالبصر ومما لا سبيل إلى تصويره بغير أداته الطبيعية، وقد روى البيتين وزاد فيهما ثالثا الحسن بن رشيق صاحب "العمدة"، قال: وقد جاء أبو نواس بإشارات أخر لم تجر العادة بمثلها، وذلك أن الأمين ابن زبيدة قال له مرة: هل تصنع شعرا لا قافية له؟ قال: نعم، وصنع من فوره ارتجالا:ولقد قلت للمليحة قولي ... من بعيد لمن يحبك...."إشارة قبلة"فأشارت بمعصم ثم قالت ... من بعيد خلاف قولي...."إشارة لالا"فتنفست ساعة ثم إني ... قلت للبغل عند ذلك...."إشارة امش"والإشارات في هذه الأبيات إما أن تكون باليد أو بحركات الشفة على نحو ما سبق، وعلى ذلك." (١)

"على كل صور الجمع التي يسوغها القياس؛ لأن ههنا الموجبة التي لم تكن مع العرب فيهما؛ فمن الصحيح أن تقول: زهور، وأزهار، وأزاهر، وأزاهير الخ، فلما لقيت الدكتور بعد نشر هذا الرد هنأني به، ثم قال فيما قال: يحسبون أن العرب هم الجمل والناقة وليس غير ما استجمل وما استنوق.. أما هذا الدهر الطويل العريض فليس عندهم شيئا، وهم يستطيعون أن ينكروا على المولدين ألف كلمة، ولكن هل في استطاعتهم أن ينكروا على التاريخ ألف سنة؟ فذكرت له الأصل الذي قرره أبو علي الفارسي في العربي الصحيح نفسه: من أنه ليس كل ما يجوز في القياس يجب أن يخرج به سماع، فإذا أخذ إنسان على طريقة العرب وأم مذهبهم فلا يسأل ما دليله وما سماعه وما روايته، ولا يجب عليه من ذلك شيء، حتى قال أبو علي: لو شاء شاعر أو متسع أن يبني بإلحاق اللام* اسما وفعلا وصفة لجاز له، ولكان ذلك من كلام العرب؛ وذلك نحو قولك: خرجج أكثر من دخلل، وضربب زيد عمرا، ومررت برجل ضربب وكرمم، ونحو ذلك. قال تلميذه ابن جني: فقلت له: أترتجل اللغة ارتجالا؟ قال: ليس بارتجال لكنه مقيس على كلامهم فهو إذا من كلامهم.وسألني مرة عن وجه الخلاف بين ما يسمونه القديم والجديد، فقلت له: إن الخلاف ليس علي جديد ولا قديم، ولكن على ضعف وقوة؛ فإن قوما يكتبون وينظمون ولكن لم تقسم الفصاحة والبلاغة على مقدار ما يطيقونه من ذلك، ولا يتسع الصحيح لآرائهم في اللغة والأدب، وقد أرادوا أن يسعوا كل ذلك من حيث ضاقوا، ويطاولوه من حيث تقاصروا، وينالوه من حيث عجزوا؛ فظنوا بالأمر ما يظن إنسان يمشي على الأرض ويعرف أنها تدور، فيؤول ذلك بأنه هو يدير الأرض على محورها بحركة قدميه ... نحن نقول: أسلوب ركيك، فيقولون: لا بل جديد، وتقول: لغة سقيمة، فيقولون: بل عصرية، ونقول:

---

(١) تاريخ آداب العرب؟ الرافعي ، مصطفى صادق ٢٤٨/٣

وجه من الخطأ، فيقولون: بل نوع من الصواب، وهلم جرا أو سخيا ... ثم قلت له: أفتجد أنت الركاكة واللحن والخطأ والغثاثة وإن وأخواتها بابا جديدا أو أمرا مبتدعا أو شيئا يحتاج إلى اسم جديد غير اسمه العربي؟ قال: لا، وأنا معك في هذا، وطريقتي في المقتطف أن اللغة في قواعدها عربية، ولكن من قواعدها أن لكل مقام مقالا، فنحن نكتب كتابة صحيحة ونريد بها أن ترفع العامة ولا تنزل بالخاصة، فنخدم العربية من الجهتين.ــــــــــــــــــ* زيادة حرف من جنس لام الكلمة وإلحاقه بها.." (١)

"حتى قال:تضحك النيا إلى ملك ... قام بالآثار والسننسن للناس الندى فندوا ... فكأن البخل لم يكنوإذا لم يستطع التخلص بأن كان قبيحا ممسوخا فالاقتضاب أولى منه فينبغي لسالك هذه الطريقة أن ينظر إلى ما يصوغه فإن أتاه التخلص حسنا كما ينبغي وإلا فليدعه ولايستكرهه حتى يكون مثل هذا.واعلم أن التخلص غير ممكن في كل الأحوال وهو من مستصعبات علم البيان فليتدبر الشاعر.(انتهى من المثل السائر بتصرف)كيفية افتتاح مواضيع الإنشاء وختامهاالافتتاح أن تجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام إن كان فتحا ففتحا وإن كان هناء فهناء أو كان عزاء فعزاء وهكذا: وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد منه فإذا نظم الشاعر قصيدة فإن كان مديحا صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير أن يفتتحها بغزل وبين أن يرتجل المديح **ارتجالا** من أولها كقول القائل:إن حارت الألباب كيف تقول ... في ذا المقام فعذرها مقبولسامح بفضلك مادحيك فما لهم ... أبدا إلى ما تستحق سبيلإن كان لايرضيك إلا محسن ... فالمحسنون إذن لديك قليلوأما إذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح مقفل أو هزيمة جيش أو غير ذلك فإنه لاينبغي أن يبدأ فيه بغزل، ومن أدب هذا النوع أن لايذكر الشاعر في افتتاح قصيدة المديح ما يتطير منه أو يستقبح: لاسيما إذا كان في التهاني." (٢)

"ما لقينا من التعب والمشقة في قطع ذلك الطريق وطي لك المشقة أخذ الأمير السيد طال الله بقاءه القلم فعلق هذه الأبيات **ارتجالا:**دهتنا السماء غداة السحاب ... بغيث على أفقه مسبلفجاء برعد له رنة ... كرنة ثكلى ولم تثكلوثنى بوبل عدا طوره ... فعاد وبالا على الممحلوأشرف أصحابنا من أذاه ... على

(١) وحي القلم؟ الرافعي ، مصطفى صادق ٢٩٩/٣

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب؟ أحمد الهاشمي ٣٨/١

خطر هائل معضلفمن لائذ بفناء الجدار ... وآو إلى نفق مهملومن مستجير ينادي الغريق ... هناك ومن صارخ معولوجادت علينا سماء السقوف ... بدمع من الوجد لم يهمل." (١)

"(٨) الحارث بن حلزةوهو الحارث بن حلزة اليشكري البكري يتصل نسه إلى بكر بن وائل ولم يؤثر عنه غي قطع يسيرة وقصيدته المعلقة التي مطلعها:آذنتنا ببينها أسماء ... رب ثاو يمل منه الثواءوكان أمر هذه المعلقة أن عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس وخذ من كلا الفريقين رهائن من أبناهم ليكف بعضهم عن بعض، وليقيد منها للمعتدي عليه من المعتدي فحدث أن سرح الملك ركبا من تغلب في بعض حاجته، فزعمت تغلب أن الركب نزلوا على ماء لبكر فأجلوهم، وحملوهم على المفازة فماتوا عطشا، وتزعم بكر أنهم سقوهم وأرشدوهم الطريق فتاهوا وهلكوا وذهب الفريقان تدافعان عند عمرو بن هند وكانت ضلعه مع تغلب فهاج ذلك الحارث بن حلزة وكان في المجلس مستورا عن الملك بستارة لما فيه من البرص فارتجل قصيدته **ارتجالا** يفتخر فيها بقومه وفعالهم وحسن بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه فما أتم قصيدتهـ حتى انقلب الملك إلى جانب البكريين وقرب الحارث من مجلسه.وعمر بن الحارث طويلا حتى قيل: إنه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة.." (٢)

"ولما قتل الفضل لزم منزلة ونسك ولم يمدح أحدا حتى مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ؟.شعره: قد تكلف البديع في شعره واستكثر منه في قوله، ومزج كلام البدويين بكلام الحضريين فضمنه المعاني اللطيفة وكساه الألفاظ الظريفة. فله جزالة البدويتين ورقة الحضريين.ومن جيد قوله:تجود بالنفس إن ضن الجواد بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود(٤) أبو العتاهية هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد، أطبع أهل زمانه شعرا وأكثرهم قولا وأسهلهم لفظا وأسرعهم بديهة **وارتجالا** وأول من فتح للشعراء باب الوعظ والتزهيد في الدنيا والنهي عن الاغترار بها وأكثر من الحكمة.ولد بالكوفة سنة ١٣٠ هـ؟ ونسا في عمل أهله وكانوا باعة جرار إلا أنه ربا بنفسه عن عملهم. وقال الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه فذاع صيته وسلك طريق خلعاء الكوفة ثم قدم بغداد ومدح المهدي. ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر حتى حبسه الرشيد لءدم تلبيته ما اقترحه علي من القول فيه ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته وعاد إلى قول الشعر على عادته فيه، وترك الغزل والهجاء وبقي على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون حتى مات سنة ٢١١ هـ؟ ببغداد ومن شعره يمدح المهدي:أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالهافلم تك تصلح إلا له

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب؟ أحمد الهاشمي ٣٥٥/١

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب؟ أحمد الهاشمي ٨٢/٢

... ولم يك يصلح إلا لهاولو رامها أحد غيره ... لزلزلت الأرض زلزالهاولو لم تطعه بنات القلو ... ب لما قبل الله أعمالهاوأن الخليفة من بغض لا ... إليه ليبغض من قالهاوكتب على البديهة في ظهر كتاب:ألا إننا كلنا بائد ... وأي بني آدم خالدوبدؤهم كان من ربهم ... وكل إلى ربه عائدفيا عجبا كيف يعصي الإل ... ه أم كيف يجحده الجاحدولله في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهدوفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد(٥) أبو تمامهو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت بذكرهم الركبان. وخلد شعرهم الزمان. ثانيهم البحتري، وثالثهم المتنبيء ولد سنة ١٩٠ هـ؟ بقرية جاسم من أعمال دمشق ونقل صغيرا إلى مصر فنشأ بها فقيرا وكان يسقي الماء بالجرة في جامع عمرو. وتعلم العربية وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونبغ في قوله، ثم خرج إلى مقر الخلافة فمدح المعتصم وحظي عنده ومدح وزيره محمد بن الزيات والحسن بن وهب الذي ولاه بريد المصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ هـ؟.شعره: يعد أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين، انتهت إليه معاني المتقدمين والمتأخرين وظهر والدنيا قد ملئت بترجمة علوم والأوائل وحكمتها." (١)

"فهو الذي أعطاني كافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه. ثم إن قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الدامي فأجزل جائزته، ولما رجع من عنده قاصدا بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمان خلون منه عرض له فاتك بن أبي الجهل الاسدي في عدة من أصحابه وكان مع المتنبي أيضا جماعة من اصحابه فقاتلهم فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له: الصافية.ذكر ابن رشيق في كتاب " العمدة " في باب منافع الشعر ومضاره أن المتنبي لما فر حين رأى الغلبة قال له غلامه: لا يتحدث عنك بالفرار وانت القائل:الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلمفكر راجعا حتى قتل. وكان سبب قتله هذا البيت وذلك سنة اربع وخمسين وثلاث مئة. ومولده سنة ثلاث وثلاث مئة بالكوفة في محلة كندة فنسب إليها وليس هو من كندة التي هي القبيلة، بل هو جعفي القبيلة، وهو جعفر بني سعد العشيرة من مذحج، وإنما قيل له سعد العشيرة لأنه كان يركب فيما قيل في ثلاث مئة من ولده وولد ولده فإذا سئل قال: هؤلاء عشيرتي مخافة العين عليهم. ويحكى ان المعتمد بن عبادة اللخمي صاحب قرطبة والشبيلية أنشد يوما في مجلسه بيت المتنبي:إذا ظفرت منك العيون بنظرة ... أثاب لها معيي المطي ورازمهفجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه ابن وهبون الأندلسي فأنشد **ارتجالا**:لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما ... تجيد العطايا واللهي تفتح اللهاتنبأ عجبا بالقريض ولو درى ... بأنك تروي شعره لتألهاوذكر

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب؟ أحمد الهاشمي ٢/١٩١

الأفليلي: أن المتنبي أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها:لكل امرئ من دهره ما تعودا ... وعادة سيف الدولة الطعن بالعدىوانشده إياها وهو قاعد فقال بعض الحاضرين يريدون أن يكيدوا أبا الطيب: لو أنشدها قائما لأسمع فإن أكثر الناس لا يسمعون. فقال أبو الطيب أما سمعتم أولها (لكل امرئ من دهره ما تعودا) وهذا من مستحسن الأجوبة. وبالجملة فسمو نفسه وعلو همته وأخباره وما جرياته كثير والاختصار أولى نقلت هذه الترجمة من " وفيات الأعيان " لابن خلكان باختصار، قال يمدح سيف الدولة:فديناك من ربع وإن زدتنا كربا ... فإنك كنت الشرق للشمس والغرباوكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبانزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركباومن صحب الدنيا طويلا تقلبت ... على عينيه حتى يرى صدقها كذباوكيف التذاذي بالآصائل والضحى ... إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هباذكرت به وصلا كأن لم أفز به ... وعيشا كأني كنت أقطعه وثباوفتانة العينين قتالة الهوى ... إذا نفحت شيخا روائحها شبالها بثر الدر الذي قلدت به ... ولم أر بدرا قبلها قلد الشهبافيا شوق ما أبقى ويالي من النوى ... ويا دمع ما اجرى ويا قلب ما أصبلقد لعب البين المشت بها وبي ... فزودني في السير ما زود الضباومن تكن الاسد الضواري جدوده ... يكن ليلة صبحا ومطعمه غصباولست أبالي بعد إدراكي العلى ... أكان تراثا ما تناولت أم كسبافرب غلام علم المجد نفسه ... كتعليم سيف الدولة الطعن والضربإإذا الدولة استكفت به في ملمة ... كفاها فكان السيف والكف والقلباتهاب سيوف الهند وهي حدائد ... فكيف إذا كانت نزارية عرباويرهب ناب الليث والليث وحده ... فكيف إذا كانت الليوث له صحباويخشى عباب البحر وهو مكانه ... فكيف بمن يغشى البلاد إذا عباعليم بأسرار الديانات واللغى ... له خطرات تفضح الناس والكتبافبوركت من غيث كأن جلودنا ... به تنبت الديباج والوشي والعصباومن واهب جزلا ومن زاجر هلا ... ومن هاتك درعا ومن نثر قضباهنيئا لأهل الثغر رأيك فيهم ... وأنك حزب الله صرت لهم حزباوأنك رعت الدهر فيها وريبه ... فأن شك فليحدث بساحتها خطبافيوما بخيل تطرد الروم عنهم ... ويوما بجود يطرد الفقر والجدبا." (١)

"وهل يسخر أحد حين يعلم أن جماعة من أهل اللغة يضعون اصطلاحات لما يرتجل **ارتجالا** تكون أوفق لروح اللغة وقد يستساغ بعضها وقد يصقل الاستعمال البعض الآخر.ولا أظن أن الدكتور طه حسين حين يستفهم ويقول نصا "أي أعضاء المجمع" يستطيع أن يضع الأسماء لأي آلة من الآلات المستحدثة التي لا عهد للعرب بها يحسب أن كتابا من الكتاب يرضى أن يستخدم كلمتي "فرملة" أو "دريكسون" التي

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار؟ عبد الرحمن بن درهم ص/٣١

يستخدمها عامل السيارة في حين أن أدباء المجمع بل وكل أديب بل وكل من له إلمام يسير باللغة يجد لهاتين اللفظتين من لغة العرب ما يناسب ذوقها وذوق الناس.٢- ما قولكم في دراسة اللهجات التي تعرض لها الدكتور طه حسين؟أما اللهجات فنعلم أن دراستها قد تعين على معرفة معنى الكلمة على وجهها الصحيح. فغير قليل من الكلمات قد تستخدم من ناحية أو في عدة نواح من البلاد العربية لمعنى من المعاني، وإن العناية بمعرفة هذه الألفاظ وم ع ا نيها قد تعين على وضع كثير من المعاني والألفاظ موضعها الصحيح الأوفق فضلا عن أن اللهجات لم تخرج عن أنها جزء من تاريخ اللغة وتطورها. ومن أراد أن يزيد رسوخا في اللغة فليس له أن يهمل أجزاء تاريخها، زد على هذا أن البلاد العربية قد تعددت لهجاتها لدرجة الصعوبة في التفاهم أحيانا وأنه من أمل مجمع اللغة المصري أن يكون لمصر مركز ممتاز بين البلاد العربية لتوحيد الأدوات والأساليب في التخاطب والكتابة والتفاهم بلغة مشتركة فصحى رقيقة فمن حقه إذن أن يعنى بلهجات البلاد العربية المختلفة، وذلك لدفع تلك اللهجات إلى لغة سليمة فصحى توحد بين الجميع في الكتابة والتخاطب.وما كان المجمع حين أراد أن يستبقي العناية باللهجات بغافل عن معرفة." (١)

"فأقرني الصديق على ذلك، وقال: إن العقاد لم يكن يعلم هذا ولم تبق فائدة في أن يعلم.فقلت: ولا كانت على مضرة في أن يجهله.هذا هو حديث الإفلاس الجديد الذي استخرجه العقاد من دفاتره القديمة فإن كان أهلا للخجل فليخجل، وكل ماكتبته هنا أشعته بين جميع أصدقائي من يومئذ.٤- من إسماعيل مظهر إلى العقاد ١:هاجمني اعتباطا وانتقض فيه **ارتجالا**، كأن ما طبع عليه العقاد يأبى عليه إلا أن يقول الشر وأن يرمي أقدار الناس بقصد وبغير قصد وأن يكثر عليهم السباب والشتائم لوجه الشر وحده ولوجه النار الآكلة التي تغلي مرجلها في صدره وحفيظته على كل من نبه في الأدب قدره أو رجحت في العلم كفته.أما إذا كان هذا من أثر السفافيد التي شواك فيها الأستاذ الرافعي شيئا على صفحات العصور وطبعها في كتاب وزعت منه على ما أعرف آلاف النسخ في العالم العربي كله، فكن على يقين من أن تهجمك هذا ليس بمغنيك عما في هذه السفافيد فهي باقية معك طول حياتك، وستظل باقية بعد مماتك.وكأني بك تريد أن تحتكر الأدب وتاريخ الأدب لنفسك فتنعي علي لأني كتبت في بشار وابن الرومي والمتنبي والمعري لأنك كتبت عنهم وإني أريد أن أكون العقاد في كل شيء، ومما يدل على سفاهة أحلامك أنك

---

(١) المعارك الأدبية؟ أنور الجندي ص/٨٣

تكذب في هذا كذبا صراحا وإن كنت كذوبا فكن ذكورا فإني لم______________١ البلاغ ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣.." (١)

"وليس الغرض من دراسة هذه الفنون والعلوم والمذاهب والنصوص، الجمود في قوالب ما استخرج من العناصر الجمالية، وما وضع من قواعد، دون اكتساب الإحساس المرهف بمواطن الجمال، لتقديم الأفكار، وصياغة الكلام صياغة أدبية بليغة.فمع ضرورة التسلح بهذه الدراسة، والاطلاع الواسع على النصوص الأدبية الجميلة الراقية، ودراستها دراسة تحليلية تكشف من جوانب الجمال والإبداع فيها على مقدار استطاعة المحلل، لا يصح بحال من الأحوال الجمود عندها دون محاولات الابتكار والإبداع والتجديد، بشرط أن يكون ذلك الابتكار قادرا على انتزاع إعجاب ذوي الإحساس المرهف، والذوق الرفيع في إدراك الكلام الأدبي الجميل البليغ.هذه الحقيقة لا بد من ملاحظتها دواما لدى أية دراسة بلاغية وأدبية، ولدى إنشاء أي نص أدبي جديد.ومن الخير دواما لكل كاتب أو منشيء أو شاعر أن يحذر من أن يضع الصورة الأدبية التي درسها بلاغيا أو أدبيا، وينشيء كلامه على قالبها، فإذا فعل ذلك أفسد كلامه، وشوه روح القاعدة البلاغية أو الأدبية، وإن التزم بصورتها.إن تربية الذوق والملكة البيانية، مع تلقائية الأداء التعبيري لدى إنشاء الكلام كتابة أو **ارتجالا**، عند من يملك الاستعداد لأن يكون أديبا بليغا، هي الكفيلة بتفجير الإبداع المطلوب في الأدب، بشرط عدم الخروج عن ضوابط قواعد اللغة وأصول البيان.ومن جيد ما قرأت في التعريف بخير الكلام، قول "خالد بن صفوان" وهو من فصحاء العرب المشهورين، كان يجالس عمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك، توفي نحو (١٣٣ هجرية) :.." (٢)

"فالشعر الجاهلي ليس تعبيرا فنيا حرا؛ بل هو تعبير فني مقيد، ليس تعبير الطبيعة والطبع، بل هو تعبير التكلف والصنعة، أما الفكرة التي تذهب عندنا إلى تقسيم الشعراء إلى أصحاب طبع وأصحاب صنعة، والتي نرى امتدادها في العصر الحديث١؛ فأكبر الظن أنها في حاجة إلى شيء من التصحيح؛ فإن أقدم آثار الشعر العربي ونماذجه لا تؤيد هذا التقسيم الذي لا يتفق وطبيعة الشعر العربي وحقائقه؛ فكله شعر مصنوع فيه أثر التكلف والصنعة، ولعل الجاحظ أول من أذاع هذه الفكرة ودعا إليها حين كان يعارض الشعوبية في بيانه؛ فادعى عليهم أنهم يقولون الشعر عن صناعة، أما العرب فيقولونه عن طبع وسجية؛ إذ يقول: "وكل شيء للعرب؛ فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ولا

---

(١) المعارك الأدبية؟ أنور الجندي ص/٥٨٠

(٢) البلاغة العربية؟ الميداني، عبد الرحمن حبنكة ١/ ١٢

استعانة؛ وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة والمناقلة، أو عند صراخ أو في حرب؛ فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا٢ وتنثال عليه الألفاظ انثيالا، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحدا من ولده"٣.وليس من شك في أن الجاحظ بالغ في وصف الموهبة العربية والطبع العربي ليرد على الشعوبية؛ فإذا العرب يقولون بديهة وارتجالا على خلاف غيرهم من الشعوب؛ فإنهم يقولون متكلفين، وأكبر الظن أنه لم يكن جادا حين ذهب هذا المذهب، إنما هو بصدد أن يفضل العرب على غير العرب، ولو ترك نفسه على طبيعتها في البحث والتحقيق لرأيناه يثبت للعرب صعوبة في القول، وبخاصة في صنع الشعر فهو نفسه يقول في البيان والتبيين: "من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا "كاملا" وزمنا طويلا يردد فيها نظره_______________١ انظر كتاب شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي لعباس محمود العقاد؛ فقد هاجم كثيرا من الشعراء المحدثين وعلي رأسهم شوقي بحجة أنهم من شعراء الصنعة وليسوا من شعراء الطبع.٢ أرسالا: أفواجا.٣ البيان والتبيين ٣/ ٢٨.." (١)

"مع ما يريد من جرس قوي، ومن ضخامة البناء في اللفظ والتعبير. وهو من هذه الناحية يعد في طليعة من دفعوا الشعراء العباسيين إلى التمسك بالأسلوب الجزل المصقول؛ بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنه فعلا أول من دفع الشعراء في هذا الاتجاه؛ فقد كان الشعر العربي عند أبي نواس وأبي العتاهية على وشك أن يزايل هذا الأسلوب إلى الأسلوب الشعبي اليومي، فأمسك به مسلم دون هذه الغاية ورده في قوة إلى جزالته القديمة وجعلها مقوما أساسيا من مقوماته، بل جعلها المقوم الأساسي الأول بين هذه المقومات. وعم هذا الذوق لا عند خلفائه من أصحاب مذهب التصنيع مثل أبي تمام بل أيضا عند أصحاب مذهب الصنعة وكبارهم خاصة، مثل البحتري. ولا تظن أن هذا الأسلوب الجزل القوي لم يكن يكلف مسلما مشقة؛ بل لقد كان يكلفه عناء أي عناء في اصطفاء اللفظ والملاءمة بين اللفظة واللفظة في الجرس، حتى يتم له ما يريد من ضخامة البناء وروعته. وهو بناء يقام على أعمدة هي الأبيات، وكل بيت كسابقه في الضبط والإحكام، وكل قصيدة بل كل مقطوعة كمثيلتها في هذا النمط الذي لا يتفاوت نسيجه، ومن أجل ذلك يختلف اختلافا بينا عن أبي نواس وأبي العتاهية، فشعرهما فيه القوي والضعيف، وفيه المتين والمهلهل، لسبب بسيط وهو أنهما من ذوق أصحاب الصنعة، لا يعدان حين النظم في التكلف، بل كثيرا ما يقولان الشعر بديهة وارتجالا في غير ترو، أما مسلم فصاحب روية، لا يرتجل ولا يقول الشعر عفوا؛ فالشعر عنده

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي؟ شوقي ضيف ص/٢٠

صناعة مجهدة، لا بد فيها من التريث والتمهل، ولا بد فيها من الصقل والتجويد، ولعل ذلك ما جعل ديوانه صغيرا بالقياس إلى دواوين معاصريه من أمثال بشار وأبي نواس.وهذا البناء الضخم عنده لا تكفي ضخامته وحدها في رأيه؛ فلا بد أن يضاف إليه الزخرف الجديد الذي كان يأتي على قلة في الشعر القديم، وأكثر منه بشار وخلفاؤه؛ ولكنهم لم يتخذوه مذهبا، أما مسلم فقد رأي أن يطبقه على شعره، واقرأ له القصيدة الأولى في ديوانه وهي في مديح يزيد بن مزيد، فستراه يستهل غزلها على هذا النحو:." (١)

"أعنتها، بالرغبة إليك، والمحبة لك، والرفق منك، والعياذ بك، بعدلك فيهم، ومنك عليهم، حتى لقد أنسيتهم سلفك، وآيستهم من خلفك، فالحمد لله الذي جمعنا بك بعد التقاطع، ورفعنا في دولتك بعد التواضع".فقال: يا يحيى، أتحبيرا أم **ارتجالا؟** قال: قلت: وهل يمتنع فيك وصف، أو يتعذر على مادحك قول، أو يفحم فيك شاعر أو يتلجلج فيك خطيب؟."الصناعتين ص٤٠".." (٢)

"فكم صانوا كرامة ذي إباء ... وكم صاغوا لبائسة حجاباوكم مدوا لذي الحاجات راحا ... تسابق في تكرمها السحاباوأما قصيدة الغلاء، فقد قالها بعد أن فتكت الحرب بما اختزن الناس وما بقي في مصر من خيرات أربع سنوات كاملة، وكان أشد الناس ألما من الغلاء هم موظفو الحكومة.فوا رحمنا لابن الحكومة قوسه ... قلوع وهل يجرى سداد قلوع١ومن حوله غرثى، عيال ونسوة ... طواها الطوى في ذلة وخضوع٢تقلب في جوع وعرى يؤودها ... وحسبك من عرى يؤود وجوع٣غلا كل شيء من مرافق عيشها ... على ربها من مسلم ومبيعوهذا شعور من اكتوى بنار الغلاء، عجزت موارده وقصرت يده عن تحقيق رغباته ورغبات أسرته الضرورية، فهو يصف حالة عاناها، وآلاما قاساها، وقد كان موظفا عفيفا محدود الدخل، فهو وحافظ إبراهيم صادقان، وصدرا في وصف الغلاء عن شعور صحيح، أما إسماعيل صبري، أو شوقي، أو مطران، فلم يحسوا بعوز أو ضيق من خلال الحرب الأولى، ولذلك لم يخطر لهم ببال وصف الغلاء، وما فعله بالناس.ولأحمد محرم أكثر من قصيدة في مشكلة الفقر والغنى، وهو قوي في شعوره، غني في تصويره، جريء في تعبيره، مما يدل على شدة انفعال، وفرط حساسية، استمع إليه يصف هذا البؤس في أحد مناظره:رأيت الهول ينبعث **ارتجالا** ... فتنصدع القلوب له بديهارأيت البؤس يركض في جلود ... بجانبها النعيم ويحتميهارأيت بيوت ساغبة تلوى ... كأمثال الأراقم ملء فيهاتريد طعامها والبيت مقو ...

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي؟ شوقي ضيف ص/١٨٣

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة؟ أحمد زكي صفوت ١٣٢/٣

فتوشك أن تميل على بنيهاأنيلونا الديات ولا تكونوا ... كمن يردى النفوس ولا يديها________________١

قوس قلوع: تنقلت حين النزع فتقلب.٢ غرثى: جياع.٣ يؤودها: يبلغ منها الجهد والمشقة.." (١)

"في الليالي المقمرة فاستحسنها فثبتت في قلبي، ولم تخطها يدي".فإذا كان هذا رأي هؤلاء العلماء الرواة في القرن الثاني الهجري في الشعراء الإسلاميين أنفسهم، فلا بد أن يكون رأيهم هذا أكثر تشددا وغلوا في الشعراء الجاهليين؛ ولذلك نحسب أن أخبار معرفة الشعراء الجاهليين بالكتابة قد وصلتنا ناقصة مبتورة مشوهة، ولولا هذا الوهم الخاطئ لوصلنا الشيء الكثير الذي يدعم ما نذهب إليه.-٤-الثالث: وثالث هذه الأدلة متصل كذلك بالسابقين لا يكاد ينفصل عنهما، ومداره على طبيعة ضرب من الشعر هو هذا الشعر الذي كان يتكلفه صاحبه تكلفا بعد جهد ومشقة، لا يرتجله **ارتجالا**، ولا يناسب منه عن طبع وفي يسر وسماحة، وإنما يقول البيت أو الأبيات ثم يطويها إلى أن توافيه أبيات أخرى يضمها إلى سابقاتها، فإذا ما اكتملت له القصيدة طواها كلها، وأخذ يعيد فيها نظره: يهذب من ألفاظها كلما سنح له وجه من وجوه التهذيب ويقوم بعض ما لم يكن قد استقام له من معانيها كلما واتته فرصة التقويم ذلك هو الشعر الحولي المحكك، وأولئك الشعراء هم عبيد الشعر كما سماهم الرواة العلماء١. قال الجاحظ٢: "ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا، وزمنا طويلا، يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه، اتهاما لعقله، وتتبعا على نفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره، إشفاقا على أدبه، وإحرازا لما خوله الله تعالى________________١ ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١: ٢٣. ٢ البيان والتبيين ٢: ٩.." (٢)

"ما يجوز في ذلك من أشعار المذاكرة، والجوابات المنتخبة". ويقول١: "كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار، لما ذكرت عجبك بذلك ... "ويعلل الجاحظ اتباعه هذه الطريقة بقوله٢: "وجه التدبير في الكتاب إذا طال أن يداوي مؤلفه نشاط القارئ له، ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له، فمن ذلك أن يخرجه من شيء إلى شيء ومن باب إلى باب ... ونقصد من ذلك إلى التخفيف والتقليل، فإنه يأتي من وراء الحاجة، ويعرف بجملته مراد البقية". ويقول بعد أن يورد بعض الأخبار والنوادر٣: "فجعلنا بعضها في باب الاتعاظ والاعتبار وبعضها في باب الهزل والفكاهة. ولكل جنس من هذا موضع يصلح له. ولا بد لمن استكده الجد من الاستراحة

---

(١) في الأدب الحديث؟ عمر الدسوقي ٢/٢٠٣

(٢) مصادر الشعر الجاهلي؟ ناصر الدين الأسد ص/١١٨

إلى بعض الهزل".ومن كانت هذه غايته، كان خليقا أن يجمع بين دفتي كتابه ما يحقق له هذه الغاية، يستوي عنده في ذلك الخبر الصحيح والزائف، والشعر الثابت والمشكوك فيه والموضوع، وربما أورد من الأخبار والأشعار ما يعرف يقينا زيفها ووضعها، ولكنه يسوقها لأنه يستحسنها أو لأن فيها نادرة تناسب ما قبلها. فمن ذلك أن الجاحظ يورد خبرا فيه شعر ثم يقول٤: "وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولدا، ولقد أحسن من ولده".ومن أجل هذا كله نرى الجاحظ لا يكلف نفسه مشقة التثبت والتمحيص، والرجوع إلى ما بين يديه من كتب ومصادر، وإنما يرتجل القول **ارتجالا**، ويسوقه في كثير من التجاوز والتسامح، ويدفعه إلينا كما ورد في خاطره ساعة كتابته أو إملائه، فهو يورد بيتا من الشعر ثم يقول٥: "وهي أبيات لم أحفظ منها إلا هذا البيت". ويقول أيضا في باب الخطب٦: "وخطبة أخرى ذهب عني_____________١ البيان والتبيين ٣: ٢.٣٠٢ المصدر السابق ٣: ٣٦٦-٣.٣٦٧ المصدر السابق ٣: ٤.٢٢٢ المصدر السابق ٤: ٥.٣٦ الحيوان ٢: ٦.١٣ البيان والتبيين ٢: ١٢١.." (١)

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي؟ ناصر الدين الأسد ص/٦٠٨